

# البحرُ المُنْصِي

## نقد عبقرية الرضوي ( ومفتاح الثقافة )

تأليف

الإمام عبد الرحمن بن عبيد الله بن محسن السقاف

١٣٠٠ - ١٣٧٥ هـ

تحقيق

علي بن محسن السقاف

النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ

فِي نَقْلِ عِبْرَتِنَا الْقُرْآنِ

وَمَفَاتِيحِ الْمَعَانِي

جميع الحقوق محفوظة  
الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

للطباعة والنشر والتوزيع  
بيروت - لبنان

هاتف: ٣٩٤٦٦٦٦ - ٣١١٥٤٢٥ - فاكس: ١/٢٧١٩٨٨

<http://www.Dar-Alamira.com>  
e-mail: zakariachahbour@hotmail.com



# الخبير المضيء

في نقد عبقريات الرضي

ومفتاح السقافة

تأليف

لهيتم عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد السقافة

1375-1300 هـ

تحقيق

عيسى بن محمد السقافة

الأميرة

للطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## بين يدي هذا الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين وبعد:

يقدم هذا الكتاب القيم؛ مقارنة أدبية؛ بين شعر الشريف الرضي؛ وشعر المتنبي؛ ولا يكفي بذلك؛ بل يبحر مؤلفه، وهو ريان ماهر؛ ودليل خبير؛ فيتعمق في بحور الشعر ومحيطاته؛ ويتجول؛ وهو بستاني خبير، في بساتين الشعر وأفنائه؛ فيقتطف لنا الأشعار والأخبار، والشوارد والنوادر، مما يجعل هذا الكتاب متعة عظيمة للقارئ، وبهجة عميقة للناظر، وسعادة غامرة؛ لمحبي الأدب؛ ومفخرة لعشاق اللغة العربية؛ وهو شاهد مُصدِّق على عبقرية مؤلفه، وأعجوبة ذاكرته؛ التي سردت لنا كل مواد هذا الكتاب؛ وغيره من الكتب؛ من وحي الذاكرة، وعفو البديهة.

وهو سفر عظيم في فن النقد الأدبي؛ تجلت فيه عظمة هذا الإمام؛ الذي برع في علوم عدة؛ فهو فقيه وأديب وشاعر وخطيب وسياسي ومؤرخ؛ وله مؤلفات عظيمة تشهد على عبقرية من العبقریات النادرة؛ وهو في هذا الكتاب يتعرض لأبيات الشريف الرضي؛ التي اختارها الدكتور زكي مبارك في كتابه عبقرية الشريف الرضي؛ فيقصدها بالنقد والتحليل ثم يبحر في ظلمات البحور الشعرية؛ ويستخرج المعاني المشابهة؛ والمعاني المسروقة، ويوضح أمكنة الاقتباس، ويدلل على صاحب المعنى الأصيل؛ من الشعراء السابقين أو المعاصرين للشريف؛ ويذكر رأيه؛ ويؤيده بقصص وأخبار وشواهد؛ وهو يطرق أحياناً فجاج الفقه؛ وسبل الحديث الشريف؛ فيعقد مقارنة؛ أو يستخرج حكماً شرعياً؛ مما يصعب على غيره؛ من العلماء؛ ممن لم تتوفر لهم كل هذه العلوم؛

التي برع فيها هذا الإمام؛ أن يفعل ما فعله في هذا الكتاب؛ ولا داع لأن أطيل؛ لأن القارئ الأريب؛ سرعان ما سيكتشف؛ أطيب هذه المائدة الأدبية؛ الزاخرة بمختلف اللذائذ والمشهيات.

والعجيب في الأمر؛ ان الإمام بن عبيد اللاه؛ املى تقريبا كل مواد هذا الكتاب؛ من ذاكرته العجيبة؛ فلم يحتاج لمراجعة كتاب أو دراسة مخطوط.

ولتأليف هذا الكتاب قصة: فقد جرى الحديث في مجلس الإمام ابن عبيد اللاه؛ في المفاضلة بين الشريف الرضي؛ وبين المتنبي؛ ويستكمل الإمام القصة بنفسه فيقول: وبمناسبة هذا الحديث؛ فقد أخبرني بعض الحاضرين: أن للأستاذ زكي مبارك؛ كتاباً عن عبقرية الشريف الرضي، فتطلعت إليه بشوق شديد، وطرف حديد، لاعتقادي أن لا يخلو؛ عن حلّ لهذا الأشكال.

وفي ٢٢ من المحرم سنة ١٣٦٤ هجرية، جاءني أحد الطلبة، يحمل لي منه الجزء الأول؛ فما أمتعت طرفي إلا في مينيّ بهي، ولا أرتعت فكري، إلا في معنى شهّي، ثم اعتقلت القلم، ولم يأت اليوم الثامن من صفر سنة ١٣٦٤ هجرية؛ إلا وقد فرغت مما أردت، في عدة مقالات؛ بدءاً بما ذكره الأستاذ زكي مبارك: من خمول الشريف، واشتهار المتنبي، وخالفته في أكثر ما علل به الطرفين، وفصلته في مقالة صافية؛ منحت لها الأدلة؛ من العيون الصافية؛ ثم عمدت للقصيدة؛ التي وضعها في كفة الميزان، وهي الحائية<sup>(١)</sup>، فحللتها تحليلاً يفرّق بين الماء واللبن، بيّنتُ به مآخذها، وفصلتُ ما لها وما عليها، في مقالة طولى تُشفي الصداع، وتُشفي الأسماع، ثم عطفت على ما اختاره الأستاذ زكي مبارك، من نوادر الشريف وعدتها ١٨٢ بيتاً فاستأصلتها نقداً، نزولاً على رغبته، بعدة مقالات من لسان القلم، وعفو البديهة، نقضت به مرائرها<sup>(٢)</sup> ونثت<sup>(٣)</sup>

(١) يقصد القصيدة المسماة بالحائية للشريف الرضي.

(٢) مرائرها: قوّيتها.

(٣) نث الخبر أي أفشاه.

سرايرها، ووزنت مقاديرها، وكشفت مصادرها، وما انتهت ويا للأسف في آخرها  
إلَّا بِبَتِّ الحِكمِ عليها، وتسليم فضل السبق للمتنبئ، حكماً لا تعجله الظنون، ولا  
تجاذبه الاحتمالات، لعدالة حجته، وصحة نتيجته، الناشئة بحكم المنطق عن  
صوادق المقدمات (انتهى كلام الإمام).

ولم يكن هذا الحكم سريعاً؛ بل إنَّ الإمام بن عبيد اللاه؛ كان شديد  
الإعجاب بالشريف الرضي؛ وربما كان من أسباب ذلك؛ إلى جانب اعترافه؛  
بعبقرية الشريف الرضي الشعرية؛ ما يراه الإمام بن عبيد اللاه؛ من تشابه بين حاله  
وحال الشريف؛ مع الفرق الجغرافي! كون الشريف الرضي عاش في بغداد،  
وعاش هو في حضرموت؛ لذلك نراه يقول: لا بد من مناقشة الأستاذ زكي  
مبارك؛ في حكمه بتفوق الشريف، مع التزام المعدلة والتجرد عن العواطف، التي  
أنا فيها جدُّ قريب إلى محاباته، حسبما تسمعون مِنِّي من إعظامه (يقصد الشريف  
الرضي)، والتغني ببدائع، من قديم، لأسباب، من أكبرها أن تشابهاً بيننا؛  
أظهرت؛ مما بينه وبين الأستاذ زكي مبارك، ثم إنَّه لا مطمح إلى استقراء كتاب؛  
انطلقت مؤلفه بغداد؛ بحسن إقبالها عليه، وهو من مهد العلم، ومرعى الأدب،  
ومنجم الثقافة؛ لرجلٍ اجرتة حضرموت القاحلة، المنكودة الحظ؛ بسوء إدارها  
عنه، وتألَّب أهلها عليه. (انتهى كلام الإمام).

وختم الإمام بن عبيد اللاه هذا الكتاب؛ بعدد من التنبيهات المهمة؛ منها  
أن وصفه لأبيات الشريف؛ التي نقدها؛ بالغبثة؛ والسفسفة؛ ما كان إلا لسوء  
اختيارها من قبل الأستاذ زكي مبارك؛ الذي أراد بهذا الاختيار؛ التدليل على تميز  
الشريف الرضي؛ فلم يوفق؛ فاللوم يقع على الأستاذ زكي مبارك؛ وإنما كان  
الشريف كما قال الإمام: على الطريق إليه؛ فلم يُمكننا أن نتخطاه؛ وإلَّا فله من  
الحسنات؛ ما يضحمل معها أكثر السيئات.

كما بين الإمام بن عبيد اللاه؛ أن ما ذكره من أخذ الشريف لكثير من  
المعاني؛ عن شعراء آخرين؛ كان مبعثه الرد على ادعاء الأستاذ زكي مبارك؛  
الذي زعم: بأن معاني الشريف؛ كانت كلها من المخترعات. لكنه؛ أي الإمام؛



أكد ما صرح به علماء فن الشعر: من أن اشتراك الشعراء في المعاني المستخدمة؛ لا يطلق عليه سرقة.

كما وجه الإمام بن عبيد اللاه ملاحظة مهمة لروائع المتنبّي بقوله: إنك تجد في بعض أبياته؛ رونقاً وروعة؛ فإذا رجعت إلى الديوان؛ لتقرأ بقية أبيات القصيدة؛ انحطّ من عينك انحطاطاً.

ولهذا الكتاب؛ الذي بين يديك أيها القارىء؛ قصة غريبة وهي: أنّ الإمام بن عبيد اللاه؛ بعث به بعد تأليفه؛ إلى أندونيسيا؛ ليطلع هناك؛ وكأنما هو قد تلقى وعداً؛ من أحد أثرياء تلك البلاد بطبعه؛ ولكن الكتاب ذهب إلى أندونيسيا؛ ولم يعد؛ كما أنه أيضاً؛ لم يطبع؛ وبقي فيها منسياً لعدة عقود؛ ثم مات الإمام بن عبيد اللاه في حضرموت سنة ١٣٧٥هـ؛ ولم يعد أحد يعرف شيئاً عن موقع هذا الكتاب ولا عن حالته، واسدلت عليه استار الإهمال والنسيان؛ بل وكانت المشكلة الأعظم؛ أنه حسب علمي؛ لم توجد منه نسخة أخرى يُرجع إليها؛ مما شكل سبباً قوياً؛ لفقده وضياعه؛ ثم حدث ما لم يكن في الحسبان؛ فقد قدم إلى جدة من أندونيسيا؛ في الثمانينات الهجرية؛ بغرض الحج؛ أحد أصدقاء الطفولة لوالدي؛ ممن سبق أن هاجروا واستوطنوا أندونيسيا؛ منذ سنين بعيدة؛ وهو السيد سالم بن محسن بن جديد السقاف؛ وفاجأ الوالد بعد وصوله؛ بإهدائه النسخة الأصلية لهذا الكتاب؛ وهي نسخة شارك الوالد نفسه؛ في تسريد العديد من صفحاتها، وتبيض الكثير من أوراقها، حيث كان من مرافقي الإمام بن عبيد اللاه وجلسائه الدائمين؛ ولكونه أيضاً؛ زوج ابنته؛ وقد استغرب الوالد؛ بقاء الكتاب على حالته الأصلية؛ برغم السنين الطويلة؛ لم تتآكل ورقاته، ولم تنطمس حروفه؛ ثم بقي الكتاب بعد ذلك؛ في عهدة الوالد؛ سنين أخرى طويلة؛ حتى قمت أنا شخصياً؛ قبل أكثر من عشر سنوات، بتسليم هذه النسخة الأصلية للكتاب؛ وهي بحالتها الممتازة؛ إلى أبناء خالي، أحفاد الإمام، ليمهدوا لطباعته؛ مع احتفاظي بنسخة مصورة من مخطوطة الكتاب؛ ولكن مضت السنون بعد السنين؛ وبقي الكتاب المخطوط على حاله، كما شغلنا ظروف الحياة عن

السؤال عنه؛ والاهتمام بطباعته؛ ولكن؛ لكل شيء وقته؛ ولكل زمان رجاله؛ فقد وجدتني في الأيام الأخيرة، ولسبب لا أعرفه مدفوعاً؛ إلى التفكير في طباعته، والاهتمام بتحقيقه، وفاءً لهذا الإمام العظيم؛ الذي كان يتحرق شوقاً لطباعة مؤلفاته؛ فلا يستطيع ذلك، لقلّة ذات اليد، ولضعف إمكانيات البلاد الحضرمية في زمنه؛ مع عدم اهتمام الأثرياء من معاصريه بطباعة الكتب؛ وعزوفهم عن بذل المال اللازم لذلك؛ ثم كان السبب الثاني؛ الذي دفعني لتحقيق هذا الكتاب وطبعه، وهي الرغبة الشديدة في حفظ هذه المؤلفات النافعة؛ التي ستكون، إن شاء الله؛ عظيمة الفائدة؛ لقراء اللغة العربية، ومحبي الأدب، وعشاق الشعر.

هذا وقد كان من مقاصد الإمام يرحمه الله؛ بتأليف هذا الكتاب؛ أن يكون مفتاحاً للثقافة إذ يقول في مقدمته:

وأحرّ بهذه المقالات (جعل كتابه على شكل مقالات بدلاً من الفصول)؛ أن تعتبر كتيباً يسمّى بعد تبييضه؛ مفتاح الثقافة؛ فقد أظهر النشئ بالأدب؛ ولوعاً جمّاً، واعتنوا به اعتناءً لمّاً؛ حتى جعلوه - ولكن بدون نظام - بيت قصيدهم، واقتنعوا بأن يكون حصيل حصيدهم؛ غير أنهم لا يزالون بمكانهم، كأن ليس التقدم في إمكانهم:

فَهُمْ فِي السُّرَى لَمْ يَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِهِمْ      وَمَا ظَعَنُوا فِي السَّيْرِ عَنْهُ وَقَدْ كَلَّوْا  
ثم قال الإمام بعد استرسال: وإني لجازم؛ لا استثنى إلا بمشيئة الله؛ أن هذا المفتاح؛ طريق مختصر إلى النجاح؛ إذ لا بد أن يقرب ميطانه، ويرغم شيطانه؛ ويقرع مرؤته، وييسر ذروته؛ لأنه بضاعة السوق، والشهوة الي مطالعته تسوق، وصدق التوجه؛ يفتح الرتاج، ويُعَجِّلُ التتاج، ويقضي للهامة بالتاج؛ أو لا ترى للبليد؛ كيف يغضب للبريد على المطال، ثم يحفظ كتاب مرسله؛ وإن طال؛ وقد قال المعري:

وَمَا الْمُعْلَمَاءُ وَالْجُهَلَاءُ إِلَّا      قَرِيبٌ مِنْ قَرِيبٍ مِنْ قَرِيبٍ

لكن الشأن الالتفات (يقصد الاهتمام)؛ فبه (أي بالاهتمام) حصل ما حصل، وفات ما فات:

إِذَا لَمْ تَكُ الْحَاجَاتُ مِنْ هِمَّةِ الْفَتَى      وَإِلَّا فَمَا تُغْنِي عُنُقُودُ الرَّقَائِمِ  
 وإن النتيجة لمضمونه بلا وليجة؛ وإني لراج أن ينتفع منه الطالب؛ لشهر؛ ما لا يجده من المعلم في دهر؛ وإذن يتوفر ما لا بد من بذله؛ في استجلاب المتخصصين في فنه؛ فليشكر له السالمون من شوم الحسد؛ ولو بعض مئة؛ وأمارة ذلك: ما جربته في نفسي؛ فإني لم انتفع بشيء في الأدب؛ بعد نهج البلاغة؛ انتفاعي بقصيدة؛ قدمتها لشيخنا العلامة بن شهاب؛ فَتَقَّحَهَا؛ وعمد إلى جمل منها؛ استسمنت ورمها؛ فَاطَّرَحَهَا، وقد جاء هذا (يقصد هذا الكتاب) على سمتها؛ فإن فيه حكّ الأفكار؛ وفض الأبيكار؛ وفتح باب الاعتبار؛ والتوفيق على مواضع الاختبار؛ وهل يمكن لابن التاجر؛ أن يتقن التجارة؛ بمجرد قلبيب البضائع، والتردد على الحوانيت، وجلوسه مجلس أبيه؛ للبيع بالأثمان المحددة؛ كلاً؛ وما يفعله النشئ كله؛ ليس إلا بمثابة ذلك؛ ولا مشقة في البيع؛ إنما الصعوبة في الشراء؛ وذلك ما هيئت له الأسباب، وشرعت إليه الباب، وبالله التوفيق. (انتهى كلام الإمام).

هذا وقد استمتعت شخصياً، متعة عظيمة، بقراءة هذا الكتاب وتحقيقه، وانفتحت لي به؛ أبواب الثقافة على مصراعها؛ وولجت به باب المعرفة، من أوسع أبوابها، وتعرفت منه على الشعر والشعراء، رغم ما قاسيته من صعوبة ومشقة؛ ذلك لن الإمام يستخدم في كتابته؛ المفردات الغريبة، والألفاظ الجزلة، والتي تحتاج دائماً إلى مراجعة القاموس؛ وقد لا توجد في القواميس المعتادة؛ كما لا تخفي صعوبة النقل من مخطوطة مصورة؛ إذ لا تتضح بعض الكلمات، وتنطمس بعض الكتابات؛ والتي استعنت عليها بالعدسات المكبرة لتوضيحها؛ كما أنه؛ لكون الإمام؛ أملى الكتاب برمته؛ من خزينة ذاكرته؛ فكان ذلك؛ مما يستوجب من المحقق؛ مراعاةً لأمانة التحقيق؛ مراجعة الأبيات في مصادرها

الأصلية؛ وهو مجهود ليس بالسهل، ولا بالهين؛ ولكن لعبقرية الإمام، وأعجوبة ذاكرته، فإنني لم أجد هذا الاختلاف إلا في القليل النادر من الآيات.

هذا وحتى تكتمل الفائدة؛ فقد قمت بتشكيل الآيات الشعرية؛ حسب فهمي لها؛ وأنا لست من أصحاب الشعر، ولا من رواد بحوره؛ ولهذا لا بد أن يوجد في ذلك؛ غلط، أو أغلاط؛ إضافة للأخطاء الكتابية؛ ولهذا استمسخ جدي الإمام عذراً؛ إن كنت قد جنيت على مؤلفه، لكن ما بذلته فيه من جهد؛ سيشفع لي؛ إن شاء الله؛ ما اقترفته فيه من خطأ؛ كما قمت بكتابة تعريف بمعاني الكلمات الغريبة، حسب قدرتي، وأوردت في الحاشية؛ نبذة موجزة عن وردت أسماءهم من الشعراء والأعلام؛ حسب الاستطاعة؛ حتى يكون هذا الكتاب؛ كما أراده الإمام؛ مفتاحاً للثقافة؛ وأستطيع أن أقول: إن جدي لأمي؛ الإمام بن عبيد اللاه؛ قد علمني؛ بتحقيق هذا الكتاب؛ فن الأدب؛ وفتح لي باب الثقافة؛ بعد أكثر من ستين سنة على وفاته؛ بما لم أحصل عليه؛ في أي من الكتب الأدبية السابقة؛ التي قرأتها؛ وأتمنى؛ كما استفدت أنا من هذه الدروس؛ أن يستفيد منها أيضاً؛ كل من قرأ مفتاح الثقافة؛ باهتمام، ورغبة، وعناية، وهمة، وحرص.

كما وجدت في هذا الكتاب؛ بعض العزاء والتسلية؛ لما لاقته مؤلفاتي الأدبية والعلمية؛ على غزارة مادتها، وحسن سبكها؛ من الإهمال والتنكر؛ من جميع معارفي وقرابتي وأقراني؛ رغم إهدائها لهم بالمجان؛ فقد وجدت فيما كتبه الإمام؛ في المقالة الأولى لهذا الكتاب؛ وفي مواضع أخرى من هذا الكتاب؛ تفسيراً شافياً لهذه الظاهرة المستديمة المؤلمة.

لقد أردت بهذه الطبعة؛ التي توليتها ونفذتها على عجل؛ أن استقذ بها هذا التراث العظيم، وأن أخرج من غياهب النسيان، وأن انفض عنه غبار السنين؛ خوفاً عليه من الضياع؛ وظناً به على دابة الأرض؛ التي التهمت آلاف الكتب وآلاف المخطوطات؛ حتى يستفيد منه الدراجون لطريق الثقافة، والسالكون لدروب الأدب، بعد أن بقي هذا الكتاب الهام؛ منسياً ومهملاً منذ تاليفه؛ قبل

حوالي سبعين سنة. وأسأل الله تعالى أن يشرح صدري، وييسر أمري، وأن يكتب لي في مهمتي التوفيق والنجاح؛ إنه على كل شيء قدير؛ وكان الانتهاء من تحقيق هذا الكتاب يوم الخميس السادس من شهر رجب من عام ١٤٣٤هـ بعد عام كامل؛ من ابتداء العمل فيه.

علي بن محسن السقاف

## مقدمة محقق الكتاب

وبعد؛ فهذه رائعة أدبية جديدة؛ من روائع الإمام عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف؛ عبقرى زمانه، وإمام عصره، ذو المواهب المتعددة، والعلوم المتنوعة، والذي بقي منسياً للأسف الشديد؛ إلى ما بعد أكثر من خمسين سنة على وفاته؛ لتعود بعض مؤلفاته العبقريّة في الظهور؛ بعد طبعها؛ وتعرف الناس عليها؛ وإن بقي كثير من مؤلفاته مخطوطاً، وبعضها ما زال مفقوداً، بعد أن تكالبت على نسيانه، وضياعه عوامل متعددة؛ فحُرِمَت المكتبة العربيّة، وحُرِمَ قراءها النهمين، من روائع أدبية عظيمة، وكتب تاريخية مهمة، ومباحث فقهية دقيقة، أدهشت العلماء المتأخرين؛ حين ظهرت متأخرة، فاستقبلوها بشوق، وقرؤوها بنهم، وعرفوا قدرها، وتبينوا مقدارها؛ فكانت أقوالهم عنها ملأى بالدهشة والانبهار، والتقدير والاحترام، لعالم من العلماء المتأخرين، وصل لمرتبة فحول العلماء الأقدمين، مع ضعف حظه من الشهرة والانتشار، لأسباب ذكر بعضها الإمام بين سطور كتبه، ومما لم يذكره: أنه لم يوجد إلى اليوم؛ من طلبة العلم؛ من يبرز جهوده، ويحل قيوده، وينشر مؤلفاته، وي طرح رسائله.

وقد برع الإمام ابن عبيد اللاه؛ في علوم متعددة، وتميز بمواهب متفرقة، فكان فقيهاً؛ لا يشق له في الفقه غبار، ولا يستطيع أي عالم في زمنه؛ أن يرد رأيه، أو ينقض حكمه، المستند فيه؛ لأقوى الأدلة الفقهية، وما مؤلفه صوب الركّام في أدلة الاحكام، إلا بعض دليل على ذلك؛ وقد اعترض الإمام بن عبيد اللاه في بعض أجزاء صوب الركّام، على بعض المسائل، لواحد من كبار أئمة الفقه؛ وهو الإمام ابن حجر الهيتمي، صاحب تحفة المحتاج؛ بشرح المنهاج؛ وهي من مراجع الفقه الشافعي. كما كان الإمام بن عبيد اللاه؛ إلى

جانب فقهه؛ أديباً مبدعاً، وشاعراً متقناً، وخطيباً مصقماً، ومؤرخاً موسوعياً، وسياسياً حكيماً، ولم يوجد في زمنه؛ من كبار العلماء والفقهاء؛ من يماثله في علمه وفقهه، وكان عالماً بالتاريخ؛ وخصوصاً تاريخ حضرموت؛ مُلمّاً ببلدانها وأهلها ومواقعها؛ وإذا حضر الإمام بن عبيد الآه في مجلس؛ كان هو قطب الرحي لحديث المجلس، ينثر على سامعيه، الدرر والعجائب، واللطائف والنوادر؛ وكان كريماً مضيفاً، خفيف الدم، سريع النكتة، حاد الذهن، متوقد الذكاء، وكان متابعاً لأحوال البلاد الإسلامية؛ مناصراً للدولة العثمانية، يفرح لانتصاراتها، ويحزن لهزائمها، ويبدل جهده لنصرتها؛ رغم سيطرة الإنجليز على سياسة بلدة حضرموت؛ لكنه لم يكن يأبه بهم، ولا يهتم بغضبهم، ولا يرتدع بزجرهم؛ رغم أنهم أهدروا دمه، وجعلوا لمن يغتاله جائزة، لكنه اعتصم بالأجل، كما يشير لذلك دائماً؛ فلم يصلوا إليه، وبقي رغم الشدائد والأخطار؛ شجاعاً مقداماً؛ لا يأبه لتهديد، ولا يهتم بوعيد.

وقد قام الإمام بن عبيد اللاه برحلات للحج، وتكررت زيارته لليمن؛ وزار أفريقيا الشرقية وأندونيسيا والهند؛ وكان يستقبل في جميع البلاد التي زارها؛ استقبال الملوك والسلاطين، وما ذاك إلا لعلمه وشرفه، ونشأت بينه وبين الإمام يحيى حميد الدين؛ إمام اليمن؛ علاقة محبة وتقدير واحترام؛ فكانا يتشاوران؛ ويتبادلان القصائد والرسائل، كما كانت له صداقة وطيدة بابنه الإمام سيف الإسلام؛ وخليفته الإمام أحمد حميد الدين، وكان ابن عبيد اللاه؛ يحضى من ملوك اليمن؛ عند زيارته لهم بعظيم التقدير والاحترام.

واستغرب بعض من كتبوا عن نشاطه السياسي؛ ولقائه بالرؤساء والملوك؛ وكيف أنّ لقاءاته تلك؛ كانت لقاء الند بالند، وليس لقاء المستجدي بالمعطي، ولا الضعيف بالقوي؛ وعلل المستغرب ذلك بقوله: إنه ولا شك يمثل دولة العلم، إنها قوة الشخصية الممتلئة بالعلم والإيمان والحيوية.

هذا وقد تأثر الإمام بن عبيد اللاه في نشأته؛ بعوامل ثلاثة أولها: تنشئته الدينية والعلمية الصارمة؛ والتي تولاهها والده العابد الزاهد؛ السيد عبيد اللاه بن

محسن السقاف، ثم احتكاكه بالعلامة العظيم العابد الزاهد؛ الإمام عيروس بن عمر الحبشي، الذي تأثر به في شخصيته وهيئته تأثراً كبيراً، وكان هو؛ أي الإمام عيروس؛ نافذة أطل منها الإمام بن عبيد اللاه على أحوال سلفه القدامى؛ وهيئاتهم، وأسلوب حياتهم؛ والعامل الثالث هو تأثره الجم، وإعجابه الشديد بالشاعر الموهوب السيد أبو بكر بن شهاب؛ الذي قال له الإمام بن عبيد اللاه في أحد المرات: أنت يا شيخنا أشعر من حافظ إبراهيم، فرد العلامة ابن شهاب معترضاً؛ بقوله: وأين مني قول حافظ:

كَمْ غَاةٍ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ بَاكِئَةٍ      عَلَى أَلْيَفٍ لَهَا يَهْوِي بِهِ الطَّلَبُ  
لَوْلَا طِلَابُ الْعُلَا لَمْ يَبْتَغُوا بَدَلًا      مِنْ طِيبِ رَبِّكَ لَكِنَّ الْعُلَا تَعَبُ

وقال الإمام بن عبيد اللاه: أنه عرض على ابن شهاب؛ في بدايات شاعريته؛ بعض شعره؛ فنقدها العلامة بن شهاب وأصلحها؛ وكان لذلك أعظم الأثر في النهوض بشعره، ويقول الإمام ابن عبيد اللاه: إنَّ أكثر ما استفاد منه من الكتب: كتاب نهج البلاغة؛ الذي جمعه الشريف الرضي، من كلام الإمام علي؛ وبيدو تأثر بن عبيد اللاه؛ بنهج البلاغة؛ واضحاً في أسلوب كتابته؛ وطريقة خطابه. وقد كان ذلك التأثير أكثر وضوحاً؛ في هذا الكتاب الذي بين يديك الآن.

وقد حاولت أن أقارن بين الإمام بن عبيد اللاه وبين معاصريه؛ بل وحتى بمن سبقه من العلماء والأعيان؛ فلم أجد من ينهض منهم لمساواته، لأنني: إن وجدت شخصاً يماثله في فن من الفنون؛ رأيت الإمام بن عبيد اللاه يبرزه في العلوم الأخرى؛ فإذا قارناه مثلاً بجمال الدين الأفغاني؛ المشهور بخطبه وسياسته وحماسه؛ نجد أن الإمام بن عبيد اللاه يماثله في هذا الباب؛ لكن الأفغاني بعيد عن مجال الشعر، والفقه، والأدب. وإذا نظرنا إلى الإمام محمد عبده؛ نجد أنه يماثل الإمام بن عبيد اللاه؛ في فقهه وأسلوب كتابته، لكن الإمام بن عبيد اللاه يفوقه في الخطابة والشجاعة والشعر والتاريخ، كما تفوق شوقي وجافظ؛ على الإمام بن عبيد اللاه في الشعر، لكنهما لم يدركا ما أدركه من العلوم الأخرى،



كما تميز أمير البيان؛ شكيب إرسلان، بروعة أسلوبه، وبفهمه لأمر السياسة، وحماسه لقضايا المسلمين؛ ودفاعه عن الدولة العليّة، لكنه لم يتبحر في الفقه والعلوم الشرعية؛ ولهذا أستطيع أن أقول؛ وأنا مطمئن إلى كلامي: إن الإمام بن عبيد اللاه؛ كان أعجوبة من أعاجيب الزمان، وأنه لم يوجد من المتأخرين من يماثله في بلاد العرب والمسلمين قاطبة.

ومن أعاجيب الإمام بن عبيد اللاه؛ إنّه كان يملئ مؤلفاته كلها من خزانة حافظته، لا يحتاج في ذلك إلى مراجعة كتاب، أو قراءة ديوان؛ أو دراسة معجم، وإنما هو يسود أوراقه بما اختزنه في ذاكرته القوية من العلوم؛ التي يقول: أنه لم ينهل منها زيادة؛ بعد تجاوزه سن الخمس وعشرين سنة؛ إضافة إلى ما اكتسبه من الحنكة والخبرة؛ بمجالسته فحول الرجال، ومعاصرته للكثير من الخطوب والأحداث.

وهو يقول مثلاً في قصة تأليفه لهذا الكتاب؛ مفتاح الثقافة: إن الحديث جرى في مجلسه عن المفاضلة بين المتنبّي والشريف الرضي؛ ثم أخبره أحد الحاضرين؛ أن للأستاذ زكي مبارك؛ كتاباً عن عبقرية الشريف الرضي؛ وفي ٢٢ من المحرم سنة ١٣٦٤ هجرية؛ جاء أحد الطلبة يحمل الجزء الأول من هذا الكتاب؛ يقول الإمام: فما امتعت طرفي إلا في مثنى بهي، ولا ارتعت فكري، إلا في معنى شهّي؛ ثم اعتقلت القلم؛ ولم يأت اليوم الثامن من صفر سنة ١٣٦٤ هجرية إلا وقد فرغت مما أردت في عدة مقالات (انتهى كلام الإمام).

وقد وصف الإمام بن عبيد اللاه أحد تلامذته؛ وهو العلامة الفقيه قاضي سيون المشهور؛ علوي بن عبد الله بن حسين السقاف فقال: وقد حضرت منذ صفري دروسه؛ فلم أر ممن يساويه؛ أو حتى يقترب منه في التقرير؛ وكان يُعلّق على المنهاج من حفظه؛ ثم يأتي بعبارات التحفة والأسنى والنهاية، وابن قاسم والشبراملسي وعبد الحميد، ويستشكل ويحل ما استشكله؛ فكانت تلك الدروس والمجالس؛ تذكرنا بما يروى عن إمام الحرمين والغزالي والنووي والرافعي؛ وكان يلقي درساً كل أسبوع بعد المغرب، في مسجد طه في التفسير، ودرساً في

الشمائل؛ وقد قرأت عليه مع بعض زملائي؛ في أصول الفقه والتوحيد؛ في بيته؛ فكان يأتي بالعجب العجاب؛ مما لم يسطر في كتاب ولم يحفظ في جراب.

وقال الشيخ حمد الجاسر عن الإمام بن عبيد اللاه: فضلاً عما لأسرته في (حضر موت) من المكانة، وعلو المنزلة؛ في نفوس أهل تلك البلاد؛ فقد بلغ مرتبة من العلم؛ أهله بينهم لأنّ يحل أرفع المقامات، فعرف بعالم (حضر موت)؛ ومفتي الديار الحضرية؛ وكان ذا نفوذ قوي في الشؤون العامة؛ في تلك البلاد، وصلة قوية بحكام أقاليمها، وإسهام بارز في السعي لتوحيد أجزائها واستقلالها، ورفّع كابوس الاحتلال البريطاني؛ الذي كان جاثماً عليها؛ كما كان قوي الصلة بإمام (اليمن) يحيى حميد الدين، بحيث كان يرجع إليه في معالجة بعض القضايا العامة؛ المتعلقة بالخلافات؛ التي تقع بين حكام تلك البلاد؛ كما يتضح من إشارات وردت في بعض كتبه. (انتهى).

واستغرب الشيخ حمد الجاسر من كثرة العلوم التي جمعها الإمام بن عبيد اللاه؛ مع عدم مغادرته بلده حضر موت لطلب العلم فقال: ومع أن السيد السقاف لم يتلقَ العلم - فيما علمت عنه - خارج الجزيرة؛ إلا أن المرء حين يطالع أحد مؤلفاته ككتابه عن المتنبّي؛ يعجب من سعة إطلاعه، وقوة استحضاره للشواهد والنصوص عند الحاجة، وسرعة بديهته.

وقال الدكتور محمد بن عبد الرحمن الأهدل؛ في مقدمته لكتاب الإمام بن عبيد اللاه؛ العود الهندي: إننا بنظرة فاحصة في هذا الكتاب؛ نجزم مطمئنين؛ بأن الفلسفة الأدبية التي نحاها هذا الإمام العَلَمُ؛ والتنوع الذي اصطفاه، ليشهدان بعلو كعبه في مختلف المعارف، ورسوخ قدمه في الإحاطة باللغة العربية، والتشبع بلطائفها، والهيمنة على دقائقها، فقد أهدت إلى هذا السيد العبقري كنوزها، واستسلمت لها شواردها وأوابدها.

وتكلم الدكتور الأهدل عن ما يبسطه الإمام بن عبيد اللاه بين ثنايا كتبه؛ من المباحث الفقهية في بعض الأحيان؛ فقال: أما تلك المباحث العويصة التي

يطرحها على البساط الشرعي، ثم يرسل عليها أشعة تحقيقاته، فإنها منشورة في ثنايا الكتاب، وإلى أدنى منها أهمية؛ يرحل المتفقهون، ولا غرو فهو إمام وقته، ومفتي قطره. (انتهى باختصار).

ووصف الشيخ الدكتور عائض القرني الإمام بن عبيد اللاه بعد قراءته لكتابه العود الهندي فقال: أعجب من اطلاعه، وحسن سبكه، وجميل صياغته، ولطيف إشارته، وعذوبة عبارته، ورقة طبعه، وسيلان ذهنه، وحضور ذاكرته، وبراعة استدلاله، وقوة انتزاعه، وسلامة فطرته، وصفاء مشربه؛ فهو علامة فقيه، محدث، مفسر، أديب، شاعر، ينظم عقود جواهره بأية من القرآن أو حديث صحيح، أو بيت لطيف؛ أو فائدة شرود، أو قصة موحية، أو حكاية مشجية، أو مثل سائر (انتهى باختصار).

ثم قال الدكتور القرني: والسقاف إمام في النقد الأدبي، وهو كاتب ساخر إذا أراد، وراوي ملهم، وقاص مشج، وشاعر لا يشق له غبار؛ مع حفظه لناموس الشريعة، وهيبة الملة، ومقام الدين؛ وهذا هو الذي تفوق به على كل الأدباء (انتهى).

قلت: وأتوقف عند هذه العبارة؛ التي ذكرها الدكتور عائض القرني؛ فإن كتب الإمام تفوقت؛ في نظري؛ على ما شابه مادتها من الكتب القديمة المشهورة؛ مثل الأغاني للأصفهاني، والامتع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، وبتيمة الدهر للشعالبي، والكامل في الأدب للمبرد، وغيرها من كتب الأدب؛ بما حوته كتب الإمام بن عبيد اللاه؛ من روعة المقارنات، ولطيف الاستدلالات، وكثرة الشواهد والدلالات؛ مما لا يتوفر في تلك الكتب السابقة؛ إضافة لما حوته تلك المؤلفات القديمة؛ من أخبار الخلاعة والمجون؛ مما يجرح الدين، ويخدش الحياء، ويخرم المرءة، ويسيء للذوق السليم، ولهذا أدرك الشيخ الدكتور القرني هذه النقطة؛ وهو الذي أبحر منذ صباه في الموسوعات الأدبية، والدوواين الشعرية، فلاحظ هذه الملاحظة الذكية وقال عن الإمام: مع حفظه لناموس الشريعة، وهيبة الملة، ومقام الدين، وهذا هو الذي تفوق به على كل الأدباء.

وقال السيد عبد القادر الخرد في مقدمته للنسخة المصورة؛ من كتاب الإمام بن عبيد اللاه الفقهي؛ صوب الركام: كان بن عبيد اللاه؛ يعيب على بعض معاصريه من العلماء؛ ومن تقدمهم بفترة قليلة، بأنهم ينظرون إلى الكتب الفقهية وغيرها؛ وإلى مؤلفيها؛ وكانهم معصومون من الخطأ؛ حتى لو اتضح لهم الخطأ؛ بل يحاولون تعليل الخطأ بشيء من التعسف؛ لينطبق المعنى على العبارة؛ دون تعديل في العبارة؛ ودون نقدها وتخطئتها؛ بينما كان الإمام بن عبيد اللاه؛ لا يتوقف إلا عند نص من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ؛ ولهذا نراه يقول عن ابن حجر الهيتمي؛ صاحب التحفة؛ التي هي عماد الفتوى عند أهل حضرموت؛ يقول: أن الشيخ مع قوة إدراكه، وكثرة مراسه للفقهاء وعراكه، كان ضعيف الحفظ فيما أتخيل، فتراه يذكر المسألة الواحدة في المواضع الكثيرة، بالألوان المختلفة، وربما ترك القضية مجملة، وأرسلها مهملة، ثم يجيء في موضع بعيد، بقيد، وفي آخر لا يناسب؛ يظفر لها بصيد. وكثيراً ما يختلف في حكمه، ويتناقض فهمه، كما استعرفه بالاستقراء؛ مما لا نستطيع له حصراً.

وقال الخرد عن الإمام بن عبيد اللاه: ومع طول باعه في استيعاب الأدب، وإجادة الشعر، فإن كتابه الفقهي؛ صوب الركام؛ لهو أعجوبة في دقة وضعه؛ وترتيب مسائله؛ وعذوبة أسلوبه؛ وسهولة عرضه؛ وما تبين فيه من قوة حفظه المدهشة.

وقال الخرد عن الإمام بن عبيد اللاه: وكان غفر الله له؛ يقيم الدروس العلمية في مختلف العلوم، وينشر العلم تديساً ووعظاً وكتابة، وتأليفاً وشعراً ونثراً ومناظرة ومساجلة، وكان مع هذا كله رقيق العاطفة، غزير الدمعة، كثير العبادة.

وقال الخرد: وكان رضي الله عنه منشرح الصدر، منبسط الروح، يحب الدعابة واللطافة، وله في ذلك مواقف كثيرة، يعرفها مجالسوه، ويحسده عليها منافسوه، ولو ذكرنا شيئاً منها لاستغرقت الأوقات، وضاعت بها الورقات. وقد اختلف عن معاصريه من علماء حضرموت؛ باهتماماته السياسية، ورغبته القوية

في إصلاح أحوال حضرموت؛ فكانت له اتصالات سياسية كبيرة، وتحركات فيها خطورة على نفسه، وجولات مثيرة لإصلاح أحوال حضرموت؛ ومساندة دولة الخلافة الإسلامية؛ المشتبكة تلك الأيام مع الدول الأجنبية؛ ولأجل ذلك جعلت بريطانيا؛ لمن يغتاله جائزة، كما ضايقته الدولة الكثيرة، وفرضت عليه ضروباً من المحضورات، لكنه لم يكن ليهتم بكل ذلك؛ واستمر في اتصالاته؛ برؤساء القبائل الحضرمية؛ لجمع التأييد للدولة العلية؛ كما استمرت اتصالاته ومكاتباته؛ مع ممثلي الدولة العلية باليمن مثل محمود نديم باشا، والجنرال علي سعيد باشا؛ إلا أن اتصالاته القوية وعلاقته المتينة؛ كانت مع الإمام يحيى حميد الدين؛ إمام اليمن؛ حيث تشابها في التفكير والثقافة (انتهى النقل).

قلت: وإنني بعد قراءة كتاب النجم المضيء في نقد عبقرية الشريف الرضي؛ أجد تشابها بين الإمام بن عبيد اللاه؛ وبين الشريف الرضي؛ فقد اجتمعا في النسب، وفي الشعر والأدب، وفي العزة والأنفة، وفي المعاناة مع أهلهم وقومهم؛ بل إن نثر الإمام بن عبيد اللاه في جزالة ألفاظه، وفخامة أسلوبه؛ قريب من أسلوب الشريف الرضي، بل إن هناك تشابه بين علاقة الشريف الرضي؛ بملوك الدولة البويهية، وبين علاقة الإمام بن عبيد اللاه؛ بائمة المملكة المتوكلية اليمية؛ وبخاصة الإمام يحيى حميد الدين، وابنه الأمير سيف الإسلام؛ ثم الإمام أحمد حميد الدين، إلا أن علاقة الإمامين؛ يحيى وابن عبيد اللاه؛ كانت أمتن، وأقوى، وأشد، من علاقة الشريف الرضي ببني بويه، وقد تميزت علاقة الإمامين؛ بالاحترام المتبادل، والتقدير والإعجاب، والمشاورة والمناصحة؛ وتبادل الرسائل؛ وتهادي القصائد، ولو قال الإمام بن عبيد اللاه للإمام يحيى؛ أبيات الشريف الرضي التالية؛ والتي مدح بها الخليفة العباسي؛ لما بعد كثيراً عن واقع الحال:

مهلاً أمير المؤمنين فإننا  
ما بيننا يوم الفخار تفاوت  
إلا الخلافة ميزتك، فإنني  
في دوحه العلياء لا نتفرق  
أبدأ كلانا في المعالي معرق  
أنا عاطل منها وأنت مطوق

لقد وهب الله سبحانه وتعالى للإمام عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف؛ شخصية قوية؛ وقامة مهابة؛ ممتلئة بالعلم والإيمان والحيوية والإخلاص للدين، ولدولة الإسلام العثمانية، وبلاد المسلمين عامة وبلده حضرموت خاصة.

وقد تعرض بن عبيد اللاه من حساده ومعارضيه؛ للكثير من الأذى والمضايقة؛ حتى لقد فكر مرة بمغادرة حضرموت، لكنه لم يقدر أن يتحمل مشقة البعد عن بلده سيئون؛ التي أحبها حباً جماً، وتحدث كثيراً في مؤلفاته؛ عن سحرها وجمالها، وأنه لا يقوى أحد من أهلها على مفارقتها، والانتقال إلى غيرها؛ وكأني به يقول:

بلادي وإن جارت علي عزيزة وأهلي وإن جاروا علي كرام  
ويقول الخرد: وهو يشير إلى ما تعرض له الإمام بن عبيد اللاه في بلده:  
كيف لَوْ صَفِيَّ لهذا الإمام وقته، وعاش عيشاً هنيئاً، لم ير فيه مكدرات، ولا منغصات؟ لا شك أنه سيأتي بالعجب العجيب؛ فقد كان ظاهره فريدة لم تعرفها حضرموت، لا قبله ولا بعده وإلى اليوم (انتهى).

قلت: وربما كان بن عبيد اللاه؛ بعقريته ومواهبه؛ غريباً على زمنه، بل وأكثر غرابية على قومه بحضرموت، الذين لم يعرفوا من ما يماثله في بلدهم، لا في زمانه، ولا في الأزمنة التي سبقتة؛ ولهذا عانى بن عبيد اللاه من المحن الكثيرة مع قرابته، ومع سلاطين حضرموت، وحتى مع الإنجليز الذين كانوا يسيطرون على مقاليد الأمور بحضرموت، ولهذا نراه يكرر الشكوى في كثير من قصائد ديوانه ويقول في إحداها وذلك في سنة ١٣٤٢هـ:

مَحَنٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهَا نِعْمَةٌ      ظَهَرَ الصَّوَابُ بِهَا وَكَانَ مُحَجَّبًا  
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أُسْرَتِي أَنْدَمَجَتْ عَلَيَّ      جَسَدِي فَكُنْتُ أُثِيمٌ مِنْهَا حُلْبًا  
ضَيِّعْتُ فِي إِرْشَادِهَا وَقْتِي وَلَمْ      أَجِدْ ابْنَ عَمِّي اللَّحَّ إِلَّا عَقْرَبًا  
أَهْوَى الصَّلَاحَ وَأَيْنَهُ مِنْ مَعْشَرٍ؟      تَبِعُوا هَوَى وَتَفَرَّقُوا أَيْدِي سَبَا

لا ضَيْرَ قَدْ لَقِيَ الْأَذَى مِنْ قَوْمِهِ      جَدِّي فَعَاشَ مُحَسِّدًا وَمَكْذِبًا  
وَكَذَلِكَ الدَّاعِي الصَّدُوقُ يُجِبُهُ البُعْدُ      بَدَا وَيَبْغِضُهُ لِئَامِ الْأَقْرَبَا

وقال من قصيدة اخر سنة ١٣٣٢هـ:

عَذْرُ الإِخْلَاءِ إِخْوَانُ النِّفَاقِ إِلَى      مَا دَبَّرْتُ مِنْ مَكِيدَاتِ أَعَادِينَا  
تَقَوَّلُوا وَأَزَادُوا يُلْصِقُونَ بِنَا      عَيْبًا بِهِ يَسْتَخِفُّونَ الْمَجَانِينَا  
قُمْنَا لِنُضْرَةَ بَيْنِ اللِّهِ فَاثْتَبَهُوا      لِيُضْرْنَا وَلِهَذَا الشَّانِ أُوذِينَا  
وَمَالْنَا عِنْدَهُمْ ذَنْبٌ نُلَامُ بِهِ      إِلَّا لِأَنَّا نَصْرْنَا الْحَقَّ وَالذِّينَا  
وَمَا وَهْنَا عَلَى مَسِّ الخُطُوبِ وَلَا      لِنَا وَذَلِكَ مِنْ تَأْيِيدِ بَارِينَا

هذا وليس تعرض العلماء للمضايقه بغريب؛ سواءً في حضرموت أو غيرها من البلاد؛ ، فقد تعرض واحد من كبار علماء حضرموت المعاصرين لابن عبيد اللاه، وهو العلامة أبو بكر بن شهاب، تعرض للمضايقات الشديده، ومُنِعَ الناس من زيارته؛ ومن التحدث اليه، حتى اضطر إلى مغادرة حضرموت، والهجرة إلى الهند، حيث عاش بها سنين طويلة؛ إلى أن توفي بها.

بل إن العلامة ابن حجر الهيتمي؛ ما غادر مصر واستوطن مكة؛ إلا من بعد ما تعرض له من الشدائد من حساده؛ وما تسبب له سرقة أحد مؤلفاته المهمة من ضيق وكدر؛ فهاجر إلى مكة وعاش فيها أربع وثلاثين سنة؛ ثم توفي بها.

وختاماً: أرجو أن يكون هذا الكتاب؛ مفتاحاً لولوج عالم الثقافة والأدب؛ وطريقاً للاستمتاع بنوادر الشعر والنثر، وعرضاً لقضايا اجتماعية؛ وبسطاً لمسائل فقهية؛ وإضافة مهمة للمكتبة العربية.

علي بن محسن السقاف

## التعريف بالإمام عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف (١٣٠٠ - ١٣٧٥هـ)

ولد الإمام عبد الرحمن بن عبيد اللاه بن محسن بن علوي السقاف في السابع والعشرين من رجب سنة ١٣٠٠هـ بمدينة سيئون ببلد بحضرموت.

ونشأ نشأةً سالحة في كنف أسرته؛ وهي إحدى الأسر المشهورة بالعلم والكرم؛ واعتنى بتربيته والده الرجل الصالح العابد، الزاهد الورع، عبيد اللاه بن محسن والمتوفي سنة ١٣٢٤هـ، وتلمذ؛ وهو دون سن البلوغ؛ على الإمام العلامة عيدروس بن عمر الحبشي؛ صاحب الغرفة؛ المتوفى بها سنة ١٣١٤هـ؛ وكان تأثيره به قوياً؛ وتعلقه به تاماً.

وقد اعتنى والده بتعليمه، وحرص على استصحابه للمجالس العلمية، المنتشرة في حضرموت تلك الأيام، كما اختار لتعليمه؛ نخبة من خيرة المدرسين، وعهد إليهم؛ تعليمه القرآن الكريم، والفقه والنحو؛ ومن المستغرب؛ أن بعض أساتذته أصبحوا فيما بعد؛ من تلامذته المواظين على حضور دروسه!

### مؤلفاته:

صنف ابن عبيد الله مصنفات تشهد له بالبراعة وعلو الكعب..

### أولاً: مصنفاته الفقهية:

- ١ - كتاب (صوب الركام في عمدة الأحكام) مجلدان وهو مخطوط.
- ٢ - حاشية على كتاب (فتح الجواد بشرح الإرشاد).



- ٣ - حاشية على كتاب (منهاج الطالبين) للإمام النووي رحمه الله .  
٤ - حاشية على تحفة المحتاج بشرح المنهاج. لابن حجر الهيتمي .

#### ثانياً: مصنفاته في الحديث:

- ١ - بلابل التفريد فيما استفدناه من قراءة التجريد (مخطوط) يقع في ثلاث مجلدات.. ولا يوجد منه إلا الجزء الاول. قال عنه الأستاذ الزركلي: هو أشبه بكتب الأمالي في ثلاثة أجزاء. وقد صنفه أيام تدرسه للتجريد الصريح للجامع الصحيح (مختصر البخاري) للإمام العلامة الزبيدي الشرجي.  
٢ - حاشية على الشمائل النبوية للإمام الترمذي.

#### ثالثاً: مصنفاته التاريخية:

- ١ - كتاب بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت (مخطوط) يقع في ثلاث مجلدات ضخام، قال عنه الزركلي مثنياً عليه: (وأتى فيه بعلم غزير، في تاريخ حضرموت وبيوتها وحكامها وأعلامها، إلى استطرادات في فنون مختلفة من أدب وحديث ونقد، إلى وثائق سياسية ومعاهدات وملحوظات.  
٢ - ادام القوت أو معجم بلدان حضرموت (مطبوع).

#### مؤلفاته الأدبية النقدية:

- ١ - العود الهندي عن أمالي في ديوان الكندي: من أحفل كتب الأدب بالفوائد والفرائد مع الأشعار والأخبار، مما يدل على ما يتصف به مؤلفه من سعة الاطلاع، مع رحابة الصدر في إيراد ما قد يتحاشى البعض من إيراده من النكت والنوادر، وقد يسوق بعد ما يورد من الشواهد؛ طرائف من الشعر أو القصص الحديثة.  
٢ - ديوان ابن عبيد الله: ديوان حافل بأصناف وألوان القصائد وأرقها وأعذبها وأجزلها. وقد طبع في رمضان من سنة ١٣٧٨هـ، تحت نظر وتصحيح الشيخ

حسنيين مخلوف وبإشراف ابن الإمام السيد حسن بن عبد الرحمن السقاف كما توجد مجموعة أخرى مخطوطة من شعر الإمام بن عبيد الله تقع في حوالي ٥٠٠ صفحة؛ وتمثل الجزء الثاني من هذا الديوان. قال عنه الشيخ حسنين مخلوف: ديوان شعر وعلم وأدب وتاريخ وسير ودين وأخلاق.

٣ - معارضة البردة: طبعت بعد سنة ١٣٦٧هـ.

٤ - نسج البردة: على منوال بردة البوصيري وقد طبعت مؤخراً.

٥ - الرحلة الدعوية: وهي عبارة عن رحلة منظومة.. وقد قام ابن عبيد الله بهذه الرحلة إلى مناطق دوعن سنة ١٣٦٠هـ. وهي تعد من روائع أدب الرحلات.

٦ - مفتاح الثقافة أو النجم المضيء في نقد عبقرية الشريف الرضي وهو هذا الكتاب.

٧ - النقد العلمي الذوقي في الجواب عن أبيات شوقي: وهو جزء لطيف مخطوط يقع في ٣٢ صفحة ومطبوعاً في ٢٢ صفحة.

خامساً: محاضراته وخطبه:

كان الإمام بن عبيد الله السقاف خطيباً مصقلاً.. ومع ما ترى له من المؤلفات إلا أنه كان في الخطابة أعظم منه في الكتابة؛ وقد جمعت بعض خطبه وطبع بعضها ومنها:

١ - محاضرة في تحقيق الفرق بين العامل بعلمه وغيره وما يتصل بذلك من حد الولاية وحكم الإلهام؛ طبعه بمصر سنة ١٣٥٥هـ في ٣٢ صفحة بتقريب العلامة أحمد المطاع الصنعاني.

٢ - كلمة عن العدالة والمساواة: ألقاها في درسه بسيون في ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٧٢هـ.. بعد أن سئل عن حكم الإسلام في ذلك، وكانت على البديهة ارتجالاً بدون تحضير سابق!!

٣ - كلمة حول ((تحديد الملكية)): وهي رد على مقال للشيخ محمد عرفة نشر  
بمجلة الأزهر.. وتاريخها ١٦ ربيع الثاني ١٣٧٢هـ.

سادساً: الردود:

نذكر منها:

- ١ - النجم الدرّي في الرد على السيد سالم الجفري .
- ٢ - نسيم حاجر في تأكيد قولي عن المهاجر .
- ٣ - السيف الحاد لقطع الإلحاد: طبع بعدن في شعبان ١٣٦٩هـ في ١٣٨ صفحة.  
وهو رد على كتاب توحيد الأديان.

## لمسة وفاء

تبين لي أن أغلب مخطوطات كتب الإمام؛ مكتوبة بقلمه؛ الذي يتدفق بالكلمات دون توقف؛ ودون الحاجة إلى التغيير والتبديل؛ ولكن يبدو أنه يستعين ببعض خاصته أحياناً؛ في تبيض مسودات كتبه؛ التي يرسلها لخارج حضرموت؛ لأجل طباعتها؛ حتى تكون خطوطها واضحة، فلا يحدث في طباعتها خطأ ولا تحريف؛ ثم نجده؛ بعد ذلك؛ يضيف بعض الملاحظات على الحاشية؛ بقلمه.

وقد تبين لي من مراجعة مخطوطة هذا الكتاب؛ أن الإمام أوكل مهمة تبيض مسودتها لاثنين من خاصته؛ وهما سيدي الوالد محسن بن علوي السقاف؛ ثم ابن الإمام الخال حسن بن عبد الرحمن السقاف. وربما شارك في هذه المهمة غيرهما، ووفاءً لما بذله الاثنان من جهد في هذا الكتاب؛ سنكتب عن كل منهما نبذة تعريفية مختصرة.

## محسن بن علوي السقاف

ولد بمدينة سيون سنة ١٣٤٠هـ وتلقى علومه على يد بعض الشيوخ والعلماء؛ وهاجر في مقتبل شبابه إلى أندونيسيا؛ حيث يقيم والده؛ ثم عاد بعد ستة مع والده إلى حضرموت وعمل ببعض الأعمال الخاصة وتزوج بنت الإمام بن عبيد اللاه وعمره سبعة عشر عام.

تميز بذكائه وحكمته وحن تصرفه؛ كما كان قوي الحافظة سريع البديهة، ذكياً شهماً كريماً؛ له تذوق للشعر وله أبيات شعرية جميلة.



عاصر المجاعة بحضرموت؛ أيام الحرب العالمية الثانية؛ فهاجر عن طريق اليمن إلى الحبشة؛ لأجل كسب لقمة العيش؛ في رحلة غريبة ومشوقة؛ وعاش بالحبشة سنوات؛ عمل أثناءها بالتدريس و ببعض الأعمال التجارية؛ وكان له بمدينة أسمرة؛ نشاط أدبي وثقافي؛ من خلال منصبه كسكرتير لنادي الجالية العربية باسمره

ثم عاد إلى حضرموت؛ بعد نهاية الحرب العظمى؛ وتولى رئاسة بلدية سيون؛ ثم أسس مع شركاه بعض المشاريع الصناعية والزراعية المبتكرة؛ ثم اضطره المرض إلى العودة إلى اسمره للعلاج؛ ومنها انتقل إلى المملكة العربية السعودية في حدود سنة ١٣٧٦هـ؛ وعمل ببعض الوظائف الخاصة؛ ثم أسس عمله التجاري الخاص.

اشتهر بحبه لمساعدة الناس؛ والإنفاق على الفقراء والمساكين؛ وإكرام الضيوف والوافدين؛ وأسس بتريم مستوصف عيديد الخيري سنة ١٩٩٩م للعلاج المجاني؛ واشترى له الأجهزة الحديثة؛ ثم بنى على نفقته الخاصة مستشفى تريم الخيري؛ على أحدث المستويات في عالم الطب.

له رحلات ومختارات أدبية؛ جمعها في كتابه المطبوع؛ مذكراتي ومختاراتي؛ وتوفي بالمدينة المنورة يوم الجمعة الأول من شوال سنة ١٣٣٢هـ.

## حسن بن عبد الرحمن ابن عبيد اللاه السقاف



أديب وشاعر وفقهه  
وخطيب ولد سنة ١٣٣٣هـ  
بحضرموت، وتلقى تعليمه  
على يد والده وعلى عدد  
من الشيوخ بمدينة سيئون.

ولع منذ مقتبل حياته  
بالشعر وأسس مع زملائه  
من شعراء مدينة سيئون  
(نادي القلم العلمي).

أتاح له تنقله منذ  
مقتبل شبابه بين المدن  
اليمنية التعرف على عدد  
من الشخصيات الأدبية والسياسية.

قال الشعر مبكراً وتناول شعره الأغراض المختلفة وقد غلبت على قصائده  
النزعة الرومانسية والحماسية. فهو يقول في قصيدة له سماها دولة العرب:

ما بال أمريكا وقد دانت إلى درك الشقاء  
شغفت بشر الخلق من شغفوا بقتل الأنبياء  
سبحان من جعل التعالي سُلماً للمنتهى

ويقول فيها أيضاً:

ياما أشد أسفي على الأمم المتحدة

عانت بها حكومة في أرضها منعقدة

داست على ميثاقها مجنونة معربدة

صدر ديوانه الأول (ولائد الساحل) في سنة ١٩٤٣م وتضمن قصيدة درب

السيف التي اعتبرها النقاد رائدة في الشعر العربي الحديث:

عمل في الثمانينات الهجرية مدرساً بالمملكة العربية السعودية لسنوات قليلة

وشارك أثناءها بالكتابة في جريدة المنهل السعودية ثم عاد إلى حضرموت سنة

١٣٨٤هـ. وعمل بالتدريس حتى وفاته في سنة ١٤٠٦هـ.





## النجم المضي في نقد عبقرية الرضى للإمام عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف

### مقدمة المصنف:

أمّا بعد حمد لله، والصلاة والسلام على نبيه وآله فعماً قريب انتهى بنا الحديث؛ إلى ما كَبَّرَه ابن أبي الحديد، من شمم الشريف الرضى، وترفعه عن الصلوات، حتى من أبيه؛ فذكرت ما اعترضته به؛ في العود الهندي<sup>(١)</sup>، من أشعاره الكثيرة المنافية لذلك، وأشرت إلى إمكان الجمع، إن ساعد التاريخ، بحمل الأول، على يدئ أمره في استغنائه عن المال، والثاني على ما عَرَضَ له من الحاجة المُلْجِئَة إلى بسط الآمال، وباكورة شعره، دالّ على القناعة؛ فقد قال للمصاحب؛ وسنّه إذ ذاك؛ خمسة عشر سنة:

وَلَا طَالِبًا مِنْ دَهْرِهِ فَوْقَ قُوَّتِهِ      كَفَانِي مِنَ الْغِدْرَانِ مَا نَقَعَ الصَّدَا  
سَاحِمًا عَيْشًا صَانًا وَجَهِي بِمَائِهِ      وَإِنْ كَانَ مَا أَعْطَى قَلِيلًا مُصْرَدًا  
ولكنه لم يبرح أن قال بعدها بنحو ستين للطنائع<sup>(٢)</sup>:

فَالآنَ لَا أَرْضَى وَأَنْتَ مُسَوِّلي      بِرَضَى الْقَنُوعِ وَعِقَّةِ الْمُتَجَمِّلِ  
غير أن لا غضاضة عليه؛ في استجداء الملوك؛ كما بسطته بشواهد في

(١) مؤلف أدبي مطبوع للإمام بن عبيد اللاه.

(٢) الطنائع لله من خلفاء الدولة العباسية. خلع عن الخلافة، وتولى القادر بالله مكانه. واستمر الطنائع في دار القادر بالله مكرماً إلى أن مات في ٣٩٣هـ.

بلا بل التغريد<sup>(١)</sup>؛ إذ تكلمت على خبط المفسرين؛ في زعمهم تسؤل الخضر وموسى؛ وما زال كبراء الصحابة؛ ينتجعون حتى ملوك الجور؛ حسبما يأتي ذرو منه في نقد البيت ٨٦ من النوادر<sup>(٢)</sup>.

وبمناسبة هذا الحديث؛ أخبرني بعض الحاضرين؛ أن للأستاذ زكي مبارك<sup>(٣)</sup>؛ كتاباً عن عبقرية الشريف الرضي؛ فتطلعت إليه بشوق شديد، وطرف حديد؛ لاعتقادي أن لا يخلو<sup>(٤)</sup> عن حلّ؛ لهذا الأشكال.

وفي ٢٢ من المحرم سنة ١٣٦٤ هجرية؛ جاءني أحد الطلبة؛ يحمل لي منه الجزء الأول؛ فما أمتعت طرفي إلا في مبنئ بهي، ولا ارتعت فكري، إلا في معني شهبي؛ ثم اعتقلت القلم، ولم يأت اليوم الثامن من صفر سنة ١٣٦٤ هجرية؛ إلا وقد فرغت مما أردت، في عدة مقالات؛ أهبت بدءاً بما ذكره الأستاذ<sup>(٥)</sup>؛ من خمول الشريف، واشتهار المتنبي، وخالفته؛ في أكثر ما علل به الطرفين، وفصلته في مقالة ضافية، منحت لها الأدلة من العيون الصافية؛ ثم عمدت للقصيدة؛ التي وضعها في كفة الميزان؛ وهي الحائية<sup>(٦)</sup>؛ فحللتها تحليلاً يفرق بين الماء واللبن، بيّنتُ به مأخذها؛ وفصلتُ ما لها وما عليها، في مقالة

(١) كتاب مطبوع في علم الفقه للإمام بن عبيد اللاه.

(٢) يقصد أبيات النوادر للشريف الرضي.

(٣) زكي بن عبد السلام بن مبارك، (١٣٠٨ - ١٣٧١هـ) أديب، من كبار الكتاب المعاصرين، امتاز بأسلوب خاص في كثير مما كتب، وله شعر، في بعضه جودة وتجديد، ولد في قرية (ستريس) بمغربية مصر، وتعلم في الأزهر، وأحرز لقب (دكتور) في الآداب، من الجامعة المصرية، واطلع على الأدب الفرنسي في فرنسا، واشتغل بالتدريس بمصر، وانتدب للعمل مدرسا في بغداد، وعاد إلى مصر، فعين مفتشا بوزارة المعارف، ونشر مؤلفاته في فترات مختلفة، وأصيب بصدمة من (عربة خيل) أدت إلى ارتجاج في مخه فلم يعيش غير ساعات، وكانت وفاته في القاهرة، ودفن في ستريس.

(٤) يقصد هذا الكتاب.

(٥) يقصد زكي مبارك.

(٦) يقصد القصيدة المسماة بالحائية للشريف الرضي.

طولى؛ تُشفي الصداع، وتُشَفِّ الأسماع، ثم عطفت على ما اختاره الأستاذ<sup>(١)</sup>، من نوادر الشريف؛ وعدتها ١٨٢ بيتاً؛ فاستأصلتها نقداً، نزولاً على رغبته؛ بعدة مقالات من لسان القلم، وعفو البديهة؛ نقضت به مرائرها<sup>(٢)</sup>، ونشئت<sup>(٣)</sup> سرائرها، ووزنت مقادرها، وكشفت مصادرها؛ وما انتهيت ويا للأسف؛ في آخرها، إلَّا بَيَّتُ الحكم عليها، وتسليم فضل السبق للمتنبى، حكماً لا تعجله الظنون، ولا تتجاذبه الاحتمالات؛ لعدالة حجته، وصحة نتيجته، الناشئة بحكم المنطق، عن صوادق المقدمات؛ غير أنه حُكِّم بالموجب؛ وهو كما يعرفه الفقهاء؛ يبقى كلاً على حجته؛ إذ لا يكون إلا بمقتضى ما قامت به البيئته؛ إن صحيحاً فصحيح، وإن باطلاً فباطل؛ فلا يمتنع تَغْيِيرُهُ؛ عند قيام الحجة بخلاف ظاهره؛ على تفصيل؛ استوفيته في صوب الركام<sup>(٤)</sup>؛ وكنت جامعاً يدي من الشريف؛ على شعر فخم، وفضل ضخم؛ بما أعرف له؛ من القصائد الشائقة، والروائع الفائقة؛ التي لا اذكرها؛ إلَّا إنَّقَدَّ شِهَابِي، وامتلاً إهَابِي؛ وقد وَشَّحْتُ منها العود الهندي<sup>(٥)</sup>؛ بما أكسبه طلاوة، وزاده حلاوة؛ وكلما تعاظمني تلك المحاسن، اختلجني الشك في الأستاذ<sup>(٦)</sup>؛ ولم أستبعد أن يكون له غرض، في سَوْمِ الرَّثِّ، وعرض العَثِّ، حتى يسقط السمين، ويندفع الثمين، على اتهام لنفسي في هذا الظن؛ لأنها عرضة الغلط؛ لا سيِّما؛ وإن نظراتها الأولى؛ كانت بعين الرضا؛ وهي كليلة عن العيوب؛ فلا بدَّ إذن؛ من استئinaفها بعين المَعْدَلَّة، في أمثلة، حتى يطمئن القلب؛ إمَّا إلى الإيجاب، وإما إلى السلب، وإذ كانت

(١) يقصد زكي مبارك.

(٢) مرائرها: قُوَّتِهَا.

(٣) نث الخبر أي أفشاه.

(٤) كتاب مطبوع للإمام بن عبيد اللاه في علم الفقه.

(٥) كتاب ادبي مطبوع للإمام بن عبيد اللاه.

(٦) يقصد زكي مبارك.

مقدمة كهذه، لا تحتل الإطناب؛ فلاكتف؛ بما لا يكاد يخرج عن لساني، من فرط استحساني كقوله:

مَنْابُثُ الْعُثْبِ لَا حَامٍ وَلَا رَاعٍ      مَضَى الرَّدَى بِطَوِيلِ الرُّمَحِ وَالْبَاعِ  
وقوله:

سَهْمٌ أَصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ      مَنْ بِالْعِرَاقِ لَقَدْ أَبْعَدَتْ مَرَمَاكَ  
وقوله:

مَهْلًا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّا      فِي دَوْحَةِ الْعَلِيَاءِ لَا تَنْفَرُقُ  
إِلَّا الْخَلَاقَةَ مَبِيزَتِكَ فَإِنِّي      أَنَا عَاطِلٌ مِنْهَا وَأَنْتَ مُطَوَّقُ

والأبيات؛ التي لا أبرئ امتزاجها بشيء من كلامي؛ لنسيان أحدثه طول العهد؛ مع شدة حرص؛ أن لا يفوتني شيء منها، وهي هذه:

سَقَى اللُّهُ الْمَدِينَةَ مِنْ مَحَلِّ      لُبَابِ الْمَاءِ وَالنُّظْفِ الْعِذَابِ<sup>(١)</sup>  
وَجَادَعَلَى الْبَقِيْعِ وَسَاكِنِيهِ      رَخِيَّ الذَّيْلِ مِلَّانَ الْوِطَابِ  
وَقَبْرًا بِالْحَجَّوْنَ لَهُ جَلَالٌ      نَضُوخَ الطَّيْبِ مُتَّقِدِ الشُّهَابِ  
وَأَعْلَامَ الْقَرِيِّ وَمَا اسْتَبَاحَتْ      مَعَالِمَهَا مِنْ الْحَسْبِ اللَّبَابِ  
قَسِيمُ النَّارِ ذُو الْوَثْبَاتِ جَدِّي      أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو تَرَابِ  
وَقَبْرًا بِالطَّفُوفِ يَضُمُّ شَلْوًا      قَضَى ظَمًا إِلَى بَرْدِ الشَّرَابِ  
وَسَائِرًا وَيَغْدَادًا وَطُوسًا      هُطُولَ الْوَدِيِّ مُنْخَرِقَ الْعِبَابِ

(١) تعليق للامام المصنف: أول ما سمعت النطف العذاب من قول حبيب.

وأخلاق كأن الإمسك فيها  
ثم من قول ابن الرومي:  
وَمَا أَلْجَجُ الْمِلَاحَ بِمُرُوبَاتِ  
بصفو الرّاح والنّطف العذاب.  
وتلقني الريّ في النّطف العذاب

فُبورٌ تنطفُ العبراتُ منها      كما نَطَفَ الصَّبِيرُ<sup>(١)</sup> على الرَوَاطِي  
صلاةُ اللهِ تخفقُ كُلَّ يومٍ      على يَلِكِ المَعَالِمِ والقَبَابِ

ثمَّ لما التحقت بالإنصاف، أدركت أن قوله؛ في عروض الأول: (ولا راعي)، زائد، لأنه إن كان بمعنى: الوالي؛ فهو والحامي بمثابة، وإن كان بمعنى: الذي يرمى الماشية؛ فلا حاجة معه للحامي؛ لأنه إنما يكون من أجله؛ ما لم يُرَدُّ؛ أنه كان يستبيح جَمَى أعدائه؛ فاستراحوا؛ وهو ثناء صغير؛ لا يصلح؛ إلا لرئيس عصابة؛ بقي في غزواته على عادة الجاهلية؛ كما قال الأخوص الرياحي<sup>(٢)</sup>؛ أحد أقران سحيم بن وثيل<sup>(٣)</sup>؛ من كلمة له جَزَله:

ويرعى جَمَى الأَقْوَامِ غيرَ مُحَرَّمٍ      علينا ولا يرعى جِمَانَا الذي نَحْمِي  
وقال قيس بن رفاعه الواقفي<sup>(٤)</sup>؛ المعدود في القسم الأول؛ من الإصابة<sup>(٥)</sup>:

وصاحبُ الوترِ ليسَ الدهرُ يُدرِكُهُ      عِنْدِي وإِنِّي لَدَرَاكُ لأوتَارِي  
ثم إن المعنى؛ موجود بكثرة في أشعارهم؛ ومنه قول كليب<sup>(٦)</sup>؛ وبعضهم

(١) الصَّبِيرُ: السحابُ الأبيضُ المتكاثف.

(٢) الأخوص الرياحي، وهو قيس بن زيد ابن رباح شاعر إسلامي وهو معاصر لسحيم بن وثيل. ومعنى الأخوص أي: غائر العينين.

(٣) سحيم بن وثيل الرياحي اليربوعي التميمي، شاعر مخضرم اشتهر بنسبه إلى رباح، وبه عُرف، ورباح هو ابن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم، ويربوع أبو حي كبير من تميم. وسُحيم بضم السين، تصغير ترخيم من السُحمة وهو السواد، ووَيْيل بفتح الواو وكسر التاء: هو اللبف والرشاء الضعيف، أو الجبل من القنب.

(٤) قَيْسُ بن رِفَاعَةَ بن المُهَيَّبِ، وقيل: قَيْسُ بن رِفَاعَةَ بن المُتَمِرِ الأنصاري، من بني واقف. ذكره العدوي، وقال: كَانَ شَاعِرًا، وَأَذْرَكَ الإسلامَ فَأَسْلَمَ.

(٥) ربما قصد كتاب الإصابة في تعريف الصحابة لابن حجر العسقلاني.

(٦) كليب بن ربيعة التغلبي هو شقيق المهلهل عدي بن ربيعة، وأول من ملك قومه تغلب =

يقول: لظَرْفَةَ<sup>(١)</sup>؛ وقيل للكُمَيْتِ<sup>(٢)</sup>:

يا لِكِ مِنْ فُنْبِرَةٍ بِمَحْجَرٍ      خَلَا لِكِ الْجَوْ فَبِضِي وَاضْفِرِي  
قَد رُفِعَ الْفَخُّ فَمَاذَا تَحْذَرِي      وَنَقَّرِي مَا شئتِ أَنْ تُنْقَرِي

وقد تمثل بها؛ ابن العباس لابن الزبير؛ عندما بارح مكة؛ الحسين؛  
لمناهضة يزيد؛ ومنه قول دعبل<sup>(٣)</sup>:

ماتَ الثَّلَاثَةُ لَمَّا ماتَ مُطَلِّبٌ      ماتَ الحِياءُ وماتَ الرَّغْبُ والرَّهْبُ  
وقول أبي تمام<sup>(٤)</sup>:

تُوفِيَتِ الْأَمَالُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ      وَاصْبَحَ فِي شُغْلِ عَنِ السَّفَرِ السَّفَرُ<sup>(٥)</sup>

= وبكر أبناء وائل، وقد جعل للعرب العدنانية السيطرة على الجزيرة العربية بعد سنين طويلة من السيطرة القحطانية.

(١) ظَرْفَةُ بن العبد شاعر جاهلي مجيد بحراني من شعراء المعلقات وهو من بني قيس بن ثعلبة من بني بكر بن وائل.

(٢) الكميت بن زيد الأسدي، من أشهر شعراء العصر الأموي، سكن الكوفة واشتهر بالتشيع وقصائده في ذلك المسماة بالهاشميات.

(٣) دعبل الخزاعي، من مشاهير شعراء العصر العباسي. اشتهر بتشيعه لآل البيت وهجائه اللاذع للخلفاء العباسيين.

(٤) أبو تمام هو حبيب بن أوس الطائي، من فحول الشعراء، واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري، له تصانيف، منها فحول الشعراء، وديوان الحماسة، ولد بجاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازته وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق.

(٥) تعليق للمصنف الإمام بن عبيد اللاه: عند قراءة هذا أنكر اثنان لم يأنسا بالفن أن يكون لبيت الشريف أدنى إمام بأبيات أبي تمام ولم يعلموا أن أهل هذا الشأن جعلوا من أقسام السلخ استخراج ما يشبه المعنى بدون أن يكون إياه ومثلوا له بأخذ المتنبي قوله:

وإذا أتتكَ مذمتي من ناقص      فهي الشهادة لي بأني كامل  
من قول الطرماح: .

= لقد زادني حُباً لِنَفْسِي أنسي      بغيضٌ إلى كلي امرئٍ غير طائلي

وقوله:

فَاذْهَبْ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِنْ مَلِكٍ      مَا بَعْدَ مَهْلِكِهِ رُغْبٌ وَلَا رَغْبُ

وقوله:

وَكَأَنَّكَ الْأَمَالُ مَبْسُوطَةٌ      حَتَّى إِذَا مَاتَ ظَوْنَاهَا

وقول أبو الطيب<sup>(١)</sup>:

فَالْيَوْمَ قَرَّ لِكُلِّ وَحْشٍ نَافِرٍ      دَمُهُ وَكَانَ كَأَنَّهُ يَنْطَلِعُ

وهي من قول التميمي<sup>(٢)</sup>:

تَرَكْتُ الْمَشْرِقِيَّةَ وَالْعَوَالِي      مُخْلَاةً وَقَدْ حَانَ السُّورُودُ

وَعَادَرْتُ الْجِبَادُ بِكُلِّ مَرَجٍ      عَوِاطِلَ بَعْدَ زَيْنَتِهَا تَرُودُ

وأما الثاني؛ فأصل المعنى فيه؛ لإمرئ القيس<sup>(٣)</sup>؛ إذ يقول:

= قالوا وهو أدنى مذاهب السراقات وأحسنها في الصورة، ولا يعرفه إلا من اعرق في الممارسة ووجه الأخذ أن أبا تمام زعم انطواء الآمال وخيبة السفر بمرثيه، والشريف يزعم ارتفاع إلا من عن فروع الأولياء واندفاع الخوف عن أعشاب الأعداء فالوجه أظهر مما ذكره وإنما على التنزل جعلناه منه. (انتهى).

(١) أبو الطيب المتنبى. أحد أعظم شعراء العرب، له مكانة سامية لم تتح مثلها لغيره من شعراء العربية. فيوصف بأنه نادرة زمانه، وأعجوبة عصره، وهو شاعر حكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. وتدور معظم قصائده حول مدح الملوك. عاش أفضل أيام حياته وأكثرها عطاء في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب.

(٢) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي من بني تميم. من أشهر شعراء العرب في الهجاء وكان بارعاً في المدح، ولد ومات في اليمامة، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه فلم يثبت أمامه غير الفردق والأخطل، وهو من أغزل الناس شعراً.

(٣) امرؤ القيس بن حجر الكندي أحد أشهر شعراء العصر الجاهلي رأس الطبقة الأولى من الشعراء العرب والتي تشمل زهير بن أبي سلمى والناطقة الذبياني والأعشى [١] وأحد أصحاب المعلقات السبعة المشهورة [١] كان من أكثر شعراء عصره خروجاً عن نمطية التقليد.



تَنَوَّرَتْهَا مِنْ أَدْرَعَاتٍ وَأَهْلَهَا      بِيشْرَبِ أَدْنَى دَارَهَا نَظْرٌ عَالِي  
 إن أراد الحقيقة؛ وغير بعيد؛ مقصده المبالغة؛ وإلا فقد قال ابن قتيبة<sup>(١)</sup>  
 هذا؛ تَمَنَّ وَتَحَزَّ؛ من امرئ القيس؛ وليس المراد؛ أنه رأى بعينه، وإنما أراد رؤية  
 القلب؛ كقول الآخر:

اليسَ بصيراً مَنْ رَأَى وَهُوَ قَاعِدٌ      بِمَكَّةَ أَهْلَ الشَّامِ يَخْتَبِرُونَا  
 واهل البديع على الأول؛ وهو المقصود؛ أو أن أصل المعنى؛ لخاله  
 مهلهل؛ حيث قال:

ولولا الريح أسمع أهل حجرٍ      صليلَ البيضِ تفرعُ بالذكورِ  
 وججزُ على عشرة أيام من الواقعة؛ إذ كانت بالذنانب؛ وهو موضع يقرب  
 من زبيد؛ كما عند ياقوت؛ وقالوا: إنه أكذب بيت قالته العرب؛ ومعاذ الله أن  
 يكون كذلك؛ وقد جاء العيان بما يصدقه؛ وهو المذباغ؛ وليس بمخترع؛ بل كان  
 موجوداً في أيام سليمان! كما يفهم من حديث<sup>(٢)</sup>؛ ذكرته بمخرجه، وما له وما  
 عليه، في بلايل التغريد. وأخرج أبو نعيم في حليته؛ بسنده إلى وهب بن منبه؛ أنه  
 قال: أمر الله الريح؛ أن لا يتكلم أحد من الخلائق؛ بشيء في الأرض؛ إلا  
 حملته؛ فوضعت في أذن سليمان؛ وبذلك سمع كلام النملة؛ ثم أن المتنبي؛  
 انضج على المعنى السابق؛ عن مهلهل وابن أخته؛ فقال:

وردٌ إذا وردَ البحيرةَ شارباً      وردَ الفراتِ زئيرُهُ والنَيْلَا  
 ثم أبدل المسموع؛ بالمشوم؛ من أخرى؛ فقال:

تَنَفَّسَ وَالْمَوَاصِمُ مِنْكَ عَنُرٌ      فَتَعْرِفُ طَيْبَ ذَلِكَ فِي الْهَوَاءِ

(١) أبو محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري أديب فقيه محدث مؤرخ. له العديد من المصنفات أشهرها عيون الأخبار، وأدب الكاتب وغيرها، عاش في بغداد في عصر الخليفة المأمون العباسي وكان عالماً باللغة العربية والشعر.

(٢) يقصد حديث نبوي.

وقالوا أيضاً؛ إنه كاذب، وليس كذلك! إذ يصدقه قول يعقوب: إني لأجد ريح يوسف؛ بما اشتَمَّ من ريحه؛ يوم فصلت العير من مصر؛ وأين فلسطين منها؛ ولما دخل حسان؛ على ابن الخطاب؛ وعنده رسول جبله<sup>(١)</sup>؛ قال: إني لأجد ريح آل جفنة<sup>(٢)</sup>؛ وكم بين المدينة والروم؛ ويتوضح من قول الشريف نفسه:

تَضُّوعُ أرواحِ نَجْدٍ مِنْ ثِيَابِهِمْ      عِنْدَ القُدُومِ لِقُرْبِ العَهْدِ بِالدَّارِ  
وقول مسلم بن الوليد:

أرادوا لِيخْفُوا قَبْرَهَا عَنْ مُجِيبِهَا      وَطِيبُ تُرابِ القَبْرِ دَلٌّ عَلَى القَبْرِ  
مع أن التهامي؛ يقول:

والشَرْقُ نَحْوَ القَرَبِ أَقْرَبُ شِقَّةً      مِنْ بَعْدِ تِلْكَ الخَمْسَةِ الأَشْبَارِ  
وقال المجنون<sup>(٣)</sup>:

بِتَمْرِيْنَ لا حَتِ نارُ لَيْلى وَصُحْبَتِي      بِقِرْعِ العَصَا تُرْجِي المُطَيِّ الحَوَائِبِ  
فقال بَصِيرُ القَوْمِ لَمُنْحَةً كَوَكِبِ      بَدَى فِي سَوادِ اللَّيْلِ مِنْ ذِي يَمَانِيَا  
فقلتُ لَهُمْ بَلْ نارُ لَيْلى تَوَقَّدتْ      بِعَلِيَا تَسامى حَقُّها قَبدا لِيَا

ثم انضرج<sup>(٤)</sup> الشريف على المعنى؛ إلا أنه أبدل؛ الشم؛ بالرمي؛ فإن حصل ما يصدقه؛ من قذائف الحرب؛ اليوم أو المستقبل؛ وإلا؛ فقد انحصرت عليه مذمة العُلو؛ غير أن المكرم الفاضل؛ الأخ عبد الله بن أحمد بن الوزير؛

(١) جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة في الشام، كان حليفاً للروم.. أسلم وقدم على عمر بن الخطاب مع جنوده. ثم هرب وتصر بعد أن أراد عمر بن الخطاب أن يقتص منه لطمه أحد المسلمين في أثناء الطواف حول الكعبة.

(٢) يطلق على ملوك الغساسنة: آل جفنة لان أول ملوكهم جفنة بن عمرو، والغساسنة هم سلالة عربية أسست مملكة في الشام ضمن حدود الإمبراطورية البيزنطية في فترة ما قبل الإسلام.

(٣) يقصد قيس مجنون ليلي.

(٤) يقال انضرج الباز أي انقض على الصيد.

أخبرني بأن أحد السادة الزيدية؛ كان مِعْيَانًا؛ وانه رمى حصانا بكلمة؛ على مسافة ثمانية أيام؛ فتبين موته من ساعتها؛ ومنها انخرط بيت الشريف؛ في النظام، وأخذ حظه من الاعظام؛ إذ وجد بالصدق نوطاً<sup>(١)</sup>، ولم يتأخر إلا شوطاً، من حيث قول عُذَي بن الرَّقَاع<sup>(٢)</sup>:

وَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بِكَيْتٍ صَبَابَةٌ      لَكُنْتُ تُفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدِمِ  
وَلَكِنْ بَكْتُ قَبْلِي فَهَيَّجَنِي الْبُكَاءُ      بُكَاهَا فَقَلْتُ الْفَضْلُ لِلْمُتَّقَدِمِ  
وَقَالَ الْمَعْرِيُّ<sup>(٣)</sup>:

شَبَّتَ بِعَالِيَةِ الْعِرَاقِ وَنُورُهَا      يَنْفَسِي مَنَازِلَ نَائِلٍ وَأَسَافِ  
وهو مثل بيت الشريف؛ سواء بسواء؛ لا اختلاف إلا؛ في الرمي والابصار، ومن الغث المردود في الموضوع؛ قول المتنبّي:

سَلُّهُ الرِّكْضُ بَعْدُ وَهُوَ بِنَجْدٍ      فَتَصَدَّى الْمَنِيثُ أَهْلُ الْحِجَازِ  
واما المثال الثالث؛ وهو اذكر شعر الشريف؛ فمأخوذ من قول؛ ناصر الدولة بن حمدان<sup>(٤)</sup>؛ لأخيه:

رَضِيْتُ لَكَ الْعَلِيَا وَإِنْ كُنْتَ أَهْلَهَا      وَقُلْتُ لَهُمْ بَيِّنِي وَيَبِينْ أَخِي فَرَقُ

(١) أي جعله متعلقاً به.

(٢) كان شاعراً مقدماً عند بني أمية، مذاحاً لهم، أكثر قصائده في مدح الوليد بن عبد الملك، أصبحت أبياته مضرِباً للمثل ولقد استطاع أن يهزم جرير ويضطره إلى الاعتراف بالهزيمة.

(٣) أبو العلاء المعري شاعر وفيلسوف وأديب عربي من العصر العباسي، ولد وتوفي في معرة النعمان في الشمال السوري وإليها يُنسب. لُقِبَ برهين المحبسين بعد أن اعتزل الناس لبعض الوقت، اشتهر بأرائه ولففته المثيرة للجدل في وقته، وهاجم عقائد الدين.

(٤) ناصر الدولة الحمداني أول ملوك الدولة الحمدانية في الموصل، ولقب أخاه سيف الدولة، وعظم شأنهما. وكان ناصر الدولة أكبر سناً من أخيه سيف الدولة، وأقدم منزلة عند الخلفاء. وكان كثير التأدب مع أخيه سيف الدولة.

ولم يك بي عنها نُكُولٌ وإنَّما      تَجَانِثُ عَنْ حَقِّي فَتَمَّ لَكَ الْحَقُّ  
ثم تلاعب به الشريف؛ حتى لقد وقع به في إساءة الأدب؛ على أبيه؛ حيث  
يقول له:

كِلَانَا لَهُ السَّبِقُ الْمُبِيرُ إِلَى الْعُلَا      وَإِنْ كَانَ فِي نَيْلِ الْعُلَاءِ أَمَاوِي  
وَمَا بَيْنَنَا يَوْمَ الْجَزَاءِ تَفَاوُتٌ      سِوَى أَنَّهُ خَاضَ الطَّرِيقَ أَمَاوِي  
وقوله:

جَرَى مَا جَرَى قَبْلِي وَهَا أَنَا خَلَفَهُ      إِلَى الْغَرَضِ الْأَقْصَى أَخْبٌ وَأَوْجِفُ  
وَلَوْلَا مُرَاعَاةُ الْأَبْوَةِ جُرْئُهُ      وَلَكِنْ لِغَيْرِ الْعَجْزِ مَا أَتَوْقِفُ  
وأما القطعة الأخيرة؛ فقلَّما أنشدتها لمناسبة؛ أصار إليها القول؛ إلا تددت  
الخدود، واقشعرت الجلود، وسالت الدموع؛ ولطالما قضيت لها بالفضل؛  
والفضل قضاء؛ ظننت أن ينحدر عنه النقض، ولا يرتفع إليه الرفض؛ حتى اقتطع  
الطريق، وأغص بالريق، ما لا يصلح؛ إلا لذلك الفريق؛ من قول البحري:

أَحَبُّ بَنُوكَ الْمُكْرَمَاتِ ففَرَقْتُ      جَمَاعَتَهُمْ فِي كُلِّ ذَهْيَاءٍ صَيَلِمُ<sup>(١)</sup>  
دَعَتُهُمْ أَفَانِينَ الرَّدَى فَتَنَابَعُوا      تَنَابَعٌ مُنْبَتُّ الْفَرِيدِ الْمُنْظَمِ  
تَدَانَتْ مَنَائِهِمْ بِهِمْ وَتَبَاعَدَتْ      مَضَاجِعُهُمْ عَنْ تُرْبِكَ الْمُتَنَسِّمِ  
فَكُلُّ لَهُ قَبْرٌ غَرِيبٌ بِبِلْدَةٍ      فَمَنْ مُنْجِدٍ نَأْيِي الضَّرِيحِ وَمُتَّهِمِ  
تُبُورٌ بِأَطْرَافِ الْبِلَادِ كَأَنَّمَا      مَوَاقِعُهَا مِنْهُمْ مَوَاقِعُ أَنْجَمِ  
سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الشَّمَائِلِ إِنَّهَا      مُطَهَّرَةٌ مِنْ كُلِّ عَارٍ وَمَائِمِ  
مَسَاعٍ عِظَامٍ لَيْسَ يَبْلَى جَدِيدُهَا      وَإِنْ بَلَيْتَ مِنْهُمْ رَمَائِمُ أَعْظَمِ

(١) الصيلم: الداهية تستأصل ما تصيب.

وأحرى بهذه المقالات؛ أن تعتبر كتيباً؛ يُسَمَّى بعد تبيضه: مفتاح الثقافة؛  
فقد أظهر النشئ؛ بالأدب؛ ولوعاً جمّاً، واعتنوا به اعتناءً لَمَّا؛ حتى جعلوه؛  
ولكن بدون نظام؛ بيت قصيدهم؛ واقتنعوا؛ بان يكون حصيل حصيدهم؛ غير  
أنهم لا يزالون؛ بمكانهم؛ كأن ليس التقدم في إمكانهم؛

فَهُمْ فِي السَّرَى لَمْ يَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِهِمْ وَمَا ظَعَنُوا فِي السَّيْرِ عَنْهُ وَمَا كَلُّوا  
وحسبك أني زرت مدرسة؛ ببعض البلاد؛ ولا أسميها؛ مداراة لأهلها،  
فتمثلت لهم بقول المعري:

أَيَقْنَتْ أَنْ جِبَالَ الشَّمْسِ تُدْرِكُنِي لَمَّا بُصِرْتُ بِخَطِّ المَشْرِقِ اليَقِي<sup>(١)</sup>

ثم زرتها؛ بعد أمة من الزمان؛ وألفتها على قريب؛ من الحال الأول؛ فلم  
أرى ما يليق؛ إلا ذلك البيت؛ أو قوله:

وَأَوَّلُ مَا يَكُونُ اللَّيْلُ شِبْلًا وَأَوَّلُ طَلْعَةِ القَمَرِ الهَلَالُ  
أو قول أبي تمام:

وَإِذَا رَأَيْتَ مِنَ الهَلَالِ نُمُوَّهُ أَيَقْنَتْ أَنْ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلًا

وقلت؛ آخر كلامي؛ في المرّة الثالثة؛ بعد رده من الزمن:

هَذَا مَخَائِلُ بَرَقِ خَلْفَهُ مَطَرٌ جَوْدٌ وَوَرِيٌّ زَنَادٍ خَلْفَهُ لَهْبٌ  
وَأَزْرَقُ الفَجْرِ يَبْدُوا قَبْلَ أبيضِهِ وَأَوَّلُ الفَيْثِ قَطْرٌ نَمَّ يَنْسَكِبُ

وليس لهم أن يغضبوا، ولا سيّما؛ وأن جميع المدارس؛ بحضرموت؛  
قريب من السواء؛ إذ ضَرَبْتُ لهم المثل؛ برجل يقال له حمار؛ كانت له زوجة  
تماضه<sup>(٢)</sup>؛ وتريده على تغيير اسمه؛ حتى جاءها ذات يوم؛ وقال لها: لقد  
أطلبته<sup>(٣)</sup>؛ وبَدَّلْتُ اسمي بمحفل القوم؛ فقالت: وماذا تسميت؟ قال: بغلاً!

(٢) تماضه: تنازعه وتلاجه.

(١) اليق: شديد البياض.

(٣) أطلب: أسعفه بما طلب.

فوضعت يدها على رأسها؛ تسترجع<sup>(١)</sup>؛ وتقول: حتى متى نخرج من الأصطبل؟ ونحن نقول: متى الانتقال، وحلّ العقال، والتخلص من الثقال؛ وإني لجازم؛ لا استثنى؛ إلا بمشيئة الله؛ أنّ هذا المفتاح؛ طريق مختصر إلى النجاح؛ إذ لا بدّ أن يقرب ميطانه<sup>(٢)</sup>، ويرغم شيطانه، ويقرع مرؤته، وييسر ذروته؛ لأنه بضاعة السوق، والشهوة الي مطالعته تسوق؛ وصدق التوجّه يفتح الرتاج، ويعجّل بالتاج؛ أولا ترى للبليد؛ كيف يغضب للبريد؛ على المطال؛ ثم يحفظ كتاب مراسله؛ وإن طال؛ وقد قال المعري:

وَمَا الْعُلَمَاءُ وَالْجُهَلَاءُ إِلَّا قَرِيبٌ حِينَ تَنْظَرُ مِنْ قَرِيبٍ  
لكن الشأن الالتفات؛ فبه حصل ما حصل؛ وفات ما فات:

إِذَا لَمْ تَكُ الْحَلَجَاتُ مِنْ هِمَّةِ الْفَتَى وَإِلَّا فَمَا تُغْنِي عُقُودُ الرَّقَائِمِ  
وإن النتيجة لمضمونه؛ بلا وليجه، وإني لراج؛ أن ينتفع منه الطالب لشهر؛ ما لا يجده من المعلم في دهر؛ وأن يتوفر ما لا بد من بذله؛ في استجلاب المتخصصين في فته؛ فليشكر له السالمون من شوم الحسد؛ ولو بعض منه؛ وأمازة ذلك؛ ما جرّبته في نفسي؛ فإني لم انتفع بشيء في الأدب؛ بعد نهج البلاغة؛ انتفاعي بقصيدة؛ قدمتها لشيخنا العلامة؛ أبو بكر بن شهاب؛ فنقحها؛ وعمد إلى جمل منها؛ استسمنت ورمها؛ فاطرحها؛ وقد جاء هذا الكتاب؛ على سميتها؛ فإن فيه حكّ الأفكار، وفضّ الأبيكار، وفتح باب الاعتبار، والتوفيق على مواضع الاختبار؛ وهل يمكن لابن التاجر؛ أن يتقن التجارة؛ بمجرد تقليب البضائع؛ والتردد على الحوانيت؛ وجلوسه مجلس ابيه؛ للبيع بالأثمان المحددة؛ كلا؛ وما يفعله النشئ كله؛ ليس إلا بمثابة ذلك؛ ولا مشقة في البيع؛ إنما الصعوبة في الشراء؛ وذلك ما هيئت له الأسباب، وشرع إليه الباب؛ وبالله التوفيق.

(١) استرجع عند المصيبة أي قال إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) الميطان: موضع ترسل منه الخيل للسباق.

## المقالة الأولى

وقع إليّ اليوم؛ كتاب عبقرية الشريف الرضي؛ للبحاثة الأستاذ زكي مبارك؛ فأحمدت سعيه، وأجملت رعيه؛ إذ طوّقنا بمِنَّة؛ لا تترعها يد الغاسل؛ بخدمة رجل مهضوم الجانب؛ منّا آل البيت؛ غير إنه؛ إن وافق ما عندي في الشريف؛ من جهة؛ فقد خالفه من الأخريات؛ فأحببت أن انزل على ما رغب فيه؛ من البحث والانتقاد؛ أما السبب الذي ذكره: لخمول الرضي؛ وشهرة المتنبي؛ فالذي عندي فيه؛ غيره؛ إذ كان حسدة الثاني؛ من أهل النظام، وأرباب الأقلام؛ فقادوا جياده للمضمار، وعرضوا حقيقته للاختبار؛ وقد قال حبيب:

وإذا أراد الله نشرَ فضيلةٍ      طويّت أتاح لها لسانَ حسودٍ

واقضى رد الفعل؛ أن يكون المدافعون من جنسهم؛ فاصطدم الفريق، وازدحم الطّريق؛ واشتدّ الجدل، وتشادقت<sup>(١)</sup> الرجال، وتجاذبت الحبال؛ وأرادوا له العجر والبجر<sup>(٢)</sup>، فلم يكن الا المسك بين الفهم والحجر؛ ثم لم يكن بغض الرجل؛ لذاته؛ وإلا لتعذر استنقاذه من اذاته؛ واما الأول؛ فلم يكن من أهل الأدب؛ أكبر خصومه؛ حتى يكون انتقامهم؛ وسيلة لنشر علومه؛ وقد ادعى له الأستاذ؛ التفرد؛ ولا بأس بموافقته؛ بعد التخصيص؛ لكنّ التفرد؛ قرين الحرّات؛ وقد قال الحمدوني<sup>(٣)</sup>:

ما ازددت من أدبي حرفاً أسرُّ به      إلا تزيّدتُ حرفاً تحته سُومٌ

(١) التشدق في الكلام: التصح والتعمر والتكلف بمن لم يكن ذلك له سليقة.

(٢) العجر والبجر: عيوبه واحزانه وما ابدى وما اخفى.

(٣) شاعر الحكمة يعقوب الحمدوني.

إِنَّ الْمُقَدَّمِ فِي حُذْقِ بِصْنَعِيهِ أَنِّي تَوَجَّهَ فِيهَا فَهُوَ مُحْرَمٌ  
وقال الشريف نفسه؛ في رثائه للصاحب<sup>(١)</sup>:

وَأَرَى الْكِمَالَ جَنَى عَلَيْهِ لِأَنَّهُ غَرَضُ النِّوَابِ مَنْ أَعْبَرَ كَمَالًا  
ومن هذه الناحية؛ أُتِيَ جَدَّهُ الْغَالِبُ<sup>(٢)</sup>؛ فقد قطعوا رحمه، وأصفوا إنائه،  
وحقروا عظيم منزلته؛ ولم يكن بمكة والمدينة؛ عشرون رجلاً يحبه؛ ولولا شدة  
الشكيمة، وقوة العزيمة؛ وأَنَّه فِي عَصْرِ صَدُقٍ وَنِصَاعِهِ، وَشَمِّمْ وَشِجَاعَةٍ؛ لِأَوْشَكِ  
أَنْ تَخْتَنِقَ رُوحَهُ، وَأَنْ تَنْطَمِسَ دُوحَهُ؛ وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ<sup>(٣)</sup>:

طَامَنْتُ مَجْدَهُ قَرِيشٌ فَأَعْطَتْهُ إِلَى سِدْرَةِ السَّمَاءِ رُقِيًّا  
أَخْمَلْتُ صِيَّتَهُ فَطَارَ إِلَى أَنْ مَلَأَ الْأَفَقَ ضَجَّةً وَدُوبَا

بخلاف أيام بني العباس؛ فقد سقطت النفوس، وانتكست الرؤوس،  
وخزيت الذمم، وصغرت الهمم، واختلطت العرب والعجم، ورثم<sup>(٤)</sup> الناس  
الذل، وألفوا النفاق، وَمَرَّنُوا عَلَى الْمَلَقِ<sup>(٥)</sup>؛ وَلِذَا كَبَّرُوا مِنْ فِضَائِعِ بَنِي أُمِيَّةٍ؛  
بعض ما كان صغيراً؛ وصغروا من بوائق بني العباس؛ ما كان كبيراً؛ وفي نفس  
ذلك الجيل؛ يقول شاعر المَعْرَةَ:

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ قَوْمٍ إِذَا سَمِعُوا خَبِيراً أَسْرَوْهُ أَوْ شَرَّراً إِذَا عَاوَهُ  
وَخَالِدُ بْنُ سِنَانٍ لَيْسَ يُنْقِضُهُ مِنْ قَدَرِهِ الْكُؤُنُ فِي حَيِّ أَضَاعُوهُ

(١) الصحاح بن عباد: من نوادر وزراء الدولة البويهية الذي غلب عليهم العلم والأدب مدحه  
لفضله خمسمائة شاعر توفي سنة ٣٨٥هـ.

(٢) يقصد الإمام علي عليه السلام.

(٣) عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد؛ أحد أبرز علماء وكتاب المعتزلة في عصره؛ من كتبه  
كتاب شرح نهج البلاغة.

(٤) رثم: أحب والف.

(٥) المَلَقُ: التردد للغير والمَلَقُ: الذي يعد ولا يفني.



وثالثة الأثافي: أن الشريف قرشي؛ يساميه إخوانه، وينافسه أقرباؤه؛ وقد قال ابن الخطاب للمغيرة بن شعبة: إن الله قسم الحسد؛ ألف جزء؛ فجعل تسعمائة؛ وتسعة وتسعين؛ في قريش؛ وهم شركاء الناس؛ في الباقي؛ وقد قالوا لربهم: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنْ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ آتِيَةٍ﴾<sup>(١)</sup> وما منعهم أن يقولوا: فاهدنا إن كان الحق إليه؛ إلا تَسْوَمُ<sup>(٢)</sup> الحسد؛ وهذه بين أيدينا؛ آمالي الشريف المُرْتَضِي<sup>(٣)</sup>؛ وقد تعمَّر طويلاً بعد الرضوي، فلم يمت حسره؛ وما رأينا في أماليه؛ حرفاً من أشعار أخيه؛ مع أنه تناول؛ مَنْ قَرُبَ وَمَنْ بَعُدَ؛ وَمَنْ أَحَبَّ وَمَنْ شَنِيءَ؛ فإن كان لعذر؛ فغيره أعذر؛ أو لإستهجان؛ فهو به أخير؛ وهلاً يكون؛ إِطْرَاحُ المُرْتَضِي له؟ من أكبر أسباب خموله؛ الذي يوسعه الأستاذ<sup>(٤)</sup>، وليس عندي من مرثيته<sup>(٥)</sup>؛ غير الأربعة الأبيات؛ التي أوردها ابن أبي الحديد؛ وإلا لأمكننا منها؛ أن نتعرف رأيه؛ في أخيه؛ وفي شاعريته؛ أمّا تلك؛ فليس في الثلاثة الأولى فيها؛ إلا وصف تَفْجُوعِهِ بالشدة؛ فالاحتمال؛ بأنه يريد إخفاء الشمات؛ ليس ببعيد؛ وفي ديوان الرضوي: ما يدل على اصل الوحشة؛ بين الأخوين؛ ومن المستحيل؛ أن يصح الجسد؛ بعد اختلاطه بداء الحسد؛ وإن تجمَّل الرضوي بقوله من أبيات:

وَقَدْ كَانَ لَذُخٌ فَاتَّقَيْتُ شِبَابَهُ      بِقَلْبٍ عَلَى الضَّرَائِ كَالْحَجَرِ الصَّلْدِ  
وَمَا أَنَا عَرِيَانُ الْجِنَانِ مِنَ التِّي      نَسُوهُ وَمَنْفُوضُ الضُّلُوعِ مِنَ الْوَجْدِ<sup>(٦)</sup>

(١) سورة الانفال، الآية: ٣٢.

(٢) تَسْوَمُ فلان: أي اتخذ سمةً ليعرف بها.

(٣) هو أخو الشريف الرضوي وكان مثله في العلم والفضل له الامالي (غرر الفوائد ودرر القلائد) توفي سنة ٤٣٦هـ.

(٤) يقصد زكي مبارك.

(٥) يقصد مرثية الشريف المرتضى في أخيه الشريف الرضوي.

(٦) للنحاة اعتراض على مثل هذا لان هاء التنبيه لا تدخل على ضمير الرفع المنفصل الواقع مبتدأ الا إذا أخبر عنه باسم الإشارة نحو هأنذا او لأمتنع كما قرره ابن هشام في المغني =

وَكَمْ سَخِطَ أَمْسَى دَلِيلًا إِلَى رِضَىٰ وَكَمْ خَطَأٌ اضْحَىٰ طَرِيقًا إِلَىٰ عَمْدِ  
 وريما يكون؛ لما ذكره ابن أبي الحديد: من إيثار وزير بهاء الدولة؛  
 للرضي؛ بالإجلال والإكرام؛ ومبالغته في التحفي به؛ على مسمع من المرتضى؛  
 أثر؛ في تحرك العقارب، ومثار الضغائن؛ فالعادة بمثله؛ مُطْرَدَةٌ؛ والمتعارف  
 بنظيره؛ مليء، وقد قال أبو عباد<sup>(١)</sup>:

وَكَمْ أَنَا فِتُّ مِنَ الْأَبْنَاءِ مُكْرَمَةٌ      مشهورةٌ تدعُ الآباءَ حُسَّادًا  
 وقال:

وَالْبَسْتَنِي النُّعْمَىٰ الثِّيَّ غَيْرْتِ أَخِي      عَلِيٌّ فَأُضْحَىٰ نَارِخَ الْوَدِّ اجْتَنَبَا  
 وقد تنازع الشريفان؛ شق الأبلمة<sup>(٢)</sup>؛ في الشرف؛ حتى صارا كركبتي البعير  
 الأدرم<sup>(٣)</sup>؛ وزاد ذلك المعري بقوله:

سَاوَى الرِّضَىٰ المُرْتَضَىٰ وَتَقَاسَمَا      حُطِّطَ الْعُلَا بَتَنَاصِفِ وَتَصَافِ  
 فما أخاله قال ذلك؛ عن طيب نيه؛ ولكن؛ يقصد به إثارة الشر؛ وتهيج  
 الحسائك<sup>(٤)</sup>؛ واحزَّ بالمرتضى؛ وقد رجح في العلم قدره؛ وتساوت الأقدام؛ في  
 الحسب؛ أن يغار؛ من تزيد الرضي بالفصاحة؛ وقد قال حبيب:

وَمَا أَنَا بِالْغَيْرَانِ مِنْ دُونِ جَارَتِي      إِذَا أَنَا لَمْ أَصِيحْ غَيْرًا عَلَى الْعِلْمِ  
 ولا يبعد؛ أن يكون تغيبه عن التشيع؛ إنما هو؛ لخوف انتشار الأخبار؛

= لكن وقع له خلافة في ثلاثة مواضع منها قوله في الخطبة (يقصد الإمام علي - المحقق) وهانا بايخ (أي: كاشفا سر - المحقق) قال الدسوقي وقد جوزه بعضهم ومثله صاحب القاموس فقد قرر المنع آخر كتابه واستعمله في خطبته (المصنف).

(١) هو أبو عباد البحتري الطائي تارة يأتي ذكره بأحد هذه الاسماء.

(٢) أي بالتساوي وهو مثل يضرب للتساوي والتعادل.

(٣) البعير الأدرم هو الذي لا ياكل إلا وهو جاث على ركبته.

(٤) جمع حسك وحسك الصدر جفد العداوة.

باندفاعه عن الصلاة على أخيه؛ لا لفرط الحزن؛ الذي يكبره بن أبي الحديد، ولا بدعاً! فلتنفس العلة: كان إعراض قريش عن القرآن، وهو ذكْرُهُمْ وفخرهم؛ حتى حكى الله تعالى؛ عن نبيه ﷺ؛ أنه قال: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ومتى أعرضت قريش؛ عما فيه شرفها؛ فلا غرابة؛ ان يتناقل المرتضى؛ عن شعر أخيه؛ إن العصى من تلکم العصية؛ وما نهض قرشي قط؛ إلا ورأى وجوه إخوانه؛ في طلائع محاربيه؛ فلقد كان العباس وعقيل؛ ممن شهدوا بدرا؛ في الجانب الثاني؛ وكان ثانيهما؛ ممن حضر صفين؛ مع أهل الشام؛ وما وطأ مَنكَبَ الحسن؛ وهاض من جناحه؛ إلا عبد الله بن جعفر؛ وحال ابن الحنفية<sup>(١)</sup> مشهور؛ في خذلانه للحسين؛ وكان عمرو بن الزبير؛ في مقدمة الهاجمين على أخيه؛ حتى تم على كل ما تم؛ وهلمَّ جراً؛ فبالحري مع هذا؛ أن يُعرضَ المُرتضى؛ عن شعر أخيه؛ وفي أعراضه عن اندراس الرسم، وتناسي الاسم؛ إذ العادة حاکمة، والظروف قاهرة، والآثار مُتَّبَعَة؛ والصغير ينشأ؛ على ما درج عليه الكبير؛ والخطوط لها آثارها؛ والشهرة؛ لا تكون ميزاناً لأفضل؛ لا سيما مع فيوض الغش؛ وغلبة الدهان؛ وطالما رأينا الشريف يتألم؛ من ذويه؛ كما في قوله:

يولونني خزرَ العيون<sup>(٢)</sup> لأنني غلست<sup>(٣)</sup> في طلبِ العلى وتصبّحوا<sup>(٤)</sup>

(١) هو محمد بن علي بن أبي طالب النياشي القرشي، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية، فينسب إليها تمييزاً عن أخويه الحسن والحسين، ولد في خلافة عمر بن الخطاب سنة إحدى وعشرين للهجرة، وهو أحد الأبطال الأشداء، كان ورعاً واسع العلم ثقة له عدة أحاديث في الصحيحين. كان قائداً كبيراً من قواد المعارك التي خاضها الإمام علي في الجمل وصفين وكان أبوه يعتمد عليه كثيراً في هذه الحروب رغم صغر سنه.

(٢) نظرة غضب.

(٣) أي سرت بغلس وهي ظلمة آخر الليل فسبقتهم لأنهم تأخروا إلى الصباح.

(٤) في قوله غلست في طلب العلى نظر إل قول البحري:

بُكْرُوا وادلج طالبي مجيد وهل يتعلق الغادي بشاو المدلج (المصنف)

ومتحت<sup>(١)</sup> بالعزب الذي لم يمتحوا  
عظشى دجنثها<sup>(٢)</sup> ولا تتوضح  
لهم اود على البعاد وأسمح

وجذب بالطول الذي لم يجذبوا  
من كل حاميل احنة<sup>(٢)</sup> لا تنجلي  
ما كان من شعبي<sup>(٤)</sup> فإني منهم  
وقوله :

بتوارثون سفاهة عن قعد<sup>(٥)</sup>  
في ذمة الخلق اللئيم الاوغد  
في الحرب مظردة وإن لم يطرد  
من الخمول كأنه لم يولد  
أين العبار من الجبال الركد

وأقارب جعلوا العقوق سجة  
ليسوا لنا زرد<sup>(٦)</sup> النفاق فأصبحوا  
من كل منحوب الجنان كأنه  
متقدم في لوم ميلاده  
قل للذي بالنبي سوى بيننا

فهل يشمل الشريف؛ أخاه؛ بعموم الأقارب؛ أم لا؟ فإن كانت الأولى؛  
عرفنا افيكة<sup>(٧)</sup> المعري؛ في زعمه؛ الإقتسام السابق؛ عن تصاف؛ بل لا لوم؛ إذا  
سبق إلى الأفهام؛ أنه لا يقصد سوى الإشارة إلى المعري؛ إذ سوى بينه وبين  
أخيه؛ ومنه عرف؛ أن قد حلم الأديم<sup>(٨)</sup>؛ بين الشريفين، وتمكنت الحسائك؛ ما  
بين الأخوين؛ ولئن صدق وصف الشريف؛ وانطبق على قريش في عهده؛  
فلسرعان ما تغيرت؛ مع أنها كانت في جاهليتها؛ مضرب المثل؛ في نصاعة

(١) المتح جذب الذئو على رأس البئر.

(٢) الحقد والضغن.

(٣) الذجنة الظلمة.

(٤) شعبي من فلان: غض منه وتقصه.

(٥) القعد هو الجبان.

(٦) الزرد: الدرع.

(٧) الإفك الكذب والأفيكة كالإفك.

(٨) أي فسد الأمر.

الكلام، وخوف الملام، ونَصَفِ الاحكام؛ وحديث بني عبد مناف؛ في العفو عن ابن الزبيري<sup>(١)</sup>؛ بعدما أثار حفاظ قريش؛ بهجائها؛ معروف؛ وفيهم يقول جرير:

تعالوا ففاتونا<sup>(٢)</sup> ففي الحق مقنعٌ إلى الغرِّ من أهل البطاح الأكارمِ  
فإني أرضى عبدَ شمسٍ وما قضتُ وأرضى الطوالَ البيضَ من آلِ هاشمِ

وقد اتفق أهل السير؛ على نَصَفِهِمْ، وإنهم لم يخرجوا عن عاداتهم فيه؛ إلى السفه والجور؛ إلا معه ﷺ؛ فقط؛ وما ذلك؛ إلا لأنه استجهرهم<sup>(٣)</sup>؛ بفضل باهر؛ تفسخت منه قوائم العقول؛ فاطار غربان الأحساد من أوكارها، وانفج<sup>(٤)</sup> ضباب الأحقاد من أحجارها، ومن هذه الناحية؛ نرى المرتضى يكف عن شعر أخيه؛ ويطيب نفساً؛ وهو إمامي المذهب؛ بالثناء على مروان بن أبي حفصة<sup>(٥)</sup>؛ وهو من ألد خصوم أهل البيت، في قصيدته المستهلة بقوله:

ظَرَقْنَاكَ زَائِرَةً فَحَيَّ خَيَالَهَا بِضَاءٍ تُخَلِّطُ بِالْحَيَاءِ دَلَالَهَا  
مع انه جابه آل علي فيها؛ بفاحش الكلام؛ حتى قال:

أَوْ تَظْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نُجُومَهَا أَوْ تَحْجُبُونَ مِنَ السَّمَاءِ هِلَالَهَا  
أَوْ تَجْحَدُونَ مَقَالََةَ عَنْ رَبِّكُمْ جَبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا  
ولله درّ أبي تمام في قوله:

(١) عبد الله بن الزبيري السهمي القرشي، شاعر قريش في الجاهلية، وكان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال حسان فيه أياتاً، فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم واعتذر ومدح النبي ﷺ، فأمر له بحلة.

(٢) تَفَاتُوا: تحاكموا.

(٣) عظم في عينهم وراعهم.

(٤) انفج: اثاره من مكمنه.

(٥) مروان بن سليمان بن يحيى أبي حفصة شاعر عالي الطبقة، قيل: كان جده أبو حفصة طبيباً يهودياً، فأسلم على يد عثمان، أو يد مروان، ويقال: إن أبا حفصة من سبي اصطرخ. وكان مروان بن أبي حفصة من أهل اليمامة، فقدم بغداد، ومدح المهدي والرشيدي.

حَسَدُ الْقَرَابَةِ لِلْقَرَابَةِ فُرْحَةٌ      أَعَيْتَ عَوَائِدَهَا وَجُرْحُ أَقْدَمِ  
تِلْكَ قَرِيشٌ لَمْ تَكُنْ أَرَاؤَهَا      تَهْفُو وَلَا أَخْلَامُهَا تَتَّقَسَمُ  
حَتَّى إِذَا بُعِثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ      فِيهِمْ غَدَتٌ شَخْنَاؤُهُمْ تَتَضَرَّمُ  
عَزَبْتُ<sup>(١)</sup> عَقُولَهُمْ وَمَا مِنْ مَعَشِرٍ      إِلَّا وَهُمْ مِنْهُ أَلْبُ<sup>(٢)</sup> وَأَخْرَمُ

هذا ما قلته عن شَيْمٍ صادق؛ وظن؛ تبين انه صائب؛ إذ وقفت بعده؛ على قوله؛ يقصد اخاه:

فَعَدْرًا لِأَعْدَائِي إِذَا كَانَ أَقْرَبِي      يُشَذَّبُ مِنْ عُوْدِي وَيَعْرُقُ مِنْ نَحْضِي  
إِذَا مَا رَمَى عِرْضِي الْقَرِيبُ بِسَهْمِهِ      عَذْرْتُ بَعِيدَ الْقَوْمِ لَمَّا رَمَى عِرْضِي  
يَرِيدُونَ أَنْ يُخْفُوا النَّوَاقِرَ بَيْنَنَا      وَقَدْ صَاحَتْ الْأَضْغَانُ فِي الْحَدَقِ الْمَرَضِ

وإلا غير غريب؛ من قوله؛ في الأخرى:

فَكَيْفَ بِي وَعَلَى عَيْنِكَ تَرْجُمَةٌ      مِنْ الْحُقُودِ وَعِنَاؤُ مِنْ السَّرَفِ  
وقد أخذه؛ من قول البحري:

وَفِي عَيْنِكَ تَرْجُمَةٌ أَرَاهَا      تَدُلُّ عَلَى الضَّمَائِنِ وَالْحُقُودِ

أما المتنبى؛ فلم يشرك الرؤساء بحسب، ولم يزاحم الخلفاء بتسب؛ ولم يكن له أعداء؛ من إخوانه؛ ولا شهود يشهدون عليه؛ من أهله؛ وإنما كان الشعر؛ أكبر مزاياه؛ فطابت أنفسهم بذكره؛ فاتسع البحث، وعاد عليه بالربح، على حد قوله:

رُبَّ أَمْرٍ أَتَاكَ لَا تَحْمَدُ الْفِعْمَ      عَمَالَ فِيهِ وَتَحْمَدُ الْأَفْعَالَ

وقول غيره:

(١) عَزَبَ: بَعُدَ وَغَاب.

(٢) أَلْبُ عَلَى الْأَمْرِ: لَزِمَهُ فَلَمْ يَفَارِقْهُ.

أردتُ مُسَاتِي فَاجْتَلَبْتُ مَسْرَتِي      وقد يُحْسِنُ الإنسانُ مِنْ حَيْثُ لا يَدْرِي<sup>(١)</sup>  
ولقد أخبرني ولدي الأديب؛ حَسَن<sup>(٢)</sup>؛ حفظه الله؛ بأنَّ الرسائل انهالت  
على الصاحب<sup>(٣)</sup>؛ في التعزية بكريمة عليه؛ مُصَدَّرَةً كلها؛ بقول أبي الطيب:

طَوَى الجَزَيْرَةَ حَتَّى جَاءَنِي نَخْبَرٌ      فزِعْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الكَذِبِ  
فتألَّم؛ من ارتفاع رجل؛ يحاول إخماله إلى ذلك الحد، وكأنَّ الشريف؛  
شهد شيئاً من ذلك، فلأجله استهام بالبيت؛ وانقضَّ عليه؛ وأكثر في قصائده؛ من  
معناه؛ فقال:

تَصَامَمْتُ حَتَّى أَبْلِغَ النَفْسَ عَذْرَةَ      وَمَا نَطَقَ النَّاعُونَ إِلَّا لِأَسْمَعَا  
وقال:

أُبْدِي التَّصَامُمَ عَنْهُ جِئِنَ اسْمَعُهُ      عَمْدًا وَقَدْ بَلَغَ النَّاعُونَ أَسْمَاعِي  
وقال:

الشُّكُّ أَبْرَدُ لِلْحَسَى فِي مِثْلِهِ      بِالْبَيْتِ شُكِّي فِيهِ دَامَ وَطَالَا  
وقال:

قِفْ مَوْقِفَ الشُّكِّ لا يَأْسُ ولا طَمَعُ      وَغَالِطَ العَيْشِ لا صَبْرٌ ولا جِنْعُ

(١) في الديوان: قصدت مساتي فاجتلبت مسرتي.

(٢) حسن بن عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف؛ أديب وشاعر وفقه وخطيب ولد في بلدة ذي  
أصبح بحضرموت سنة ١٣٣٣هـ وتعلم على يد والده الإمام وغيره من العلماء وقال الشعر  
منذ صغره واسبس مع زملائه بسيؤون نادي القلم اللعلمي الذي اقام كثير من الفعاليات  
الأدبية والعلمية من منتصف القرن الهجري الماضي وتغرب في اليمن منذ صغره وتعرف  
على كثير من الشخصيات العلمية والسياسية وكان متحمسا للقومية العربية ومهتما بقضايا  
الأمة وسياستها وله درواين شعرية طبع أولها سنة ١٩٤٨م ويعتبر من رواد الشعر العربي  
الحديث توفي بمدينة بسيون بحضرموت سنة ١٤٠٦هـ.

(٣) الصاحب بن عباد.

وَخَادِعِ الْقَلْبَ لَا يُودِ الْغَلِيلُ بِهِ      إِنَّ كَانَ قَلْبٌ عَنِ الْمَاضِينَ يَنْخَدِعُ  
وَكَاذِبِ النَّفْسِ يَمْتَدُّ الرَّجَاءُ لَهَا      إِنَّ الرَّجَاءَ بِضَدِّ النَّفْسِ يَنْقَطِعُ

قال المرتضى: وكنت أحسب المعنى من مخترعات المتنبي؛ حتى سمعت قول مسلم بن الوليد:

وَيَخَادِعُ السَّمْعُ النَّعِيَّ وَدُونَهُ      حَظْبُ أَلَمٍ بِصَادِقٍ لَا يُخَدَعُ  
وأقول: أن السابق إليه؛ الأعشى؛ إذ يقول في رثاء المتشر<sup>(١)</sup>:

إِذَا يُمَادُّ لَهُ ذِكْرٌ أَكْذِبُهُ      حَتَّى أَتْنِي بِهَا الْأَنْبَاءُ وَالْخَبْرُ  
أو؛ لبيد<sup>(٢)</sup>؛ في قوله:

أَكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا      إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ مُزِرٌّ بِالْأَمَلِ  
أو أبو طالب؛ إذ يقول في رثائه؛ لمسافر ابن أبي عمرو ابن أمية:

كَانَ مِنْكَ الْيَقِينُ لَيْسَ بِشَافٍ      كَيْفَ إِذْ رَجَمْتَكَ عِنْدِي الظَّنُونُ  
ومعناه: لا أصدق اليقين من خير موتك، استعظماً؛ كأنه من الحال الذي

لا يكون، ومثله ما يأتي عن نابغة ذبيان؛ في البيت رقم ١٤.

وحام عليه البحري؛ في قوله:

إِذَا جَدَّ فَاعِيَهُ<sup>(٣)</sup> تَوَهَّمْتُ أَنَّهُ      يُكْرِرُ مِنْ أَخْبَارِهِ قَوْلَ مَازِحٍ

(١) المتشر بن وهب الباهلي من قبيلة همدان اليمنية، فارس شجاع، من رؤساء قومه في الجاهلية، وكان مشهوراً بالغزو وقتله هند بن أسماء، فرثاه أخوه لإمه الشاعر المشهور بالأعشى.

(٢) لبيد بن ربيعة (توفي ٤١هـ) أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، أدرك الإسلام، ووفد على النبي ﷺ مسلماً، ولذا يعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً. وسكن الكوفة وعاش عمراً طويلاً. وهو أحد أصحاب المعلقات.

(٣) فاعي الخبر: ناشره.



ولا يبعد أن يكون منه؛ صنيع ابن الخطاب؛ يوم وفاته ﷺ؛ فانه أقرب؛ من كل ما تفننوا به؛ في الجواب عنه؛ أمّا الشريف؛ فلو سلموا له التفرد بالبيان، الذي ما رأيناه ﷺ؛ يفتخر بعلم سواه؛ لكان حاله؛ كما قال الفرزدق:

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِعُ

وهذا ما لا يكون في جد أدانيه؛ ولا في مجونهم؛ ولا يسهل على بني العباس؛ وقد مضى مَثْرَى آل علي؛ مع سفارهم وسجونهم؛ وما قال الناس؛ بتفضيل ابن عطية<sup>(١)</sup>؛ على الفرزدق؛ إلا متابعة لهوى السلطان؛ ومسارة إلى رضاه؛ لمحمية الثاني؛ وسقوط نفس الأول؛ ثم أقتني الأثر؛ وانتهج الطريق، واحتدي المثل، ورسخت السنّة، وتتابع الناس، وقال حبيب:

فَبَنُوا أُمِيَّةً وَالْفَرَزْدَقُ صِنُوهُمْ نَسَباً وَكَانَ وِدَادُهُمْ لَلَاخْطَلِ

وما أرى حضوة المتنبي؛ لدى سيف الدولة<sup>(٢)</sup>؛ الا ليغضّ به من باو<sup>(٣)</sup> أبي فراس<sup>(٤)</sup>؛ لأنه وحده؛ الذي يساميه؛ في ميدان البيان؛ ولقد كان بناء الحدث؛

(١) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي من بني تميم. من أشهر شعراء العرب في الهجاء وكان بارعاً في المدح، ولد ومات في اليمامة، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل.، وهو من أغزل الناس شعراً.

(٢) سيف الدولة الحمداني (٣٠٣ - ٣٥٦هـ) أمير حلب من بني حمدان الذين تنتسب إليهم الدولة الحمدانية. وسيف الدولة لقبه وقد غلب عليه ازدهرت دولة بني حمدان في حلب في عهده، وأصبحت من أقوى الدول وأكثرها ازدهاراً وتقدماً. كان راعياً للفنون والعلماء، اشتهر سيف الدولة بمقارعة الروم البيزنطيين على حدود سوريا الشمالية، وكانت الحرب بينه وبينهم سجالاتاً.

(٣) باو: فخره بنفسه.

(٤) أبو فراس الحمداني (٣٢٠ - ٣٥٧هـ) هو شاعر من أسرة الحمدانيين، وهي أسرة عربية حكمت شمال سوريا والعراق وكانت عاصمتهم حلب. ترعرع في كنف ابن عمه سيف الدولة في حلب، بعد موت والده باكرأ، فشب فارساً شاعراً، وشارك في صد هجمات الروم كما كان يشارك في مجالس الأدب.

أحد مضامير الشعراء لذلك العهد؛ فجرت فيه مذكياتهم<sup>(١)</sup> غلاء؛ ولم تكن  
قصبات السبق؛ إلا لهما؛ فلا يبي الطيب؛ قصيدته المستهلة بقوله:

على قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ

وهي قصيدة جزلة! لولا أن فيها سرقات كثيرة؛ وحسبك إن هذا الشطر  
منها؛ مأخوذ من قول البحرني:

على قدرِ جُرمِ الفيلِ تبني قوائمه

ولا بي فراس قصيدته؛ التي يقول في آخرها:

بِنَا وَيَكُمُّ يَا سَيْفَ دَوْلَةَ هَاشِمٍ      تَطَوَّلُ بُنُو أَعْمَامِنَا وَتُقَاخِرُ  
فِيْنَا وَإِنَّا كُمْ دُرَاهَا وَهَامَهَا      إِذِ النَّاسُ أَعْنَاقُ لَهَا وَكِرَائِرُ  
إِذَا ذُكِرَتْ يَوْمًا غَطَارِيفُ<sup>(٢)</sup> وَأَثَلٍ      فَنَحْنُ أَعَالِيهَا وَنَحْنُ الْجَمَاهِرُ  
نَطَقْتُ بِفَضْلِي وَامْتَدَحْتُ عَشِيرَتِي      فَمَا أَنَا مَدَّاحٌ وَمَا أَنَا شَاعِرُ

وهي لا تقصُر؛ عن قصيدة المتنبي؛ إن لم تزد عليها؛ غير أن سيف الدولة؛  
لا يطيب نفساً بسماع هذا الفخر الحق؛ من لسان ابن عمه؛ ولا يُنعم أبا فراس  
عيناً بتسليم ذلك الفضل إليه، بخلاف تغنيج<sup>(٣)</sup> المتنبي؛ ففي إمكانه أن يتضحك  
به؛ وأن يتخذهُ من المهازل؛ لأنه بدون حق؛ وهل تجد للسُخْفِ والعَتَّة؛ مثلاً؛  
أظهر من قوله:

مِيعَادُ كُلِّ رَقِيقٍ الشَّفْرَتَيْنِ<sup>(٤)</sup> غَدَاً      وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ  
وقوله:

(١) المذكية من الخيل وهي التي تمت قوتها وشبابها والعرب تقول جري المذكيات غلاب أي  
مغالبة أو جري المذكيات غلاء والغلاء جمع غلوة وهو مدى الرمقة.

(٢) مفرده غطريف ومعناه سيد في قومه والجمع غطاريف.

(٣) تغنيج: تدلل.

(٤) رقيق الشفرتين من أسماء السيف.

وَجَنَّبَنِي حُبَّ السَّلَاطِينِ مَقْتَهَا      وما يَقتَضِينِي مِنْ جَمَاجِمِهَا النَّسْرُ  
فانه كلام فارغ؛ لو قاله الحجاج<sup>(١)</sup>؛ أو عمرو بن كلثوم؛ أو زياد<sup>(٢)</sup>؛ أو  
عبد الله بن ظبيان<sup>(٣)</sup>، لسفهه الناس؛ فضلاً عن لا يملك؛ إلا رواحل الفقر  
والأدب والنعال؛ ويظهر أن الشريف؛ كان معجباً بقصيدة أبي فراس؛ بأية<sup>(٤)</sup>  
حرصه؛ على أن لا يفوته المعنى الأخير منها؛ فلقد شنَّ الغارة عليه؛ في قوله عن  
أبيه:

تَرَفَّعَ فِي العُلِيَاءِ عَن مَدْحِ مَادِحٍ      وَرَفَّعْتُ عَن مَدْحِ المَلُوكِ خَوَاطِرِي  
فَمَا هُوَ لولا مَا أَقُولُ بِسَامِعٍ      وما أَنَا لولا مَا يَمُنُّ بِشَاعِرِي  
وقال لأبيه أيضاً:

إِنِّي رَضِيْتُكَ فِي الزَّمَانِ مُمَدِّحاً      وَعُغْلَاكَ لَا تَرْضَى بِأَنِّي شَاعِرُ  
وقال له:

لولاكَ مَا سَمَحْتُ بِقَوْلِ هِمَّتِي      قَدْرِي أَجَلُ مِنَ القَرِيضِ وَأَفْضَلُ  
وقال:

وما الشعرُ قُخْرِي وَلَكِنِّي      أَطوُلُ بِهِ هِمَّةَ الفَاجِرِ  
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِهِ      لَتَنكِرُنِي حِرْفَةُ الشَّاعِرِ

ومع أن هذين: هما امثل كلامه في الموضوع؛ فإنه غير بار في ذلك؛ وقد  
تجاوز النصيب الأوفى من ديوانه: أماديح الملوك! إلى غيرهم من الرؤساء  
والأمراء؛ فَمَنْ دُونَهُمْ؛ فما عِلْمَانُهُ إِلَّا مَدَّاحاً؛ تعرفه تلك الحرفة؛ وهذا المتنبّي؛

(١) الحجاج بن يوسف.

(٢) زياد ابن ابيه.

(٣) عبد الله بن زياد بن ضيَّان قاتل الحسين.

(٤) أي: بدلالة.

مع تَكْسُبهِ بالشعر؛ يُضْحِي بالنصيب الأوفى من حظِّه؛ في سبيل الترفع عن مدح  
الصاحب<sup>(١)</sup>؛ وهو أول من مدحه الشريف؛ وقال له:

ومدحك هذا بكرٌ مدحٍ مدحْتُهُ      وَكُنْتُ أَرَوْضُ الْقَوْلِ حَتَّى تَسُدَّذَا  
ولولاك ما أومى إلى المدحِ شاعرٌ      يَعُدُّ عَلِيًّا لِلْعُلَى وَمَحَمَّذَا

وأما الحمداني؛ فآثاره وديوانه يصدقانه؛ فيما قال؛ ولن يجاوز الناحية التي  
نتكلم فيها؛ ما كان من إكرام الصاحب للبيديع<sup>(٢)</sup>؛ مع انه لا يوزن  
بالخوارزمي<sup>(٣)</sup>؛ علماً ولا أدباً؛ سوى انهم استثقلوا ظله، واستطالوا مدته،  
واستعظموا شأنه؛ فعمدوا إلى مكابדתه؛ سنة الله في الذين خلوا؛ والناس مثل  
الناس؛ والملوك أوفى خلق الله نصيباً من الحسد؛ والفضل الصحيح؛ يحزُّ في  
الأكباد، ويوجدُ الحساد، قال البحرى:

وملأت أحشاء العديِّوً بلايلاً      فارتدَّ يحسدُ فيك مَنْ لم يحسدِ

ثم لم يكن الشعراء؛ على مراتب الشريف عند خصومه؛ حتى يتعمدوه  
بالانتقام، ويتعرضوه بالسهام؛ ولكن كان؛ ولا سيمًا بالنسبة إلى شرف الولادة؛  
واستحقاق المجد؛ أدناها؛ فتجاوزوها إلى الصميم؛ وحاولوا اخمال ذكره،  
واستئصال صوته؛ جزاءً وفاقاً؛ إذ كان يصمهمُ بالخمول؛ حسبما مرَّ بك عنه؛  
وقد جاء في ديباجة؛ مرثية مهيار الديلمي<sup>(٤)</sup> له؛ انه كان رثاه بميمية؛ شقَّت على

(١) الصاحب بن عباد.

(٢) بديع الزمان الهمداني المبتكر الأول لفن المقامة الذي انتشر على نحو واسع كأحد فنون  
الشعر في الأدب العربي، ولد في همدان سنة (٣٥٨هـ) لأسرة عربية ذات علم وفضل ومكانة  
مرموقة، وعندما بلغ الثانية والعشرين من عمره غادر همدان متوجهاً إلى أصبهان حيث  
اتصل بالصاحب بن عباد وزير «بني بويه».

(٣) أبو بكر الخوارزمي شاعر مشهور، قوي الحفظ، وامام في اللغة والأنساب، وهو غير  
الخوارزمي عالم الرياضيات، اتصل بالصاحب بن عباد وتناظر مع بديع الزمان الهمداني  
وكان خصماً لدوداً للمتنبي.

(٤) مهيار الديلمي: شاعر معاصر للشريف الرضي.

من كان يحسده؛ في حياته، واستكثروا حاله؛ ولن يكون إلا من قريش؛ لأن كل حسد ما خلا أحسادهم؛ ينقطع بالموت؛ ويتأكد ذلك؛ بما اعتمدتهم به مهيار؛ من التوبيخ، ووصمهم به بعده؛ من الانحطاط، وما يدريك! لعل المرتضى من جملتهم؛ فليس الأمر ببعيد؛ بل لعله المقصود الأكبر؛ من ذلك التلميح والتعريض؛ ولوئل ما عِلِمَتْ؛ من امتزاج القرشيين بالأحساد؛ انتقل العلم عنهم؛ وقتئذ؛ إلى الموالي؛ إذ لا يسلمونه لأهله<sup>(١)</sup> عندهم؛ فقلَّت الرغبات؛ أو ما نُقِلَ عليهم علمُ الباقر<sup>(٢)</sup>؛ وابنه وأخيه؛ حتى صاروا ينادون في المواسم؛ أن لا يُفتي الناس؛ إلاّ عطاء ابن رباح<sup>(٣)</sup>؛ فالحسد هو الغالب؛ والتقليد هو الحاكم؛ ومتى استولت الرغبة، وطال التسلُّط، وشاعت المخافة، وشملت التُّقْيَه؛ اتفق الناس على التساكت؛ ثم لا تزال الأيام؛ تأخذ من بصائرهم، وتنقض من مرائرهم؛ حتى يرون المنكر معروفاً؛ وقد أفتى بعض علماء أهل الشام؛ بفساد الجمعة؛ عندما انقطع من الخطبة؛ سب الإمام<sup>(٤)</sup>؛ فما أصيب به الشريف؛ من الخمول؛ إن كان؛ ليس إلاّ مِنْ هذه الحثييات. ورابعة: لا تُدفع عن القبول؛ وهي أنّ الشريف؛ لم يبلغ؛ معشار ما بلغه المتنبّي؛ من الامتحان، وقد وُعِدَ المهتمضون من أهل العلم؛ بانتشار معارفهم؛ بعدهم؛ على قدر ما كان يحاول الحساد؛ من كتمها وإطفائها؛ في أيام الحياة، وربما كان الشيخ محمد عبده<sup>(٥)</sup>؛ من هذا

(١) ربما كانت الجملة إذ لا يسلمونه إلا لأهله.

(٢) الإمام الباقر.

(٣) عطاء بن أبي رباح أسلم بن صفوان شيخ الإسلام مفتي الحرم فقيه وعالم حديث، من أصول نوية..ولد في الجند إحدى ضواحي مدينة تعز ونشأ بمكة أثناء خلافة عثمان بن عفان أخذ عن عائشة وأبي هريرة وأم سلمة وأم هانئ وابن عباس وعبد الله بن عمرو وابن عمر وجابر وابن الزبير رضي الله عنهم وعن عدد من الصحابة ومن التابعين.

(٤) الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٥) الشيخ محمد عبده من أبرز المجددين في الفقه الإسلامي في العصر الحديث، وأحد دعاة الإصلاح وأعلام النهضة العربية الإسلامية الحديثة، ولد بمصر سنة ١٢٦٦هـ وحصل على العالمية من الأزهر اشترك في ثورة أحمد عرابي ضد الإنجليز، وبعد فشل الثورة حكم =

القبيل. فأنا أخالف الأستاذ<sup>(١)</sup>، فيما جعله عِلَّةً لشهرته؛ وقد رأيت من منشأته؛ ما يجعلها دون ما يستحق؛ ولكنني أوافقُه؛ فيما عللَّ به الشهرة؛ التي حصلت لقاسم أمين<sup>(٢)</sup>؛ ومرثية الرضي للصابي<sup>(٣)</sup>؛ من الخروج عن المألوف؛ لأنَّ من خالف يذكر؛ كما أرسلها الحطيئة؛ مثلاً؛ إلاَّ انه ذُكِرَ مُؤَقَّتٌ؛ لا يبرح أن يتلاشى؛ ما لم يتصل بسبب؛ يحفظ عقبه؛ لكثرة الأشباع؛ وتوارثهم الدعاية؛ وقلما يكون ذلك؛ إلاَّ لِمُتَّحِلِي الولاية؛ لَوَلَّع الدهماء بالغريب؛ وهي بضاعتهم؛ التي لا يتنفقون عند البسطاء؛ بسواها؛ وقد أشار إلى بعضه؛ الأستاذ<sup>(٤)</sup>؛ وتقدم بالكلام فيه؛ ابن خلدون، والله في خلقه شؤون.

- 
- = عليه بالسجن ثم بالنفي إلى بيروت لمدة ثلاث سنوات، وسافر بدعوة من أستاذه جمال الدين الأفغاني إلى باريس، وأسس صحيفة العروة الوثقى.
- (١) يقصد زكي مبارك فيما جعله سبباً لشهرة الشريف.
- (٢) ولد قاسم أمين بمصر من أب تركي وأم مصرية تخرج من مدرسة الحقوق ثم درس بفرنسا أربع سنوات وكان المترجم لجمال الدين الأفغاني، طالب بخلع المرأة الحجاب هاجمه الزعيم مصطفى كامل وربط أفكاره بالاستعمار الإنجليزي.
- (٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي، نشأ في بغداد على دين الصابئة الحرائين، يحفظ القرآن ويصرف آياته في رسائله وقد كانت بينه وبين الصاحب بن عباد والشريف الرضي مودة أكيدة ومراسلات كثيرة، ولاء المهدي ديوان الرسائل فخدم بذلك الخلفاء كما خدماً لأمراء من بني بويه الذين استولوا على بغداد منذ عام ٣٣٤هـ.
- (٤) يقصد زكي مبارك.

## المقالة الثانية

لا بد من مناقشة الأستاذ<sup>(١)</sup>؛ في حكمه بتفوق الشريف؛ مع التزام المعدل والتجرؤ عن العواطف؛ التي أنا فيها جد قريب؛ إلى محاباته؛ حسبما تسمعون مني؛ من إعظامه، والتغني ببذائه؛ من قديم؛ لأسباب؛ من أكبرها؛ أن تشابه ما بيننا؛ أظهر، مما بينه وبين الأستاذ، ثم إنه لا مطمح إلى استقراء كتاب؛ انطلقت مؤلفه بغداد؛ بحسن إقبالها عليه؛ وهو من مهد العلم، ومرعى الأدب، ومنجم الثقافة؛ لرجل؛ أجرته حضرموت الفاحلة؛ المنكودة الحظ؛ بسوء إدارها عنه؛ وتألب أهلها عليه.

فَبِي مَا يَذُودُ الْقَوْلَ عَنِّي أَقْلَهُ      وَلَكِنَّ قَلْبِي يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ قَلْبٌ  
ولكن لا بد من نموذج؛ يفتح السبيل، وينتقع الغليل، ويوضح الدليل؛ وأولى ما يكون بذلك؛ ما وضعه الأستاذ؛ في كفة الميزان؛ وزعم انه يتسبيل<sup>(٢)</sup>؛ بسائر كلام شعراء الحماسة؛ في بابها؛ وهو القصيدة الحائية؛ وقد اختص منها أبياتاً؛ بالتفضيل والإطراء؛ فلنجعلها؛ موضع الاخذ والرد؛ فمما أطراه؛ بيت المطلع؛ وهو:

تَبَهَّتْهُمْ مِثْلَ عَوَالِي الرِّمَاحِ      إِلَى الوَعَى قَبْلَ نُجُومِ الصَّبَاحِ

فلقد استسنى<sup>(٣)</sup> التشبيه؛ واكبر وقت التنبيه؛ ونقول: أمأ أولاً: فإنه لم

(١) زكي مبارك.

(٢) بجري.

(٣) استعظم.

يتفطن؛ للفظ (النجوم)؛ وفيها من البرودة؛ ما هو معلوم؛ وأما ثانياً: فتشبيه الطوال بعوالي الرماح؛ شائع ذائع؛ وكثيراً ما تجد في كتب السير؛ عن نسائهم؛ يقلن: فاقبلوا؛ مثل عوالي الرماح، ومنه قول الخنساء<sup>(١)</sup>؛ لأبيها؛ حينما جاء دريد بن الصمة<sup>(٢)</sup>؛ وهو فارس هوازن، وسيد بني جشم؛ جاء يخطبها:

يا أبت: أتراني تاركة بني عمي، وهم مثل عوالي الرماح، وناكحة شيخ بني جشم، هامة اليوم أو الغد، وقال نفيل بن عبد العزى<sup>(٣)</sup>؛ لحرب بن امية، وقد تنافر إليه؛ هو وعبد المطلب: أتنافر يا حرب؛ رجلاً؛ هو أطول منك قامة، وأعظم منك هامة، وأظهر منك وسامة، إلخ... وقال القتال الكلابي<sup>(٤)</sup>:

لا أرضع الدهرُ إلا ثديَ واضحةٍ      لواضحِ الخدِّ بحمي حوزةِ الجارِ  
يا ليتني والمُنَى ليست بنافَعَةٌ      لِمالكٍ أو لِحِضْنٍ أو لَسَّيارِ  
طِوَالُ أَنْصِيَةِ الأَعناقِ لم يَجِدُوا      رِيحَ الإِماءِ إذا راحت بازفارِ  
وقد انقضَّ الشريف؛ على هذا؛ وأجاد في قوله:

وما مِنْهُمُوا إلا إِمْرُؤُ شَبَّ نائِثاً      على تَمَطِّي بِنَيْضاءٍ مِنْ آلِ هاشِمِ  
فتى لم تُورِكُهُ الاماءُ ولم تكن      أعارِبُهُ مدخولَةٌ بالأعاجِمِ

(١) تماضر بنت عمرو السلمية المعروفة باسم الخنساء بنت عمرو، كانت شاعرة ثناء في عصر الجاهلية، ذاع وانتشر صيتها في كل مكان من خلال مراثيها لأخيها صخر التي ذاعت وتداولها الناس في الجاهلية. عاشت أيضاً في عصر الإسلام، وأسلمت بعد ذلك.

(٢) دريد بن الصمة شاعر جاهلية، وفارس من قبيلة هوازن قاتل المسلمين قتل في وقعة حُنين.

(٣) نفيل بن عبد العزى، أحد القضاة في الجاهلية. كانت قريش تتحاكم إليه في خصوماتها ومنافراتها وهو جد عمر بن الخطاب.

(٤) شاعر أموي اسمه عبد الله وقيل عبادة بن المضرحي والقتال لقب غلب عليه لتمرده وفتكه، سكن شعاب الجبال عشر سنين بعد أن فر من جناباته المتكررة حيث عاش حياة بدائية يصطاد الحيوانات بالنبال ثم سجنه عامل مروان بن الحكم علي المدينة لكنه قتل سجانه وهرب من السجن وهرب معه كل السجناء! في شعره كما في شخصيته بداوة وأنفة.



وقال الشمردل<sup>(١)</sup>:

يَشْبَهُونَ مُلُوكاً فِي تَجَلَّتِهِمْ      وَطُولِ أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ وَاللِّمَمِ  
إِذَا بَدَا الْمَسْكُ نَيْدِي مِنْ مَفَارِقِهِمْ      رَاحُوا كَأَنَّهُمْ مَرَضَى مِنَ الْكِرَمِ  
وقال أحد بني سعد<sup>(٢)</sup>:

وَلَمَّا تَقَى الصَّفَانَ وَاخْتَلَفَ الْقَنَا      نِهَالاً وَأَسْبَابُ الْمَنَايَا نِهَالَهَا<sup>(٣)</sup>  
تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْقِمَاءَةَ ذَلَّةٌ      وَإِنَّ أَعْرَاءَ الرِّجَالِ طَوَالَهَا  
وقال هو؛ أو غيره؛ من بني سعد أيضاً:

وَمَحْتَضِرُ الْمَنَافِعِ أَرْحِي      نَبِيلٌ فِي مَعَاوِزَةٍ<sup>(٤)</sup> طَوَالٌ  
وقال آخر:

فَجَاءَتْ بِهِ سِبْطُ الْمِظَامِ كَأَنَّمَا      عِمَامَتُهُ بَيْنَ الرِّجَالِ لِيَوَاءِ  
وقال كعب بن سعد الغنوي<sup>(٥)</sup>:

كِعَالِيَةِ الرُّمَحِ الرَّقِيبِيِّ لَمْ يَكُنْ      إِذَا ابْتَدَرَ الْخَيْلَ الرِّجَالُ يَخِيبُ  
وقال أبو جويرية العبدي<sup>(٦)</sup>:

(١) الشمردل بن شريك بن عبد الملك، من بني ثعلبة بن يربوع، من تميم. شاعر هجاء، والشعراء المعروفون باسم الشمردل خمسة، وهذا أشهرهم.

(٢) أثال بن عبدة بن الطيب.

(٣) نهالها، أي: أول ما يقع منها يكون سبباً لما بعده.

(٤) معاوزة: جمع معوز «معاوز» ولكن لأنه جمع مؤنث جاز إضافة الهاء.

(٥) كعب بن سعد بن عمرو الغنوي، من بني غنم من قيس بن عيلان. شاعر مخضرم مجيد وشعره يحتج به عند أهل اللغة وكان له أخ يدعى أبا المغوار قتل في حرب ذي قار، رثاه فصارت من المراثي المعدودة عند العرب واشتهر بها. وكان يكثر من اقتباس الأمثال في شعره، فعرف بكعب الأمثال.

(٦) أبو الجويرية العبدي واسمه عيسى ابن أوس بن عصبه شاعر محسن متمكن ودخل أبو =

طويلُ نِجَادِ السَّيْفِ حَتَّى كَأَنَّهُ      بأعلى سنامي فالجِ يَنْطَوِّحُ  
 إِذَا إِعْتَمَّ بِالبُرْدِ الِيمَانِي خِلْتُهُ      هلالاً بدا مِنْ جَانِبِ الأفقِ يَلْمَحُ  
 وَأُنشِدُ مسعود بن بشر المازني:  
 لَهُم أَوْجُهُ بِيضٌ حِسَانٌ وَأَذْرُعُ      طَوَالٌ وَمِنْ سِيَمَا المَلُوكِ نِجَارُ  
 وَقَالَ سِلْمُ الخَاسِرُ<sup>(١)</sup>:  
 يَقُومُ مَعَ الرُّمَحِ الرُّدَيْنِي قَائِماً      وَيَقْصُرُ عَنْهُ وَصَفُّ كُلِّ نِجَارِ  
 وَقَالَ الحُخَيْمِيُّ:  
 يُوَاوِزِي الرُّدَيْنِي فِي طُولِهِ      وَيَقْصُرُ عَنْهُ نِجَادُ الحُسَامِ  
 وَقَالَ مروان ابن أبي حفصة<sup>(٢)</sup>؛ في المهدي:  
 قَصُرَتْ حَمَائِلُهُ عَلَيْهِ فَكَلَّصَتْ      وَلَقَدْ تَحَقَّقَتْ قَيْنُهَا فَأَطَالَهَا  
 وَمَا أَحْسَنُ؛ قول أبي فراس؛ في الرشيد:  
 سَبَطَ البَنَانُ إِذَا إِحْتَبَى بِنِجَادِهِ      فَرَعَ الجَمَاجِمَ وَالسِّمَاطَ قِيَامُ  
 وَقَالَ أبو الطيب<sup>(٣)</sup>:

= الجويرية علي خالد بن عبد الله القسري فأنشده فقال خالد هيهات يا أبا ربيعة مات الندي ومات الكرام. فخرمه.

(١) هو سلّم بن عمرو بن حمّاد، أحد شعراء العصر العباسي الأول ولد في البصرة وفيها نشأ. عاش فترة في بغداد وكان من المقرّبين لكثير من الولاة والخلفاء العباسيين. واشتهر بمجونه ولهوه، وقيل في سبب تسميته بالخاسر أنه باع مصحفاً كان ورثه عن أبيه واشترى بثمنه طنبوراً، أو دفتر شعر، توفي سنة ١٨٦هـ.

(٢) مروان بن سليمان بن يحيى أبي حفصة شاعر عالي الطبقة، مولى مروان بن الحكم، الأموي. أعتقه مروان يوم الدار. وقيل: بل كان أبو حفصة طبيباً يهودياً، فأسلم على يد عثمان، أو يد مروان، ويقال: إن أبا حفصة من سبي اصطخر. وكان مروان بن أبي حفصة من أهل اليمامة، فقدم بغداد، ومدح المهدي والرشيد.

(٣) أبو الطيب المتنبي. أحد أعظم شعراء العرب، له مكانة سامية لم تتح مثلها لغيره من =

قُلُوبُهُمْ فِي مَضَاءِ مَا امْتَشَقُوا قَامَاتُهُمْ فِي تَمَامِ مَا اغْتَقَلُوا

ويدخل فيه؛ كلما جاء في مدح الطول؛ والتمدح به؛ قول المرتضى؛  
والأصل قول عترة<sup>(١)</sup>:

بَطْلٌ كَأَنَّ إِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ يُخَذِي نِعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ  
أَوْ قَوْلِ الأَعْشَى<sup>(٢)</sup>:

طَوِيلُ النِّجَادِ رَفِيعُ العِمَادِ يَحْمِي المُضَافَ وَيُغْنِي الفَقِيرَا

مع أنا لن نَعُوْزَ من قِبَلِهِمَا؛ الشناء الجم؛ على الطوال؛ ومنه ما جاء  
في حديث أم زرع؛ من قول إحداهن: زَوْجِي رَفِيعُ العِمَادِ، طَوِيلُ النِّجَادِ،  
عَظِيمُ الرَّمَادِ، قَرِيبُ البَيْتِ مِنَ النَّادِ. وفي حفطي؛ أَنَّهُنَّ من نساء اليمن؛  
وَأَنَّهُنَّ أقدم من العبسي والأعشى؛ وقد جاء في قوله تعالى: ﴿...وَزَادَهُمْ بِسَطَةً فِي  
أَلْمَلِ وَالْجَنَسِ...﴾<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى: ﴿...وَزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَعْضَةً...﴾<sup>(٤)</sup>  
فهو الفضاء الواسع، والطريق المهيع؛ فلا إغراب ولا إعجاب؛ وإنما  
المعجب؛ في التنبيه للغواصي؛ ما يشبه قول سبيع بن الحطيم التيمي<sup>(٥)</sup>؛ لزيد

= شعراء العربية. فيوصف بأنه نادرة زمانه، وأعجوبة عصره، وهو شاعر حكيم، وأحد مفاخر  
الأدب العربي. وتدور معظم قصائده حول مدح الملوك. عاش أفضل أيام حياته وأكثرها  
عطاء في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب.

(١) عترة بن بن شداد العبسي أحد أشهر شعراء العرب في فترة ما قبل الإسلام، اشتهر بشعر  
الفروسية، وله معلقة مشهورة. وهو أشهر فرسان العرب وأشعرهم وشاعر المعلقات  
والمعروف بنزله العفيف بعبلة.

(٢) هو ميمون بن قيس بن جندل نزار. لقب بالأعشى لأنه كان ضعيف البصر، ويقال له: أعشى  
قيس والأعشى الأكبر. أدرك الإسلام ولم يسلم، وتوفي سنة ٥٧هـ. ولقب بالأعشى لضعف  
بصره، وهو من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، كان يغني شعره فلقب بصنّاعة العرب.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٦٩.

(٥) سبيع بن الحطيم التيمي بن عبد مناة، شاعر فارس جاهلي عاصر بعض الإسلاميين، وكان  
فارس نخلة، وشهد يوم جرع طلال.

الفوارس<sup>(١)</sup>؛ بعد أن نقع غلته؛ وأروى حرّته:

نَبَّهْتُ زَيْدًا فَلَمْ أَفْرَغْ إِلَى نَكْلِ رَثِّ السِّلَاحِ وَلَا فِي الْحَيِّ مَغْمُورِ  
سَأَلْتُ عَلَيْهِ شِعَابَ الْحَيِّ حِينَ دَعَا أَنْصَارَهُ بِوَجْوهِ كَالدُّنَانِيزِرِ

فما أحسن ما وصفهم به؛ من الكثرة والسرعة؛ والطلاقة والجمال؛ وأما التنبيه للحرب؛ في الصباح؛ فمن أقرب المألوفات؛ حتى لقد صار شعار الصريخ؛ أن يقول: (واصباحاه)؛ صباحا كان الوقت؛ أم غيره؛ مشيا مع الغالب؛ واتباعاً للمعهود؛ حتى كان المتروفي ضرطاً<sup>(٢)</sup>؛ وهو أجبن الناس! يقول لامرأته؛ كلما نبهته للاصطباح: لو لعادية تبييني! حتى جاءته الطامة؛ فكان ما كان!

وقال عمرو بن كلثوم<sup>(٣)</sup>:

قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَائِمَ قُبَيْلِ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا

وقال أبو الطيب:

إِذَا ارْتَقَبُوا صُبْحًا رَأَوْ قَبْلَ ضَوْوهِ كِتَابَ لَا يَزِيدِي الصُّبْحُ كَمَا تَرْدِي

وقال المعري<sup>(٤)</sup>:

(١) زيد الفوارس بن حصين بن ضرار ضبية، فارس من فرسان بني تميم وسيد من ساداتهم قُتل أبوه في معركة فلما علم سار في طلب من قتله فاستقبله سبعة فرسان فوالى بينهم وقتلهم، فسَمِيَ بعدها يزيد الفوارس.

(٢) أجبن من المتروفي ضرطاً؛ يضرب به المثل في الجبن؛ وهو رجل كان إذا نبهته امرأته للصبح يقول: لو نبهتني لغارة! فجاءته يوماً تنبيهه لغارة فقالت: الخيل، فجعل يقول الخيل؛ ويضطر حتى مات.

(٣) هو عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي، كان شاعراً فارساً عظيماً عاش في الجاهلية وتزعم قبيلة تغلب وهو في الخامسة عشرة من عمره، وقد اشتهر بقتله الملك عمرو بن هند، وقد نبغ عمرو بن كلثوم صغيراً ودانت له رقاب صناديد القبيلة اعترافاً بنبوغه المبكر وهو من شعراء المعلقات.

(٤) أبو العلاء المعري شاعر وفيلسوف وأديب عربي من العصر العباسي، ولد وتوفي في =

يَغْرَنَ عَلَيَّ اللَّيْلُ إِذْ كُلُّ غَارَةٍ      يَكُونُ لَهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ تَوَالِي  
وقال أبو فراس:

وَيَا رَبِّ دَارٌ لَمْ تُخْفِنِي مَنِيْعَةً      طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِالرَّدَى أَنَا وَالْفَجْرُ  
وَسَاحِبَةُ الْأَذْيَالِ نَحْوِي لَقِيْتُهَا      فَلَمْ يَلْقَهَا جَهْمُ اللَّقَاءِ وَلَا عَرُ  
وَهَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ الْجَيْشُ كُلُّهُ      وَرَحْتُ وَلَمْ يَكْشِفْ لِأَثْوَابِهَا سِتْرُ  
وإنما سقت الأبيات؛ مع اختصاص الشاهد بالأول؛ لأنني سأحتاجها عما قريب؛ والأخير؛ أجمل وأفضل؛ من قول المتنبي:

فَقَدْ تَهَبَّ الْجَيْشَ الَّذِي جَاءَ غَازِبًا      لِسَائِلِكَ الْفَرْدِ الَّذِي جَاءَ عَافِيَا  
أما بشار<sup>(١)</sup>؛ فقد تَلَبَّتْ بالغارة قليلاً؛ في قوله:

وَجَيْشٍ كَجُنْحِ اللَّيْلِ يَزْحَفُ بِالْحَصَى      وَبِالشُّوكِ وَالْحَطِيَّيِ حُمُرٌ نَعَالِبُهُ  
غَدُونَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خِدْرِ أُمِّهَا      تُطَالِعُنَا وَالظَّلَّ لَمْ يَجِرْ دَائِبُهُ

فهذا والله؛ الكلام الذي يفتح العود؛ ويملك الشعور؛ ويقلق الجنوب، ويفلق القلوب؛ وتَعَقَّدْ له الأصابع؛ لا ما تتعلل به؛ عن أهل الصف الرابع؛ وما أكثر ما جاء في الذكر الحكيم؛ من إنزال العقوبات؛ في الصباح؛ كقوله تعالى في سورة هود: ﴿...إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى في سورة الحجر: ﴿...أَنْتَ دَايِرٌ هَلْوَالَهُ مَفْطُوحٌ مُصْحِحِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى في سورة القمر:

= معرفة النعمان. لقب برهين المحبسين بعد أن اعتزل الناس لبعض الوقت اشتهر بأرائه وفلسفته المثيرة للجدل في وقته، وهاجم عقائد الدين.

(١) بشار بن برد العقيلي شاعر مخضرم عاصر نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية. كان ضريراً منذ ولادته، دميم الخلق، طويلاً، ضخماً الجسم وأصله من فارس كان هجاء، فاحش في شعره، هجى الخليفة المهدي وهجى العلماء والنحاة واتهم في آخر حياته بالزندقة. فضرب بالسياط حتى مات.

(٢) سورة هود، الآية: ٨١.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٦٦.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿فَالغَيْرَاتِ صُبْحًا﴾<sup>(٢)</sup> وقال العباس ابن مرداس<sup>(٣)</sup>:

سَرِينَا وَوَاعَدْنَا قَدِيدًا مُحَمَّدَا      يَوْمٌ بِنَا امْرَأً مِنَ اللّٰهِ مُحَكَّمَا  
تَمَارُوا بِنَا فِي الْفَجْرِ حَتَّى تَبِينُوا      مَعَ الْفَجْرِ فَثِيَانًا وَغَابًا مُّقْوَمَا  
عَلَى الْخَيْلِ مَشْدُودًا عَلَيْنَا دُرُوعَنَا      وَرَجُلًا كَدْفَاعِ الْآتِيِّ عَرْمَرَمَا

وما صحا يهود خيبر؛ مع الفجر؛ إلا على جلبة الجيش، فقالوا: محمد والخميس؛ فقال ﷺ: الله أكبر؛ هلكت خيبر؛ إننا إذا نزلنا بساحة قوم؛ فساء صباح المنذرين؛ وفي الصحيح؛ أنه ﷺ، كان لا يغير حتى يُصْبِحُ، فإن سمع أذاناً؛ كَنَ<sup>(٤)</sup>؛ وإلّا؛ أغار، وقال جرير؛ يصف ما فعل الجحّاف<sup>(٥)</sup>؛ بني تغلب:

سَمَا<sup>(٦)</sup> لَيْلًا كَانَ نُجُومُهُ      قَنَادِيلُ فِيهِنَّ الذِّبَالُ الْمُقْتَلُ  
فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى تَبِينُوا      كِرَادَيْسَ<sup>(٧)</sup> يَهْدِيهِنَّ وَرُدُّ مَحْجَلُ  
وقال ربيعة بن مقروم الضبي<sup>(٨)</sup>:

هَئِنُّ بُرَاحُ إِلَى النَّدَى نَبَهُهُ      وَالصُّبْحُ سَاطِعٌ لَوْنُهُ لَمْ يَنْجَلِ

(١) سورة القمر، الآية: ٣٨.

(٢) سورة العاديات، الآية: ٣.

(٣) العباس بن مرداس السلمي صحابي وشاعر من المخضرمين ممن اشتهروا في بداية عهد الإسلام وقبله وكان من سادات قومه بني سليم.

(٤) كَنَ: سكن واستتر.

(٥) الجحّاف بن حكيم وهو الذي اغار على البشر وهي منازل بني تغلب في حروب قيس وتغلب فأسرف في القتل.

(٦) سما لهم: أي نهض لقتالهم.

(٧) الكراديس: قطعة عظيمة من الخيالة أو الجيش.

(٨) ربيعة بن مقروم بن قيس الضبي، من شعراء الحماسة، ومن مخضرمي الجاهلية والإسلام وفد على كسرى في الجاهلية، وشهد بعض الفتوح في الإسلام وحضر وقعة القادسية.

وأثنى بعده الأستاذ<sup>(١)</sup> على قوله :

لِفَارَةٍ سَامِعٍ أَنْبَاءِهَا      بَعْضُ مِنْهَا بِالرَّالِ الْقِرَاحِ

وقال: إذا كان هذا حال السامع، فكيف بالشاهد؛ وأقول انه بيت عادي؛ لا توضع اليد منه على غريب؛ وقد اجتمع معناه؛ مع تعليق زكي<sup>(٢)</sup> عليه؛ في قول البحرى:

إِذَا الْخَبِرُ اسْتَحَقَّكَ مِنْ سُرُورِ      نِنَاهُ فَكَيْفَ ظَنُّكَ بِالْعِيَانِ  
وهو من قول حبيب<sup>(٣)</sup>:

لَوْ أَنَّ هَذَا الْفَتْحُ شَكَ لَأَكْتَفَتْ      مِنْهُ الْقُلُوبُ فَكَيْفَ وَهُوَ يَقِينُ  
وما أحسن قول الشريف نفسه؛ في رثائه؛ لتقيّة بنت سيف الدولة:

إِذَا ابْتَدَرْتُ نِسَاؤَهُمُ الْمَسَاعِي      فَمَا ظَنُّنِي وَظَنُّكَ بِالرَّجَالِ  
وفي نادرة لبعض القضاة؛ ما يزيد عليه، وحاصلها؛ أن امرأة شكّت إلى قاض؛ بول زوجها؛ في الفراش، فأحسّ الرجل بتوجه القضاء عليه؛ فاستمهل؛ ريثما يقص خبره؛ فقال له: ما هو؟ قال: أرى في النوم كأنني على نخلة، في ظهر جمل، على قمة جبل، وعندما يمد الجمل عنقه؛ ليشرب من ماء؛ في مستوى الأرض، تنتكس النخلة، فيدركني من الهول؛ ما يُطْلِقُ عَلَيَّ الْبُولَ، فارتاع القاضي، لذلك الوصف، حتى بال في ثيابه، فَعَدَّرَ الرَّجُلَ، وقال: إذا كان هذا من سماعي للوصف، فكيف بمن يشاهده عياناً، وقال ابن المنجم<sup>(٤)</sup>:

(١) الأستاذ زكي مبارك اثني على الشريف الرضي.

(٢) زكي مبارك.

(٣) أبو تمام.

(٤) أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى ابن أبي منصور، ابن المنجم الأديب الشاعر المتكلم النديم. أحد أعلام بني المنجم المعروفين بأدبهم وعلمهم وظرفهم ومناذمتهم للخلفاء العباسيين، يعودون بنسبهم الفارسي إلى يزدجرد.

لو سمعنا بمثل ما نالنا أف — رَزَعْنَا مِنْهُ فِي سَوَاثِنَا السَّمَاعُ  
من قصيدة لها قصة، أوردها بن خلكان<sup>(١)</sup> في ترجمته، واسمه يحيى،  
وكانت وفاته في سنة ثلاثمائة.

وقال جَسَّاسٌ؛ يوم قُتِلَ كَلِيبَا؛ لأخيه نضلة، أو لأبيه مُرَّة:

وإِنِّي قَدْ جَنَيْتُ عَلَيْكَ حَرْبًا تَغْصُّ الشَّيْخَ بِالمَاءِ القُرَاحِ  
فقال أخوه؛ أو أبوه:

فإِنْ تَكُ قَدْ جَنَيْتَ عَلَيَّ حَرْبًا فَلَا وَانٍ<sup>(٢)</sup> وَلَا رَتَّ السِّلَاحِ  
فالمعنى متداول؛ واللفظ؛ بمدارج الطرق؛ وانما المؤثر؛ في التهديد  
بالحرب؛ قول أبي عزة؛ شاعر قريش<sup>(٣)</sup>:

إِنِّي إِزْهَبُ حَرْبًا لِاقِحَا يَشْرُقُ المُرْضِعُ فِيهَا بِالمَلْبِنِ  
إذ لا يخفى؛ أن اللبن؛ اسوغ من الماء؛ ولا يبعد عنه؛ قول مهلهل<sup>(٤)</sup>؛ في  
منتقاته:

مُضْطَلَعًا بِالمُؤْمَرِ يَسْمُو لَهْ فِي يَوْمٍ لَا يَنْسَاغُ حَلَقُ بِرِيقِ

(١) أحمد بن محمد بن خلكان يكنى «أبو العباس» مؤرخ وقاض وأديب يعد من اعلام مدينة دمشق، وهو صاحب كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان وهو أشهر كتب التراجم العربية، ومن أحسنها ضبطاً وإحكاماً. وتوفي بمدينة دمشق سنة ٦٨١هـ.

(٢) الواني: الضعيف البدن.

(٣) أبو عزة الجمحي شاعر جاهلي خرج مع أهل مكة يوم بدر، فوقع في الاسر ولم يجد من يفتديه وكان كثير العيال وقال من للصبية يا محمد! فعفى عنه رسول الله ﷺ على ان لا يعود للمشركين، فلما كانت معركة أحد خرج مرة أخرى مع أهل مكة يؤلب القبائل على المسلمين فوقع في الاسر، فلما وقف بين يدي الرسول ﷺ قال: من للصبية، فقال الرسول ﷺ: النار!، لا تمسح عارضيك بمكة وتقول خدعت محمدا مرتين! فقتل صبياً، قيل قتله علي بن أبي طالب وقيل رجل من الأنصار.

(٤) المهلهل بن ربيعة من قبيلة تغلب ويكنى بالزبير سالم شاعر ومن ابطال العرب في الجاهلية.



ومما كان تمثل به؛ أبو بكر الصديق؛ حين أتاه كتاب خالد؛ بالانتصار على الأعاجم؛ قول الأول:

تَمَنَّا لِبَلْقَانَا بِقَوْمٍ      تَخَالُ بِيَاضُ لَامُهُمُ السَّرَابَا  
فَقَدْ لَأَقِيَنَّاهُ فَرَايَتَ حَرْبًا      عَوَانًا تَمْنَعُ الشَّيْخَ الشَّرَابَا

وقال ابن هرمة<sup>(١)</sup>؛ يمدح عبد الواحد بن سليمان<sup>(٢)</sup>:

أَعْبَدَ الْوَاحِدَ الْمِيمُونَ إِيَّيَ      أَعْصُ حِذَارَ سَخِطِكَ بِالسُّقْرَا  
وقال ابن قيس الرقيات<sup>(٣)</sup>:

كَيْفَ نَوِيَّ عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا      تَشْمَلُ الشَّامَ غَارَةٌ شَعْوَاءُ  
تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنِ بَنِيهِ وَتُبْدِي      عَنِ بُرَاهَا الْعَقِيلَةَ الْعَنْدَرَاءُ

والرواية عن خدام؛ بخلاف التنوين للضرورة، والعقيلة فاعل تُبْدِي، والذي ذكرته؛ أسلم وأحکم، وقد قال العباس بن مرداس:

أَنَا الرَّجُلُ الَّذِي حَدَّثْتُ عَنْهُ      إِذَا الْخَفَرَاتُ لَمْ تَسْتُرْ بُرَاهَا

وهو من قوله جل ذكره: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّيهِ وَيَأْبُوهُ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبِيهِ وَيَأْبُوهُ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرُودُنَهَا نَاذِلًا كُلُّ مِرْضَعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ...﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) إبراهيم بن هرمة القرشي شاعر غزل من سكان المدينة عاصر الدولتين الأموية والعباسية وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم قال الأصمعي ختم الشعر بابن هرمة.

(٢) عبد الواحد بن سليمان هو أحد أمراء المدينة المنورة في عهد الخلافة الأموية.. كان شديداً قاسياً كأيه وأجداده.

(٣) ابن قيس الرقيات هو عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك شاعر قرشي في العصر الأموي، سمي قيس الرقيات لأنه كان يتغزل بثلاث نساء اسم كل واحدة منهن رقية، كان مقيماً في المدينة، وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان.

(٤) سورة عبس، الآيات: ٣٤، ٣٥، ٣٦.

(٥) سورة الحج، الآية: ٢.

وما أبلغ في وصف الحرب؛ مما ذكره ابن خلكان؛ عن عمرو بن العاص؛  
في ترجمة ابن الكلبي؛ فليكشف عنها.

وللشريف؛ ما هو أعذب في الموضوع؛ كقوله:

وأيامٌ تُشَنُّ بِهَا الْمَنَايَا      عوابسٌ يَظْلَعْنَ مِنَ النَّوَاجِي  
إذا ريعَ الشُّجَاعُ بِهِنَّ قَلْباً      لأمْرِغَصَّ بِالْمَاءِ الْقُرَاحِ  
ثم اتنى الأستاذ<sup>(١)</sup> على قول الشريف:

دُونَكُمْوَا فابْتَلِيْزُوا غُنْمَهَا      دُمَى مُبَاخَاتٍ وَمَالٌ مُبَاخِ

وقال: إنَّ النساء والأموال؛ من اعظم مغانم الحروب؛ ونقول: اما  
الحديث فمُصْرَحٌ: بأنَّ لا شهادة؛ لمن تمحض قتاله<sup>(٢)</sup> للمغنم. وقد ذكر غير  
واحد؛ ممن ترجم لتيمورلنك؛ انه لما استولى على حلب؛ بعد ان كاد يستأصل  
أهلها، استدعى العلماء والقضاة؛ للسلام عليه، واخذ يتعنثهم بالمسائل، على  
جاري عاداته مع أمثالهم، ومن ذلك انه قال لهم: لقد أخذت السيوف مآخذها منا  
ومنكم! فقتلى من في الجنة؟ وقتلى من في النار؟ فأجابه ابن الشحنة<sup>(٣)</sup> بقوله:  
لقد سئل رسول الله ﷺ؛ عن نفس المسألة، فأعظم ذلك تيمورلنك، وامتدت عنقه  
للجواب، وقال: كيف؟ فقال: ثبت في الصحيح، أن قاتلاً قال لرسول الله ﷺ:  
«الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليرى مكانه فقال: من قاتل لتكون كلمة  
الله هي العليا فهو في الجنة أو ما هذا معناه»<sup>(٤)</sup> فكاند تيمور يخرج من أهابه؛ من

(١) زكي مبارك.

(٢) انكشف.

(٣) أحمد بن محمد ابن الشحنة الثقفي الحلبي: قاض، مولده ووفاته بحلب. ناب عن جده في  
كتابة السرِّ بالقاهرة، وولي قضاء الحنفية ببلده، ومات بالطاعون. له (لسان الحكام في  
معرفة الأحكام - ط) ألفه حين ولي القضاء، ولم يتمه.

(٤) عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال الرجلُ يُقاتلُ للمغنمِ والرجلُ =

استحسان الجواب؛ وأما العرب؛ فهذا بشر ابن أبي حازم؛ يذم بني نمير؛ بشدة  
الحرص على المغنم؛ حيث يقول:

وَبُنُوْ نَمَيْرٍ قَدْ لَقِينَا مِنْهُمْ  
خَيْلاً تَضِبُّ لِثَانَهَا لِلْمَغْنَمِ  
وقال عمرو بن كلثوم:

فَأَبَوْا بِالنِّهَابِ وَبِالسَّبَايَا  
وَأَبْنَاءَ الْمَلُوكِ مُصَفِّدِينَ  
وقال زفر بن الحارث<sup>(١)</sup>؛ أو نابغة بني جعد<sup>(٢)</sup>:

مَلَكْنَا فَلَمْ نَكْشِفْ قِنَاعاً لِحُرَّةٍ  
وَلَوْ أَنَّا شِئْنَا سِوَى ذَاكَ أَصْبَحَتْ  
وَلَمْ نَسْتَلِبْ إِلَّا الْحَدِيدَ الْمُسَمَّرَا  
كِرَائِمُهُمْ فِينَا تُبَاعُ وَتَشْتَرَى  
وقال أخو عبس<sup>(٣)</sup>:

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيْعَةَ أَنِّي  
أَغْشَى الْوَعَى وَأَعْفُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ  
وقال:

إِذَا التَّقِيْتُ الْأَعَادِي يَوْمَ مَعْرَكَةٍ  
لِي التُّفُوسُ؛ وَلِلطَّبِيرِ اللَّحُومُ؛ وَلِلـ  
تَرَكْتُ جَمْعَهُمُ الْمَغْرُورَ يُنْتَهَبُ  
وَوَحْشِ الْعِظَامُ؛ وَلِلخَيْالَةِ السَّلْبِ

وبعضهم يعزوا هذين البيتين؛ لأحد المتأخرين؛ وأحرى بمن عفت؛ حتى  
عن السلب؛ أن يعفَّ رجاله عما وراءه؛ واختلفت الراوية في قوله:

= يُفَاتِلُ لِلذَّكْرِ وَالرَّجُلُ يُفَاتِلُ لِيَرَى مَكَانَهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ مَنْ قَاتَلَ لِيَتَكُونَ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ  
الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

(١) زفر بن الحارث سكن البصرة وكان من الأمراء وخرج مع جيشها لإعانة عثمان بن عفان؛  
شهد الجمل مع السيدة عائشة وصفين مع معاوية.

(٢) من شعراء الجاهلية ثم أسلم واشترك في فتح فارس ثم شهد معركة صفين مع علي عليه السلام.

(٣) عنترة بن شداد العبسي؛ شاعر جاهلي من شعراء المعلقات، وفارس مشهور، اشتهر بحبه  
لعبلة.

نَحْنُ قَوْمٌ تُذِيبُنَا الْأَغْيُنُ النَّـ َجَلُّ عَلَى أَنَّا نُذِيبُ الْحَدِيدًا  
 وَتَرَانَا لَدَى الْكَرْبِهِةِ أُخْرًا ِرَأُ وَفِي السِّلْمِ لِلْمَعْوَانِي عَبِيدًا  
 فقيل لعلي بن محمد العلوي<sup>(١)</sup>، وقيل لعبد الله بن طاهر بن الحسين<sup>(٢)</sup>،  
 وقيل لأصرم بن حميد؛ ومدوح أبي تمام؛ وعن الأمير الجليل؛ السيد عبد القادر  
 الجزائري؛ انهما لبعض الخلفاء الفاطميين بمصر؛ وأنه غزا الشام؛ فحاصر  
 إحدى مدنها؛ حتى تضرر أهلها؛ فقالت لهم امرأة؛ مشهورة بالجمال: إن أذنتم  
 رَحَلَتْهُ عَنْكُمْ! فقالوا لها: دونك؛ فخرجت إليه؛ وقالت له: ألسنت القائل:  
 وأنشدت البيتين؛ فقال: نعم! فحسرت اللثام؛ وقالت: إن كنت صادقاً؛ فانصرف  
 عتاً؛ فأمر بالرحيل من ساعته؛ وقد ذكرت في العود الهندي<sup>(٣)</sup>؛ انه التزم ما لا  
 يلزمه؛ إذ لم يعترف بالعبودية للغواني؛ إلا في السلم، ولكنه أجمل وأفضل،  
 وذكروا: أنَّ محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن الجون؛ خرج في أيام  
 المتوكل؛ ونهب قافلة الحجيج؛ وفيها حمدونية؛ ابنة عيسى بن موسى، ولما  
 استعرفت إليه؛ ردَّ عليها جميع ما كان احتازه الجيش؛ ولم يكشف لها كنفاً؛ في  
 حديث ممتع طويل لذيذ؛ فإن شهد التاريخ لأبي فراس بحادثة مثلها؛ والا فليعلم  
 الناظر؛ أنَّ أبياته السابقة؛ إنما كانت على حساب الشريف؛ لا من كيسه؛ وقال  
 أعشى همدان<sup>(٤)</sup>:

- (١) ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب كان نقيب العلويين بالكوفة وشاعرهم في العصر العباسي تنوعت اغراض شعره وتوفي سنة ٣٠١هـ.
- (٢) الأمير العادل قلده المأمون العباسي مصر وافريقية ثم ولاء خراسان تادب وتفقه على وكيع وغيره وروى عنه ابن راهويه وغيره وكان له في النظم والنثر وكان ملكاً مطاعاً جوداً مهاباً سياسياً مدحاً من رجال الكمال ومات سنة ٢٣٢هـ وله ٤٨ سنة.
- (٣) كتاب ادبي مطبوع من مؤلفات الإمام بن عبيد اللاه.
- (٤) من قبيلة حاشد الهمدانية ومن شعراء العصر العباسي المقدمين وكان باديء امره من الفقهاء ثم انصرف إلى الشعر وبرز فيه وكان أيضاً فارساً شجاعاً اشترك في كثير من الغزوات والفتوح الإسلامية.

وَأَرَى مَغَانِمَ لَوْ أَشَاءَ حَوَيْثُهَا      فَيَصْدُنِّي عَنْهَا حَبًا وَتَعَفُفِ  
وقال أبو تمام:

إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتْهَا      يَوْمَ الْكَرْيَهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ  
وقال أبو الطيب:

فَتَى لَا تَسْلُبُ الْقَتْلَى يَدَاهُ      وَيَسْلُبُ عَفْوَهُ الْأَسْرَى الْوَثَاقَا  
وقال:

نَهَاهَا وَاعْتَاهَا عَنِ النَّهْبِ جُودُهُ      فَمَا تَبْتَغِي لِإِحْمَاءِ الْحَقَائِقَا

وما كان أولى بالرضي؛ على شرف بيته؛ وطيب أرومته، وكرم نجره<sup>(١)</sup>؛ أن يتسمت هذه الآثار، ويطأ تلك الاعقاب؛ ولكنه لم يفعل؛ بل صغّر من رجاله؛ إلى حد بعيد؛ إذ أشار؛ إلى أن أكبر ما يهيجهم به للحرب؛ المغنم؛ ولو أنه جعله ضميمة إلى غيره؛ لم يتفد الانتقاد إليه؛ لأن المغنم من اطيّب المكاسب؛ وقد قال ﷺ: «وجعل رزقي تحت ظل رمحي»<sup>(٢)</sup> ومن المُطْرِب: قول أبي فراس:

وَمَا تَجْنِي سُرَاةُ بَنِي أَبِيْنَا      سَوَى ثَمَرَاتِ أَطْرَافِ الْعَوَالِي  
مَمَالِكُنَا مَكَايِبُنَا إِذَا مَا      تَوَارَتْهَا رِجَالٌ عَنْ رِجَالِ

ومما يختار للشريف؛ من نحو قوله:

لَكُمْ الْفُضُولُ إِذَا تَكُونُ وَقِيعةُ      أَوْ غَارَةٌ وَلَهُمْ صَفِي الْمَنَمِ  
أما إذ جعل الشريف هنا؛ المغنم؛ الكلّ في الكلّ؛ فقد انفتح إليه؛ على

(١) النَّجْرُ الْأَصْلُ. طَيْبُ الْأُرُومَةِ: كَرِيمُ الْأَصْلِ وَالْأُرُومِ؛ أَسْلُ الشَّجَرَةِ، أَوْ مَا يَبْقَى مِنْهَا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ قَطْعِهَا، وَتُسْتَعْمَلُ لِلْحَسَبِ.

(٢) هَذَا الْحَدِيثُ قَالَ فِيهِ الْعِرَاقِيُّ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْأَحْيَاءِ إِسْنَادَهُ صَحِيحٌ، وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مَعْلَقًا وَذَكَرَ ابْنُ حَجْرٍ أَنَّ لَهُ شَاهِدًا بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ لَكِنِّهِ مَرْسَلٌ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَقَدْ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ.

مصراعيه؛ باب الانتقاد؛ وغير بعيد؛ أن يكون المعرّي؛ أراد التعريض به؛ في قوله:

أَذْنَى الْفَوَارِسِ مَنْ يَغْيِرُ لِمَغْتَمٍ فَاجْعَلْ مَفَارِكَ لِلْمَكَارِمِ تَحْرُمِ  
 بيد أن الشريف؛ ترفع عن هذه الملاحظة؛ في غير موضع من ديوانه؛ كما في قوله؛ من الأخرى:

تُعَدُّ عَنِ الْغَنَمِ الْقَرِيبِ الْمُجْتَنَى سُرْعُ إِلَى الطَّلَبِ الْبَعِيدِ الْمَنْزَعِ  
 وهو من قوله ﷺ؛ «لأنصار: إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع»<sup>(١)</sup>.

وكما في قوله:

وَعَظَمْتَ قَدْرًا أَنْ يَرُوقَكَ مَغْتَمٌ أَوْ أَنْ يَصِيرَ عَلَى بَنَانِكَ دِرْهَمٌ  
 ثم أكبر قوله:

فَأَنَا فِي أَرْضِ أَعْدَائِنَا لَا نَطَأُ الْعَذْرَاءَ إِلَّا سِفَاخَ  
 ونقول: ومهما اعتذر الأستاذ<sup>(٢)</sup>؛ عن شناعة اللفظ؛ فليس البيت بشيء؛ بالنسبة لقول الفرزدق:

وَدَأَتْ حَلِيلٍ أَنْكَحَتْهَا رِمَاحُنَا حَلَالًا لَنَا مِنْ زَوْجِهَا لَمْ تُنْطَلَقْ  
 ولئن كان قول الشريف: في أرض أعدائنا؛ دليل قوة القلب، ورباطة الجأش، واتساع الخاطر، ورسوخ القدم؛ على حدّ قول حبيب<sup>(٣)</sup>:

(١) حديث النبي ﷺ: أنه كان إذا أشرف على بني عبد الأشهل قال والله ما علمت إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع، يرويه الواقدي عن ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن محمود بن لبيد). هو الواقدي، متروك مع سعة علمه. وقد نسيه صاحب كنز العمال (٣٧٩٥١) إلى العسكري في الأمثال.

(٢) زكي مبارك.

(٣) أبو تمام.

عَادَرَتْ أَرْضَهُمْ لَخَيْلِكَ فِي الْوَعَى      وَكَأَنَّ أَمْتَعَهَا لَهَا مِضْمَارُ  
وَأَقَمْتَ فِيهِمْ وَإِدِعَا مُتَمَهَلًا      حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهَا لَكَ دَارُ

وفي الصحيح؛ أنه ﷺ؛ إذا ظهر على قوم؛ أقام في عرضتهم ثلاثاً؛ ولئن زاد بيت الشريف بشيء من ذلك؛ فليس في بيت الفرزدق ما يأباه؛ بل هو شامل له ولغيره؛ وقد اتفق؛ أن قال رجل للحسن: يا أبا سعيد: إنا نكون في هذه البعوث؛ فنُصِيبُ المرأة ذات الزوج؛ أفتَجِلُّ لنا من غير طلاق؟ فقال الفرزدق: وكان حاضراً؛ قد قلت أنا شعراً في هذا فقال له الحسن: وما هو؟ فأنشده؛ فقال للسانل: هذا هو الجواب؛ وقال للفرزدق: كنت أسلمُ لك الشعر؛ والآن سلَّمْتُ لك الفقه؛ فكان شاعراً وفاخراً ومفتياً؛ في آن واحد؛ ومن محاسن الفرزدق أيضاً؛ في الموضوع؛ قوله:

صَبَّخْنَاهُمْ الشُّبُكَ الْجِيَادَ كَأَنَّهَا      قَطَا هَبَّجَتْهُ يَوْمُ رِيحِ أَجَادِلُهُ  
إِلَى كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَطَبْنَا بِنَاتِهِمْ      بِأَزْعَنْ جَرَارٍ كَثِيرٌ صَوَاهِلُهُ  
إِذَا مَا التَّقِينَا أَنْكَحْتَنَا رِمَاحُنَا      مِنْ الْقَوْمِ أَبْكَاراً كِرَاماً عَقَائِلُهُ

فهذا والله هو الشعر؛ الذي يَقِفُّ الشعور، ويملاً الأنوف؛ لا ما تتعلل به؛ ولا يغض منها؛ إن كان أولها؛ مأخوذاً من قول؛ مُزْرِدُ أَخِي الشَّمَاخُ<sup>(١)</sup>:

وإِنْ رَدُّ مِنْ فَضْلِ الْعَنَانِ تَوَرَّدَتْ      هَوْيِي فُظَاةٌ اتَّبَعَتْهَا الْأَجَادِلُ  
لما امتازت به؛ من جمال الأسلوب، وحسن السبك، وتنقيح اللفظ، وقال مسلم<sup>(٢)</sup>:

إِذَا مَا نَكَّحْنَا الْحَرْبَ بِالْبَيْضِ وَالْقَنَّا      جَعَلْنَا الْمَنَائِبَا وَالرَّمَاخَ طِلَاقًا

(١) من شعراء العصر العباسي اشتهر بالجشع والنهم وله نوادر.

(٢) مسلم بن وليد الانصاري. يلقب بصريع الغواني مدح يزيد الشيباني قائد هارون الرشيد كما مدح البرامكة ومدح الفضل بن سهل وزير المأمون الذي ولاه ولاية جرجان باصبهان وتوفي سنة ٢٠٨هـ.

وقال سيلم الخاسر:

يرمي الفجّاج به أغرُّ مُحَبَّلٌ جَعَلَ السيفَ مَنَاحِحاً وطلائفاً

ومن اللطائف في الموضوع؛ أن الفرزدق؛ قُوِيضَ بما ادَّعَاه، فَأَسِرَتْ

أختُهُ؛ جُعِثْنَ يومَ السِّيدانِ؛ أسرها عمران ابن مرة المنقري، فقال جرير:

عَمْرُ أبنُ مرّةٍ يا فرزدقُ كَيْنَهَا<sup>(١)</sup> عَمْرُ الطَّبِيبِ نَعَانِغِ المَعذُورِ

خَزِيّ الفِرزدِقُ بَعْدَ وَقَعَةِ سَبْعَةٍ كالحصني من ولد الأشد ذكور

يريد؛ أنه نزا عليها تسعة؛ من ولد الأشد المنقري؛ وقال:

يُفَرِّقُ عمرانُ بَنُ مَرّةٍ كَيْنَهَا وَيَنْزُو نِزَاةَ العِبرِ أعلقَ حَائِلِه

وأكثر من هجائها؛ ثم ندم على قذفه إياها؛ لأنه كان مفترياً في ذلك؛

وكانت من النساء الصالحات؛ كما ذكره غير واحد؛ ومعلوم؛ أن الأسر؛ لا يُجْلُ

من مسلمة؛ حُرْمَةٌ؛ أما الكافرة؛ فنعم؛ قال تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا

مَلَكَتْ أَيْتَانُكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> فأباح وظأ ملك اليمين؛ بالأسر؛ وإن كانت متزوجة؛ وفي

المتون الفقهية؛ أن نكاح الكافرة؛ ينقطع بمجرد أسرها؛ وإن أسلم زوجها؛ وهي

في العِدَّة؛ وفي إكليل السيوطي؛ أن أبا حنيفة؛ اخذ من قوله تعالى؛ في سورة

التوبة: ﴿... وَلَا يَطْهُرُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الكُفَّارَ...﴾<sup>(٣)</sup> حِلَّ الزنا بنساء أهل

الحرب في دارهم؛ وما كان الشريف؛ إلا منه؛ أخذ بيته؛ وأنا لا أجد روائع

الشريف؛ الباقي بالذهن أثرها؛ من الزمان القديم؛ ولا أتھضم فضله؛ ولا أقول

أن الأستاذ<sup>(٤)</sup>؛ اركبه على غير سرجه، ولا سلك به في غير فجّه؛ لكن لا ابرؤه<sup>(٥)</sup>

(١) الكين: لحم باطن الفرج والنغانغ لحماة حول اللهاة والمعذور: الذي أصابته العذرة.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٠.

(٤) يقصد زكي مبارك.

(٥) أي زكي مبارك.



من أحد أمرين: إمَّا المغالاة؛ وإما سوء الاختيار؛ ولقد اطنب في قول الشريف:

يَا تَفْسُ مِنْ هَمِّ إِلَى هَمِّ      فَلَيْسَ مِنْ عِبِّهِ إِلاَّ دَى سَرَاحِ  
قَدْ أَنْ لَلْقَلْبِ الَّذِي كَسَدَهُ      طُولُ مُتَأَخِّاتِ التَّمْنَى أَنْ يُرَاحِ

وأقول أولاً: أن معنى البيتين موجودٌ بزيادة؛ في بيت واحد؛ لأبي تمام؛

وهو:

هَمٌّ سَرَى ثُمَّ أَضْحَى هِمَةً أُمَّماً      عَادَتْ رَجَاءً وَامَسَّتْ وَهِيَ لِي نَسْبُ

وثانياً: أن الأنسب؛ إبدال مُتَأَخِّاتِ التَّمْنَى؛ بِمُقَاسَاتِ العَنَى؛ لا سِيَّماً؛ وقد

قال حبيب:

مَنْ كَانَ مَرَعَى عَزْمِهِ وَهَمُومِهِ      رَوْضُ الأَمَانِيِّ لَمْ يَزَلْ مَهْرُولا

وما أحسن قول الشريف:

يُخَيَّلُ لِي أَنْ الأَمَانِيِّ غِيَاهِبٌ      وَلَا تَنْجَلِي إِلاَّ وَغُرُوبِي سِرَاجُهَا

وقول أبي الأسود الدؤلي<sup>(١)</sup>:

وَالهَمُّ إِنْ لَمْ تُمِضْهُ لِسَبِيلِهِ      دَاءٌ تُضْمِنُهُ الضَّلُوعُ قَدِيمٌ

وثالثاً: أن بين القافيتين شبه اتحاد؛ وهو مما لا يليق بفحل؛ مثل الشريف؛

ورابعاً: على ما بين القافيتين من شبه الاتحاد؛ فبين الشطرين؛ شيء من التنافي

في المعنى؛ ما لم يُرِدْ؛ أَنْ التَّعَبُ وسيلة إلى الراحة؛ وأنه قد لاقى من وعشاء

السفر إليها؛ ما يَحِقُّ له معه؛ الوصول؛ وحيثئذ يكون عالة؛ على قول حبيب:

بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الكُبْرَى قَلَمَ أَرَهَا      تُنَالُ إِلاَّ عَلَى جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ

(١) أبو الأسود الدؤلي، من سادات التابعين وفقهائهم وضع علم النحو في اللغة العربية وشكّل المصحف، ووضع النقاط على الأحرف العربية، ولد قبل بعثة النبي ﷺ وآمن به لكنه لم يره فهو معدود في طبقات التابعين وصحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي ولاه إمارة البصرة في خلافته، وشهد معه وقعة صفين والجمل ومحاربة الخوارج.

وهذا؛ وإنْ عُدَّ مِنْ مَحَاسِنِ حَبِيبٍ؛ فإنما المطرب؛ في مناسبة نقد الشريف؛ قوله:

خَدَمَ الْعُلَى فَخَدَمْنَهُ وَهِيَ النَّبِي لَا تَخْدِمُ الْأَنْوَامَ مَا لَمْ تُخْدَمِ  
فَإِذَا إِرْتَقَى فِي قَلْبِهِ مِنْ سُودِدٍ قَالَتْ لَهُ الْأُخْرَى بَلَّغْتَ تَقْدِمِ

فهذا والله القول الحرّ، والشعر الخالص، والنسيج المحكم، والجمال الباهر، والكلام المنقح، وما أراه استنزه؛ إلا من سماء قوله جلّ ذكره: ﴿فَإِذَا فُزِعَتْ فَأَنْصَبَ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾<sup>(١)</sup>.

وزعم بعض الصوفية: أن في قوله تعالى: ﴿...يَأْهَلْ بِرَبِّ لَا مُعَامَ لَكُمْ...﴾<sup>(٢)</sup> إشارة إلى الحث؛ إلى التدرّج في السلوك، إلى ملك الملوك؛ وهو مما نحن فيه؛ وقد حام عليه البحري بقوله:

إِذَا سُودِدِ دَانِي لَهْ مَذْهَمُهُ إِلَىٰ سُودِدِ نَائِي الْمَحَلِّ يُحَاوِلُهُ  
غَيْرَ أَنَّهُ مَرْعَىٰ، وَلَا كَالسَّعْدَانِ، وَمَاءٍ، وَلَا كَصَدْيٍ؛ ومع ذلك؛ فهو أشرف، وألطف؛ من قول الشريف.

والحياة جهاد، والعزّ تعب، والجد كِبْدٌ، والدنيا محال، والحلبة رجال، ولن يحوز القصب، إلا من استلذّ النَّصْبِ، وكان على مثل قول البحري:

قَلْبٌ يُطَلُّ عَلَىٰ أَفْكَارِهِ وَيَدُّ تَمُضِ الْأُمُورِ وَنَفْسٌ لَهْوُهَا التَّعَبُ  
وقول أبي الطيب:

سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسٍ كَيْفَ لَدَتْهَا فِيمَا النَّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ  
والأصل قول بكر بن النطاح<sup>(٣)</sup>:

(١) سورة الشرح، الآيتان: ٧ و ٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ١٣.

(٣) بكر بن النطاح الحنفي شاعر غزل من شعراء العصر العباسي ولد في اليمامة وجاء إلى بغداد في زمن هارون الرشيد.

وَأَنَا لَنَلُهُو بِالْحُرُوبِ كَمَا لَهَتْ      فَنَاءٌ بِعِقْدٍ أَوْ سَحَابٍ<sup>(١)</sup> قُرْنُفُلٍ  
وَكُلُّهُ، مِنْ مُنَاسِبٍ مَا يَأْتِي فِي نَقْدِ مَا اخْتَارَهُ الْأَسَاطِذُ<sup>(٢)</sup>؛ مِنْ قَوْلِ الشَّرِيفِ:

لَا بُدَّ أَنْ أَرْكَبَهَا ضَعْبَةً      وَقَاحَةٌ<sup>(٣)</sup> نَحْتِ غُلَامٍ وَقَاحٍ<sup>(٤)</sup>  
يُجْهِدُهَا أَوْ يَنْتَنِي بِالرَدَى      دُونَ الَّذِي قَدَّرَ أَوْ بِالنَّجَاحِ<sup>(٥)</sup>

وأقول: لا بأس بالبيتين؛ على نوع فضول في الثاني؛ إذ لا حاجة فيه لقوله: دون الذي قدر؛ ثم أينه مع حمار، أو قيه على معنى إلى؛ وإلا كان التقسيم فاسداً؛ من قول أبي الطيب:

دَرِينِي أَنْلَ مَا لَا يُنَالُ مِنَ الْعَلَى فَضَعْبُ      الْعَلَى فِي الصَّعْبِ وَالسَّهْلِ فِي السَّهْلِ  
ولا شك انه نظر إليه، وإلى قول، بكر بن النطاح:

يَتَلَقَى النَّدَا بِوَجْهِ حَيِّي      وَصُدُورَ الْقَنَا بِوَجْهِ وَقَاحِ  
وإلى قول الأعشى، في رثاء المنتشر<sup>(٦)</sup>:

لَا يَضْعُبُ الْأَمْرُ لِارْتِنَتْ بِرَكْبُهُ      وَكُلُّ أَمْرِ سِوَى الْفَحْشَاءِ يَأْتِمُرُ  
لَا يَغْمِرُ السَّاقَ مِنْأَيْنِ وَلَا وَصَبٍ      وَلَا يَزَالُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَمْتَفِرُ

(١) السَّحَابُ: القلادة تُتَّخَذُ مِنْ قُرْنُفُلٍ وَسُكِّ وَمُخَلَّبٍ، لَيْسَ فِيهَا مِنَ اللَّوْلُؤِ وَالْجَوْهَرِ شَيْءٌ.

(٢) زكي مبارك.

(٣) حافر الدابة: صلب.

(٤) وَقَحُ الشَّخْصُ: قَلَّ حَيَاؤُهُ وَاجْتَرَأَ عَلَى فِعْلِ الْقَبَائِحِ وَلَمْ يَعْأَ بِهَا.

(٥) عدم ظهور الفتحة في المضارع المنصوب بأن بعدها مضمرة من أيسر الضرورات المتفق على قبولها فلا اعتراض من هذه الناحية عليه. (تعليق للمصنف الإمام بن عبيد اللاه).

(٦) المنتشر بن بن وهب الباهلي: فارس، شجاع، من رءوس قوم في الجاهلية، وكان مشهوراً بالغزو، قتله هند ابن أسماء، فرثاه أخوه لأمه الشاعر المشهور بالأعشى.

وفي الخطبة الشقشقية من النهج<sup>(١)</sup>: فَصَاحِبُهَا<sup>(٢)</sup> كَرَاكِبِ الصَّغْبَةِ إِنْ أَشْتَقَّ لَهَا حَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّحَمَ (انتهى)؛ وكأنَّ نفس الشريف تناجيه، بإمارة مثلها؛ إذ لا اعظم منها في الصدر، ولا أملاً منها للقلب، ولا أجمل منها في العدل، ولئن جاءت تلك الجملة، في معرض المذمة لها، فإن في النهج أيضاً؛ ما يصرح بمدحها، كقوله<sup>(٣)</sup>: اللهُ بِلَاءَ فُلَانٍ، فَلَقَدْ قَوَّمَ الْأَوْدَ، وَدَاوَى الْعَمَدَ، وَأَقَامَ السُّنَّةَ، وَخَلَّفَ الْفَيْئَةَ! ذَهَبَ نَقِي الثُّوبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ، إِلَى آخِرِهَا، ثُمَّ إِنَّ الْعَرَبَ تَفْتَخِرُ بِرُكُوبِ الصَّعَابِ تَارَةً، وَيَلْبِوْنَهَا أُخْرَى، وَقَدْ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَلَاءِ<sup>(٤)</sup> لَدِي الرِّمَّةِ<sup>(٥)</sup>: قَوْلِ الرَّاعِي<sup>(٦)</sup>:

نَرَاهَا إِذَا قَامَ فِي غُرْزِهَا<sup>(٧)</sup>      كَمِثْلِ السَّقَيْنَةِ أَوْ أَوْقَرُ  
وَلَا تَعْجَلُ الْمَرْءَ قَبْلَ الْبُرُوكِ      وَهَنَّ بُرْكَبَتَهُ أَبْصَرُ  
خير من قولك:

تُضْفِي إِذَا شَدَّهَا بِالْكُورِ جَانِحَةً      حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَى فِي غُرْزِهَا تَثِبُ  
فقال ذو الرمة: إن الراعي يصف ناقة ملك؛ وإنما أصف ناقة سَوْقَةٍ.

(١) خطبة للإمام علي كرم الله وجهه في كتاب نهج البلاغة.

(٢) أي متولي الخلافة.

(٣) يقولون: جاء في نهج البلاغة في مدح الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) أبو عمرو بن العلاء البصري، أحد القراء السبعة، نشأ بالبصرة، سمع أنس بن مالك وغيره من الصحابة، فلذلك عُذ من التابعين. كان علامة زمانه في القراءات والنحو والفقه ومن كبار العلماء العاملين.

(٥) ذو الرمة من شعراء العصر الأموي، أكثر شعره تشبيبه وبيكاء أطلال. وكان أحد عشاق العرب المشهورين، إذ كان كثير التشبيب بمية، وهي مية بنت مقاتل بن طلحة كانت فاتنة الجمال.

(٦) الراعي التميمي من فحول الشعراء، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل. عاصر جريراً والفرزدق وهو من أصحاب الملحقات.

(٧) العُرْزُ: ركاب الرُّحْل من جلد مخروز يُعْتَمَدُ عليه في الركوب.

وقال القطامي<sup>(١)</sup>:

يَنْبُعْنَ سَامِيَةَ الْعَيْنَيْنِ تَحْسَبُهَا      مَجْنُونَةٌ أَوْ تَرَى مَا لَا تَرَى الْإِبِلُ  
وقال الأعشى:

تَرَاقِبُ عَيْنَاهَا الْقَطِيعَ كَأَنَّهَا      يُخَامِرُهَا مِنْ مَسِّهِ مَسُّ أَوْلَقِ  
والأولقُ مثل الأفكل؛ ومعناه: الجنون. وقال عمر بن أبي ربيعة<sup>(٢)</sup>:

فَقُمْتَ إِلَى مِغْلَاةٍ<sup>(٣)</sup> أَرْضٍ كَأَنَّهَا      إِذَا التَّفَقَّتْ مَجْنُونَةٌ حِينَ تَنْظُرِ  
وَأَلَمَ بِهِ حَيْبٌ<sup>(٤)</sup>، في قوله:

ظَمُوحٌ بِأَثْنَاءِ الزِمَامِ كَأَنَّهَا      تَخَالُ بِهَا مِنْ عَدْوِهَا طَيْفٌ جِنَّةٍ  
فأَيُّ النوقِ أَحَقُّ بالمدح، أناقة الراعي، أم ناقة الشريف، فإن قيل: أين  
كبرياء الشريف؟ التي ورثها من آبائه، حسبما يقول:

نَمَانِي مِنْ أَبَاؤِ الضَّمِيمِ شَهْمٌ      أَفَاضَ عَلَيَّ تِلْكَ الْكِبْرِيَاءِ  
وما باله استغل<sup>(٥)</sup> عنها إلى مراكب السوقة، وفؤاده من الملوك، وإن كان  
لسانه، يُرى من الشعراء. إن قيل ذلك؛ فالجواب معلوم، مما سيأتي في نقد

(١) عمير بن شميم، أحد شعراء بني تغلب بن وائل في العصر الاموي، ولقب بالقطامي، ومعناه الصقر بسبب بيت شعر قاله فيه.

(٢) عمر أبي ربيعة المخزومي القرشي شاعر قریش وفتاها، وهو أحد شعراء الدولة الأموية ويعد زعيم المذهب الفاحش في التغزل هو أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق وأيضا الأخطل، ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب سنة ٢٣هـ، فسمي باسمه.

(٣) المِغْلَاةُ الناقةُ التي تُبْعَدُ الحَظْرَ.

(٤) هو أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أحد أمراء البيان، ولد بجاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازته وقدمه على شعراء وقته فأقام في شعره قوة وجزالة، واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبّي والبحرّي.

(٥) اسْتَغْلَى: سَقَلَ.

البيتين، بعد هذين. وعلى ذكر الوقاحة بحته<sup>(١)</sup> في بيت الشريف، تذكرت: أن الشعراء جاهلية وإسلاماً، على اقسام؛ فمنهم من يمدح أو يتمدح، بالوقاحة والعبوس، في مواقف النزال صرفاً؛ ومنهم عترة في قوله:

لا ابعد الله عن عيني غطارفة<sup>(٢)</sup> إنسا إذا نزلوا جنا إذا ركبوا  
وابن مياده<sup>(٣)</sup> في قوله:

الطيبون إذا طابت نفوسهم شوس<sup>(٤)</sup> الحواجب والأبصار إن غضبوا  
والفرزدق<sup>(٥)</sup> في قوله:

أحلامنا تزن الجمال رگانة<sup>(٦)</sup> وتخالنا جنا اذا ما نفضب  
والآخر في قوله:

يتقارضون إذا التقوا في موقف نظراً يُزيل مواطئ الأقدام  
وهو من قوله تعالى: ﴿رَأَى بَكَاةَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ لَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَمَجْذُومُونَ﴾<sup>(٧)</sup>.

- (١) البَحْتُ: الصَّرْفُ الخالص لا يخالطه غيره.
- (٢) معناه: السيد الشريف، السخي الكريم، الكثير الخيلاء وجمعه غطارفة وغطاريف.
- (٣) وهو الرماح بن أبرد الذبياني الغطفاني، ومياده أمه وأشتهر بنسبته إليها، وهو من المخضرمين من شعراء العصر الأموي والعباسي، كان يهجو الشعراء ويتعرض لهم في شعره، ومن علماء العرب من يراه أشعر قومه وخير من التابعه الذبياني، وأشعر شعراء غطفان في الجاهلية والإسلام.
- (٤) شاس يشاس: شوسا. (شوس): نظر بمؤخر عينه تكبرا أو غضبا.
- (٥) شاعر من العصر الأموي من بني تميم وسمي الفرزدق لضخامة وتجهم وجهه ومعناها الرغيف، اشتهر بشعر المدح والفخر وشعر الهجاء. كان جرير والفرزدق أصدقاء قرييين من بعضهم البعض الا في الشعر حيث تبادلوا الهجاء طيلة نصف قرن حتى توفي الفرزدق فرثاه جرير.
- (٦) رَكَنَ الشَّخْصُ رَزْنًا ووفَّر.
- (٧) سورة القلم، الآية: ٥١.

وقال لييد<sup>(١)</sup>:

عَلَبَ<sup>(٢)</sup> تَشَدَّرَ<sup>(٣)</sup> بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا  
جِنُّ الْبَدِيِّ<sup>(٤)</sup> رَوَّاسِباً أَقْدَامُهَا  
وقول البحري<sup>(٥)</sup>:

مَا بَنَّاكُمْ تَنَقَّادُونَ بِأَعْيُنٍ  
فِي لَحِظِهَا جَمْرُ الْغَضَا الْمَتَسَعَّرُ  
وقول مهلهل:

سَعَالِيَا<sup>(٦)</sup> تُحْمَلُ مِنْ تَغْلِبِ  
أشباهُ جِنِّ كَلِيوْتِ الطَّرِيثِ

وعليه بنى أبو نواس قوله: جِنٌّ عَلَى جِنٍّ وَإِنْ كَانُوا بَشَرًا؛ وهو مثل قول الشريف: وقاحة تحت غلام وقاح. ومنهم من يمدح البشاشة وحدها، في أخرج المواقف؛ ومنه، قول دريد بن الصمة<sup>(٧)</sup>:

أَرْدَى فَوَارِسَ لَمْ يَكُونُوا نُهْرَةً<sup>(٨)</sup>  
نَمَّ اسْتَمَرَ كَأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلِ  
مُتَهَلِّلاً تَبْدُو أَسْرَةً وَجْهِهِ  
مِثْلَ الْحُسَامِ جَلْتُهُ كَفَّ الصَّبِقَلِ<sup>(٩)</sup>

(١) لييد بن ربيعة أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، أدرك الإسلام، ووفد على النبي ﷺ مسلماً، ولذا يعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً. وسكن الكوفة وعاش عمراً طويلاً. وهو أحد أصحاب المعلقات.

(٢) رجل غلبه أي يغلب سريعاً.

(٣) تشدَّرَ فلانٌ: تاهب لقتال أو شراً.

(٤) أي جن بادية للعيان.

(٥) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم، المتنبى وأبو تمام والبحري، كان شاعراً في بلاط الخلفاء العباسيين ومعنى كلمة البحري في اللغة العربية: قصير القامة.

(٦) السُّعْلَى: العُول. وجمعها السُّعَالِي.

(٧) دريد بن الصمة فارسٌ شجاع وشاعر فحل، أدرك الإسلام فلم يسلم، وخرج مع قومه يوم حنين مظاهراً للمشركين، فقتل يومئذٍ على شركه.

(٨) النُّهْرَةُ اسمٌ للشيء الذي هو لك مُعْرَضٌ كالغنيمة والنُّهْرَةُ الْفُرْصَةُ تجده من صاحبك.

(٩) صَبِقَلٌ: من صناعته صقل السيوف أو غيرها.

قالها في ربيعة بن مكرم<sup>(١)</sup> وكان أردى<sup>(٢)</sup> عليه ثلاثة فوارس يوم الظعينة<sup>(٣)</sup>؛  
ومنه قول المعكبر الضبي:

كَأَنَّ دَنَابِرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ      وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوُجُوهَ لِقَاءِ  
وقول الأعشى في رثاء المنتشر:

كَأَنَّهُ عِنْدَ صِدْقِ الْقَوْمِ أَنْفُسَهُمْ      بِالْيَأْسِ تَلَمَعُ مِنْ قُدَامِهِ الْبُشْرُ  
وقول الفرزدق:

إِذَا التَقَتِ الْأَبْطَالُ أَبْصَرَتْ وَجْهَهُ      مُضِيئًا وَاعْتَنَقَ الْكُمَاةَ خُضُوعُ  
وقول مروان<sup>(٤)</sup> عن مَعْن<sup>(٥)</sup>:

تَمْضِي أَسِنَّتُهُ وَيُسْفِرُ وَجْهَهُ      فِي الرَّوْعِ عِنْدَ تَغْيِيرِ الْأَلْوَانِ

(١) هو ربيعة بن مكرم بن عامر من بني فراس من كنانة وكان أشجع رجل عرفه العرب ومن فرسانهم المشهورين، وكان ذا شعر وفخر قتله بنو سليم، فلم تتوقف الحروب والثارات بين بني فراس من كنانة وسليم والتي أججها مقتل ربيعة بن مكرم حتى جاء الإسلام وانتشر.

(٢) أردى عليه: أهلك له.

(٣) من أيام العرب المشهورة وفيه خرج دريد بن الصمة في فوارس له يريدون الإغارة إذ ظهر لهم رجل في ناحية الوادي وكانت معه ظعينة (إمراة) فوق البعير فأمره بترك الظعينة والنجاة. فلم يرض الرجل ان يسلم امرأته وقتل ثلاثة من فوارس دريد فأعجب دريد بشجاعة الرجل وقوته وتركه وضعيته.

(٤) مروان بن أبي حفصة مروان بن أبي حفصة أحد شعراء العصرين الأموي والعباسي، ولد في المدينة المنورة، وينتمي إلى أسرة كثر الشعراء فيها فتوارثوه كابراً عن كابر، فجدّه يزيد (أبو حفصة) شاعر، وكذلك ابنه يحيى بن يزيد، وكان السمط بن مروان شاعراً، وغيرهم من أسرته مروان بن أبي حفصة مولى مروان بن الحكم. اعتقه مروان يوم الدار. وقيل: بل كان أبو حفصة طبيباً يهودياً، فأسلم على يد عثمان، أو يد مروان، قال ابن المعتز: أجود ما له: «اللامية» التي فُضِّلَ بها على شعراء زمانه في معن بن زائدة.

(٥) معن بن زائدة معن، من أكرم وأجود الناس. كان من أوسع الناس حلماً وصفحاً وعفوا عن زلات الناس. ولاه أبو جعفر المنصور على اليمن.



وقول مسلم بن الوليد<sup>(١)</sup>:

يَفْتَرُّ عِنْدَ افْتِرَارِ الْحَرْبِ مُبْتَسِمًا إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُ الْفَارِسِ الْبَطْلُ

وللطائي، والبحثري، والمنتبي؛ الكثير الطيب، ولكن لا حاجة إلى الاطالة، وللمعري عليهم التفوق بقوله:

يَتَهَلَّلُونَ طَلَاقَةً وَكُلُّوْمُهُمْ<sup>(٢)</sup> يَنْهَلُ مِنْهُنَّ النَّجِيعُ<sup>(٣)</sup> الْأَخْمَرُ

ومنهم من يجمعها؛ في آن واحد؛ كما في قول البحثري:

تَبَسُّمٌ وَقُطُوبٌ فِي نَدَى وَوَعَى كَالْبَرْقِ وَالرَّعْدِ وَسِطِ الْعَارِضِ الْبَرْدِ

فالمشبه به، ظاهر الاقتران؛ وأما المشبه، فيحتمل فيه الانفصال، فيدخل إذا في بابه، بكر بن النطاح، وخير منه، قول ابن هانيء لأندلسي<sup>(٤)</sup>:

شُمُّ الْعَوَالِي وَالْأَنْوْفِ تَبَسَّمُوا تَحْتَ الْقُنُوسِ فَأَظْلَمُوا وَأَضَاءُوا

وخير منه، قول الشريف:

يَجْرِي الْحَيَاءُ الْغَضُّ فِي قَسَمَاتِهِمْ فِي حِينِ يَجْرِي مِنْ أَكْفَهُمُ الدَّمُّ

ومنهم من يذكر الوقاحة والحياء، مع تخصيص كُلِّ بوقت، كبكر النطاح في بيته السابق، فلقد أحسن واعذب بتلك المطابقة، ولذا تَصَيَّدَهُ المنتبي فيما يتصيد، فقال:

(١) هو مسلم بن الوليد الأنصاري، الملقب بصريع الغواني، اتصل بقائد هارون الرشيد يزيد بن يزيد الشيباني فمدحه ومدح البرامكة. ثم قربه الفضل بن سهل وزير المأمون. لم يتجاوز شعره الأمراء والرؤساء مكتفياً بما يناله من قليل العطاء.

(٢) احزانهم.

(٣) النجيع: الدم.

(٤) ابن هانيء الأندلسي، شاعر أندلسي، معاصر للمنتبي، وكان يلقب بمنتبي الغرب لأنه كان أشعر شعراء المغرب العربي. ولد بإشبيلية ونشأ بها وتعلم بها الشعر والأدب، واتصل بصاحب إشبيلية وحظي عنده. واتهمه أهلها بمذهب الفلاسفة وفي شعره نزعة إسماعيلية بارزة.

حَيُّونُ إِلَّا أَنَّهُمْ فِي نَزَالِهِمْ      أَقْلٌ حَيَاءٌ مِنْ شِفَارِ الصَّوَارِمِ  
وقال<sup>(١)</sup>:

نَصَّرَعُهُمْ بِأَعْيُنِنَا حَيَاءً      وَتَنَبُّو عَنْ وُجُوهِهِمِ السَّهَامِ  
وما أحسن قوله:

وليسَ حَيَاءُ الْوَجْهِ فِي الذِّبِ شِيمَةٌ      ولكنهُ مِنْ شِيمَةِ الْأَسَدِ الْوَرْدِ  
فلقد جعله في موضعه، ونظمه في سلكه؛ مع انه مأخوذ من قول حبيب<sup>(٢)</sup>:

وَمَا الْكَلْبُ مَحْمُومًا وَإِنْ طَالَ عُمُرُهُ      وَلَكِنَّمَا الْحُمَى عَلَى الْأَسَدِ الْوَرْدِ  
ولا يبعد عن المعنى الذي نحن بسبيله؛ قوله أيضاً أعني: حيباً:

لَهُمْ جَهْلُ السِّبَاعِ إِذَا الْمَنَايَا      تَمَشَّتْ فِي الْقَنَا وَحُلُومِ عَادِ  
وقوله:

كَالِثِ لَيْثِ الْغَابِ إِلَّا أَنْ ذَا      فِي الرَّوْعِ بَسَّامٌ وَذَاكَ شَيْمٌ

وميزان الفضيلة؛ إنما هو حاله ﷺ، وقد كان أشد حياءً، من العذراء في خدرها، مع أنه أشجع الناس غير مدافع، وما من شجاع ألا ذكرت له قرّة، وأخصيت له هفوة؛ ما عداه؛ وعدا أخاه<sup>(٣)</sup>. وكان أولى بالشريف، أن يلحق بفريقهم، وان يسلك في طريقهم، فما عدا مما بدا، ولقد أراد، أن يقصد المنار، ويتسّم الآثار، فزلّ به النعل، إذ يقول عن آل بويه<sup>(٤)</sup>:

(١) المعنى أنهم رفاق الوجه لفرط الحياء وإذا نظرنا إليهم صرعناهم أي قدرنا عليهم وعند الحرب تنبو السهام عن وجوههم.

(٢) يذكر أحياناً أبو تمام بلقبه وأحياناً باسمه الأول كما هو هنا.

(٣) اظنه يقصد حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ وإخاه من الرضاة.

(٤) ينحدر بنو بويه من أعالي جبال الديللم ويرجعون في نسبهم إلى ملوك الساسانية (حسب ادعائهم). استطاع ثلاثة منهم الاستيلاء على السلطة في العراق وفارس وخلع عليهم الخليفة العباسي ألقاب السلطنة. ثم تصارعت فروع الأسرة فيما بينها وانقسمت الدولة ثم قضى عليهم الفزنويون وأنهى السلاجقة ما تبقى من دولتهم وحلوا محلهم في بغداد.

تَخَالَهُمْ غَيْدًا إِذَا بَدَلُوا النَّدَى وَتَحَسَبَهُمْ جِنًّا إِذَا رَكِبُوا الْجُرَدَا  
 أَمَا تَخَايَلُهُمْ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ، وَهَمَّ لَا بَسُوا الْجِلِّيَّ وَالْحُلَّيَّ، وَفِي أَيْدِيهِم  
 الْجِنَّا، يَتَعَطَّفُونَ كَغَصُونِ الْبَانِ، يَفِيئُهَا النَّسِيمُ؛ بَلَى! وَانْهَمَّ لَجْدِيرُونَ لَمَّا وَسَمَهُم  
 بِهِ، مِنَ التَّائُثِّ؛ أَنْ تَتَمَعَّرَ وَجُوهَهُمْ، مِنْ هَذَا الْقَوْلِ الْمُؤَلِّمِ، وَالتَّشْبِيهِ الْمَظْلَمِ،  
 وَقَدْ اسْتَضَعَفُوا قَوْلَ أَبِي نَوَاسٍ:

شَبَّهُتُهُ بِالْبَدْرِ حِينَ بَدَا أَوْ بِالْعُرُوسِ صَبِيحَةَ الْعُرْسِ  
 وَأَعْيَدُهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا تَحْتِ مِيشَرَرَهَا مِنَ الرَّجْسِ  
 غَيْرَ أَنْ أَبَا نَوَاسٍ؛ لَا يَلَامُ؛ إِذْ كَانَ مَشْهُورًا بِالتَّوَضُّعِ<sup>(١)</sup>، يَفَسِّقُ بِهِ مِنْ أَيَّامِ  
 صُغْرِهِ، وَلَا كَذَلِكَ الشَّرِيفُ، وَكَذَلِكَ انْتَقَدُوا، قَوْلَ الْآخَرِ:

إِذَا غَدَا الْمَهْدِيُّ فِي جُنْدِهِ أَوْ رَاحَ فِي آلِ الرَّسُولِ الْفِضَابِ  
 بَدَا لَكَ الْمَعْرُوفُ فِي وَجْهِهِ كَالضَّوْءِ يَجْرِي فِي ثَنَائَا الْكَعَابِ  
 مَعَ أَنَّهُ أَقْلٌ وَيَلَا مِنْ بَيْتِ الشَّرِيفِ؛ وَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ؛ مِثْلَ لَيْلَى  
 الْأَخِيلِيَّةِ<sup>(٢)</sup>:

فَتَى كَانَ أَحِبًّا مِنْ فِتَاةِ حَبِيبَةٍ وَاجْرَأَ مِنْ لَيْثٍ بِخَفَانِ خَاوِرِ  
 فَاحْرُورَفَ بِهِ الطَّرِيقَ، وَزَلَّ بِنَعْلِهِ التَّوْفِيقَ، وَسَلَكَ فَجَّ<sup>(٣)</sup> ابْنَ سَكْرَةَ  
 الْهَاشِمِيِّ<sup>(٤)</sup> فِي النَّسِيبِ<sup>(٥)</sup>؛ حَيْثُ يَقُولُ:

(١) يقال: في فلان توضع أي: تخيئ.

(٢) شاعرة عربية عرفت بجمالها وقوة شخصيتها وفصاحتها عاصرت صدر الإسلام والعصر الأموي عرفت بعشيقها المتبادل مع توبة بن الحُمَيْرِ. لها العديد من دواوين الشعر في العشق والرتاء.

(٣) فج: طريق أو جهة.

(٤) ابن سكرة شاعر، من أهل بغداد. واسمه أبو الحسن محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمي البغدادي، له ديوان شعر يربى على خمسين ألف بيت توفي سنة ٣٨٥هـ.

(٥) رجلٌ نسيبٌ: شريفٌ معروفٌ حسبُه وأصولُه والتَّيِّيبُ (في الشُّعْرِ): الرَّقِيقُ مِنْهُ الْمُتَعَزَّلُ بِهِ فِي النِّسَاءِ.

وغيرال لولا تميمه شعر  
وقول الوزير المهلبى<sup>(١)</sup> كما عند ابن خلكان<sup>(٢)</sup>:

طِفْلٌ يَرُوقُ الْمَاءَ فِي  
وَجَنَاتِهِ وَيَرِقُّ عُودَهُ  
وَيَكَادُ مِنْ ثِيْبِهِ الْعَذَارَى  
فِيهِ أَنْ تَبْدُو نُهُودَهُ  
جَمَلُوهُ قَائِدَ عَسْكَرٍ  
ضَاعَ الرَّعِيْلُ وَمَنْ يَقُوْدُهُ  
ولكنه أصاب كبد الصواب في قوله:

فِي صِيَالِ الْأَسْوَدِ إِنْ نَزَلَ الْخَطُّ  
وَتَجَاوَزَ حَدَّ الْإِجَادَةِ فِي قَوْلِهِ:

وَمَا ضَرَّ قَوْلًا أَطَاعَ جِنَانَهُ  
إِذَا خَانَ عِنْدَ الْمُلُوكِ لِسَانُ  
وَرَبَّ حَيِّي فِي السَّلَامِ وَقَلْبُهُ  
وَقَاحٌ إِذَا لَفَّ الْحِيَادَ طِعَانُ  
والثاني هو الذي أريد؛ اما الأول: فمن قول عثمان<sup>(٣)</sup>، حين ارتج عليه:  
وأنتم إلى أمير فعال؛ أحوج منكم إلى أمير قوال.

وفي خزانة الأدب<sup>(٤)</sup> أن ثابت بن قُطنة<sup>(٥)</sup>؛ كان من أصحاب يزيد بن

(١) الوزير المهلبى، من كبار الوزراء الأدباء الشعراء، اتصل بمعز الدولة بن بويه فكان كاتباً في ديوانه، ثم استوزره، وكانت الخلافة للمطيع العباسي، فقربه المطيع، ثم استوزره وكان من أكثر الرجال حزماً ودهاءً وكرماً وشهامة. له شعر رقيق، مع فصاحة بالفارسية.

(٢) ابن خلكان مؤرخ وقاض وأديب يعد من اعلام مدينة دمشق، وهو صاحب كتاب وفيات الأعيان، أشهر كتب التراجم العربية، ومن أحسنها ضبطاً وإحكاماً.

(٣) الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٤) كتاب خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي المتوفي سنة ٨٣٧هـ وهناك كتاب خزانة الأدب لمؤلفه: عبد القادر البغدادي من مواليد بغداد توفي سنة ١٠٩٣هـ والاعلم انه يقصد الكتاب الاول.

(٥) ثابت بن قُطنة. شاعر مجيد من شعراء خراسان في العصر الأموي، وفارس من فرسان =

المهلب<sup>(١)</sup>؛ فولِّيَّ عملاً من أعمال خراسان؛ ولما صعد المنبر يوم الجمعة؛ تعذر عليه الكلام، فقال: سيجعل الله بعد عسر يسرا، وبعد عيِّ بيان؛ قال: لأنتم إلى اميرِ فَعَالٍ، أَحْوَجُ منكم إلى أمير قَوَالٍ، وإن لم أقم فيكم خطيباً؛ فإني بسيفي، إذا اشتدَّ الوغى؛ لخطيبُ؛ فانتهت إلى خالد بن صفوان<sup>(٢)</sup> أو الأحنف بن قيس<sup>(٣)</sup> فقال: والله ما على ذلك المنبر أخطب في كلماته هذه، ولو أن كلاماً استَحَفَّنِي<sup>(٤)</sup>، فأخرجني من بلادي إلى قائله، استحساناً له؛ لأخرجتني هذه الكلمات. والثابت أنه لم يقل ذلك على المنبر، ولكن بعدما دخل عليه الناس يعزونه، وقال له بعضهم: لو قلتها على المنبر؛ لكنت اخطب العرب؛ وعَيْرُهُ حاجبُ الفيل<sup>(٥)</sup> بقوله:

لَمَّا رَمَتْكَ عُيُونُ النَّاسِ هَبْتُهُمْ      فَكَدَّتْ تَشْرَقُ لَمَّا قُمْتَ بِالرِّيقِ  
تَلْوِي اللِّسَانَ وَقَدْ رُمْتَ الْكَلَامَ بِهِ      كَمَا هَوَى ذَلْقٌ مِنْ شَاهِقِ النَّيْقِ  
فما أحسن قول أبي تمام:

حَلَطَ الشَّجَاعَةَ بِالْحَيَاءِ فَأَضْبَحَا      كَالْحُسْنِ ثِيَابَ لِمُغْرَمٍ بِدَلَالِ  
وقد أَظَلَّتْ النَّفْسَ فِي الرَّدِّ عَلَى الْحَافِظِ بْنِ حَجْرٍ، إِذْ قَرَّرَ قَوْلَ

= العرب المعدودين في خراسان أبلي بلاء حميداً في قتال الترك والسند في خراسان وما وراء النهر.

(١) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة: أحد القادة الشجعان الاجواد. ولي خراسان بعد وفاة أبيه ثم عزله عبد الملك بن مروان وله اخبار كثيرة.

(٢) خالد بن صفوان القناص: شاعر وبلغ ونحوي عباسي. من شعراء العصر العباسي الأول.

(٣) الأحنف بن قيس: تابعي من الطبقة الأولى لا صحابي؛ لأنه أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره. ووفد على عمر رضي الله عنه، يضرب به المثل في الحلم والورع.

(٤) استخفني الشيء مثل استهزئي الشيء والهشاشة: الارتياح للشيء.

(٥) حاجب الفيل هو: حاجب بن ذبيان المازني. شاعر لم تذكر المصادر الشيء الكثير عن حياته، ولكنه دخل على بعض خلفاء وأمراء بني أمية شاكياً إليهم الجذب الذي أصاب العرب. وقد مدح يزيد بن المهلب، وهجا ثابت قطنة.

الراغب<sup>(١)</sup>، بتلازم الوقاحة والشجاعة، بما تغني الإحالة فيه؛ على بلابل التفريد<sup>(٢)</sup> عن الإطالة به، أما الخنساء، فقد شاءت أن تمدح، فلم تأت إلا بما يشبه الهجاء، وذلك حيث تقول:

تَحْسَبُهُ غَضْبَانَ مِنْ عِرْوَةٍ      ذَلِكُ مِنْهُ خُلُقٌ مَا يَحْوُلُ  
ولكن تناوله الطائي<sup>(٣)</sup>، فاصح منه، إذ يقول:

كَالْبَدْرِ حَسَنًا وَقَدْ يَعَاوِدُهُ      عُبُوسٌ لَبِثَ الْعَرِينِ فِي عَبْدِهِ<sup>(٤)</sup>  
وخير منه؛ قول البحري:

لَا يَكْفِهْرُ إِذَا انْحَازَ الْوَقَارُ بِهِ      وَلَا يَطْبِئُ نَوَاحِيهِ إِذَا مَرَّحَا  
وقوله:

رَوْعَةٌ مِنْ وَقَارِهِ ظَنَّهَا الْجَا      هَلْ إِذْ قَاجَأَتْهُ رَوْعَةٌ كَبِيرِ  
وما أحسن قول، عاتكة بنت زيد<sup>(٥)</sup>، في رثاء ابن الخطاب: سريع إلى

(١) الراغب الاصفهاني قيل أنه من المعتزلة غير أن الإمام جلال الدين السيوطي أكد أنه كان من أئمة السنة وقرنه بالتالي بالغزالي. وهو أديب، من الحكماء العلماء. من كتبه (محاضرات الأدباء (الاخلاق) ويسمى (أخلاق الراغب) و(جامع التفاسير) أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، و(المفردات في غريب القرآن) وكتب أخرى في علم النفس والحكمة واللغة والبلاغة.

(٢) كتاب بلابل التفريد فيما يستفاد من قراءة التجريد كتاب لا زال مخطوطا للإمام بن عيد اللاه.

(٣) حاتم الطائي شاعر جاهلي، فارس جواد وهو من قبيلة طيء، ويعد مضرب المثل في الجود والكرم.

(٤) قوة، أنفة، رصانة، حشمة.

(٥) عاتكة بنت زيد بن عمرو، أخت سعيد بن زيد، أسلمت وهاجرت وكانت من حسان النساء وعبادهن، تزوجها عبد الله بن أبي بكر وقتل عنها في غزوة الطائف مع رسول الله، وتزوجها بعده الخليفة عمر بن الخطاب وقتل عنها، ثم تزوجها الزبير بن العوام وقتل عنها، ثم تزوجها محمد بن أبي بكر وقتل عنها في مصر حتى قيل: «من أراد الشهادة فليتزوج بعاتكة بنت زيد».

الخيرات؛ غير قطوب ولا لوزم؛ إن كاد يخرج بهذا عن الموضوع، لأن رِقَابَهُ  
أَخَذَهُ بِيَعْضِهَا، وَكَثِيرًا مَا اتْرَحَ طَرَبًا، وَاتِّضَاحَكٌ عَجَبًا؛ مِنْ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي:

وَأَنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَالِدَةً وَالسَّمْهَرِيَّ<sup>(١)</sup> أَخًا، وَالْمَشْرِفِيَّ أَبَا  
بِكَلِّ اشْعَثَ<sup>(٢)</sup> يَلْقَى الْمَوْتَ مُبْتَسِمًا حَتَّى كَانَ لَهُ فِي قَلْبِهِ أَرْبَا  
فَعُ كَادَ صَهِيلُ الْخَيْلِ يَقْدِفُهُ عَنْ سَرْجِهِ مَرَحًا بِالْعَمْرُ أَوْ طَرَبًا  
فَالْمَوْتُ أَهْذَرُ لِي وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ لِي وَالْبِرُّ أَوْسَعُ وَالذُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا  
والجزء الأخير، مما أنشده مراون<sup>(٣)</sup>، يوم وثب على الملك وهو:

إِنِّي أَرَى فِتْنَةً تَغْلِي مَرَاجِلَهَا وَالْمَلِكُ بَعْدَ أَبِي لَيْلَى لِمَنْ غَلَبَا  
ومما أنشده يومئذ قوله - لا يملكون الملك إلا غَضَبًا - وقد أغار عليه  
المتنبي أيضاً، في قوله:

مَنْ أَطَاقَ التَّمَّاسَ شَيْءٍ غِلَابًا وَاعْتِصَابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالًا  
وقوله:

إِذَا لَمْ تُجْرِمْ دَارُ قَوْمٍ مَوْدَةَ أَجَارَ الْقَنَا وَالْخَوْفَ خَيْرٌ مِنَ الْوَدِّ  
وقوله:

وَمَنْ تَكُنَّ الْأَسَدُ الصُّوَارِي جُدُودَهُ يَكُنْ لَيْلَهُ صُبْحًا وَمَطْعَمُهُ غَضَبًا  
ولهذا ميسس، بما يأتي، قبيل آخر أبيات القصيدة، حسبما نُجِيلُ عليه، أما

(١) السَّمْهَرِيُّ: الرَّمْحُ الصَّالِبُ الْعَوْدُ وَالْمَشْرِفِيُّ: سَيْفٌ يَجْلِبُ مِنَ الْمَشَارِفِ، مَنْسُوبٌ إِلَيْهَا.

(٢) اشْعَثُ: مَغْبِرُ الشَّعْرِ مُتَلَبِّدُهُ.

(٣) مروان بن الحكم بايعه الامويون بالخلافة بعد موت معاوية بن يزيد. وكان نفوذ بني امية قد  
ضعف وكادت تضيع منهم الخلافة فسيطر على الشام ثم سار بجيشه واستولى على مصر  
وتولى الخلافة من بعده ابنه عبد الملك بن مروان الذي بسط سيطرته على كافة الدولة  
الإسلامية وفتح المغرب العربي.

ما ذكرته من الطرب، فَلَمَّا تَرَى من الإحسان، وأماً الضحك، فليسخافة هذا الإنسان، أوَمَا قال قبلها:

لَمَّا أَقَمْتَ بِإِنطَاكِيَّةِ اِخْتَلَفْتُ      إِلَيَّ بِالخَبْرِ الرُّكْبَانُ فِي حَلَبَا  
فَسِرْتُ نَحْوَكَ لَا أَلْوِي عَلَى أَحَدٍ      أَحْتَّ رَاحِلَتِي: الفَقْرَ وَالْأَدْبَا

أَوْ مَنْ كَانَتْ تَلِكْ مَطَايَاهُ، كَيْفَ تَتَحَقَّقْ نَوَايَاهُ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُشْرِكَ الشَّرِيفَ فِي الْعَجَبِ، إِذْ لَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَتَنِيِّ فِي حَسَبِ<sup>(١)</sup>. وَلَا نَسَبِ، وَقَدْ كَفَانَا الْأَسَاطِذُ<sup>(٢)</sup>، مُؤَنَّةُ التَّعْرِيفِ؛ بِمَا خَذَلِيبُ الثَّانِي، بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ مِنْ شِيوعِهِ، وَمَنْهَ مَا انشده يزيد بن المهلب، قبيل قتله، وهو:

فَعِشْ مَلِكاً أَوْ مِتْ كَرِيماً فَإِنْ تَمَّتْ      وَسَيْفَكَ مَثُورٌ بِكَفِّكَ تُعْذِرُ  
وقول عروة بن الورد<sup>(٣)</sup>:

ذَرِينِي أَطُوفَ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي      أُوْخَلِيكَ أَوْ أُغْنِيكَ عَنِ سُوءِ مَحْضَرِي  
فَإِنْ فَازَ سَهْمٌ لِلْمَنِيَّةِ لَمْ أَكُنْ      جَزُوعاً وَهَلْ عَن ذَاكَ مِنْ مُتَأَخِّرِ  
وَإِنْ فَازَ سَهْمِي كَفَّكُمْ عَن مَقَاعِدِ      لَكُمْ خَلْفَ أَرْبَابِ الْبِيوتِ وَمَنْظَرِ  
وقول الأول:

وَلَا بُدَّ أَنْ أَسْعَى لَا شُرْفِ رُتْبَةٍ      وَامْتَنِعَ عَيْنِي مِنْ لَذِيذِ مَنَامِي  
وَاقْتَحِمُ الْأَمْرُ الْجَسِيمَ بِحَيْثُ      أَنْ أَرَى الْمَوْتَ خَلْفِي تَارَةً وَأَمَامِي  
فَإِذَا مَقَاماً يَضْرِبُ الْمَجْدُ وَسَطَهُ      سُرَادِقَهُ أَوْ بَاكِياً لِجِمَامِي

(١) الْحَسْبُ مَا يُعْذُهُ الْمَرْءُ مِنْ مَنَاقِبِهِ أَوْ شَرَفِ آبَائِهِ وَالنَّسَبُ: الْأَصُولُ الَّتِي يَنْحَدِرُ مِنْهَا النَّسَبُ كَالْأَبِ وَالْجَدِّ وَأَبِي الْجَدِّ.

(٢) الْأَسَاطِذُ زَكِي مَبَارَكٌ.

(٣) عُرْوَةُ بْنُ الرَّوْدِ الْعَبْسِيُّ شَاعِرٌ مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَارَسٌ مِنْ فَرَسَانِهَا وَصَعْلُوكٌ مِنْ صَعَالِيكِهَا الْمَعْدُودِينَ الْمَقْدَمِينَ الْأَجْوَادَ. كَانَ يَسْرِقُ لِيَطْعَمَ الْفُقَرَاءَ وَيُحَسِّنَ إِلَيْهِمْ. وَكَانَ يَلْقَبُ عُرْوَةَ الصَّعَالِيكَ لِجَمْعِهِ إِيَّاهُمْ وَقِيَامِهِ بِأَمْرِهِمْ إِذَا أَخْفَقُوا فِي غَزْوَاتِهِمْ.



فَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْلُغْ مَقَاماً أَرَوُّهُ      وَقَالَ عُوَيْفُ الْقَوَافِي<sup>(١)</sup> :  
فَكَمْ حَسْرَاتٍ فِي نُفُوسِ كِرَامِ

أَقُولُ لِفَتَيَانِ كِرَامٍ تَرَوُّحُوا      عَلَى الْجَرْدِ<sup>(٢)</sup> فِي أَفَوَاهِهِنَّ الشَّكَايِمُ<sup>(٣)</sup>  
قِفُوا وَقَفَّةً مَنْ يَخِيَّ لَا يَخْرَزُ بَعْدَهَا      وَمَنْ يَخْتَرِمُ لَا تَتَّبِعُهُ اللِّوَائِمُ  
وسيعاد هذان البيتان؛ تحت البيت<sup>(٤)</sup> (٩٧)؛ فلا عتب ولا مؤاخذه.

وبيت الشريف؛ لا يوزن بشيء من هذه البتة، فضلاً عن أن يستحق المعنى، كما يزعم الأستاذ<sup>(٥)</sup> بحسن الاتباع، وقد امتروا<sup>(٦)</sup>، يوم العقر<sup>(٧)</sup>، في قتل يزيد بن المهلب؛ فقال مسلمة بن عبد الملك: معاذ الله أن يلوذ بالهرب يزيداً وقد سمعته يقول: قَبَّحَ اللهُ الْأَشْعَثَ، حُبُوهُ غَلَبَ عَلَى الْمَلِكِ، فَمَنْ غَلَبَهُ عَلَى الْمَوْتِ، وَقَدْ جَعَلَهُ ابْنُ دَرِيدٍ<sup>(٨)</sup>، وَلَهُ الْحَقُّ، مُضْرَبُ الْمَثَلِ فِي الْإِبَاءِ حَيْثُ يَقُولُ:

وَقَدْ سَمَا قَبْلِي يَزِيدُ طَالِباً      شَأْوُ الْعُلَى فَمَا وَهَى وَلَا وَنَى

(١) هو عويف بن عتبة من اشراف بني حذيفة بالكوفة، عاش في العصر الاموي ومدح الخلفاء والأعيان، وسمي عويف القوافي بيت شعر له.

(٢) الجَرْدُ: التُّرْسُ.

(٣) الشَّكِيمَةُ: الحديدَةُ المعترضَةُ في فم الفرس من اللجام. والشَّكِيمَةُ أيضاً: قوة القلب.

(٤) أي من ابيات القصيدة الحائبة الشريف والتي سيتولى نقدها الإمام بن عبيد اللاه.

(٥) يقصد زكي مبارك.

(٦) امترى في الشيء شك فيه.

(٧) «العقر» مكان بين واسط وبغداد قتل فيه يزيد بن المهلب في حربه مع أمير العراقيين مسلمة بن عبد الملك.

(٨) أبو بكر محمد بن الحسن البصري الدوسي، عالم وشاعر وأديب عربي ومن أعظم شعراء العرب، ولد في البصرة في خلافة المعتصم وعند ظهور الزنج في البصرة انتقل مع عمه إلى عُمان وذلك في عام ٢٥٧هـ، وأقام فيها اثنتي عشرة عاماً، ثم رجع إلى البصرة وأقام فيها زمناً، ثم خرج إلى الأحواز بعد أن لبي طلب عبد الله بن محمد بن ميكال الذي ولاه الخليفة المقتدر أعمال الأحواز، فلحق به لتأديب ابنه وهناك قدّم له كتابه العظيم جمهرة اللغة ثم عاد إلى بغداد وتوفي بها.

وذكره الشريف، في قصيدة له جزلة، نَوَّةٌ فيها بجملته من أبَاةِ الضيم، حيث يقول:

وَهَذَا يَزِيدُ بِنُ الْمُهَلَّبِ نَاقَرَتْ بِهِ الدَّلُّ أَعْرَاقُ الْجُدُودِ الْأَكَارِمِ  
فَقَالَ وَقَدْ عَنَّ الْفِرَارُ أَوْ الرَّدَى لِحَى اللَّهِ أَخْرَزَى ذِكْرَهُ فِي الْمَوَاسِمِ  
فَعَاثَ الدَّنَايَا وَامْتَطَى الْمَوْتَ شَامِخاً بِمَارِنٍ<sup>(١)</sup> عِزُّ لَا يَذِلُّ لِخَاطِمِ

وما منعه بظني؛ أن يذكر شهداء آل البيت؛ إلا الخوف، أو الكثرة، فكلهم آثر<sup>(٢)</sup> الأتف<sup>(٣)</sup>، واستعذب الموت على الشرف، وقيل ليزيد بن المهلب: الا تبني لك داراً؟ قال: هي مبنية! قالوا أين؟ قال: دار الأمانة، أو السجن، أو القبر؛ وهو لا يخرج عما نحن فيه، من مناسب بيت الشريف، وقد اعجب به أبو فراس، فانضرج<sup>(٤)</sup> عليه؛ حيث يقول:

مَنْ كَانَ مِثْلِي لَمْ يَمُتْ إِلَّا أَمِيراً أَوْ أُسِيراً  
لَيْسَتْ تَجِلُّ<sup>(٥)</sup> سِرَاتِنَا<sup>(٦)</sup> إِلَّا الصُّدُورَ أَوْ الْقُبُورَا

وقال:

وما أغفل السجن في هذا، إلا لضيق الوزن، أو لأنه من المعائب عندهم، حتى كانت حميدة بنت النعمان بن بشير<sup>(٧)</sup>، تُعَيِّرُ زوجها، روح بن زنباع<sup>(٨)</sup>، إذ

(١) المارن: طرف الأنف.

(٢) آثر الشيء: فضله واختاره.

(٣) يقال رجل حبي الأنف: أي يأنف أن يضام. وشمخ بأنفه: تكبر. وزغم أنفه: ذل.

(٤) انضرج الصقر: إنقض على الصيد.

(٥) نحل: أي تسكن.

(٦) سراة الناس: نخبتهم.

(٧) حميدة بنت النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي. شاعرة. كان أبوها والياً على حمص.

تزوجت المهاجر بن عبد الله وطلقها، فهجته. ثم تزوجت الحارث المخزومي ثم روح بن زنباع، ولها معها مساجلات شعرية ثم وتزوجت بعدها فيض الثقفي، فأحبته، وولدت له ابنة تزوجها الحجاج بن يوسف. وتوفيت بالشام في أواخر ولاية عبد الملك بن مروان.

(٨) روح بن زنباع كان صاحب الشرطة أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وكان من =

كان مسه الأسر يوم المرج<sup>(١)</sup>، وهي القائلة له من بعد ذلك:

وَهَلْ هِنْدُ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ      سَلِيلَةٌ أَفْرَاسٍ تَحَلَّلَهَا بَنُلُ

وما اضطر ابن المهلب إلى ذكره، إلا وقوعه، وأكثر الحمداني في قصائده؛  
من الاعتذار عنه<sup>(٢)</sup> وقال أبو عباده<sup>(٣)</sup>:

وَلَكِن أُسِرْتُ فَمَا الْإِسَارُ عَلَى امْرِئٍ      نَصْرُ الْإِسَارِ عَلَى الْفِرَارِ بِعَابِ

وعليه بنى الحمداني قوله:

وَقَالَ اصِيحَابِي الْفِرَارَ أَوْ الرَّدَى      فَكُلْتُ هُمَا أَمْرَانِ أَحْلَاهُمَا مُرُ

وَلَكِنِّي أَمْضِي لِمَا لَا يَعْجِبُنِي      وَحَسْبُكَ مِنْ حَالَيْنِ خَيْرُهُمَا الْأَسْرُ

ولولا أن البحترى عبّد الطريق؛ لَعَصَّ من أسره الحمداني، بالريق، اما  
سودة بنت زمعه<sup>(٤)</sup>، فقد عابت على سهيل بن عمرو<sup>(٥)</sup>، ما أصابهم من الأسر في  
يوم بدر، فقالت له: أعطيتم بأيديكم يا أبا يزيد؛ هلا مِتُّم كِرَاماً، ولكن؛ لا  
سواءً، فما كل بيضاء شحمه، وإنما كان المسلمون قليلاً عَدَدُهُم، بالنسبة إلى  
أعداد المشركين، فمن هذه الناحية، لحقهم اللوم؛ وأما الشريف، فقد لاذ

= المقربين لديه وممن يستمع إليهم. هو من تنبأ في ذكاء ومهارة الحجاج بن يوسف الثقفي  
القيادية وبذلك قدمه إلى الخليفة عبد الملك بن مروان الذي إعتد عليه في ترسية حكم بني  
أمية وكان يوم مرج راهط مع مروان بن الحكم.

(١) مرج راهط: معركة دارت بين مروان بن الحكم - الذي بايعه أهل الشام - والضحاك بن  
قيس - الذي بايعه أهل دمشق وكان يدعو لبيعة عبد الله ابن الزبير سراً - على أرض مرج  
راهط، وقد استغرقت المعركة ٢٠ يوماً وانتهت بنصر مروان بن الحكم في عام ٦٤ هـ وكان  
لهذه المعركة دور هام في استتباب أمور الدولة الأموية لمروان بن الحكم.

(٢) أي الأسر.

(٣) أبو عبادة لقب البحترى.

(٤) هي أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس القرشية العامرية.

(٥) سهيل بن عمرو يكنى أبا يزيد، خطيب قريش وفصيحهم، ومن أشرافهم. أسر في معركة  
بدر، وتأخر إسلامه إلى يوم فتح مكة.

بالفرار، وَتَمَدَّحٌ بِالتَّخْلِصِ بِهِ، فِي يَوْمِ الدَّارِ<sup>(١)</sup>، وَقَالَ:

أَعْجَبَ لِمُسْكَاةِ نَفْسٍ بَعْدَمَا رُمِيَتْ      مِنْ التَّوَائِبِ بِالأَبْكَارِ وَالْعَوْنِ  
وَمِنْ نَجَاتِي يَوْمَ الدَّارِ حِينَ هَوَى      غَيْرِي وَلَمْ أَخْلُ مِنْ حَزْمٍ يُنَجِّبُنِي  
وأما قوله: فعاف المنايا، وامتنى الموت شافي، فإنه خير من قول ثابت بن  
قطنه<sup>(٢)</sup>؛ في رثاء يزيد:

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَإِنَّ قَتْلَكَ لَمْ يَكُنْ      عَارًا عَلَيْكَ وَرَبِّ قَتْلِ عَارٍ  
ومن قول الاعشى:

فَمَا مَيَّةٌ إِنْ مُتَّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ      بِعَارٍ إِذَا مَا غَالَتْ النَّفْسُ عُوَلَهَا  
وقول ليلي الأخيلى:

لَعَمْرُكَ مَا بِالمَوْتِ عَارٌ عَلَى الفَتَى      إِذَا لَمْ تُصِبْهُ فِي الحَيَاةِ المَعَايِرُ  
وقول يزيد المهلبى<sup>(٣)</sup>:

وَمَا رُزِقَ الإِنْسَانُ مِثْلَ مَنِيَّةٍ      أَرَا حَتْ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ تُخْزِ فِي القَبْرِ  
لفرقان<sup>(٤)</sup> ما بين دفع العار، واقطاع<sup>(٥)</sup> جانب الفخار، وكل هذا من مناسب

(١) أطلق الشريف لساقه الريح في مجلس الخليفة الطائع حفيد المتوكل وقد رآه يجذب (على يد الديلم بتدبير من بهاء الدولة بن عضد الدولة) وينزل عن السرير وهو يردد (إنا لله وإنا إليه راجعون) ثم يخلع، فعاش الرضي يكابد الندم تارة وتارة يبرر ما ظن أنه عين الحزم، ويقول تلك الأبيات.

(٢) اسمه ثابت بن كعب الأزدي شاعر من العصر الأموي اشترك في الفتوحات الإسلامية لبلاد الترك وأصيب عينه فكان يخفيها بقطنة فسمي بذلك توفي في حدود سنة ١١٠هـ.

(٣) يزيد بن محمد بن المهلب شاعر من أهل البصرة. اشتهر ومات ببغداد، كان فيه اعتزاز وترفع، اتصل بالمتوكل العباسي، وناداه، ومدحه، ورثاه بقصيدة من عيون الشعر.

(٤) أي لإختلاف.

(٥) تملك واكتساب.

بيت الشريف، الدائر بين المَنِيَّةِ والأُمْنِيَّةِ، ومن خير ما فيه؛ قول أبي فراس:  
 وَلَكِنْ سَأَلَقَاهَا فَمَا مَنِيَّةٌ هِيَ الظَّنُّ، أَوْ بُنْيَانٌ عِزْمُوطٌ  
 وقول الشريف نفسه من أخرى:  
 وَأَطْلُبُ غَايَةً إِنْ طَوَّحَتْ بِي أَصَابَتْ بِي الْجُمَامُ أَوْ الْعَلَاءُ  
 ثم أطنب الأستاذ في قول الشريف:

|   |  |
|---|--|
| الرَّاحُ <sup>(١)</sup> وَالرَّاحَةُ ذُلُّ الْقَسَى | وَالعِزُّ فِي شُرْبِ صَرِيْبِ اللِّقَاحِ |
| فِي حَيْثُ لَا حُكْمَ لِغَيْرِ الْقَنَا             | وَلَا مُطَاعَ غَيْرِ دَاعِي الكِفَاحِ    |

وأطال عقبهما في مدح البادية؛ وأقول: أما قوله: أن في الراح الذل؛ فإنا لا اعرف لونها فضلا عن طعمها، وإنما رأيت العرب تفتخر بسبائها<sup>(٢)</sup>، وتقرنه بفخر بلائها، ومنه قول امرؤ القيس<sup>(٣)</sup>:

كَأَنِّي لَمْ أَزْكُبْ جَوَادًا لِلذَّوِّ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ حَلْحَالِ  
 وَلَمْ اسْبَأْ الزَّقَّ الرَّوِّيَّ وَلَمْ أَقْلِ لِخَيْلِي كِرِّي كَرَّةً بَعْدَ الْجَفَالِ

فأضاف شراءه الخمر لنفسه، ولأضيافه، بشجاعته وفروسيته؛ وللبيتين حديث عجيب، بين الممتبي وسيف الدولة، لا نطيل به، لأنه مشهور، وقد انضرج عبد يغوث<sup>(٤)</sup> على يتي امرأ القيس، في قصيدته، التي قالها عند مقتله، وتخلص مما أورد على الكندي<sup>(٥)</sup>؛ وذلك حيث يقول:

- 
- (١) الرَّاحُ: الخمرُ.  
 (٢) سَبَأَ الخمرَ: اشتراها ليشربها.  
 (٣) امرؤ القيس بن حجر الكندي أحد أشهر شعراء الجاهلية الذين منهم زهير بن أبي سلمى والناطقة الذبياني والاعشى وهو أحد أصحاب المعلقات السبعة.  
 (٤) الشاعر الجاهلي عبد يغوث بن كعب الحارثي.  
 (٥) الممتبي.

أَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَاداً وَلَمْ أَقْلُ لِحَيْلِي كُرِّي نَفْسِي عَنْ رِجَالِيَا  
 وَلَمْ أَسْبَأِ الزِّقَّ<sup>(١)</sup> الرَّوِّيَّ وَلَمْ أَقْلُ لَايَسَارِ صِدْقِ أَعْظُمُوا ضَوْءَ نَارِيَا  
 وَيُحَكِّي أَنَّ حَسَانَ<sup>(٢)</sup> عَنَّفَتْ جَمَاعَةً، فِيهِمْ ابْنُهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ؛ عَلَى شَرْبِ  
 الْخَمْرِ؛ فَقَالُوا لَهُ: كَلِمَا عَزَمْنَا عَلَى الْإِقْلَاعِ عَنْهَا، رَدْنَا إِلَيْهَا قَوْلَكَ:  
 وَنَشْرِبُهَا فَتَثْرُكُنَا مُلُوكاً وَأَسْدُأَ مَا يُنْهِنُهَا الْإِلْقَاءُ  
 وَقَالَ لَقِيَطُ<sup>(٣)</sup>:  
 شَرِبْتُ الْخَمْرَ حَتَّى خَلْتُ أَنِّي أَبُو قَابُوسٍ أَوْ عَبْدُ الْمَدَانِ  
 وَقَالَ الْمِنْخَلُ الْيَشْكُرِيُّ<sup>(٤)</sup>:  
 فَإِذَا سَكِرْتُ فَإِنِّي رَبُّ الْخَوَزَنْقِ<sup>(٥)</sup> وَالسَّالِدِيرِ  
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنِّي رَبُّ الشُّوْنَهَةِ وَالْبَعِيرِ  
 وَقَالَ الْأَخْطَلُ<sup>(٦)</sup>:

- (١) وعاء من جلد توضع فيه السوائل.  
 (٢) حسان بن ثابت الأنصاري شاعر عربي وصحابي من الأنصار، ينتمي إلى قبيلة الخزرج من أهل المدينة، كان شاعراً يند على ملوك آل غسان في الشام قبل إسلامه، ثم أسلم وصار شاعر الرسول ﷺ بعد الهجرة. توفي أثناء خلافة علي بن أبي طالب.  
 (٣) لقيط بن يعمر بن خارجة الإيادي شاعر جاهلي فحل، من أهل الحيرة، كان يحسن الفارسية واتصل بكسرى، فكان من كتابه والمطلعين على أسرار دولته ومن مقدمي مترجميه.  
 (٤) المنخل اليشكري شاعر جاهلي من اصدقاء الشاعر النابغة الذبياني. عاصر حاتم الطائي وعترته بن شداد وكان له قصص معهم.  
 (٥) الخوزنق والسدير: أسماء قصور قديمه في الجاهلية، الأول قصر كان للتعمان الأكبر بالعراق بناه سمنار الذي قتل بعد اتمام بنائه فحضر به المثل جزاء سمنار، اما قصر السدير فبناه للخميين «المناذرة»، وقد وردت أسماء القصرين كثيراً في احاديث العرب واشعارهم.  
 (٦) الأخطل التغلبي ويكنى أبو مالك شاعر عربي ينتمي إلى بني تغلب وكان نصرانياً، مدح خلفاء بني أمية بدمشق في الشام، وأكثر في مدحهم، وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصر وهم: جرير والفرزدق والأخطل ومات على دينه.

إذا ما نَدَيْمِي عَلَّيْ  
نَمَّ عَلَّيْ ثَلَاثَ زُجَاجَاتٍ لَهْنُ هَدِيرُ  
خَرَجْتُ أَجْرُ الذَّيْلِ حَتَّى كَأَنِّي  
عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ  
يخاطب بذلك، عبد الملك بن مروان، وقال عتر<sup>(١)</sup>:

وَإِذَا سَكِرْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكُ  
مَالِي وَعِرْضِي وَإِفْرُ لَمْ يُكَلِّمْ  
وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصُرُ عَنْ نَدَى  
وَكَمَا عَلِمْتَ سَمَائِلِي وَتَكْرُمِي  
فأخذه البحترى، وزاد عليه، بقوله:

تَكَرَّمْتَ مِنْ قَبْلِ الْكُؤُوسِ عَلَيْهِمْ  
فَمَا اسْطَعْنَنْ أَنْ يُحَدِّثَنَّ فِيكَ تَكْرُمًا  
وأغار عليه المتنبي، فقال:

لَا تَجِدُ الْخَمْرَ فِي مَكَارِمِهِ  
إِذَا انْتَشَى خِلَّةً تَلْفَاهَا  
وقال أحد القدماء، وقد تمثل به أبو نواس:

وَإِذَا حَسَى مِنْهَا الْوَضِيعُ ثَلَاثَةً  
سَمَحَ الْوَضِيعُ كَفِعْلٍ ذِي الْقَدْرِ  
وقال الشريف نفسه:

لَهَا رِقَاصٌ فِي الذَّوَائِبِ وَالشَّوَى  
تَرُدُّ جَبَانَ الْقَوْمِ نَدْبًا<sup>(٢)</sup> مَشِيعًا  
ولله در شيخنا ابن شهاب<sup>(٣)</sup> في قوله:

يَدْعُوا إِلَى كَرَمِ الْأَخْلَاقِ سَاكِبُهَا  
يَسْأَلُ مِنْ دَمِ الْعُنُقُودِ يُهْرَقُهُ  
فكل هذه الشواهد ناطقة؛ بان الراح؛ تطلق البنان، وتشجع الجبان،

(١) عترة بن شداد العبيسي: أشهر فرسان العرب وأشعرهم وشاعر المعلقات والمعروف بشعره الجميل وغزله العفيف بعبلة.

(٢) النَّدْبُ: السريخ الخفيف عند الحاجة والمُسَيِّعُ الشُّجَاعُ الجري القلب.

(٣) السيد أبو بكر بن شهاب، عالم موسوعي جامع مصلح وشاعر موهوب ولد في تريم بحضرموت سنة ١٢٦٢هـ، وتوفي في حيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣٤١هـ.

وهاتان الفضيلتان، أختان، أو رضيعتا لبان<sup>(١)</sup>، فهو خلاف ما يقوله الشريف،  
وكانه نظر إلى قول المتنبي:

وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَجْدَ زَقًا وَقَيْنَةً      فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا السِّيفُ وَالضَّرْبَةُ الْبَكْرُ  
وقوله:

مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَايَا      كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الشُّمُولُ<sup>(٢)</sup>  
وقول أبي العتاهية<sup>(٣)</sup>:

بَاعَ الْعُلا بِشَادِنٍ<sup>(٤)</sup> وَكَاسِ      وَصُحْبَةَ الشَّيْخِ أَبِي نُوَّاسِ  
ولكن هذا لون، وذاك لون آخر، وما ذكرناه كاف، لنسف ما استمن

زكي<sup>(٥)</sup>، من بيت الرضي؛ لأنه يتكلم بلسان الأدب، والعرب، فنكثنا فتله به،  
ولو انه كان يتكلم، بلسان الدين، لكان لنا معه حديث آخر، واما الثناء على  
البادية؛ فقد قال ابن رشي<sup>(٦)</sup>: إن من املح ما فيه قول أبي الطيب:

مَنْ الْجَادِرِ فِي زِيِّ الْأَعَارِبِ      حُمْرُ الْحَلَا وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ  
والأبيات التي بعده، فلو لم تُفْضَلُ البادية؛ إلا بهذا؛ لكان فيه مُقْنِعٌ.  
(انتهى).

(١) يقال رضيعاً لبان للمتقاربين المتماثلين.

(٢) الشُّمُولُ: الحُمْرُ.

(٣) إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، كان بائعاً للجرار، مال إلى العلم والأدب ونظم  
الشعر حتى نبغ فيه، ثم انتقل إلى بغداد، وأتصل بالخلفاء، فمدح المهدي والهادي  
والرشيد. كان سريع الخاطر، في شعره إبداع، يعد من مقدمي المولدين، من طبقة بشار بن  
بردو أبي نواس.

(٤) الشادن: المغني أو حادي الإبل.

(٥) زكي مبارك.

(٦) الحسن بن رشي<sup>(٦)</sup> المعروف بالقيرواني أحد الأفاضل البلغاء، يقال أنه ولد بالمسيلة  
(بالجزائر) وتعلم فيها قليلاً، ثم ارتحل إلى القيروان له كتب عدة منها: كتاب العمدة في  
معرفة صناعة الشعر ونقده وعبوبه، وكتاب الأنموذج والرسائل الفائقة والنظم الجيد.



ومن أنعم النظر في ديوان المتنبي، الفى جُلَّ أو كُلَّ نسيبه، بينات  
الاعراب، إمَّا صريحاً؛ كما في تلك، أو قوله:

هَامَ الْفَوَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَنْتُ      بَيْتاً مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تُمْدِدْ لَهُ طَنْبَا  
وقوله:

عَدَوِيَّةٌ بَدَوِيَّةٌ مِنْ دُونِهَا      سَلْبُ النُّفُوسِ وَتَارُ حَرْبٍ تُوقِدُ  
وقوله:

بِكُلِّ فَلَاقَةٍ تُنَكِّرُ الْإِنْسَ أَرْضُهَا      ظَعَائِنُ حُمُرِ الْجَلِي حُمُرُ الْأَيَانِقِ  
وقوله:

الْحُسْنُ يَرْحَلُ كُلُّمَا رَحَلُوا      مَعَهُمْ وَيَنْزِلُ حَيْثَمَا نَزَلُوا  
فِي مُقْلَتِي رَشْأً تُدِيرُهُمَا      بَدَوِيَّةٌ قُتِنَتْ بِهَا الْحُلُّ  
وإمَّا تلويحاً: بما ينصبه من خواصَّ البادية، كالأطعان، والحدوج<sup>(١)</sup>،  
والتحمل، والانتجاع، كقوله:

يَا حَبَبًا الْمُتَحْمِلُونَ وَحَبَبًا      وَإِذْ لَثَمْتُ بِهِ الْفَرَّالَةَ كَاعِبَا  
وقوله:

لَمَّا تَقَطَّعَتْ الْحُمُولُ تَقَطَّعَتْ      كَبِيدِي أَسَى وَكَأَنَّهُنَّ طُلُوحُ<sup>(٢)</sup>  
إلى ما لا يحصى من أمثاله، الموجودة بكثرة؛ في العود الهندي<sup>(٣)</sup>. وقال

(١) حدج: مركب للنساء كالهدوج.

(٢) ١ - طلح: خالي الجوف من الطعام.

٢ - طلح: تعب.

٣ - طلح: مهزول، ضعيف.

٤ - طلح: دابة تتعلق بالجمال أو نحوها.

(٣) كتاب ادبي مطبوع للإمام بن عبيد اللاه.

ابن الرومي<sup>(١)</sup> يمدح أبا الصقر<sup>(٢)</sup>:

هذا أبو الصقرِ فَرْدًا فِي محاسنه  
مِن نَسْلِ شَيْبَانَ بَيْنَ الضَّالِّ وَالسَّلَامِ  
وقال:

حلُّوا الفِضَاءَ ولم يَبْنُوا فليسَ لَهُم  
ولا حُضُونٌ إِذَا مَا آتُوا فَرَعًا  
وهلْ لذي العِرِّ غيرَ العِرِّ مُدْخَلٌ  
وقال التهامي<sup>(٤)</sup>:

وبي من البدو كَحَلَاءِ الجُفُونِ بَدَتْ  
وأشعلت وَجَنَّتَاهَا النارَ لا لِقَرِيٍّ  
فَلَوْ بَدَتْ لِحَسَانِ الحَضَرِ قَمَنَ لَهَا  
وقال المعري:

الموقدونَ يَنجِدُ نارَ بايِةٍ لا يحضرون<sup>(٦)</sup> وفقد العِرِّ فِي الحَضَرِ

(١) محمد عبد الله جعفر الغانم البلادي، الشهير بابن الرومي، شاعر كبير من العصر العباسي، من طبقة بشار والمنتبي، شهدت حياته الكثير من المآسي والتي تركت آثارها على قصائده، تنوعت أشعاره بين المدح والهجاء والفخر والرثاء.

(٢) أبي الصقر إسماعيل بن بلبل: استوزره الموفق لأخيه المعتمد. وكان أبو الصقر كريماً مطعماً متجعلاً، وجمع له السيف والقلم، ومدحه الشعراء كالبحتري وابن الرومي وغيرهما وهجوه. وكان أبو الصقر ينتسب إلى بني شيبان، وقوم غمزوه وقالوا: هو دعي.

(٣) الخرص: الدرع والخرص: الجمل الشديد الضليع.

(٤) أبو الحسن علي بن محمد التهامي من كبار شعراء العرب، مولده ومنتشؤه في اليمن، وأصله من أهل مكة، انتحل مذهب الاعتزال، وسكن الشام مدة، ثم قصد العراق والتقى صاحب ابن عباد، ثم انتقل إلى مصر وشارك في الثورة على الحاكم الفاطمي، وقتل في مصر ٤١٦هـ.

(٥) المَهَاءُ: البقرة الوحشية والمَهَاءُ الشَّمْسُ.

(٦) حضر البديوي: أي أقام واستقر فلم يعد يترحل.

والحُسْنُ يَظْهَرُ فِي شَيْئَيْنِ رَوْنَقُهُ  
وَقَالَ ابْنُ هَانِيءٍ يَمْدَحُ:

وَأَرْضَعَتْهُ وَأَسَدَ الْغَيْلِ تَكْفُلُهُ  
فَسَبَّ إِذْ سَبَّ كَالْحَطَّيِّ (١) مُعْتَدِلًا  
بِالْبَدْوِ كُلِّ دُرُورٍ حَافِلَ الرَّيِّ  
وَجَاءَ إِذْ جَاءَ كَالصَّقْرِ الْقَطَامِيَّ (٢)

وَقِفْتُ لِلْمَوَازِنَةِ مَلِيًّا، بَيْنَ الثَّانِي، وَبَيْنَ مَا مَرَّ مِنْ قَوْلِ الشَّرِيفِ؛ مِثْلَ عَوَالِي الرَّمَاحِ؛ يَتَبَيَّنُ لَكَ الْفَضْلُ جَلِيًّا. وَقَالَ شَيْبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ (٣): بَعَثَنِي الْمَنْصُورُ، لَمَّا كَثُرَ قِطَاعُ الطَّرِيقِ؛ مَا بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَمَكَّةَ؛ فَلَمْ أَرِدْ مَاءً؛ إِلَّا تَكَلَّمْتُ بِمَا يَحْضُرُنِي، مِنْ ذَمِّ الْبَادِيَةِ، وَجَفَاءِ أَهْلِهَا، حَتَّى قَمْتُ عَلَى مَاءِ لَبْنِي تَمِيمٍ، فَلَمَّا فَرَعْتُ، قَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ؛ فَحَمَدَ اللَّهَ وَاثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ، ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ؛ فِي تَفْضِيلِ الْحَاضِرَةِ وَأَهْلِهَا عَلَيْنَا؛ وَمَهْمَا كَانَ فِينَا مِنْ سَوْأَةٍ؛ فَلَيْسَ فِينَا نَقَبٌ (٤) الدُّورِ، وَلَا شَهَادَةَ الزُّورِ، وَلَا نِيكَ الذُّكُورِ، قَالَ شَيْبِيبُ: فَافْحَمْنِي؛ حَتَّى تَمْنِيَتْ أَنْي لَمْ أَخْرَجْ لِذَلِكَ الْوَجْهَ.

وَقَالَ الْقَطَامِيُّ:

فَمَنْ تَكُنْ الْحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ  
فَأَيُّ رِجَالٍ بَادِيَةٍ تَرَانَا

وَمَعَ هَذَا فَلَسْنَا بِمَتَابِعِي الْأَسْتَاذِ (٥)، وَالشَّرِيفِ؛ عَلَى إِطْلَاقِ مَدْحِ الْبَادِيَةِ؛ مَعَ اعْتِرَاضِ النَّصِّ الصَّرِيحِ بِخِلَافِهِ، وَهُوَ قَوْلُ الْعَبْدِ الصَّالِحِ: ﴿... وَقَدْ أَحْسَنَ فِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ...﴾ (٦) وَمَا يَذْكُرُهُ الْفُقَهَاءُ فِي بَابِ اللَّقِيطِ؛ مِنْ تَفْضِيلِ الْحَاضِرَةِ؛ وَلَكِنَّا نَقُولُ بِالتَّفْصِيلِ: فَإِنْ صَلَحَ الزَّمَانُ، وَعَدَلَ السُّلْطَانُ،

(١) الْحَطَّيِّ: الرَّمْحُ الْمَنْسُوبُ إِلَى الْحَطِّ، وَهُوَ مَوْضِعُ بِلَادِ الْبَحْرَيْنِ تَنْسَبُ إِلَيْهِ الرَّمَاحُ الْحَطَّيَّةُ.

(٢) الْقَطَامِيُّ: الصَّقْرُ.

(٣) هُوَ شَيْبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ التَّمِيمِيُّ خَطِيبُ الْبَصْرَةِ فِي زَمَنِ الْعَبَّاسِيِّينَ إِتْمَانَ بِخَطْبِهِ الْبَلِيغَةِ وَالْقَصِيرَةِ.

(٤) نَقَبُ الْجِدَارِ: خَرْقُهُ لِيَسْرُقَ مَا بِالْبَيْتِ.

(٥) زَكِي مَبَارَك.

(٦) سُورَةُ يُوسُفَ، الْآيَةُ: ٩٩.

واستقامت السيرة، وسلمت الاخلاق، فالحاضرة أولى؛ وإلا توجه القطع؛ بفضل البادية؛ وعليه يحمل ما جاء في الصحيح مرفوعاً: «يُوثِيكَ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»<sup>(١)</sup> وللعلامة بن خلدون؛ كلام في الموضوع؛ إن وافق هذا وإلا فالمُعَوَّلُ على ما تقرر، ومما اجتمع عليه عز البادية أو خواصها، وَرِقَّةُ الحضارة؛ قول علقمة:

فلا يَغْرَنَّكَ مِنْي الثَّوْبَ اسْحَبْهُ      إِنِّي امْرُؤٌ فِيَّ عِنْدَ الْجَدِّ تَشْمِيرُ  
وقول الخنساء:

ونلبسُ في الحربِ نَسِجَ الحديد      ونلبسُ في الأمنِ خَرّاً وَقَرّاً  
وقول الحطينة<sup>(٢)</sup> يمدح سعيد بن العاص<sup>(٣)</sup>:

إذا هَمَّ بِالْأَعْدَاءِ لَمْ يُثْنِ هَمَّهُ      كِعَابٌ عَلَيْهَا لَوْلُؤٌ وَشُنُوفٌ<sup>(٤)</sup>  
ولو شاءَ وارى الشمسَ من دون وجهه      حجاب ومظوي السَراةِ مَنيفٌ  
وقول النميري:

كذبَ العدا لو كنتُ صَاحِبَ نِعْمَةٍ      صَرَعْتَكَ بَيْنَ اقَامَةٍ وَكَلالِ  
وقال حبيب<sup>(٥)</sup>:

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن.  
(٢) شاعر مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم في زمن أبي بكر. ولد في بني عبس دعيًا لا يُعرف له نسب فشبَّ محروماً مظلوماً، لا يجد مدداً من أهله ولا سندا من قومه فاضطر إلى قرض الشعر ولعل هذا هو السبب في أنه اشتد في هجاء الناس، ولم يكن يسلم أحد من لسانه فقد هجا أمه وأباه ونفسه.

(٣) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية كان أحد أشرف قريش وأجوادها. ولي الكوفة في عهد عثمان بن عفان وغزا طبرستان فافتتحها، ولما وقعت فتنة الخلافة اعتزل الفتنة، وأقام بمكة، ومات بالمدينة ودفن في البقيع.

(٤) الشَّنْفُ: القُرْط. والجمع: شُنُوف.

(٥) أبو تمام.

- رَبِيبٌ مُلُوكٍ أَرْضَتَهُ نُذِيئُهَا  
وَقَالَ:
- فَتَى لَا يَسْتِظِلُّ عِدَاةَ حَرْبٍ  
فَأَخَذَهُ الْمَتَنَبِيُّ فِي قَوْلِهِ:
- يَعَافُ حِيَامَ الرَّيْطِ<sup>(٣)</sup> فِي عَزْوَاتِهِ  
وَقَالَ الْبُخْتَرِيُّ:
- أَلُوفَ الدِّيَارِ فَإِنْ أَزْمَعَ النَّـ  
إِذَا هُمْ لَمْ يَخْشَرِمَ عَزْمَهُ  
وَقَالَ:
- بَهْشٌ لِلْفَرَوِ، حَتَّى شَكَ عَسْكَرُهُ  
لَا يَجْذُبُ الْوَطْنَ الْمَأْلُوفَ عَزْمَتَهُ  
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ:
- تَوَهَّمَهَا الْأَغْرَابُ سَوْرَةَ مُشْرِفٍ  
وَقَالَ:
- وَسَمِعْتُ بَطْلِيمُوسَ<sup>(٥)</sup> دَارِسَ كُتَيْبِهِ  
وَقَالَ:
- وَسَمِعُ<sup>(١)</sup> تَرَبَّتَهُ الرِّجَالُ الصَّعَالِكُ
- إِلَى غَيْرِ الْأَسْنَةِ وَالْبُنُودِ<sup>(٢)</sup>
- فَمَا حَبِئْتُهُ إِلَّا عُبَارُ حُرُوبٍ
- رَّحَلَ حَرَمٌ إِيطَانَهَا  
مَقَاصِيرُ يَمْتَادُ أَكْتَانَهَا
- فِيهِ، وَقَالُوا أَعَزُّوْ ذَاكَ أَمْ قَفْلُ<sup>(٤)</sup>
- وَلَا الْغَزَالَ الَّذِي فِي ظَرْفِهِ كُخْلُ
- تُذَكِّرُهُ الْبَيْدَاءُ ظِلَّ السُّرَادِقِ
- مُتَمَلِّكًا مُتَبَدِّيًا مُتَحَضَّرًا

(١) سمع: أي صاحب ذكر مسموع وصيت.

(٢) البند العلم الكبير فارسي معرب وجمعه بُنود.

(٣) الرَيْطَةُ الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين والجمع رَيْطٌ ورياط.

(٤) القفل: العودة من السفر.

(٥) عالم رياضيات وفلك وجغرافيا اغريقي من مصر أو اليونان، له الإطروحة الفلكي هو الرياضية التي تعرف الآن باسم المجسطي.

وَمَا فِي طَبِّهِ أَتِي جَوَادٌ      أَضْرَّ بِجِسْمِهِ طَوْلُ الْجِمَامِ  
تَعَوَّدَ أَنْ يُغْبَّرَ فِي السَّرَايَا      وَتَدْخُلَ مِنْ قِتَامٍ فِي قِتَامِ

والعزة الشامخة في الموضوع؛ قوله:

مُتَّصِفِينَ عَلَى ضَخَامَةِ مُلْكِهِمْ      مُتَوَاضِعِينَ عَلَى عَلْوِ الشَّانِ  
يَتَّقِيْلُونَ ظِلَالَ كَلِّ مُطَهِّمْ      أَجَلِ الظَّلِيمِ وَرِبْقَةِ السَّرْحَانِ<sup>(١)</sup>

فقارن بين هذه، وبين ما أثنى عليه الأستاذ<sup>(٢)</sup>؛ من شعر الشريف؛ فالفرق مثل الصبح، ظاهر؛ على أنَّ الأخير؛ من قول امرؤ القيس؛ بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ، وقد انتقدت على من قال بأولويته، بما اهداه سليمان؛ للآزد؛ من الخيل المسمى زاد الراكب<sup>(٣)</sup>؛ اما قول بشار<sup>(٤)</sup>:

من البيضِ لم تَسْرُخْ على أهْلِ ثُلَّةٍ      سواماً ولم تَرَفَعْ حَدَاجَ قُعودِ  
وقوله:

وصفراءُ مثلُ الخيزرانِ لم تَعِشْ      ببوسٍ ولم تَرَكِبْ مَطِيَّةً راعِ

(١) التقييل: النوم في القافلة، وهي نصف النهار المطهيم: الحسن من الخيل. والأجل يراد به أجل الموت؛ والظليم الذكر من النعام. والريقة: العروة من جبل يشد بها والسرحان: الذئب. يقول: إذا خرجوا في الغارات استظلوا في قيلولتهم بظلال خيلهم. ومعنى قوله: «أجل الظليم وريقة السرحان» أنها - الخيل - إذا طردت النعام والذئب أدركتها فقتلتها ومنعتها من العدو.

(٢) زكي مبارك.

(٣) زاد الراكب فرس الآزد خيل شهيرة في تاريخ العرب ترجع إلى عهد النبي سليمان بن داود عليه السلام أهداها للآزد لما قدموا عليه وسبب تسميتها من قدرتها الهائلة بلحاق الطرائد والصيد مما يمكن لراكبها نيل صيده بسهولة فهي الزاد لراكبها.

(٤) إمام الشعراء المولدين. ومن المخضرمين حيث عاصر نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية. كان ضريرا منذ ولادته، دميم الخلقة، كان هجاء، فاحش في شعره، هجى الخليفة المهدي ووزيره يعقوب بن داود. والعلماء والنحاة فقد عرض بالأصمعي وسيبويه والأخفش وواصل بن عطاء. أنهم في آخر حياته بالزندقة. فضرب بالسياط حتى مات.

فكلام شعوبي، لا يُعَوَّلُ على مثله، بعد ظهور النص؛ بخلافه؛ إذ مامن نبي؛ إلا رعى الغنم، وقال ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ»<sup>(١)</sup> وما أظن شيخنا العلامة ابن شهاب، إلا يقصد الرد على أمثال بشار؛ بقوله:

خُودٌ<sup>(٢)</sup> مَحَجَبَةٌ كَرِيمَةٌ مَنَبَتٌ لَمْ تَدْعُ كَسْرَى جَدَّهَا أَوْ قِصْرًا  
وما أعذب قوله؛ يتغزل في نساء عدن:

حَوَاضِرُ آدَابٍ وَتِيهَاءُ وَرِقَّةٌ أَعَارِبُ إِنِّ حَاوَلَنْ نُظْقَأَ وَتَبْيَانَا  
أَمَا مَا كَبَّرَهُ الْأَسَازُ: مِنْ مَضَارُ التَّرْفِ؛ فَتَحْنُ نَوَافِقَهُ عَلَيْهِ، وَقَدْ وَفِينَاهُ  
حَقَّهُ فِي بِلَابِلِ التَّغْرِيدِ<sup>(٣)</sup>، بِمَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَوْجِدَ مَجْمُوعًا؛ فِي سِوَاهُ؛ فَلِلَّهِ  
الْحَمْدُ؛ عَلَى مَا هَدَى إِلَيْهِ؛ ثُمَّ ذَكَرَ الْأَسَازُ: أَنَّ الشَّرِيفَ؛ يُصَوِّرُ الْفَتَى الْجَوَالَ  
بقوله:

|   |   |
|---|---|
| وَأَشْمَتِ الْمَفْرِقِ ذِي هِمَّةٍ      | طَوَّحَهُ الْهَمُّ بَعِيداً فِطَاحٍ         |
| لَمَّا رَأَى الصَّبِيرَ مُضِرّاً بِهِ   | رَاحَ وَمَنْ لَمْ يُطْقِ السُّدَّ رَاحَ     |
| دَفَعاً بِصَنْدِ السَّيْفِ لَمَّا رَأَى | أَنْ لَا يُرَدُّ الصَّبِيرُ دَفْعاً بِرَاحٍ |

وقال: إن الفتى عنده؛ هو: الأشعث<sup>(٤)</sup> المفرق؛ أما صاحب المفرق المعطر؛ فليس من الفتيان المغاوير؛ الذين يأبون الضيم، ويقارعون الخطوب؛ ونقول: لقد حفظ الأستاذ شيئاً، وغابت عنه أشياء، أما ما حفظه، تبعاً للشريف،

(١) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، أَخْنَاهُ عَلَى وَلَدِي فِي صِغَرِهِ وَأَزْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِي» (حديث مرفوع) (حديث موقوف) صحيح البخاري باب النكاح.

(٢) الْحَوْذُ: الشَّابَّةُ النَّاعِمَةُ الْحَسَنَةُ الْخَلْقِ. وَالْجَمْعُ: خُودٌ، وَخَوذَاتٌ.

(٣) كِتَابُ ادِّيِّ مَطْبُوعٌ لِلْإِمَامِ بْنِ عَمِيدٍ لِلَّاهِ السَّقَافِ.

(٤) الْأَشْعَثُ: مَغْرِبُ الشَّعْرِ مَتَلْبِدَةٌ.

من المدح بالشعثة، فله شواهد كثيرة؛ من كلام العرب؛ ولقد أفرط الشنفرى<sup>(١)</sup> حتى قال:

ويوم من الشُّعْرَى يَذُوبُ لُؤَابُهُ      أفاعيه في رَمُضائه تَتَمَلَّمُ  
نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلَا كِنَّ دُونَهُ      وَلَا يَسْتَرِ إِلَّا الْأَنْحَمِي المُرْعَبَلُ  
وضافٍ إذا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ طَبَّيرَتْ      لَبَائِدَ عن أعطافه مَا تَرَجَّلُ  
بعيدٌ بَمَسِّ الغَلِيِّ وَالذَّهْنِ عَهْدُهُ      لَهُ عَبَسَ عَافٍ مِنَ الغُسْلِ مُحَوَّلُ

وجاء ذكره على لسان الشرع؛ في قوله ﷺ: «رَبِّ أَشْعَثَ أَغْبِرْ لو أقسم على الله لأبره»<sup>(٢)</sup> رواه مسلم بن الحجاج وغيره؛ وقال: قَاتِلُ محمد بن طلحة؛ وهو شداد بن معاوية العبسي، أو عصام بن مسعر البصري، أو غيرهما:

وأشعثَ قَوَامٍ بِآيَاتِ رَبِّهِ      قَلِيلُ الأَدَى فيما تَرَى العَيْنُ مُسَلِّمُ  
وكان الأشعث بن قيس، مُمَلَكاً واسمه: امرؤ القيس، وانما غلب عليه اللقب، لكثرة شعته، ولكن لا كمال في الشعث، إذ لا كمال؛ إِلَّا في هديه ﷺ، وليس منه الشعث؛ الذي لا يكون بالأغلب؛ إلا أمانة التَّصَعُّفِ، والتَزَمْتُ؛ ولذا قال أبو الطيب:

وخَلَى العِذَارَى والبَطَارِقُ والقُرَى      وشَعَثَ النِّصَارَى والقَرَابِينِ وَالصُّلْبَا  
وما ندري أي الشعث يريد الشريف؟ أمَّا يدل على الخمول والإنابة<sup>(٣)</sup>، أم الذي لا يتطهر صاحبه من الجنابة! إن قلنا بالأول؛ لم يلتزم بكبريائه؛ أو بالثاني: كان ايغالا في المتائه<sup>(٤)</sup>، غير أنه الامس بقوله من الأخرى:

(١) صلوك جاهلي مشهور من قبيلة الأزد اليمنية، عاش في البراري والجبال وحيداً حتى ظفر به أعداؤه فقتلوه.

(٢) نص الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «رَبِّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٌ بِالْأَبْوَابِ لو أقسم على الله لأبره» صحيح مسلم.

(٣) الإِنَابَةُ إِلَى اللَّهِ: الرُّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ بَعْدَ التَّوْبَةِ.

(٤) الضلال والضياغ.



أَشْبَعَتْ الرَّاسِ لَا يَجْرِي الدِّهَانُ بِهِ وَإِنْ فَلَا<sup>(١)</sup> فِيمَا ضِيَّ الْغَرْبِ<sup>(٢)</sup> قَطَاعُ

وَأَمَّا الَّذِي نَسِيَهُ: فما كان من سنة أشرف المرسلين ﷺ، فلقد كان يُرى وببيض<sup>(٣)</sup> المسك من مفرقه، وهو أمير الكفاح، واليف الرماح، وخفيض الجأش، وطلّاع النجاد، لا تنسخ له عزمه، ولا تتغير لديه شيمه، ولم تُؤثّر عنه هزيمه، لا يهتز؛ إذا إحوّلت العيون، ولا يلين، إذا ظنت الظنون، ولا يتزحزح إذا أرجحت<sup>(٤)</sup> المنون، واين الأستاذ<sup>(٥)</sup> من قول بشار:

وَبِيضٌ<sup>(٦)</sup> بِهَا مِسْكٌ لِمَسَّ أَكْفَهُمْ عَلَى أَنَّهَا رِيحُ الدِّمَاءِ تَضْوَعُ

على ملاحظة احصيناها عليه، في العود الهندي<sup>(٧)</sup>؛ إن أراد: دماء الأعداء؛ وإلا؛ لم يكن إلا زيادة في التشريف؛ وقول ابن المعتز<sup>(٨)</sup>:

مَلُوكٌ إِذَا خَاضُوا الْوَعَى بِسَيُوفِهِمْ مَقَابِضُهَا مِسْكٌ وَسَائِرُهَا<sup>(٩)</sup> دَمٌ

وقول حسّان من قصيدة فخرية:

بِكُلِّ فَتَى عَارِي الْأَشَاجِعِ لَاحَهُ قِرَاعُ الْكُمَاةِ يَرْشُحُ الْمِسْكَ وَالْدَمَا

وقول البحري:

(١) فُلَى الشَّعْرَ أَوْ الثَّوْبَ وَنَحْوَهُمَا نَقَّاهُمَا مِنَ الثَّمَلِ وَغَيْرِهِ.

(٢) الْغَرْبُ أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ وَحَدُّهُ، يُقَالُ: غَرَبُ السَّيْفِ وَالسُّكَيْنِ وَالْفَأْسِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

(٣) الْوَبِيصُ: الْبَرِيقُ.

(٤) اِرْجَحَنَ الشَّيْءُ اِهْتَزَّ وَارْجَحَنَ وَقَعَ بَعْرَةً.

(٥) زَكِي مَبَارَكٌ.

(٦) أَي: سَيْوْفٌ.

(٧) كِتَابُ أُدْبِيِّ مَطْبُوعٍ لِلْإِمَامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّقَافِ.

(٨) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْمُعْتَزِ بِاللَّهِ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ، وَكَانَ أُدْبِيًّا وَشَاعِرًا وَيُسَمَّى خَلِيفَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ،

حَيْثُ آلَتِ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ إِلَيْهِ، وَلَقِبَ بِالْمُرْتَضِيِّ بِاللَّهِ، وَلَمْ يَلْبِثْ يَوْمًا وَاحِدًا حَتَّى هَجَمَ

عَلَيْهِ غُلْمَانُ الْمُقْتَدِرِ وَقَتْلُوهُ وَأَخَذَ الْخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِهِ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ. رِثَاةُ الْكَثِيرِ مِنْ شِعْرَاءِ

الْعَرَبِ.

(٩) السَّائِرُ: الْبَاقِي.

وَتَسْوُدُ مِنْ حَمْلِ السَّلَاحِ وَلُبْسِهِ  
وقال الأعمى الثاني<sup>(١)</sup> :  
سَرَابِيلُ وَصَاحٍ، بِهِ الْمِسْكُ رَادِعٌ

كَأَنَّمَا الضَّرْبُ يَفْرِي مِنْ كُلُومِهِمْ  
سَالَتْ تَضِوُّعٌ حَتَّى ظَنَّ جَارِحُهُمْ  
أَكْبَادَ سَرِبٍ وَعَيْنُ النُّورِ فِي الْكَنْسِ  
قَسِيمَةَ الْمِسْكِ جُرْحُ الْقَارِسِ النَّدَسِ<sup>(٢)</sup>

على تراخ في هذين؛ يدفعهما عن الاجادة؛ وقال الفرزدق؛ أو اللعين  
المنقري<sup>(٣)</sup>؛ على اختلاف في الرواية:

فِي كَفِّهِ خَيْرَانٌ رِيحُهَا عَبَقٌ  
مِنْ كَفِّ أَرْوَعٍ<sup>(٤)</sup> فِي عِرْزِيهِ<sup>(٥)</sup> شَمَمٌ  
وأصل المعنى قول مهلهل:

أَيُّ إِمْرَةٍ ضَرَجْتُمُوا نَوْبَهُ  
بِعَاتِكِ<sup>(٦)</sup> مِنْ دَمِهِ كَالْحَلُوقِ<sup>(٧)</sup>  
أما قول مسلم بن الوليد، يمدح يزيد بن مزيد<sup>(٨)</sup>:

(١) الشاعر الأعمى. عدي بن وداع من الأزدي، قال أبو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين:  
قالوا: عاش ثلثمائة سنة فأدرك الإسلام وأسلم وغزا، والشاعر أبو العلاء المعري، رهين  
المحبسين، أيضاً أعمى.

(٢) الندس: الفطنة والكياسة.

(٣) اللعين المنقري واسمه منازل بن زمعة التميمي المنقري، شاعر هجاء ويقال ان سبب تسميته  
باللعين هو ان سيدنا عمر سمعه ينشد شعرا والناس يصلون فقال من هذا اللعين فعلق اللقب  
به، عاش إلى ان علت شهرة الفرزدق وجريرو وتناقل الناس اخبارهما فتعرض لهما يهجوها  
معا فلم يلتفتا إليه فأهمل.

(٤) أروع: شهيم ذكي الفؤاد.

(٥) العِرْزِيُّنُ ما صَلَّبَ مِنْ عَظْمِ الْأَنْفِ حَيْثُ يَكُونُ الشَّمَمُ. ويقال: شَمُّ الْعِرَانِيِّنَ: أَعْرَءُ أَبَاةٍ.

(٦) عاتك من كل شيء الخالص، الصافي.

(٧) الخلوقة: ضرب من الطيب المختلط وأعظم أجزائه الزعفران.

(٨) يزيد بن مزيد ابن زائدة، أحد الأبطال والأجواد وهو ابن أخي الأمير معن بن زائدة ولي  
اليمن ثم ولي أذربيجان وأرمينية للرشيد وقتل رأس الخوارج الوليد بن طريف وكان يزيد مع  
فرط شجاعته وكرمه من دهامة العرب.

لَا يَغِيثُ الطَّيِّبُ خَدْيَهُ وَمَفْرَقَهُ      وَلَا يَمْسَحُ عَيْنِيهِ مِنَ الْكُحْلِ  
 فَإِنَّمَا عَرَّضَ فِيهِ، بِأَبْنَاءِ مَعْنٍ، لَمَّا طَلَبَهُمْ لَيْلًا، فَجَاؤُوا مُتَعَطِّرِينَ، وَجَاءَ يَزِيدُ  
 فِي لَأَمَتِهِ، فَجَازَفَ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ، بِمَا يَخَالِفُ السَّنَةَ، وَخَيْرَ مِنْهُ؛ قَوْلُ ابْنِ هَانِيءٍ:  
 فِي فِتْيَةٍ صَدَأَ الدُّرُوعِ عَبِيرُهُمْ      وَتَخَلَّوْقَهُمْ حَلَقُ النَّجِيعِ<sup>(١)</sup> الْأَحْمَرِ  
 عَلَى أَنَّهُ أَمَارَةٌ شَغَلَ الْبَالُ، وَهُوَ انْحِطَاطٌ عَنِ رَتَبَةِ الْكَمَالِ، أَمَّا صَاحِبُهُ، فَلَا  
 يَشْغَلُهُ حَالٌ عَنِ حَالٍ، وَقَدْ احْتَفِظَ الْإِمَامُ<sup>(٢)</sup> بِوَرْدِهِ مِنَ الصَّلَاةِ، حَتَّى لَيْلَةَ الْهَرِيرِ  
 مِنْ صَفِينٍ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الشَّرِيفُ؛ وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ هَؤُلَاءِ:

لَأَتَعَبْنَ عَلَى الْبَيْدَاءِ رَاحِلَةً      وَاللَّيْلُ بِالرَّيْحِ خَفَاقُ الْجَلَابِيْبِ  
 فِي فِتْيَةٍ هَجَرُوا الْأَوْطَانَ وَاضْطَنَعُوا      أَيْدِي الْمَطَايَا بِإِدْلَاجٍ وَتَأْوِيْبِ  
 مِنْ كُلِّ اشْعَثٍ مُلْتَاثٍ إِلِشَامٍ لَهُ      لَحَظْتُ تَكْرَرَهُ أَعْيَانُ مَذْوُوبِ  
 يُوسِدُ الرَّحْلَ خَدًّا مَا تَوَسَّدَهُ      قَبْلَ الْمَطَالِبِ غَيْرِ الْحُسْنِ وَالطَّيْبِ  
 وَمَا يَخْتَارُ لَهُ؛ فِي نَظِيرِ بَيْتِ ابْنِ هَانِيءٍ؛ قَوْلُهُ:

عَدُّوا أَسْهَكِي الْأَيْمَانَ مِنْ صَدَأِ الطَّيِّبِ      وَرَاحُوا كِرَامًا طَيِّبِي عِقْدَ الْأَزْرِ  
 وَقَالَ الزَّيْبِرُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ بْنِ هَاشِمٍ: لَنَا الْحَبْرَاتُ وَالْمَسْكُ الْفَتِيْتُ، وَهَلْ  
 يَنْكُرُ أَحَدٌ أَنَّهُمْ السَّادَةُ الْمَنَاعِيرِ<sup>(٣)</sup>، وَالذَّادَةُ<sup>(٤)</sup> الْمَغَاوِيرُ.

ثُمَّ لَا شَكَّ أَنَّ الشَّرِيفَ؛ نَظَرَ فِي أَوَّلِ أَبْيَاتِهِ الثَّلَاثَةَ؛ وَفِي قَوْلِهِ السَّابِقِ؛  
 يَجْهَدُهَا أَوْ يَنْثَنِي بِالرُّوِّيِّ<sup>(٥)</sup>؛ إِلَى مَا اسْلَفْنَا مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ:

(١) النَّجِيعُ دُمُ الْجَوْفِ.

(٢) الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٣) مَنَاعِيرُ هِيَ الرُّؤُوسُ الشَّامِخَةُ أَوْ الرِّجَالُ أَصْحَابُ الْفَضْلِ وَالْعَطَايَا. أَوْ هُمُ الرِّجَالُ الشَّجْعَانُ.

(٤) الذَّادَةُ جَمْعُ الذَّائِدِ، وَرَجُلٌ ذَائِدٌ أَي حَامِي الْحَقِيقَةِ دِفَاعٌ.

(٥) رَوَى فُلَانٌ فِي الْأَمْرِ: نَظَرَ فِيهِ، وَتَفَكَّرَ.

هَمْ سَرَى ثُمَّ اضْحَى هِمَّةً أُمًّا      امْسَتْ رَجَاءً وَعَادَتْ وَهِيَ لِي نَسْبُ

وقول أبي الطيب: وان عُمَرَتْ جَعَلَتْ الحَرْبَ والِدَةً.. الأبيات وإلى قوله:

إِذَا لَمْ تَجِدْ مَا يَبْتَغِ الْفَقْرَ قَاعِدًا      فَقُمْ واطْلُبْ الشَّيْءَ الَّذِي يَبْتَغِي الْعُمْرًا  
هُمَا حَاصِلَتَانِ ثَرْوَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ      لَعَلَّكَ أَنْ تَبْقَى بِوَاحِدَةٍ ذِكْرًا

وتصريح المتنبي في هذا ونحوه؛ بشدة الحرص على المال؛ انما يكون فلتة منه؛ وإلا؛ فهو بالأغلب؛ يتزهد عنه؛ ولا يذكره إلا بطريق الالتزام:

وَأَرْضِعْ حَاجَةً بِلَبَّانٍ أُخْرَى      كَذَاكَ الْحَاجُّ تُرْضِعُ بِاللِّبَّانِ

والشريف يقتض أثره في الغالب؛ وبعيد أن يقصد من العلى سوى الثروة، ولا سيما بعد أن انقطعت آماله من الخلافة، فكل من الشاعرين؛ مؤمن بقول بشار: ولن تَبْلَغَ العلياء.. بغير الدراهم؛ ولذا جعلها<sup>(١)</sup>؛ إِيَّاهَا؛ وفي ثانيهما؛ إلى قول حبيب:

أَنْ خَيْرًا مِمَّا رَأَيْتَ مِنَ الصَّفِّ      حِجِّ عَنِ النَّائِبَاتِ وَالْأَغْمَاضِ  
عُرْبَةٌ تَقْتَدِي بِغَرْبَةٍ قـ      بَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ وَالْحَارِثِ بْنِ مَضَاضِ<sup>(٢)</sup>

وفي ثالثهما؛ إلى قول الحصين بن الحمام<sup>(٣)</sup>:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْوِدَّ لَيْسَ بِتَنَافِعٍ      عَمَدْتُ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَحْزَمًا

وقوله:

دَفَعْنَاكُمْ بِالْجِلْمِ حَتَّى بَطَرْتُمُو      وَبِالْكَفِّ حَتَّى كَانَ رَفْعُ الْأَصَابِعِ

(١) أي اخذا اولا معنى بشار.

(٢) الحارث بن مضاض الجرهمي: من ملوك الجاهلية، من قحطان. كانت إقامته في الحجاز، تابعا لليمن. وفي أيامه نشطت حركة بني إسرائيل وزحفوا يريدون مكة.

(٣) الحصين بن حمام بن ربيعة المري الذبياني، شاعر فارس جاهلي سيد بني سهم بن مرة (من ذبيان) ويلقب (مانع الضيم) في شعره حكمة. وهو ممن نبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية. مات قبيل ظهور الإسلام، وقيل: أدرك الإسلام، له ديوان شعر.

ولا يخلو عن النظر؛ إلى قول معن بن أوس<sup>(١)</sup> :

إذا أنتَ لم تنصِفْ أخاكَ وَجَدتَهُ      على ظَرفِ الهِجرانِ أن كان يَعتقِلُ  
ويركبُ حدَّ السيفِ مِن أن تُضَيِّمَهُ      إذا لم يَكُنْ عَن شُفْرَةِ السيفِ مِرْجِلُ  
وإلى قول بشار :

وحاربَ إذا لَم تُعْطَ الا ظلامَةً      شَبَّ الحربِ خيرٌ من قبولِ المظالمِ  
وكل هذه أجمل شارة، وأحسن ديباجة؛ من كلام الشريف.  
ثم ذكر الأستاذ قوله :

|   |                                     |
|---|-------------------------------------|
| قومٌ رضوا بالعجزِ واستبدلوا                 | بِالسيفِ يُدِمي عَرَبَهُ كاسَ رَاحِ |
| توارثوا المُلْكَ ولو انجَبوا <sup>(٢)</sup> | لورثوهُ عن طَعانِ الرِمَاحِ         |

وأقول: لو أن من يعينهم الشريف؛ سكنوا إلى الدعة؛ في حين الحاجة إلى الكفاح؛ لكانوا ملومين؛ أما وقد ساعدتهم الزمان، وبسط لهم الأمان، فما لهم وللشرا! الذي لا يُصارُ إليه؛ الا عند الضرورة؛ قال هدبة بن الخشم<sup>(٣)</sup> :

ولا أتمنى الشرَّ والشرَّ تاركِي      وَلَكِنْ مَتَى أَحْمَلُ على الشرِّ أَرْكَبِ  
وقال الكمي<sup>(٤)</sup> :

- 
- (١) معن بن أوس شاعر جاهلي فحل مجيد، أدرك الإسلام وأسلم ويعتبر من أشعر أهل الإسلام كما كان زهير بن أبي سلمى من أشعر أهل الجاهلية.
- (٢) أنجب: كان نبيها متفوقا. وأنجب: ولد ولدا نجيا.
- (٣) هدبة بن الخشم: شاعر كثير الأمثال في شعره. قتل ابن عمه زيادة بن زيد العذري في أيام حكم معاوية بن أبي سفيان فحبسه سعيد بن العاص وهو على المدينة خمس سنين أو ستا إلى أن بلغ المسور بن زيادة الذي كان صغيراً فطلب قتل هدبة بصفته قاتل أبيه.
- (٤) الكمي بن زيد الأسدي شاعر عربي من قبيلة بني أسد ومن أشهر شعراء العصر الأموي، سكن الكوفة واشتهر بالتشيع وقصائده في ذلك المسماة بالهاشميات.

إذا لم تجد الا الأسنّة مركباً فلا رأي للمُضطرّ إلا رُكوبها  
وما أحسن قول قيس بن الخطيم الأوسي<sup>(١)</sup>:

وكنت امرأة لا ابعثُ الحربَ ظالماً ولَمَّا أبوا أشعلتْها كَلَّ جَانِبِ  
إذا لَمْ يَكُنْ عن غايَةِ الحربِ مَدْفَعٌ فأهلاً بها إذ لَمْ تَزَلْ فِي المَرَاجِبِ

وكأنّ هذا؛ لم يخرج من الشريف، إلا عن ضِعْن، يكاد يقتضب الضلوع؛  
ولكنه غيظ الأسير على القيد؛ كما قال المتنبي، أو غيظ الخيل على اللُجْم؛ كما  
قاله الإمام، ولذا اضطرب عليه المعنى؛ وكأنه أراد أن يقول في الثاني: توارثوا  
الملك بالحفظ، ولم يتوارثوه بالاستحقاق؛ وهو إذن مثل قول المتنبي:

وَلَوْلَمْ يَعْمَلْ الا ذُو مَحَلِّ تَعَالَى الجَيْشِ وَانْحَطَّ القِتَامُ<sup>(٢)</sup>  
وَلَوْلَمْ يُزْعَ الآ مُسْتَجِرُّ لِرُتَبَتِهِمْ اَسَامُهُمُ المَسَامُ<sup>(٣)</sup>

وهو عكس قول يزيد المهلبي:

سَعَيْتُمْ فَاذْرَكْتُمْ بِصَالِحِ سَفِيكُمْ وَاذْرَكَ قَوْمٌ غَيْرُكُمْ بِالْمَقَادِرِ  
وقول البحري:

قَدْرُهُ مَرْتَفِعٌ عَن حَظِّهِ لَا يَرُغَكَ الحَظُّ لَمْ يُوجَدْ بِحَقِّ

(١) قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، شاعر من صناديد الجاهلية، قتل رجل من الخزرج اباه وهو صغير فلما بلغ، قتل قاتل أبيه، ونسبت لذلك حروب بين قومه وبين الخزرج. كما قتل أيضاً قاتل جده.

(٢) القِتَامُ: الغبارُ الأسود والمعنى: لو لم يعمل ولم يرتفع، إلا من له محل وقدر، لكان يجب ألا يعلو الغبار مع أنه من جنس التراب على الجيش؛ لفضلهم ومالهم من التمييز والعقل.

(٣) الرعى هنا: السياسة. والأسامة: رعى المال، يقال أسام ماله فهو مسيم والمال مسام. والمعنى: لو لم يقوم برعاية الناس إلا من هو مستحق له، لوجب أن تكون الرعية هي الراعي، والأمير هو المرعي؛ لأن في الرعية من هو أشرف من هؤلاء الرعاة.

على أن الشريف؛ بينما هو يَدْمُ بهذا، وبما هو أحقّ بالاختيار منه؛ كقوله:  
 نَالُو المعَالِي وَلَمْ تَعْرِقْ جِبَاهَهُمْ      فِيهَا لُغُوباً وَلَا نَاءَ الَّذِي كَدَحَا  
 إِذَا بِهِ يِنَاقِضُ نَفْسَهُ، وَيَمْدَحُ أَبَاهُ،      بِمَا يِذْمُ بِهِ هُوَ لَاءُ؛ وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ:  
 ظَفِرَتْ بِمَا اشْتَهَيْتَ وَأَنْتَ وَإِنِ      وَنَالَ البَعْضَ غَيْرُكَ وَهُوَ سَاعِي  
 وَحَيْثُ يَقُولُ لِلوَزِيرِ أَبِي نَصْرٍ:  
 تَعَنَّى العُلَا طَلَابُهَا وَهُوَ وَاوِعٌ      وَادْرَكَ مَا لَمْ يَبْلُغُوا وَهُوَ قَاعِدٌ  
 وَقَوْلُهُ:

أَتَتْهُ وَلَمْ يَمُدُّ يَدَا فِي طِلَابِهَا      وَمَا انْقَادَ مَنْ قَادَ العُلَا بِمُحْطَمٍ<sup>(١)</sup>  
 وَلَكِنَّهُ بِالمَّجْدِ والعِزِّ والعُلَى      أَحَقُّ وَأَوْلَى مِنْ سَمَاءٍ بِالنَّجْمِ  
 وَاقْتِفَاهُ تَلْمِيذُهُ؛ مَهْيَارٌ؛ فِي قَوْلِهِ:  
 مِنْ وَارِثِي النِّعْمَاءِ مَا اغْتَضَبُوا      مُلْكاً وَلَا وَرَثُوهُ بِالقَهْرِ  
 وَقَالَ حَسَّانُ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ:

سَمَوَتْ إِلَى العَلِيَا بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ      فَنِلْتَ ذُرَاهُمْ لَا وَنَيْثاً وَلَا وَغَلَا  
 وَقَالَ الأَحْوَصُ<sup>(٢)</sup>؛ يَمْدَحُ الوَلِيدَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ:  
 إِمَامٌ أَنَاهُ المُلْكُ عَفْواً وَلَمْ يَثْبُ      عَلَى مُلْكِهِ مَا لَأَ حَرَاماً وَلَا دَمَا  
 وَقَالَ البَحْتَرِيُّ:

مَا زَالَ يَسْبِقُ حَتَّى قَالَ حَاسِدُهُ      لَهُ طَرِيقٌ إِلَى العَلِيَاءِ مُخْتَصَرٌ  
 وَكَأَنَّ الشَّرِيفَ نَظَرَ فِي بَيْتِهِ؛ إِلَى مَا اسْلَفْنَاهُ عَنِ المَتَنِيِّ وَعَنْ مَرْوَانَ؛ مِنْ

(١) المُحْطَمُ الفرس أخذ البياض من حَظْمِهِ إِلَى أسْفَلِ حَنَكِهِ.

(٢) عبد الله بن محمد بن أبي الأفلح لقب بالأحوص لضيق في مؤخرة عينيه جده الأعلى عاصم بن ثابت صحابي جليل شهد بدرًا وثبت مع النبي ﷺ يوم أحد واستشهد في السنة الثالثة من الهجرة عاصر جرير وتوفي في خلافة يزيد بن عبد الملك.

مدح الاغتصاب<sup>(١)</sup>، فذم ما سواه، وخرج بذلك؛ عما يقوله أهل مذهبه في الأمر؛ وصار إلى موافقة السادة الزيدية؛ في اشتراط الخروج للإمامة<sup>(٢)</sup>، شاء أم ابى، وللباقر<sup>(٣)</sup> مع أخيه الإمام زيد<sup>(٤)</sup>؛ مناظرة مشهورة في ذلك؛ تَكشَف من كتب المقالات<sup>(٥)</sup>، وأنشد الجاحظ، لبعض الاعراب؛ مديحاً يخالف ما سار عليه الشريف، في الأول، وما يشبهه مما سبق، وهو قوله:

نَجِيبَةٌ بَطَّالٍ لَدُنْ شَبِّ هُمَّ      لَعَابُ الْغَوَانِي وَالْمُدَامِ الْمُشْعَشَعِ  
جَلَا الْمِسْكُ وَالْحَمَامُ وَالْبَيْضُ كَالذَّمَى      وَفَرَقُ الْمَدَارَى رَأْسَهُ فَهُوَ انزَعُ  
مِنَ النُّقْرِ الشَّمِّ الَّذِينَ إِذَا انْتَمَوْا      وَهَابَ رِجَالُ حَلَقَةِ الْبَابِ فَعَقَعُوا

والأخير موجود في شعرين؛ أحدهما لأبي الرئيس الثعلبي؛ مدح به عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب، وقد استُشْكِل مدحه بمعاقرة الخمر، الا أن يُجَاب؛ بانه من غير حقيقة؛ لِمَا كانت تُمَادِحُ به العرب من مثله، والثاني؛ وهو شبيه الأول في معناه، وبعض لفظه؛ مُدِحَ به اسيلم بن الاحنف، وكان ذا جاه وعقل وبيان، فقال له عبد الملك: ما أحسن ما مُدِحْتَ به! فذكره؛ فقال عبد الملك: ما قال أخو الاوس خير؛ يعني قول أبي قيس بن الاسلت<sup>(٦)</sup>:

(١) اغتصاب الملك والمال.

(٢) شرط الخروج على الظالم بالسيف؛ شرط للإمامة الزيدية.

(٣) محمد الباقر هو أبو جعفر محمد بن علي الحسين بن علي بن أبي طالب من فحول علماء الإسلام، وقد روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة، ووجوه التابعين، ورؤساء فقهاء المسلمين وهو الإمام الخامس عند الشيعة الإمامية ولقب بالباقر لبقرة العلوم بقرأ. وولده هو الإمام الصادق توفي بالمدينة سنة ١١٤هـ ودفن بالقيع.

(٤) الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب؛ كان مضرب المثل في العلم واليه ينتمي المذهب الزيدي، اخوه الاكبر محمد الباقر، خرج على خلافة هشام بن عبد الملك فبعث بنو أمية بجيش إلى الكوفة فاستشهد في المعركة.

(٥) تنظر في كتب المقالات.

(٦) صيفي بن الأسلت من شعراء الأوس المشهورين كان سيد قومه وأسندت إليه الأوس حربها يوم بعث ادرك الإسلام واراد أن يسلم فاجل ذلك سنة فمات قبل ان يسلم.



قَدْ حَصَّتْ البَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَظْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ زَهْجَاعٍ<sup>(١)</sup>  
أَسْمَى عَلَى جُلِّ بَنِي مَالِكٍ كُلِّ امْرِءٍ فِي شَأْنِهِ سَاعِي

ووافق الزبير بن بكار<sup>(٢)</sup>؛ على عزو الشعر لأبي الرئيس، وقال ان الممدوح به هو: عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وأوله:

جَمِيلُ الْمُحَيَّا وَاضِحُ اللُّونِ لَمْ يُطَأْ بُحْرَنٍ وَلَمْ تَأْلَمْ لَهُ النَّكْبَ<sup>(٣)</sup> إِضْبَعُ

وأصبع على الرفع، لانها فاعل تألم، والنكب منصوب، بنزع الخافض؛ يريد: أنه رئيس لا يمشي، ولا يحمل سلاحه، وانما يحمله له خدمه؛ وللناس فيما يمدحون مذاهب؛ والحق ما تقرر من هديه؛ صلى الله عليه واله وسلم، وما سواه ردًا.

ويأتي في البيت (١٦٦)؛ وما تحته؛ نوع شبيه ببعض ما هنا. ثم كان ختم الأستاذ<sup>(٤)</sup> بقول الشريف:

يَطْمَحُ مَنْ لَا مَجْدَ يَسْمُو بِهِ إِنْني إِذَا أُعْذِرُ عِنْدَ الطَّمَّاحِ<sup>(٥)</sup>

وما فيه زايد على بيان عُذْرِهِ فِي الطَّمَّاحِ؛ إِذَا طَمَحَ مَنْ لَا يَسْمُو بِهِ الْمَجْدُ؛ وهو معنى صغير، وقصدٌ حقير، وما أشد ما انتقدوا أمثال قول الحماسي:

وَأَنْي لِمَنْ ابْسَطَ الكَفَّ بِالنَّدَى إِذَا سَنَجَتْ كَفَّ البَخِيلِ وَسَاعِدُهُ

(١) التهجاع: النوم الخفيف.

(٢) الزبير بن بكار من نسل عبد الله بن الزبير، من مشاهير العلماء والأدباء في العصر العباسي، له كتب كثيرة في التاريخ وفي الأدب توفي وهو قاضٍ بمكة سنة ٢٥٦هـ، وعمره أربع وثمانون سنة.

(٣) النَّكْبُ: المصيبة. والجمع: نُكُوبٌ.

(٤) زكي مبارك.

(٥) الطمَّاح: الشره أو كثرة الطمَّوح.

وقول الشماخ<sup>(١)</sup> يمدح عرابة الاوسي<sup>(٢)</sup>:

أفَادَ سَمَاحَةً وَأَفَادَ مَجْدًا      فَلَيْسَ كَجَامِدٍ لَحْزٍ<sup>(٣)</sup> ضَمِينِ

وقول البحرري:

فَلَمْ أَرِ ضِرْعَامِينَ أَصْدَقَ مِنْكُمْأ      عِرَاكًا إِذَا هَيَّابَةُ النَّكْسِ<sup>(٤)</sup> كَذَّبًا

بينما يمدحون؛ قول مسلم بن الوليد:

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ صَنَّ الْجَوَادُ بِهَا      وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ اقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

وقول حبيب<sup>(٥)</sup>:

فَتَى كَلِمًا ارْتَادَ الشُّجَاعُ مِنَ الرَّدَى      مَفْرَأً قَدَاةَ الْمَازِقِ ارْتَادَ مَضْرَعًا

وما أشبه ذلك<sup>(٦)</sup>؛ فكان اللائق بالشريف؛ إزاء ذلك؛ أحد أمرين: إما أن

يقول: إذا سار إلى المجد من لا يَسْمُو بِهِ أَصْلٌ، على رجله، تَحْتَمَّ عَلَيَّ أَنْ أَطِيرَ  
بجناح. وإما أن يزهد في الدنيا جملة، ويسلك مسلك التَّالُّةِ والتَّرَهُّبِ؛ كما فعل  
جده الغالب<sup>(٧)</sup>، بعد وفاة أخيه، فما زال يوضع فيه، مع الاعتراف بفضل سابقه؛  
حتى تَوَجَّهَ عليه الأمر؛ فقال: أما والذي فلق الحَبَّةَ، وبرأ النِّسْمَةَ، لولا حضور  
الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، لألقيت حبلها على غارِها، ولسقيت  
آخرها بكاس أولها، فانظر: كيف نَدَّه<sup>(٨)</sup> سربها تكريماً؛ ثم لم يَتَوَلَّهَا إِلَّا تَأْتُمًا.

(١) الشماخ بن ضرار بن حرملة شاعر مخضرم ادرك الجاهلية والإسلام وهو من طبقة لبيد  
والنابغة شهد القادسية واستشهد في غزوة موقان.

(٢) عرابة الأوسي صحابي من سادات المدينة وأجوادها المشهورين، قدم الشام في أيام  
معاوية بن أبي سفيان وله أخبار معه وتوفي بالمدينة.

(٣) اللحز: الشحيح البخيل.

(٤) النَّكْسُ الرَّذُلُ الْمُقْصَرُّ عن غاية التَّجَلُّدِ وَالكَرَمِ. والجمع: أَنْكَاْسٌ.

(٥) أبو تمام. (٦) من بقية الأشعار.

(٧) أظنه يقصد الإمام علي عليه السلام.

(٨) نده البعير: زجره صائحاً به أو طرده.

تَجَافَى عَنِ الدُّنْيَا وَقَدْ فَتَقَتْ لَهُ خَوَاصِرَهَا وَاسْتَقْبَلَتْهُ مُتُونَهَا  
وكانت تُجَبِّي إليه؛ ما عدا الشام؛ فطلقها وطوى عنها كشحاً، ولم يأخذ  
منها إلا رشحاً:

شَرَابُهُ النَّشْخُ لَا لِلرِّيِّ يَطْلُبُهُ وَطَعْمُهُ لِقَوَامِ الْجِسْمِ لَا السِّمَنِ  
وهذا البيت للمتنبى؛ وهو من قول الأعمش؛ في رثاء المتشر:

تَكْفِيهِ حَزَّةٌ فَلِذَانِ الْمِّمِّ بِهَا مِنْ الشُّوَاءِ وَيُرْوِي شُرْبَهُ الْفَمْرُ  
وفي حديث أم زرع: مضجعه كمسل شطبه، ويشبعه ذراع الجفرة، وهو  
موضوع؛ يطلب بحثاً طويلاً، قد استوفيته في حاشيتي على الشمانل<sup>(١)</sup> وغيرها،  
وما أرى الطغرائي<sup>(٢)</sup> المقتول في سنة ٥١٣هـ إلا ناظراً إلى سيرة الأمام؛ وذلك  
حيث يقول:

إِذَا مَا لَمْ تَكُنْ مَلِكاً مُطَاعاً فَكُنْ عَبْدًا لِمَالِكِهِ مُطِيعًا  
وَأَنْ لَمْ تَمْلِكِ الدُّنْيَا جَمِيعًا كَمَا تَهْوَاهُ فَاتْرُكْهَا جَمِيعًا  
هُمَا سَبَبَانِ مِنْ زُهْدٍ وَمُلْكٍ يُبِيلَانِ الْفَتَى الشَّرَفَ الرَّقِيعًا  
وَمَنْ يَقْنَعُ مِنَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ سِوَى هَادِيَنِ عَاشَ بِهَا وَضِيعًا  
أو ناظراً إلى قول المعري:

دَرِ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَحْظَ مِنْهَا وَكُنْ فِيهَا كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا  
وَأَصْبِحْ وَاحِدَ الرَّجُلَيْنِ إِمَّا مَلِكًا فِي الْمَعَايِرِ أَوْ أَبِيلًا

(١) حاشية غير مطبوعة على الشمانل للترمذي للإمام بن عبيد اللاه السقاف.

(٢) الطغرائي الحسين بن علي بن محمد. شاعر ومن الوزراء الكتاب، ولد بأصبهان، اتصل  
بالسلطان مسعود بن محمد السلجوقي (صاحب الموصل) فولاه وزارته. ثم اقتل السلطان  
مسعود وأخ له اسمه السلطان محمود فظفر محمود وقبض على رجال مسعود وفي جملتهم  
الطغرائي، فأراد قتله ثم خاف عاقبة النقمة عليه، فأوعز إلى من أشاع اتهامه بالإلحاد  
والزندقة قتله. ونسبة الطغرائي إلى كتابة الطغراء.

والابيل: الراهب؛ وكأنما اعتمد المعريّ توبيخ الشريف؛ أو لاحظ عليه مثل ما لاحظناه، وللشريف في الطماح؛ ما هو أدلى إلى النجاح؛ من هذا البيت المرذول؛ كقوله؛ الذي ذكره الأستاذ بعقبه:

وإنَّ قُعودي أَرْقُبُ اليومَ أوْ غَدًا      لَعَجَزْتُ فَمَا الإِبْطَاءُ بِالنَّهْضَانِ  
سَاتَرْتُ فِي سَمْعِ الزَّمَانِ دَوِيَّهَا      بِقَرْعِي ضِرَابٍ صَادِقٍ وَطَعَانِ

ومع هذا؛ فلنا عليهما ملاحظات ثلاث؛ أولاها: أن لفظة النهضان؛ غثة، ضعيفة، باردة؛ ولولا ما يريده بها الشريف؛ من التغلب في الأمور؛ لكانت خطأ فاحشاً، لأنّ فعلاً؛ لا يكون مصدرأ؛ إلاّ لما اقتضى قلباً؛ كما في الخلاصة؛ نحو جدلانا، وغليانا، وطوفانا، ورشفانا؛ كما يأتي تحت البيت (١٩) عن أم ضيغم<sup>(١)</sup>؛ ثانيها؛ أن الضمير في دَوِيَّهَا لا يعود إلى المذكور، بل إلى ما لا يعلم؛ إلاّ على بُعد من المقام، وهو النهضة<sup>(٢)</sup>، وهي مؤنثه؛ مع أن النهضان مذكر؛ ثالثها: أنه لم يتلقف؛ إلا ما سقط عن مائدة قول أبي الطيب:

وَتَرَكْتُ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا      تَدَاوَلَ سَمْعَ المَرءِ أَنْمَلُهُ العَشْرُ  
وللشريف في الزهد؛ الشيء الجَمُّ؛ غير أنه ظاهر الكلفة، بين التصنع؛ ولولا أنه استحسّن قول ابن الرومي:

أنا الرَّجُلُ المَدْعُوُّ عَاشِقٌ فُقِرِهِ      إِذَا لَمْ تُكَارِمْني صُرُوفُ زَمَانِي  
لَمَّا اعترف على نفسه بالحِطَّة؛ في قوله:

زَهَدْتُ وَزُهَيْدِي فِي الحَيَاةِ لِعَلَّةٍ      وَحُبَّةٌ مَنْ لَمْ يَبْلُغِ الأَمَلَ الزُّهْدُ  
وقوله:

قَالُوا اتَّقِنْتُ بِالدُّونِ الحَسِيْسِ وَمَا      قِنِئْتُ بِالدُّونِ بَلْ قُنِئْتُ بِالدُّونِ

(١) خيرة أم ضيغم البلوية. شاعرة عاشقة. عشقت ابن عم لها فعلم أهلها بذلك فحببها عنه، فقالت شعراً تصف فيه مرارة الهجر، وتذكر فيه أيام اللقاء.

(٢) أي الثورة والخروج على الحاكم.

ومع نظره لما سبق؛ عن ابن الرومي؛ فقد تلصص؛ على قول أبي فراس  
الحمداني:

لقد قنعوا بعدي من القطر بالندى      ومن لم يجد الا القنوع ثقناً  
وشتان بين هذا؛ وما مر عن الإمام<sup>(١)</sup>؛ من إطرأحه الدنيا مع القدرة؛ على  
حد قول المتنبي:

قايضاً كفه اليمين من الدنيا      ولو شاء حازها بالشمال  
أما هذا؛ وإنما هو؛ كقول الآخر:

إذا المرء لم يُقدّر له ما يُريده      تحمّل ما يُقضى له شاء أم أبي

وللناظر؛ أن يذهب من العجب، بكل مذهب، حيث اعترف الشريف؛  
بهذا؛ مع أنه أخرج بنفسه في النهج؛ عن الإمام؛ أنه يقول: ومنهم من أبعده عن  
طلب الملك؛ ضؤولة نفسه، وانقطاع سببه، فقضرتة الحال؛ من حاله، فتحلى  
باسم القناعة، وتزين بلباس أهل الزهادة، وليس من ذلك في مراح ولا مغدى.  
أقبرضى الشريف؛ أن يكون قراراً للريب، وأن ينحط على عرضه هذا العيب؛ غير  
أن القول؛ قد يفرط بصاحبه؛ فيجري به إلى ما لا يريد.

وبعد: فالشريف؛ نديم مناجاة الأماني، لزييم مسامرة الآمال، يركب  
الصعب؛ فيراه ذلولاً في علاجها بالتعلل؛ غير مبال بما يقع له؛ في جراء ذلك؛  
من التناقض والتغاير! وقلما رأى مرتبة عالية؛ إلا قال: ما أولاني بها؛ ولهذا  
تراه؛ يجاذب جدّه؛ الإمام الغالب الجبار؛ فيقول؛ وهو غارق في بحار تلك  
الهُواجس والخيالات:

مالي إلى الدنيا العرورة حاجة      فليخز ساجر كبيدها النفاث  
طلفتها الفأ لأحسيم داءها      وظلاق من عزم الطلاق ثلاث

(١) الإمام علي كرم الله وجهه.

لكنه لم يقله؛ إلا وهو في مسبحه، بأجنحة المطامع إلى النجوم؛ فهو معذور؛ وقد قال:

أَكْرَأَحَادِيثَ الْمَطَامِعِ ضِلَّةً      وَأَلْفُحُ مِنْ هَذِي الْمُنَى أَبْطُنًا عُقْمًا  
فَلَا جَامِعًا مَالًا وَلَا مُدْرِكًا عَلَيَّ      وَلَا مُحَرِّزًا اجْرًا وَلَا طَالِبًا عِلْمًا  
بَارْجُوْحَةٍ بَيْنَ الْخَصَاصَةِ وَالغِنَى      وَمَنْزِلَةً بَيْنَ الشَّقَاوَةِ وَالنُّعْمَى

وبعضهم يروي ما سُقناه عن الإمام؛ لمعاوية؛ يُعْرَضُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فِي أَيَّامٍ مِنْ قَبْلِهِ، وَهِيَهَاتَ؛ فَلَيْسَ لِمَعَاوِيَةَ وَلَا لِغَيْرِهِ؛ ذَلِكَ النَّفْسُ؛ وَأَنْتَى يَنْفَذُ إِلَيْهِ، مَعَ مَا مَضَى عَلَيْهِ؛ مِنْ فِرْطِ الزَّهَادَةِ فِي أَيَّامِهِ؛ وَظَنِي بِقَارِيِ الْمَقَالَةِ؛ أَنْ لَا يَحْتَاجُ بَعْدَ مَا قَرَّرْنَاهُ وَأَوْرَدْنَاهُ؛ مِنْ الْأَشْبَاهِ وَالنَّظَائِرِ؛ إِلَى زِيَادَةِ بَيَانٍ؛ عَنِ انْحِطَاطِ مُخْتَارِ الْأَسْتَاذِ<sup>(١)</sup>، وَخَفْتَهُ وَتَأَخَّرَهُ، وَشَيُولَ كَفْتَهُ! فَكَيْفَ يَزْعَمُ فَضْلَ الْقَصِيدَةِ! عَلَى سَائِرِ مَا جَاءَ فِي بَابِ الْحِمَاسَةِ مِنْ دِيَوَانِهَا؛ وَلْتَنْ لَمْ يَكُنْ لَدِيَّ الْآنَ؛ ففِي الْحِفْظِ بِشَهَادَةِ مَا قَدِ اسْلَفْنَاهُ؛ مَا يُعَبَّرُ فِي وَجْهِ ذَلِكَ الْمَخْتَارِ<sup>(٢)</sup>؛ وَذَكَرَ الْمَرْتَضَى: أَنَّ أَبَا حَاتِمٍ<sup>(٣)</sup>؛ جَاءَ بِشَعْرِ عَرُودِ بْنِ الْوَرْدِ؛ يَنْشُدُهُ لِأَبِي عَبِيدَةَ؛ فَقَالَ لَهُ: فَارِغْ يَحْمِلْ شَعْرَ فَقِيرٍ؛ لِيَقْرَأَهُ عَلَى مِثْلِهِ؛ قَالَ: فَانْشِدْنِي أَنْتَ! فَانْشُدَهُ قَوْلَ قُطْرِي<sup>(٤)</sup>:

يَا رَبِّ ظِلِّ عِقَابٍ قَدْ وُقِيْتُ بِهِ      مَهْرِي مِنَ الشَّمْسِ وَالْإِبْطَالِ تَجْتَلِدُ  
وَرَبِّ يَوْمٍ جَمَى أَرْعَى عُقُوتَهُ      خَيْلِي اقْتِسَارًا وَأَطْرَافِ الْقَنَا قَصْدُ  
وَيَوْمٍ لَهْوٍ لِأَهْلِ الْخَفْضِ ظِلٌّ بِهِ      لَهْوِي اضْطِلَاءَ الْوَعَى إِذْ نَارُهُ تَقْدُ

(١) يقصد الشريف الرضي الذي اختاره زكي مبارك وفضله على المتنبي.

(٢) يقصد الشريف الرضي الذي اختاره زكي مبارك وفضله على المتنبي.

(٣) أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني مقرئ نحوي لغوي فارسي، نزيل البصرة وعالمها؛ كان إماماً في علوم الآداب، وعنه أخذ علماء عصره كابن دريد والمبرد وابن قتيبة وغيرهم، كثير الرواية عالماً باللغة والشعر، وله شعر جيد.

(٤) قطري بن الفجاءة زعيم الأزارقة كان عظيم الشجاعة شديد الباس خارجاً عن سلطة الخلافة في زمن الحجاج بن يوسف وله في الحماسة شعر كثير.

مُسْمِرًا مَوْقِفِي وَالْحَرْبُ كَأَشْفَاءُ      عَنْهَا الْقِنَاعُ وَبَعْرُ الْمَوْتِ يَطْبُرُدُ  
وَرُبَّ هَاجِرَةٍ تَغْلِي مَرَاجِلَهَا      صَخَّرَتْهَا بِمَطَايَا غَارَةٍ تَخِدُ  
فَإِنْ أُمَّتٌ حَتَفَتْ نَفْسِي لَا أُمَّتٌ كَمَدًا      عَلَى الطِّعَانِ وَقَصْرُ الْعَاجِزِ الْكَمَدُ

ثم قال: هذا هو الشعر؛ لا ما تعلقون به أنفسكم من أشعار المخانيث؛  
وصدق أبو عبيده! فلقد قرأت معه قصيدة لحبيب<sup>(١)</sup>؛ في المعنى والبحر والقافية؛  
يصف ما صنع محمد بن يوسف؛ يوم وقعة معاوية بالحزمية، فلم تكن على  
جودتها؛ الا الخرز بجانب الجوهر؛ وبالشرط الأول من أبيات قُطْرِي؛ صغر  
عندي، أمثال قول حبيب:

وَقَدْ ظَلَلْتُ عُقْبَانَ رَايَاتِهِ ضَحَى      بِعُقْبَانَ طَيْرٍ بِالِدِمَاءِ نَوَاهِلُ

لأن الظاهر من شطر قطري؛ إرادة الطير لا اللواء؛ ولولا ما احكم المتنبي  
من مثته، وأحسن من نسجه؛ في قوله:

وَذِي لُجْبٍ لَا ذُو الْجَنَاحِ أَمْضَامَهُ      بِنَاجٍ وَلَا الْوَحْشِ الْمُتَّارِ بِسَالِمِ

تَمُرٌ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ      تُطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيثِ الْقَشَاعِمِ

إِذَا ضَوْؤُهَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً      تَدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ

لاستحقرته ايضاً؛ ولكنه جاء فيه؛ بما يعجز الأولين والآخرين؛ فكان أحق  
به من الإنس والجنّ أجمعين؛ وقد ارعويت من قوله: لهوي اصطلاء الوغى  
الخ... عن بعض ما استهوانني؛ من أمثال قول البحترى السابق، ونَفْسٌ لَهْرُهَا  
التَّعَبُ؛ وكم للخوارج من اشعار، تملأ الجنان، وتشجّع الجبان، كقول بعضهم:

وَمَنْ يَخْشَ أَظْفَارَ الْمَنَايَا فَاِنَّا      لَيْسَنَا لَهُنَّ السَّابِقَاتِ مِنَ الصَّبْرِ

وَإِنَّ كَرِيَةَ الْمَوْتِ عَذْبٌ مَذَاقُهُ      إِذَا مَا مَرَجْنَاهُ بِطَيْبٍ مِنَ الذِّكْرِ

وقوله الآخر:

(١) حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام.

ولما نأث عنا العشيَّرة كلها  
فَمَا أَسْلَمْنَا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيهَةٍ<sup>(١)</sup>  
أَنَحْنَا فَحَالَفْنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ  
وَلَا نَحْنُ أَغْضِيْنَا الْجُفُونَ عَلَى وَتِرٍ<sup>(٢)</sup>

ومثلها؛ إن لم يكن خير منها؛ نهشل ابن جري المُرِّي؛ يصف بعض مواقفه  
بصفين؛ وهو من أصحاب الإمام عليه السلام:

ويومٌ كأنَّ المُضْطَلِّينَ بِحَرِّهِ  
صَبَرْنَا لَهَا حَتَّى تَبُوحَ وَأَتَمَّا  
وإِنْ لَمْ يَكُنْ جَمْرٌ قَعُودٌ عَلَى الْجَمْرِ  
تُفَرِّجُ أَيَّامُ الْكَرِيهَةِ بِالصَّبْرِ  
وللشريف؛ مما ينخرط في السلك الطيب؛ الكثير كقوله:

على العزِّ وث؛ لأميئةً مُسْتَكِينَةً  
إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْجَمَامَ فَإِنِّي  
تزيلُ عن الدنيا بِشُمِّ المِراغِمِ  
سَأُكْرِمُ نَفْسِي عَنْ مَقَالِ اللِّوَامِ  
وقوله:

وقد عرقت تقحيمي الليالي  
لأمنع جازباً وإفيدُ عزاً  
كَمَا عَرَقَتْ تَوَقُّلِي الْعِقَابُ  
وَعِزَّ الْمَوْتِ مَا عَزَّ الْجَنَابُ  
إِذَا هَوُلُ دَعَاكَ فَلَا تَهَبُهُ  
إِلَى كَمِ ذَا التَّرْدُدِ فِي الْأَمَانِي  
وَلَا نَقْعُ<sup>(٣)</sup> يُنَارُ وَلَا قِتَامُ<sup>(٤)</sup>  
وَلَا خَيْلٌ مَعْقَدَةُ النِّوَاصِي  
سَأُخْطِبُهَا بِحَدِّ السَّيْفِ فِعْلًا  
وكم يلوي بناظري السراب  
ولا ظعن يثب ولا ضراب  
يُمُوجُ عَلَى شَكَايِمِهَا اللَّعَابُ  
إِذَا لَمْ يُغْنِ قَوْلٌ أَوْ خِطَابُ

(١) يوم الكريهة: الحرب.

(٢) وتر: ظلم في العداوة أو الانتقام.

(٣) النقع: الغبار الساطع.

(٤) القتام: الغبار الاسود.



وَأَخَذَهَا وَإِنْ رَغِمَتْ أَنْوْفٌ مُغَالِبَةٌ وَإِنْ ذَلَّتْ رِقَابٌ  
فَأَنَّ هَذِهِ؛ وَإِنْ كُنْتَ قَادِرًا؛ عَلَى إِرْجَاعِ الْكَثِيرِ مِنْهَا؛ إِلَى مَوَاضِعِهِ؛ مِنْ شِعْرِ  
أَبِي الطَّيِّبِ؛ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ؛ لِعَالِيَةِ الْمَنَارِ، ظَاهِرَةِ الشُّعَارِ؛ وَلِقَوْلِهِ: مَلْتَهَبِ  
الْحَوَاشِي؛ الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ عِنْدِي؛ مِنْ الْإِعْتِبَارِ؛ وَهَذَا كَافٍ لِلتَّحْلِيلِ، وَافٍ  
بِالتَّدْلِيلِ؛ وَلَا بَأْسَ أَنْ نَخْرُجَ إِلَى التَّطْوِيلِ؛ وَالْآتِي بِنَجْزٍ مَا وَعَدْتُ؛ كَفَيْلٌ إِنْ شَاءَ  
اللَّهُ تَعَالَى.

## المقالة الثالثة



نستفتح بهذه المقالة الكلام؛ على ما اختاره الأستاذ<sup>(١)</sup> من نوادر الشريف؛ ثم نأتي عليها على حسب ترتيبه.

### فأما قوله: (١)

إِذَا قَلَّ مَالِي قَلَّ صَّخِيبي وَإِنْ نَمَّا فَلِي مِنَ جَمِيعِ النَّاسِ أَهْلٌ وَمَرْحَبٌ

فأخوذ عن رجل في الجاهلية؛ كان حسن الحال؛ يختلف إليه إخوانه، وبنو عمه، فيعطيههم ويواسيهم؛ ثم اختل أمره فجفوه؛ فعاد إلى منزله كثيباً؛ فقالت له امرأته: ما شأنك؟ فقال: دعيني! وانشأ يقول:

دَعِي عَنكَ عَذْلِي مَا مِنَ الْعَذْلِ اعْجَبُ      وَلَا بَدَّ حَالٍ بَعْدَ حَالٍ تُقَلِّبُ  
وَكَانَ بَنُو عَمِّي يَقُولُونَ مَرْحَباً      فَلَمَّا رَأَوْنِي مُقْتِرَاً مَاتَ مَرْحَبٌ

ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار؛ وذكره أيضاً غيره؛ ومن الفكاهة فيه: أن بعض النُّزَكِيِّ<sup>(٢)</sup> سمعه؛ كما في شرح النهج؛ فقال: كلا! لم يمت مرحب؛ وإنما قتله علي بن أبي طالب؛ ونقل الميداني<sup>(٣)</sup> في افعال من الخاء؛ عن حمزة بن الحسن: قول الشاعر:

(١) زكي مبارك.

(٢) الأنزوك: الأحمق الجاهل والجمع نوكي.

(٣) أحمد بن محمد الميداني النيسابوري النحوي صاحب كتاب السامي في الأسامي والأنموذج في النحر ونزهة الطرف في علم الصرف توفي سنة ٥١٨ هـ.

يَا مَنْ جَفَايَ وَمَالًا      نَسَيْتَ أَهْلًا وَسَهْلًا  
وَمَاتَ مَرْحَبُ لَمَّا      رَأَيْتَ مَالِيَّ قَلًّا  
ولا أذكر وفاة حمزة الآن؛ ولكنني أعرف أن كتابه؛ من موادّ فقه اللغة  
للثعالبي؛ المتوفى سنة ٤٣٠هـ؛ وكانت ولادته سنة ٣٥٠هـ؛ ومتى كان الثعالبي  
أقدم ميلاداً من الشريف؛ فان حمزة وشاعره أولى. ثم رأيت البغدادي يقول في  
ص ٣٨٦ من خزائنه<sup>(١)</sup>؛ عن ابن جني<sup>(٢)</sup>؛ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ حَمْزَةَ الْبَصْرِيَّ<sup>(٣)</sup> قَالَ: كنت  
مع المتنبّي لما ورد ارتحان (انتهى).

وقال ذو الخرق<sup>(٤)</sup>؛ واسمه خليفة بن حمل الطهوي:

مَا بَالُ أُمَّ جَيْشٍ لَا تُكَلِّمُنَا      لَمَّا افْتَقَرْنَا وَقَدْ نَشْرِي فَنَتَّقُ  
تُقَطِّعُ الظَّرْفَ دُونِي وَهِيَ عَابِسَةٌ      كَمَا تَشَاوَسَ فِيكَ الشَّائِرُ الْحَنِقُ  
وقال ابن دريد<sup>(٥)</sup>: أنشدني ابن أخي الأصمعي:

صَدِيقُكَ حِينَ تَسْتَفْنِي كَثِيرٌ      وَمَالُكَ عِنْدَ فَقْرِكَ مِنْ صَدِيقٍ  
فَلَا تَغْضَبْ عَلَيَّ إِذَا مَا      طَلَى عِنْدَكَ الزِّيَارَةَ عِنْدَ ضَيْقِي  
وقديماً كان يقال: إذا ايسرت؛ فكلُّ رَحْلٍ رَحَلُكَ؛ وإذا اعسرت؛ انكرك  
حتى أهلك؛ ومن أمثالهم: من ذهب ماله؛ هان على أهله؛ ومن شواهد النحاة؛  
في كيف؛ قول الشاعر:

إِذْ قَلَّ مَالُ الْمَرْءِ لَأَنْتَ قَنَائُهُ      وَهَانَ عَلَى الْأَدْنَى فَكَيْفَ الْإِبَاعِدُ

(١) أي خزانة الأدب.

(٢) أبو الفتح عثمان بن جني عالم نحوي كبير عاش في فترة ضعف الدولة العباسية وتوفي سنة ٣٩٢هـ.

(٣) لغوي من علماء الأدب له كتاب التنبهات على اغاليط الرواة توفي سنة ٣٧٥هـ.

(٤) سمي «ذا الخرق» بهذا البيت: عجافاً عليها الريش والخرق.

(٥) عالم وشاعر وأديب عاش في عصر المعتصم العباسي ولاءه الخليفة المقتدر أعمال الاحواز وديوان فارس وهناك قدم له كتابه الشهير جمهرة اللغة.

وقال أبو العتاهية:

ما الناسُ الا معَ الدُنْيَا وَصَاحِبِهَا      فَكَيْفَمَا انْقَلَبْتَ يوماً بهِ انقلبوا  
يعظّمونُ أخوا الدنيا فإن وثبت      عليه يوماً بما لا يشتهي وثبوا  
وقد تمثل بهما علي بن موسى<sup>(١)</sup>؛ يوم استوزر؛ ورأى الناس حواليه؛ وقال  
أبو العتاهية أيضاً:

الحمدُ لله حمداً لا إنقضاءَ له      ما يُعظّمُ الناسُ إلا من له ورقُ  
وقال:

قد بلّونا الناسَ في أخلاقِهِمْ      قرأناهم لذي المالِ تبغ  
وقال:

أجلّك قومٌ حينَ صِرتَ إلى الغنى      وكُلُّ غنيٍّ في العيونِ جليلُ  
وأشدُّ المرتضى لبعضهم:

أرى الناسَ لِلصَّغْلُوكِ حرباً ولا أرى      لذي نَشَبٍ إلا خليلاً مُصَافِياً  
وأشدُّ لذي الإصبعِ العدواني<sup>(٢)</sup>:

ذهبَ الذينَ إذا رأوني مُقبِلاً      هسّوا ليّ ورحبوا بالمُقبِلِ  
وهمُ الذينَ إذا حملتُ جِمالَهُ      ولقيتُهُم؛ فكأنني لم أحملِ  
وقال عبد المسيح بن ببيعة<sup>(٣)</sup>:

والناسُ أبناءُ عِلاتٍ فمن علموا      أن قَدِ أقلَّ فَمَجْفُوقٌ وَمَحْقُورُ

(١) الإمام علي بن موسى الرضا من أئمة الشيعة ولد في المدينة وتوفي بفارس سنة ٢٠٣هـ.

(٢) أحد الحكماء والشعراء المعمرين في العصر الجاهلي سمي ذو الإصبع لإصبع زائد في رجله.

(٣) من المعمرين الذين أدركوا الإسلام فلم يسلموا كان نصرانياً من أهل الحيرة وله قصة مع خالد بن الوليد رضي الله عنه لما نزل لفتح الحيرة.

وهم بنون لأم إن رأوا نشباً  
وقال ابن دريد:

فذاك بالغيب محفوظ ومخفور

والناس كلاً إن فحصت عنهم  
عبيد ذي المال وإن لم يظموا  
وهم لمن أملك أعداء وإن  
وقال سهم بن حنظلة الغنوي:

جميع أقطار البلاد والقرى  
من عمرو في جرعة تشفي الصدى  
شاركهم فيما أفاد وحوى

إذا افتقرت نأى واشتد جانبُه  
وذو القرابة عند النيل يطلبُه  
وإن آتاك لِمَالٍ أَوْ لِنَصْرِهِ

وإن رآك غنياً لأن واقتربا  
وهو البعيد إذا ماجئت مُطَلِّباً  
أثنى عليك الذي تهوى وإن كذباً

ومن الكتاب الذي سيره الإمام<sup>(١)</sup>؛ إلى عثمان بن حنيف<sup>(٢)</sup>؛ وما ظننت انك  
تجيب؛ إلى طعام قوم؛ عائلهم مجفون، وغنيهم مدعون؛ قال الشارح: وهذا كقول  
الشاعر:

فإن تملك فأنت لنا عدو  
وإن تُثري فأنت لنا صديق  
ومن طباع الكلب: أنه يُكْرِمُ الجَلَّةَ<sup>(٣)</sup>؛ ويهْرُ<sup>(٤)</sup> السفله؛ ولهذا قيل:

إن الكلاب إذا رأت ذا نعمة  
وإذا رأت رجلاً فقيراً بائساً  
هَرَّتْ عَلَيْهِ وَكَثَّرَتْ أَنْبَاءَهَا  
حَنَّتْ إِلَيْهِ وَحَرَكَتْ اذْنَائِهَا

إذن فما عليه الناس من ذلك؛ ناتج عن الطبيعة الكلبية؛ وقالت بنت

(١) الإمام علي عليه السلام.

(٢) من الصحابة الأنصارين، شهد بدرًا وغيرها من الغزوات مع رسول الله ﷺ وكان ذا بصر وعقل وولاه الإمام علي ولاية البصرة وكان من أشد مؤيديه.

(٣) من الرجال العظام السادة.

(٤) ينيح.

عبد الله بن مطيع؛ لزوجها؛ يحيى بن طلحة: ما رأيت ألام من أصحابك؛ إذا أسرت لزموك؛ وإذا اعسرت تركوك؛ قال: ذاك من كرمهم؛ يأتوننا وقت قدرتنا عليهم؛ ويدبرون عنا؛ حال ضعفنا عنهم؛ وفي عكس هذا؛ يقول أبو العينا؛ لأبي الصقر ابن بلبل: أنت والله تقربُ منا إذا احتجنا إليك؛ وتبعد عنا إذا احتجت إلينا؛ قال المرتضى: وهو شبيه بقول إبراهيم الصولي<sup>(١)</sup>:

ولكنَّ الجوادَ ابا هشامٍ      وفي العَهْدِ مأمونَ الغُيوبِ  
بطيءٌ عنكَ ما استغنيتَ عنه      وطلَّاعٌ عليكِ لدى الخُطوبِ  
وقال أبو بكر الخوارزمي<sup>(٢)</sup>:

رأيتك إن أسرتِ خيِّمتَ عندنا      مقيمًا وإن أغسرتِ زُرتَ مُقيمًا  
فما أنت إلا البذر إن قلَّ ضوءه      أغبَّ وإن زاد الضياء أقامًا  
وما أحسن قول الشريف في الموضوع؛ يرثي أناساً يُجِبِّهم:

توارك لي في حالٍ يُسرِّي فلنْ رأوا      دُنُوي من الإملاقِ جاءَ بهم عُسرِي  
وهو عكس بيته الأول؛ وأبدع منه، وأجمل؛ وفي الذكر<sup>(٣)</sup>؛ أن من بين مقامات البديع<sup>(٤)</sup>؛ المتوفى سنة ٣٩٨هـ؛ مقامة ممتعة؛ يصف بها جفوة أصحابه؛ لما أفتت؛ واحتياله عليهم؛ حتى حلق ذقونهم لما أيسر؛ غير أن الحفظ يخون؛ فلتكشف من موضعها؛ ولا يخلو البيت؛ عن شيء من النظر؛ إلى قول البحترى:

(١) من شعراء أهل البيت ولد سنة ١٦٧هـ كان كاتباً وخطيباً بليغاً اشتهر بجودة شعره وحسن أدبه.

(٢) اسمه: محمد بن العباس الخوارزمي وأمه أخت المؤرخ ابن جرير الطبري كان فريد دهره في الأدب والشعر. توفي سنة ٣٨٢هـ.

(٣) أي الذاكرة.

(٤) بديع الزمان الهمداني صاحب المقامات كاتب وأديب ولد بهمدان وعاش في فارس؛ تناظر مع أبي بكر الخوارزمي اللغوي الشهير وتفرق عليه له أكثر من أربعمئة مقامة لم يبق منها سوى اثنين وخمسين توفي سنة ٣٩٥هـ.

فَشَبِعْتُ مِنْ بِرِّ لَدَيْكَ وَنَائِلِ      وَرَوَيْتُ مِنْ أَهْلِ لَدَيْكَ وَمَرْحَبِ  
وهذا من قول أبي تمام :  
إِذَا قَالَ أَهْلًا مَرْحَبًا نَبَّتْ لَهُمْ      مِيَاهُ النَّدى مِنْ تَحْتِ أَهْلِ وَمَرْحَبِ  
وقال المثقب العبدى <sup>(١)</sup> :  
فَلَمَّا أَنَانِي وَالسَّمَاءُ تُبِلُّهُ      فَقَلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا

### وأما قوله <sup>(٢)</sup> (٢)

يَفِرُّ الْفَتَى مَا طَالَ مِنْ حَبْلِ عُمُرِهِ      وَتُرْخِي الْمَنَايَا بُرْهَةً ثُمَّ تَجِدُبُ

فَقَلَّ أَنْ يَخْلُوَ عَنْ مِثْلِهِ؛ كَلَامُ شَاعِرٍ، أَوْ قَوْلُ خَطِيبٍ؛ وَقَدْ قَالَ طَرْفَةٌ:  
لِعَمْرِكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى      لَكَ الطَّوْلُ <sup>(٣)</sup> الْمُرْخِي وَثُنْيَاهُ بِالْيَدِ  
إِذَا شَاءَ يَوْمًا قَادَهُ بِزَمَامِهِ      وَمَنْ كَانَ فِي حَبْلِ الْمَنِيَّةِ يَنْقَدِ  
وقال أبو العتاهية:  
تَنْظَلُ تَفْرُحُ بِالْأَيَّامِ تَقْطَعُهَا      وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدِينِي مِنْ الْأَجْلِ  
وقال مسلم بن الوليد:  
يَغُرُّ الْفَتَى مَرَّ اللَّيَالِي سَلِيمَةً      وَهَنَّ بِهِ عَمَّا قَلِيلٍ عَوَائِرُ  
وقال:  
دَلَّتْ عَلَى عَيْبِهَا الدُّنْيَا وَصَدَّقَهَا      مَا اسْتَرْجَعَ الدَّهْرُ مِمَّا كَانَ أَعْطَانِي

(١) شاعر جاهلي اسمه العائذ بن محصن بن ثعلبة في شعره حكمه ورقه اتصل بالملك عمر بن هند ومدحه كما مدح النعمان بن المنذر.

(٢) أي: الشريف الرضي.

(٣) الطول: حبل يربط في وتد ونحوه ويطول للدابة لترعى وهي مقيدة به.

وقال ابن الرومي:

رَأَيْتُ طَوِيلَ الْعُمَرِ مِثْلَ قَصِيرِهِ إِذَا كَانَ مَفْضَاهُ إِلَى غَايَةِ نُومِ

وقال أبو الطيب:

كثِيرُ حَيَاةِ الْمَرْءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا يَزُولُ؛ وَبَاقِي عَيْشِهِ مِثْلُ ذَاهِبِ

وخير من البيت الذي نحن فيه؛ ما استوعبه؛ من معنى طرفه؛ في الأخرى؛

بقوله:

تُرْخِي النَوَائِبُ مِنْ أَعْمَارِنَا طَرْفًا فَنَسْتَفِرُّ؛ وَقَدْ امْسَكْنَا بِالطَّوْلِ  
يَقُودُنِي الْمَوْتُ مِنْ دَارِي فَاتَّبِعُهُ وَقَدْ هَزَمْتُ بِأَطْرَافِ الْقَنَا الذَّبْلِ

### وأما قوله (٣)

وَأَمَلُ أَنْ تَقِيَ الْأَيَّامَ نَفْسِي وَفِي جَنْبِي لَهَا ظَفَرٌ وَنَابُ

فلا تُحْصَى أمثاله؛ ومنه قول أبي ذؤيب<sup>(١)</sup>:

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ انْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

فلقد نظر إليه؛ إلا أنه عَجَّلَ ما أَجَلَهُ؛ وقال الآخر:

لَا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أَضْبَحْتَ فِي حَرَمٍ إِنَّ الْمَنَايَا بِجَنْبِي كُلَّ انْسَانٍ

وفي الحديث: أَنْ مَنْشَدًا؛ أَنشَدَ لِلنَّبِيِّ ﷺ:

لَا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ امْسَيْتَ فِي حَرَمٍ إِنَّ الْمَنَايَا بِجَنْبِي كُلَّ انْسَانٍ<sup>(٢)</sup>

فاسلك طَرِيقَكَ تَمْشِي غيرَ مُخْتَنِعٍ حَتَّى تُتْلَقِيَّ مَا يُمْنِي لَكَ الْمَانِي

فَكُلُّ ذِي صَاحِبٍ يَوْمًا يُفَارِقُهُ وَكُلُّ زَادٍ وَإِنْ أَبْقَيْتَهُ فَاِنْسِي

(١) أبو ذؤيب الهذلي: شاعر مخضرم جاهلي أسلم على عهد النبي ﷺ ولكنه لم يره.

(٢) أكمل المحقق الأبيات من ما ورد في الحديث.



وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ بِكُلِّ ذَلِكَ يَأْتِيكَ الْجَدِيدَانِ

فَقَالَ ﷺ: «لَوْ أَدْرَكَتْ هَذَا لِأَسْلَمَ»<sup>(١)</sup>؛ وَكَأَنَّهُمَا لِصَاحِبِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ؛ فَإِنَّ

الْمِذَاقَ وَاحِدٌ؛ ثُمَّ نَحَقَّتْ ذَلِكَ؛ وَإِنَّ قَائِلَهُمَا: سُوَيْدُ بْنُ عَامِرِ الْمِصْطَلِقِيِّ فِيهَا:

فَكُلُّ ذِي صَاحِبٍ يَوْمًا يُفَارِقُهُ وَكُلُّ زَادٍ وَإِنْ أَبْقَيْتَهُ فَاِنِّي

وَقَالَ أَبُو يَعْقُوبَ الْخَزِيمِيُّ<sup>(٢)</sup> فِي رِثَائِهِ لِعِيْنَةٍ:

إِذَا مَا مَاتَ بَعْضُكَ فَاَبِكْ بَعْضًا فَإِنَّ الْبَعْضَ مِنْ بَعْضٍ قَرِيبٌ

وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ:

دَبَّ فِيَّ الْقَنَاءُ سُفْلًا وَعُلُوًّا وَأَرَانِي أَمُوتُ عُضْوًا فَعُضْوًا

لَيْسَ مِنْ سَاعَةٍ مَضَتْ لِي إِلَّا نَقَضْتَنِي بِمَرِّهَا بِي جَزْوَا

وَقَالَ حَبِيبٌ:

وَأَيُّ أَخِي عَرَاءٌ أَوْ جَبْرِِيَّةٍ يَنَابِذُهُ أَوْ أَيُّ رَامٍ يُنَاصِلُهُ

إِذَا مَا جَرَى مَجْرَى دَمِ الْمَرِّ حُكْمُهُ وَبُئِثْتُ عَلَى طُرُقِ النَّفْسِ حَبَائِلُهُ

وَقَالَ طَرَفَةُ:

أَرَى الْمَوْتَ لَا يَرَعَى عَلَيَّ ذِي جَلَالَةٍ وَإِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا عَزِيزًا بِمَقْعَدِي

(١) حديث مرفوع رقمه ١٣٧٥٧ - موسوعة الحديث وسنده موصل إلى يزيد بن عمرو بن مسلم الخزاعي ثم المصطلقي قال: حدثني أبي عن أبيه قال: كنت عند رسول الله ﷺ فأنشده منشد قول سويد بن عامر المصطلقي:

لَا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أَمَسَتْ فِي حَرَمٍ  
فَاسْلُكْ طَرِيقَكَ تَمِيشِي غَيْرَ مُخْتَشِعٍ  
فَكُلُّ ذِي صَاحِبٍ يَوْمًا يُفَارِقُهُ  
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ  
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَدْرَكَتْ هَذَا لِأَسْلَمَ».

(٢) اسمه حسان بن إسحاق وهو من شعراء الدولة العباسية المجيدين.

أَفِي الْيَوْمِ اقْدَامُ الْمَنِيَّةِ أَمْ عَدِ  
وَأَنَّ تَكُ قُدَامِي أَجْدَهَا بِمَرَصِدِ

وقال حبيب:

وَلِبَلَّتُهُ تَنَعَاكَ إِنْ كُنْتَ تُبْصِرُ  
عَلَى الْخَلْقِ إِلَّا حَبْلُ عُمَرِكَ يَقْضِرُ

وقال البحتري:

لَهُ أَجَلٌ فِي مُدَّةِ الْعُمَرِ قَاتِلُ

وقال أبو الطيب:

وَاشْكُو إِلَيْهَا بَيْنَنَا وَهِيَ جُنْدُهُ

فكون الايام؛ جند البين<sup>(٢)</sup>؛ مثل كونها أظفار المنايا وانياها؛ فهو من  
أقسام السلخ؛ السابق ذكره؛ في حاشية المقدمة؛ وقال أبو الطيب:

مِنْ بَعْدِ مَا انْشَبْنَ فِي مَخَالِبَا  
مَحْنٌ أَحَدٌ مِنَ السُّيُوفِ مَضَارِيَا

مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ

فِي الْيَوْمِ جُودَهَا كَانَ بُخْلَا

يَصُولُ بِلا كَفِّ وَيَسْعَى بِلا رِجْلِ

لِعَمْرُكَ مَا ادْرِي وَإِنِّي لَوَاجِلُ  
فَإِنَّ تَكُ خَلْفِي لَا يَفْتُهَا سَوَادِيَا<sup>(١)</sup>

وَهَذَا صَبَّاحُ الْيَوْمِ بِنَعَاكَ ضَوْؤُهُ  
وَمَا لَاحَ نَجْمٌ لَا وَلَا ذَرَّ شَارِقُ

وَمَا لَبْتُ مَنْ يَغْدُو وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ

أَوْدٌ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا تَوُدُّهُ

كَيْفَ الرَّجَاءُ مِنَ الْخُطُوبِ تَخْلُصًا  
وَنَصَبْتَنِي غَرَضَ الرُّمَاءِ تُصِيبُنِي

أَرِيدُ مِنْ زَمَنِي دَا أَنْ يُبَلِّغَنِي

أَبْدًا تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُّ الدُّنْيَا

وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ

(١) السواد: الشخص.

(٢) البين: الفرقة.

وقال:

أنته المنايا في طريقي خفيّة      على كُـلِّ سَمِعٍ حَوْلَهُ وَجِنَانِ  
وفي هذا نظر؛ إلى قول المهلبى<sup>(١)</sup>:  
جَاءَتْ مَنِيَّبَتُهُ وَالْمَعِينُ هَاجِعَةٌ      هَلَا أَتَتْهُ الْمَنَايَا وَالْقَنَا<sup>(٢)</sup> قَصْدُ  
وقال الآخر:

مَا ارْتَدَّ ظَرْفٌ لِامْرِءٍ بِلِحْظَتِهِ      إِلَّا وَشِيءٌ يَمُوتُ مِنْ جَسَدِهِ  
وقال ابن المعتز:  
الدَّهْرُ يَطْرُقُ بِالعَنَا<sup>(٣)</sup>      والنَّاسُ بَيْنَ جُفُونِهِ  
وقال:

إِلَّا إِنَّمَا جِسْمِي لِرُوحِي مَطْبَةٌ      وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ يُعَرَّى مِنَ الرَّحْلِ  
ومن أقرب مأخذ الشريف؛ قول أبي فراس:  
وإبطاً عني والمنايا سريعةً      وللموتِ ظفرٌ قد أظلمَ وتابُ  
وقول أبي ذؤيب<sup>(٤)</sup>:

سَبِقُوا هَوَى وَاعْتَقُوا لِهَوَاهُمُ      فَتَحَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ  
وقول سعدون المجنون<sup>(٥)</sup> المتوفي بعد الخمسين والمائتين:

(١) هو يزيد بن محمد بن المهلب شاعر مجيد من الندماء الرواة ولد بالبصرة وعاش ببغداد مدح الخيفة المتوكل العباسي بقصيدة شهيرة وتوفي سنة ٢٥٩هـ.

(٢) القنا: جمع قناة وهي الرمح.

(٣) العنا: الناحية أو الطرف ومن معانيها القوم من قبائل شتى.

(٤) أبو ذؤيب الهذلي شاعر جهلي أدرك الإسلام فأسلم ولكنه لم ير الرسول ﷺ.

(٥) سعدون المجنون يقال اسمه سعيد وكنيته أبو عطاء ولقبه سعدون من أهل البصرة وكان من عقلاء المجانين وحكمائهم له أخبار وملاح وكلام سديد ونظم ونثر يستحسن. طواف للبلاد وكان من المحبين لله عز وجل صام ستين سنة حتى جف دماغه فسماه الناس مجنوناً.

يا خاطبَ الدنيا إلى نَفْسِهَا      إِنَّ لَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ خَلِيلَ  
 ما أَقْبَحَ الدُّنْيَا بِخُطَابِهَا      تَقْتُلُهُمْ عَمْدًا قَتِيلًا قَتِيلَ  
 تَسْتَنْكِحُ البَعْلَ وَقَدْ وَطَّئَتْ      فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْهُ بَدِيلَ  
 إِنِّي لَمُنْتَرٌّ وَإِنَّ البَيْلَى      يَغْمَلُ فِي جِسْمِي قَلِيلًا قَلِيلَ  
 تَرَوُّدُوا لَلْمَوْتِ زَادًا فَقَدْ      نَادَى مَنَادِيهِ الرِّحِيلَ الرِّحِيلَ

### وأما قوله (٤)

تُفْدِي الفَتَى فِي عَيْشِهِ السَّنُّ      وَمَالُهُ مِنْ حَتْفِهِ قَادِ

فقد بناه؛ على قول معاوية بن الضحاك<sup>(١)</sup>؛ من أبيات أنشدها في أيام صفين<sup>(٢)</sup>؛ وهو:

هِنَالِكَ لَا تَلْوِي عَجُوزٌ عَلَيَّ ابْنِهَا      وَإِنْ أَكْثَرْتَ مِنْ قَوْلِ نَفْسِي لَكَ الْفِدَا

وليس الأمر على إطلاقه؛ إذ قد أخرج الحاكم<sup>(٣)</sup>؛ في غير موضع من مستدركه؛ على شرط الشيخين: أن آدم اعطى لداؤود اربعين سنة من عمره؛ وفي موضع آخر ستين سنة؛ فنقصت من عمر آدم؛ وزيدت في عمر داؤود؛ فصحَّ انه فداه حقيقة؛ ومثله عند السادة الصوفية؛ كثير؛ وانا به؛ ولله الحمد؛ من المصدقين؛ وما أظن الشريف؛ إلا غفل عما اورده بنفسه في النهج؛ من قول

(١) معاوية بن الضحاك بن سفيان صاحب راية بني سليم مع معاوية وكان مبغضا لمعاوية وأهل الشام وهواه مع علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) موقعة صفين حدثت بين جيش معاوية وجيش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سنة ٣٧هـ بعد موقعة الجمل بستة تقريباً.

(٣) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري صاحب كتاب المستدرک في الحديث، أحد كتب أهل السنة والجماعة، جمع فيه الأحاديث التي ظنها صحيحه على شرط الشيخين (البخاري ومسلم) أو أحدهما مما أعتقد انهما لم يروياه في صحيحهما.

الإمام: إِنَّهُ ﷺ؛ كان إذا اشتد البأس، واحجم الناس؛ قدّم أهل بيته؛ فوقى بهم أصحابه؛ حَرَّ الاسنة والسيوف؛ فقتل عبيدة<sup>(١)</sup> يوم بدر؛ وقتل حمزة يوم احد؛ وقتل جعفر يوم مؤتة؛ وأراد من لو شئت؛ ذكرت اسمه؛ مثل الذي أرادوا من الشهادة؛ غير أن منايهم عَجَلْتُ؛ وَمَيَّبْتُه أُجَلْتُ؛ افلا يرى الشريف! أن قوله: فَوَقَى بهم أصحابه؛ من التفدية الصحيحة الواقعية؛ إنَّ هذا لشيء عُنْجَابٌ؛ وكان أبو طالب يفديه ﷺ بأبنائه؛ طيلة ليالي الشعب<sup>(٢)</sup>؛ خشية الاغتيال؛ كلما نام في موضع؛ أقامه منه؛ وابدله بأحد ابنائه؛ وقال له يَشْجَعُهُ، وَيُسْكِرُنْ جَاشَهُ:

لَا يَمْنَعَنَّكَ مِنْ حَقِّ تَقْوَمٍ بِهِ      أَيْدٍ تَصُولُ وَلَا سَلْقٍ بِأَصْوَاتِ  
فَإِنَّ كَفَّفَكَ كَفِّيَ إِنْ بُلِيَتْ بِهِمْ      وَدُونَ نَفْسِكَ نَفْسِي فِي الْمُلِمَاتِ  
وقد صدق، وبراً، وحذب عليه من كل حذر؛ وقلت من قصيدة نبوية:

وَبَاتَ عَلَيَّ فِي فِرَاشِ مُحَمَّدٍ      أَلَيْسَ صَحِيحاً فِي الْفِدَاءِ بَيَّاتُهُ  
و لم يعدم الصديق؛ ما يشبه ليلة الغار<sup>(٣)</sup>؛ كما ذكره الحاكم في مستدركه؛ وغيره من أهل السير؛ وقتل يوم أحد؛ سبعة من الانصار؛ كل واحد منهم؛ يقول لرسول الله ﷺ: نحري دون نحرك، وصدري دون صدرك؛ وماذا يرى الشريف في قوله جلَّ ذكره: ﴿وَلَدَيْتَهُ بِذَنْبِ عَظِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup>. وقد جاء في الحديث؛ اطلاق الذبيح على إسماعيل؛ ولو لم يكن واقعاً؛ لما صحَّ انشقاق الاسم له؛ على الاصح؛ عند الأشاعرة<sup>(٥)</sup>؛ إذن فالتفدية على ألوان؛ منها ما يكون من تحت اللسان؛ ولا

(١) عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف وهو أخو عبد المطلب وكان من السابقين إلى الإسلام وكبير المعزلة عند النبي ﷺ وهو الذي بارز عتبة بن ربيعة يوم بدر فاختلفا ضريبتين ثم أجهز علي وحمزة على عتبة واحتملا عبيدة وفيه رمق فمات بعد ذلك.

(٢) حصار بني هاشم في شعب أبي طالب في بداية حرب فريش على الإسلام واستمر ثلاث سنوات.

(٣) يقصد أن سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان يفدي في الغار بنفسه رسول ﷺ.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٠٧.

(٥) الأشاعرة فرقة من أهل السنة والجماعة تنسب إلى أبي الحسن الأشعري الذي استخدم =

اثر له في الجنان؛ وذلك الذي ينطبق عليه وحده؛ قول الشريف.  
 وقد وقَّينا التفدية حقها؛ في المجلس الأول؛ من العود الهندي؛ وما  
 أنساني إلا الشيطان؛ أن أذكر فيه؛ قول حسان:  
 فلإن أبي ووالدي وعرضي لعرض محمد منكم وقاء  
 مع أنه الإمام في الموضوع؛ وقد ضمن له ﷺ؛ عليه بالجنة؛ وقال له:  
 وراك الله حر النار<sup>(١)</sup>.

ويعجبني قول ابن الرومي:

يفديكم الناس إذ تفدون أنفسهم منكم بأفضل أزواج وأجساد  
 وما أحسن قول الشريف نفسه؛ في رثاء أمه:  
 قد كنت أمل أن أكون لك الفداء مما ألمت فكنت أنت فداي  
 وقال بشار:

لوكانت الفدية مقبولة لقلت بي لأبيك حمًا  
 وقال كعب الغنوي<sup>(٢)</sup>؛ في رثائه لأبي المغوار:

فلو كان حي يفتدي لفتدي لفتيته بما لم تكن عنه النفوس تطيب

= الأساليب الكلامية للرد على المعتزلة وتدعيم العقيدة بالحجج الكلامية فيما يختص بصفات الخالق جل وعلا وبمسائل القضاء والقدر. وتشكل هي والماثرية غالبية أهل السنة والجماعة.

(١) قال ملتقى أهل الحديث هذا البيت لحسان أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها وهو قطعة من حديث الإفك ولكن لفظ: «وقاك الله حر النار يا حسان» لم أر من ذكره والله أعلم.

(٢) كعب بن سعد بن عمرو الغنوي، شاعر مخضرم مجيد وشعره يحتج به عند أهل اللغة وكان له أخ يدعى أبا المغوار قتل في حرب ذي قار، رثاه فصارت من المراثي المعدودة عند العرب واشتهر بها ولأجلها قال عنه الأصمعي: ليس في الدنيا مثله. وكان يكثر من اقتباس الأمثال في شعره، فعرف بكعب الأمثال.

ويأتي فيه؛ بعض ما يأتي في تغير مقادير الآجال؛ عندما تنتهي إليه النوبة<sup>(١)</sup>؛ إن شاء الله تعالى.

### وأما قوله (٥)

كُلُّ حَبْسٍ يَهُونُ عِنْدَ اللَّيَالِيِ      بَعْدَ حَبْسِ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ

فإنه من آراء الفلاسفة والصوفية؛ وقد ذكروا أن الشبلي<sup>(٢)</sup> مرض ثم شفي؛ فعاده أصحابه وقالوا: كيف أنت؟ فقال:

كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ دَنَى حَلَّ قَيْدِي      قَدَّمُونِي وَأَوْثَقُوا الْمِسْمَارَا

وهو أرق من بيت الشريف وأعذب؛ مع فضيلة التقدم؛ وموافقته لمقتضى الحال؛ لولا برودة وابتذال؛ في المسمار؛ وقد كانت وفاة الشبلي؛ آخر الحجة من سنة ٣٣٤هـ؛ أي قبل وجود الشريف بنحو من أربع وعشرين سنة؛ وقد أثر من قبل ذلك؛ عن داؤود الطائي<sup>(٣)</sup>؛ انه قال؛ ساعة موته: الآن اقلت من السجن! وأشعار المعري؛ طافحة بمثله؛ ومنها قوله:

يَا رَبِّ عَيْشَةٌ ذِي الضَّلَالِ حَسَارُ      اظْلِقْ أَسْبِرَكَ فَالْحَبِيبَا أَسَارُ

ولن يعدم القول به التدليل؛ من قوله ﷺ: «اللهم الرفيق الأعلى» وقول العبد الصالح: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّلِيمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>. بل قد جاء

(١) يقصد سيتوسع في شرح مسألة تغير مقادير الآجال في مبحث آخر.

(٢) أبو بكر الشبلي ولد سنة ٢٤٧هـ ونشأ مع أولاد الأمراء والوزراء وتعين في مناصب عالية ثم زهد في ذلك كله واتصل بالجنيد وسلك طريقة الصوفية.

(٣) داؤد بن نصير الطائي من أئمة المتصوفين عاش أيام المهدي العباسي أصله من خراسان ومولده بالكوفة ورحل إلى بغداد كان عابداً زاهداً وتوفي سنة ١٦٥هـ.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

في الحديث: «الدنيا سجن المؤمن؛ وجنة الكافر»<sup>(١)</sup> أخرجه مالك ومسلم والترمذي؛ وصححه عن أبي هريرة.

ومن كلام سقراط<sup>(٢)</sup>: الدنيا سجن لمن زهد فيها؛ وجنة لمن أحبها. وللديلمي<sup>(٣)</sup> عن الحسن<sup>(٤)</sup>: الموت ربحانة المؤمن؛ وللطبراني والحاكم وابي نعيم وابن المبارك؛ عن ابن عباس: «تحفة المؤمن الموت»<sup>(٥)</sup>؛ وقال ابن الرومي:

قد قلتُ إذ مدَّحُوا الحَيَاةَ فاسرفوا      للموتِ الفُ فُضِيلَةَ لا تُعرَفُ  
وقال أبو الطيب:

تبخلُ أيدينا بأزواجنا      على زمانٍ هي من كسيه

(١) حديث مرفوع - موسوعة الحديث.

(٢) فيلسوف يوناني عاش قبل ميلاد المسيح بحوالي أربعمائة سنة يعتبر من مؤسسي الفلسفة الغربية.

(٣) مهيار الديلمي كاتب وشاعر فارسي كان مجوسياً فأسلم ويقال أن إسلامه كان على يد الشريف الرضي الذي تعلم عليه الشعر كان شعره جزلاً وكان مقدماً على أهل وقته وله نفس طويل في الشعر وتوفي سنة ٤٢٨هـ.

(٤) الحسن بن الحسن البصري إمام أهل العدل والتوحيد ولد قبل سنتين من مقتل عمر رضي الله عنه وارضعته ام سلمة رضي الله عنها فنشأ في بيت النبوة انتقل إلى البصرة وعاصر الصحابة الذين سكنوها وأصبح أشهر علماء البصرة ومفتيها حتى وفاته كان فقيهاً حكيماً ورعاً وشجاعاً اشترك في فتح كابول.

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد - ومن طريقه: عبد بن حميد في المسند، والحاكم في المستدرک، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء، والقضاعي في مسند الشهاب، والبيهقي في شعب الإيمان قال: أخبرنا يحيى بن أبوب، عن بكر بن عمرو، عن عبد الرحمن بن زياد، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «تحفة المؤمن الموت». قال أبو نعيم الأصبهاني: «غريب من حديث عبد الله بن عمرو، لم يروه عنه إلا الحبلي». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد». فتعقبه الذهبي بقوله: «ابن زياد هو: الإفريقي، ضعيف».



فهذه الأرواحُ مِنْ جَوِّهِ وهذه الأجسامُ مِنْ تَرْبِهِ

ومعناه أن الأرواح من الجَوِّ؛ فهي محبوسة بالحياة في الأرض؛ فإذا جاء الموت؛ عاد كُلُّ إلى مكانه؛ قالوا؛ وهو من قول الحكيم: اللطائف سماوية، والكثائِف ارضيه، وكل عنصر عائد بالموت؛ إلى مستقرِّه؛ وقد يشير إلى شيء منه؛ قول البحترى:

رَأَيْتُ الْمَرْءَ أَلْفَ مِنْ ضُرُوبٍ      يُؤَثِّرُ فِي تَزَايِدِهَا الْأَثِيرُ  
ولأبي علي بن سينا<sup>(١)</sup>؛ المتوفي عام ٤٢٨هـ؛ في توضيح المعنى؛ الشيء الكثير؛ منه قوله:

هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرَفِ      وَرَقَاءَ ذَاتِ تَعَمَّرُزٍ وَتَمَنُّعِ  
مَحْجُوبَةً عَنْ كُلِّ مُقْلَةٍ عَارِفٍ      وَهِيَ الَّتِي سَفَرَتْ وَلَمْ تَتَبَرِّقِ  
وَصَلَّتْ عَلَيَّ كُرِّيًّا إِلَيْكَ وَرَبَّمَا      كَرِهَتْ فِرَاقَكَ وَهِيَ ذَاتُ تَفْجُجِ  
أَنْقَتُ وَمَا أَلْفَتُ فَلَمَّا وَاصَلْتُ      أَلْفَتُ مَجَاوِرَةَ الْحَرَابِ الْبَلْقِ  
وهي قصيدة طويلة؛ متداولة بين الناس؛ وأخذ القطب الحداد<sup>(٢)</sup>؛ بالنصيب الوافي؛ من هذه النظرية؛ كما في قوله:

يَا أَيُّهَا الرُّوحُ هَلْ تَرْضَى مُسَاكِنَةً      عَلَى الدَّوَامِ لِهَذَا الْمُظْلِمِ الْكَادِرِ  
فَأَيَّنَ كُنْتَ وَلَا جِسْمٌ تَسَاكِنُهُ      أَلَسْتَ فِي حَضْرَاتِ الْقُدْسِ فَادَّكِرِ

(١) أبو علي الحسن بن عبد الله ابن سينا علم وطبيب مسلم من بخارى اشتهر بالطب والفلسفة عرف باسم الشيخ وسماع الغريون أبو الأطباء له كتاب القانون في الطب وأكثر من مائتين كتاب في الطب والفلسفة وهو أول من ألف في الطب واتبع طريقة أبقراط وجالينوس توفي سنة .

(٢) الإمام عبد الله بن علوي الحداد فقيه شافعي وعالم في عقيدة أهل السنة والجماعة وفي السلوك يلقب بقطب الدعوة والارشاد ولد وتوفي بمدينة تريم بحضرموت له مؤلفات كثيرة وتوفي سنة ١١٣٢هـ بعد تسعين عاماً قضاها في نشر العلوم الإسلامية والدعوة إلى الله.

تأوي مع الملا الأعلى وتكرعُ مِنْ  
تأتي عليك نسيمُ القربِ مُهْدِيَةً  
حتى جُعِلتِ بأمرِ الله في قَفْصِ  
وقوله:

فهبًا بالقلوبِ إلى جَمَاهَا  
فإنَّ الرُّوحَ من ملكوتِ غيبِ  
وقال السهرودي<sup>(١)</sup>؛ الذي قتله صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٦هـ؛ بتهمة  
الزندقة؛ وهو يتشحط في دمه:

قُلْ لأصحابِ رأوني مَيِّتاً  
لا تظننوني بأنِّي مَيِّتٌ  
وهو مبني على قول الفلاسفة: إنَّ المُخَبَّرَ عنه (ب.. أنا) هو الروح؛ لا  
الهيكل الجسماني؛ وقوَّاه الأمام الرازي؛ ونصره في تفسيره؛ بكثير من الحجج.  
وقد تعلقت بأذيالهم؛ في كُثْرٍ من القصائد والمقاطع؛ منها قولي:

ما إن تذكرتُ من دهري الذي انصرما  
ولَوْ مَضَى رَغْدٌ في العيشِ اندبُهُ  
لكنني لم أزلْ مُذْ كُنْتُ في مَحْنِ  
فَكُرْتُ في مُفْتَضَى هذا الحنينِ فَلَمْ  
إِنَّ الكَرِيمَ حُنُونٌ كيفَ كانَ كَمَا  
الا وأذكي باحشاءِ الجُوى ضَرَمَا  
أو لوعلمتُ الذي أُرْثِي فلا جَرَمَا  
قبلَ الكُهولةِ ساقَت للِقوى الهَرَمَا  
أعْرِفُهُ لاهُم؛ إلَّا الإلْفَ وَالكَرَمَا  
إِنَّ اللثيمَ إذا استغنى إمتلا وَرَمَا

(١) شهاب الدين يحيى السهرودي فيلسوف صوفي ويلقب بالشيخ المقتول لتمييزه عن صوفيين آخرين باسم مشابه لاسمه ولد بسرهود بشمال إيران وقرأ كتب الدين والحكمة وانتقل إلى بغداد وحلب حيث قتله صلاح الدين بتهمة إفساد ابنه وإخراجه عن الدين.

وربما استشعرت نفس اللبيب على غلظ الحجاب بأن قد فارقت حرماً  
جاءت من الملاء الأعلى مدبرةً للجسم والعود مضمون إذا انخرماً

وأما قوله (٦)

عَلَامَةُ الْعِزِّ أَنْ حُسِدَتْ بِهِ إِنَّ الْمَعَالِي قَرَائِنُ الْحَسَدِ

فَصَدْرُهُ مِنْ قَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ:

وكفاني على الذي يوجد الفؤد لُ لديهِ بالحاسدين دليلاً  
وقوله أيضاً:

ولن تستبين الدهر موضع نعمة إذا انت لم تُدَلِّ عليها بحاسدٍ  
وعجزه من قوله:

(وليس تفترق النعماء والحسد) والقول فيه منتشر؛ والأشعار كثيرة؛ وقال  
قيس:

موسومةً بالحسن ذات حوايدٍ إِنَّ الْجَمَالَ مَظَنَّةٌ لِلْحَسَدِ  
وكان الأولى بالأستاذ<sup>(١)</sup>؛ أن لا يختار من قصائد الشريف؛ إلا ما ينطبق  
عليه قول حبيب:

مَنْزَهَةٌ عَنِ السَّرْقِ الْمُورِي مُكْرَمَةٌ عَنِ الْمَعْنَى الْمُعَادِ

وأما قوله (٧)

يَسْأَلُ الْفَتَى مِنْ دَهْرِهِ قَدْرَ نَفْسِهِ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الرِّجَالِ الْمَكَائِدُ

فإن كان المراد من صدره؛ أن الفتى يلاقي من الهموم؛ بمقدار ما عند نفسه من الهمم؛ فهو ذائع شائع؛ ومنه قول أبي دلف العجلي:

وَذُو الْمَجْدِ مَحْمُودٌ عَلَى كُلِّ آلَةٍ      وَكُلُّ قَصِيرِ الْهِمِّ فِي الْحَيِّ وَاذِعُ

وقول الحصيني:

نَفْسِي مُوَكَّلَةٌ بِالْمَجْدِ تَطْلِبُهُ      وَمَطْلَبُ الْمَجْدِ مَقْرُونٌ بِهِ التَّلْفُ

وقول أبي تمام:

طَلَبُ الْمَجْدِ يُورِثُ النَّفْسَ حَبْلًا      وَهُمُومًا تَقْضِي قَضَ الْحَيْرُومَا

وقول أبي الطيب: يخلو من الهم إخلاهم من الفطن

وقوله:

لَحَى اللَّهُ ذِي الدُّنْيَا مَنَاحًا لِرَاكِبٍ      فَكُلُّ بَعِيدِ الْهِمِّ فِيهَا مُعَذَّبٌ

وقوله:

وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَارًا      تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

فيما لا يحصي كثرة؛ من تلك الأمثال؛ وإن كان المراد؛ أن الإنسان يبئلى

من دهره؛ بمقدار فضله؛ فهو أكثر شيعوا، وأظهر ذيوعا، ومنه قوله عليه السلام: «أشد

الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»<sup>(١)</sup> وأنه عليه الصلاة والسلام كان يوعك؛

كما يوعك الأثنان من الناس؛ وفي الحديث: «إن البلوى أسرع إلى المؤمن من

الماء إلى الحدور»<sup>(٢)</sup> وقال عز من قائل كريم: ﴿الَّذِي أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ

يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا

(١) حديث أخرجه الدارمي والنسائي في «الكبرى» وابن ماجه وصححه الترمذي وابن حبان

والحاكم كلهم من طريق عاصم ابن بهدلة عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن ابيه قال:

قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبئلى الرجل

على حسب دينه».

(٢) لم أجده إلا في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

وَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ»<sup>(١)</sup> ولا حاجة معه إلى الشواهد الشعرية؛ لأنه إذا جاء نهر الله؛ بطل نهر معقل<sup>(٢)</sup>؛ وعليه تُبَيَّنُّ القسمين من التنافر؛ ما بين الخضراء والغبراء؛ والنصب والنون؛ وقد كفانا الأستاذ مؤنة التنبيه؛ على مآخذ القسم الثاني؛ بما ذكر أنه من قول المتنبي: (وتأتي على قدر الكرام المكارم)؛ وقد نبهنا في المقالة الثانية؛ على ان هذا مسروق؛ من قول البحري: على قدر جُرْمِ الْفِيلِ تُبْنَى قَوَائِمُهُ؛ ولكن الشريف يسرق المسروق؛ والأستاذ يدعي البكارة؛ للمهتغ المطروق؛ وبعد هذا؛ فلا مانع أن يكون مراد الشريف من هذا؛ مثل ما أراده من البيت ١٨؛ ولكنه منحط جدا عن بيت المتنبي؛ لا يكون معه؛ إلا كالقرود من الأنسان، والهز من الأسد؛ وهناك نكتة أخرى؛ تدل على أن المتنبي؛ كبير جدا في نفس الشريف؛ وذلك أن عجز بيته الذي نحن فيه؛ مبني على قول المتنبي:

بَغْضِ الطَّرْفِ مِنْ مَكْرٍ وَدَهِي كَأَنَّ بِهِ؛ وَلَيْسَ بِهِ؛ حُشْوَعًا  
وقد أنكرَ هذا عليه؛ وقالوا: أراد أن يمدح؛ فهجا؛ ولكن الشريف استسناه؛ فتابعه باستحسانه المُكَايِدُ؛ والمقبول في هذا؛ إنما هو قول ابن الرومي:

سَاهُ وَمَا تُنْقَى فِي الرَّايِ سَقَطْتُهُ دَاهٍ وَمَا يَنْطَوِي مِنْهُ عَلَى رَيْبِ  
فَدَهِيهِ لِلدَّوَاهِي الرَّبْدِ يَدْفَعُهَا وَسَهْوِهِ عَنْ عِيوبِ النَّاسِ وَالْفَيْبِ  
غير أنني بعقب ما مر؛ تذكرت ان الإتساع؛ مما يمدحه أهل البديع؛ ولليت النصيب الوافي منه؛ حسبما تقرر.

### وأما قوله (٨)

يَعْرِفُكَ الْأَخْوَانُ كُلَّ بِنْفِهِ وَخَيْرُ أَخٍ مِنْ عَرَفْتِكَ الشَّدَائِدِ

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ١ - ٣.

(٢) «إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل» هو مثل معروف ومعقل هذا هو ابن يسار المزني. ومعناه إذا جاء الأثر بطل النظر.

فقد أَلَمَّ فيه؛ بقول سليمان بن صرد الخزاعي<sup>(١)</sup>؛ يعتذر عن تخلفه يوم  
الجملة؛ وقد بقيت أمور تعرف فيها عدوك من وليك؛ وقول أوس بن حجر<sup>(٢)</sup>؛

وليس أخوك الدائم العهد بالذي يدُتَمَّك إن ولى وتُرَضِّيك مُفِلاً  
ولكنه النَّائِي إذا كُنْتَ آمناً وصاحبك الأدنى إذا الأمرُ اغضلاً  
وقول مسكين الدرامي<sup>(٣)</sup>؛

ومن يفتقرُ يَعْلَمُ مكانَ صديقه  
ومن يحْيِي لم يَعْدَمْ بلاءٌ مِنَ الدَّهْرِ  
وقول أبي عباده<sup>(٤)</sup>؛

لقد حَمَدْتُ صُرُوقاً مِنْهُ عَرَفَنِي  
مَذْمُومَةً عَصَباً مِمَّنْ عَلَيَّ وَلِي  
وقوله؛

يُعْرَفُ السَّيْفُ بِالضَّرْبَةِ يَلْقَاهَا  
وُئِنِّي عَنِ الصَّدِيقِ إِمْتَحَانُهُ  
وفي النهج؛ من كلام الإمام؛ في تقلب الأحوال؛ علم جواهر الرجال؛  
ومن أمثالهم: عند النازلة تعرف أخاك؛ وقال بعضهم:

جزى الله الشدائد كل خير  
وما شكري لها إلا لأنني  
وإن جرَّعَنِي غَصَصِي بِرِيقِي  
عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّي مِنْ صَدِيقِي  
وقال آخر:

(١) صحابي من أهل اليمن أسلم على يد رسول الله ﷺ واشترك في كثير من الغزوات وبيع  
عليه بعد مقتل عثمان وشاركه في جميع حروبه وكان أحد الأمراء البارزين في معركة  
صفين.

(٢) أوس بن حجر التميمي، من كبار شعر الجاهلية وفي شعره رقة وحكمة وكان كثير الأسفار  
يقيم كثيراً عند عمرو ابن هند في الحيرة.

(٣) اسمه ربيعة بن عامر ابن أنيف من نبي دارم ومسكين لقبه عاش في بداية الدولة الأموية  
وكان شاعراً مجيداً سيداً شريفاً، وكان بينه وبين الفرزدق مهاجاة، وذلك أنه لما هلك زياد  
رثاه مسكين فغضب منه الفرزدق وهجاه.

(٤) البحري.

عَدَائِي لَهُمْ؛ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ      فَلَا يُبْعِدُ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعْيَانَ  
هُمُ عَرَفُونِي زَلَّتِي فَاجْتَنَبْتُهَا      وَهُمْ نَاقَسُونِي فَانْتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا

وقال سيدي الإمام عبد الله بن حسين بن طاهر (١):

جزى الله المصائب كلَّ خيرٍ      أَقَادْتَنَا عُلوَمَا نَافِعَاتِ  
ويقيني؛ أَنَّهُ من صِدْقِ الْإِتْفَاقِ، وَعَجَائِبِ التَّوَارِدِ (٢)؛ وَمِن أَمْثَالِهِمْ أَيْضاً:  
النَّفْسُ أَعْلَمُ مَنْ أَخُوهَا النَّافِعِ (٣) وَقَالَ عبد الله بن مخارق الذهلي (٤):

لَا تَحْمَدَنَّ إِمْرَأَةً حَتَّى تُجَرِّبَهُ      وَلَا تَذُمَّنَّهُ إِلَّا بَتَّجْرِبِ

وقال طاهر بن الحسين بن مصعب (٥) في عكسه:

ويكفيك من قومٍ شواهدٍ أمرهم      فَخُذْ صَفْوَهُمْ قَبْلَ امْتِحَانِ الضَّمَائِرِ  
فإنَّ امْتِحَانَ الْقَوْمِ يُوجِشُ مِنْهُمْ      وَمَالِكَ إِلَّا مَا تَرَى فِي الظُّوَاهِرِ  
وإنَّكَ إِنْ كَشَفْتَ لَمْ تَرَ مُخْلِصاً      وَابْدِ لَكَ التَّجْرِبُ حُبَّتِ السَّرَائِرِ

وقال القطامي:

إذا كَانَ فِي صَدْرِ ابْنِ عَمِّكَ إِحْنَةٌ      فَلَا تَسْتِثْرَهَا؛ سَوْفَ يَبْدُو دَفِينُهَا

وقال عمرو بن الأحوص (٦):

(١) من العلماء العاملين ومن العباد والزهاد والمرشدين ولد بتريم حضرموت وتوفي بالمسيلة سنة ١٢٧٢هـ.

(٢) يستبعد اطلاع الإمام عبد الله بن حسين بن طاهر على معاني الشعراء السابقين.

(٣) مثل يضرب لمن تحمده أو تذمه عند الحاجة.

(٤) عبد الله بن المخارق بن ذهل بن شيبان شاعر مداحاً من شعراء الامويين وكان نصرانياً وكان يسمى نابغة بني شيبان.

(٥) قائد جيش المأمون العباسي في حرب اخيه الأمين كان شجاعاً مهاباً داهية جواداً وعالمياً وخطيباً مفوهاً وشاعراً مات في الكهولة سنة ٢٠٧هـ.

(٦) عمرو ابن الأحوص الكلابي، صحابي، شهد اليرموك في زمن عمر رضي الله عنه وشهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ.

وَأَنِّي لَنَرَّاكَ الضَّغِينَةَ قَدْ أَرَى      نَرَاهَا مِنَ الْمَوْلَى فَلَا اسْتَبِيرَهَا  
وما أحسن قول الشريف في هذا الموضوع وهو:

وَشَوْكَةُ ضَغْنٍ مَا انْتَقَشَتْ شَبَاتَهَا      ذَهَابًا بِنَفْسِي أَنْ يُقَالَ عَجُولُ  
والأقوال في ذلك مختلفة؛ وللتفصيل مجال؛ ولكل مقام رجال؛ وقال أبو  
عباده<sup>(١)</sup>:

أَمَّا الْعِدَاةُ فَقَدْ أَرَوْكَ نَفْسَهُمْ      فَأَقْصِدْ بِسُوءِ ظُنُونِكَ الْإِخْوَانَ  
ومن محاسن زهير<sup>(٢)</sup>؛ قوله:

وَلَا تُكْذِرْ عَلَيَّ ذِي الضَّغْنِ عَثْبًا      وَلَا ذِكْرُ التَّجْرِمِ لِلذَّنُوبِ  
وَلَا تَسْأَلُهُ عَمَّا سَوْفَ يُبَدِّي      وَلَا عِنْ عَيْنِي لَكَ بِالْمَغْيِبِ  
مَتَى تَكُ فِي عَدُوٍّ أَوْ صَدِيقٍ      تُخْبِرُكَ الْوُجُوهُ عَنِ الْقُلُوبِ  
وقال دريد<sup>(٣)</sup>:

وَمَا تُخْفِي الضَّغِينَةَ حَيْثُ كَانَتْ      وَلَا النَّظْرُ الصَّحِيحُ مِنَ السَّقِيمِ  
وقال ابن حازم<sup>(٤)</sup>: عَيْنُ مَنْ لَا يَحِبُّ وَضَلَّكَ؛ تُبَدِّي لَكَ الْجَفَا.  
وقال ابن أمية:

إِذَا لِسَانٌ أَظْهَرَ غَيْرَ مَا      تُضْمِرُهُ أَنْبَتُكَ عَنْهَا الْعَيْونُ  
وقال أعرابي:

(١) البحتري.

(٢) زهير ابن أبي سلمى المزني حكيم شعراء الجاهلية وأخو الخنساء الشاعرة توفي قبل الهجرة بثلاثة عشر سنة.

(٣) دريد بن الصمة سبقت ترجمته.

(٤) عبد العزيز بن أبي حازم بن دينار المدني الإمام الفقيه روى الأحاديث عن أبيه وتوفي وهو ساجد سنة ١٨٤هـ.



إِنْ كَاتَمُونَا الْقَلَى نَمَتْ عُيُونُهُمْ وَالْعَيْنُ تُظْهِرُ مَا فِي الْقَلْبِ أَوْ تَصْفِي

وفي معنى قول القطامي: سوف يبدو دفينها؛ ومالقه؛ يقول أبو عباده:

مَا اطَّاقُوا دَفْنَ الَّذِي أَظْهَرُوهُ كَبُرَ الْحَقْدُ أَنْ يَكُونَ دَفِينَا

ومما لا يبعد عن الموضوع؛ قول أبي تمام:

لَيْسَ الْغَيْبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَايِي

وقول البحري:

وَقَدْ يَتَغَايِي الْمَرْءُ فِي عِظَمِ حَالِهِ وَمِنْ تَحْتِ بُرْدِيهِ الْمُغْيِرَةُ أَوْ عَمْرُو

وخير منها قول أبي فراس:

تَغَايَيْتُ عَنْ قَوْمِي فَظَنُّوا غِبَاوَتِي بِمَفْرَقِ أَغْبَانَا حَصَى وَتَرَابِ

وقال مهيار؛ وهو تلميذ الشريف:

كَلَّا أَخْوِيكَ دُو رَحِمٍ وَلَكِنْ أَخْوِكَ أَخْوِكَ فِي النَّوْبِ الشِّدَادِ

### وأما قوله (٩)

لَيْسَ الْغَرِيبُ الَّذِي تَنَّى الدِّيَارُ بِهِ إِنَّ الْغَرِيبَ قَرِيبٌ غَيْرَ مَرْدُودٍ

فمما أخرجه في النهج؛ من قول الأمام؛ والغريب: من لم يكن له حبيب؛

كما فسره الشارح؛ ويقرب منه؛ قول قيس<sup>(١)</sup>:

وَأَنَّ مُقِيمَاتِ بِمُنْعَرَجِ السُّلْوَى لِأَقْرَبَ مِنْ لَيْلَى وَهَاتِيكَ دَارَهَا

(١) قيس بن الملوح الملقب بمجنون ليلي شاعر غزل من أهل نجد عاش في بادية العرب زمن خلافة مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان ولم يكن مجنوناً وإنما هام بحب ليلي العامرية التي أحبها فرفض أهلها أن يزوجها له فهام على وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش حتى وجدوه ميتاً بين الأحجار فحمل لأهله.

وفي تاريخ ابن خلكان<sup>(١)</sup>؛ أن هذا؛ لإبراهيم الصولي<sup>(٢)</sup>؛ وقول أبي الطيب: نرى عِظْماً باليينِ والصدُّ أعظمُ؛ وقوله:

أَبْعَدَ نَائِي المَلِيحَةِ البُخْلِ فِي البُعْدِ مَا لَا تَكْلُفُ الإِبْلِ  
وقول البحري:

إِذَا مَا تَقَاطَعْنَا وَنَحْنُ بِبَلَدِهِ فَمَا فَضْلُ قُرْبِ الدَّارِ مِنَّا عَلَى البُعْدِ  
وما يقوله بعض الشعراء؛ في عبد الله بن طاهر<sup>(٣)</sup>؛ المتوفي سنة ٢٣٠هـ:

يَقُولُ أَنَسٌ أَنَّ مِصْرَ بَعِيدَةٌ وَمَا بَعُدَتْ مِصْرٌ وَفِيهَا ابْنُ طَاهِرٍ  
وَأَبْعَدُ مِنْ مِصْرَ رِجَالٌ تَرَاهُمْ بِحَضْرَتِنَا؛ مَعْرُوفُهُمْ غَيْرُ حَاضِرٍ  
عَنِ الخَيْرِ مَوْتِي؛ مَا تُبَالِي أُرْزَتْهُمْ عَلَى طَمَعٍ؛ أَمْ زُرْتَ أَهْلَ المَقَابِرِ

وقد ذكرت في العود الهندي<sup>(٤)</sup>؛ انهم على اختلاف؛ فمنهم من يفضل؛ النوى على الهجران؛ كما في البيت الذي نحن بسبيله؛ ومنهم من يعكس ذلك؛ وذكرت من أقوال الفريقين؛ ما شاء الله أن اذكر؛ ومن أكبر أسباب البُغْضَةِ؛ مع القُرب؛ الفقر؛ وكان بشر الأشبيلي؛ المتوفي سنة ٣٧٩هـ؛ كثيراً ما ينشد:

فَقَرُّ الفَتَى فِي أَهْلِهِ غُرْبَةٌ وَالْمَالُ فِي الغُرْبَةِ أَوْطَانُ  
وانشد خلف الأحمر<sup>(٥)</sup>:

(١) أحمد بن محمد ابن خلكان: مؤرخ وقاض وأديب ومن أعلام مدينة دمشق وله كتاب وفيات الأعيان؛ اشهر كتب التراجم العربية توفي في دمشق سنة ٦٨١هـ.

(٢) من شعراء أهل البيت ولادته سنة ١٦٧هـ كان كاتباً وشاعراً وخطيباً بليغاً.

(٣) عبد الله بن طاهر الخراساني، أشهر حكام الطاهريين على خراسان في عهد المأمون العباسي، كان له دور مهم في تثبيت امور الدولة كما أخضع مصر وأعاد لها الأمن والاستقرار، وحكم فيها بالعدل والنزاهة وحسنت في الناس سيرته.

(٤) كتاب أدبي مطبوع للإمام بن عبيد اللاه السقاف.

(٥) نحوي لغوي من كبار علماء البصرة وراوي قل نظيره من أصل فرغاني، كان مولى فأعتق، صاحب ظرف ومداعبات توفي بالبصرة سنة ١٨٠هـ.

لَا تَظَنِّي أَنَّ الْغَرِيبَ هُوَ النَّائِدُ      سِي وَلَكِنَّمَا الْغَرِيبُ الْمُقِيلُ  
وهذان؛ مثلاً بيت الشريف؛ وكأنه أحسن من الناس بجفاء؛ لقلّة ذات اليد؛  
فاراد أن ينفث؛ وترقّع عما في الاعتراف بالفقر؛ من المهانة؛ فتلطف جهده؛  
ولاشك أنه ناظر إلى ما أخرجه بالنهج؛ في موضع من قول الإمام: أَنَّ الْمُقِيلَ  
غَرِيبٌ فِي بَلَدِهِ؛ وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ؛ الْغَنَى فِي الْغَرَبَةِ وَطَنٌ؛ وَالْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غَرَبٌ؛  
وَفِي ذِمِّ الْفَقْرِ؛ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ؛ قِيلَ: إِنَّ أَعْلَاهَا قَوْلُ عُرْوَةَ:

قَرِيبِي لِلْغِنَى اسْمَى فَإِنِّي      رَأَيْتُ النَّاسَ شَرَّهُمْ الْمَقْبِيرُ  
وكان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب؛ يقول لمعلم بنيه؛ لا تروهم قصيدة  
عروه هذه؛ لأنها تدعوهم إلى الإغتراب؛ وقال أبو النشاش؛ وقيل عروه:

وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنْ حَيَاتِهِ      فَقَيْرًا؛ وَمِنْ مَوْلَى تَدِبُ عَقَارِيهِ  
وقال:

الْمَالُ فِيهِ مَهَابَةٌ وَتَجَلَّةٌ      وَالْفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَفُضُوحُ  
وقال جرير:

تَرَادَفَهُمْ فَفُرَّ طَوِيلٌ وَذِلَّةٌ      وَشَرُّ الرِّدِيْفَاتِ الْمَذَلَّةُ وَالْفَقْرُ  
ومما أخرجه الشريف في النهج؛ من كلام الإمام؛ أنه قال لأبنة محمد: إني  
أخاف عليك الفقر؛ فاستعد بالله منه؛ فإن الفقر منقصة للدين؛ مدهشة للعقل؛  
داعية للمقت؛ وأطال شارحه الكلام عليه؛ فارجع إلى (صفحة ٣٩٠ مجلد ٤) (١).

وقال الثعالبي؛ وهو أقدم ميلاد من الشريف؛ بنحو من ثمان سنين:

ثَلَاثٌ قَدْ مُنِبَتْ بِهِنَّ أَضْحَتْ      لِنَارِ الْقَلْبِ مِنِّي كَالْإِنْفَافِي  
دِيُونٌ انْقَضَتْ ظَهْرِي وَجَوْرٌ      مِنْ الْأَيَّامِ شَابَ لَهُ عُذَافِي

(١) لا أعلم الطبعة المشار إليها والنص موجود كما أورده الإمام بنهج البلاغة صفحة ٤٠٧  
شرح الإمام محمد عبده طبعة دار ومطابع الشعب المصرية.

وَفُقْدَانُ الْكَفَافِ وَايُّ عَيْشٍ لِمَنْ يُمْتَنَى بِفُقْدَانِ الْكَفَافِ

وعقد أبو شنجي؛ وهو من شعراء اليتيمة<sup>(١)</sup>؛ كلام بعض الأولين بقوله:

عَالِبَتْ كُلَّ شَدِيدَةٍ فَغَلَبَتْهَا وَالْفَقْرُ غَالِبِي فَاضْبَحَ غَالِبِي  
إِنْ أَبَدِيهِ يَفْضَحُ؛ وَإِنْ لَمْ أَبَدِيهِ يَفْضَحُ؛ فَضَبَّحَ وَجْهَهُ مِنْ صَاحِبِ

وذكرت مثلها في العود<sup>(٢)</sup>؛ عن ابن السبكي؛ لابن دقيق العيد؛ وهو:

لِعَمْرِي لَقَدْ قَاسَيْتُ بِالْفَقْرِ شِدَّةً وَقَعْتُ بِهَا فِي حَيْرَةٍ وَشَتَاتٍ  
فَإِنْ بُحْتُ بِالشُّكُوبِ؛ هَتَكْتُ مُرُوتِي وَإِنْ لَمْ أَبْحُ؛ بِالضَّرِّ خِفْتُ مَمَاتِي  
فَاعْظِمْ بِوَمِنْ نَازِلٍ بِمُلِيمَةٍ تُزِيلُ حَيَاتِي أَوْ تُزِيلُ حَيَاتِي

وأول لزوميات المعري<sup>(٣)</sup>؛ قوله:

أَوْلُو الْفَقْرِ فِي أَوْطَانِهِمْ غُرَبَاءُ يَشُدُّ وَيُنْأَى عَنْهُمْ الْقُرَبَاءُ

وفي بيت الشريف؛ نوع نظر؛ إلى قول أبي الطيب:

إِذَا نَرَكَ الْأَنْسَانَ أَهْلًا وَرَاءَهُ وَيَمَمَ كَأَفُورًا فَمَا يَتَّعَرِبُ

ووجهه؛ أَنَّ الْوَارِدَ عَلَى كَافُورٍ؛ يُؤَدُّ وَيُكْرَمُ؛ فَلَا يَكُونُ غَرِيبًا؛ وَهَذَا هُوَ مَفَادُ

بيت الشريف؛ والمنتبهي؛ ناظر إلى قول حبيب:

(١) يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر هي أشهر وأجل تأليف أبو منصور الثعالبي التي تجاوزت الثمانين كتاباً، وأول كتاب في تراجم الشعراء مبني على تقسيم الأقاليم. ترجم فيه الثعالبي لشعراء عصره، وبناه على أربعة أقسام، الأول: في شعراء الشام وما جاورها، والثاني: في شعراء دولة بني بويه، والثالث: في شعراء الجبال وفارسوجرجان وطبرستان، والرابع: في شعراء خراسان وما وراء النهر، وجعل كل قسم منها موزعاً على عشرة فصول، يتناول في كل فصل ترجمة شاعر أو أكثر.

(٢) كتاب العود الهندي.

(٣) ديوان شعر لأبي العلاء المعري ألزم فيه نفسه بما يلزم الشاعر فعله فكان يلزم نفسه حرفاً آخر قبل الروي وهذا عسير حتى على المجيدين.

هُم رَهْطٌ مَن أَمَسَى بِعَيْدِ رَهْطُهُ  
وَقَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ:

كُنْتُ الْغَرِيبَ وَمُذْ عَرَفْتُكَ عَادَ لِي  
وَقَوْلُهُ:

وَمِثْلُ تَذَاكَ أَذْهَلَنِي حَبِيبِي  
وَقَالَ بَكِيرُ بْنُ الْأَخْنَسِ:

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَانِيًا  
وَإِحْسَانُهُمْ؛ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي  
غَرِيبًا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي الْبَلَدِ الْمُخْلِ  
فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَافْتِقَادُهُمْ

### وأما قوله (١٠)

مَا الْفَقْرُ عَارٌ وَإِنْ كَشَفْتَ عَوْرَتَهُ  
وَأِنَّمَا الْعَارُ مَالٌ غَيْرُ مَحْمُودٍ

ففي صدره اختلاف؛ بين أهل الفقه؛ فضلا عن أهل الأدب؛ ولذا اختلفوا؛  
في مكافأة الفقير للغنية<sup>(١)</sup>؛ وللشريف موافقون؛ منهم العطوي في قوله: ما الفقر  
عارٌ وإنما العارُ الثرى والبخلُ؛ وأبو تمام في قوله:

لَا تُنْكِرِي عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى  
وَاحِدُ بَنِي قَرِيْعٍ؛ فِي قَوْلِهِ:

وَكَايُنُ رَأَيْنَا مِنْ غِنِيٍّ مُذَمِّمٍ  
وَيَعْقُوبُ بْنُ اسْحَقَ الْكَنْدِيُّ<sup>(٢)</sup>؛ فِي قَوْلِهِ:

(١) يقصد الكفاءة في الزواج.

(٢) علامة عربي مسلم برع في الكيمياء والفلسفة والطب والرياضيات والموسيقى والمنطق ويعد من الفلاسفة كما اشتهر بتعريف العرب بالفلسفة اليونانية وأوكل إليه الخليفة المأمون أعمال ترجمة الأعمال الفلسفية اليونانية إلى العربية.

وكأبْنُ تَرَى مِنْ أَخِي عُسْرَةَ      غَنِيٌّ؛ وَذِي ثُرُوءٍ مُفْلِسُ  
وقول أبي تمام أيضاً:

لَا تَحْسَبِ الْإِقْلَالَ عَدْمًا بَلْ نَرَى      أَنْ الْمُقِلَّ مِنَ الْمُرْوَةِ؛ مُعْدَمُ  
والبُحْتَرِي فِي قَوْلِهِ:

وَعَبَّرْتَنِي سِجَالَ الْفَقْرِ جَاهِلَةً      وَالنَّبْعُ عَرِيَانٌ مَا فِي عُوْدِهِ ثَمَرُ  
وَأَبُو الطَّيِّبِ فِي قَوْلِهِ:

وَكَمْ غَنِيٍّ فَقِيرٌ مِنْ مُرْوَتِهِ      لَمْ يَثْرَ مِنْهَا كَمَا يَثْرِي مِنَ الْعَدَمِ  
وقوله:

وَشَبَّهُ الشَّيْءَ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ      وَاشْبَهَنَا بِدُنْيَانَا الطَّنَامُ  
وله مخالفون؛ كما يعرف مما مرَّ في البيت قبله؛ وقال أبو النشاش<sup>(١)</sup>:

وَسَائِلَةٌ بِالْغَيْبِ عَنِّي وَسَائِلٌ      وَمَنْ يَسْأَلُ الصَّغْلُوكَ ابْنَ مَذَاهِبَةٍ  
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْفَقْرِ ضَاجِعَهُ الْفَتَى      وَلَا كَسَوَادِ اللَّيْلِ أَحْفَقَّ صَاحِبَةٍ

وقال جحظة البرمكي<sup>(٢)</sup>؛ المتوفي سنة ٣٢٦هـ؛ عن عمر طويل:

وَقَائِلَةٌ لِي كَيْفَ حَالِكِ بَعْدَنَا      أَفِي ثُوبٍ مُثْرٍ أَنْتَ أَمْ ثُوبٍ مُفْتَرٍ  
فَقُلْتُ لَهَا لَا تَسَالِبِي فَأَنْزِي      أَرْوَحُ وَأَعْدُو فِي حَرَامٍ مُقْتَرٍ

وقال ابن عنين<sup>(٣)</sup> في قصيدته السائرة:

(١) شاعر من لصوص العرب كان يقطع الطريق بين الشام والحجاز في عصر مروان بن الحكم.

(٢) شاعر عباسي كان قبيح المنظر جاحظ العينين فسمي جحظة وكان حاذقاً في صياغة اللحن والغناء.

(٣) محمد بن نصر الله الدمشقي الأنصاري؛ أعظم شعراء عصره مولده ووفاته بدمشق؛ كان هجاء لم يسلم منه أحد حتى صلاح الدين لم يسلم من شره؛ تولى الوزارة للملك المعظم وتوفي سنة ٦٣٠هـ.

فَارْقُتْهَا لَاعِنَ رِضاً وَهَجَرْتُهَا  
 لَا عَيْشِي تَضْفُو وَلَا رَسْمُ الْهَوَى  
 لَا عَنْ قَلِي وَرَحَلْتُ لَا مُتَحَيِّرًا  
 اسْمَى لِرِزْقِي فِي الْبِلَادِ مُنْتَبِتِ  
 يَغْفُو وَلَا جَفْنِي يُصَافِحُهُ الْكَرَى  
 وَقَالَ الْبَحْتَرِي:

وَيَكْفِيكَ فِي فَضْلِ الدَّنَانِيرِ أَنَّهَا  
 وَقَالَ حَبِيب:

أَرِيْبِي فَتَى لَمْ يُقْلِهِ النَّاسُ أَوْ فَتَى  
 وَمَا لِإِمْرَةٍ مِنْ قَائِلٍ يَوْمَ عَشْرَةٍ  
 يَصِحُّ لَهُ عَزْمٌ وَلَيْسَ لَهُ وَفَرُ  
 لِعَاوِ خَلْدِيْنَاهُ الْحَدَائِثُ وَالْفَقْرُ  
 وَأَوْلَهُمَا؛ مَنْاسِبُ الْبَيْتِ السَّالِفِ؛ وَلَقَدْ ظَرَفَ الْغَزِي؛ بِقَوْلِهِ:

هُوَ الْفَقْرُ مِنْ كَسْرِ الْفِقَارِ اسْتِقَاقُهُ  
 عَلَى أَنْ هَذِهِ الْأَمْثَالُ؛ لَا تَعْتَبِرُ مَخَالَفَةَ لِلْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ الْفَقْرَ؛ وَإِنْ كَانَ بِلَاءَ؛  
 فَلَيْسَ بَعَارٌ وَلَا عَيْبٌ؛ وَالْمَذْمُومُ فِي الْأَوَّلِ؛ إِنَّمَا هُوَ الْعَارُ؛ وَإِنَّمَا الْخِلَافُ  
 الصَّرِيحُ؛ فِي قَوْلِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:

الْفَقْرُ ذُلٌّ عَلَيْهِ بَابٌ مِفْتَاحُهُ الْمَجْرُ وَالْتَوَائِي  
 إِذْ لَا عَارَ أَكْبَرَ مِنَ الذَّلِّ؛ وَمِنْ هَذَا الْبَيْتِ؛ يَنْفَتِحُ بَابَ التَّفْصِيلِ لِلْمَسْأَلَةِ؛  
 وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْعَاجِزَ؛ وَلَا الْقَاعِدَ عَنِ طَلْبِ الْحَلَالِ؛ وَقَدْ أَمَرَ بِعِمَارَةِ  
 الدُّنْيَا؛ كَمَا أَمَرَ بِالْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ؛ وَكَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا؛ أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ؛ فَمَنْ  
 قَصَّرَ فِي الطَّلَبِ؛ وَاحْتَالَ عَلَى الْمَقَادِيرِ؛ فَهُوَ الْمَذْمُومُ شَرْعًا وَعَقْلًا؛ وَأَمَّا مَنْ بَدَلَ  
 الْمَجْهُودَ؛ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى الْمَقْصُودِ؛ وَبَقِيَ مِنَ التَّجْمُلِ عَلَى حَالٍ طَيِّبٌ؛ فَخَلَّاهُ  
 الذَّامُ؛ وَعَدَّتْهُ الْآثَامُ؛ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ<sup>(١)</sup>:

(١) أصله من خراسان وولد ببغداد سنة ١٨٨هـ ينحدر من أسرة قرشية نشأ في أسرة علم وأدب  
 خالف المعتزلة وصادق أحمد بن حنبل وأهل الحديث واعتزل الخلفاء المأمون =

وَلَا عَارَ إِنْ زَالَتْ عَنِ الْمَرْءِ نِعْمَةٌ  
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ:

كَمْ فَائِزَةٌ مَسْتُورَةٌ بِمُرُوءَةٍ  
وَمِنْ ابْتِسَامٍ تَحْتَهُ قَلْبٌ شَجَّ

والثاني؛ شبيهه بقول تميم بن المعز الفاطمي<sup>(١)</sup> المتوفي سنة ٣٧٤هـ:

وَيْبِي كُلٌّ مَا يُبْكِي الْعَيُونَ أَقْلَهُ  
وَإِنْ كُنْتُ مِنْهُ دَائِمًا أَتَبَسَّمُ

وأما الأول واشباهه؛ فعالة على قوله؛ جل ذكره؛ في محكم التنزيل:

﴿...يَخْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أُغْنِيَاءَ مِنْ التَّعْفُفِ...﴾<sup>(٢)</sup> وفي الكلام طول؛ وقد

جَوَدَنَاهُ فِي بِلَالِ التَّغْرِيدِ<sup>(٣)</sup>؛ وذكرنا ما جاء من الاختلاف في المفاضلة؛ بين

الفقر والغنى؛ مع اشتراط الصبر للأول؛ والشكر للثاني؛ بتحقيق لا يوجد في

سواه؛ ويأتي في نقد البيت ١٧٠؛ ما يكفي؛ لبيان مأخذ عجز البيت؛ الذي نحن

فيه؛ وسيمر بك ما يتصل بافراغ الجهد؛ تحت الأبيات ٣١ و ٦٧ و ٦٨ أو غيرها.

### وأما قوله (١١)

إِذَا بَرَّزَنِي مَالِي عَطَاءً ظَلَبْتُهُ  
حَمِيداً وَطَالِبْتُ الْقَوَاضِبَ بِالرَّدِّ

فإنه من قول الأول:

= والمعصم وكانت له علاقة ود مع الشاعر أبو تمام ولما تولى المتوكل تقرب منه لأنه ليس  
بفكر المعتزلة كمن سبقه من الخلفاء العباسيين.

(١) أبوه المعز لدين الله الفاطمي صاحب مصر والمغرب دخل مصر مع أبيه سنة ٣٦٢هـ بعد أن  
ضمها جوهر الصقلي للدولة الفاطمية.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.

(٣) كتاب مخطوط للإمام ابن عبيد اللاه السقاف فيما استفاده من قراءة التجريد وهو مختصر  
الإمام البخاري.



إذا اسلقتهن الملاحم مغنماً      دعاهن من كسب المكارم مغرم

وقد أخذه أبو تمام في قوله :

إذا ما اغاروا فأحتووا مال معشر      اغارت عليهم فاحتوته الصنائع

ثم انضرح عليه أبو الطيب؛ فقال :

كُن لجة أيها السامح فقد      أمنة سيفه من العرق

وقال :

فالسلم يكسر من جناحي ماله      ينو إليه ما تجبر الهيجاء

وقال الحطيئة؛ من قبل ذلك :

مفيد ومثلاف إذا ما أتيته      تهلل وأهترأهترأز المهند

وقد جاء هذا البيت برمته؛ في شعر ابن مياده؛ ف قيل له : اين يذهب بك

هذا؛ من شعر الحطيئة؟ فقال : الآن! علمت اني شاعر؛ إذ وافقته من غير أن

أسمعه؛ اما بيت الشريف؛ فلم يأت إلا سكيت الحلبة<sup>(١)</sup>؛ ولو لم يكن إلا ما

فيه؛ من تكرير الطلب؛ لكفى به سوءاً للمنقلب؛ وقوله : حميداً؛ إن لم يكن من

الحشو المذموم؛ فإنه ابن عمه؛ إذ لم يأت به؛ إلا لإقامة الوزن؛ وما أحسن قول

ابن الرومي :

وعطاؤهم فوق العطاء لأنهم      يعطون كسب مناصلي ورماح

وكان من اعطاك كسب سلاحه      اعطاك مهجته بغير سلاح

والأول وحده؛ هو الذي اختص بالإحسان؛ وقال ابن نباتة السعد<sup>(٢)</sup> :

إذا سلبوا الأموال من شن غارة      اغار عليها المجتدون ليسلبوا

(١) آخر خيل في الحلبة.

(٢) شاعر مجيد ولد ببغداد سنة ٣٢٧هـ طاف البلاد ومدح الأمراء والخلفاء ومدح سيف الدولة

الحمداني وهو القائل : ومن لم يمت بالسيف مات بغيره.

ومن مختار شعر الشريف؛ قوله:

إِذَا عَدِمُوا اثْرُوا طَعَاناً وَغَيْرُهُمْ      لِيئِمُّ الْغِنَا جَمَّ الْعَنَا عَاجِزَ الْفَقْرِ

وأما قوله (١٢)

إِذَا الشَّمْسُ غَاضَتْ كُلَّ عَيْنٍ صَحِيحَةٍ      فَكَيْفَ بِهَا فِي هَذِهِ الْمُقْلِ الرَّمْدِ

فقد نظر في صدره؛ إلى قول العباس بن الأحنف<sup>(١)</sup>؛ والعين لا تقوى على الشمس؛ وقول المتنبي:

وَأَنْتَ الشَّمْسُ تُبْهِرُ كُلَّ عَيْنٍ      فَكَيْفَ وَقَدْ بَدَت مَعَهُ إِنْتَانِ  
وقوله:

كَأَنَّ شَقَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيهِ      فَفِي ابْصَارِنَا عَنْهُ أَنْكَبَارُ  
ونظر في عجزه؛ إلى قوله أيضاً:

وَإِذَا خُفِيَتْ عَلَى النَّبِيِّ فَعَاذِرُ      أَنْ لَا تَرَانِي مُثَلَّةً عَمِيَاءُ  
والعمياء والرمداء؛ قريب من السواء؛ وقد قال حبيب:

لِنَامٍ طِفْئَامٌ بَلْ كِرَامٌ بِرَعْمِهِمْ      سَوَاسِيَةً مَا أَشْبَهَ الْحَوْلَ بِالْقُبْلِ<sup>(٢)</sup>  
وفي بيت الشريف؛ شبه قوي؛ بقول ابن هانيء الأندلسي:

يُقَابِلُ مِنْكَ الدَّهْرُ فِيهَا شَيْبَةَ مَا      تُقَابِلُ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى الْأَعْيُنُ الرَّمْدِ  
ونظر حديد؛ إلى قول حبيب:

تَأَسَّتْ بِذَوِيْمِ الْفِعْلِ طَلَعَتْهُ      تَأَسَّتْ الْمُقْلَةَ الرَّمْدَاءُ بِالظُّلْمِ

(١) شاعر عربي الأصل شريف النسب اشتهر بالغزل والوصف عاش حياة مترفة ولم يتكسب بشعره؛ اتصل بهارون الرشيد وقربه كان فصيحاً ظريفاً.

(٢) ما أشبه الحول بالقبل: مثل يضرب في التشابه.

ولا يعدم نوعاً من العكس؛ لقول المتنبي:

مَدَحْتُ أَبَاهُ قَبْلَهُ فَشَقَى يَدِي      مِنْ الْعُدْمِ مَنْ تَشَفَّى بِهِ الْأَعْيُنُ الرَّمْدُ  
وهذا هو الكلام الْمُنْقَحُ؛ والشعر الصافي؛ وإن كان مأخوذاً من قول ابن  
الرومي:

يَا أَرْمَدَ الْعَيْنِ فَمُ قِبَالَتَهُ      فَدَاوٍ بِاللُّحْظِ نَحْوَهُ رَمَدُكَ  
وأخرج ابن خلكان؛ أن أبا الطيّب سهلاً الصعلوكي<sup>(١)</sup>؛ أصابه رمد؛ فكان  
الناس يدخلون عليه؛ وينشدونه من النظم؛ ويروون له من الآثار؛ ما جرت به  
العادة؛ فدخل عليه الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي<sup>(٢)</sup>؛ وقال: أيها الأمام؛ لو أن  
عينيك رأتا وجهك مارمدتا؛ فسرَّ به الشيخ سهل؛ وقال: ما سمعت بمثل هذا  
الكلام؛ وكان على ابن خلكان؛ أن يتَّبعه على مأخذه؛ التي ذكرنا؛ فلم يفعل! وما  
أحسن قول الشريف؛ نفسه:

أَقْلَبُ عَيْنًا فِي الْإِخَاءِ صَحِيحَةً      إِذَا إِزْتَمَّتِ الْأَعْدَاءُ بِالْأَعْيُنِ الرَّمْدُ  
وما أنشده العلامة ابن القيم<sup>(٣)</sup>؛ في صفحة ٢٠٤ جزء أول من الزاد؛ وهو:  
فَقُلْ لِلْعُيُونِ الرَّمْدِ إِتَاكَ أَنْ تَرِي      سَنَى الشَّمْسِ وَاسْتَشْفِي ظِلَامَ اللَّيَالِيَا  
وقول حبيب<sup>(٤)</sup>:

قَوْمٌ إِذَا أَعْيُنُ الْأَمَالِ جُلْنَهُمْ      رَجَعْنَ مُكْتَحَلَاتٍ عَائِرٍ<sup>(٥)</sup> الرَّمْدِ

(١) فقيه شافعي ومفتي نيسابور.

(٢) الإمام المحدث شيخ خراسان وكبير الصوفية وصاحب التصانيف المشهورة كان مرضياً عند الخاص والعام في بلده وسائر بلاد المسلمين توفي بنيسابور سنة ٣٢٥هـ.

(٣) ابن القيم الجوزية من تلاميذ ابن تيمية له تصانيف شهيرة واشتهر بالعلم وطول العبادة توفي سنة ٧٥١هـ.

(٤) حبيب بن أوس الطائي، أبو تمام، من أعلام الشعر في العصر العباسي.

(٥) العائر: كل ما أصاب العين بعلقة.

وقال:

في دولةٍ لَحِظَ الزَّمَانُ شُعَاعَهَا      فَارْتَدَّ مُنْقَلَباً بِعَيْنَيَّ أَرْمَدِ

وأما قوله (١٣)

كُلُّ جَوَادٍ كَاذِبٍ فِي الْوَعْدِ      وَكُلُّ خَلٍّ خَائِنٍ فِي الْوُدِّ

فما اراه إلا جائشة صدر؛ تشطت عن بركان حنق؛ والا فالقضيتان كاذبتان؛ ولا سيما مع التسيير بكل؛ فإنه؛ يمنع من التأويل؛ والحكم في الأولى؛ أشد خطأ؛ منه في الثانية؛ إذ الجواد لا يخيس بوعده؛ وآل لم يكن جواداً؛ وقد قال الثعالبي: إن أول من أخلف المواعيد؛ اسماعيل بن صبيح؛ كاتب الرشيد؛ وما كان الناس يعرفون ذلك؛ من قبله؛ واما الثانية؛ فصالحة للتخصيص؛ وقد قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup>. ومهما يكن من الأمر؛ فإنه بيت مردول؛ مدفوع عن أبواب القبول؛ وإنما يقبل في قريب؛ من معنى الصدر؛ قول المتنبي:

يُعَلِّلُنَا هَذَا الزَّمَانَ بِذَا الْوَعْدِ      وَيَخْدَعُ عَمَّا فِي يَدِيهِ مِنَ النَّقْدِ<sup>(٢)</sup>

وقوله:

وَعِنْدَ مَنْ يَوْمَ الْوَفَاءِ لِصَاحِبٍ      شَبِيبٌ وَأَوْقَى مَنْ تَرَى أَخْوَانِ

وقوله:

غَاضَ الْوَفَاءُ فَمَا تَلْقَاهُ فِي عِدَّةٍ      وَأَعْوَزَ الصِّدْقُ فِي الْأَخْبَارِ وَالْقَسَمِ

وقوله:

أَرَى أَنَا سَأُومَحْصُولِي عَلَى غَنَمٍ      وَذَكَرُ جُودٍ وَمَحْصُولِي عَلَى الْكَلِمِ<sup>(٣)</sup>

(١) سورة الزخرف، الآية: ٦٧.

(٢) يقول الزمان يعدنا خروج المهدي فيعلنا بوعده طويل ويخدعنا عما عنده من النقد بالوعد.

(٣) يقول: أرى أشباحاً في صور الناس، وهم في الحقيقة كالغنم؛ لبعدهم من المروءة.

وقوله:

جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الأَيْدِي وَجُودُهُمْ  
أَمْسِيَتْ أَرْوْحُ مُفْرِخَازِنَا وَوَدَّأُ  
وقول الشريف:

وَأَنْ تَكُونَ عَظَايَايَ المَوَاعِيذُ  
أُعِيدُ مَجْدَكَ أَنْ أَبْقَى عَلَى طَمَعٍ  
وقول حبيب:

الجُودُ عِنْدَهُمْ قَوْلٌ بِلا عَمَلٍ  
يُلْقَى الرَّجَاءَ وَيُلْقَى الرَّحْلَ فِي نَقْرِ  
وأشده ابن أبي قتيبة لبعضهم:

يا جَوَادَ اللِّسَانِ مِنْ غَيْرِ فِعْلٍ  
وذكر؛ جبار بن سلمى<sup>(١)</sup>؛ عامر بن الطفيل<sup>(٢)</sup>؛ فقال: كان؛ والله؛ إذا وعد  
الخير وفي؛ وإذا وعد الشر عفى؛ وقال رجل في الحجاج:

كَأَنَّ فُؤَادِي بَيْنَ أَظْفَارِ طَائِرٍ  
مِنَ الخَوْفِ فِي جَوْ السَّمَاءِ مُحَلَّقٌ  
مَتَى مَا يَعْدُ مِنْ نَفْسِهِ الشَّرُّ يَصْدُقُ  
وقال بشار؛ يمدح:

إِذَا قَالَ نَمَّ عَلَيَّ قَوْلُهُ  
وَمَاتَ العَنَاءُ بِلا أَوْ نَعَمٍ  
وقال يهجو:

وَعَدْتَنِي؛ ثُمَّ لَمْ تُوفِّي بِمَوْعِدَتِي  
فَكُنْتُ كَالْمُرْنِ لَمْ يُمِطْرْ وَقَدْ رَعَدَا  
وإثبات الواو؛ في توفِّي مع الجزم؛ ضرورة. وتردد أبو العتاهية؛ إلى

(١) وكان ممن حضر مع عامر بن الطفيل لما حاول اغتيال النبي ﷺ بالمدينة وقتل عامر بن فهيرة يوم بئر معونة وقد على النبي ﷺ فأسلم.

(٢) شاعر جاهلي وفارس فناك كان من أسياد قبيلته هوازن أدرك الإسلام وحاربه ولم يلم.

الفضل بن الربيع<sup>(١)</sup>؛ في حاجة؛ فلم يقضها؛ فقال:

أَكَلُ طُؤُولِ الرِّمَّانِ أَنْتَ إِذَا      جِئْتُكَ فِي حَاجَةٍ تَقُولُ عَدَا  
لَا جَمَلَ اللَّهُ لِي إِلَيْكَ؛ وَلَا      عِنْدَكَ؛ مَا عِشْتُ حَاجَةً أَبَدَا  
وقال:

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَنْوِ فِيمَا قُلْتَ لِي صِلَةً      فَمَا انْتَفَاعَكَ فِي حَبْسِي وَتَرْيِيدِي  
فَالْمَنْعُ أَجْمَلُهُ مَا كَانَ اغْجَلُهُ      وَالْمَظْلُ مِنْ غَيْرِ عُسْرٍ آفَةُ الْجُودِ  
وقال ربعة الرقي<sup>(٢)</sup>:

قُولِي نَعَمْ؛ وَنَعَمْ إِنْ قُلْتَ وَاجِبَةً      قَالَتْ عَسَى؛ وَعَسَى جِسْرٌ إِلَى نَعَمْ  
وفي معنى القسم الثاني؛ قولٌ حبيب:

إِنْ شِئْتَ أَنْ يَسْوَدَّ ظَنُّكَ كُلَّهُ      فَأَجِلْهُ فِي هَذَا السَّوَادِ الْمُظْلِمِ  
لَيْسَ الصَّدِيقُ بِمَنْ يُعِيرُكَ ظَاهِرًا      مُتَبَسِّمًا عَنِ بَاطِنِ مُتَجَبِّهِمْ  
وقوله:

وَالدَّهْرُ الْأُمُّ مَنْ شَرِقَتْ بِلُؤْمِهِ      إِلَّا إِذَا اشْرَقَتْهُ بِكَرِيمِ  
وَلَقَدْ يَكُونُ وَلَا كَرِيمٌ تَنَالُهُ      حَتَّى تَخْوِضَ إِلَيْهِ أَلْفَ لُئِيمِ  
وقوله:

أَخْوِثَقَةُ نَاءٍ؛ فَبَقِيْتُ لِمَا      نَاءَ غَرَضًا لِأَضْحَابِ السَّلَامِ  
دَوِي الْهَمِّ الْهَوَامِدِ وَالْأَكْفِ      الْجَوَامِدِ وَالْمُرَوَّاتِ الزِّيَامِ

(١) تولى الوزارة للخليفة المأمون العباسي وكان أباه قبله وزيراً لخلفاء بني العباس وكان قبل ذلك حاجباً للخليفة المنصور ثم هارون الرشيد وله دور في نكبة البرامكة.

(٢) شاعر غزل رقيق وضرير عاصر المهدي العباسي ومدح هارون الرشيد ولم يشتهر لابتعاده عن الخلفاء والوزراء.

يَظَلُّ عَلَيْكَ أَمْثَلُهُمْ حَقُوداً  
صَدِيقَكَ سَاعَةً أَوْ بَعْضَ أُخْرَى

ومن البديع قوله:

فَلَا تَحْسَبَا هِنْدًا لَهَا الْعَدْرُ وَحَدَّهَا  
وَأَنْشُدْ أَبُو السَّمْحُ؛ لَابْنِ مَقْبَلٍ<sup>(١)</sup>:

وَاعْلَمْ بِأَنْ قَدْ لَيْسَ يَوْمًا نَافِعًا  
مَا لَمْ يَحْفَكَ وَيَلُوقَ عِنْدَكَ جَانِبًا  
وقول أبي الطيب:

صَدِيقَكَ أَنْتَ لَا مَنْ قُلْتَ خِلِّي  
وقوله:

وَلَمَا صَارَ وَدُّ النَّاسِ خِبَاءً  
وَصَرْتُ أَشْكَ فَيَمَنْ اضْطَفِيهِ  
وَأَنْفٌ مِنْ أَخِي لِأَبِي وَأُمِّي  
وقول أبي فراس:

يَمَنْ يَثُوقُ الْإِنْسَانَ فِيمَا يَنْوِيهِ  
لَقَدْ صَارَ هَذَا النَّاسُ إِلَّا أَقْلَهُمْ  
وقوله:

أَكُلُ خَلِيلٍ هَكَذَا غَيْرَ مُنْصِفٍ  
وقوله:

(١) تميم بن مقبل شاعر جاهلي ادرك الإسلام فأسلم لكنه بقي يحن للجاهلية وعمر أكثر من مائة سنة لعصر معاوية.

ابْغِي الْوَفَاءَ بِدَهْرٍ لَا وَفَاءَ لَهُ      كَأَنِّي جَاهِلٌ بِالْدَهْرِ وَالنَّاسِ  
أما قول المتنبي :

مَا الْخَلُّ إِلَّا مَنْ أَوَدَّ بِقَلْبِهِ      وَأَرَى بِظَرْفٍ لَا يَرَى بِسِوَائِهِ  
فَيَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ؛ أولهما: أن لا خلَّ له إلا نَفْسُهُ؛ كقوله: صديقتك انت؛  
الخ، وثانيهما: أن لا خلَّ إلا من كنت وإيَّاه؛ على نوع من الاتحاد؛ حتى صار  
قلبه الذي يَوَدُّ به؛ وبصره الذي ينظر به؛ وقد قال أبو عباد<sup>(١)</sup>:

وَجَدْتُ نَفْسَكَ مِنْ نَفْسِي بِمَنْزِلَةٍ      هِيَ الْمُصَافَاةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالرَّاحِ  
وهو من قول الأخطل<sup>(٢)</sup>:

إِنِّي وَإِيَّاهَا إِذَا مَا لَقِيْتُهُا      لَكَا الْمَاءِ مِنْ صَوْبِ الْغَمَامَةِ وَالْحَمْرِ  
وقد أخذه علي بن الجهم<sup>(٣)</sup> في قوله:

وَبِئْنَا عَلَى رَغْمِ الْحُسُودِ كَأَنَّا      حَلِيبَانُ مِنْ مَاءِ الْغَمَامَةِ وَالْحَمْرِ  
وأحسن بشار في قوله:

لَقَدْ كَانَ مَا بَيْنِي زَمَانًا وَيَبْنَاهَا      كما كان بين المسك والعنبر الوزد  
ولنعد لما كنا فيه؛ قال البحرني أيضاً:

وخليلي الذي إذ نابَ دَهْرٌ      حَمَلْتُ كَفُّهُ نَوَائِبَ دَهْرِي  
وقال يزيد بن المهلب؛ لولده مخلد؛ انظر إلى هذا الحي من اليمن؛ فكن  
لهم كما قال الشاعر:

(١) البحرني.

(٢) الأخطل التغلبي؛ شاعر عربي من بني تغلب ولد سنة ١٩هـ وبقي على النصرانية هو أحد ثلاثة فحول: جرير والفرزدق والأخطل.

(٣) شاعر مشهوراً متديناً فاضلاً كان معاصراً لأبي تمام غضب عليه الخليفة المتوكل العباسي لهجائه ففناه لخراسان وانتهت حياته مقتولاً.



إِذَا كُنْتَ مُرْتَادَ الرَّجَالِ لِنَفْعِهِمْ      فَرِشٌ وَاضْطَنِعَ عِنْدَ الَّذِينَ بِهِمْ تَرْمِي  
وَأَشْدُ بْنُ الْأَعْرَابِيِّ:

لَعُمْرُكَ مَا مَالُ الْفَتَى بِذَخِيرَةٍ      وَلَكِنَّ إِخْوَانَ الصَّفَاءِ الذَّخَائِرُ  
والكلام في تراذل الزمان؛ وفساد الطباع؛ وقلة الكرام؛ منتشر؛ لا تلتئم  
أطرافه؛ والغرة الشاذخة<sup>(١)</sup> فيه قول الطغرائي:

غَاضَ الْوَفَاءَ وَقَاضَ الْغَدْرَ وَأَتَسَعَتْ      مَسَافَةُ الْخَلْفِ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

فإنه خير من بيت المتنبي السابق؛ وإن كان ناظراً إليه؛ لكن له الشفوف  
بالاجاده؛ واتساع مسافة الخلف فيه؛ من النوادر؛ وبديع الكلام؛ وقال الشريف:

أَبَى النَّاسُ إِلَّا دَمِيمَ الْغِمَامِ      إِذَا جُرُّوا؛ وَقَبِيحُ الْكَذِبِ

ومهما يكن من الأمر؛ فلا يُقْبَلُ من العموم؛ إلا مَا يَحْتَمِلُ التَّخْصِيسَ؛  
بمتصل أو منفصل؛ كقول بشار:

مَا أَرَى لِإِلَانٍ وَدَأْ صَجْبِحاً      عَادَ كُلُّ الْإِنَامِ زُوراً وَمِيناً<sup>(٢)</sup>

لأن قوله: أرى؛ وقوله: عاد؛ بخصصانه بزمانه؛ وما أحسن في الصديق؛  
من قول أبي العتاهية:

إِنَّ أَخَاكَ الصِّدْقَ مَنْ كَانَ مَعَكَ      وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ

وَمَنْ إِذَا رَبَّ الزَّمَانَ صَدَّعَكَ      شَتَّتَ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ

وقوله:

صَلْبِي قِي مَنْ يُقَاسِمَنِي هُمُومِي      وَيَرْمِي بِالْعَدَاوَةِ مَنْ رَمَانِي

وَيَحْفَظُنِي إِذَا مَا غِبْتُ عَنْهُ      وَأَرْجُوهُ لِنَائِبَةِ الزَّمَانِ

(١) الغرة من الشيء أوله وأكرمه والغرة من الرجل وجهه ومن الفرس بياض في وجهه ويقال  
شدخت الغرة إذا اتسعت في الوجه.

(٢) المينا: طلاء يغطي المعادن.

أمّا الشريف؛ فقد نزل بالصديق عما يستحقه من المكانة؛ إذ لم يجعله؛ إلا بمثابة الأخ من الرضاع؛ في قوله للصابي<sup>(١)</sup>:

إِحَاءَ تَسَاوَى فِيهِ أُنْسًا وَأَلْفَةً رَضِيعُ صَفَاءٍ أَوْ رَضِيعُ لُبَانِ  
نَمَارِجَ قَلْبَانَا مِرْزَاجِ أَخْوَةِ وَكُلُّ طُلُوبِي حَايَةَ أَخْوَانِ

وفي إطلاق الأخوة على الاجنبي؛ كلام طويل؛ استوفيته في بلابل التغريد<sup>(٢)</sup>؛ وحاصله: الجواز؛ لاستوائهم في التكليف؛ وقال تعالى: ﴿وَأِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا...﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وَأِلَىٰ قَوْمِ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا...﴾<sup>(٤)</sup> وقال تعالى في سورة ق: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ وَالصَّحْبُ الرَّيْسَ وَنُوحًا وَعَادًا وَفِرْعَوْنَ وَيَحْيُونَ لُوطًا﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال ﷺ في العَظْم: «زاد اخوانكم من الجن»<sup>(٦)</sup> فشمّل الكافر؛ لأنّ العظم؛ يكون زاد الكافر منهم؛ والمؤمن؛ وقد قال طخيم الأسدي<sup>(٨)</sup>:

وَإِنِّي وَإِنْ كَانُوا نَصَارَى أَحْبَبُهُمْ وَيَرْتَاخُ قَلْبِي نَحْوَهُمْ وَيَتَوَقَّ

(١) أبو إسحاق إبراهيم الصابي كاتب بليغ وأديب مجيد وشاعر رقيق نشأ في بغداد على دين الصابئة الحمرانيين ومع ذلك وحفظ القرآن الكريم وكانت بينه وبين الصحاب بن عباد والشريف الرضي مودة أكيدة درس أولاً الطب ثم تحول للكتابة والأدب ولاء الخليفة المهدي ديوان الرسائل وتوفي سنة ٣٨٤هـ.

(٢) كتاب لا زال مخطوطاً للإمام بن عبيد اللاه السقاف.

(٣) سورة هود، الآية: ٥٠.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٧٣.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

(٦) سورة ق، الآيتان: ١٢ - ١٣.

(٧) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: «لا تستنجوا بالروث ولا بالمعظام فإنه زاد إخوانكم من الجن» سنن الترمذي.

(٨) طخيم بن عبد الله الأسدي شاعر أموي كان معاصر الأمير العراق يوسف بن عمر الثقفي المقتول سنة ١٢٧هـ.

## وأما قوله (١٤)

وَأَمَّا لِنَفْسٍ حُبِسَتْ فِي جِلْدِي      إِنَّ الْأَسِيرَ عَرَضَ بِالْقَدِّ

فيكفي لمعناه؛ ما سبق في البيت الخامس؛ وأما لفظه؛ فلا يخلو عن النظر؛ إلى قول المتنبي:

وَعَبِئْ عَلَى الْأَيَّامِ كَالنَّارِ فِي الْحَشَا      وَلَكِنَّهُ غِيْظُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقَدِّ<sup>(١)</sup>

وقد بناه؛ على ما جاء في مروج الذهب؛ أنه قيل للإمام: إنَّ عثمان غضبان عليك! فقال كرم الله وجهه: غَضِبُ الْخَيْلِ عَلَى اللَّجْمِ؛ وقد سبقت الإشارة إلى هذا؛ في المقالة الثانية.

وقال المعري:

أَغْضَبَ الْخَيْلَ الشُّكَيْمُ فَمَالَهَا      عَلَيْهِ إِتْقَادٌ غَيْرَ إِزْمِ الْحَدَائِدِ

وما حملة عليه؛ إلَّا معرفته؛ بمأخذ بيت المتنبي؛ فأراد أن يتعلق به؛ ولكنه اذال؛ لأن لفظ (الحدائد)؛ لغاية في الابتدال؛ والله در القطب الحداد<sup>(٢)</sup>؛ إذ يقول في مناسب البيت:

مَتَى مَتَى يَا أَحِبَّابِنَا التَّلَاقِي      مِنْ بَعْدِ طُولِ الْبُعْدِ وَالْفِرَاقِي

مَا حَذَّ عَلَى الدُّنْيَا الْغُرُوزَ بَاقِي      وَالْمَوْتَ تُحْفَةَ كُلِّ عَبْدٍ صَبَّازِ

## وأما قوله (١٥)

وَعِتَابُ الزَّمَانِ مِثْلَ عِتَابِ الْعَدِّ      — مِثْنِ تَنْهَى وَدَمَعُهَا فِي أَرْوَادِ

(١) المعنى أنني مغتاز من الأيام ولكنه غيظ على من لا يبالي كغيظ الأسير على القد الذي يشد به.

(٢) الإمام عبد الله بن علوي الحداد؛ سبقت ترجمته.

فإنه كثير جداً؛ ومن نظائر معناه؛ بدون ما فيه من التشبيه؛ قول حارثة بن بدر القداني:

فَلَمْ يَنْبِي فَإِنَّ اللُّومَ فِيهَا يَزِيدُنِي      غَرَاماً بِهَا؛ إِنَّ المَلَامَةَ قَدْ تُغْرِي  
وقول عروة بن أذينة<sup>(١)</sup>:

إِذَا الوُشَاءُ لَحَوْا فِيهَا عَصَبَتُهُمْ      وَخِلْتُ أَنْ يَسْعِدِي اللُّومُ يُغْرِينِي  
وقول أبي نواس: دَعَّ عَنكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللُّومَ إِغْرَاءُ<sup>(٢)</sup>  
وقول أبي العتاهية:

كَأَنَّ عَائِبَكُم يُبْدِي مَحَاسِنَكُمْ      وَضَفَاءً فَيَمْدَحُكُمْ عِنْدِي وَيُغْرِينِي  
وقول ابن الرومي:

نَهْتَنِي فَرَادَتْ نِي حِفَاطاً عَلَى الصَّبَا      أَلَا رُبَّمَا يُنْهَى الجَهُولُ فَيَأْمُرُ  
وقوله؛ وهو من أحاسن الكلام:

لَا تَظْفِرِينَ جَوَى بِلُومٍ إِنَّهُ      كَالرِّيحِ؛ تُغْرِي النَّارَ بِالأَخْرَاقِ  
وقول البحترى:

وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي مِنَ اللُّومِ إِضْعَائِي      إِلَيْهِ؛ وَاعْتَهَدُ اللُّومَ يُغْرِي  
وأما تشبيه إصرار الزمان؛ بلجاج العين؛ فإن كان لعله في العين؛ فقد يصح التشبيه؛ وإن كان لنحو الحزن؛ فليس على إطلاقه؛ وقد قال أبو الطيب:

إِنِّي لِأَجْبَنُ مِنْ فِرَاقِ أَحْبَبَتِي      وَأَرَى عِدَاتِي شَامِتِينَ فَأَشْجَعُ  
وَيَزِيدُنِي غَضَبُ الأَعَادِي قَسْوَةً      وَيَلِمُ بِي عَثْبُ الصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ

(١) عروة بن أذينة الليثي الكناني؛ تابعي جليل وشاعر غزل وفخر وشريف مقدم من شعراء المدينة المنورة وهو معدود في الفقهاء والمحدثين.

(٢) دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتني كانت هي الداء

وقال أبو فراس:

لَقَدْ كُنْتُ أَوَّلَ مَنِكَ بِالدَّمْعِ مُقْلَةً      وَلَكِنَّ دَمْعِي فِي الْحَوَادِثِ عَالِي  
وأخرى؛ وهي: أنه متى اشتد الحزن قلص الدمع<sup>(١)</sup>؛ ولا يخرج عنه؛ قول  
عائشة رضي الله عنها؛ في الإفك؛ فقلص دمعي؛ حتى ما احس منه قطرة؛ لأنه إن كان  
لشدة الحزن؛ فذاك؛ أو الغضب؛ فقد قال أبو الطيب:

جَرَآكَ رَبُّكَ بِالْإِحْسَانِ مَغْفِرَةً      فَحُزْنُ كُلِّ إِخِي حُزْنُ أَخِي النَّصَبِ  
وقال أبو حبة النميري<sup>(٢)</sup> أو غيره؛ في إجازة شعر له:

فَلَا مُقْلَتِي مِنْ غَامِرِ الْمَاءِ تَنْجَلِي      وَلَا دَمْعَتِي مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ تَنْطُرِي  
وقال البحتري:

لَا تَحْطِيبِي دَمْعِي إِلَيَّ؛ فَلَمْ يَدْعُ      فِي مُقْلَتِي جَوَى الْفِرَاقِ دُمُوعَا  
وقد أطلت في العود الهندي؛ من الشواهد عليه؛ وقال جحظة<sup>(٣)</sup>؛ في  
خصوص عتاب الزمان:

وَرَقَّ الْجَوُّ حَتَّى قَبِلَ هَذَا      عِتَابُ بَيْنِ جُحْظَةَ وَالزَّمَانَ  
وهو من أبياته السائرة؛ وكان مضرب المثل؛ في عتابه للزمان؛ ولجاج  
الزمان عليه؛ وقال أبو الطيب:

لَنَا عِنْدَ هَذَا الدَّهْرِ حَقٌّ يَلُطُّهُ<sup>(٤)</sup>      وَقَدْ قَلَّ إِعْتَابُ وَطَالَ عِتَابُ

(١) غاض أو نشف.

(٢) شاعر مجيد من أهل البصرة اسمه الهيثم بن ربيع بن زرارة من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ومدح خلفاء الدولتين كان أهوجاً بخيلاً كذاباً وكان له سيف ليس بينه وبين الخشب فرق وكان يسميه لعاب المنية؛ مات سنة ١٥٨هـ.

(٣) جحظة البرمكي: شاعر عباسي كان قبيح المنظر بارز العينين فلقب بجحظه وكان يجوّد اللحن والغناء عمر حوالي المائة سنة ومات سنة ٣٢٤هـ.

(٤) يلطه: يدفعه ويمطله.

وقال أروطاة بن سهيمة:

عَلَى الدَّهْرِ فَاغْتَبَ إِنَّهُ غَيْرُ مُعْتَبٍ      وَفِي غَيْرِ مَنْ قَدْ وَارَثَ الارضُ فَاظْمَعِ

وفي شرح أمثال الميداني؛ أن أكثم بن صيفي؛ يقول: من عتب على الدهر؛ طالت معتبه؛ ولا ننكر؛ أن من دموع الحزن؛ ما يغريها التَّهْي؛ فقد قال البحرني:

أَعِينَا عَلَى قَلْبِ يَهِيمٍ صَبَابَةٌ      وَعَيْنٍ؛ إِذَا انْتَهَتْهَا طَفِقَتْ تَهْمِي

وأمثاله كثيرة في أشعارهم؛ ولم يكن منا؛ إلا تقييد الاطلاق؛ وانتقاد التعميم؛ في موضع التخصيص فحسب؛ ولنا في ذلك الحق المبرور.

### وأما قوله (١٦)

وَمَا هِذِهِ الدُّنْيَا لَنَا بِمُطِيعَةٍ      وَلَيْسَ لِخَلْقِي مِنْ مُدَارَتِهَا بُدٌّ

فقد مسخ فيه؛ قول أبي الطيب:

وَمِنْ نَكِدِ الدُّنْيَا عَلَى الحُرِّ أَنْ يَرَى      عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدٌّ

ونظر معه أيضاً؛ إلى ما سيأتي في البيت (٧٠)؛ وإلى ما أخرجه بنفسه في النهج؛ من قول الإمام: المرأة شَرُّ كُلِّهَا؛ وَشَرُّ مَا فِيهَا؛ أَنَّهُ لَا بَدَ مِنْهَا.

وعندي أن مثله؛ لا يصح عن الإمام؛ لفساد معناه. ولكن الشريف أخرجه؛ فتكَيَّفَ به؛ وإنما ذكر الجاحظ<sup>(١)</sup> في البيان: أَنَّ هِنْدَ بِنْتَ عَتَبَةَ<sup>(٢)</sup>؛ تقول: المرأة غُلٌّ؛ ولا بد للعتق منه؛ فانظر من تضعه في عنقك؛ ويأتي في شرح البيت

(١) أبو عثمان الجاحظ من كبار ائمة الأدب في العصر العباسي ولد في البصرة وتوفي بها له كتب كثيرة من أشهرها، البيان والتبيين، والحيوان والبخلاء.

(٢) زوجة أبو سفيان وأم معاوية من النساء الشهيرات، شهدت بدرأ كافرة ورتبت لقتل حمزة رضي الله عنه ومثلت به بعد مقتله، أهدر الرسول صلى الله عليه وسلم دمها يوم فتح مكة ثم عفا عنها لما أسلمت.

(١٧٤)؛ بعض القول عن المرأة؛ ومن كلام ابن الحنفية<sup>(١)</sup>؛ حسبما في ترجمته؛ عند ابن خلكان: ليس بحكيم؛ من لم يعاشر بالمعروف؛ من لا يجد بدأ من معاشرته؛ حتى يجعل الله له فرجاً؛ فهو أصل بيت المتنبي؛ وأخرجه الحاكم؛ ومن طريقه الديلمي؛ عن ابن الحنفية؛ يرفعه مرسلًا؛ وأورده الحكيم الترمذي؛ ومن طريقه الديلمي؛ عن ابن المبارك؛ وقال: لما سمعت هذا الحديث؛ صمت وتصدقت بدينار؛ قال الحافظ: والموقوف هو المعروف.

### وأما قوله (١٧)

وَالْمَالُ أَهْوَنُ مَطْلَبًا مِنْ أَنْ أَرَى ضِرْعًا أَرَامِي دُونَهُ وَأَدَارِي

فقد اغتصبه من قول المتنبي:

وَمُرَادُ النُّفُوسِ أَضْمَرُ مِنْ أَنْ نَتَمَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَّقَانِي

ولا يخلو؛ عن نوع من النظر؛ إلى قول أبي تمام:

مَا مَاءٌ كَفَيْكَ إِنْ جَادَتْ وَإِنْ بَخَلْتِ مِنْ مَاءٍ وَجْهِي إِنْ ائْتَيْتُهُ عِوَضُ

و قوله:

رَدَدْتَ رَوْنَقَ وَجْهِي فِي صَحِيفَتِهِ رَدَّ الصِّقَالِ بَهَاءَ الصَّارِمِ الْحَدِيمِ

وَمَا أُبَالِي وَخَيْرُ الْقَوْلِ اضْدَقُّهُ حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِي أَوْ حَقَنْتَ دَمِي

وقول البحري:

وَمَا حَظِيرِي دُونَ الْغَيْتِي إِنْ بَلَغْتُهُ سُؤلاً وَلَا عِرْضِي نَظِيرَ الدَّرَاهِمِ

ولله ذرُّ الشريف في قوله:

(١) هو محمد بن علي بن أبي طالب، أمه خولة بنت جعفر الحنفية وسمي ابن الحنفية تمييزاً له عن أخويه الحسن والحسين، كانت بطلاً مقدماً وشهد مع أبيه الجمل وصفين قائداً من قواده كان ورعاً، واسع العلم، ثقة، له أحاديث في الصحيحين.

أَرَى مَاءً وَجِهَ الْمَرْءِ مِنْ مَاءٍ عَرَضِهِ      فَحَذَرَكَ لَا يَقْطُرُ عَلَى الْعَارِ قَاطِرُهُ  
 فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْتَبِقْ بِالصَّوْنِ بَعْضُهُ      تَتَابَعِ مَظْلُولًا عَلَى الذَّلِّ سَائِرُهُ  
 وفي النهج: ماء وجهك جامد؛ يقطره السؤال؛ فانظر عند من تقطره؛ وقال  
 النعيم:

إِذَا أَظْمَأْتِكَ أَكْفُ اللَّئَامِ      كَفَّتْكَ الْقِنَاعَةُ شِبَعًا وَرِيًّا  
 فَكُنْ رَجُلًا رَجُلُهُ فِي الثَّرَى      وَهَامَةٌ هَمَّتْهُ فِي الثُّرَيَّا  
 فَإِنَّ إِزَاقَةَ مَاءِ الْحَيَاةِ      لَدُونِ إِزَاقَةِ مَاءِ الْمُحْيَا

وأما قوله (١٨)

نَالُوا عَلَى قَدْرِ الرَّجَاءِ وَإِنَّمَا      يُرَوَى عَلَى قَدْرِ الْأَوَامِ الصَّادِي

فمن قول أبي الطيب:

وَكُلُّ طَرِيقٍ أَتَاهُ الْفَتَى      عَلَى قَدْرِ الرَّجْلِ فِيهِ الْخُطَى  
 إذ معناه: أنهم لم ينالوا من العلى الأعلى؛ مقادير همهم وطموحهم؛ كما  
 ان الصَّادِي لا يتناول من الماء؛ الا مقدار صدها؛ والماشي لا يقطع؛ إلا بقدر ما  
 تنسع خطاه؛ وفيه أشياء أحدها: أنه أصاب كبد الصواب؛ في قوله: يتعسر  
 النجاح إلا بعلو الهمة؛ ومما كانت الصوفية قالت: إنَّ الهمة رسول التوفيق؛  
 وقال علي بن أبي طالب: من طلب شيئاً ناله؛ أو بعضه؛ وقال: قَدْرُ الرَّجْلِ عَلَى  
 قَدْرِ هِمَّتِهِ؛ وقال شارح النهج: إنَّ كِبَرَ الهمة؛ مختص بالإنسان؛ وهو بين طَرَفَيْ  
 رذيلتين؛ وهما الندح؛ وتسميه الحكماء؛ التفتح؛ وصغر الهمة؛ وتسميه الناس:  
 الدناءة؛ فالتفتح: تَشَوُّفُ الإنسان لما لا يستحقه؛ والدناءة: قعوده عما هو اهله؛  
 لضعف نفسه؛ وَعُلُوُّ الهمة بينهما؛ وهو المحمود؛ وقال أبو عباده:

لَا يَبْلُغُ الْعَلِيَاءُ غَيْرَ مُتَمِّمٍ      بِبُلُوغِهَا يَغْصِي لَهَا وَيُطْبِعُ



وقال:

وَتَصَرَّفْتُ بِكَ فِي الْمَكَارِمِ هِمَّةً      نَزَلْتُ مِنَ الْعَلِيَاءِ اعْلَى مَنْزِلِ

وقال أبو الطيب:

إِذَا قُلَّ عَزْمِي عَنْ مَدَى؛ خَوْفٌ بُعْدِهِ      فَأَبْعَدُ شَيْءٍ مُمَكِّنٍ لَمْ يَجِدْ عَزْمًا<sup>(١)</sup>

وقال:

أَتَالَهُ الشَّرَفُ الْأَعْلَى تَقَدَّمَه      فَمَا الَّذِي يَتَوَقَّى مَا أَتَى نَالُوا

وقال:

هِمَمٌ بَلَّغَتْكُمْ رُتَبَاتٍ      فَضَرَّتْ عَنْ بُلُوغِهَا الْأَوْهَامُ

وقال:

دَرِسِي أَنْلَ مَا لَا يُنَالُ مِنَ الْعُلَى

فَصَعِبُ الْعُلَى فِي الصَّعْبِ وَالسَّهْلُ فِي السَّهْلِ

وقد سبق هذا؛ في نقد القصيدة الحاثية؛ من المقالة الثالثة؛ وقال:

قَدْ هَوَّنَ الصَّبْرُ عِنْدِي كُلَّ نَارِلَةٍ      وَلَيِّنَ الْعَزْمُ حَدَّ الْمَرْكَبِ الْحَاشِنِ

وقال المأمون لولده؛ بحضرة يحيى بن أكثم<sup>(٢)</sup>، وعمرو بن مسعدة<sup>(٣)</sup>:

إِعْتَبِرُوا فِي عُلوِّ الْهِمَّةِ؛ بَمَنْ تَرُونَ مِنْ وَرَثَائِي؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَبْلُغُوا مَرَاتِبَهُمْ عِنْدِي؛ إِلَّا

(١) والمعنى: إذا ضعف عزمي بسبب بعد المطلب، فن أجد عزمًا لمطلب لممكن أبعد منه.

(٢) قاضي القضاة الفقيه العلامة يحيى بن أكثم سمع الحديث من ابن المبارك وسفيان بن عيينة وله رحلة في طلب الحديث، كان من أئمة الاجتهاد واسع العلم بالفقه كثير الأدب وله تصانيف منها التنبية ولكثرة فضائله قربه الخليفة المأمون العباسي وجعله قاضي القضاة، وهو الذي أفتع المأمون بإبطال حل نكاح المتعة وغيره من معتقدات الشيعة، وقد شنغ عليه واتهم بالانتهامات الباطلة.

(٣) علامة بليغ وشاعر عمل كاتباً عند يحيى البرمكي وكان فصيحاً قوي الإنشاء توفي سنة

بمقادير همهمهم؛ وإن من تبع منكم صغار الأمور؛ تبعه التصغير والتحقيق؛ فترفعوا عن دناءة الهمهم؛ وترفغوا لجلال الأمور؛ تكونوا عند ذلك.

والثاني: إن صاحب الهمة العالية؛ لا يقف عند حد؛ بل كلما انتهى إلى غاية من الشرف؛ قالت له الأخرى: تقدم؛ وقد قال أبو الطيب:

قَدْ بَلَّغُوا بِقَنَاهُمْ فَوْقَ طَائِفِهِ  
وَلَيْسَ يَبْلُغُ مَا فِيهِمْ مِنَ الْهِمَمِ

وقال:

وَأَشْرَفَهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةً  
وَأَكْثَرَ إِقْدَاماً عَلَى كُلِّ مُعْظَمٍ

وقال:

سَمَوْتَ بِهِمَّةٍ تَعْلَمُوا فَتَسْمُوا  
فَمَا تَلَقَى بِمَرْتَبَةٍ تُنَوِّعَا

وقال الشريف:

وَقَدْ بَلَّغُوا مِنَ الْعَلِيَاءِ اقْصَى  
وهو منتزع؛ كما اسلفنا؛ عن المتنبي؛ والثالث: أن وجه القياس على الضمان؛ بارد أو فاسد؛ إذ لا يُقَدَّرُ على تناول قطرة بعد الرِّيِّ؛ وقد استحسنا: قول مالك ابن المرحل الاندلسي:

إِنَّمَا الْوَضْلُ كَمِثْلِ الْمَاءِ لَا  
يُسْتَطَابُ الْمَاءُ إِلَّا بِالْعِلَلِ

ومعناه: أن الماء لا يُسْتَطَابُ إلا بعد العطش؛ بخلاف صاحب الهمة؛ وصاحب الطمع؛ وقد مر من دلائل الأول؛ ما يكفي؛ ومن شواهد الثاني؛ ما جاء أنه: لو أُعْطِيَ ابْنُ آدَمَ وادياً من ذهب؛ لأبتغى إليه ثانياً؛ ولا يَسِيدُ جَوْفَ بَنِ آدَمَ؛ إِلَّا التراب؛ ويتوب الله على من تاب؛ وكان في ذلك قرآن يتلى؛ فالتشبيه بالصادي<sup>(١)</sup> لا تظهر علاقته؛ ما لم نُقَلِّ بِتَصَوُّفِ الشَّارِيفِ؛ فإنهم قائلون<sup>(٢)</sup>: بأنَّ

(١) الصادي: الشديد العطش.

(٢) أي الصوفية.

الهيئات القدسية؛ على قدر الاستعدادات النفسية؛ والتعرضات الصادقة؛ ويشبهون ذلك بالصادي؛ وهو تشبيه صحيح؛ لأن الصادي لا يُرَوَى عندهم ابداً؛ وينشدون:

شَرِبْتُ الحُبَّ كَاساً بَعْدَ كَاسٍ      فَمَا نَفِدَ الشَّرَابُ وَلَا رُويْتُ  
فهو إذن مثل قول أبي الطيب:  
مَرَاتِبٌ صَعِدَتْ وَالْفِكْرُ يَتَّبِعُهَا      فَجَازَ وَهُوَ عَلَى آثَارِهَا الشُّهْبَا  
محامداً نَزَفْتُ شِعْرِي لِيَمْلَأَهَا      فَآلَ مَا امْتَلَأَتْ مِنْهُ وَلَا نَضَبَا  
وقال الشريف نفسه:

وَالنَّاسُ إِمَّا قَانَعٌ أَوْ طَالِبٌ      لَا يَنْتَهِي؛ أَوْ رَاغِبٌ أَوْ رَاهِبٌ  
غير أن التقسيم في هذا البيت؛ غير صحيح؛ إذ الطالب والراغب؛ متقاربان؛ إن لم يكونا شيئاً واحداً؛ ولا مانع من الرهبة معهما؛ ويأتي في مناسب البيت (١٤٠)؛ ماله تعلق قوي بما هنا؛ وقال عامر بن الضرب العدواني<sup>(١)</sup>؛ في خطبته المشهورة: من طلب شيئاً وجده؛ وهو من أمثالهم؛ وعلى بيت الشريف؛ الذي نحن فيه؛ كان بناء قول مبيار:  
وَلَا لَوْمْ إِنْ لَمْ يَأْتِنِي الْبَحْرُ إِنَّمَا      عَلَى قَدْرِ مَا اسْعَى إِلَى الْبَحْرِ أَشْرَبُ

### وَأَمَّا قَوْلُهُ (١٩)

مَا أَنْصَفَ الْفَاسِقُ فِي لَحْظِهِ      لَمَّا أَرَانَا عِيَّةَ الْعَابِدِ

فمتى كان الفاسق مظنة الانصاف؟ حتى يُنْكَرَ منه الجور بالتصنع؛ ولو أنه قال: قد نافق الفاسق الخ؛ لكان مقبولاً؛ أما الآن! فلا؛ ولا نعمة عين؛ وقد نظر في هذا؛ إلى قول العباس بن الاحتف:

(١) شاعر جاهلي واحد حكماء العرب وأشرفهم ومن المحكمين في سرق عكاظ، له أحكام أقرها الإسلام، وهو ممن حرم الخمر في الجاهلية.

أَتَادُونُونَ لِيَصِبَ فِي زَيَارَتِكُمْ      فَعِنْدَكُمْ شَهَوَاتُ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ  
لَا يُضْمِرُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ      عَنِ الضَّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسِقُ النَّظَرِ  
والأصل فيه؛ قول عمر بن أبي ربيعة:

إِنِّي إِمْرَةٌ مُوَلَّعٌ بِالْحُسْنِ أَنْظَرُهُ      لَا حَظَّ لِي فِيهِ إِلَّا لَذَّةُ النَّظَرِ  
وقوله:

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مِتَى      وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحَرُّجُ عَارِمٌ  
وقول الأبيوردي<sup>(١)</sup>:

فِيكَ وَالنَّجْمُ؛ وَهِيَ عِقْدُهُ      يَفْسِقُ طَرْفِي؛ وَضَمِيرِي يَعِفُ  
وقال الشريف:

أَجْنُ إِلَى مَا تُضْمِرُ الحُمْرُ وَالْحُلَى      وَأُضِدُّ عَمَّا فِي ضَمَانِ المَآزِرِ  
ومهما ادَّعى أن ذلك ليس من فعل الفاسقين؛ فلا مكابرة؛ في أنه من صنيع  
السارقين! لأنَّ أصل هذا قول المتنبي:

إِنِّي عَلَى شَغْفِي بِمَا فِي حُمْرِهَا      لِأَعِفُّ عَمَّا فِي سَرَائِلِهَا  
ومتى عدنا إلى الموازنة بين البيتين؛ الفينا الشغف والعفاف؛ اعذب في

بيت المتنبي؛ من الحنين والصدوف في بيت الشريف؛ غير أن المآزر فيه؛ أجمل  
من قافية المتنبي؛ لأنها طويلة جداً؛ تكاد تشبه جيِّدًا؛ واصل بن عطاء؛ أو رقة؛  
ثعلبة بن عمرو؛ أو عنق؛ الباشا عبد الفتاح يحيى؛ ومتى جريت على ما تميل إليه

(١) الأبيوردي هو أبو المظفر محمد بن العباس أحمد بن محمد. كان إماماً في اللغة والنحو  
والنسب والأخبار، وله كتب كثيرة منها تاريخ أبيورنسا، المختلف والمؤتلف، قبسة  
المجلان في نسب آل أبي سفيان وغيرها الكثير. وقد كان حسن السيرة جميل الأمر، حسن  
الاعتقار جميل الطريقة وقد عاش حياة حافلة بالأحداث، الفتن، الثقلبات، مات مسموماً  
بأصفهان. سنة ٥٠٧هـ.

نفسى؛ من موافقة عباد الصيرمي؛ في قوله: بمناسبة الاسماء للمُسْمَيَات؛ دَلَّ ذلك على طول معشوقة المتنبى؛ وأنَّ سراويلها لا تصلح؛ إلا لأمثال: قيس بن سعد؛ على اننا لا ننتهي في نقد هذا البيت؛ إلى تعصب الصاحب بن عباد؛ بقوله: إِنَّ الفحشاء اهون من العفاف فيه؛ لثقل قافيته؛ وما تقرر؛ من استثقال القافية؛ من اجل الطول؛ هو رأي ابن سنان؛ وقال ابن الاثير: ليس كذلك! وإنما قُبِحَتْ من جهة الجمع؛ ومن الألفاظ؛ ما يَحْسُنُ مفرداً أو يَقْبُحُ مجموعاً؛ وعكسه؛ إذ ليس كل طويل بمقبوح؛ ألا ترى إلى قوله؛ جل ذكره: ﴿نَبِّئِكُمْ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup> فانه طويل؛ ولكنه جميل لمجيئه في الوسط.

ولهذا لم يُسْتَقَل قول عَلِيَّة بنت المهدي:

فَمَا خَرَقَتْ حُفَاً وَلَمْ تُبْلِ جَوْرِيَاً      وَاَمَّا سَرَاوِلَاتُهَا فَمَزْرَقُ

أرادت: كثرة استعمال السراويل؛ من شدة التحفظ على السترة؛ إلا أنَّ التمزق؛ لا يمنع حمل الكلام على ضد ما تريد؛ وقد جاء الثناء بعبء الإزار؛ في اشعار الاولين؛ منه قول النابغة:

رِقَاقُ النِّعَالِ طَيِّبٌ حِجْرَاتُهُمْ      يُحَبِّبُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَائِبِ

وقد أغار عليه؛ عدي بن زيد؛ في قوله: أجل؛ إنَّ الله قد فضلكم؛ فوق من حلَّوا بِصُلْبِ وإزار؛ فالصُّلب؛ الحسب؛ والإزار؛ كناية عن العفاف.

وبعد؛ فإن المرء لا يفسق بمجرد النظر؛ لأنَّه عند خوف الفتنة؛ ليس إلا من صغائر الذنوب؛ وقد قال الرافعي: النظر إلى وجه الأجنبية؛ وكفيها؛ حرام مع خوف الفتنة؛ وإلَّا؛ فوجهان؛ قاله أكثر الأصحاب؛ ولا سيما المتقدمون؛ يحل؛ لقوله تعالى: ﴿...وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا...﴾ وهو مفسر بالوجه والكفين؛ لكن يكره؛ قاله الشيخ أبو حامد؛ والثاني يحرم؛ قاله الاضطخري وأبو علي الطبري؛ واختاره الشيخ أبو محمد؛ وبه قطع صاحب المذهب. (انتهى).

وما أحسن قول ابن الدمينه<sup>(١)</sup>:

يقولون لا نَنظُرُ وَتِلْكَ بَلِيَّةٌ  
وليس اِكْتَحَالَ العَيْنِ بِالعَيْنِ رِبِيَّةٌ  
وقال محمد بن وهيب:

ما لِمَنْ تَمَّتْ مَحاسِنُهُ  
لَكَ أَنْ تُبْدي لَنَا حُسنًا  
وقال جميل:

لا والذي تسجدُ الجِبَاهُ لَهُ  
ولا بِفِيها؛ ولا هَمَمْتُ بِهِ  
وقال عبد بني الحسحاس؛ على فسوقه!:

لِعُمُرُ اِبْيَها ما صَبَوْتُ ولا صَبَتْ  
سوى قُبْلَةَ اسْتَغْفِرُ اللّهُ ذَنْبَها  
وقال بشار:

قالوا حرامٌ تَلاقِينا فقلتُ لَهُمُ  
مَنْ راقِبَ النَّاسَ لِمَ يَظْفَرُ بِحاجَتِهِ  
وقال ابن قتاده:

وما نِلْتُ مِنْها مَحْرَمًا غيرَ اني  
والثُمَّ فاما آخِذاً بِقُرُونِها  
وأثْرُكُ حاجاتِ النُّفوسِ تَحْرَجُ

(١) عبد الله بن عبيد الله بن أحمد، من بني عامر بن تميم الله، من خثعم، أبو السري، والمدمينه أمة. شاعر بدوي، من أرق الناس شعراً، وهو من شعراء العصر الأموي، اغتاله مصعب بن عمرو السلولي، سنة ١٣٠هـ.

وقالت أم ضيغم البلويّة:

فبتنا فَوَيْقَ الْحَيِّ لَا نَحْنُ مِنْهُمْ  
وَبَاتَ يَقْوِينَا سَاقِطَ الظِّلِّ وَالنَّذَا  
وَنَصَدْرُ عَنِ رَيِّ الْعَفَافِ وَرَبِّمَا  
وقال عبد الرحمن بن الحكم:

وكاسٍ تَرَى بَيْنَ الْإِنَاءِ وَبَيْنَهَا  
تَرَى شَارِبِيهَا حِينَ يَغْتَوِرَ أَنَهَا  
فَمَا ظَنُّ ذَا الْوَأَشِي بِأَرْوَعِ مَا جِدِ  
وقال أبو حاتم السجستاني<sup>(١)</sup>؛ المتوفي سنة ٢٤٨هـ؛ يتغزل في أبي العباس  
المُبَرِّدُ؛ وكان يهواه:

نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا أَبَا الْعَبْدِ  
فَارْحَمْ أَبَاكَ فَإِنَّهُ  
وَأَنْلُهُ مَا دُونَ الْحَرَامِ  
وفي عكس بيت الشريف؛ يقول مسلم بن الوليد<sup>(٢)</sup>؛ في قصة طويلة،  
أخرجها صاحب معاهد التنصيص<sup>(٣)</sup> وغيره:

بِتُّ فِي دِرْعِهَا وَبَاتَ رَفِيقِي  
جُنِبَ الْقَلْبِ طَاهِرَ الْأَعْطَافِ

(١) مقررء نحوي لغوي فارسي، عالم من علوم الآداب والشعر وعنه أخذ ابن دريد وابن قتيبة  
والمبرد وله شعر جيد.

(٢) يلقب صريع الغواني شاعر مداح من الأنصار اقتصرت مدائحه على البرامكة وآل المهلبية  
ولاه الخليفة العباسي المأمون بريد جرجان.

(٣) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص تأليف عبد الرحمن بن أحمد العباسي المتوفي سنة  
٩٦٣هـ: كتاب في أسرار البلاغة وصناعة الشعر والنثر والأمثال السائرة.

وقال وضاح اليماني<sup>(١)</sup>:

إِذَا قُلْتُ هَاتِي نَوْلِيْنِي؛ نَبَسَمْتُ      وَقَالَتْ مَعَاذَ اللَّهِ؛ مِنْ فِعْلٍ مَا حَرُمُ  
فَمَا نَوَّلْتُ حَتَّى تَضَرَعْتُ عِنْدَهَا      وَاعْلَمْتَهَا مَا ارْحَصَ اللَّهُ فِي اللَّمَمِ

والحاصل من بيت الشريف؛ ان الفاسق يَصِدُّ بنظره رياء؛ ويتظاهر بالعفة نفاقاً؛ وهو اقبح ما يكون؛ اما من يصد بنظره؛ خوف الرقيب؛ فكثير في أشعارهم؛ ومنه قول جميل؛ أو عمر بن أبي ربيعة:

وَطَرَفَكَ أَمَا جِئْتَنَا فَأَخْبِسْنَهُ      لِكَيْمَا يَرَوْا أَنَّ الْهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ  
وقول جميل أيضاً:

وَيَحْسَبُ نِسْوَانٌ مِنَ الْحَيِّ انِّي      إِذَا جِئْتُ لِإِسَاهِنِّ كُنْتُ أُرِيدُ  
فَأَقْسِمُ ظَرْفِي بَيْنَهُنَّ فَيَسْتَوِي      وَفِي الصَّدْرِ بَوْنٌ بَيْنَهُنَّ بَوِيدُ  
وقول بعضهم؛ في قصة؛ ذكرها أبو العباس المبرِّد:

عُضِي جُفُونِكَ عَنِّي وَأَنْظِرِي أُمَّأ      فَإِنَّمَا افْتَضَحَ الْعُشَاقُ بِالمُقَلِّ  
وقول ابن مطير:

اتَهَجَرُ بَيْتًا بِالْحِجَارِ تَكَنَّفَتْ      جَوَائِبُهُ الِاعْدَاءُ أَمْ أَنْتَ زَائِرَةٌ  
فَلِإِنْ آتَيْهِ لَمْ أَنْجِ إِلَّا بِظَنَّةٍ      وَإِنْ يَأْتِيهِ غَيْرِي تُنْظِ بِِي جَرَائِرَةٌ  
وقول أبي حيَّه النميري:

أَخْبَرَكَ الْوَأَشُونَ أَنْ لَنْ أُجَبُّكُمْ      بَلَى؛ وَسُتُورُ اللَّهِ ذَاتُ المَحَارِمِ  
أَصْدُ وَبِالْصَدِّ الَّذِي تَعْلَمِيْنَهُ      شَفَاءٌ لَنَا؛ إِلَّا اجْتِرَاعُ العَلَاقِمِ  
حِيَاءٌ وَبُقْيَا أَنْ تَشِيْعَ نَمِيْمَةٌ      بِنَا وَبِكُمْ؛ أَفْ لِأَهْلِ النَّمَائِمِ

(١) وضاح اليماني هو عبد الملك بن إسماعيل الخولاني لقب وضاح لوسامته قيل أنه مات مقتولاً بأمر الوليد بن عبد الملك لتشبيهه بزوجه.



وقال عمرو بن معد يكرب؛ أو أعشى مطرود:

إِنَّ الْحَبِيبَ الَّذِي أَمْسَيْتُ أَهْجُرُهُ      مِنْ غَيْرِ مَقْلِيَّةٍ مِنِّي وَلَا غَضَبٍ  
أُصِدُّ عَنْهُ إِزْتِقَابًا أَنْ أَلِمَّ بِهِ      وَمَنْ يَخْفَ قَالَهُ الْوَائِسِينَ يَرْتَقِبُ

وللعباس بن الأحنف؛ الكثير العذب من ذلك؛ وما أظن الشريف؛ يجعل  
ذاك من الجور والنفاق؛ اللذين انحى عليهما في بيته؛ ثم لا يخلو هذا البيت؛  
عن شيء من النظر؛ إلى قول المتبي:

وخل زياً لِمَنْ تَحَقَّقَهُ      مَا كُئِلُ دَامَ جَبِينُهُ عَابِدُ

ومما يخفق له قلبي استحساناً؛ قول الشريف:

ولمَّا التقينا دَلَّ قَلْبِي عَلَى الْجَوَى      دَلِيلَانِ حُسْنٍ فِي الْعَيُونِ وَطِيبُ  
وَلِي نَظْرَةٌ لَا تَمْلِكُ الْعَيْنُ أَحْتَهَا      مَخَافَةً يَثْنُوهَا عَلَيَّ رَقِيبُ  
وَهَلْ يَنْفَعَنِي الْيَوْمَ دَعْوَى بَرَاءَةٍ      لِقَلْبِي وَلَحْظِي يَا أُمِّمُ مُرِيبُ  
ودونه قليلاً؛ قوله:

جَعَلْتُ هَدْيَتِي فِيهِ نِظَامًا      صَقِيلًا مِثْلَ قَادِمَةِ السِّنَانِ  
بَعْفٍ فَاسِقَ اللَّحِظَاتِ شُمُّ      مَحَاسِنُهُ إِلَى مَعْنَى حِصَانِ

وأما قوله (٢٠)

كُنْتُ أَدَارِي كَبِيدِي      لَو تَرَكُوا لِي كَبِيدًا

فأخوذ؛ من قول أبي الطيب:

وَشَكَيْتِي فَقَدَ الرِّقَامَ لِأَنَّهُ      قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِي أَعْضَاءُ

ووضَّحه أبو الفتح البستي؛ بقوله:

وَلَوْ أَبْقَى فِرَاقَكَ لِي فُوَادًا      وَجَفْنَا كُنْتُ اجْرَعُ مِنْ سُهَادِ

وَلَكِنْ لَا رُقَادَ بِقَيْرِ جَفْنِ      كَمَا لَا وَجَدَ إِلَّا بِالْفُؤَادِ  
وما أحسن قول أبي عبادة:  
أُورِثْتَهُمْ نَدْمًا عَنْ غِبِّ مَا فَعَلُوا      إِنْ كُنْتُ أَبْقَيْتُ فِيهِمْ مَوْضِعَ النَّدَمِ  
وقال المؤمل بن أميل:  
وَقَدْ زَعَمُوا لِي أَنَّهَا نَذْرَتْ؛ دَمِي      وَمَالِي بِحَمْدِ اللَّهِ لَحْمٌ وَلَا دَمٌ

### وأما قوله (٢١)

وَأَنَّ حَدِيثَ النَّفْسِ بِالشَّيْءِ دُونَهُ      رِمَالُ النَّقَا مِنْ عَالِجٍ لِشَيْدِ

فَمِنْ قَوْلِ ابْنِ مِيَادَةَ<sup>(١)</sup>:

وَكَيْفَ تُرَجِّبُهَا وَقَدْ حَالَ دُونَهَا      بَنُو أَسَدٍ كُفْلَانُهَا وَشَبَابُهَا  
وقول عترة:  
كَيْفَ الْمَرَارُ وَقَدْ تَرَبَّعَ أَهْلُهَا      بِعُنَيْرَتَيْنِ؛ وَأَهْلُنَا بِالْعَلِيمِ  
وقول لييد:  
بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نُوَارٍ وَقَدْ نَأَتْ      وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وَرِمَامُهَا  
حَلَّتْ بِفَيْدٍ وَجَاوَزَتْ مَرِيَّةً      أَرْضَ الْحِجَازِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا  
وقول حبيب:  
كَيْفَ أَرْجُو لِقَاءَ سَاكِنِ مَضَرَ      بِدَمَشْقِي؛ لَقَدْ رَجَوْتُ ضَلَالَا  
مَثَلْتُهُ الْمُنَى لِعَيْبِي وَفِكْرِي      وَلِقَلْبِي حَتَّى قَبِلْتُ الْمُحَالَا  
وقول البحتري:

(١) الرماح بن أبرد الذبياني النطفاني عاصر الدولة الأموية والعباسية ومدح أمراءها، واشتهر بهجاء الشعراء ويقال أنه أشعر من النابغة الذبياني.

تَمَنِّيْتُ لَيْلَى بَعْدَ فَوْتِ وَإِنَّمَا      تَمَنِّيْتُ مِنْهَا حُطَّةً لَا أَنَالَهَا  
وقوله:

وَمَا ذِكْرُ الْأَحْبَةِ مِنْ نَيْبِ      وَبَلَدَحٍ؛ غَيْرَ تَضْلِيلِ الْأَمَانِي  
وَدُونَ لِقَائِهَا لِجَفَافِ شَهْرِ      وَسَبْعَ لِلْمَطَايَا أَوْ تَمَانِي  
وقول الآخر:

تَذَكَّرُ مَا تَذَكَّرُ مِنْ سُلَيْمَى      عَلَى حِينِ السَّوَابِلِ غَيْرَ دَانِي  
وقول أبي الطيب:

أَجِنُّ إِلَى أَهْلِي وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ      وَأَيِّنْ مِنَ الْمُشْتَاكِ عَنَقَاءَ مُغْرِبِ  
وما أنشده بن الأعرابي<sup>(١)</sup>؛ في نوادره؛ لجابر بن دالان الطائي؛ وهو:

يُرَجِّى الْمَرْءُ مَا إِنْ لَا يَرَاهُ      وَتَغْرِضُ دُونَ أَدْنَاهُ الْحُطُوبُ  
وأنشد ابن خلكان؛ لابن الخياط<sup>(٢)</sup>؛ المتوفي سنة ٥١٧هـ:

تَمَنِّيْتُهُمْ بِالرَّقْمَتَيْنِ وَدَارُهُمْ      بِوَادِي النَّصَا يَا بَعْدَ مَا أَمْنَاهُ  
وقال:

أَمْنِي النَّفْسَ وَضَلًّا مِنْ سَعَادِ      وَأَيِّنْ مِنَ الْمُنَى دَرَكُ الْمُرَادِ  
وعكسه التُّهَامِي؛ واجاد في قوله:

أَهْتَرُّ عِنْدَ تَمَنِّي وَضَلَّهَا طَرِبًا      وَرُبَّ أَمْنِيَّةٍ أَحْلَى مِنَ الظَّفَرِ  
وزعم صاحب الخزانة<sup>(٣)</sup>؛ أن هذا المعنى؛ موجود في قول كعب:

(١) هو أبو عبد الله محمد بن زياد بن الإعرابي، إمام في اللغة والنحو وصاحب الكسائي والاصمعي؛ وله مؤلفات كثيرة؛ وكان صاحبة سنة واتباع؛ مات سنة ٢٣١هـ.

(٢) ابن الخياط الدمشقي؛ اشتهر بالشعر ومدح الملوك والأمراء وكان في عصره اشعر الشاميين بلا خلاف توفي سنة ٥١٧هـ.

(٣) كتاب خزانة الأدب.

أَرْجُو وَأُمِّلُ أَنْ تَذُنُو مَوَدَّتْهَا وَمَا أَحْأَلُ لَدَيْنَا مِنْكَ تَنْوِيلُ  
وسيعاد بيت التهامي تقريباً؛ تحت نقد البيت ٢٥.

### وأما قوله (٢٢)

وَجَدُّوَا وَمَا جَادُّوَا وَمَحْقَب  
لَلْوَمِ مِنْ أُنْرَى وَلَمْ يَجِدْ

فمن قول الشافعي:

إِنَّ الَّذِي رُزِقَ الْيَسَارَ وَلَمْ يُصِبْ  
وَقَوْلِ الْبُحْتَرِيِّ:

وَوَاجِدُ مَالٍ أَعْوَزْتُهُ سَحِيَّةً  
وَقَوْلُهُ:

إِذَا مَا الْفَتَى اسْتَعْنَى فَلَمْ يُعْطِ نَفْسَهُ  
وَقَوْلُهُ:

جِدَّةٌ وَلَا جُودٍ وَظَالِبٌ بُغْيَةٌ  
فِي الْبَاخِلِينَ وَبَغْيَةٌ لَا تُوجِدُ  
وَدَعَا اللَّجِينَ قُلُوبَهُمْ وَالْعَسْجِدُ  
وَقَوْلُهُ:

مُنِيرٌ وَقَلَّ غَنَاءُ ثَرْوَتِهِ  
عَنْ عَامِدٍ لِنَدَاهُ يَنْتَجِمُهُ  
الْبَحْرُ تَمَنَعُهُ مَرَارَتُهُ  
مِنْ أَنْ تَسُوغَ لِشَارِبٍ جَرَعُهُ  
وَالثَّانِي؛ مِثْلُ قَوْلِهِ؛ مِنَ الْآخَرَى:

جِدَّةٌ يَذُودُ الْبُحْلُ عَنْ أَظْرَافِهَا  
كَالْبَحْرِ يَذْفَعُ مِلْحَهُ عَنْ مَائِهِ  
وَأَصْلُ هَذَا الْمَعْنَى؛ لِلْفَرَزْدَقِ؛ فِي قَوْلِهِ:

عَنْ الشَّرْبِ؛ مِنْهُ مِلْحُهُ وَأَجَاجُهُ  
فَتَى مَالُهُ كَالْبَحْرِ يَمْنَعُ صَادِيئاً

ومن مأخذ بيت الشريف؛ قول البحري أيضاً:

إذا المرء لم يجعل غناه ذريعةً إلى سُودِدٍ؛ فأجعل غناه من العدم  
وقوله:

حلّ الثراء إذا أخزت مقبته وقول ابن الرومي:

أرى المال أضحى للجواد مراقياً وتلك المراقي للبخيل مهابط  
وقوله؛ يهجو آل وهب:

لئن نلتُموا منها حظوظاً لقد عدتْ نفوسكم مذمومةً في المشاهدِ  
كسوتُم جنوباً منكم لبسة العلى وعريتُموها عن لباس المحامدِ  
لكم نعمة أضحت يضيق صدوركم مبرةً من كل مثنٍ وحامدِ  
كسبتُم يساراً واكتسبتُم بيخلكم سناراً عليكم باقياً غير بائدِ  
وكان عليه أن يُبدل العلى؛ في عروض الثاني؛ بالغنى؛ لأن ذكر العلى؛ لا  
يناسب هنا؛ ما لم يقصد التصنع؛ ولكنه بعيد.

وقوله؛ يهجو العلاء بن صاعد:

تسرّبتُم النعماء فطال عثاركم بأذيالها واسودّ منكم نضوعها  
وقوله؛ لابن بلبل<sup>(١)</sup>:

رُوِّجتْ نَعْمَى لَمْ تَكُنْ كُفْرُهَا فَصَانَهَا اللَّهُ بِتَطْلِبِي  
وقوله؛ له:

(١) الوزير إسماعيل بن بلبل الشيباني كان أحد الشعراء والبلغاء والأجواد الممدوحين وزيراً للمعتد وكان في رتبة الملوك ولما ولي العهد المعتضد قبض عليه وعذبه حتى مات في سنة

وللاؤعادِ أَمْوَالٍ تَرَاهَا      مَصُونَاتٍ بِأَعْرَاضٍ مُذَالَّةٍ  
وقول أبي الطيب:

يَجْزِي الْغِنَى لِلنَّامِ لَوْ عَقَلُوا      مَا لَيْسَ يَجْزِي عَلَيْهِمُ الْعَدَمُ  
هُمُ لِأَمْوَالِهِمْ وَلَسُنَّ لَهُمُ      وَالْعَارُ يَبْقَى وَالْجَرْحُ يَلْتَمِمْ  
وقال حاتم الطائي؛ من قبل:

إِذَا كَانَ بَعْضُ الْمَالِ رَبًّا لِأَهْلِهِ      فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ؛ مَالِي مُعَبَّدُ  
وقال أبو نواس:

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ      فَإِذَا انْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكَ

وهذا كلام عليه مسحة من التوفيق؛ ولكن بشرط؛ أن يكون الإنفاق؛ في سواء الطريق؛ وقد جاء في الحديث: «ليس لك من مالك؛ إلا ماكلت فأفانيت؛ أو لبست فأبليت؛ أو تصدقت فأبقيت» أخرجه بنحو هذا اللفظ؛ أحمد، ومسلم، والترمذي، وغيرهم.

وقال ابن الرومي:

مِمَّا حَفِظْنَا مِنْ أَمْثَالِ حِكْمَتِهِ      لَا يَمْلِكُ الْمَالُ إِلَّا كَفًّا بَادِلُهُ  
وقال طرفة<sup>(١)</sup>:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ يُكْسِبُ أَهْلَهُ      فُضُوحًا إِذَا لَمْ يُعْطَ مِنْهُ نَوَاسِبُهُ  
أَرَى كُلَّ مَالٍ لَا مَحَالَةَ ذَاهِبًا      وَأَفْضَلُهُ مَا أَوْرَثَ الْحَمْدَ كَاسِبُهُ

وقال عمر بن الاثم المنقري<sup>(٢)</sup>:

(١) طرفة بن العبد شاعر جاهلي من شعراء المعلقات عاش حياة لاهية وهجاء ملك الحيرة عمرو ابن هند فوجد مقتولاً.

(٢) أحد السادات والشعراء والخطباء في الجاهلية والإسلام وفد على الرسول ﷺ فأسلم وشارك في فتح فارس وتوفي في خلافة معاوية.

دَرِيضِي فَإِنَّ الْبُخْلَ يَا أُمَّ هَيْئِمِ  
فَإِنِّي كَرِيمٌ ذُو عِيَالٍ تُهْمِيئِي  
وَكُلُّ كَرِيمٍ يَتَّقَى الدَّمَ بِالْقِرَى  
لَعَمْرُكَ مَا صَافَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا  
لِصَّالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ  
نَوَائِبِ يَنْشَى رِزْءَهَا وَحَقُوقُ  
وَلِلْخَيْرِ بَيْنَ الصَّالِحِينَ طَرِيقُ  
وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضْبِقُ

وما أرى شوقي؛ إلا متوكلناً عليه؛ في المعنى؛ الذي أفرغه في قوالب من شعره؛ منها قوله السائر البديع:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت  
فإن هُموا ذهبَت أخلاقُهُم ذهبوا  
وما أصدق؛ فيما يقارب قول أبي الطيب؛ وما بعده؛ من قول حبيب؛ يذكر  
حائماً:

فَتَى ذَخْرُ الدُّنْيَا أَنَسٌ فَلَمْ يَزَلْ  
لَهَا بَازِلًا فَانظُرْ لِمَنْ بَقِيَ الذُّخْرُ

### وأما قوله (٢٣)

أَمَا كَانَ فِيكُمْ مُجْمِلٌ أَوْ مُجَامِلٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيكُمْ أَعْرَ جَوَادٌ

فإنه بيت وسيم، جميل التقسيم؛ ولكنه؛ مأخوذ من قول أبي تمام:  
وَلَوْ شِئْتُ لَمَّا التَّائِبُ بِرِي عَلَيْهِمْ  
وقول أبي فراس:

لَقَدْ قَلَّ أَنْ تَلْقَى مِنَ النَّاسِ مُجْمِلًا  
وَأَخْشَى قَلِيلًا أَنْ يَقْلَّ الْمُجَامِلُ  
فقد حقق الشريف ما تفرسه؛ وأشار إلى ما كان يخشاه؛ مع تقارب الأيام؛  
وأعجب به؛ فاكتر منه في قصائده كقوله:

وَقُلْ لِلْبَالِي جَامِلِي أَوْ تَجَامِلِي  
فَلَمْ يَبْقَ فِي قَوْسِ الْمَقَادِيرِ مَنْرَعُ  
وقوله:

مَالِي أَرِيدُ النَّصْفَ مِنْ مُتَجَامِلِ  
أَوْ اظْلُبُ الْإِجْمَالَ عِنْدَ حُسُودِ

وقال الخليل النامي؛ وهو من شعراء اليتيمة<sup>(١)</sup>:

يَا هَذِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِكَ نَائِلٌ      فَعَدِّي وَإِنْ لَمْ تَجْمَلِي فَتَجْمَلِي

وقال بن هانيء الأندلسي؛ فيما يناسب عجز البيت:

وَطَفِقْتُ أَسْأَلُ عَنْ أَعْرُ مُحَجَّلٌ      فَإِذَا الْأَنَامُ جِبْلَةٌ دَهْمَاءُ

ولا يخلو البيت؛ عن شيء من النظر؛ إلى قول بشار:

وَلَا بَدَّ مِنْ شَكْوَى إِلَى ذِي مُرْوَةٍ      يُوَاسِبُكَ أَوْ يُسَلِّبُكَ أَوْ يَتَوَجَّعُ

وقول البحري:

أَلَا يَكُنْ كُثْرٌ فَقُلْ أُعْطِيَّةٌ      يَبْغِي بِهَا بَاغِي الرِّضَا بَعْضَ الرِّضَا  
أَوْ لَا تَكُنْ هِبَةً فَفَرَضُ يُسْرَتِ      أَسْبَابُهُ فَكَوَاهِبُ مَنْ اقْرَضَا

وقول ابن الرومي:

يَا أُخِي هَبْكَ لَمْ تَهَبْ لِي مِنْ سَعِيدِ      كِ حِظًّا كَسَائِرِ الْبُخْلَاءِ  
أَفَلَا كَانَ مِنْكَ رَدٌّ جَمِيلٌ      فِيهِ لِلنَّفْسِ رَاحَةٌ مِنْ عَنَاءِ

وقول أبي الطيب:

إِنَّا لَفِي زَمَنِ تَرَكُ الْقَبِيحِ بِهِ      مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالٌ

وقوله: فَجَاؤُوا بِتَرْكِ الدَّمِ إِنْ لَمْ يَكُنْ حَمْدُ<sup>(٢)</sup>؛ وقوله:

نَمَنَيْتَهَا لَمَّا تَمَنَيْتَ أَنْ تَرَى      صَدِيقًا فَأَعْيَا أَوْ عَدُوًّا مُدَاجِيَا

والضمير في تَمَنَيْتَهَا؛ يعود على المنايا؛ في بيت قبله؛ ومن الغايات؛ فيما

لا يبعد عن الموضوع قول أبي العتاهية:

(١) ربما قصد يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر؛ أشهر مؤلفات أبي منصور الثعالبي والذي ترجم فيه لشعراء عصره.

(٢) وَمِنِّي اسْتَفَادَ النَّاسُ كُلُّ غَرِيبَةٍ      فَجَاؤُوا بِتَرْكِ الدَّمِ إِنْ لَمْ يَكُنْ حَمْدُ



بَسَطْتُ كَفِّي نَحْوَكُم سَائِلًا      مَاذَا تَرُدُونَ عَلَيَّ السَّائِلِ  
 إِنَّ لَمْ تُنِيلُوهُ فَقُولُوا لَهُ      قَوْلًا جَمِيلًا بَدَلَ النَّائِلِ  
 أَوْ كُنْتُمْ الْعَامَ عَلَيَّ عُسْرَةً      مِنْهُ فَمَنْوُهُ إِلَى قَائِلِ

### وأما قوله (٢٤)

مَا مُقَامِي عَلَى الْجَدَاوِلِ أَرْجُوهُ      سَائِلِي وَقَدْ رَأَيْتُ الْبِحَارَا

فقد كفى الأستاذ<sup>(١)</sup>؛ مؤونة التعريف بما ذكر؛ أنه من قول أبي الطيب:  
 وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِيَا<sup>(٢)</sup>؛ وأقول: إن مثله قوله: كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالْمُلُوكُ  
 جَدَاوِلُ<sup>(٣)</sup>؛ وقوله:

تَرَكْتُ دُخَانَ الرَّمِّثِ فِي أَوْطَانِهَا      طَلِبًا لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْعَنْبَرَا  
 وقوله:

كَرِيمٌ لَفَظْتُ النَّاسَ لَمَّا لَقِيْتَهُ      كَأَنَّهُمْ مَا جَفَّ مِنْ زَادٍ قَائِمِ  
 والأصل؛ قول الأخطل:

وَإِذَا عَدَلْتَ بِهِ رَجَالًا لَمْ تَجِدْ      فَيُضِرُّ الْفُرَاتِ كَرَاشِحِ الْأَوْسَالِ  
 وقال أبو نواس:

مَنْ قَاسَ غَيْرَكُمْ بِكُمْ      قَاسَ الثَّمَادَ إِلَى الْبُحُورِ  
 وقال البحترى:

وَلَمْ أَر فِي رَنَقِ الصَّرَى لِي مَوْرِدًا      فَحَاوَلْتُ وَرَدَ النَّيْلِ عِنْدَ اِحْتِفَالِهِ

(١) زكي مبارك.

(٢) قواصد كافور توارك غيره.

(٣) أرى كل ذي جود اليك مصيره.

ومن قصد البحر استتقل السواقيا.

كأنك بحر والملوك جداول.

وقال ابن الرومي:

لَا حَظَّ رِفْدَكَ عِنْدَ إِزْفَادِ الْوَرَى      فَرَأَيْتُهُ كَالَيْمٍ عِنْدَ سَوَاقِي

وفضل الإجابة فيه؛ للمتبي؛ وعليه قول بن هانيء الأندلسي:

إِنَّ الْمُلُوكَ وَإِنْ قَبِثَ إِلَيْكَ مَعاً      فَأَنْتَ مِنْ كَثْرَةِ بَخْرٍ وَهُمْ نَقْطٌ

وللشريف في المعنى؛ ما يرتفع عما أختاره الأستاذ؛ وإن لم يصل؛ إلى ما

انتهى إليه المتبي؛ وهو قوله:

إِذَا أَلْحَظْتَ مَاءً جَذَبْتُ زِمَامَهَا      وَقُلْتُ إِزْغَيْبِي بِالْقِلِّ عَنْ مَوْرِدِ ثَمْدِي

وفيه نظر؛ إلى قول حبيب:

وَلَوْ جَرَّبْتَنِي لَوَجَدْتَ خَرْقاً      بُصَافِي الْأَكْرَمِينَ وَلَا يُصَادِي

جَدِيرٌ أَنْ يُكِرَّ الظَّرْفَ شُرْزاً      إِلَى بَعْضِ الْمَوَارِدِ وَهُوَ صَادِي

وقوله<sup>(١)</sup>: في القسم الثاني من البيت؛ (لنيل) حَشُوْ مَذْمُومٌ؛ لأنَّ الكلام؛

تأم بدونه؛ وليس فيه ما يعود عليه؛ بحسن فائدة.

### وأما قوله (٢٥)

إِذَا قَبِثَ النَّسِيلَ حَطَّوْ التَّمْنَى      مَعَى النَّوْمِ فِي مُقَابِلَةِ النَّسَائِمِ

فمعناه: انه متى انتهت بالساهر الأمانى؛ وانقطعت أحاديث النفس؛ كان

عُقْبَى ذلك النوم؛ والمعهود: أن المكروب والعاشق؛ لا يقتنصان النوم؛ إلا

بأشباك التمني والتخيل؛ فما عدا؛ مما بدا؛ قال حبيب:

رَأَى الْخَيَالَ لَهَا؛ لَا بَلَّ أَرَاكَ      فَحَرُّ إِذَا نَامَ فَحَرُّ الْخَلْقِ لَمْ يَنَمِ

ظَبْنِي تَقَنُّضُهُ لَمَّا نَصَبْتُ لَهُ      فِي آخِرِ اللَّيْلِ اشْرَاكاً مِنَ الْحَلَمِ

(١) أي الشريف الرضي.

وقال البُخْتَرِيُّ:

أَطْلُبُ النَّوْمَ كَيْ يَمُودَ غَرَارُهُ      بِخَيَالٍ يَحْلُو لَدِيٍّ إِغْتِرَارُهُ  
وقال:

أَحْيَالٌ غُلُوَّةٌ كَيْفَ زُرْتُ وَعِنْدَنَا      أَرْقُ يُثِرُّدُ بِالْخَيَالِ الرَّائِرِ  
ومهما يكن من الأمر؛ فبيت الشريف؛ عالة على بيت حبيب؛ لأنه نظر إليه؛ فعكس بعض ما فيه؛ أما انقطاع الأمانى؛ فلا يكون إلا سبب القلق، وطول الأرق؛ غير أن الشريف؛ عمد إلى عكس الطبيعة؛ وقلب الموضوع، ومغايرة الناس؛ ولهذا استحق الانتقاد؛ من المعري؛ فيما أخال؛ بقوله:

كُذِبُ الْخَيَالِ كَمَا عَلِمْتَ مُحَبِّبٌ      وَكَرَى الْجُفُونَ عَلَى السُّلُوكِ دَلِيلُ  
على أن من الشداذ؛ من يجلب الإغتمام؛ له المنام؛ ومنهم الشريف في هذا البيت؛ نعم! نقل أبو حيان عن ابقراط؛ أنه قال: للقلب آفتان؛ وهما: الغم، والهجم؛ فالغم؛ يعرض منه النوم؛ والهجم يعرض منه السهر؛ وذلك أن الهجم فيه: فكر بالخوف مما سيكون؛ فمنه يغلب السهر؛ والهجم؛ لا فكر فيه؛ لأنه إنما يحدث؛ لما قد مضى وكان انتهى؛ ولو أن الشريف؛ أبدل (المنى)؛ بالفكر أو بالهجم؛ لدخل تحت هذا؛ أما الآن؛ فلا؛ وأما قول عبد الصمد بن المعدل؛ أو الحسين بن مطير:

فَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسِي عَلَى النَّأْيِ تَنْطَوِي      وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الصَّدِيقِ تَنَامُ  
فبابة<sup>(١)</sup> أخرى؛ لأنه من أَلِفِ المصائب؛ ومرونة النفس عليها؛ وانقياد الزمام لها؛ قال البخترى: اسَى كَثُرَتْ حَتَّى إِظْمَأَنَّ لَهَا النَّوَى؛ وللشريف بيت جميل في الطَّيْفِ وهو:

فَاعْجَبْ بِوَيْسُوفِ الْهَاجِعِينَ      وَتُحْرَمُهُ مُقْلَةُ السَّاهِرِ

(١) معنى البابة: خصلة أو صنف.

ولا يَأْبَى البيت الذي نحن فيه؛ أن يُحْمَلَ؛ ولكن بِتَكْرُهُ؛ على أن  
المكروب؛ يُنْفَسُ عن خاطره بالتمني؛ حتى إذا استراح بها؛ بعد طولٍ من الليل؛  
سار في مقلته النوم؛ فيكون إذن من المعهود؛ ويوافق قول الشاعر:

مَتَى لِرُذْحَمَتِ هُمُومِي فِي فُرَادِي      طَلَبْتُ لَهَا مَخَارِجَ التَّمَنِّي

وما أنشده ابن أبي قتيبة؛ لبعضهم؛ في معرض الشناء على الأمازي؛ من

قوله:

إِذَا تَمَنَيْتُ بِتُّ اللَّيْلَ مُغْتَبِطاً      إِنَّ الْمُنَى رَأْسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ

وكل ما قيل في المنى؛ لا يعد شيئاً مذكوراً؛ عند قول الحكم بن قنبر<sup>(١)</sup>:

ولولا إغْتِصَامِي بِالْمُنَى كُلَّمَا بَدَا      لِي الْيَأْسُ مِنْهَا لَمْ يَقُمْ بِالْهَوَى صَبْرِي  
ولولا إِنْتِظَارِي كُلَّ يَوْمٍ جَدَا عَدِ      لَرَأَحِ بِنَعْشِي الدَّافِنُونَ إِلَى قَبْرِي  
وَقَدْ رَأَيْتَنِي؛ وَهِيَ الْمُنَى وَانْقِبَاضُهَا      وَبَسَطَ جَدِيدَ الْيَأْسِ كَفِّهِ فِي صَدْرِي

والأخير؛ من البدائع؛ وقال ابن المعتز:

يُنَاجِيَنِي الْإِخْلَافُ مِنْ تَحْتِ مُظْلِهِ      فَتَخْتَصِمُ الْأَمَالُ وَالْيَأْسُ فِي صَدْرِي

وما أحسن؛ قول التهامي:

أَهْتَرُ عِنْدَ تَمَنِّي وَضَلَّهَا طَرَباً      وَرَبُّ أُمْنِيَةِ أَحْلَى مِنَ الظَّفَرِ

(١) هو الحكم بن محمد بن قنبر المازني، شاعر بصري ظريف من شعراء الدولة الهاشمية.

## المقالة الرابعة

## وأما قوله (٢٦)

لِحَا اللُّهُ دَهْرًا كَثِيرَ الْعَدْوِ      وَحَتَّى الظَّلَامِ يُعَادِي النَّهَارَا

فصدره؛ جار على ما درج عليه الشعراء؛ من التألم لكثرة الأعداء؛ وتوافر الحساد؛ وقد قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا...﴾<sup>(١)</sup>.  
وقال الكميت<sup>(٢)</sup>:

إِنْ يَخْسِدُونِي فَلِئَنِّي غَيْرُ لَائِمُهُمْ      قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا  
وقال عمر بن لجا<sup>(٣)</sup>؛ من قصيدة يمدح بها يزيد بن المهلب؛ وتمثّل به؛  
مُعَنُ بْنُ زَائِدَةَ لِلْمَنْصُورِ:

إِنَّ الْعِرَانِينَ<sup>(٤)</sup> تَلَقَّاهَا مُحَسَّدَةً      وَلَنْ تَرَى لِلنَّاسِ حُسَادًا  
وقال أبو الطيب:

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣١.

(٢) الكميت بن أسد الأزدي من أشهر شعراء العصر الأموي سكن الكوفة واشتهر بتشبعه وقصائده في هذا تسمى الهاشميات توفي سنة ١٢٦هـ.

(٣) عمر بن لجا (وقيل لحأ) التيمي، من بني تيم بن عبد مناة. من شعراء العصر الأموي اشتهر بما كان بينه وبين (جرير) من مفاخرات ومعارضات. وهو الذي يقول فيه جرير:  
أنت بن برزة منسوب إلى لحأ      عند العصاراة والعيلان تعتصر  
وبرزة أمه، مات بالأهواز.

(٤) العرنيين: أول كل شيء ويطلق أيضاً ما صلب من عظم الأنف وجمعه عرانيين والمعنى هنا: سادات القوم وأشرافهم.

عَدُوِّي كَلَّ شَيْءٍ فِيكَ حَتَّى لِحَلَّتْ الْأَكْمَمُ مُوْغِرَةَ الصُّدُورِ  
وكاف الخطاب؛ من قوله؛ (فيك) للدهر؛ وقال أيضاً:

إِذَا مَا النَّاسُ جَرَبَهُمْ لَبِيبٌ قَانِي قَدْ أَكَلْتُهُمْ وَذَاقَا  
فَلَمْ أَرِ وَدَّهُمْ إِلَّا خَدَاعاً وَلَمْ أَرِ دِينَهُمْ إِلَّا نِقَاقَا  
وقال:

فَلَا تَغْرُزُكَ أَلْسِنَةُ مُوَالٍ نَقَلِبُهُنَّ أُنْعِدَّةَ عَادِي  
وقال أبو فراس:

وَلَسْتُ أَرَى إِلَّا عَدُوّاً مُحَارِباً وَأَخْرَ خَيْرٌ مِنْهُ عِنْدِي الْمُحَارِبُ  
وقال أيضاً:

وَاعْظَمُ أَعْدَاءِ الرِّجَالِ يُقَاتُهَا وَأَهْوَنُ مَنْ عَادَيْتَهُ مَنْ تُحَارِبُ  
وذكروا؛ أنْ علويه<sup>(١)</sup>؛ غَنَى المأمون؛ بقول أبي لعتاهية:

عُنْبِيرِي؛ مَنِ الْإِنْسَانَ؟ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ صَفَى لِي؛ وَلَا إِنْ صِرْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ  
وَإِنِّي لَمُحْتَاجٌ إِلَى ظِلِّ صَاحِبٍ يَرُوقُ وَيَضْفُو إِنْ كَدِرْتُ عَلَيْهِ  
فطرب؛ وقال: خذ مني الخلافة؛ وهات لي هذا الصاحب.

وقد مر في نقد البيت ١٣؛ ماله مناسبة ببعض ما هنا؛ وكيف لا يتألم  
الشريف؛ لكثرة الحساد؛ وقد قال أبو الطيب:

وَكَيْفَ لَا يُحْسَدُ إِمْرَأٌ عَلِمَ لَهُ عَلَى كُلِّ هَامَةٍ قَدَمٌ  
وأما عجز البيت<sup>(٢)</sup>؛ فمن أمثال قوله؛ جل ذكره: ﴿...يُنْفِثِي أَيْلَ النَّهَارِ  
يَطْلُبُهُ حَيْثُ مَا...﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) مغني مشهور من تلاميذ إبراهيم الموصلي عاش في العصر العباسي واسمه علي بن عبد الله بن سيف ويكنى علويه أبا الحسن كان خفيف الروح كثير النوادر.

(٢) وحتى الظلام يعادي النهار. (٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

وقال البحرني:

إِذَا الْفَجْرُ وَالظُّلْمَاءُ حَزَمًا تَبَائِنَ يَحْرَقُ مِنْ جَلْبَابِهَا مَا تُرْقَعُ

وقال المعري:

بَجْنِي تَرَابِدَ هَذَا مِنْ تَقَاصِرِ دَا وَاللَّيْلُ إِنْ طَالَ غَالَ الْيَوْمَ بِالْقِصْرِ

فلئن سبق الشريف؛ فللمعري حُسْنُ الْإِتْبَاعِ؛ وإلا؛ فله الطرفان؛ ولا يبعد أن يدخل ما نحن فيه؛ تحت قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ، ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيُصْرَهُ اللَّهُ إِنَّ إِلَهَ اللَّهِ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ (٦٠) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾.

ووجهه؛ أن الإشارة بذلك؛ إلى نصر المبغى عليه؛ وقد فسره بالإيلاج؛ كما عبّر عنه في سورة الزمر بالتكوير<sup>(٢)</sup>؛ فكأنَّ الجديدين<sup>(٣)</sup> يتظالمان؛ وكلما بغى أحدهما على الآخر؛ كورّه عليه؛ ولا يغبر عليه زمن الاستواء؛ لأنه قليل؛ ولا يُشوشُ على شيء من هذا؛ قولهم: إنَّ الليل والنهار أخوان؛ لأنها؛ أخوةٌ تقابل؛ لا أخوة تراحم؛ والله أعلم.

### وأما قوله (٢٧)

وَكَيْفَ يَحْمُ فِي تَلَدٍ صَلَاةً وَكُلُّ بَقَاعِهِ قِبَلِ الْفُجُورِ

فالظاهر من معناه؛ أن الشيء لا يصلح إلا فيما يناسبه؛ فهو إذن؛ مثل قول

زهير:

(١) سورة الحج، الآيتان: ٦٠ - ٦١.

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَقَّ يَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَسَحَرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَنِيُّ﴾ سورة الزمر، الآية: ٥.

(٣) الليل والنهار.

وَهَلْ يَنْبُتُ الْحَطْبِيُّ إِلَّا وَشَيْبَةً وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ  
وقول الفرزدق:

اتْرُجُّوا رُبَيْعُ أَنْ بَحِيءَ صِفَارُهَا بِخَبِيرٍ وَقَدْ أَعْيَى رُبَيْعاً كِبَارُهَا  
وقد جاء في أمثالهم: متى كان الداء في الرأس؛ فأين العافية للبدن؛ وقال  
يزيد بن محمد المهلبي<sup>(١)</sup>:

فَمَنْ كَانَ لِلْأَثَامِ وَالذُّلِّ أَرْضَهُ فَأَرْضُكُمْ لِلْعِمْرِ وَالْأَجْرِ مَعْقِلُ  
وفيما قاله الشريف؛ يأس وبروده؛ مع أن العزم؛ هو المفتاح؛ وصِدْقُ  
الطلب؛ مَطِيَّةُ النجاح؛ وقد قال أبو حَيِّه النُميري:

وَقُلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ وَاسْتَعْمَلَ الصِّدْقَ إِلَّا فَارَ بِالظَّفْرِ

على أنه لا يعثر التمثيل<sup>(٢)</sup>؛ بطائل من القبول؛ إلا لو انحصرت صحة  
الصلاة؛ على وقوعها في المساجد؛ كما في بعض الأديان؛ أما وقد جعلت  
الأرض مسجداً؛ فلا؛ ولاكرامة؛ فهذا البيت بغير الإسلام؛ أنسب؛ أما عندنا؛  
فلا يقبل ولا يحسب؛ على أن الضرورات تبيح المحظورات؛ ومن القواعد: أنه  
متى ضاق الأمر إتسع؛ وما فساد الصلاة بالنجاسة؛ من المُجْمَع عليه؛ وإن فيه  
عند المالكية لتوسعة؛ إلا أن يقال: أن الصحة والتمام شيء آخر؛ فقد يكون إذن؛  
ولكنه معنى تافه؛ لا يكون له في جنب ما ذكرنا من نظائره شأن؛ وقد اختلف  
الأصوليون؛ في الخارج من الأرض المنصوبة؛ أهو آتٍ بواجب؛ أو متلبس  
بحرام؛ وإنما خص الصلاة؛ لأنها العماد؛ وعليها يدور الخير والفساد؛ وقد قال  
تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾<sup>(٣)</sup>. وأخرج الأمام أحمد

(١) من ولد المهلب بن أبي صفرة وزير لمعز الدولة البويهبي، وكان سرياً جواداً ممدحاً كامل  
السؤدد مقرباً للعلماء، وكان أديباً مترسلاً بليغاً شاعراً وزير لمعز الدولة سنة ٣٣٩هـ ثم وزير  
للمطيع ولقبوه ذا الوزارتين توفي سنة ٣٥٢ هجرية ببغداد.

(٢) أي التمثيل الذي ذهب إليه الشريف في هذا البيت.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.



بسند جيد؛ أنه قيل لرسول الله ﷺ: إن فلاناً يصلي؛ وإذا كان من آخر الليل سرق؛ فقال: «أما أنه سينهاه ما تقول»<sup>(١)</sup>؛ وقال حبيب:

مِثْلَ الصَّلَاةِ إِذَا أُقِيمَتْ أَضَلَّحَتْ      مَا بَعْدَهَا مِنْ سَائِرِ الْأَعْمَالِ  
ولا يخلو البيت من نظر؛ إلى قول ابن هانئ:

فَتَى كَانَ مَسْعَى مِنْ مَسَاعِيهِ قِبْلَةً      يُصَلِّي إِلَيْهَا كَلُّ حَافٍ وَنَاعِلٍ  
وقول المتنبى:

أَرَوْضُ النَّاسِ مِنْ خَوْفٍ وَتُرْبٍ      وَأَرْضُ أَبِي شَجَاعٍ مِنْ أَمَانٍ<sup>(٢)</sup>

### وأما قوله (٢٨)

وَمَا فَحْرُ الْعَفِيفِ الْجَنِيمِ      إِنْ فَسَقَتْ سَرَائِرُهُ

فمن قول أبي الطيب:

وَإِطْرَاقُ ظَرْفِ الرَّأْسِ لَيْسَ بِنَافِعٍ      إِذَا كَانَ ظَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرِقٍ

وريت أبي الطيب هذا؛ من حديث ابن الخطاب؛ فلقد بَصُرَ برجل؛ يبالح في إطراق رأسه؛ وهو يصلي؛ فقال له: نَعَمْ هذا! لو كان في قلبك؟ ومر ما يناسبه في نقد البيت (١٩)؛ وفي النهج<sup>(٣)</sup>: من أصلح سريره؛ أصلح الله علانيته؛ ومن عمل لدينه؛ كفاه الله أمر دنياه؛ ومن أحسن فيما بينه وبين الله؛ أحسن الله؛ ما بينه وبين الناس. وقال أبو دلالة:

قَدْ جَفَانِي الْأَمِيرُ كَيْ أَتَقَرَّى      فَتَقَرَّاتُ مَكْرَهَا لِبَجْفَائِي

(١) عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله إن فلاناً يصلي الليل كله فإذا أصبح سرق قال: سينهاه ما تقول» صحيح ابن حبان: ٣٠٠/٦، برقم: ٢٥٦٠، وقال الألباني: صحيح.

(٢) أروض يقصد بها جمع أرض؛ ويقصد بالناس هنا الملوك والمعنى أن أرض الملوك مخلوقة من الخوف والتراب ويمدح أبي شجاع بالأمان في أرضه.

(٣) كتاب نهج البلاغة وهو ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام.

وَالَّذِي انْطَوَى عَلَيْهِ الْمَعَاصِي      عَلَّمَ اللَّهُ نَبِيَّيَ مِنْ سَمَائِهِ  
وقال البحرني:

لَا أَحْفَلُ الْأَشْبَاحَ حَتَّى أَرَى      بَيَانَ مَا تَأْتِي بِهِ الْأَفْعِدَّةُ  
وفي الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»<sup>(١)</sup>. ومما يختار للشريف؛ قوله:

نَمَّ انْتَنَيْنَا وَقَدْ رَابَتْ ظَوَاهِرُنَا      وَفِي سَرَائِرِنَا بُعْدٌ عَنِ الشُّهُمِ  
وقوله:

أَجِنُّ وَلَا يُرْمَى حَنِينِي بِثُهِمَةٍ      وَادْنُو وَلَا يُغْرِي دُنُوِي لِمَائِمِ  
إِلَى كَمْ تَصْبَانِي الْعَوَانِي وَبَيْنَهَا      وَبَيْنِي عَفَافٌ مِثْلَ طَوْدٍ يَلْمَلِمِ  
وَأَنِّي لِمَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ خُلُوءٍ      نَقِيَّ الْهَوَى وَالْقَلْبَ وَالْعَيْنِ وَالْفَمِ  
وَعِيرِي إِلَى الْفَحْشَاءِ إِنْ عَرَضَتْ لَهُ      أَشَدُّ مِنَ الذُّوْبَانِ عَذْوًا عَلَى الدَّمِ  
وقوله:

يَقُولُونَ مَشْغُوفَ الْفُؤَادِ مُوَلِّعٌ      وَمَشْغُوفَةٌ تَدْعُو بِهِ فَيَجِيبُ  
وَمَا عَلِمُوا أَنِّي إِلَى غَيْرِ رِنْبَةٍ      بِقَاءِ اللَّيَالِي نَفْتِدِي وَنَوْبُ  
عَفَافِي مِنْ دُونَ التَّقِيَّةِ زَاجِرٌ      وَصَوْنِكَ مِنْ دُونَ الرَّقِيبِ رَقِيبُ  
عَشِيقْتُ وَمَالِي يَغْلُمُ اللَّهُ حَاجَةً      سِوَى نَظْرِي؛ وَالْعَاشِقُونَ ضُرُوبُ

أما فقهاؤنا؛ فمصرِّحون بحرمة الخلوة؛ بين الأجنبي والأجنبية؛ وقال ابن حجر؛ في شرحه على المنهاج؛ رأيت النووي في شرح مسلم؛ يقول: تجلُّ خلوة

(١) نص الحديث: عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» رواه مسلم.

جماعة؛ يَتَعَدُّ تَوَاطُؤُهُمْ عَلَى الْفَاحِشَةِ؛ لِنَحْوِ صِلَاحٍ؛ أَوْ مَرُوءَةٍ؛ بِأَمْرَاءَةٍ؛ لَكِنَّهُ حِكَاةٌ فِي الْمَجْمُوعِ؛ حِكَايَةُ الْأَوْجُهِ الضَّعِيفَةِ؛ وَاعْتِمَادُهُمْ بَعْضُهُمْ؛ عِنْدَ الْقَطْعِ؛ بِانْتِفَاءِ الرِّيْبَةِ مِنَ الْجَانِبِينَ؛ وَفِي صَفْحَةِ ١٠٧ مَجْلَد ٤؛ مِنْ فِتَاوَى ابْنِ حَجْرٍ مَا نَصَّهُ: قَالَ الْإِثْمَةُ: وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الدَّارِ إِلَّا بَيْتٌ وَصَحْنٌ؛ لَمْ يَسَاكِنُهَا؛ وَلَوْ مُحْرَمًا؛ إِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا حَائِلٌ؛ وَهُوَ قِضِيَّةُ آيَةِ الْإِسْتِثْنَانِ؛ وَالتَّفْرِيقِ فِي الْمَضَاجِعِ.

### وَأَمَّا قَوْلُهُ (٢٩)

مَنْ يَغَشَّقَ الْعِرْزَ لَا يَرْتُو لَغَايَةَ      فِي رَوْقِ الصَّفْوِ مَا يُغْنِي عَنِ الْكَدْرِ

فصدره؛ مأخوذ من قول حبيب:

وَمَنْ كَانَ بِالْبَيْضِ الْكَوَاعِبِ مُغْرَمًا      فَمَا زِلْتُ بِالْبَيْضِ الْقَوَاضِبِ مُغْرَمًا  
وقول أبي الطيب:

تَرُوقُ بَنِي الدُّنْيَا عَجَائِبُهَا وَلِي      فُوَادٌ بِبَيْضِ الْهِنْدِ لَا يَبِيضُهَا مَغْرَى  
وقوله:

وَعَبِيرُ فُوَادِي لِلغَوَانِي رَمِيَّةٌ<sup>(١)</sup>      وَعَبِيرُ بَنَانِي لِلرُّجَاجِ رِكَابٌ  
تَرَكْنَا لِأَطْرَافِ الْقَنَا كُلِّ شَهْوَةٍ<sup>(٢)</sup>      فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بِهِنَّ لَعَابٌ  
وقال تَابِطُ شَرًّا<sup>(٣)</sup>:

وَلَا أَقُولُ إِذَا مَا حُلَّةٌ صَرَمَتْ      يَا وَنِجَ نَفْسِي مِنْ شَوْقِي وَإِشْفَانِي  
لَكِنَّمَا عَوْلِي إِنْ كُنْتُ دَا عَوْلٍ      عَلَى بَصِيرِ بَكْسِبِ الْحَمْدِ سَبَاقِي

- (١) الرمية: الطريدة التي ترمى والمعنى ان كل قلب غير قلبي هو هدف لعشق النساء وكل أصعب غير أصبعي هو ماسك لزوجاج إناء الخمر.  
(٢) تركنا كل شهوة ولذة ملاعبة إلا الملاعبة بالسيوف والرماح.  
(٣) هو أحد شعراء الجاهلية الصعاليك واسمه ثابت بن جابر الفهمي القيسي.

سَبَّاقُ حَيَاتٍ مَجْدٍ فِي عَشِيرَتِهِ      مُرْجِعُ الصَّوْتِ مَدًّا بَيْنَ أَرْفَاقِ  
 حَمَّالِ الْوَيْةِ شَهَادِ أَنْدَلِيَّةِ      قَوْلِ مُحْكَمَةِ جَوَابِ آفَاقِ  
 وهو غير مقبول؛ ولا سيمًا مع الأطلاق؛ إذ العشق يُهْدَبُ الطباع، وَيَسْجَعُ  
 الجبان، ويطلق من يد البخيل؛ قال الأحوص<sup>(١)</sup>:

الْحُبُّ شَجَعَ قَلْبَ كُلِّ فَرَوْقَةٍ      وَالْحُبُّ حَمَلَ عَاجِزًا مَا طَاقَا  
 وقال:

وَيَرْتَاخُ لِلْمَعْرُوفِ فِي طَلَبِ الْعُلَى      لَتُحْمَدَ يَوْمًا عِنْدَ لَيْلَى شَمَائِلُهُ  
 فالحب؛ إذن؛ من وسائل الشرف، ومدارج المجد؛ وفي العود الهندي؛ ما  
 يشفي الغليل، ويكفي للتفصيل؛ وما أحسن قول أبي فراس:

وَلَا تَمْلِكُ الْحَسَنَاءُ قَلْبِي كُلَّهُ      وَإِنْ مَلَكَتْهَا رَوْقَةٌ وَشَبَابُ  
 فلقد جاء مقبولاً؛ إذ لم يترك لغيرها؛ إلا فُضُولاً؛ أما قول أبي تمام:

يَصِدُّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ سُوْدِدِ      وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عَذْرَاءَ نَاهِدِ  
 فإنما هو؛ مثل قول كثير:

إِذَا مَا أَرَادَ الْعَزْوَ لَمْ يُثْنِ هُمُهُ      كِعَابٌ عَلَيْهَا نَظْمٌ دُرِّي زَيْنَتُهَا  
 نَهْتُهُ؛ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عَاقُهُ      بَكَتْ؛ فَبَكَى مِمَّا شَجَّاهَا قَظِينَتُهَا  
 وأما قول ابن الرومي:

فَتَى هَاجَرَ الدُّنْيَا وَحَرَّمَ رِيْقَهَا      وَمَا رِيْقُهَا إِلَّا الرَّحِيقُ الْمُورِدِ  
 أَبَاهَا وَقَدْ عَنَّتْ لَهُ فِي بَنَاتِهَا      كَوَاعِبَ يُضْبِئِنَ الْحَلِيمَ وَنَهْدِ  
 فَلَوْنٌ مِنَ الزَّهْدِ، وَطَرِيقٌ مِنَ التُّسْكِ؛ ومع ذلك؛ فهو عالة على ما قدمناه؛

(١) هو عبد الله بن محمد الأنصاري من شعراء العصر الأموي ومن أهل المدينة سمي الأحوص  
 لضيق عينه كان شاعراً هجاءاً ومعاصراً لجرير والفرزدق.

وأخر المقالة الثانية؛ من قول معن بن أوس<sup>(١)</sup>:

تَجَافَى عَنِ الدُّنْيَا وَقَدْ فَتَقَّتْ لَهُ خَوَاصِرَهَا وَاسْتَقْبَلَتْهُ مُثُونُهَا

وما سمعت في الجفاء بالأم؛ من قول حبيب:

يَرَى بِالكِعَابِ الرَّوْدَ طَلَعَةَ ثَائِرٍ وَبِالعِرْمِيسِ<sup>(٢)</sup> الوَجْنَاءِ غُرَّةَ آيِبِ

وقول أبي الطيب؛ المبني عليه:

أَلَا كُلُّ مَاشِيَةِ الحَايِرِ لِي<sup>(٣)</sup> فِدَى كُلِّ مَاشِيَةِ الهَيْدَبَا

وحاصله أنه يفدي النوق؛ بالغواني؛ ويقرب منه؛ في اللؤم؛ قوله:

أَلَا خَدَّدَ اللُّهُ وَرَدَّ الخُدُودُ وَقَدْ قُدُودَ الحَسَانَ القُدُودُ

وأما عجزه<sup>(٤)</sup>؛ فقد سلخ فيه قول أبي الطيب؛ في طلعة الشمس ما يغنيك

عَنْ رُحْلِ<sup>(٥)</sup>؛ وقد أنعمت النظر؛ لوجه المناسبة؛ بين القسمين؛ فما ظهر لي:

والعزّ تعب؛ لا ينال بعفو؛ وفي طرقة مشقة؛ فلا يقال صفو؛ وقد قال أبو

الطيب:

تَصَفُّو الحَيَاةَ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ عَمَّا مَضَى مِنْهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ

وَلَمَنْ يُغَالِطُ فِي الحَقَائِقِ نَفْسَهُ وَيُسَوِّمَهَا طَلَبِ المَحَالِ فَتَطْمَعُ

وقال بشار:

(١) شاعر جاهلي أدرك الإسلام فأسلم فكان من الصحابة رضوان الله عليهم ويعتبر أشعر أهل

الإسلام كما كان زهير بن أبي سلمى أشعر أهل الجاهلية.

(٢) العرمس: الصخرة أو الناقة الشديدة الصلبة وفيها وصف لأمه بتكسها في الخلق بما يدل على قرب موتها.

(٣) الخيزلي مشية النساء وفيها ثن ودلال والهدبا مشية النوق السريعة.

(٤) عجز بيت الشريف تحت الشرح وهو: فِي رَوْتِي الصَّفْوُ مَا يُغْنِي عَنِ الكَدْرِ.

(٥) البيت كاملاً:

خذ ماتراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

ذَهَبَ الْمَمْرُوفُ إِلَّا ذِكْرُهُ      رُبَّمَا أَبْكَى الْفَتَى مَا ذُكِرَا  
وَبَقِينَا فِي زَمَانٍ مُشْكِلٍ      يَشْرُبُ الصَّفْوَ وَيُبْقَى الْكَدْرَا

وكان الأولى بالأستاذ؛ إذ إستهان بكل شيء؛ في طريق النجدة<sup>(١)</sup>؛ أن يختار للشريف؛ مثل قوله:

مُقَارَعَةُ الذَّوَابِلِ فِي الْهَوَادِي      أَخْفَّ عَلَيْهِ مِنْ نَعْمِ الْقِيَانِ  
وَأَحْسَنَ عِنْدَهُ مِنْ كُلِّ نَفْرِ      مُضِيءٍ رَوَّنَقَ الْعُضْبِ الْيَمَانِي

لأن؛ في أفعال التفضيل؛ ما لا يأخذ عليه السيل:

وأما قوله (٣٠)

وَاللَّيْثُ لَا تَرْهَبُ الْأَقْرَانَ طَلَعَتْهُ      حَتَّى يُصِمَّ مِنْهُ النَّابُ وَالظَّفَرُ

فمن قول المتنبي:

فَمَا يَنْفَعُ الْأُسْدَ الْحَيَاءُ مِنَ الطَّوَى      وَلَا تُثَقَّى حَتَّى تَكُونَ ضَوَارِيَا

والشطر الثاني؛ هو الذي أريد؛ فقد اجتمع فيه؛ كل ما في بيت الشريف؛  
وأما الشطر الأول؛ فزيادة؛ جاء بها القسم الثاني؛ على أحسن ما يكون من  
التمكُّن؛ بموضعه؛ وقد نظر المتنبي فيه؛ إلى قول حبيب:

عَشْمَ الْعَدُوِّ وَلَا يُقَالُ عَشْمُكُمْ      لِلَّيْثِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشِيمَا

وما أحسن قوله:

أَرَادَ بِأَنْ يَحْوِي الْغِنَى وَهُوَ وَاذِعٌ      وَلَنْ يَفْرِسَ اللَّيْثُ الطَّلَا وَهُوَ رَابِضٌ

ومن مأخذ بيت الشريف؛ أيضاً؛ قول المتنبي:

أَبَا أَسَدًا فِي جِسْمِهِ رُوحٌ صَيَقَمٍ      وَكَمِ أَسَدٍ أَرْوَاحُهُنَّ كِلَابُ

(١) أي: كان أولى بالأستاذ زكي مبارك برغم ما بذله من جهد في نصرة صاحبه الشريف أن يختار له أبيات أقوى مما أورده في كتابه عنه.

## وأما قوله (٣١)

مَا كَلَّ نَسْلَ الْفَتَى تَزْكُو مَعَارِضًا  
قَدْ يَفْجَعُ الْعُودُ بِالْأَوْزَانِ وَالسَّمَرُ

فبيت تافه؛ ملزق؛ وكان نوله<sup>(١)</sup> أن يقول: ما كل سعي الفتى الخ؛ ثم هو إذن عالة؛ على قول أبي تمام:

هَمُّ الْفَتَى فِي الْأَرْضِ أَغْصَانُ الْمُنَى  
عُرسَتْ وَلَيْسَتْ كَلَّ جِينِ تُورِقُ

فهذا هو البيت الصحيح المعنى، المنقح اللفظ؛ وواجب المرء؛ الاجتهاد؛ ثم على الله؛ تحصيل المراد؛ قال كشاجم ابن شاهك السندي<sup>(٢)</sup>: وَعَلَيَّ أَنْ أَسْعَى وَلَيْسَ عَلَيَّ تَحْصِيلَ النَّجَاحِ

وقال أبو تمام:

لَأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَرَمَ صُدُورُهُ  
وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

وقال:

مَاذَا عَلَيَّ إِذَا مَا لَمْ يَزِلْ وَتَرِي  
إِنْ نَالَ فِي الرَّهْمِيِّ أَعْرَاضِي وَلَمْ أَصِْبِ

وقال أبو فراس:

عَلَيَّ طِلَابِ الْعِزِّ مِنْ مُسْتَقَرِّهِ  
وَلَا ذَنْبَ لِي أَنْ حَارَبْتُنِي الْمَطَالِبُ

أما عدم زكاء النسل كله؛ فالعلم به؛ كالعلم بتحتية الأرض، وفوقية السماء، ولذا كان بعضهم يقول في دعائه: اللهم اجعلني من القليل؛ ولا تجعلني من الكثير؛ فليل له في ذلك! فقال: تأملت كل قليل في القرآن؛ فالفيتة ممدوحاً؛

(١) كان نوله: أي كان ينبغي له.

(٢) هو أبو الفتح محمود بن محمد بن شاهك كان ناهغة في كثير من العلوم كالشعر والأدب والمنطق والكتابة والجدل وكان كريماً وفي كل حرف من لقبه كشاجم إشارة لعلم منها وكان متشيعاً لأهل البيت وجده هو السندي بن شاهك صاحب شرطة هارون الرشيد الذي عذب أهل البيت.

وَكُلٌّ كَثِيرٌ؛ فالفيتة مذمومة منه؛ ﴿...وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> ﴿...وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ...﴾<sup>(٢)</sup> ﴿...وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ...﴾<sup>(٣)</sup>؛ إلى ما لا يحصى من أمثاله؛ وأما تَخَلُّفُ النَّجَابَةِ عن أولاد الكرام؛ فواقع بكثرة؛ وقد نظر خالد بن صفوان إلى لثيم؛ كريم الأبوين؛ فقال: سبحان من يخرج الخبيث من الطيب؛ وأنشد قول حَسَّانَ؛ لأبي سفيان بن الحارث:

أَبُوكَ أَبٌ حُرٌّ وَأُمُّكَ حُرَّةٌ      وَقَدْ يَلِدُ الْحُرَّانَ غَيْرَ نَجِيبٍ  
فَلَا يَعْجَبَنَّ النَّاسُ مِنْكَ وَمِنْهُمَا      فَمَا حَبَبْتُ مِنْ فِضَّةٍ بِعَجِيبٍ

وقال أبو تمام:

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ آبَاءٌ وَمُفْتَخِرًا      وَالْأُمَّ النَّاسِ مَبْلُوءًا وَمُخْتَبِرًا

وقال:

كَيْلَا أَبَوْنِكَ مِنْ يُمْنٍ وَلَكِنْ      كَيْلَا أَبَوِي فِعَالِكَ مِنْ سَلُولٍ<sup>(٤)</sup>

وقيل لمالك بن أنس؛ إمام دار الهجرة؛ ما بال أبناء عمر بن الخطاب لم يكونوا هناك؛ قال: لأن أبوهم استفرغ مالهم من الفضل؛ وعلى ذلك؛ بنى البحرني قوله:

أَرَى الْمُكْرَمَاتِ اسْتَهْلِكَتْ فِي مَعَاثِرٍ      وَبَادُوا كَمَا بَادَتْ جَدِيدِسٌ وَجُرْهُمُ<sup>(٥)</sup>

أما قول بعضهم:

إِذَا أَظْلَعَ الدَّهْرُ حُرًّا لَيْبِيًّا      فَكُنْ فِي ابْنِهِ سَيِّءِ الإِعْتِقَادِ  
فَلَسْتُ تَرَى مِنْ نَجِيبٍ نَجِيبًا      وَهَلْ تَلِدُ النَّارُ غَيْرَ الرَّمَادِ

(١) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٥.

(٤) كبير المناقنين عبد الله بن أبي سلول.

(٥) جدیس وجرهم من العرب البائدة التي انقرضت قبل ظهور الإسلام.



فمجازفة؛ لا نصيب لها من القبول؛ ومتى اتفقت الشواهد؛ على أكثرية الرُّدَّالِ، وأغلبية الأندال؛ فماذا يبقى لقوله: ما كل نسل الفتى الخ؛ ثم أن القسم الثاني<sup>(١)</sup>؛ منبتر عن الأول؛ لا مناسبة بينهما؛ على ما فسرنا به الزكاء من الصلاح؛ على حد قوله تعالى: ﴿... مَا زَكَّيْنَاكَ مِنْ أَحَدٍ...﴾<sup>(٢)</sup>؛ أما إذا فسرناه بالنماء؛ فإنه قد يلتئم بالثاني؛ ولكنه لا يَتَمَعْنَى؛ إلَّا في تعزية؛ من هلك ابناؤه واهله؛ وتأتي له ملاحظات أكثر؛ إحداها: أَنَّ تخلف النماء؛ أكثر وضوحاً من تخلف الصلاح؛ فيصير المعنى أنفه؛ والثانية: أَنَّ النسل هو المغارس؛ فما هي الحاجة إلى الجمع بينهما؟ والثالثة: إنَّ فجوع العود بالأوراق والثمر؛ في آنٍ واحد؛ إنما هو الموت؛ ولا تعزية لَمَيَّتْ؛ وأما بالأوراق وحدها؛ فشانُّ أكثر الأشجار في بعض الغصون؛ لتعوض عنها في الآخر؛ ولا كذلك الإنسان؛ فلا معنى للتمثيل؛ والرابعة: أن لا معنى (لقد) بالنسبة للأثمار؛ لأنَّ العود لا محالة مفجوع بثمره؛ ما لم يعن الشريف؛ الضار منه؛ فإنه لا يؤخذ.

### وأما قوله (٣٢)

كَمْ حَاطِبٍ حَانَهُ حَبْلٌ فَأَقْعَصَهُ      ذُلًّا وَسُرًّا الْجِبَالِ الْحَيَّةِ الذَّكْرِ

ففيه قلق وتنافر؛ وهو بعد؛ من قول الفرزدق:

كَمْ حَاطِبٍ لَبِلاً أَسَاوِدَ هَضْبَةٍ      أَنَاهُ بِهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ حَاطِبُهُ

وقول ابن الرومي:

فَكَانَ كَالْكَلْبِ سَرَاهُ مُعْلَمُهُ      لِصَيْدِهِ؛ فَعَدَا يَصْطَادُ كِلَابَهُ

وقول ابن الرومي:

فَكُنْتُ كَمُسْتَسْقٍ سَمَاءٍ مَخْبِيَةٍ      حَيًّا؛ فَأَصَابَتْهُ بِإِخْدَى الصَّوَاعِقِ

(١) من البيت.

(٢) سورة النور، الآية: ٢١.

وقول أبي الطيب:

وَمَنْ جَعَلَ الضَّرْعَامَ بَازاً لَصِيدِهِ تَصِيدُهُ الضَّرْعَامُ فِيمَا تَصِيدَا

وأما قوله (٣٣)

سَالِمٌ تَصَارِيفَ الزَّمَانِ فَمَنْ يَرُمُ حَرَبَ الزَّمَانِ يَعْذُ قَلِيلَ النَّاصِرِ

فأمثاله كثيرة؛ ومنه ما أخرجه في النهج<sup>(١)</sup>؛ من قول الإمام؛ من كابد الأمور عَطْبُ، ومن اقتحم اللججُ غرق. وفي خطب ابن نباته؛ من ذلك؛ الشيء الكثير؛ وقالت ربطه في رثيها؛ لأخيها عمرو ذي الكلب:

كُلُّ امْرَأٍ بِمَحَالِ الدَّهْرِ مَكْذُوبٌ وَكُلُّ مَنْ غَالَبَ الأَيَّامَ مَغْلُوبٌ

وفيما نقله شارح النهج؛ من وصية العباس عليّ: ومن ساور الدهر غَلِبَ؛ ومن حرص على ممنوع؛ يَعْيبُ؛ وأنشد الجاحظ؛ لَنْصِيبِ الأَسْوَدِ<sup>(٢)</sup>؛ وَعَزَاهُ الأَمْدِي<sup>(٣)</sup>؛ لتوبة ابن الحمير<sup>(٤)</sup>:

وَمَنْ يَكُ ذَا عُودٍ صَلِيبٍ يُعِدُّهُ لِيَكْسِرَ عُودَ الدَّهْرِ فَالدَّهْرُ كَأْسِرُهُ

وقول الآخر:

مَنْ حَارَبَ الأَيَّامَ أَضْبَحَ رُنْحُهُ قَصْدًا وَأَضْبَحَ سَيْفُهُ مَغْلُولا

(١) كتاب نهج البلاغة وهو ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) نصيب بن رباح أبو محجن الأسود الشاعر مولى عمر بن عبد العزيز مدح عبد الملك ابن مروان وشعره في الدروة تنسك وأقبل على شأنه وترك التغزل.

(٣) سيف الدين علي بن أبي علي الأمدي؛ فقيه ومصنف ومتكلم توفي سنة ٦٣١هـ.

(٤) توبة بن الحمير الخفاجي؛ شاعر من عشاق العرب المشهورين، كان يهوى ليلى الأخيلية وخطبها، فرده أبوها وزوجها غيره، فانطلق يقول الشعر مشبهاً بها. واشتهر أمره، وسار شعره؛ قتله بنو عوف بن عقيل.

وقول أبي العتاهية :

من سابق الدهر كبا كَبَوَةٌ  
فَأَخِظْ مَعَ الدَّهْرِ إِذَا مَا خَطَا  
فَمَا لِمَنْ لَيْسَ لَهُ جِبَلَةٌ  
وقول أبي تمام :

ومن قامر الأيام عن ثمراتها  
رَضِيْتُ وَهَلْ أَرْضَى إِذَا كَانَ مُسَخِّطِي  
فأشجيت أيامي بضبر خلون لي  
وقوله :

كَمْ دُقْتُ فِي الدَّهْرِ مِنْ عُسْرِ وَمِنْ يُسْرِ  
أَغْضِي إِذَا صَرَفُهُ لَمْ يُغْضِ سَوْرَتَهُ  
وإن نُكِبْتُ بِحَدٍ مِنْ حُرُونَتِهِ  
وفي هذه نظر؛ إلى ما يروى عن ابن أبي سفيان؛ من قوله: لو كانت بيني

وبين الناس شعرة؛ ما انقطعت؛ لأنهم أن شدوا أرخيت؛ وإن لانوا جذبت؛ وقال أبو تمام أيضاً:

وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِلنَّوَائِبِ أَضْبَحَتْ  
خَلَائِقُهُ طَرّاً عَلَيْهِ نَوَائِبَا  
وفي بيت الشريف؛ مع رخاوة عجزه؛ مثنة<sup>(١)</sup> من العجز؛ وسمة من الاستسلام؛ وأينه من قول البحرى:

لَسْتُ الَّذِي إِنْ عَارَضْتَهُ مُلِمَّةٌ  
أَضْعَى إِلَى حُكْمِ الزَّمَانِ وَفَوْضَا  
وقول أبي الطيب :

(١) أي علامة وكل شيء ذلك على شيء فهو مئنة له .

لَا تَلَقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِبٍ      مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ  
وقوله:

أَطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ      وَجِيداً وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِيَ الصَّبْرُ  
وقوله:

وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَيَّ شَخْصاً      لَخَضَّبَ شَعْرَ مِفْرَقَهُ حُسَامِي  
فهذا والله الشعر؛ الذي تُذَلَّلُ به على ما فيه من الغلو؛ الصعاب؛ وتتسم العقاب؛ ويأتي تحت البيت (٤٥)؛ ماله نوع اتصال بما تقدم؛ ولا سيما عن أبي تمام.

### وأما قوله (٣٤)

لَوْ كَانَ حِفْظَ النَّفْسِ يَنْفَعُنَا      كَانَ الطَّلَبُ أَحَقَّ بِالْخَيْرِ

فقد بناه على قول المتنبي:

يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ      مَيْتَةً جَالِبِنُوسٍ فِي طَبِّهِ  
وَرَبِّمَا زَادَ عَلَى عُمُرِهِ      وَزَادَ فِي الْأَمْنِ عَلَى سِرِّهِ  
وقال المعري:

وَسَائِلُ مَنْ تَنْطَسَ فِي التَّوْقِي      لِأَيِّ عِلَّةٍ مَاتَ الْجَبَانُ  
فبيت الشريف؛ مسبوق بالأول؛ ومذموم بالثاني؛ ولكنني أختار من قصيدة ذلك البيت؛ قوله:

لَوْ أَنْبَتَ تُرْبُ الرِّجَالِ عَلَى      قَدْرِ الْعُلَى وَتَبَاهَةِ الْقَدْرِ  
نَبَتَتْ عَلَيْهِ مِنْ شَجَاعَتِهِ      تِلْكَ الْجَنَائِدُ بِالْقَنَا السُّمْرِ  
وقوله من أخرى؛ فيما يُقْرُبُ مما نحن فيه:

مَا بَيْنَ مَنْ يَخْشَى الْمَنِيَّةَ وَالَّذِي يَضَلِّي بِهَا فِي الْعُمْرِ إِلَّا مَنْزِلٌ  
ونحوه؛ البيت (١٢٥).

وأما قوله (٣٥)

كُلُّ يَوْمٍ نَذِمُّ لِلدَّهْرِ عَهْدًا حَانَ فِيهِ وَنَشْتَكِي مِنْهُ عَذْرًا

فلا تحصى أمثاله؛ لأن الأنسان؛ كلما اخفق في طلب، أو خاب في أمل؛  
احال على الدهر؛ كأنه أخذ على الأيام موثقاً؛ أن لا تجري؛ إلا بما يملؤ  
رضاه، ويوافق هواه؛ قال الأعشى:

وَلَكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ حَائِنٌ إِذَا أَضْلَحْتَ كَفَّايَ عَادَ فَأَفْسَدًا

ومما رُئيَّ به؛ ابن العميد<sup>(١)</sup>؛ ممدوح المتنبى؛ قول؛ من لا اذكر اسمه؛

الآن:

آلَ الْعَمِيدِ وَآلَ يَرْمَكَ مَالِكُمْ قَلَّ الْمُعِينُ لَكُمْ وَذَلَّ النَّاصِرُ  
كَانَ الزَّمَانُ يُجِبُّكُمْ قَبْدًا لَهُ أَنْ الزَّمَانُ هُوَ الْخَوْنُ الْقَادِرُ

وقال أبو تمام:

سُقْتُهُمْ ذِعَافًا عَادَةَ الدَّهْرِ بَيْنَهُمْ وَسُمُّ اللَّيَالِي فَوْقَ سُمِّ الْأَسَاوِدِ

وسيعاد هذا البيت تحت نقد البيت (٩٢)<sup>(٢)</sup>؛ ولقد أسرف على نفسه؛

حبيب<sup>(٣)</sup>؛ بقوله:

فَلَوْ ذَهَبَتْ سِنَاتُ الدَّهْرِ عَنْهُ وَأَلْقِي عَنْ مَنَاكِبِهِ الدِّثَارُ

(١) ابن العميد الوزير محمد بن الحسين، وزير الملك ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي. كان

عجبا في الترسل والإنشاء والبلاغة، يضرب به المثل، وقيل: بدت الكتابة بعبد الحميد،  
وختمت بابن العميد. وقد مدحه المتنبى فأجازه بثلاثة آلاف دينار. مات سنة ٣٦٠هـ.

(٢) يقصد في شرح البيت ٩٢ من قصيدة الشريف الرضي.

(٣) يقصد أبو تمام حبيب بن أوس الطائي.

لَعَدْلُ قِسْمَةِ الْأَرْزَاقِ فِيْنَا      وَلَكِنْ ذَهَرْنَا هَذَا جِمَارُ  
وقوله:

لَقَدْ سَاسَنَا هَذَا الزَّمَانُ سِيَاسَةً      سُدَى لَمْ يَسُنْهَا قَبْلُ عَبْدٌ مُجَدِّعُ  
تَرُوحٌ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ وَتَغْتَدِي      حُطُوبٌ كَأَنَّ الذَّهْرَ مِنْهُنَّ يُضْرَعُ  
حَلَّتْ نُظْفٌ مِنْهَا لِنَكْسٍ وَذُو الْحِجَا      يُدَافُ لَهُ سُمٌّ مِنَ الْعَيْشِ مُنْقَعُ  
وقوله:

أَيْبِيءُ عَلَى الذَّهْرِ الثَّنَاءُ فَقَدْ قَضَى      عَلِيٌّ بِجُورٍ صَرْفُهُ الْمُتَتَابِعُ  
أَبْرَضَحْنَا رَضِخَ النَّوَى وَهُوَ مُضَمَّتْ      وَيَأْكُلْنَا أَكْلَ الدَّبَا وَهُوَ جَائِعُ  
وأما أبو الطيب؛ فله الوان؛ يمتدح تارة بمحاربتة؛ ويذمه ويتشكاه أخرى؛  
حتى لقد قال:

فَلِي الدَّارِ أَخْذَعٌ مِنْ مُوَيْسٍ      وَأَخُونٌ مِنْ كِفَّةِ الْحَابِلِ  
وقال:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً      وَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَتَعَبُ  
وأشرف أحواله؛ التي يقول فيها:  
أَلَا لَا أَرَى الْأَحْدَاثَ حَمْدًا وَلَا دَمًا      فَمَا بَطَّشَهَا جَهْلًا وَلَا كَفَّهَا حُلْمًا  
وقد جاء النهي عن ذم الدهر؛ في حديث أبي هريرة؛ عند الشيخين؛ وقال  
الخوارزمي:

وَكَمْ نَكْنِي وَكَمْ نَهْجُو اللَّيَالِي      وَلَوْ نَطَّقَ الزَّمَانُ إِذْنُ هَجَانَا  
وقال رجل للأصمعي<sup>(١)</sup>؛ فسد الزمان؛ فأنشد قول الخنساء:

(١) الإمام العلامة الحافظ، حجة الأدب، لسان العرب، كان ذا حفظ وذكاء ولطف عبارة، قال الشافعي: ما عبر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الأصمعي قال المبرِّد: كان الأصمعي بحرأ في اللغة، لا نعرف مثله فيها عاش ثمان وثمانين سنة ومات سنة ٢١٥هـ.

إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ فِي طُولِ إختلافِهِمَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ

وما أحسن قول أبي فراس:

نَعَمْ دَعَتْ الدُّنْيَا إِلَى العَدْرِ دَعْوَةً أَجَابَ إِلَيْهَا عَالِمٌ وَجَهُوْلٌ

ويأتي تحت البيت (٦٣)؛ قول أبي تمام؛ فلا تأمن الدنيا الخ؛ وقال

المعري:

وَالدَّهْرُ لَمْ يَشْعُرْ بِمَا هُوَ كَائِنٌ فِيهِ فَكَيْفَ يُذَمُّ بِالأَشْمَارِ

وحكى صاحب معاهد التنصيص<sup>(١)</sup>؛ قصة جرت لدعبل الخزاعي؛ مع

مسلم بن الوليد؛ ومنها: أن جارية لا نظير لها في الجمال! مرت بالأول؛ وهو

جالس بباب الكرخ؛ فحركها بيت؛ فاجابته بمثله؛ ثم عدل بها إلى وجه آخر؛

وقال:

أَتَرِي الزَّمَانَ يُسِرُّنَا بِتَلَاقِيٍ وَنُضْمُ مُشْتَاقًا إِلَى مُشْتَاقِيٍ

فقال:

مَا لِلزَّمَانِ وَالتَّحَكُّمِ بَيْنَنَا أَنْتَ الزَّمَانُ فَسُرْنَا بِتَلَاقِيٍ

والشاهد؛ في قولها: أنت الزمان.

وعلى بيت دعبل؛ بنى شوقي؛ قوله:

رَمَضَانُ وَلِي هَاتَهَا يَا سَاقِيٍ مُشْتَاقَةٌ تَسْعَى إِلَى مُشْتَاقِيٍ

ولكنه؛ أحوال؛ إذ لا معنى لقوله: هاتها؛ مع سعيها إليه؛ فلو أنه قال:

خَلَّهَا؛ لكان أولى؛ وللبديع<sup>(٢)</sup> في المعنى كلام مشهور، وكالدر المنثور؛

(١) كتاب معاهد التنصيص على شواهد التلخيص المؤلف: أبو الفتح العباسي؛ عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، المتوفى سنة ٩٦٣هـ.

(٢) بديع الزمان الهمداني صاحب المقامات المشهور كان لغوياً وشاعراً وأديباً عاش في فارس واتصل بالصاحب بن عباد وغيره واتصل باللغوي الشهير أبي بكر الخوارزمي ثم حصلت بينهما وحشة وتناظرا ففاز بديع الزمان وتوفي سنة ٣٩٥هـ.

فليكشف من رسائله؛ ومنه: كلا؛ ما فسد الناس، ولكن إطرَدَ القياس؛ ولا  
اظلمت الأيام؛ بل امتد الظلام؛ وهل يفسد الشيء؛ إلا عن صلاح؛ ويمسي  
المرء؛ إلا عن صباح؛ والله در مهيار؛ في قوله:

أزوع بالخيانة من زماني      وقد مرنت على القتب الندوب  
وما وادعته منذ اخترنا      على سلم فتوجهني الحروب  
وفي لفظ صدر بيت الشريف؛ شبه؛ بما رواه الجاحظ؛ في قصة غريبة؛

وهو:

كُلُّ يَوْمٍ قَطِيعَةٌ وَعَيْتَابٌ      يَنْقُضِي دَهْرُنَا وَنَحْنُ غَضَابٌ

### وأما قوله (٣٦)

إِنَّمَا الْمَرْءُ كَالْقَضِيبِ تَرَاهُ      يَكْتَسِي الْأَخْضَرَ الرَّطِيبَ لِيَعْرِى

فمعناه: إما أن يكون: المرء يشند ويقوى؛ ليحصد؛ وفيه حينئذ نظر؛ إلى  
قول ابن ميادة:

وَأَرَانَا كَالزَّرْعِ يَحْصُدُهُ الدَّهْرُ      فَمِنْ بَيْنِ قَائِمٍ وَحَصِيدٍ  
وَكُنَّا لِلْمَوْتِ رَكْبٌ مُخْبِو      نَ سِرَاعاً لِمَنْهَلٍ مَوْرُودٍ

وقول أبي صرمة؛ في رثائه؛ لعبد الله بن ناشرة:

وَكَانَ حَصَاداً لِمَنَايَا إِذْ دَرَّ عَنْهُ      فَهَلَّا تَرَكْنَ النَّبْتَ مَا كَانَ أَحْضَرَا  
وقول الطرماح:

إِنَّمَا نَحْنُ مِثْلُ خَامَةِ زَرْعٍ      فَمَتَى يَأْنِ يَأْتِ مُحْتَصِدُهُ  
وقال البحري:

وَمُعْجِرِي بِالْدَّهْرِ يَعْلَمُ فِي عَدِي      أَنَّ الْحَصَادَ وَرَاءَهُ كُلَّ نَبَاتٍ  
وقال ابن دريد:



وَالنَّاسُ لِلْمَوْتِ خِلا يَلْسُهُمْ وَقَلَمًا يَبْقَى عَلَى اللِّسِّ الخِلا

والخلا: النبات؛ واللس: تناول؛ وقال المَعْرِي:

وَالنَّاسُ مِثْلُ النَّبْتِ يُظْهِرُهُ الحَيَا وَيَكُونُ أَوَّلَ هَلِكِهِ الإِظْهَارُ

وأخرج أبو نعيم<sup>(١)</sup>؛ في الحلية: أن زر بن جيش؛ سَيَّرَ لعبد الملك ابن مروان؛ كتابا يعظه؛ قال في آخره: ولا يطمعك في طول الحياة؛ ما ترى من صحتك؛ فانت اعلم بنفسك؛ واذكر ما تكلم به الاولون؛ إذا الرجال ولدت اولادها؛ وضعفت من كِبَرِ اجسادها؛ وجعلت اسقامها تعتاها؛ فهي زورع قد دنى حصادها.

وإمّا أن يكون معناه<sup>(٢)</sup>؛ أنه يستغني ليفتقر؛ كالغصن يثمر، ويعرى؛ وليس بصحيح! إذ لا كلية؛ بل ولا أغلبية؛ وهو مع ذلك؛ مما انشده ابن برّي<sup>(٣)</sup>:

رَأَيْتُ الفَتَى يَهْتَرُ كَالغُصْنِ نَاعِمًا تَرَاهُ عَمِيًّا ثُمَّ يُصْبِحُ قَدْ ذَوَى

وبعد؛ فانهم يضربون الأمثال؛ للمتواضع مع الكمال: بالغصن المثمر؛ وللمترفع مع النقص: بالعدام الثمر؛ ومما يعزى للشافعي:

إِذَا عَظُمَ الإِنْسَانُ زَادَ تَوَاضَعًا وَإِنْ لَوَّمُ الإِنْسَانُ زَادَ تَرَفُّعًا

كَذَا الغُصْنُ إِنْ يَقْوَى الثِّمَارَ تَنَالَهُ وَإِنْ يَغْرَ عَنْ حَمْلِ الثِّمَارِ تَمَنَعَا

وأخذه ابن قلاقس<sup>(٤)</sup>؛ في قوله:

(١) المؤرخ الرحالة أبو نعيم الأصبهاني من مواليد أصفهان له كتاب حلية الأولياء وتاريخ أصفهان وتوفي سنة ٤٣٠هـ.

(٢) يعود هنا لشرح بيت الشريف:

إِنَّمَا المَرْءُ كَالقَضِيبِ تَرَاهُ يَكْتَسِبِي الأُخْضَرَ الرِّطِيبَ لِيَعْرَى.

(٣) عبد الله بن بري بن عبد الجبار؛ المقدسي الأصل؛ المصري، من علماء العربية النابيين. ولد ونشأ وتوفي بمصر. وولي رئاسة الديوان المصري.

(٤) ابن قلاقس هو: نصر بن عبد الله الإسكندري الأزهري. شاعر ولد ونشأ بالإسكندرية وانتقل إلى القاهرة، زار صقلية سنة (٥٦٣) وكان له فيها أصدقاء، ودخل عدن سنة (٥٦٥) =

زِدْرِفَعَةً إِنْ قِيلَ أَنْفَضَ      وَأَنْخَفِضْ إِنْ قِيلَ أَثْرَى  
كَالْقُضْنِ يَذْنُو مَا ائْتَسَى      ثَمَرًا وَيَنْأَى مَا تَعَرَى  
وقال أبو عبادة:

ذَلَّلَ الْحُلْمُ لَنَا جَانِبَهُ      وَإِذَا غَرَّ كَرِيمَ النَّاسِ ذَلَّ  
وقال:

ذَنُوتٌ تَوَاضَعًا وَعَلُوتٌ مَجْدًا      فَشَانَاكَ إِنْ جِدَارٌ وَازْتِفَاعُ  
كَذَلِكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أَنْ تُسَامَى      وَيَذْنُو الضُّوءُ مِنْهَا وَالشُّعَاعُ

وأعوذ بالله؛ أن يعلق بحصر<sup>(١)</sup> الشريف؛ اتهام بشيء؛ مما ذكر الفتح بن خاقان القيسي<sup>(٢)</sup>؛ عن ابن باجه؛ في قوله: فهو يعتقد أن الزمان دُورٌ؛ وأن الإنسان نبات؛ أو نور؛ جِمامُه تَمَامُه؛ واختطافه اقتطافه؛ فحاشاه من ذلك؛ ولا سيما بعد أن أخرج في النهج؛ عن الإمام؛ أنه يقول: زعموا أنهم كالنبات؛ ما لهم زراع؛ ولا لاختلاف صُورِهِمْ صانع؛ ولم يلجئوا إلى حجة؛ فيما ادَّعوا؛ ولا تحقيق لما دعوا؛ ومهما يكن من الأمر؛ فلا ابريء المعري؛ عن قصد التعريض به؛ في قوله:

صَلَّ الَّذِي قَالَ الْبِلَادُ قَدِيمَةً      بِالطَّبْعِ كَانَتْ وَالْأَنَامُ كَنَبْتِهَا  
وَأَمَّا نَا يَوْمٌ تَقُومُ جُهُودُهُ      مِنْ بَعْدِ إِبْلَاءِ الْعِظَامِ وَرَفْتِهَا

= ثم غادرها بحراً في تجارة، وكان طوافاً بين زبيد وعدن. واستقر بعيداب (القصير بمصر حالياً)، لتوسطها بين مصر والحجاز واليمن، تبعاً لاقْتِضَاءِ مَصَالِحِهَا التِّجَارِيَّةِ وَتَوَفِّيِهَا.

(١) الحَضْر: (عند علماء العربيَّة): إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه، ويعرف أيضاً بالقصر. والحَضْر (عند المناطقة): عبارة عن كون القضية محصورة، وتسمى مسؤرة.

(٢) الفتح بن خاقان، أبو نصر: كاتب، مؤرخ، من أهل إشبيلية. ولد ونشأ فيها. وكان كثير الأسفار والرحلات، مات ذبيحاً بمدينة مراكش، سنة ٥٢٨هـ بليعاز من أمير المسلمين، علي بن يوسف بن تاشفين.

## وأما قوله (٣٧)

إِذَا تَنَاءَتْ بِنَا قُلُوبٌ      فَلَا تَدَانَتْ بِنَا دِيَارٌ

فقد مر ما يبيّن مأخذه؛ من نقد البيت (٩)؛ وقال النظار الفقعسي<sup>(١)</sup>:

يَقُولُونَ هَذَا أَمْ عَمْرٍو قَرِيبَةٌ      دَنَتْ بِكَ أَرْضٌ نَحْوَهَا وَسَمَاءٌ  
أَلَا إِنَّمَا بُغِدَ الْحَبِيبِ وَقُرْبِهِ      إِذَا هُوَ لَمْ يُوَصَّلْ إِلَيْهِ سَوَاءٌ  
وقال بعض الأعراب:

خَلِيلِي هَلْ يُشْفِي مِنَ الشَّوْقِ وَالْجَوَى      دُنُو مِنَ الْأَوْطَانِ لَا بَلَّ يَشْوَقُهَا  
وقال أبو نواس:

رَأَيْتُ تَدَانِي الدَّارَ لَيْسَ بِنَافِعٍ      إِذَا كَانَ مَا بَيْنَ الْقُلُوبِ بَعِيدٌ  
وقال أبو تمام:

لَا أَظْلِمُ النَّأْيَ قَدْ كَانَتْ خَلَائِقُهَا      مِنْ قَبْلِ وَشِكِ النُّوَى عِنْدِي نَوَى قَذَا  
وقال البحرني:

مَتَى يَصِلَانَا وَالِدِيَارُ شَتِيئَةً      إِذَا قَطَعْنَا وَالِدِيَارُ جَمِيعُ  
وفي النهج<sup>(٢)</sup>: رب بعيد؛ أقرب من قريب؛ ورب قريب؛ أبعد من بعيد؛  
قال الشارح: وهو معنى مطروق؛ منه قول الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا يَضُرُّ الْبُعْدَ يَوْمًا      إِذَا دَنَتْ الْقُلُوبُ مِنَ الْقُلُوبِ  
وقول الأحوص:

إِنِّي لِأَمْنَحُكَ الصُّدُودَ وَإِنِّي      قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصُّدُودِ لِأَمِيلُ

(١) النظار بن هشام الفقعسي، شاعر إسلامي من بني أسد بن خزيمة.

(٢) كتاب نهج البلاغة.

وقول البحترى:

وَنَارِحَةٌ وَالذَّارُ مِنْهَا قَرِيبَةٌ      وَمَا قُرْبُ نَارٍ فِي الثَّرَابِ مَغِيبُ  
وَأُنشِدَ الْحَلِيلُ<sup>(١)</sup>؛ كما عند ابن خلكان؛ ولم يُسَمِّ قائلًا:

يَقُولُونَ لِي دَارُ الْأَحْبَةِ قَدْ دَنَتْ      وَأَنْتَ كَغَيْبٍ إِنْ دَا لَعَجِيبُ  
فَقُلْتُ وَمَا تُغْنِي الدِّيَارُ وَقُرْبُهَا      إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْقُلُوبِ قَرِيبُ

وهذا؛ من أقرب ما سقناه شبيهاً؛ ببيت الشريف؛ الذي نحن فيه؛ ثم لا يختلف اثنان؛ في تفضيل البعد؛ عند العداوة؛ على القرب؛ واما صدور الأجاب؛ فللشعراء فيه مذاهب؛ فمنهم من يفضل البعد فيه أيضاً؛ كما عَلِمَ مما مر؛ ومنهم من يفضل القرب معه؛ كما قال أبو تمام:

رَأَتْ أَنَّ الْفِرَاقَ أَمْرٌ ظَنَمًا      وَافْرَحُ لِلْقُلُوبِ مِنَ الصُّدُودِ  
وقول البحترى:

شَكَّوْنَا الصُّدُودَ فَجَاءَ الْفِرَاقُ      فَأَنْسَى الْجَوَانِحَ وَقَعَ الصُّدُودُ  
وقوله:

وَلَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى الصُّدُودِ مِنَ النَّوَى      وَالشَّرِي<sup>(٢)</sup> أَرِي عِنْدَ أَكْلِ الْحَنْظَلِ  
وقوله:

لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَ هِجْرَانُهُ      عَلَى الصَّبِّ أَيْسَرَ مِنْ فَقْدِهِ  
وَقَدْ كُنْتُ أَظْمَأُ إِلَى وَضْلِهِ      فَقَدْ صِرْتُ أَظْمَأُ إِلَى صَدِّهِ

(١) الخليل بن احمد الفراهيدي واضع علم العروض ولد بعمان ونزح إلى البصرة وتلقى فيها العلوم فأصبح عالم زمانه في علوم اللغة العربية وكان زاهداً ورعاً وتوفي سنة ١٧٣هـ في بداية خلافة هارون الرشيد.

(٢) الشَّرِي: بُورٌ حُمْرٌ كالدَّراهم حَكَاكَةٌ مؤلَمَةٌ.

وفي العود الهندي<sup>(١)</sup>؛ من أمثاله؛ الكثير الطيب؛ ومن أعذب الشعر؛ ما ذكره أبو تمام في الحماسة؛ وهو:

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمُحِبَّ إِذَا دَنَا      يُمَلُّ وَأَنَّ النَّايَ يُشْفِي مِنَ الْوَجْدِ  
بِكُلِّ تَدَاوُنَا فَلَمْ يَشْفِ مَا بِنَا      عَلَى أَنْ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ  
عَلَى أَنْ قُرْبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ      إِذَا كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ لَيْسَ بِبِذِي وَدِّ

### وأما قوله (٣٨)

وَمَنْ قَبِدَ الْأَلْفَاظَ عِنْدَ زِرَاعِهَا      بِقَيْدِ النَّهْيِ أَعْتَتَهُ عَنْ طَلَبِ الْعُذْرِ

ففي حديث؛ أخرجه ابن النجار، والطبراني في الأوسط: «أياك وما يعتذر منه»<sup>(٢)</sup> وفي الحديث أيضاً: «ما يكب الناس على رؤوسهم الا حصائد الستهم» وقال أبو بكر رضي الله عنه؛ إن البلاء موكل بالمنطق؛ في حديث طويل؛ ساقه الميداني؛ في شرح الأمثال؛ وأخرجه القضاعي مرفوعاً؛ عن علي؛ وعن حذيفة؛ وابن لال؛ عن ابن عباس؛ يرفعه بنحوه؛ وعن عبد الله بن سعود: ما على الأرض شيء أحق بطول سجن؛ من لسان؛ وقال كعب بن سعد الغنوي:

وإِنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ      حِصَاةً عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلُ

وكم في آفات اللسان من كلام؛ لا تجده مجموعاً عند أحد؛ مثله عند الإمام الغزالي؛ في الإحياء<sup>(٣)</sup>؛ ومما أخرجه الشريف في النهج؛ عن الإمام: أن

(١) كتاب أدبي مطبوع للإمام بن عبيد اللاه السقاف.

(٢) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أوصني، قال: «عليك بالإيأس مما في أيدي الناس، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصل صلاتك وأنت مودع، وإياك وما يعتذر منه». قال الإمام المنذري في الترغيب والترهيب: رواه الحاكم والبيهقي في الزهد واللفظ له، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٣) كتاب إحياء علوم الدين للغزالي.

إِلْسَانَ سَبُعٍ؛ إِنَّ خُلِّيَ عَنْهُ؛ عَقْرٌ؛ وَمَنْ كَلَامَ أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ<sup>(١)</sup> : الْمَكَثَارُ؛ كَحَاطِبِ لَيْلٍ؛ وَمَقْتَلِ الرَّجُلِ بَيْنَ فُكَيْهِ؛ وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْتَةَ ابْنِ أَبِي لَهَبٍ:

وَالْمَرْءُ أَكْثَرُ عَيْبِهِ ضَرَرًا      حَظَلُ اللِّسَانِ وَصَمْتُهُ حِكْمٌ  
وقال أبو نواس: مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ<sup>(٢)</sup>

وقال أبو العتاهية:

إِذَا لَمْ يَصِقْ قَوْلٌ عَلَيْكَ فَقُلْ بِهِ      وَإِنْ صَاقَ عَنْكَ الْقَوْلُ فَالصَّمْتُ أَوْسَعُ  
وقال:

إِذَا لَمْ تَحْتَرِسْ عَنْ كَلِمِ طَيْشٍ      أَسَاتَ إِجَابَةً وَأَسَاتَ فَهَمًا  
وقال:

تَأْمَلْ فَلَا تَسْتَطِيعُ رَدَّ مَقَالَةٍ      إِذَا الْقَوْلُ فِي زَلَّاتِهِ فَارَقَ الْفَمَا  
وأشد الجاحظ للآخر:

وَالْقَوْلُ لَا تَمْلِكُهُ إِذَا نَمَى      كَالسَّهْمِ لَا يُرْجِفُهُ رَامٍ رَمَى  
وفي النهج: الكلام وثاقل؛ مالم تتكلم به؛ فإذا تكلمت به؛ صرت في وثاقه؛ فاخزن لسانك؛ كما تخزن ذهبك؛ فربَّ كلمة؛ سلبت نعمة؛ وجلبت نقمة؛ وفيه أيضاً: الإستغناء عن العذر؛ أعز من الصدق به.

ولو لم نذكر من مناسب البيت؛ سوى هذه الحكمة الغالية؛ لكفت؛ لأنها على إيجازها؛ روح بيت الشريف؛ وجسمه؛ وفيه<sup>(٣)</sup> أيضاً؛ من كلمات ابن

(١) أكثم بن صيفي حكيم العرب في الجاهلية وله حكم كثيرة وأدرك النبي ﷺ فكان يوصي قومه باتباعه ويحضهم عليه وقيل انه عمر ١٩٠ سنة.

(٢) البيت كاملاً:

مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ      رُبَّمَا اسْتَفْتِيحَ بِالْقَوْلِ مَعَالِيقُ الْحِمَامِ.

(٣) أي في موضوع حفظ اللسان.

العاص الحكيمة: زلة الرَّجُل؛ عضم يجبر؛ وزلة اللسان؛ لا تبقي ولا تذر؛ وقال ابن هرمة<sup>(١)</sup>:

وَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّ الَّذِي مَضَى إِذَا الْقَوْلُ مِنْ رَلَاتِهِ قَارَقَ الْفَمَا  
فَكَائِنٌ تَرَى مِنْ وَافِرِ الْعَرَضِ صَامِتٌ وَأَخْرُ أُرْدَى نَفْسَهُ إِنْ تَكَلَّمَ

وأول هذين؛ شبيه بما سبق عن أبي العتاهية؛ لفظا ومعنى، والخواطر تتوارد والشعراء تتناهب؛ وقال الشعبي: إنك على إيقاع مالم توقع؛ أقدر منك؛ على رد ما قد أوقعت؛ ثم أنشد:

وَدَاوَيْتَهُ بِالْجِلْمِ وَالْمَرَّةُ قَادِرٌ عَلَى سَهْمِهِ مَا دَامَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ  
وقال يزيد بن ضبة<sup>(٢)</sup>:

لَا تُبْدِيَنَّ مَقَالَةً مَأْتُورَةً لَا تَسْتَطِيعُ إِذَا مَضَتْ إِذْرَاكَهَا  
وقد أخذ بن السكيت<sup>(٣)</sup>؛ خمسين ألف درهم من المتوكل؛ على إنشاده لابنته؛ المعتز؛ حينما عثرت:

يُصَابُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةِ بِلْسَانِهِ وَلَيْسَ يُصَابُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ  
فَعَثْرَتُهُ فِي الْقَوْلِ تُذْهِبُ نَفْسُهُ وَعَثْرَتُهُ فِي الرَّجْلِ تَبْرَأَ عَلَى مَهْلٍ  
وقال حبيب:

(١) إبراهيم بن هرمة شاعر زمانه؛ أحد البلغاء من شعراء الدولتين وكان منقطعاً إلى العلوية؛ قدمه بعضهم على بشار؛ وقد ابن هرمة فمدح المنصور فأعطاه عشرة آلاف درهم.

(٢) شاعر كبير من أهل الطائف مات أبوه وخلفه وهو صغير فحضنته أمه فنسب إليها. التحق بالوليد بن يزيد بالشام فكان لا يفارقه ولما أفضت الخلافة إلى هشام أبعد ابن ضبة لإتصاله بالوليد فخرج إلى الطائف فأقام إلى ان ولي الوليد فوفد عليه فقربه إليه وكرمه.

(٣) إمام من أئمة اللغة العربية وعالم نحوي وأديب شهير، اشتهر بتشيعه. طلب إليه المتوكل العباسي تأديب ولديه المعتز والمؤيد، فأديبهما خير أدب، ثم غضب عليه المتوكل فأمر بقتله سنة ٢٤٤هـ.

يَا عَثْرَةَ مَا وُقِيْتُمْ شَرًّا مَضْرَعَهَا      وَرَأَيْتُمُ الرَّأْيَ تُنْسِي زَلَّةَ الْقَدَمِ

وقال أحد شعراء الحضارمة؛ على البديهة؛ كما هي عادتهم؛ في

مراجزهم:

الهِرَجُ لَهُ شُوْكَةٌ وَلَهُ مِيزَانٌ      مِنْ قَبْلِ مَا يُخْرُجُ مِنَ الْحَلْقُومِ

وَلِي خَرَجٌ شَاهِدٌ عَلَى الْإِنْسَانِ      مِثْلِ الظَّرْفِ لِي قَابِلِ التَّبْتُومِ

وفيه من الجزالة؛ مع موافقته؛ لما مرَّ عن فحول الشعراء؛ ما يؤكد قولي؛

في غير موضع من كتبي؛ بقوة عوارض الحضارمة؛ وانطباعهم على الشعر؛ فإنه

مثل قول الرضي:

هِيَ قَوْلَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ رُجُوعَهَا      كَالسَّهْمِ يَخْرُجُ مِنْ بَنَانِ الرَّامِي

ولو شئت؛ لذكرت من أمثاله؛ الشيء الكثير؛ ولكنني أذكر؛ قول الشيخ

عمر صالح باوزير؛ لما حاذى قبر الأمير؛ غالب بن محسن<sup>(١)</sup>؛ في زفاف عرس:

قَوْلُوا لْغَالِبِ عَادَ بَعْدَكَ نَاسٌ      أَهْلُ الرِّبَاسَةِ صَنْبَرَةٌ هَمْدَانٌ

وَأَفْرَاطٌ بَيْنَ الْمَقْطَعَةِ وَالْفَاسِ      لِي يَرْدَعُونَ السَّيْلَ فِي الْوُدْيَانِ

إلا أنه امتزج عليه المدح بالذم؛ في قوله؛ وافراط بين المقطعة الخ؛ فلقد

غضب منه الأمير منصور بن غالب<sup>(٢)</sup>؛ فجفاه؛ وهو موضع الشاهد؛ الذي أدل

به؛ لأنه؛ مثل قول عمرو بن العاص:

(١) غالب بن محسن الكثيري مؤسس الدولة الكثرية الثانية بحضرموت كان من كبار قادة جيش النظام بحيدر آباد الدكن؛ خاض حرباً كثيرة في سبيل إقامة دولته بحضرموت والتي كانت قبل قيام دولته موطناً للفوضى والاضطراب فضبط أمورها وساسها بالعدل وكان صالحاً عادلاً محباً لآل البيت. وتوفي سنة ١٢٨٧هـ.

(٢) منصور بن غالب الكثيري سلطان الدولة الكثرية الذي تولى بعد وفات والده مؤسس الدولة الكثرية الأخيرة السلطان غالب بن حسن وقد توفي السلطان منصور أثناء الحج بعرفات سنة



نَصْرُنَاكَ مِنْ جَهْلِنَا يَا ابْنَ هِنْدٍ      عَلَى الْبَطْلِ الْأَقْوَمِ الْأَنْصَلِ  
وَأَيْنَ الثُّرَيَّا وَأَيْنَ الثُّرَى      فَأَيْنَ الْحُسَامِ مِنَ الْمُنْجَلِ  
وَأَيْنَ الثُّرَيَّا وَأَيْنَ الثُّرَى      وَأَيْنَ مُعَاوِيَةَ مِنْ عَلِي  
ومنه قول الفاضل؛ السيد حسين بن حامد<sup>(١)</sup>؛ وقد ورد إلى موضع لنهد؛  
يدعى بالظاهرة:

يَا لظَاهِرَةَ جِينَاشْ لِمِقْدَارِ      وَالْبُعْدَ قَرَّبْنَا مُبِوَجَةَ  
وَالْقَبُولَةَ مَا طَعَمَهَا إِلَّا قَارِ      مَا شِئِي مِصْلَحَ مِنْ جُيُوجَةَ  
فإنه شبيه بقول أبي تمام:

وَالْحَمْدُ شَهْدٌ لَا تَرَى مِثَارَهُ<sup>(٢)</sup>      بَجَنِيهِ إِلَّا مِنْ نَقِيعِ الْحَنْظَلِ  
فهم؛ اشعر الناس على الإطلاق؛ في النوع الحُمَيَّي منه؛ وحسبك برهانا  
على ما أقول؛ دواوين الشيخ عمر بامخرمه؛ وخو علوي؛ وبن زامل؛ وبورزيًا؛  
ومن على شاكلتهم؛ وديوان الجد محسن؛ وديوان سيدي أحمد بن محمد  
المحضار؛ والشيخ القحوم العمودي؛ وغيرهم؛ ممن لا يضبطهم العد؛ فإنها  
شهود عدل؛ على ما نقول؛ وقد اشتهر: أَنَّ رجلاً بصر بثلاث فتيات؛ في أحد  
مواسم دوعن؛ فاستهواه جمالهن؛ وكان على أحدهن الحُلِّي؛ الدال علي قرب  
العهد بالزواج؛ المُسَمَّى؛ في عرفهم؛ بالكديد؛ فقال:

ذا من؟ وذا من؟ وذا من؟ لي عليه الكديد

فانبرت له احدهن؛ وقالت؛ من دون تلعثم:

(١) السيد حسين بن حامد المحضار وزير الدولة القعيطية وأحد أبرز السياسيين الحضارمة قام  
بسياسته وحكمته ودهائه في بسط نفوذ الدولة القعيطية على أغلب نواحي حضرموت كان  
رجلاً متديناً وأديباً وشاعراً وكان يدير الدولة القعيطية أثناء غيبة السلاطين الطويلة بالهند  
توفي سنة ١٣٤٥هـ.

(٢) المشتار: الذي يخرج العسل من الخلية.

هَذَا جَمِيدِي وَذَا نَهْدِي وَذَا بَلْعِيدِي  
ذُولَا مَصَانِغٍ وَمَبْنَاهِنِ عَلَى رَأْسِ جِيدِي  
لَوْ غَلَبَتْ الرُّومُ وَاللَّهِ مَا ظَفِرْتَهُ بِقِيدِي

فهذا الكلام الجزل؛ لو روى فيه أحد الفحول؛ لكان به جمال وشرف يطول؛ فكيف وقد ارتجلته عادة حضرمية؛ إرتجالاً؛ وأرسلته من طرف لسانها؛ إرسالاً؛ إنَّ هذا لشيء عجاب؛ وسمعت بعضهم؛ يعزوها؛ لسيدي علي بن حسن العطاس؛ ومهما يكن من الأمر؛ ففخرها لم يخرج عن الحضارم؛ ولا سيماً إذا كان بديهة.

ثم أنشدني الشيخ محمد بن سالم بن أبي بكر باسودان؛ زاملاً<sup>(١)</sup> لبعض سيبان<sup>(٢)</sup>؛ في معنى؛ وأكثر لفظ؛ ما سبق من قول العم حسين بن حامد؛ بالظاهرة الخ؛ وهما متعاصران؛ فلا شك؛ أنَّ أحدهما؛ متلصص على الآخر!

### وأما قوله (٣٩)

وَالْمَرْءُ تَنْهَيْتُهُ إِمَّا شَجَاعَتُهُ  
إِلَى الْمُؤَلِّمِ وَإِمَّا خِشْيَةَ الْعِبَارَةِ

فمن قول الجاحظ: الأسباب المشجعة؛ قد تكون من الغضب والشراب؛ والهوج والغيرة والحمية؛ وقد تكون من قوة النفخ، وحبِّ الاحدوث؛ وربما كان طبعاً؛ كطبع الرحيم والسخيِّ والبخيل والجزوع؛ وربما كان للدين؛ ولكن الدين؛ لا يبلغ بالرجل ما لم يشبه ما تقدم؛ لأن الدين؛ مجتلب مكتسب؛ لا يبلغ الطبيعه! هذا كلام الجاحظ؛ ولا شك أن الشريف؛ أخذ منه ما شاء؛ في بيته؛ وأنا أناقش

(١) الزامل: هو ضرب من شعر العامية باليمن يتكون من بيتين شعريين ويؤدي بصورة جماعية أثناء العديد من المظاهر الاحتفالية ومناسبات الأعراس وهو شعر يتم ارتجاله في الحال ويصاحب الزامل الرقصات التي تؤدي بشكل جماعي على دقات الطبول وأصوات المزمار، وفيه حكم وأمثال ومعاني.

(٢) سيبان من أكبر قبائل حضرموت وتحتل أرضاً واسعة من وسط حضرموت الي الساحل وعلى تلك البقعة تنتشر فروعها وقبائلها.

الجاحظ؛ في قوله: إِنَّ الدِّينَ لَا يَبْلُغُ الطَّبِيعَةَ؛ بما هو شاهد من قديم الزمان إلى الآن؛ أن الجيوش المتديّنة؛ تغلب الغير متديّنة؛ في الأكثر الغالب؛ وأنَّ الدِّينَ؛ يشجع الجبان، ويطلق العنان؛ وقديماً كان يقال: لَا يَصُدُّقُ الْقِتَالَ؛ إلا ثلاثة: متديّن؛ وغيران؛ وممتعض من ذل؛ فاما الدِّين؛ فشواهده كثيرة؛ ومنها قوله جل ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ...﴾<sup>(١)</sup>؛ ومن ذا الذي ينكر إقدام الشُّرَأة؛ وتقدُّم أصحابه؛ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم؛ إلى الموت بالصدر الرحب، والحُظا الواسعة؛ فكل ذلك؛ بدافع الدِّين؛ وأما شواهد غيره؛ فمنها: قول أبي الطيب:

وَالْعَارُ مَضَاضٌ وَلَيْسَ بِخَائِفٍ      مِنْ حَتْفِهِ مِنْ خَافٍ مِمَّا قَبِلا  
وقوله:

لَقِيتُ الْقَنَاعَةَ بِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ      إِلَى الْمَوْتِ فِي الْهَيْجَا مِنَ الْعَارِ تَهْرُبُ  
ومنه؛ كلما يأتي تحت البيت (٥٠)؛ وبيت الشريف؛ بجنب كلا بيتي المتنبى؛ مرعى؛ ولا كالسعدان<sup>(٢)</sup>.

### وأما قوله (٤٠)

وَهَلْ نَافِعِي يَوْمَ أَقْضِي مَدَى      إِذَا صَابَ وَاوِي قَوْمِي الْمَطَرُ

فقد ذكر الأستاذ<sup>(٣)</sup>؛ أنه من قول أبي فراس:

مُعَلِّلَتِي بِالْوَصْلِ وَالْمَوْتُ دُونَهُ      إِذَا مِتُّ ظَمَانًا فَلَا نَزَلَ الْقَطْرُ  
وهو كذلك؛ لكن البون بين البيتين شاسع؛ والتفاوت بعيد؛ وأين التبر من

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٢) مرعى ولا كالسعدان: مثل يضرب للشيء الذي يفضل أمثاله، والسعدان: عشب يزيد خثورة لبين الغنم والماشية وهو من أفضل غذاء الماشية.

(٣) زكي مبارك.

التراب، والثرى من الثرى؛ وبيت أبي فراس؛ مبني على قول حبيب<sup>(١)</sup> :

وَمَا نَفْعُ مَنْ قَدْ مَاتَ بِالْأَمْسِ ظَامِئاً      إِذَا مَا سَمَاءُ الْيَوْمِ طَالَ إِنَّهَا

وقال البحتري :

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْعَيْتَ لَيْسَ بِنَافِعٍ      لِلنَّاسِ مَا لَمْ يَأْتِ فِي إِيَانِهِ

وقال :

خَلِيلٌ أَتَانِي نَفْعُهُ عِنْدَ حَاجَتِي      إِلَيْهِ وَمَا كُلُّ الْأَخْلَاءِ يَنْفَعُ

وقال :

وَإِذَا الْعَلِيلُ أَبْلَى مِمَّا يَشْتَكِي      لَمْ تُرَجَّ مِنْهُ مَثْوِيَةُ الْعُوَادِ

وقال أبو الطيب :

سَبَقَتْ إِلَيْهِمْ مَنَائِبُهُمْ      وَمَنْفَعَةُ الْعَوْثِ قَبْلَ الْعَطَبِ

وزعم غير واحد؛ أن المعري؛ كان على رأي اشتراكي؛ وأنشدوا قوله :

وَلَوْ أَنِّي حَبَيْتُ الْخُلْدَ قَرْدَاً      لَمَا أَحْبَبْتُ بِالْخُلْدِ أَنْفِرَادَاً

فَلَا هَطَلَتْ عَلَيَّ وَلَا بِأَرْضِي      سَحَائِبُ لَيْسَ تَنْتَظِمُ الْبِلَادَاً

وقال آخرون : إنما أراد النقض على الشريف؛ أو على من تلقى عنهم؛ من

أهل الأثر؛ فأخرجها هذا المخرج؛ والله العالم بالسرائر والنيات؛ ثم ذكرت

للمتبي؛ ما يصلح ان يكون أصلاً؛ لكلام المعري؛ وهو قوله :

وَقَدْ كُنْتُ ادْرَكْتُ الْمُنَى غَيْرَ أَنِّي      يُعْبِرُنِي أَهْلِي بِإِدْرَاكِهَا وَخُدِي

وفي مذكراتي<sup>(٢)</sup> : أن حكيماً رومانياً مشهوراً بالخطابة؛ وكان موجوداً في

سنة ٦٥ ميلادية؛ يقال له سنكا<sup>(٣)</sup>؛ كان يقول : لو أعطيت الحكمة كلها؛ على أن

(١) أبو تمام : حبيب بن أوس الطائي . (٢) أي ذاكرتي .

(٣) ربما يقصد الفيلسوف لوقيوس سنكا الذي ولد في حوالي سنة ٥٠ ق.م، وتوفي سنة ٦٥ بعد =

استأثر بها لنفسي؛ لكرهتها! فهو أصل المعنى من غير شك؛ وعلى مقربة من هذا البيت؛ قوله:

سَيَّانَ عِنْدِي وَأَيْدِي الْحَيِّ جَامِرَةٌ      إِنَّ أَحْطَأَ الْقَطْرُ وَأَيْدِيهِمْ وَإِنْ مُطِرُوا  
ومما يصلح للردِّ عليه؛ وعلى من لَفَّه؛ قول المعري أيضاً:

فَيَا وَطَنِي إِنْ فَاتَنِي بِكَ سَابِقٌ      مِنَ الدَّهْرِ فَلْيَنْعَمْ لِسَاكِنِكَ الْبَالُ  
إذ لا يُعْجِبُ الشريف وأمثاله؛ من أهل الأثر؛ أن تنعم أوطانهم؛ بعد ما تقشع بهم بطونها؛ وما أحسن قوله؛ بأثر ذلك البيت؛ في الحنين إلى وطنه:

وَإِنْ أَسْتَطِغَ آتِيكَ فِي الْحَشْرِ زَائِرًا      وَهَيْهَاتَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشْغَالُ  
وآخره؛ من قول عمر بن عبد العزيز؛ أنه يومئذ عنها لمشغول؛ يرد على الأحوص؛ قوله:

سَيَبْقَى لَهَا فِي مَضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا      سَرِيرَةٌ وَدُّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ

### وأما قوله (٤١)

وَالنَّاسُ أَسَدٌ يُحَايِي عَنْ فَرَائِضِهَا      إِمَّا عَقَرَتْ وَإِمَّا كُنْتَ مَعْقُورًا

فمثل قولهم: إن الحرب سجال؛ وقوله: إن الشجاعة مقرون بها العطب؛ وقول تأبط شراً<sup>(١)</sup>:

وَمَنْ يُغْرِبِ بِالْأَعْدَاءِ لَا بُدَّ أَنَّهُ      سَيَلْقَى بِهِمْ مِنْ مَضْرِعِ الْمَوْتِ مَضْرَعًا  
وقال دريد بن الصمة<sup>(٢)</sup>:

= الميلاد. وكان فيلسوفاً رومانياً، وسياسياً. ولد في قرطبة بإسبانيا، وتعلم المحاماة في روما، وأكب على دراسة الفلسفة والخطابة، وصار عضواً في مجلس الشيوخ.

(١) اسمه ثابت بن جابر القيسي المضري؛ أحد شعراء الجاهلية الصعاليك ولتسميته تأبط شراً قصص مختلفة.

(٢) شاعر جاهلي من قبيلة هوازن وفارس مشهور؛ قاتل المسلمين في وقعة حنين فقتل.

فَأَمَّا تَرَيْنَا لَا تَرَا لِدِمَاؤُنَا  
فَلِإِنَّا لِلخَمِّ السَّيْفِ غَيْرُ نَكِيرَةٍ  
يَغَارُ عَلَيْنَا وَاتْرَيْنَ فَيَسْتَفِي  
بِذَاكَ قَسَمْنَا الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ بَيْنَنَا  
وقال كعب بن زهير<sup>(١)</sup>:

لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالَتْ رِمَاحُهُمْ  
وقول الخنساء:

وَمَنْ ظَنَّ مِمَّنْ يُلَاقِي الحُرُوفَ  
وقال النمر بن تولب<sup>(٢)</sup>:

وَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا  
وقول كلحب ابن شذوب الأسدي: مَنْ يَرَّ يَوْمًا يُرَبِّهْ؛ وشرحه؛ موجود  
عند الميداني<sup>(٣)</sup> وقال حبيب<sup>(٤)</sup>:

فَالْمَجْدُ طَوْقُكَ وَمَا تَعْدُوكَ هِمَّتُهُ

(١) كعب بن زهير بن أبي سلمى شاعر مخضرم عاصر الإسلام والجاهلية ابوه الشاعر المعروف زهير ابن أبي سلمى هجا كعب النبي ﷺ في بداية الإسلام فأهدر النبي ﷺ دمه ثم تاب كعب وأسلم فعفى عنه النبي ﷺ.

(٢) النمر بن تولب بن زهير العلكي شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وكان من الفرسان المعدودين ومن أجواد العرب المشهورين.

(٣) أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، أبو الفضل الأديب البحات، صاحب (مجمع الأمثال) الذي يحتوي على ما يقرب من (٥٠٠٠) مثل من الأمثال العربية القديمة، سوى آلاف أخرى من الأمثال المولدة، وقد رتبها المصنف كتابه على أحرف المعجم ذاكراً مضرباً كمثل ومورده، ولد الميداني ونشأ في نيسابور وتوفي بها سنة ٥١٨هـ.

(٤) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي.

وقال أبو الطيب:

شَدِيدَ الْخَنْزَوَانَةِ<sup>(١)</sup> لَا يُبَالِي أَصَابَ إِذَا تَنَمَّرَ أَمْ أَصِيبَا

وفي البيت نظر<sup>(٢)</sup>؛ إلى ما أخرجه في النهج؛ من قول الإمام؛ في وصف الدنيا: قِيمُنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ، وَسَلْوٍ مَذْبُوحٍ؛ ودم مسفوح. وفي قوله: تحامي عن فرائسها؛ شبه رد؛ لما ادعاه في البيت (١٢٣)؛ من سماحة الأسود.

وأما قوله (٤٢)

وَلَيْسَ كُلُّ ظَلَامٍ دَامَ غَيْهَبُهُ      يَسُرُّ خَابِطُهُ أَنْ يَظْلَعَ الْقَمَرُ

فمن قول المتنبي:

وَكَمْ لِظَّلَامِ اللَّيْلِ عِنْدِي مِنْ يَدٍ      تُحَدِّثُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ<sup>(٣)</sup>

وقوله:

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي      وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي

وهذا يقال: انه أمير شعر المتنبي؛ وأبدعه؛ على كثرة البديع فيه؛ وذكروا: أن وزير كافور<sup>(٤)</sup> بمصر؛ أحضر جماعة من أهل العلم؛ وأباحهم كتبه؛ وفيها

(١) الخنزوانة: الكبرياء.

(٢) يشير إلى بيت الشريف موضع الشرح:

وَالنَّاسُ أَسَدٌ تُحَامِي عَنْ قَرَائِبِهَا      إِمَّا عَقَرْتُ وَإِمَّا كُنْتُ مَعْقُورًا

(٣) قوله: «من يده؛ أي: من نعمة؛ لأن المانوية يقولون: إن الظلمة لا تخلق الخير، وإنما تخلق الشر. والمانوية ديانة تنسب إلى زمان الذي جاء بعد المسيح سنة ٢١٦ في بابل وكان في الأصل مجوسياً وقد صدق مان بنبوة عيسى وأنكر نبوة موسى وأقام علاقة بين دينه وبين المسيحية والبوذية والزرادشتية وكتب عدة كتب منها إنجيله الذي أرادته مثل إنجيل عيسى وتقوم المانوية على أن العالم مركب من جزئين النور والظلمة. ويعرف أتباعها بالزنادقة.

(٤) كافور الإخشيدي كان من رقيق الحبشة ثم أصبح سنة ٩٦٦م والياً على مصر حيث حكمها ثم توسع إلى بلاد الشام دام حكمه لمدة ٢٣ عاماً وهو صاحب الفضل في بقاء الدولة الإخشيدية في مصر وكان محباً للأدب والأدباء مدحه المتنبي ثم هجاه.

كثرة هائلة؛ ليبحثوا عن مأخذه؛ فلم يقدرُوا على شيء! بعد شدة الفحص والتنقيب. قال ابن جني: ثم عرفت أنه: من قول ابن المعتز:

لَا تَلْقَ إِلَّا لَيْلٍ مَنْ تَوَاصَلَهُ      فَالْشَّمْسُ نَمَامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَادُ  
كَمْ عَاشِقِي وَظَلَامُ اللَّيْلِ يَسْتُرُهُ      وَآسَى الْأَحْبَبَةِ وَالْوَأَشُونَ رُقَادُ

قال الثعالبي: ولكن المتنبي أجاد؛ ببراعة النسيج، وشرف اللفظ؛ فهو الاحق به؛ وأقول: أنه لا يخلو عن شيء من النظر؛ إلى قول حبيب:

نَقِيَّةَ الذَّيْلِ لَا لَيْلٌ بِمَدْخَلِهَا      فِي بَابِ عَيْبٍ وَلَا صُبْحٍ بِفَاضِحِهَا  
وهو: من بيت؛ لزهير بن جناب<sup>(١)</sup>؛ يأتي لنا ذكره تحت البيت (٤٤)؛

فليس ابن المعتز بالمخترع؛ وقال البحري:

وَكَمْ مِنْ يَدٍ لَيْلٍ عِنْدِي حَمِيدَةٌ      وَلِلصُّبْحِ مِنْ حَظْبٍ تُذَمُّ عَوَائِلُهُ  
وقال:

أَهْوَى الظَّلَامَ وَأَنْ أُمَّلَاهُ؛ وَقَدْ      حَدَرَ الصَّبَاحُ نِقَابَهُ أَوْ أَسْفَرَا  
وقال:

لَيْلٌ بِذَاتِ الطَّلْحِ أَسْدَاقَانُهُ      أَهْدَى إِلَى الْمُشْتَاقِ مِنْ أَسْحَارِهِ  
وَمِنْ أَجْلِ طَيْفِكَ عَادَ مُظْلِمٌ لَيْلِهِ      أَحْظَى لَدَيْهِ مِنْ مُضِيِّ نَهَارِهِ

فالصبح؛ غير مفروح به؛ في سائر هذه الأبيات؛ والقمر في بيت الشريف؛ مثله؛ فليس فيه شيء جديد؛ وقال عمر بن أبي ربيعة:

وَعَابَ قُمَيْرٌ كُنْتَ أَهْوَى غُيُوبُهُ      وَرَوَّحَ رَغَبَانُ وَنَوْمٌ سَهْدُ  
وقال ابن المعتز:

(١) زهير بن جناب بن هبل الكلبي من بني كنانة بن بكر (توفي نحو ٦٠ق.هـ / ٥٦٤م) خطيب قيلة قضاة وسيدها وشاعرها ومبعوثها إلى ملوك الجاهلية. كان يسمى الكهانة لصحة رأيه، وقيل أنه عمّر طويلاً وله وقائع كثيرة أشهرها مع بكر وتغلب.



وَلَاخَ ضَوْؤُهُ هِلَالٍ كَأَدَّ يَفْضَحَنَا      يَثُلُ الْعَلَامَةُ قَدْ قُدَّتْ مِنْ الظَّفْرِ

وقال: سارية بن عويمر بن عدي العقبلي؛ لثور بن أبي سمعان العقبلي؛ وقد أراد أن يخرج من عنده؛ مصبحين: اذرعوا الليل؛ فإنه أخفى للويل<sup>(١)</sup>؛ ولست آمن عليكم توبة<sup>(٢)</sup>؛ وكان ثور لطمه؛ بحضرة بعض الأمراء؛ وأمكن من نفسه؛ فابى توبة؛ أن يقتص منه وقال:

إِنْ يُمَكِّنُ الدَّهْرُ فَسَوْفَ أَنْتَقِمُ      أَوْ؛ لَا فَإِنَّ الْعَفْوَ أَوْلَى بِالْكَرَمِ

فأحس بهم توبة؛ فتبعهم؛ وقتل ثوراً؛ فكان ذلك هو السبب؛ في قتل توبة

بعد.

### وأما قوله (٤٣)

مَا كُلُّ مُجْرِمَةٍ تَحْلُو لِذَائِقَتِهَا      إِنَّ السَّيَاطِلَ لَهَا مِنْ مِثْلِهَا نَمْرٌ

فأوله؛ لا فائدة فيه؛ لأنه من الظهور؛ بالغاية التي أنكرناها في البيت (٣١)؛ وما حاول أن ينمقه به؛ من إرسال المثل في الآخر؛ لم يزد إلا مقماً؛ لعدم المناسبة؛ فهو في غاية البرودة؛ لأن معناه حسبما يتبادر: أن العقد التي في

(١) الليل أخفى للويل مثل معناه: افعل ما تريد ليلاً فإنه أستر لسترك.

(٢) وتفصيل القصة أن توبة بن الحمير شهيد بني خفاجة وبني عوف وهم يختصمون عند همام بن مطرف العقبلي وكان مروان بن الحكم استعمله على صدقات بني عامر فضرب ثور بن أبي سمعان بن كعب العقبلي؛ توبة بن الحمير بعمود من حديد فجرح وجّه توبة؛ فأمر همام بن مطرف بثور فأقعد بين يدي توبة فقال: خذ حفاك يا توبة فقال توبة: ما كان هذا إلا عن أمرك وما كان ثور يجترئ على عند غيرك؛ ولم يقتص منه وقال: إِنْ يُمَكِّنُ الدَّهْرُ فَسَوْفَ أَنْتَقِمُ أَوْ لَا فَإِنَّ الْعَفْوَ أَوْلَى بِالْكَرَمِ. ثم إن توبة بلغه أن ثوراً قد خرج في نفر من أصحابه فتبعهم توبة في أناس من أصحابه حتى علم أنهم عند سارية بن عويمر بن عدي وكان صديقاً لتوبة فقال توبة: لا أطرقهم وهم عند سارية حتى يخرجوا وقال سارية للقوم وقد أرادوا أن يخرجوا من عنده مصبحين: اذرعوا الليل فإنه أخفى للويل ولست آمن عليكم توبة فلما أظلموا ركبوا الفلاة وتبعهم توبة فقتل ثوراً وجرح هذا قتل توبة بن الحمير.

عذبات السياط؛ ليست بحلوة؛ إذ هي المرادة؛ من الثمر في القافية؛ كما في قول المتنبي:

وَتَصَالَحَتْ ثَمَرُ السِّيَاطِ وَخَيْلِهِ وَأَوْتُ إِلَيْهَا سُوقُهَا وَالْأَذْرُعُ

ومعلوم؛ أن مرارة العقد المشار إليها؛ لا تكون؛ إلا عند من يجد الم الضرب بها مثلاً؛ أمّا الضارب؛ فلا يحسن منها؛ إلا حلاوة؛ يشفي بها شهوة الانتقام؛ وكم في السياط؛ وفي عقدها؛ من منافع كثيرة؛ لا باس بإطلاق الحلاوة المجازية عليها؛ وناهيك بما جاء في فضل العصا؛ حتى لقد أفردوها بالتأليف؛ وقالت غنّية الإعرابية؛ تمدح ولدها:

أَخْلِفُ بِالْمَرْوَةِ يَوْمًا وَالصَّفَا إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيْقِ الْعَصَا<sup>(١)</sup>

وقد اشبعوا البحتري؛ تفنيداً؛ على ما مرّ تحت البيت العاشر؛ من قوله:

وَعَيْرْتَنِي سِجَالُ الْعُذْمِ جَاهِلَةٌ وَالنَّبْعُ عِرْيَانُ مَا فِي عُوْدِهِ ثَمَرُ

وربما يكون غرض الشريف؛ من بيته؛ غير الذي تبادر لي منه؛ فإنه مُعَقَّدُ؛ يحتمل أن يريد به: تفاوت الفرق بين الاسماء والمسميات؛ وأبدع ما فيه؛ قول أبي الطيب:

وَقَدْ يَنْقَارَبُ الْوُضْفَانِ جِدًّا وَمَوْصُوقَاهُمَا مُتَبَاعِدَانِ

أو يريد: ما كل ثمرة تحلو لصاحبها؛ وما كل عمل يأتي بالنتيجة المطلوبة؛ فيكون إذن: نظير قوله؛ الجدير بالإعجاب والاختيار؛ وهو:

غَرَسْتُ غُرُوسًا كُنْتُ أَرْجُو لِقَاحَهَا وَأَمَلْتُ يَوْمًا أَنْ تَطِيبَ جَنَاتُهَا

(١) (إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيْقِ الْعَصَا) من أمثال العرب وهو من قول غنّية الأعرابية في شأن ابنها: وذلك أنه كان لها ابنٌ ضعيف البدن، بليد الذهن فتعارك مرة مع فتى من الأعراب، فقطع الفتى الإعرابي أنفه، فأخذت غنّية ديةً أنفه فحسنت حالها بعد فقر مُدْقِع، ثم عارك آخر فقطع أذنه فأخذت الدية، ثم وائت بعد ذلك آخر فقطع شفته فأخذت ديةً شفته، فلما رأت ما قد صار عندها من الإبل والغنم والمتاع بجوارح ابنها حسن رأيها فيه، فقالت: أَخْلِفُ بِالْمَرْوَةِ حَقًّا وَالصَّفَا أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيْقِ الْعَصَا.

فَإِنْ أُبْنِعْتَ أَثْمَارَهَا كُنْتُ آهلاً      وَلَا ذَنْبَ لِي إِنْ حَنُظَلْتُ نَحْلَاتُهَا  
وقد أعجب الشريف بالأخير؛ فأخذه في قوله السابق؛ وبعضهم يرويه؛  
هكذا؛ وهو أصوب:

فَإِنْ أَثْمَرْتُ لِي غَيْرَ مَا كُنْتُ آهِلاً      فَلَا ذَنْبَ لِي إِنْ حَنُظَلْتُ نَحْلَاتُهَا

### وأما قوله (٤٤)

وَهَبِكَ اتَّقَيْتَ السَّهْمَ وَالسَّهْمُ يُتَّقَى      فَمَنْ لِيَدِ تَرْمِيكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَذْرِي

فمن أمثال؛ قول ابن قميئة<sup>(١)</sup>:

رَمْتَنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا تُرَى      فَكَيْفَ يَمَنْ يَرُمِي وَلَيْسَ بِرَامِي  
فَلَوْ أَنَّنِي لَمَّا رَمْتَنِي رَمِيْتُهَا      وَلَكِنَّهَا تَرُمِي بِغَيْرِ سَهَامِ  
وقوله:

فَوْقَ الدَّهْرِ إِنَّا نُبَلَّه      عَلَا يَفْصِدُنَا بَعْدَ نَهْلِ  
فَهُوَ رَامِينَا وَلَا نُبْصِرُهُ      مِثْلَ رَامٍ رَامَ صَيْدًا فَحَتَلِ  
وقال افنون التغلبي<sup>(٢)</sup>:

لَعَمْرُكَ مَا يَذْرِي الْفَتَى كَيْفَ يَتَّقَى      إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهَ وَاقِيَا  
وقال أسامة بن حبيب الهذلي:

تَوَقَّ أَبَا سَهْمٍ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ      مِنَ اللَّهِ وَاقٍ لَمْ تُضْبَهُ الْمَرَاشِدُ<sup>(٣)</sup>

(١) هو عمرو بن قميئة الثعلبي البكري؛ شاعر جاهلي كبير معمر؛ مجيد ومقل؛ أعجب به امرؤ القيس وقد قابله وهو مسن فاستصحبه في رحلته إلى الروم فهلك عمرو في الطريق.

(٢) افنون التغلبي واسمه ظالم بن معشر وهو أحد شعراء بني تغلب المشهورين. وسبب لقبه شطر بيته: (إن للشبان افنونا).

(٣) المرشد: مقاصد الطرق.

وانشد الثعالبي؛ لابن أبي عيينة<sup>(١)</sup>:

لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْفَتَى كَيْفَ يَنْتَقِي      نَوَائِبَ هَذَا الدَّهْرِ أَمْ كَيْفَ يَخْتَرُ  
بَرَى الشَّيْءَ مِمَّا يُنْتَقَى فَيَخَافُهُ      وَمَا لَا يَرَى مِمَّا يَبْقَى اللَّهُ أَكْبَرُ

وقال ابن قتيبة؛ في عيون الأخبار: كان رجل من ولد ابن الخطاب؛ إذا كان مسروراً قال:

لَيْتَ أَيَّامَنَا بِبُرْقَةٍ حَاخٍ      وَلَيَا لَيْكَ يَا طَوِيلُ تَعُودُ  
وَإِذَا كَانَ مُغْتَمًّا؛ قال:

بَرَى الشَّيْءَ مِمَّا يُنْتَقَى فَيَخَافُهُ      وَمَا لَا يَرَى مِمَّا يَبْقَى اللَّهُ أَكْبَرُ  
فلا يمكن؛ أن يكون لابن عيينة؛ إن أراد بقوله: ولد ابن الخطاب؛ الحقيقة.

وقال زهير بن جناب:

عَدَا الدَّهْرُ يَرْمِينِي فَتَدْنُو سِهَامُهُ      لِشَخْصِي وَاخْلَقَ<sup>(٢)</sup> أَنْ يُصِيبَنَ سَوَائِدِيَا  
وَكَانَ كَرَامِي اللَّيْلِ يَرْمِي فَلَا بَرَى      فَلَمَّا أَضَاءَ الشَّيْبُ شَخْصِي رَمَانِيَا

قال المرتضى<sup>(٣)</sup>: وقد أبدع في الأخير؛ لأنه جعل الشباب: كالليل الذي يستر الرمي؛ فلا يصاب؛ والشيب: كالسراج؛ الذي يهدي إلى المقاتل؛ وما علمت احداً؛ سبقه إلى هذا المعنى. (انتهى).

ورأيته في موضع آخر؛ من أماليه<sup>(٤)</sup>؛ يعزو هذين البيتين؛ لابن الرومي؛

(١) أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة، شاعر عاش في نهاية القرن الهجري الثاني؛ يغلب على شعره الحماسة والشباب وحب الطبيعة، اشتهر بحب فاطمة التي رفضته عندما تقدم لها وتزوجت من آخر.

(٢) اخلق: اجدر واولى.

(٣) هو الشريف المرتضى أخو الشريف الرضي وصاحب كتاب الأمالي.

(٤) يقصد الشريف المرتضى صاحب كتاب الأمالي.

والأول؛ هو الأثبت؛ وفي غير خفاء؛ تعرف أن الأبيات السابقة؛ تحت البيت (٤٢)؛ عالية؛ على بيت زهير هذا؛ وللشريف؛ في المعنى الذي نحن بسبيله؛ ما هو أفضل من المختار<sup>(١)</sup>؛ كقوله:

أُظُنُّ شَخْصَ الرَّدَى قَرْدًا فَأَحْذَرُهُ      وَالْمَوْتُ أَكْبَرُ مِنِّي وَأَوْهَامِي  
وقوله:

وَهَلْ نَحْنُ إِلَّا مَرَامِي السَّهَامِ      يُحَفَّرُنَا نَابِلٌ دَائِبٌ  
نَسْرٌ إِذَا جَارَنَا طَائِشٌ      وَنَجْرَعُ إِنْ مَسَّنَا صَائِبٌ

وأما قوله (٤٥) و(٤٦)

|   |  |
|---|--|
| يَقُولُونَ نَمَّ فِي هَذَاةِ الدَّهْرِ أَيْمَانًا | فَقُلْتُ: وَمَنْ لِي أَنْ يَهَادِينِي الدَّهْرُ      |
| هَلِ الْحَرْبُ إِلَّا مَا تَرَوْنَ نَقِيصَةً      | مِنَ الْعُمْرِ أَوْ عُدْمَ مِنَ الْمَالِ أَوْ عُسْرُ |

فالأول: من قول أرسطو؛ في جواب سيرة للإسكندر؛ بعد استيلائه على مملكة إيران:

لا أمان للدهر؛ ولا ثقة بالأيام. وقول النمر بن تولب: ولا يأمن الأيام الا مُضَلَّل. وقول فروة بن مسيك المرادي<sup>(٢)</sup>:

وَمَنْ يُغَرِّزْ بِرَيْبِ الدَّهْرِ يَوْمًا      يَجِدُ رَيْبَ الزَّمَانِ لَهُ حُؤْنًا  
وقول ابن الرومي:

وَمَنْ يَرْجُو مُسَالَمَةَ اللَّيَالِي      لَمَغْرُورٌ يُعَلَّلُ بِالْأَمَانِي

(١) أي من الذي اختاره من شعره زكي مبارك.

(٢) فروة بن مسيك الصحابي المرادي الغطيفي؛ كان شاعراً كبيراً وقد ظلت أبياتة الدالة على تداول الأيام والدول تتداولها العرب؛ قدم على رسول الله ﷺ وأسلم ثم أوفده الرسول ﷺ إلى اليمن وحضرموت وكان له دور كبير في نشر الإسلام باليمن.

وقول البحرري :

وَمَا زِلْتُ سِلْمَ الدَّهْرِ حَتَّى أَضَاءَ لِي

وقوله :

وَلَيْسَ الأَمَانِي بِالبَقَاءِ وَإِنْ جَرَتْ

وقوله :

كَيْفَ تَقْضِي لِي اللَّيَالِي

وقوله :

أَرَى غَفْلَةَ الأَيَّامِ إِعْطَاءَ مَانِعٍ

وقول أبي الطيب :

إِنِّي لأَعْلَمُ وَاللَّيْبُ خَيْرُ

وقوله :

أَمَا تَغْلَطُ الأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى

بَغِيضًا تُنَائِي أَوْ حَبِيبًا تُقَرِّبُ

وينتظم في سمطه ؛ ما سبق تحت البيت (٣٥). وفي عكسه ؛ يقول حبيب ؛

على خلاف ما سبق له ؛ تحت ذلك البيت :

لَيَالِي نَحْنُ فِي وَسَنَاتِ عَيْشِ

كَأَنَّ الدَّهْرَ عَنَّا فِي وَثَاقِ

وَإَيَّامُ لَنَا وَلَهُ لِدَانُ

عَنِينَا فِي حَوَائِشِهَا الرِّقَاقِ

ويقول البحرري :

سَقَى اللُّهُ أخلَافاً مِنَ الدَّهْرِ رَطْبَةً

سَقَتْنَا الجَوَى إِذْ أَبْرَقَ الحَرْنُ أَبْرُقُ

لَيَالٍ سَرَقْنَاها مِنَ الدَّهْرِ بَعْدَما

أَضَاءَ بِإِصْبَاحِ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرُقُ

ويقول :

وَقِصَارَ أَيَّامٍ بِهِ سَرَقَتْ لَنَا

حَسَنَاتُهُ مِنْ كَائِشِ وَرَقِيبِ

ففي كل هذه؛ الأيام هدأة من الدهر؛ نوافيها؛ آمين مطمئنين إلى هدنته؛  
غير أن الحال؛ كما قال؛ ديك الجن<sup>(١)</sup>:

يَرْقُدُ النَّاسُ آمِنِينَ وَرَبُّ الدَّهْرِ      سِرِّ رِعَاهُمْ بِمُثْلَةِ لِحْصِ  
وكما قال؛ عدي بن زيد<sup>(٢)</sup>:

يَا رَاقِدَ اللَّيْلِ مَسْرُوراً بِأَوْلِهِ      أَنَّ الْحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقْنَ أَشْحَاراً  
وأما الثاني؛ فشيبه؛ بقول زيادة بن زيد<sup>(٣)</sup>:

هَلْ الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى      رَزْزَةُ مَالٍ أَوْ فِرَاقُ حَبِيبِ  
وقول أبي تمام:

سَدَّكَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ حَتَّى إِنَّهَا      لَتَكَادُ تَفْجَأُهُ بِمَا لَمْ يَفْدِرِ  
مَا كَفَّتْ عَنْ حَرْبِ الزَّمَانِ وَرَمِيهِ      بِالصَّبْرِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُنْصِرِ  
مَا إِنْ يَزَالُ بِحَدِّ حَزْمٍ مُقْبِلِ      مُتَوَطِّئاً أَعْقَابَ رِزْقِ مُذْبِرِ  
وقول ابن الرومي:

(١) ديك الجن واسمه عبد السلام بن رغبان شاعر سوري مولود عام ١٦٦هـ في مدينة حمص في سوريا، وتوفى عام ٢٣٦هـ، ولقد كان شعر ديك الجن من أهم المواطن التي سطا عليها المتنبي. كان محباً للهو والخلاعة قريبا من الزندقة مع امتلاك ناصية اللغة العربية وله معرفة بالغناء.

(٢) عدي بن زيد بن حماد العبّادي. شاعر من دهاة الجاهليين، كان قروياً من أهل الحيرة، فصيحاً، يحسن العربية والفارسية، والرمي بالنشاب.

وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، الذي جعله ترجماناً بينه وبين العرب، فسكن المدائن ولما مات كسرى أوفده خليفته هرمز أعلى شأنه رسولاً إلى ملك الروم في القسطنطينية، ثم تزوج هنداً بنت النعمان ثم شى به أعداؤه إلى النعمان فسجنه وقتله.

(٣) زيادة بن زيد العذري. من شعراء صدر الإسلام، ينتمي إلى بيت شعر فأخوه عبد الرحمن شاعر، وابنه المسور شاعر أيضاً. يميل إلى شعر المطولات، قتله هذبة بن خشرم سنة ٥٤هـ.

اِعْجَبَ بِأَمِينِ دَهْرٍ وَهُوَ مُبْتَرِكٌ      يُغْرِبُهُ عَنَ وَرَقِي طَوْرًا وَمِنْ نَجَبِ  
فِي هُدْنَةِ الدَّهْرِ كَافٍ مِنْ وَقَائِعِهِ      وَالْعُمَرُ أَقْدَحُ مِبْرَاءَةٍ مِنَ الوَصَبِ

وفي النهج<sup>(١)</sup>: 'فبينما هو يضحك إلى الدنيا؛ وتضحك إليه؛ في ظل عيش غفول؛ إذ وطئ به الدهر حسكه<sup>(٢)</sup>؛ ونقضت الأيام قواه؛ ونظرت إليه الحتوف؛ عن كئيب؛ وتمثل عنده الشارح؛ بقوله:

أَلَا إِنَّ أَحْلَى العَيْشِ مَا سَمَحَتْ بِهِ      ضُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْحَوَادِثُ نُومٌ  
وقال كشاجم<sup>(٣)</sup>:

وَكُنْتُ أَحَارِبُ رَبِّ الرَّمَانِ      أَيَّامَ أَعْبِيئُهُ نَائِمَةً  
فَلَمَّا نَيْقَظَ سَأَلَمْتُهُ      وَمَنْ خَافَ سَطْوَتَهُ سَأَلَمَهُ  
وَقَدْ كُنْتُ أَظْمَعُ فِي قَمْرِهِ      فَأَضْبَحْتُ أَفْنَعُ بِالقَائِمَةِ

وفي هذه؛ ما يصلح لما سبق؛ تحت البيت (٣٣)؛ واما العسر؛ فلا كبير فائدة فيه مع العدم<sup>(٤)</sup>؛ ولكنها مشيئة القافية.

### وأما قوله (٤٧)

وَهَلْ نَافِعٌ يَوْمًا وَجِدُّكَ رَاجِلٌ      إِذَا قَبِلَ يَوْمَ الرُّوْعِ إِنَّكَ قَارِسٌ

(١) كتاب نهج البلاغة وهو ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) حسكه: أي حقهه وغضبه.

(٣) هو أبو الفتح محمود بن حسين الرملي شاعر وأديب من كتاب الإنشاء فارسي الأصل استقر في حلب ومدح سيف الدولة وأبيه اتقن عدة علوم ركب من بداية حرف كل منها اسمه.

(٤) يشير إلى بيت الشريف موضع النقد وهو:

هَلِ الحَرْبُ إِلَّا مَاتَرُونَ نَقِيصَةً      مِنَ العُمَرِ أَوْ عُذْمٍ مِنَ المَالِ أَوْ عُسْرِ



فمعناه؛ ناظر إلى قول أبي الطيب:

وَمَا يَنْفَعُ الْجَيْشُ الْكَثِيرَ الشَّفَاةُ عَلَى غَيْرِ مَنْصُورٍ وَغَيْرِ مُعَانَ

ولفظه؛ إلى قول ابن خالويه<sup>(١)</sup>؛ أو؛ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر<sup>(٢)</sup>:

وَكَمْ قَائِلٍ مَا بِأَلِكِ الْيَوْمَ رَاجِلاً فَقُلْتُ لَهُ مِنْ أَجْلِ أَنْكَ فَارِسُ

والكلام على الحظوظ والجدود؛ متكرر في شرح هذه النوادر؛ سلباً وإيجاباً؛ وقديماً؛ كان يقال: الثعلب في إقبال جدّه؛ يغلب الأسد في استقبال شيدّه. وقال أبو عباده:

وَعَجِبْتُ لِلْمَخْدُودِ يُحْرَمُ نَاصِياً كَلْفاً وَلِلْمَجْدُودِ يَنْعَمُ قَاعِداً

وقال:

عَرَى عَنِ الْحِطِّ أَنَّ الْعَجَزَ يُدْرِكُهُ وَهُوَ الْعُسْرَ عِلْمِي فِي مَنِ الْبُسْرِ

وقال:

أَلَا لَيْتَ الْمَقَادِرَ لَمْ تُقَدَّرْ وَلَمْ تَكُنِ الْإِحَاطِي وَالْجُدُودُ

لِيُنْعَمَ أَثْنَا يُنْمِي وَيُضْجِي لَهُ هَذِي الْمَوَاكِبُ وَالْعَبِيدُ

فَلَوْ كَانِ الْغِنَى حِطّاً كَرِيماً لِأَخْطَاةِ النَّصَارَى وَالْبِهْودُ

وقال ابن نباته السعدي:

أَرَى هِمَمَ الْمَرَّةِ إِكْتِثَاباً وَحَسْرَةً عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يُسْعِدْهُ اللّهُ جَدَّهُ

(١) أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه هو عالم لغوي بارز ولد في اليمن ولكنه انتقل إلى بغداد عام ٣١٤ للهجرة. وكان يلقب بندي النونين. عاصر المتنبي ولم يكن على وفاق معه لاختلاف مدرستيهما اللغويتين. توفي عام ٣٧٠ للهجرة.

(٢) عبيد الله بن عبد الله بن طاهر؛ أمير من الأدباء والشعراء؛ ولي شرطة بغداد ومولده ووفاته فيها كان مهيباً رفيع المنزلة عند المعتضد العباسي له براعة في الهندسة والموسيقى حسن الترسل وله عدة تصانيف.

وَمَا لِفَتَى فِي حَادِثِ الدَّهْرِ حِيَلَةٌ إِذَا نَحَسُهُ فِي الشَّيْءِ قَابِلَ سَعْدِهِ

وما أكثر؛ ما يتألم الشريف؛ من سوء الحظ؛ كما في قوله:

وَمَا يُغْنِي مُضِيكَ فِي ضُعُودٍ إِذَا مَا كَانَ جِدَّكَ فِي ضُبُوبٍ

وقوله:

يُكَلِّفُنِي أَنْ أَطْلَبَ العِمْرَ بِالمُنَى وَأَتِنَ العُلَى إِنْ لَمْ يُسَاعِدْنِي الجَدُّ

وقوله:

وَأَرْجُو الرِّزْقَ مِنْ خَرَقٍ دَقِيقٍ يُسَدُّ بِسِلْكِ جِرْمَانَ غَلِيبِظٍ  
وَأَرْجِعُ لَيْسَ فِي كَفَيٍّ مِنْهُ سِوَى عَظِّ البَيْدَيْنِ عَلَى الحُظُوظِ

وقوله:

لَا خَوْفَ وَالجِدُّ مُقْبِلٌ أَبَدًا عَلَى اللِّيَالِي وَأَنْتَ مُقْتَبِلٌ

وقوله:

لَا تُحْدِثَنَّ طَمَعًا وَجِدَّكَ مُذِيرٌ وَاطْلُبْ مَدَى الدُّنْيَا وَجِدَّكَ مُقْبِلٌ

وقوله:

مَا يَنْفَعُ المَرءُ إِحْسَانُ بِلا جِدَّةٍ أَلَيْسَ ذَا مُنْتَهَى حَظِّي وَذَا أَدْبِي

وقوله:

المَرءُ بِالاقْبَالِ يَبْلُغُ وَإِذَا انْقَضَى إِقْبَالُهُ دَعَا؛ حَظْرًا عَظِيمًا  
رَجَعَ الشَّفِيعُ لَهُ خَصِيمًا

وفي النهج<sup>(١)</sup>: شاركوا الذين قد اقبل عليهم الرزق؛ فانه اخلق للغنا؛

(١) كتاب نهج البلاغة وهو ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي

وأجدر بإقبال الحظ. ولأبي العلاء المعري؛ في الحظ؛ كلام كثير؛ حتى لقد جَوَزَ وقوعه؛ في الآخرة؛ فقال:

وَالْبَحْثُ فِي الْأُولَى أَنَا الْعُلَى      وَلَيْسَ فِي آخِرَةِ بَحْثُ  
كَذَاكَ قَالُوا وَأَحَادِيثُهُمْ      يَبِينُ فِيهَا الْجَزْلُ وَالشَّخْتُ<sup>(١)</sup>

ولكننا؛ نجزم بخلاف ذلك؛ لأن آيات القرآن؛ التي لا يأتيها الباطل؛ ناصّة: على أن الدار الأخرى؛ مظهر عدل بحت.

وأما قوله (٤٨)

إِنْ زِدْتَهُمْ فَلَقَدْ نَقَضْتَهُمْ      إِنَّ الزِّيَادَةَ بِالشُّغَاءِ نَقْصٌ

فمن قوله تعالى: ﴿لَوْ حَرَجُوا فَيَكُرُّ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا...﴾<sup>(٢)</sup>.

وقول أبي الطيب:

لَوْنَتْ مُقَارَنَةُ اللَّيْمِ فَلِإِنَّهَا      صَيِّفٌ يَجْرُمِينَ النَّدَامَةَ صَيِّفَنَا  
إذ زيادة النون في الضيفن<sup>(٣)</sup>؛ هي التي جلبت له النقص؛ وكذلك زيادة الاسنان باختلاف؛ وهو المراد من الشغاء<sup>(٤)</sup>؛ يجلب لها القباحة والاستهجان؛ وقد جاء في أمالي الزجاجي؛ أن مروان بن الحكم؛ قال لإمراته؛ قطيّه ابنة بشر؛ لدي مثل خالك الأشغى؛ وإنما قال ذلك؛ لاختلاف نبتة اسنانه؛ وبيت المتنبي؛ مع فضيلة السبق؛ أشرف وأظرف؛ من بيت الشريف؛ إذ لا يختص نقص الحسن

(١) الشخت النحيف الضامر.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٧.

(٣) يشرح كلمة ضيفنا في بيت المتنبي ومعنى بيت المتنبي: أن مخالطة اللئيم ملعونة لأن عاقبتها الندامة فهي كضيف معه ضيف من الندامة.

(٤) لم أجد معنى الشغاء وفسره الإمام بن عبيد اللاه الشغاء: زيادة الأسنان مع اختلاف عن موضعها الطبيعي وهو ما يسبب القبح والاستهجان.

والجمال؛ بزيادة الاسنان؛ بل كل عضو؛ زيد فيه ما لا يناسبه؛ كان قبيحاً؛ فهو من التفاهة والغثاثة بمكان؛ ولكن ما أحسن قول ابن اللبانة<sup>(١)</sup>:

رَأَدُوا جَفَاءً فَأَنْتَقَضَتْ مُرْوَةً      وَمِنَ الزِّيَادَةِ مُوجِبُ النَّقْصِ

وأما قوله (٤٩)

وَمِنَ الْمَخَازِي عِنْدَ لَابِسَتِهَا      مَا لَا تُؤَارِي الْإِزْرُ وَالْقُمُصُ

فمن قول المُرِّي<sup>(٢)</sup>:

قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوْءَةٍ وَلَجُوا      فِي سَوْءَةٍ لَمْ يُخَبُّوْهَا بِأَسْتَارِ

وقول الأول: الذي قال العسكري: لم أعرف امض في الهجاء منه؛ وهو:

إِنْ يَفْجُرُوا أَوْ يَفْطَرُوا      أَوْ يَبْخَلُوا لَمْ يَخْفَلُوا

وَعَدُوا عَلَيْكَ مُرْجَلِينَ      كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

وقول الأخطل:

قَوْمٌ تَنَاهَى إِلَيْهِمْ كُلُّ فَاحِشَةٍ      وَكُلُّ سَيِّئَةٍ سُبَّتْ بِهَا مُضَرُّ

لأنَّ من كثرت سيئاته إلى هذه الغاية؛ فأنى يواربها قميصه، أو يسترها

إزاره؛ وقال آخر:

أَحَقُّ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا بِعَيْبٍ      مُسِيءٌ لَا يُبَالِي أَنْ يُعَابَا

(١) ابن اللبانة الداني اسمه: أبو بكر محمد بن عيسى اللخمي من أهل دانية بالأندلس وهو أحد الشعراء الأندلسيين الكبار وقد تردد كثيراً على ملوك الطوائف وخصوصاً على صاحب ميورقة ناصر الدولة مبشر بن سليمان، ثم على المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية الذي ربطته به صداقة حميمة.

(٢) بشامة بن الغدير المري. اختلف في كونه شاعر اسلامي أو جاهلي كان كثير المال وهو خال زهير بن أبي سلمى.

وفي الحديث: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت»<sup>(١)</sup>.

وقال حبيب:

يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَى بِخَيْرٍ      وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ الْلِحَاءُ  
وَلَا وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ      وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ  
إِذَا لَمْ تَحْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي      وَلَمْ تَسْتَحْيَ فَاَفْعَلْ مَا تَشَاءُ

وقد تلصص حبيب؛ في الأول من هذه الأبيات؛ على قول؛ مسلم بن معبد الوالي<sup>(٢)</sup>؛ في قصيدته الطولى المشهورة: وَيَبْقَى الدِّينُ مَا بَقِيَ الْحَيَاءُ؛ وأما الثاني؛ فإنه برمته؛ من شعر؛ جميل بن المعلى الفزاري<sup>(٣)</sup>؛ كما في ص ١٩٢ جزء أول من خزانة الأدب؛ فالحياء؛ هو الذي يعفى على السيئات؛ ويغطي الخزايا؛ فلا مانع من استعارة القمص والازر له؛ مع ظهور الجامع؛ وقد جاء في الحديث: أن من أظهر لكم صفحته؛ حل عرضه؛ أو ما يقرب من هذا<sup>(٤)</sup>. وقال فقهاؤنا: لا يجوز اغتياب الفاسق المعلن؛ فنقضته عليهم؛ في بلايل التغريد<sup>(٥)</sup>؛ وقلت: لا يمتنع اغتياب الفاسق؛ إلا بما تجاهر به فقط؛ وقد دلت عليه؛ بما يشفي الصدور، ويفتح العور، ومن لم يجعل الله له نوراً، فما له من نور؛ وكثيراً ما أقول في حديثي: كان الناس أشبه بالهَرَزْ؛ في دفنهم للسيئات؛ وخجلهم من عارها، وقد صار أهل زماننا؛ كالديكئة؛ يبعثون مخازيهم؛ ولا يستحيون من انتشارها؛ والبيت الذي نحن فيه؛ مثل قوله؛ من الأخرى:

- (١) متن الحديث: عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت» رواه البخاري.
- (٢) مسلم بن معبد بن طواف الوالي. شاعر، اشتهر في العصر الأموي.
- (٣) جميل بن المعلى الفزاري شاعر جاهلي وفارس من ذبيان. كان عزيز النفس شديد الحياء.
- (٤) لم أظفر بتخريج هذا الحديث - المحقق.
- (٥) كتاب مخطوط للإمام في شرح مختصر صحيح البخاري المعروف التجريد الصحيح للزبيدي.

أَبْقُوا مَخَازِيَّ لَا تَضْفُو مَوَاطِنَهَا مِنْ الْبِلَادِ فُضُولَ الرِّبِطِ وَالْإِزْرِ  
وهو خير من هذا.

### وأما قوله (٥٠)

يَقْدِمُ الْبَاسِلُ الْأَبِيَّ عَلَيَّ الْحَثَّ فِ وَفِيهِ عَنِ الْهَوَانِ نُكُوصٌ

فاشبه؛ بأشعار الصبيان؛ فالمعنى مبتذل، واللفظ بارد، والتركيب متكلف؛  
وما أكثر من أمثاله؛ في أشعار الإباء؛ حسبما مرَّ بعضه؛ تحت البيت (٣٩).

وقال عوف بن محلم<sup>(١)</sup>:

فَتَى يَتَّقِي أَنْ يَحْدُثَ الدَّمُ عَرْضَهُ وَلَا يَتَّقِي حَدَّ السُّيُوفِ الْبَوَاتِرِ  
وقول تأبَّط شرا:

هُمَا خُطَّتَا إِمَّا إِسَارٌ وَإِمْنَةٌ وَإِمَّا دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْحُرِّ أَجْدَرُ  
وقول بشامة بن عمرو<sup>(٢)</sup>:

أُذِلَّ الْحَيَاةُ وَكُفِرَ الْمَمَاتُ وَكَلًّا أَرَاهُ طَعَامًا وَيَبِيلا  
فَسِيرًا إِلَى الْمَوْتِ سَيْرًا جَمِيلا

وقد تمثَّلَ بهما؛ الإمام زيد بن علي؛ يوم قتل؛ وابن مسلمة بن عبد الملك؛  
يوم بذل له الأمان؛ عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس؛ فلم يختر؛ إلا  
الموت؛ تحت بارقة السيف؛ وقال المثلَّمس<sup>(٣)</sup>:

(١) أحد العلماء والأدباء والرواة الفهماء، والندامي الظرفاء والشعراء الفصحاء، في العصر  
العباسي وكان نديماً لطاهر بن عبد الله بن الحسين.

(٢) بشامة بن عمرو بن هلال المري: شاعر جاهلي من شعراء المفضليات. خال زهير بن أبي  
سلمي. جاهلي. كان مقعداً من الولادة.

(٣) المثلَّمس الضبعي واسمه جرير بن عبد المسيح. شاعر جاهلي وهو خال الشاعر طرفة بن  
العبد لقب بالمثلَّمس لبيت شعر له.

- فَلَا تُحْمِلُنَّ ضَيْمًا مَخَافَةَ مَيْتَةٍ  
 وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ<sup>(١)</sup> :
- وَمُوتُنَّ بِهَا حُرًّا وَجِلْدُكَ أَمْلَسُ  
 وَلِي نَفْسٌ تَتَوَقَّى إِلَى الْمَعَالِي  
 سَتَّخَلَفْتُ أَوْ أَبْلَغُهَا مُنَاهَا  
 وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ :
- وَلَكِنْ يَرَى أَنَّ الْعُيُوبَ مَقَابِلُ  
 فَتَى لَا يَرَى أَنَّ الْفَرِيصَةَ مَقْتَلُ  
 وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :
- هَجَالًا وَيَلْقَوْنَ الْمَذَلَّةَ دُرْعًا  
 صَنَائِدُ يَلْقَوْنَ الْأَسِنَّةَ حُسْرًا  
 وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :
- وَتَخَافُ أَنْ يَذْنُو إِلَيْكَ الْعَارُ  
 لَهُ قَلْبُكَ مَا يَخَافُ مِنَ الرَّدَى  
 وَقَالَ :
- يَرَى أَنَّ مَا بَانَ مِنْكَ لَعَائِبُ  
 وَقَدْ مَرَّ تَحْتَ الْبَيْتِ (٣٩) ؛ قَوْلُهُ : وَالْعَارُ مَضَاضُ الْخِمْ ؛ وَهُوَ مِنْ قَوْلِ  
 حَبِيبٍ :
- يُقَشِّبُ أَحْيَانًا بِسُمِّ الْأَسَاوِدِ  
 وَكَانَ يَرَى سُمَّ الْكَلَامِ كَأَنَّمَا  
 وَمَعْنَى يُقَشِّبُ : يَخْلَطُ ؛ وَقَالَ أَبُو فِرَاسٍ :
- إِذَا الْمُوتُ قُدَّامِي وَخَلْفِي الْمَعَائِبُ  
 أَرَى مِلءَ عَيْنِي الرَّدَى وَالْحَوْضَةَ  
 وَقَالَ حَبِيبٌ :
- أَعَابُ بِهِ أَوْ صَادَفُوا لِي مَقْتَلًا  
 فَمَيَّانَ عِنْدِي صَادَفُوا لِي مَطْعَنًا  
 وَقَالَ الْمَعْرِيُّ :

(١) العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، شاعر فارس، من سادات قومه، أمه الخنساء الشاعرة. أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم قبيل فتح مكة، وكان من المؤلفات قلوبهم.

أَرْوَحُ فَلَا أُخْفَى الْمَنَايَا وَاتَّقِي تَدُنُّسَ عِرْضٍ أَوْ دَمِيمَ فِعَالٍ  
 وبيت الشريف؛ لا يساوي شيئاً من هذه الأبيات؛ إلا انني استثقل؛ قول  
 المتنبي: يرى أن ما بان إلخ؛ وعلى كل حال؛ فليس فيه ما يصعب هضمه؛ سوى  
 لفظة (ما) فأين يُذْهَبُ بالأستاذ<sup>(١)</sup>؛ حتى يختار هذا البيت الأدنى؟ مع أن  
 للشريف؛ أمثال قوله:

سَأْمُضِي لِتَنِي لَا عَيْبَ فِيهَا وَإِنْ لَمْ أَسْتَفِذْ إِلَّا عَنَاءَ  
 وَاطْلُبُ غَايَةً إِنْ طَوَّحَتْ بِي أَصَابَتْ بِي الْحِمَامَ أَوْ الْعَلَاءَ  
 نَمَائِي مِنْأَبَاءِ الضُّمَيْمِ شَهْمٍ أَفَاضَ عَلَيَّ تِلْكَ الْكِبْرِيَاءَ  
 وقد مر بعض هذه؛ في المقالة الثانية؛ وقوله:

يَلْقَى الضِّبَا حَاسِرًا تَبْدُو مَقَاتِلُهُ وَيَرْهَبُ اللَّوْمَ يَوْمًا وَهُوَ مُدْرَعُ  
 وهو مثل بيت البحري السابق؛ سواء بسواء؛ وقوله:

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْجِمَامَ فَلَإِنِّي سَأُكْرِمُ نَفْسِي عَنْ مَقَالِ اللِّوَائِمِ  
 وَأَلْبِسُهَا حَمْرَاءَ تَضْفُو دُيُولَهَا مِنْ الدَّمِّ بَعْدَ عَنِ لِبَاسِ الْمُلاوِمِ  
 إلى آخر القصيدة؛ الضاربة بأسرها؛ على هذه النغمة المطربة؛ وما رأى  
 أحد؛ ولا سمع؛ فيما يصدق ذلك؛ من البأس؛ الذي لا تحتمله الجبال؛ فضلاً  
 عن قلب الرجال؛ بمثل ما كان من إمام العصر؛ وطره الباهر؛ مولانا أمير  
 المؤمنين؛ الناصر<sup>(٢)</sup>؛ أدامه الله للإسلام؛ ذخرًا، وعزًا، وفخرًا.

### وأما قوله (٥١)

وَكَيْفَ وَقُورُ الْعِرْضِ وَالْمَالِ وَإِفْرٍ وَمَنْ يَخْرُنَ الْأَمْوَالَ يُتَّقَى مِنَ الْعِرْضِ

(١) زكي مبارك.

(٢) يشير هنا إلى الإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن وصديق الإمام بن عبيد اللاه السقاف.



ففي تركيبه ضعف؛ لا يخفى؛ وقد مرت مناسبه؛ في نقد البيت (٢٢)؛ ومن  
مآخذه: قول أبي تمام:

أَضْحَوْا بِمُسْتَنَّ سُبُلِ الدِّمِ فَارْتَفَعَتْ      أَمْوَالُهُمْ فِي هِضَابِ المِظَلِّ وَالْعِلَلِ  
وقول ابن الرومي:

مَا شِئْتِ مِنْ مَالٍ جِمَى      يَاوِي إِلَى عِرْضٍ مُبَاخٍ  
وقد عكس فيه؛ قول أبي نواس:

فَهُوَ بِالمَالِ جَوَادٌ      وَهُوَ بِالعِرْضِ شَحِيحٌ  
وأقرب ما يكون إلى بيت الشريف؛ لفظاً ومعنى؛ قول البحرى:

قَوْمٌ أَهَانُوا الوُقْرَ حَتَّى اضْبَحُوا      أَوْلَى الأَنَامِ بِكُلِّ عِرْضٍ وَإِفرِ  
إلا أن هذا يُمدَّح؛ وذاك يُذم؛ وهذا أجداد؛ وذاك أحوال؛ وذكروا: أن  
خالد بن صفوان<sup>(١)</sup>؛ إلتبس حاجة؛ من هشام بن عبد الملك؛ فمنعه إياها؛ فقال  
له: أنت والله يا أمير المؤمنين؛ كما قال أخو خزاعة:

إِذَا المَالُ لَمْ يُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاؤُهُ      قَرَابَةُ قُرْبَى أَوْ صَدِيقُ نَوَامِقُهُ  
مَتَعْتُ وَبَعْضُ المَنْعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ      وَلَمْ يَفْتَلِدْكَ<sup>(٢)</sup> المَالُ إِلَّا حَقَائِقُهُ

فقيل لخالد: ما الذي حملك على أن تُزَيِّنَ له الإمساك؟ قال: أحببت أن  
يمنع الناس؛ كما منعتي؛ فبمقتوه! وكان خالد من أشح الناس؛ وأشدهم بخلاً؛  
وكان مشهوراً بالفصاحة، وبراعة الكلام. وقال سهل بن هارون<sup>(٣)</sup>؛ وكان من

(١) خالد بن صفوان ابن الأهمم. العلامة، البليغ، فصيح زمانه أبو صفوان المنقري، البصري. عاش في أيام التابعين. وكان ذا حظ من السلطان والمال مشهوراً بالبخل.

(٢) القِلْدَةُ القطعة من الكبد واللحم والمال والذهب والفضة.

(٣) مترجم وفيلسوف أديب وقصاص وشاعر ولد قرب البصرة في أسرة فارسية الأصل ونشأ فيها وفي بغداد، ثم خدم يحيى البرمكي، وخلفه على ديوان بغداد بعد قتله. وقد حاول تقليد =

البخلاء؛ أيضاً؛ يمدح يحيى بن خالد البرمكي:

عَدُوٌّ بِلَادِ الْمَالِ فِيمَا يَنْبُوهُ      مَنُوعٌ إِذَا مَا مَنَعُهُ كَانَ أَحْرَمًا

وقال صالح بن عبد القدوس<sup>(١)</sup>:

لَا تَجُذُّ بِالْعَطَاءِ فِي غَيْرِ حَقِّ      لَيْسَ فِي مَنَعِ غَيْرِ ذِي الْحَقِّ بُخْلٌ  
إِنَّمَا الْجُودُ أَنْ تَجُودَ عَلَى مَنْ      هُوَ لِلْجُودِ مِثْلُكَ وَالْبَذْلُ أَهْلٌ

وفي قريب؛ من معنى بيت الشريف؛ يقول المعري:

يُضَوُّنُ الْكَرِيمَ الْعَرِضَ بِالْمَالِ جَاهِدًا      وَذُوَاللُّومِ لِلْأَمْوَالِ بِالْعَرِضِ صَائِنًا

وأما قوله (٥٢)

وَالسَّيْفُ إِنْ مَرَّ عَلَى هَامَةٍ      رَوَّعَهَا إِنْ هُوَ لَمْ يَقْطَعْ

فقد أعياني مأخذه بدأ؛ وفكرت طويلاً؛ ولم أقدر على شيء؛ حتى الفيته  
مني على طرف الثمام<sup>(٢)</sup>؛ في قول أبي الطيب:

وَمَا نَجَا مِنْ شِقَارِ الْبَيْضِ مُنْقَلِبًا      إِلَّا وَمِنْهُنَّ فِي أَحْشَائِهِ جِرْعٌ

قالوا: وهو من قول؛ أبي تمام:

إِنْ يَنْجُ مِنْكَ أَبُو نَضْرٍ فَعَنْ قَدَرٍ      تَنْجُو الرِّجَالُ وَلَكِنْ سَلَهُ كَيْفَ نَجَا

ولا يخلو بيت الشريف؛ وما لفته؛ عن النظر؛ إلى قول الأول:

إِنَّ اللَّسِيْعَ لِحَاذِرٌ مُتَوَجِّسٌ      يَخْشَى وَيَرْهَبُ كُلَّ حَبْلِ ابْتَلَقِ

= ابن المقفع في كتابه كليله ودمنة فألف قصصاً كثيرة على غرارها. كما أن أسلوبه يماثل أسلوب ابن المقفع اتهم بالشعوية لأزدراثة الكرم العربي في كتابه رسالة النخلة.

(١) صالح بن عبد القدوس شاعر عباسي عاصر الخليفين المهدي والرشيدي أغلب شعره حكم وامثال وله أبيات في الحكمة والزهد ومحاسبة النفس.

(٢) على طرف الثمام: أي قريب سهل التناول.

وقول صالح بن عبد القدوس :

وَإِذَا إِمْرٌ لَسَعَتْهُ أَفْعَى مَرَّةً  
تَرَكَتْهُ حِينِ يَجْرُ حَبْلًا يَفْرُقُ  
وقال البحري :

يَحْسِبُ الْأَرْطَى<sup>(١)</sup> زَهَا الْحَيْلِ وَمَنْ  
تَنَهَسُ الْحَيَّةُ يُفْرِغُهُ الرَّسَنُ  
وقال ابن حجاج<sup>(٢)</sup> :

وَمَنْ يَذُقُ لَسَعَةَ الْأَفْعَى وَإِنْ سَلِمَتْ  
مِنْهَا حَشَاشَتُهُ يَفْرَعُ مِنَ الرَّسَنِ<sup>(٣)</sup>  
وما أحسن قول المعري :

وَمَنْ تَفَلَّقَ بِوَحْمَةِ الْأَفَاعِي  
يَعِشُ إِنْ قَاتَهُ أَجَلٌ عَلِيلاً  
ولا يبعد عن المعنى ؛ قول مسلم بن الوليد :

لَمَّا نَزَلْتُ عَلَى أَدْنَى دِيَارِهِمْ  
أَلْقَى إِلَيْكَ الْأَقَاصِي بِالْمَقَالِيدِ  
وقول أبي تمام :

تَوَى بِالْمَشْرِقِينَ لَهُمْ ضِجَاجٌ  
أَطَارَ قُلُوبَ أَهْلِ الْمَغْرِبِينَ  
وقول أبي عبادته :

تَنَادَرَ أَهْلُ الشَّرْقِ مِنْهُ وَقَائِعاً  
أَطَاعَ لَهَا الْعَاصُونَ فِي بَلَدِ الْغَرْبِ  
وكنت توهمت ؛ أن منه ؛ قول حبيب :

أَلَا إِنَّ نَفْسَ الشُّعْرِ مَاتَتْ وَإِنْ يَكُنْ  
عَدَاهَا حِمَامُ الْمَوْتِ فَهِيَ تُنَازِعُ

(١) الارطى : نبات ينبت في الرمل .

(٢) ابن حجاج هو حسين بن أحمد بن الحجاج ، النيلي البغدادي ، شاعر فحل ، من كتاب العصر البويهي . غلب عليه الهزل . في شعره عذوبة وسلامة من التكلف .

قال عنه الذهبي : شاعر العصر وسفيه الأدب وأمير الفحش ! كان أمة وحده في نظم القبائح وخفة الدم توفي في سنة ٣٩١هـ .

(٣) الرسن : الحبل .

ثم ظهر لي؛ أنه بابة أخرى؛ ولكنه لا يبعد عن بيت المعري؛ ولولا ما فيه؛  
من إضافة الموت؛ إلى الحمام؛ لكان من أبداع الأبيات.

### وأما قوله (٥٣)

أَلَا إِنَّ رُمْحًا لَا يَصُورُ لَنَبْعَةٍ<sup>(١)</sup> وَإِنَّ حُسَامًا لَا يَقْدُ قَطِيعٌ

فمن قول عطارذ:

وَمَا يَسْتَوِي السِّيفَانِ سَيْفٌ مُؤَنَّثٌ وَسَيْفٌ إِذَا مَا عَضَّ بِالْعَظْمِ صَمَمًا

وفي بيت الشريف؛ نوع عكس لقولهم:

أَنَّ دُرَّةً هُمَزٌ؛ أَهْيَبُ مِنْ سَيْفِ الْحِجَااجِ؛ لِإِنَّ الدُّرَّةَ  
هي السوط؛ والسوط هو القطيع.

وقال أبو العتاهية؛ يهجو عبد الله بن معن ابن زائده:

ضَعَّ السِّيفَ وَصِغَ بِالسِّيفِ خِلْعَالًا وَمَا تَصْنَعُ بِالسِّيفِ إِذَا لَمْ تَكُ قِتَالًا

وكانت بينهما مشاحنة؛ ثم اصطلحا؛ بعد هنأت فاحشة.

وقال البحرري:

وَمَا السِّيفُ إِلَّا مُسْتَمَدٌّ لِزَيْنَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ امْضَى مِنَ السِّيفِ صَاحِبُهُ

وقال:

وَرَبَّتْ سُبُوقَهُمْ وَمَضُوا كِرَامًا وَمَا تَعْنِي السُّيُوفُ بِلَا رِجَالٍ

وقال ابن الرومي:

رَأَيْتَكُمْ تُبَدُونَ فِي الْحَرْبِ عُدَّةً وَلَا تَمْنَعُ الْأَسْلَابُ مِنْكُمْ مَقَاتِلُ

فَأَنْتُمْ كَمِثْلِ النَّخْلِ يُسْرَعُ شَوْكُهُ وَلَا يَمْنَعُ السَّرَاقَ مَا هُوَ حَامِلُ

(١) النبعة: القوس.

وقال جرير:

تَصِفُ السُّيُوفَ وَغَيْرُكُمْ يَعْصِي بِهَا  
يا ابن القيون وَذَاكَ فِعْلُ الصَّيْقَلِ

وقال أبو الطيب:

إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ  
كَقُلُوبِهِمْ إِذَا لَتَقَى الْجَمْعَانِ  
تَلَقَى الْحُسَامَ عَلَى جِرَاءَةِ حَدِّهِ  
مِثْلَ الْجَبَانِ بِكَفِّ كُلِّ جَبَانِ

وقال:

وَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلُ الْكِرَامُ وَلَا الْقَنَا  
إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامُ

فكل هذه؛ أعذب من بيت الشريف؛ مع إنها بأسرها؛ مأخذ له؛ على تفاوتها في القرب منه؛ إذ لم يُرِدْ مَذْمَةَ السيف؛ لذاته؛ فيما يظهر؛ وإنما عمد لتصغيره؛ إذا لم ينفع؛ لقلّة غناء صاحبه؛ كما أن جريراً؛ لا يقصد سوى هجاء الفرزدق؛ وإن أخرج الكلام خالصاً؛ في مذمة السيف؛ بقوله:

بِسَيْفِ أَبِي رَعْوَانَ سَيْفٍ مُجَائِحِ  
ضَرَبْتِ وَلَمْ تَضْرِبِ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمِ

وقال البحتري:

فَلَا تَغْلِيْنِ بِالسَّيْفِ كُلَّ غَلَائِهِ  
لِيَمْضِي؛ فَإِنَّ الْكَفَّ لَا السَّبْفَ يَقْطَعُ

وقال أبو الطيب:

إِذَا الْهِنْدُ سَوَتْ بَيْنَ سَيْفِيْ غَرِيْهَةٍ  
فَسَيْفِكَ فِي كَفِّ تُزِيلُ التَّسَاوِيَا

وشتان ما بين البيت؛ الذي نحن فيه؛ وبين قوله؛ نفسه؛ من الأخرى:

إِذَا انْتَضَاهُ لِيَوْمِ الرَّوْعِ تَحْسَبُهُ  
يَسِيْلُ مِنْ غَمْلِهِ وَخَبْطاً مِنَ الذَّهَبِ

وهو من قولهم؛ في سيف عمرو بن عبد ود؛ لما استلّه لمساورة علي؛ يوم الخندق؛ كأنه شعلة نار؛ فما زاد علي أن أبدل اللهب بالذهب؛ والأصل؛ قول امرؤ القيس:

حَمَلْتُ رُدَيْنِيَا كَأَنَّ سِنَانَهُ  
سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَنْصِلْ بِدُخَانِ

وقول؛ مجمع بن هلال<sup>(١)</sup>؛ وهو من شعراء الجاهلية؛ المعمرين؛  
 عَبَّأَتْ لَهُ رُمْحًا طَوِيلًا وَآلَةً      كَأَنَّ قَبْسٌ يُعْلَى بِهَا جِئْنَ تَشْرَعُ  
 والآلة؛ بفتح الألف؛ وتشديد اللام؛ تستعمل في الحرب؛ من الليل؛ وهو  
 البريق.

### وأما قوله (٥٤)

وَبَعْضُ مَقَالِ الْقَائِلِينَ مُكَذَّبٌ      وَبَعْضُ وَدَادِ الْأَقْرَبِينَ خَدُوعٌ

فصدره؛ خَلَوْ من الفائدة؛ لا ينبغي أن يُعَدَّ كاملاً؛ لأنه لا يفيد؛ مع ضرورة  
 العلم بوقوعه؛ حسباً مرًّا؛ في نقد البيتين (٣١) و(٤٣)؛ ولوأنه قال: وَجُلَّ مَقَالِ  
 القائلين الخ؛ لأفاد أن كَذَبَ الكاذبين؛ أكثر من صدق الصادقين؛ وهو معلوم؛  
 ولكنه؛ أقل ويلاً من سابقه؛ كأنه نظر إلى قول؛ محمد بن كعب الغنوي:  
 وَإِنِّي لَبَاكِيهِ وَإِنِّي لَصَادِقٌ      عَلَيْهِ وَبَعْضُ الْقَائِلِينَ كَذُوبٌ  
 وقول حبيب:

وَمَتَى مَدَحْتُ سِوَاكَ كُنْتُ مَتَى يَضِيقُ      عَنِّي لَهُ صِدْقُ الْمَقَالَةِ أَكْذِبُ  
 وقال ابن الرومي:

نَطَقْتُ بِحَقِّ سَاعِدَتِهِ بِلَاغَةٍ      وَفِي النَّاسِ هَادٍ جِئْنَ بِسِرِّي وَخَابِطُ  
 وقول أبي عباده:

وَلَمْ أَحَابِكْ فِي مَدْحِ تَكْذُوبِهِ      بِالْفَعْلِ مِنْكَ وَبَعْضُ الْمَدْحِ مِنْ كَذَبِ  
 وقول أبي الطيب:

وَإِنَّ مَدِيحَ النَّاسِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ      وَمَدْحَكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابٌ

(١) مجمع بن هلال بن خالد بن ثعلبة من بكر وائل؛ شاعر فارس جاهلي وهو من المعمرين؛  
 قيل أنه تجاوز مائة وتسع سنين.

فَكَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا؛ أَوْ إِلَى كُلِّهَا؛ وَاحِبٌّ أَنْ يَشَارَكَ؛ فَعَثَرَ عَثْرَةً؛ لَا يَدْعُدُ لَهَا؛ لِبَعْدِ مَا بَيْنَ الْحَالِينَ؛ وَفِرْقَانِ مَا بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ؛ وَأَقْرَبُ مَا كَانَ إِلَيْهِ: بَيْتُ الْغَنَوِيِّ؛ وَلَكِنْ فِيهِ مَخْصَصَانِ؛ أَحَدُهُمَا: لَفْظُ بَعْضٍ؛ وَالثَّانِي: (ال)؛ فَأَنَّهَا فِيهِ لِلْمَعْهُودِينَ مِنْ أَهْلِ الرِّثَاءِ؛ وَقَدْ زَيَّنَتْهُ؛ وَزَادَهُ رَسُوخاً فِي كَنْفِ الْقَبُولِ؛ كَوْنُهُ؛ تَاكِيداً لِاسْمِ الْفَاعِلِ؛ كَمَا أَنَّ صَدْرَ بَيْتِ الْمُتَنَبِّيِّ؛ جَاءَ تَمْهِيداً لِلْعَجْزِ؛ وَالشَّيْءُ يَغْتَفِرُ فِيهِ؛ تَأْنِيْساً؛ مَا لَا يَحْتَمِلُ تَأْسِيْساً؛ فَإِنَّ قِيلَ: إِنَّ قَبْلَ بَيْتِ الشَّرِيفِ؛ أَوْ بَعْدَهُ؛ مَا يَمْهَدُهُ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ قُلْتُ: أَنَا لَا أَعْرِفُ شَيْئاً مِمَّا قَبْلَهُ؛ وَلَا مِمَّا بَعْدَهُ؛ وَهَبَهُ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْأَسْتَازَ لَا يَخْرُجُ بِاخْتِيَارِهِ؛ عَنِ اللَّائِمَةِ؛ وَقَدْ جَاءَ بِهِ مُفْرَداً؛ وَكُلُّ مَا سَقَنَاهُ مِنَ الشُّوَاهِدِ؛ قَائِمٌ بِذَاتِهِ؛ لَا يَحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهِ؛ فَلَهَا مَعَ التَّقْدِمِ؛ أَطْرَافُ الْفَضْلِ؛ وَأَمَّا عَجْزُهُ؛ فَكَثِيرٌ<sup>(١)</sup>؛ وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ:

وَمَا أَنَا مَسْرُورٌ بِقُرْبِ الْأَقَارِبِ      إِذَا كَانَ لِي مِنْهُمْ صُدُورُ الْأَبَاعِدِ  
وقول؛ حُزْمِيِّ بْنِ عَامِرِ الْأَسَدِيِّ<sup>(٢)</sup>:

وَلَقَدْ طَوَّيْتُكُمْ عَلَى بَلَلَاتِكُمْ      وَعَلِمْتُ مَا فِيكُمْ مِنَ الْأَذْرَابِ<sup>(٣)</sup>  
فَإِذَا الْقَرَابَةُ لَا تُقَرَّبُ قَاطِعاً      وَإِذَا الْمُرُوءَةُ أَقْرَبُ الْأَنْسَابِ  
ولقد رأيت هذين؛ عند الزجاجي؛ بلفظ فيه نوع اختلاف؛ وقال المتنبّي:

وَمَا بَلَدُ الْإِنْسَانِ غَيْرُ الْمَوَافِقِ      وَمَا أَهْلُهُ إِلَّا ذُنُونٌ غَيْرُ الْأَصَادِقِ  
والجزء الثاني؛ هو الذي أريد؛ وهو من قول الآخر:

دَعَوْتُ وَقَدْ دَهَنِي دَاهِيَاتٌ      وَلِأَيَّامٍ دَاهِيَةٌ طَرَوْتُ  
صَدِيقاً لَا شَقِيقاً فِيهِ فِئْلٌ      إِلَّا إِنَّ الصَّدِيقَ هُوَ الشَّقِيقُ

(١) أي: كثير من أمثاله.

(٢) من الصحابة رضوان الله عليهم.

(٣) الرجل الذرب: أي الفاحش.

وقال؛ عبده ابن الطيب<sup>(١)</sup>:

إِنَّ الذَّيْنَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ      يَشْفِي غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُضْرَعُوا  
وقال أبو عباده<sup>(٢)</sup>:

نُؤَالِي مَعَشَرًا قَرُبُوا إِلَيْنَا      وَنُثْرِي مِنْ تَطَوُّلِ آخِرِينَا  
وَقُرْبَى الْإِبْعَدِينَ بِمَا آتَلُوا      يُخْصُّكَ دُونَ قُرْبِ الْإَقْرَبِينَا  
وقال ابن العميد<sup>(٣)</sup>:

أَخَّ الرَّجَالِ مِنَ الْأَبَا      وَالْأَقْرَبِ لِأَثْقَابِ  
إِنَّ الْأَقْرَبَ كَالْعَقَارِبِ      بَلْ أَضْرَمَ مِنَ الْعَقَارِبِ  
وقال الشريف:

لِلذُّلِّ بَيْنَ الْإَقْرَبِينَ مَضَاضَةٌ      وَالذُّلُّ مَا بَيْنَ الْإِبَاعِ أَرْوَحُ  
وَإِذَا رَمَتْكَ مِنَ الرَّجَالِ قَوَارِصٌ      فِيسَهَامُ ذِي الْقُرْبَى الْقَرِيبَةِ أَجْرَحُ

وفيه توضيح؛ لقول طرفة بن العبد:

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً      على المرء من وقع الحسام المهند

(١) عبدة بن الطيب أو الطيب واسمه يزيد بن عمرو بن علي من بني تميم كان شاعراً مخضرمًا أدرك الإسلام فأسلم وهو وشاعر مجيد وكان أسود اللون.

(٢) البحتري.

(٣) ابن العميد: هو الكاتب محمد بن الحسين بن محمد أبو الفضل. تولى أبوه الكتابة لملك بخارى ودرب ابنه فبرع في الإنشاء والترسل وتوسع في الفلسفة حتى سمي بالأستاذ ولقب بالجاحظ الثاني. غادر ابن العميد بخارى مملكة وصار وزيراً لركن الدولة بن بويه سنة ٣٢٨ هجرية وكان جواداً كريماً فقصده الشعراء والعلماء من بغداد والشام ومصر فكان هو والصاحب بن عباد والوزير المهلبى روحاً لنهضة العلم والأدب في ذلك العصر ومن أهم مؤلفاته كتاب «بناء المدن» الذي شرح فيه أساليب البناء، والتخطيط العمراني.



## وأما قوله (٥٥)

مَا لَبِثُ مَنْ يُمِيسِي مَجَازاً لِلْكَرَى وَمَعْرِجِ الْقَدْرِ الْمُغْذِ الْمُسْرِعِ

فما أكثر ماأخذه؛ من القرآن والسنة؛ وكلام الإمام<sup>(١)</sup>؛ ومنه: ولئن أمهل الله الظالم؛ فلن يفوت أخذه؛ وهو له بالمرصاد؛ على مجاز طريقه؛ وبموضع الشجا؛ من مسأغ ريقه؛ وما عسى أن يكون بقاء؛ من له يوم لا يعذوه؛ وظالبٌ حيث يحلوه؛ وقال الأول:

فَهُنَّ الْمَنَايَا أَيَّ وَاذٍ سَلَكَتَهُ عَلَيَّهَا طَرِيقِي أَوْ عَلَيَّ طَرِيقَهَا  
وقال البحرني:

وَمَا أَهْلُ الْمَنَازِلِ<sup>(٢)</sup> غَيْرُ رُكْبٍ لَنَا فِي الدَّهْرِ أَمَالٌ طَوَالٌ  
وقال:

دِمْنٌ تَقَاضَاهُنَّ أَغْلَامُ الْبِلَى هُوَجُ الرِّيَاحِ الْبَايِدَاتِ الْعُودُ  
حَتَّى مَتَى فِيهَا الْبَقَاءُ لِيُؤَاقِفِ وَالْدَّهْرُ فِي أَطْرَافِهَا يَتَرَدَّدُ  
وقد سبق تحت البيت (٣)؛ ما يشبه الأخير؛ من كلام طرفة؛ وهو:

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَأَنْتِي لَوَاجِلُ أَنْفِي الْيَوْمِ إِقْدَامُ الْمَنِيَّةِ أَوْ غَدِ  
فَإِنْ تَكُ خَلْفِي لَا يَفْتُهَا سَوَادِيَا وَإِنْ تَكُ قُدَّامِي أَجِدْهَا بِمَرْصَدِ  
وقال زهير:

بَدَا لِي أَنِّي لَسْتُ مُدْرِكُ مَا مَضَى وَلَا سَابِقُ شَيْئاً إِذَا كَانَ آتِيَا

(١) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) أهل المنازل: أهل القبور.

وقال أمية ابن الصلت<sup>(١)</sup>؛ أو أحد الخوارج:

مَا رَغَبَةُ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ عَاشَتْ قَلِيلاً فَالْمَوْتُ لَاجْتِقَهَا  
يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غَمْرَاتِهِ يُوَافِقُهَا

وبقطع النظر؛ عن سائر هذه المآخذ؛ فليس في بيت الشريف؛ أكثر من قول الإمام؛ على مجاز طريقه؛ ووصفه الطالب بانه حثيث؛ والمُعْرَج والمجاز واحد؛ وكذلك المُسْرِعَ وَالْمُعْذَ؛ ولكن مشيئة الوزن والقافية؛ تضطر إلى الفضول.

### وأما قوله (٥٦)

أَرَى بَارِقًا لَمْ يَزُونِي وَهُوَ حَاضِرٌ فَكَيْفَ أَرْجِي رَبَّهُ وَهُوَ شَاسِعٌ

فإنه مثل البيت (١٧٦)؛ فسيأتي له ما سنذكره فيه؛ وهو عكس قول؛ مروان بن أبي حفصه:

لَعَمْرِي لِنِعْمِ الْغَيْثِ عَيْتٌ أَصَابَنَا بِبَغْدَادٍ مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ وَإِلَيْهِ  
فَكُنَّا كَحَيِّ صَبَّحَ الْغَيْثُ أَهْلَهُ وَلَمْ تَرْتَجِلْ أَظْفَانُهُ وَرَوَّاحِلُهُ

قالها في عبد الله بن طاهر؛ وقد بعث إليه؛ بعشرين ألف درهم؛ وقال؛ وهما خير من قول الأول:

إِذَا جِئْتُ أَغْطَانِي وَإِنَّا لَمْ أَجِيءْ أَنَانِي مِنْ جَدْوَاهِ مَا كُنْتُ أَزْتَجِي  
وقال البحري:

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ بَنِي السَّمِطِ إِخْوَانُ السَّمَاحَةِ وَالْمَجْدِ  
هُمُ وَصَلُونِي وَالْمُهَامَةُ بَيْنَنَا كَمَا أَرَفَضَ عَيْتٌ مِنْ تِهَامَةٍ فِي نَجْدِ

(١) شاعر جاهلي من أهل الطائف؛ كان حكيماً وترحل إلى الشام واليمن وقرأ التوراة والإنجيل وكان يدعوا في جاهليته لنبد عبادة الأصنام وتوحيد الله ولما ظهر الإسلام رغب فيه ولكن منته عنه حمية الجاهلية.

وجاء المتنبي بعدهم؛ فغَبَّرَ في وجوههم؛ بقوله:

وَلَيْسَ الَّذِي يَتَّبِعُ الْوَيْلَ رَائِدًا      كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ الْوَيْلِ

وفي بيت الشريف؛ نوع من النظر؛ إلى قول امرء القيس:

وَدَعَّ عَنْكَ نَهْبًا صَبِيحَ فِي حُجْرَاتِهِ      وَهَاتِ حَدِيثًا مَا حَدِيثُ الرَّوَاجِلِ

وقول الآخر:

إِذَا مَا أَوَّلَ الْخَطِيَّ أَحْطَا      فَمَا يُرَجِّى لِأَخِرِهِ إِنْ تَصَارُ

وقوله:

إِذَا الْمَرْءُ أَعْيَنَهُ الْمُرُوءَةُ نَائِثًا      فَمَطْلَبَهَا كَهَلًا عَلَيْهِ شَيْدُ

وأما قوله (٥٧) و(٥٨)

|  |   |
|--|---|
| النَّاسُ حَوْلَكَ غِرْبَانٌ عَلَى جَيْفٍ   | بُلَّةٌ عَنِ الْمَجْدِ إِنْ طَارُوا وَإِنْ وَقَعُوا |
| فَمَا لَنَا فِيهِمْ إِنْ أَقْبَلُوا طَمَعٌ | وَلَا عَلَيْهِمْ إِذَا مَا اذْبَرُوا جَزَعٌ         |

فأولُهمَا ناظر؛ إلى ما أخرجه في النهج؛ من قول الإمام: فإنما أهلها؛

كلاب عاوية، وسباع ضارية؛ يَهْرُ بعضها على بعض؛ وياكل عزيزها ذليلها.

وإلى ما يعزى للشافعي؛ كما عند الدميري؛ وغيره من قوله:

وَمَا هِيَ إِلَّا جَيْفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ      عَلَيْهَا كِلَابٌ هُمُورٌ اجْتَذَابُهَا  
فَإِنْ تَجْتَنِبُهَا كُنْتَ سَلْمًا لِأَهْلِهَا      وَإِنْ تَجْتَذِبُهَا تَارَعَتْكَ كِلَابُهَا

وقال السيوطي في الدرر؛ روى أبو الشيخ في تفسيره؛ عن علي؛ موقوفاً:

«الدنيا جيفة؛ والناس كلابها» قال: وأخرجه الديلمي؛ عن علي مرفوعاً؛ بنحو

من معناه؛ وما أظن الشافعي؛ إلا عقده؛ بما قدمناه عنه؛ وما يخلو بيت

الشريف؛ عن نظر أيضاً؛ إلى قول أبي الطيب:

وَأِنَّمَا نَحْنُ فِي جَيْلٍ سَوَائِيَّةٍ      شَرٌّ عَلَى الْحُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى الْبَدَنِ

حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ جَلَقٌ  
وَأَمَّا الثَّانِي؛ ففِيهِ نَظْرٌ؛ إِلَى قَوْلِ جَرِيرٍ:

فَإِنْ تَنَأْنَا عَنَّا لَا تَضُرُّنَا وَإِنْ تَعُدُّ  
وَقَوْلِ مَنْصُورٍ:

وَمُسْتَوْجِبٌ شُكْرِي بِإِعْرَاضِهِ عَنِّي  
تَلَأَى بِهَجْرِي بَعْضَ مَا كَانَ جَرَّهُ  
وَقَوْلِ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ<sup>(١)</sup>:

أَصِدُّ صُدُودَ إِمْرِيءٍ مُجْمُولٍ  
وَلَسْتُ بِمُسْتَنْعَبٍ صَاحِبًا  
وَلَكِنِّي قَاطِعُ حَبْلِهِ  
وَقَوْلِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:

كَسَلَنِي الْيَأْسُ عَنْكَ فَمَا  
إِنِّي إِذَا مَا الصَّدِيقُ أَوْحَسَنِي  
وَكُلُّ هَذِهِ الْمَأْخِذُ؛ مَا عَدَا بَيْتَ جَرِيرٍ؛ مَفْضُولٌ بِالنِّسْبَةِ لِبَيْتِ الشَّرِيفِ؛ فَهُوَ  
أَمْتَنُ وَأَحْسَنُ؛ وَلَكِنْ يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِ؛ قَوْلُ حَبِيبٍ:

وَالنَّاسُ بَعْدَكَ مَا تُغَيِّرُ حُبُوتِي  
وَقَوْلِ الْإِبْرَدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ قَيْسٍ:

كِلَانَا عَنِّي عَنِ أَخِيهِ حَيَاتِهِ  
وَنَحْنُ إِذَا مِثْنَا أَشَدُّ تَفَانِيَا  
وَبَعْضُهُمْ يَرُويهِ: لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؛

(١) من سادات العرب في الجاهلية والإسلام واحد حكاهم في الجاهلية وهو عم الشاعر الفرزدق أدرك الإسلام وأسلم وشهد فتح مكة وحينئذ.

وكان مطعوناً في دينه؛ مرمياً بالزندقة؛ وهو من خاصة أشهر الناس بها؛ مطيع بن اياس<sup>(١)</sup>؛ وكان صديقاً؛ لحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس؛ لأنه كان على مثل رأيه؛ في الزندقة؛ ثم دخل بينهما شيء؛ فتهاجرا؛ فقال عبد الله:

وَإِنْ حُسَيْنًا كَانَ شَيْئًا مُلْفَفًا      فَمَحْضَةُ التَّكْشِيفِ حَتَّى بَدَايَا  
وَعَيْنُ الرَّضِيِّ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ      كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا  
وَأَنْتَ أَجِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً      فَلِإِنْ عَرَضْتَ أَيَقْنُتُ أَنْ لَا أَخَا لِيَا  
كِلَانَا عَيْنِي عَنْ أَخِيهِ حَيَاتُهُ      وَتَحْنُ إِذَا مِثْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا

وكان عبد الله؛ متزوجاً بأُمِّ زيد؛ بنت سيدنا الإمام زيد بن علي عليه السلام؛ وقد مات؛ أو قتل في سجن أبي مسلم الخراساني؛ وقال البحري؛ فيما نحن فيه:

نَزْوَرُهُ غَيْرَ مُحْتَاجِينَ مِنْهُ      إِلَى أَنْسٍ وَلَا هُوَ مَسْرُورٍ بِنَا فَرِحُ  
وقال:

إِنْ تَنَلْ قُدْرَةً نَلْتَ صَوْنًا      وَالتَّغَانِي بَيْنَ الرَّجَالِ تَكَاْفِي  
وقال:

فَسِرْ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْكَ فَمَا النَّوَى      بَبْرِجٍ وَلَا الْحُطْبُ الْمُلِيمُ بِفَادِحِ

(١) مطيع بن اياس بن مسلم بن أبي قرعة سلمى بن نوفل الكناني البكري، أبو سلمى أو سلم الشاعر المشهور بالمجون والتهتك. ولد في مدينة الكوفة، ونشأ في أسرة عربية شريفة مناصرة لبني أمية، وكان أبوه اياس شاعراً، وقصد شعره ولاية بني أمية، فورث عنه مطيع موهبة الشعر، وربما دربه على قوله في صغره. وكان مطيع جميل الصورة حسن الوجه أبيض أشقر، ظريفاً حلو العشرة، جمع أدوات المنادمة من رواية الأشعار والأخبار والنوادر، وسرعة البديهة وحضور الجواب، وإتقان لعب الشطرنج، إلى الإمام بمعارف عصره والاطلاع على ثقافات الأمم القديمة وعقائدها، فضلاً عن موهبته الشعرية وبراعته في التصرف بالشعر.

وفي النهج<sup>(١)</sup>: لا ترغبين فيمن زهد فيك؛ فإن الرغبة في الزاهد؛ عناء شديد.

وقال العباس بن الأحنف:

مَا زِلْتُ أَزْهَدُ فِي مَوَدَّةِ رَاغِبٍ  
هَذَا هُوَ الدَّاءُ الَّذِي ضَاقَتْ بِهِ  
وَقَالَ تَابَّطُ شَرَا:

إِنِّي إِذَا خِلْتُ ظَنَنْتُ بِنَائِلِهَا  
نَجْوَتْ مِنْهَا نَجَائِي مِنْ بَجْبَلَةٍ إِذْ  
وَقَالَ ذُو الْأَصْبَعِ الْعَدَوَانِي<sup>(٢)</sup>:

إِنَّ الَّذِي يَفْبِضُ الدُّنْيَا وَبَسُطَهَا  
مَاذَا عَلَيَّ وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي رَحْمِي  
لَا أَبْتَغِي وَضِلَّ مَنْ لَا يَبْتَغِي صَلَاتِي  
وَاللَّهِ لَوْ كَرِهْتَ كَفَّمِي مُصَاحَبَتِي  
وَقَالَ عَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ<sup>(٣)</sup>:

فَإِنْ حَبِيتَ فَلَا أَحْسَبُكَ فِي بَلَدِي  
لَا أَعْرِفَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبُنِي

(١) كتاب نهج البلاغة وهو ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) الرهط موقع في بلاد جبيلة وألقيت أوراقي أي بذلت جهدي.

(٣) هو حرثان بن الحارث بن محرث؛ شاعر فارس من قدماء الشعراء في الجاهلية وله غارات كثيرة على العرب ووقائع مشهورة.

(٤) شاعر من دهاة الجاهلية وحكائها؛ ومن أصحاب المعلقة؛ قتله المنذر بن ماء السماء؛ لما وفد عليه يوم نحسه؛ عاصر امرء القيس وله معه مناظرات.

وللشريف؛ فيما يقرب من المعنى؛ ويزيد عليه؛ قوله:

تَرَكْتُ أَنْسَاءَ لَمْ يَهْشُوا لِمِنْهُ      وَلَمْ يَنْقَعُوا غِلَّ الظَّمَاءِ الخَوَامِسِ  
عَلَى القُرْبِ فِيهِمْ إِنِّي غَيْرُ طَامِعٍ      وَمَنْكَ عَلَى بُعْدِ المَدَا غَيْرُ آيسٍ  
وهو قريب؛ مما قيل في عبد الله بن طاهر السابق؛ تحت البيت (٩)؛ وخير  
منه؛ قوله؛ أغني الشريف أيضاً:

وَيُظْهِرُ لِي قَوْمٌ بِعَادَا وَجَفْوَا      وَمَا عَلِمُوا أَنِّي بِذَلِكَ أَفْرَحُ  
وهو ناظر؛ إلى قول البديع؛ المتوفي سنة ٣٩٨هـ؛ فَإِنْ كُنْتَ تحسب  
اِخْتِلَافَكَ إِلَيَّ إِفْضَالًا عَلَيَّ؛ فراحتي؛ أن لا تطرق ساحتي؛ وفرحي أن لا تجي.  
وصح أنه ﷺ؛ شفع إلى بريرة؛ بعد عتقها؛ لتختار مغيثاً؛ فامتنعت؛ ويروي  
أن الله ابتلاها؛ بعد ذلك؛ بحب مغيث؛ فزهد فيها<sup>(١)</sup>.

### وأما قوله (٥٩) و(٦٠)

|   |  |
|---|--|
| يَقُولُونَ مَا شِ الدَّهْرَ مِنْ حَيْثُ مَا شِئِي | فَكَيْفَ بِمَا شِ يَسْتَقِيمُ وَأُظْلِعُ         |
| وَمَا وَائِقٌ بِالدَّهْرِ إِلَّا كَرَاقِدٍ        | عَلَى فَضْلِ ثَوْبِ الظِّلِّ وَالظِّلُّ يُسْرِعُ |

فصدر البيت الأول؛ مما أخرجه في النهج<sup>(٢)</sup>؛ من قول الإمام: سَاهِلِ  
الدَّهْرُ؛ مَا دَلَّ لَكَ قُودُهُ.

وقال الشاعر:

- (١) عن ابن عباس: أن زوج بريرة عبد أسود يقال له مغيث، كآني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي  
ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ لعباس بن عبد المطلب: «يا عباس، ألا تعجب  
من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثاً». فقال النبي ﷺ: «لو راجعته». قالت: يا  
رسول الله، تأمرني؟ قال: «إنما أنا أشفع». قالت: لا حاجة لي فيه. رواه البخاري.
- (٢) كتاب نهج البلاغة وهو ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي  
طالب ﷺ.

إِذَا الدَّهْرُ أَغْطَاكَ العِنَانَ فَسِرْ بِهِ رُوَيْدًا وَلَا تَعْنُفْ فَيُضْحِكْ شَامِسًا<sup>(١)</sup>

وقد مر ما يتصل به؛ في نقد البيت (٣٣)؛ وفي آخره؛ اعتراف من الشريف؛ بالضلع<sup>(٢)</sup>؛ وشهادة للدهر بالاستقامة؛ وهو خلاف ما يقوله؛ في كثير من قصائده؛ وخلاف ما سيأتي؛ تحت البيتين (٨١) و(١١٣) من قول أبي دهب<sup>(٣)</sup>؛ وهل يستقيم العيش والدهر أعوج<sup>(٤)</sup>؛ وما يخلو لفظه؛ من نظر؛ إلى قول حبيب<sup>(٥)</sup>؛

وَلَمْ أَنَسْ سَعْيَ الجُودِ خَلْفَ سَرِيرِهِ بِأَكْسَفِ بَالٍ يَسْتَقِيمُ وَيُظَلَعُ

وقد شغف بهذا اللفظ؛ الشريف؛ فكرره؛ كما في هذا؛ أو في قوله:

كَمْ مَضَعَبٍ مَنَعَ العِظَامَ تَرَكُّهُ تَحْتَ الرِّحَالَةِ يَسْتَقِيمُ وَيُظَلَعُ

وقوله:

هِيَ الثَّنَايَا إِلَى الآجَالِ مَظْلَعُهَا فَمِنْ حَثِيثٍ وَمِنْ رَاقٍ عَلَى ظَلَعٍ

ولا يبعد عنها؛ قوله:

أَمْ مَنْ يَبْلُغُ بِالإِبْلَغَةِ غَايَةَ تَلْوِي بِحَسْرَةِ طَالِبِينَ وَظُلَعُ

وقوله:

هُوَ السَّابِقُ الهَادِي إِلَى عَقْدِ بَيْعَةٍ رَأَى النَّاسَ فِيهَا بَيْنَ حَسْرَى وَظُلَعُ

وقوله:

(١) الشامس من الخيل هو الصعب الذي لا يمكن أحد من ركوبه أو إسراجه أو إجمامه .

(٢) أي بالإعوجاج .

(٣) أبو دهب الجمحي : هو وهب بن زمعة القرشي . أحد الشعراء العشاق المشهورين من أهل مكة ، له مدائح في معاوية وعبد الله بن الزبير ، وأخبار كثيرة مع عمرة الجمحية وعاتكة بنت معاوية ، كان صالحاً وولاه عبد الله بن الزبير بعض أعمال اليمن .

(٤) لأَوْشَكْ صَرْفُ الدَّهْرِ تَفْرِيقُ بَيْنِنَا وَلَا يَسْتَقِيمُ الدَّهْرُ وَالدَّهْرُ أَعْوَجُ

(٥) أبو تمام : حبيب بن أوس الطائي .



وَاطْلُبْ عَلَى أَيَّامِهِ وَجِيَادِهِ حَسْرَى يَرِدْنَ عَلَى الطِّعْمَانِ وَظَلْعُ

ورأيت أبا الأسود الدبلي<sup>(١)</sup>؛ يقول:

وَشَتَّانَ مَا بِيْزِي وَيَبِيْنَكَ أَنْبِي عَلَى كُلِّ حَالٍ أَسْتَقِيمُ وَتَظْلَعُ

وأما البيت الثاني؛ فَمِمَّا فِي النِّهَجِ أَيْضاً؛ عَنِ الْإِمَامِ؛ مِنْ قَوْلِهِ: فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ؛ كَفَيْءِ الظِّلِّ؛ بَيْنَا تَرَاهُ سَابِعاً؛ حَتَّى قَلَصَ؛ وَزَائِداً؛ حَتَّى نَقَصَ؛ قَالَ شَارِحُهُ: وَهَذَا الْمَعْنَى؛ مُتَدَاوِلٌ. قَالَ الشَّاعِرُ:

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كِظْلٍ غَمَامَةٍ أَظْلَتْ يَسِيرًا ثُمَّ حَقَّتْ وَوَلَّتْ

وَذُكِرَتْ الدُّنْيَا؛ عِنْدَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ؛ فَأَنْشَدَ قَوْلَ؛ عِمْرَانَ بْنِ حَطَّانٍ<sup>(٢)</sup>:

أَخْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظْلٍ زَائِلٍ إِنَّ اللَّيْلِيَّ بِمَثْلِهَا لَا يَخْدَعُ

وَفِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ لِلذَّهَبِيِّ؛ أَنَّ سَفِيَانَ الثَّوْرِيِّ؛ كَثِيراً مَا يَتِمَثَّلُ؛ بِقَوْلِ عِمْرَانَ بْنِ حَطَّانٍ أَيْضاً وَهُوَ:

أَرَى أَشْقِيَاءَ النَّاسِ لَا يَسْأَمُونَهَا عَلَى أَنَّهُمْ فِيهَا عُرَاءٌ وَجُوعٌ

أَرَاهَا وَإِنْ كَانَتْ تُحِبُّ لِنَانِهَا سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَن قَلِيلٍ نَقَشَعُ

كُرْكِبٍ قَضُوا حَاجَاتِهِمْ وَتَرَحَّلُوا طَرِيقَهُمْ بَادِي الْغِيَابَةِ مَهِيْعُ

وقال آخر:

حَالُ الْغَمَامِ وَأَخْلَامُ النَّيَامِ قَمًا تَدُومُ يَوْمًا لِمَخْلُوقٍ عَلَى حَالٍ

(١) أبو الأسود الدؤلي، ويقال: الدبلي العلامة الفاضل، قاضي البصرة واسمه ظالم بن عمرو على الأشهر وُلِدَ فِي أَيَّامِ النُّبُوَّةِ وَأَسْلَمَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ. وَكَانَ مِنْ شِيعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ وَمِنْ أَكْمَلِهِمْ عَقْلاً وَرَأياً وَقَاتَلَ مَعَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ وَقَدْ أَمَرَهُ عَلِيُّ ﷺ بِوَضْعِ عِلْمِ النُّحُوْلِ لَمَّا سَمِعَ اللَّحْنَ.

(٢) عمران بن حطان ابن طبيان السدوسي البصري من أعيان العلماء لكنه من رؤوس الخوارج؛ قال الفرزدق عمران بن حطان من أشعر الناس لأنه لو أراد أن يقول مثلنا لقال ولسنا نقدر أن نقول مثل قوله.

وقال أبو العتاهية:

لَا تَلْعَبَنَّ بِكَ الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا      فَإِنَّهَا قَرِنَتْ بِالظِّلِّ فِي الْمَثَلِ  
وقال:

وَكَمَّ بَادَ مِنْ مَعْشِرٍ أَضْبَحُوا      كَأَنَّهُمْ حُلْمٌ أَوْ خَيَالٌ  
وكان ابن الخطاب؛ كثيراً ما يتمثل؛ بقول الأول:

نُسْرٌ بِمَا يَفْنَى وَنَفْرَحُ بِالْمُنَى      كَمَا مَرَّ بِاللذَاتِ فِي النَّوْمِ حَالِمٌ  
وقال ابن الزيات؛ عندما اشتدت به المحنة؛ في أيام التنور:

هِيَ السَّيْلُ فَمِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ      كَأَنَّهُ مَا تُرِيكَ الْعَيْنُ فِي النَّوْمِ  
لَا تَجْرَ عَنْ رُؤُودِهَا دَوْلٌ      دُنْيَا تَنْقَلُ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ  
وقال أيضاً:

إِنَّمَا الدُّنْيَا كَظِلِّ زَائِلٍ      نَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي قَدَّرَهَا  
وفي الحديث: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»<sup>(١)</sup>؛ وقال البحرى:

وَالدَّهْرُ ذُو دَوْلٍ تَنْقَلُ فِي الْوَرَى      أَيَّامُهُنَّ تَنْقَلُ الْأَفْيَاءُ  
وقال:

وَالْمَرَّةُ طَاعَةٌ أَيَّامٍ تَنْقَلُهُ      تَنْقَلُ الظِّلُّ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ  
وقال:

أَرَى الْعَيْشَ ظِلًّا تُوشِكُ الشَّمْسُ نَقْلَهُ      فَكَيْسَ فِي إِنْتِعَاءِ الْعَيْشِ كَيْسَكَ أَوْ مَقِي  
وقال أبو الطيب:

(١) حديث: يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا». هذا كلام ليس بحديث بل هو من كلام علي بن أبي طالب عليه السلام، وقيل من كلام سهل بن عبد الله التستري، حسب ما ذكره العجلوني في كشف الخفاء. (من فتاوي الشيخ ابن باز).

هُونٌ عَلَى بَصِيرٍ مَا شَقَّ مَنْظَرُهُ      فَبِأَنَّمَا يَقْظَانُ الْعَيْنِ كَالْحُلْمِ<sup>(١)</sup>  
وقال:

نَصِيبَكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ      نَصِيبَكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ حَبَالٍ  
وما أحسن؛ قول الشريف:

إِنَّ الْحَيَاةَ وَإِنْ غَرَّتْ مَخَائِلُهَا      ظِلٌّ وَإِنَّ الْمُنَى أَضْفَاكَ أَحْلَامِ  
وقول ابن لنكك<sup>(٢)</sup>:

وَمَاذَا أَرْجَى مِنْ حَيَاةٍ تَكْدَرَتْ      وَلَوْ قَدْ صَفَتْ كَأَنَّكَ كَأَضْفَاكَ أَحْلَامِ  
وقول التهامي<sup>(٣)</sup>:

فَالْعَبْسُ نَوْمٌ وَالْمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ      وَالْمَرءُ بَيْنَهُمَا حَيَالٍ سَارِي  
وقال ابن شبرمه<sup>(٤)</sup>؛ ولعله يتمثل؛ لأنه قد مر بنصه؛ في أبيات عمران:

أَرَاهَا وَإِنْ كَانَتْ تُحِبُّ كَأَنَّهَا      سَحَابَةٌ صَبِيفٍ عَنْ قَرِيبٍ تَقْشَعُ  
وقال الأفوه الأودي<sup>(٥)</sup>:

(١) المعنى: هون على كل أمر مهول لا تقدر العين أن تنظر إليه، فإنه لا حقيقة لليقظة كما لا حقيقة للأحلام، كذلك أحوال الدنيا وشذائدها إلى الزوال عن قريب، كحلم مفزع يراه الإنسان في نومه، فإذا انتبه زال.

(٢) ابن لنكك البصري واسمه: محمد بن محمد بن جعفر البصري، شاعر، أكثر شعره ملح وطرف، جلها في شكوى الزمان وأهله وهجاء شعراء عصره.

(٣) الشاعر أبو الحسن التهامي مولده ومنتشؤه باليمن، وانتقل إلى الشام ومنها، إلى العراق ولقي الصحاب بن عبَّاد، وقرأ عليه، وانتحل مذهب الاعتزال، وأقام ببغداد، وروى بها شعره، ثم عاد إلى الشام، ثم وصل مصر مستخفياً، ثم عرف أمره وسجن بها ثم قتل سراً.

(٤) الإمام الفقيه عبد الله بن شبرمة؛ قاضي العراق توفي سنة ١٤٤هـ.

(٥) الأفوه الأودي هو صلاءة بن عمرو بن مالك، شاعر يمانى جاهلي، وبعد من حكماء العرب لما أشتمل عليه شعره من الحكمة؛ لقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين ظاهر الأسنان. كان سيد قومه وقائدهم في حروبهم.

إِنَّمَا زِنَمَةٌ ذُنَيْبًا مِثْمَةً      وَحَيَاةُ الْمَرْءِ نُؤُوبٌ مُنْتَمَازٌ  
حَكَمَ الذُّهْرُ عَلَيْنَا أَنَّهُ      ظَلَفٌ<sup>(١)</sup> مَا نَالَ مِنَّا وَجُبَّازٌ

وهما من قصيدة له جيدة؛ غير أنه عليه السلام؛ نبى عن روايتها؛ لما فيها من ذكر إسماعيل عليه السلام؛ وما أبلغ، وأنفع، وأدفع؛ وأبخر؛ من قول القطب الحداد<sup>(٢)</sup> :

فِيمَ الرُّكُونُ إِلَى دَارِ حَقِيقَتِهَا      كَالطَّبِيفِ فِي سِنَةِ وَالظِّلِّ مِنْمَرَزِنِ  
وقد أنشد القصيدة؛ والدي؛ بين أرباب القلوب<sup>(٣)</sup>؛ من طراز الجد<sup>(٤)</sup>؛  
ومن على ذلك الأسلوب؛ فكادت تُحْمَلُ الجنائز؛ من فرط النشيج؛ وصدق  
العجيج؛ فَبَلَّ ثَرَاهِمُ؛ وجعل رضوانه؛ قِرَاهُمُ

غَابُوا فَغَابَ عَنِ الدُّنْيَا وَسَاكِنَهَا      مَرَأَى أَنْبَقَ مِنَ الدُّنْيَا وَمُسْتَمَعٌ  
كَانُوا نُجُومًا لِذِي الدَّهْمَاءِ زَاهِرَةٌ      نُضِيءٌ مِنْهَا اللَّيَالِي السُّودُ وَالذُّرْعُ  
أَنْ تَخُبُ أَنْوَارُهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا صَدَعَتْ      نُؤُوبَ الدُّجَى فَلِضْوَةِ الشَّمْسِ مُنْقَطِعُ  
فِي غُرَّةِ الْمَجْدِ لَمَّا قَارَقُوا كَلَفَتْ      بَادِي الخُشُوعِ وَفِي خَدِّ العُلَى صَرَعُ

ومما يختار للشريف؛ في المعنى؛ قوله:

وَنَفْتِنُ الأَوْقَاتِ إِنْ بَقَاءَهَا      كَمَرَّ عَمَامٍ أَوْ كَحُلْمٍ مَنَامِ

وقال عز من قائل كريم: ﴿... كَكَلِّ غَيْثٍ أَحَبَّ الْكُفَّارِ بَأَلَّهُ ثُمَّ يَبِيجُ فَتَرَهُ  
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطْمًا...﴾<sup>(٥)</sup>؛ ولو انني ذكرت هذه الآية؛ للبيت (٣٦)؛

(١) الظلف: الهدر والباطل.

(٢) الإمام عبد الله بن علوي الحداد؛ علامه وفقه شافعي ومصلح اجتماعي ولد بمدينة تريم بحضرموت سنة ١٠٤٤هـ وله عدة مؤلفات ترجم بعضها للغات الأجنبية.

(٣) يقصد أصدقاء والده من ذوي القلوب الخاشعة الرقيقة.

(٤) والد الإمام بن عبيد اللاه هو الحبيب عبيد اللاه بن محسن السقاف وكان عالماً ورعاً زاهداً يمضي أغلب وقته في العبادة؛ أو القراءة في العلوم الدينية وكان منشداً لوالده زعيم البلاد السيد محسن بن علوي السقاف الذي يشير إليه الإمام بن عبيد اللاه بالجد.

(٥) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

لكانت مناسبة؛ ولكنني نسيت؛ وما أنساني إلا الشيطان؛ فتشبيه الحياة بالظل؛ من أوسع المشتركات.

ولكن المَعْرِي؛ حسبما اظن؛ مخترع؛ في قوله:

وَلَعَلَّ دُنْيَانَا كَرَقْدَةٍ حَالِمٍ      بِالْعَكْسِ بِمَا نَحْنُ فِيهِ تُعَبَّرُ  
فَالْعَيْنُ تَبْكِي فِي الْمَنَامِ فَتَجْتَنِي      فَرَحاً وَتَضْحَكُ فِي الرُّقَادِ فَتَعَبَّرُ

وأما قوله (٦١)

لَقَدْ عَافَ أَمْوَالَهُ مَنْ يَجُودُ      وَقَدْ طَلَّقَ النَّفْسَ مَنْ يَشْجَعُ

فالظاهر؛ أنه أراد أن يقول؛ مثل قول المتنبي:

كَأَنَّكَ فِي الإِعْطَاءِ لِلْمَالِ مُبْغِضٌ      وَفِي كُلِّ حَرْبٍ لِلْمَنْبِيَةِ عَاشِقٌ  
فَزَلَّ بِهِ النُّعْلُ؛ على حين سلامة المتنبي؛ من الانتقاد بالتشبيه؛ إذ لا يلزم من الجود؛ بغض المال؛ بل لا يعظم مكان الصنيع؛ إلا والإنسان صحيح شحيح؛ ولا يلزم من الإقدام بغض النفس؛ ولكن المطرب في ذلك؛ قول حبيب:

أَصَابَ إِمْرَأَةً كَانَتْ كَرَائِمُ مَالِهِ      عَلَيْهِ إِذَا مَا سَيْلَ غَيْرَ كَرَائِمِ  
وَأَحْسِنُ؛ بقول أبي الطيب:

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلَّهُمْ      الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ  
وقوله:

وَرُبَّمَا فَارَقَ الْإِنْسَانَ مُهْجَتُهُ      يَوْمَ الْوَعَى غَيْرَ قَالٍ<sup>(١)</sup> خَشِيَةَ الْعَارِ

وهذا من مناسب؛ البيت (٥٠)؛ ومن الغاية في الموضوع؛ قوله: وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهَا الْحَرْبًا؛ وقد ذكرناه مع ما يشبهه؛ في غير هذا المكان.

(١) القال: الكاره المبعوض.

ومن أكبر الأدلة؛ على خطأ الشريف: قوله جل ذكره: ﴿لَنْ نَأْتُوا آلَ الْبِرِّ حَتَّىٰ نُفِقُوا بِمَا كُفُّوا﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ وَبِسَاتِنَا وَالْبُيُوتَ وَمَا فِيهَا﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: ﴿... وَزُيِّنُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو قيس بن الأسلت<sup>(٤)</sup>:

فَسَائِلِ الْأَخْلَافِ إِنْ قَلَصَتْ مَا كَانَ إِبْطَائِي وَإِسْرَاعِي  
هَلْ أَبْذُلُ الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ فَبِكُفْمِ وَآتِي دَعْوَةَ الدَّاعِي

وفي الصحيح: أن أبا طلحة؛ تصدق ببيير حاء؛ عند نزول آية آل عمران<sup>(٥)</sup>؛ لأنها؛ أحبُّ أمواله إليه. وجاء زيد بن حارثة؛ بفرس له كان يحبها؛ فجعلها في سبيل الله؛ فحمل النبي ﷺ ابنه عليها؛ فوجد زيد في نفسه؛ من ذلك؛ فقال له عليه الصلاة والسلام: «إن الله قد قبلها منك»<sup>(٦)</sup>. واشترى ابن عمر؛ جارية؛ ولما أعجبه؛ أعتقها؛ فقيل له: كيف أعتقتها؛ ولم تُصَبِّها؟ فقال: لتلك الآية. وَرُوِيَ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٨.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٤) صيفي بن الأسلت؛ من شعراء الأوس المشهورين في الجاهلية؛ كان سيد قومة وأسندت إليه الأوس حربها يوم البغاث الذي أنتصر فيه الأوس على الخزرج. كان على دين الحنيفة وأدرك الإسلام وأراد أن يسلم؛ فأجل إسلامه حولا فمات في الحول.

(٥) بئر حاء أحد آبار المدينة المنورة، كان يملكها الصحابي أبو طلحة الأنصاري، وعندما نزلت الآية: ﴿لَنْ نَأْتُوا آلَ الْبِرِّ حَتَّىٰ نُفِقُوا بِمَا كُفُّوا﴾ تصدق بها أبو طلحة، وكان الرسول ﷺ يستعذب ماءها، وهي تقع الآن داخل المسجد النبوي الشريف من الجهة الشمالية بالقرب من باب الملك فهد.

(٦) روى سفيان بن عيينة، قال: حدثنا محمد بن المنكدر، قال: لما نزلت ﴿لَنْ نَأْتُوا آلَ الْبِرِّ حَتَّىٰ نُفِقُوا بِمَا كُفُّوا﴾ سورة آل عمران، الآية: ٩٢، قال زيد بن حارثة: اللهم إنك تعلم أنه ليس مال أحب إلي من فرسي هذا، وكان له فرس يقال له: سبل، فجاء النبي ﷺ فقال: هذا في سبيل الله، فقال لأسامة: «اقبضه». فكان زيدا وجد من ذلك في نفسه، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد قبلها منك».

أنه وقع لأبيه<sup>(١)</sup>؛ مثل ذلك؛ وأحوالهم في نظيرها؛ لا تُحصى. وما قضى عبد الملك بن مروان؛ بالشجاعة؛ لمصعب<sup>(٢)</sup> إلا لأنه أختار الموت؛ وقد عرض عليه؛ أرغد العيش؛ وعنده أشرف عقائل العرب<sup>(٣)</sup>؛ وقال الشريف يثني عليه:

وَقَدْ حَلَقْتُ حُوفَ الْهَوَانِ بِمُضْعَبٍ      قَوَادِمُ آبَاءِ كِرَامِ الْمَقَادِمِ  
عَلَى جِبِنِ أَعْظُوهُ الْأَمَانَ فَعَاقَهُ      وَخَيْرَ فَاخْتَارَ الرَّدَى غَيْرَ نَادِمِ  
وَفِي خِذْرِهِ غَرَاءٌ مِنْ آلِ طَلْحَةَ      عِلَاقَةٌ قَلْبٍ لِلنُّدِيمِ الْمُخَالِمِ<sup>(٤)</sup>  
فَفَارَقَهَا وَالْمُلْكَ لَمَّا رَأَاهُمَا      يَجُرَّانِ إِذْ لَالَ النُّفُوسِ الْكِرَائِمِ

وَمَا أَرَاهُ أَضْرَبَ عَنْ ذِكْرِ سَكِينَةَ<sup>(٥)</sup>؛ مع إنها؛ أعلقت بقلب المصعب؛ من عائشة؛ إلا حَمِيَّةَ وَغَيْرَةَ؛ والجود والشجاعة توأمان؛ قال مسلم بن الوليد:

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا      وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ  
وقال أبو تمام:

أَيْقَنْتُ أَنْ مِنَ السَّمَاكِ شَجَاعَةٌ      نُدْمِي وَأَنْ مِنَ الشَّجَاعَةِ جُودَا  
وقال البحتري:

(١) في الصحيحين أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، لم أصب مالا قط هو أنفس عندي من سهمي الذي هو بخير، فما تأمرني به؟ قال صلى الله عليه وسلم: «حبس الأصل وسبل الثمرة».

(٢) مصعب بن الزبير تولى إمارة العراق في خلافة أخيه عبد الله بن الزبير وكان مشهوراً بالشجاعة والجمال؛ قاتل عبد الملك بن مروان فخذله جيشه من أهل العراق فقتل سنة ٧٢هـ.

(٣) كان مصعب بن الزبير متزوج اثنتين من جميلات العرب سكينه بنت الحسين وعائشة بنت طلحة.

(٤) يشير إلى زوجة مصعب عائشة بنت طلحة، وهي مشهورة بالجمال وكانت زوجاً لعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، ولما هلك تزوجها مصعب بن الزبير، فقتل عنها، والمخالمة: المصادقة والمغازلة.

(٥) سكينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب كانت أيضاً زوجة لمصعب بن عمير.

يُذْنِي يَدَا بَيْضَاءَ يَخْتَلِطُ النَّدَى فِيهَا إِذَا إغْتَنَّقَ الْقَوَارِسَ بِالدَّمِ  
 وأكثر بن الرومي فيه؛ بما لا يُحْتَاجُ إليه؛ وما رأيت احداً؛ قرن الشُّحَّ  
 بالشجاعة؛ إلا شارح النهج؛ مستدلاً بما كان من عبد الله بن الزبير؛ وأبيه؛ وتلك  
 قضايا جزئية؛ لا تُغَبَّرُ في وجه الغالب المشهور؛ وحسبك بما كان للمُضْعَبِ<sup>(١)</sup>؛  
 من طول البنان؛ وفيض الأحسان؛ وقال أبو الطيب:

قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ فِي سَمَاحَتِهِ حَتَّى بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الطَّرِيقِ  
 فَقُلْتُ إِنَّ الْمَتَى شَجَاعَتُهُ تُرِيهِ فِي الشُّحِّ صُورَةَ الْفَرَقِ  
 والأول من هذين<sup>(٢)</sup>؛ مأخوذ؛ من قول الأول<sup>(٣)</sup>:

نَصَبُوا بِمَدْرَجَةِ الطَّرِيقِ قَبَابَهُمْ يَتَقَارَعُونَ عَلَى قِرَى الضَّيْفَانِ<sup>(٤)</sup>  
 ويأتي تحت البيت (١٠٨)؛ ما له تعلق؛ ببعض ما هنا؛ والله أعلم.

(١) يقصد: مصعب بن الزبير.

(٢) البيتين.

(٣) الأول: يقصد شاعر لم يحدد اسمه.

(٤) في الديوان:

يتقارعون بها على الضيفان.

نصبوا بمدرجة الطريق قبابهم



## المقالة الخامسة

وأما قوله (٦٢)

بِالْجَدِّ لَا بِالمَسَاعِي يُبْلَغُ الشَّرْفُ      تَمْشِي الجُدُودُ بِأَقْوَامٍ وَأَنْوَقَفُوا

فكلام يُزَيِّنُ العجز؛ ويفتح أبواب الكسل؛ والإنسان مخلوق؛ للجهاد والكِبْد؛ ولا بأس أن يقال مثله بعد الإجتياذ؛ وإفراغ الوسع؛ أمَّا قبله؛ فلا؛ ولا نِعْمَةٌ عين<sup>(١)</sup>؛ كما تجده مكرراً في هذه الأوراق؛ والقول مختلف؛ في معناه؛ اختلافاً كثيراً؛ وقوله تمشي الجدود إلخ؛ من بدائع الكلام؛ وفي موافقته؛ ما أنشده أبو دريد<sup>(٢)</sup>؛ لسويد بن حذاق العبدي<sup>(٣)</sup>؛ وقيل للمعلوط بن بدل القريني<sup>(٤)</sup>:

وَلَيْسَ الغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ جِيلَةِ الفَتَى      وَلَكِنْ أَحَاظُ قُسْمَتَ وَجُدُودِ  
وقال الشافعي:

الجِدُّ يُذْنِي كُلَّ أَمْرٍ شَائِعٍ      وَالْجَدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقِ  
فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَجْدُوداً حَوَى      عَوْداً فَأَثْمَرَ فِي يَدَيْهِ فَصَدِيقِ

(١) معنى سأفعله نعمة عين: أي سأفعله إنعاماً لعينك وإكراماً.

(٢) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ولد بالبصرة في خلافة المعتصم سنة ٢٢٣هـ وتلقى فيها علومه، وتميز بقوة الحفظ وسرعة البديهة وتقلد ديوان فارس؛ نبغ ابن دريد في اللغة والأدب والأنساب. ويرع كذلك في الشعر.

(٣) شاعر جاهلي معمر.

(٤) شاعر إسلامي من عصور الإسلام الأولى.

وَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَحْدُوداً أَتَى مَاءً لِيَشْرَبَهُ فَمَارَ فَحَقِيقِ  
وقال صالح بن عبد القدوس<sup>(١)</sup>؛ وقد تمثل به المتنبي؛ للحاتمي:

وَلَيْسَ رِزْقُ الْفَتَى مِنْ لُطْفِ جِبَلَتِهِ لَكِنْ جُدُودُ بِأَرْزَاقِ وَأَنْسَامِ  
كَالصَّبْدِ يُحْرَمُهُ الرَّامِي الْمُجِيدُ وَقَدْ  
وقال:

وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ وَإِنَّمَا  
وقال أبو العتاهية:

لَيْسَ حَزْمُ الْفَتَى يَجْرُ لَهُ الرِّزْقُ وَلَا عَاجِزاً يُعَدُّ الْعَدِيمُ  
إِنَّمَا النَّاسُ كَالْبَهَائِمِ فِي الرِّزْقِ سَوَاءً أَجْهُولُهُمْ وَالْعَلِيمُ  
فأنضرج عليه أبو تمام؛ ولكنه أحسن الإتيان؛ بقوله:

يَنَالُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ وَيَكْدِي الْفَتَى فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ  
وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تَجْرِي عَلَى الْحِجَا هَلَكُنَّ إِذَا مِنْ جَهْلِهِنَّ الْبَهَائِمُ  
وقال:

وَالْحَظُّ يُعْطَاهُ غَيْرَ طَالِبِهِ وَتُحْرِرُ الدُّرَّ غَيْرَ مُجْتَلِبِهِ  
وقال البحتري:

أَبَحَثْنِمِ مُقَدِّرِ أَمْ بِحَقِّ وَاجِبِ مَا أَدْعَاهُ أَهْلُ النُّجُومِ  
مَنْعَ الدَّهْرِ أَنْ يُسَوِّيَ فِي الْقِسْمِ عَةَ بَيْنَ الْمَحْظُوظِ وَالْمَحْرُومِ  
وقال أبو الطيب:

(١) من شعراء الدولة العباسية؛ كان حكيماً متكلماً يعظ الناس في البصرة، وشعره كله أمثال وحكم وآداب، يدور كثير من شعره حول التنفير من الدنيا ومتاعها، وذكر الموت والفناء، والحث على مكارم الأخلاق. اتهم بالزندقة فقتل.

وَلَوْلَمْ يَنْعَلْ إِلَّا ذُو مَحَلِّ  
وَلَوْلَمْ يَنْعَ إِلَّا مُسْتَجِرُّ  
وَقَالَ:

وَلَوْ بِئُتْمَا عِنْدَ قَدَرِنُكُمَا  
وَقَالَ:

هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضَلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا  
وَقَالَ ابْنُ نَبَاتِهِ:

أَلَا فَاخْشَ مَا يُرْجَى وَجَدُّكَ هَابِطٌ  
فَلَا نَافِعُ إِلَّا مَعَ النَّخْسِ صَائِرٌ  
وَقَدْ مَرَّ تَحْتَ الْبَيْتِ (٤٧)؛ مَا لَهُ بِهِ اتِّصَالٌ؛ وَفِي مَخَالَفَتِهِ؛ يَقُولُ أَبُو تَمَامٍ:

فَتَى هَرَّ الْقَنَا فَحَوَى سَنَاءً  
وَيَقُولُ:

وَمَا كُنْتُ كَالسَّائِلِ الْإِيَّامِ مُجْتَهِدًا  
بَلْ سَافِعٌ بِنَوَاصِي الْأَمْرِ مُجْتَهِدٌ  
وَيَقُولُ الْبَحْتَرِيُّ:

لَسْتُ بِالْوَاهِنِ الْمُقِيمِ وَلَا الْقَائِدِ  
وَيَقُولُ الْمَتْنَبِيُّ:

وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ  
وَيَقُولُ:

وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ أَدْرَكَ الْمُلْكَ بِالْمُنَى  
وَقَالَ ابْنُ نَبَاتِهِ السَّعْدِيُّ:

وَلَكِنْ بِإِيَّامِ أَشْبَنَ النَّوَاصِبَا

حَاوِلْ جَيِّمَاتِ الْأُمُورِ وَلَا تَقْلُ  
وَأَزْعَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ مُقْصِراً  
إِنَّ الْمَحَامِدَ وَالْمُلَى أَرْزَاقُ  
عَنْ غَايَةِ فِيهَا الطَّلَابُ سِبَاقُ  
مِيقَاتُهُ لَمْ يَنْفَعِ الْإِشْفَاقُ  
لَا تُشْفِقَنَّ فَإِنَّ يَوْمَكَ إِنْ آتَى

وسايتي له؛ أجمل وأفحل؛ من هذه؛ تحت البيت (١٤٠)؛ والشروط بطين؛  
والميدان واسع؛ وفي شرح هذه النوادر؛ بحسب المناسبات؛ الكثير الممتع؛ وما  
أحسن قول الشريف؛ فيما يشبه الشق الأول:

مَسَحَتْ جِبَاهَ الْوَانِيَاتِ وَلَطَمَتْ  
مِنْ دُونِ غَايَتِهَا الْعِتَاقُ الْقُرْحُ  
ومثله؛ قول أبو نواس:

وَلَوْ نَبِلْتَ الدُّنْيَا بِفَضْلِ مَنَحَتِهَا  
وَلَكِنَّهَا الْأَيَّامُ تَجْرِي بِمَا جَرَتْ  
فَضَائِلُ تَحْوِيهَا وَتَبْقَى فَضَائِلُ  
فَيَسْفُلُ أَعْلَاهَا وَتَعْلُو الْأَسَافِلُ

وفي قول الشريف؛ ولطمت؛ إشارة لما جرى؛ لخيل قيس بن زهير؛ في  
السباق المشهور؛ الذي أفضى إلى حرب داحس والغبراء؛ ومهما يكن من الأمر؛ فلا  
أرى المعري؛ إلا يقصد الاعتراض؛ على بيت الشريف؛ الذي نحن في نقده؛ بقوله:

قَالَتْ عُدَاتُكَ لَيْسَ الْمَجْدُ مُكْتَسَباً  
مَقَالَةٌ الْهُجْنِ لَيْسَ السَّبْقُ بِالْحَضِيرِ  
وهو بالحق أمس، وبالذليل أولى؛ وقد قال مهلهل:

لِتَبْلُغْ عُدْرًا أَوْ تُصِيبَ رَغِيْبَةً  
وَمَبْلُغُ نَفْسٍ عُدْرَهَا مِثْلُ مَنْجَحٍ

وأما قوله (٦٣)

وَمَنْ يَشْرَبْ بِضَافٍ غَيْرِ رَيْقٍ  
يَرُدُّ يَوْمًا بِرَيْقٍ غَيْرِ ضَافِي

فقد رُوِيَ الْأَصْمَعِيُّ؛ عَلَى بَغْلٍ اعْجَفَ؛ فَقِيلَ لَهُ: تَرْكَبُ هَذَا بَعْدَ بَرَادِينِ<sup>(١)</sup>

الخلفاء؟ فانشد:

(١) برذون وجمعه براديين وهي فرس الرحيل.

وَلَمَّا أَبَتْ إِلَّا أَنْصِرَاماً بِوِدِّهَا      وَتَكْدِيرِهَا الشَّرْبَ الَّذِي كَانَ صَافِياً  
شَرِبْنَا بِرَنَقٍ مِنْ هَوَاهَا مُكَدَّرٍ      وَلَيْسَ يِعَافُ الرَّنْقُ مَنْ كَانَ صَادِياً

وبيت الشريف؛ مَبْنِيّ عليه؛ وقال أبو تمام:

فَلَا تَأْمَنَ الدُّنْيَا وَإِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ      عَلَيْكَ فَمَا زَالَتْ تَخُونُ وَتَعْدُرُ  
فَمَا تَمَّ فِيهَا الصَّفْوُ يَوْماً لِأَهْلِهِ      وَلَا الرَّنْقُ إِلَّا رَيْنَمَا يَتَغَيَّرُ

وقال البحرني:

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا سَاعَةٌ تَمَّ تَنْقِضِي      بِمَا كَانَ فِيهَا مِنْ بَلَاءٍ وَمِنْ حَفْضِ  
فَهَوْنِكَ لَا تَحْفَلُ إِسَاءَةً عَارِضِ      وَلَا فَرْحَةً تَأْتِي فِكَلْتَاهُمَا تَمْضِي

وهو من قول بعض الأعراب:

يَعْبِشُ الْفَتَى بِالْفُفْرِ يَوْماً وَبِالْغِنَى      وَكُلُّ كَأَنَّ لَمْ يَلْقَ جِينٌ يُزَاوِلُهُ  
ومما أنشده أبو السّمح:

فَاصْبِرْ عَلَى كَرْبِ الْبَلَاءِ فَإِنَّهُ      لَيْسَ الْبَلَاءُ عَلَى الْفَتَى بِلِزَامِ

وقال محمد بن كثير<sup>(١)</sup>؛ يصف ما لقي ابن الحنفية<sup>(٢)</sup>؛ من ابن الزبير<sup>(٣)</sup>؛ إذ

كان حبسه في سجن عارم<sup>(٤)</sup>:

(١) محمد بن كثير بن أبي عطاء الصنعاني من رواة الحديث روى عن الازواعي وابن عيينه وغيرهم.

(٢) هو محمد بن علي بن أبي طالب، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية، فينسب إليها تمييزاً عن أخويه الحسن والحسين، ولد في خلافة عمر بن الخطاب وهو أحد الأبطال الأشداء، كان ورعاً واسع العلم ثقة له عدة أحاديث في الصحيحين.

كان قائداً كبيراً من قواد المعارك التي خاضها علي بن أبي طالب في الجمل وصفين حيث حمل الراية وأبلى بلاءً حسناً وكان أبوه يعتمد عليه كثيراً في هذه الحروب رغم صغر سنه. لذا ساعدت هذه المرحلة كثيراً على صقل شخصيته.

(٣) عبد الله بن الزبير.

(٤) دار للسجن بمكة اشترى في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فَمَا رَوْنَقَ الدُّنْيَا بِبَاقٍ لِأَهْلِهِ      وَلَا سِدَّةَ الْبَلَوَى بِضَرْبَةِ لَازِبٍ<sup>(١)</sup>  
 وقال نابغة ذبيان؛ من قبله:  
 فَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ      وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لَازِبٍ  
 وقال البحترى:  
 مَتَى تَسْتَزِدُّ قَضَاءً مِنَ الْعُمَرِ تَعْتَرِفْ      بِسَجْلِيكَ مِنْ شُهْدِ الْحُطُوبِ وَصَابِهَا  
 ومما أنشده؛ أبو إسحاق الشيرازي<sup>(٢)</sup>؛ ولم يُسمِّ؛ قائلاً:  
 تَشُوبُ الْقَدَا بِالصَّفْوِ وَالصَّفْوُ بِالْقَدَا      وَلَوْ أَحْسَنْتَ فِي كُلِّ حَالٍ لَمَلَّتْ  
 ولكنَّ هذا؛ ليس من مأخذ بيت الشريف؛ لتأخر أبي إسحاق؛ وإن أُحْتَمِلَ  
 أنَّ قائله قديم.

### وأما قوله (٦٤)

كَأَنَّ اللَّيَالِيَّ كُنَّ أَلَيْنَ حَلْفَةً      بِأَنْ لَا يُرَى فِيهِنَّ شَمْلُ مُؤَلَّفِ

فقد مرَّ ما يناسبه؛ تحت البيتين (٤٦) و(٦٠)؛ وقال حبيب:

لَيْنَ غَدَرَتْ فِي الرَّوْعِ أَيَّامُهُ بِهِ      فَمَا زَالَتْ الْأَيَّامُ شِيَمَتُهَا الْغَدْرُ  
 وقال أبو عباده:

كَأَنَّ اللَّيَالِيَّ أُغْرِبَتْ حَادِثَاتُهَا      بِحُبِّ الَّذِي تَأْبَى وَكُرْهِ الَّذِي نَهْوَى  
 وقال أبو الطيب:

أَوْدٌ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا تَوَدُّهُ      وَأَشْكَو إِلَيْهَا بِئِنَّنَا وَهِيَ جُنْدُهُ

(١) أي ما هذا بواجب لازم.

(٢) أبو إسحاق الشيرازي، انتهت إليه رئاسة مذهب الشافعية في زمانه، وبنى له نظام الملك المدرسة النظامية ببغداد فدرس بها، وكان مضرب المثل في الزهد والقناعة ولد في بلاد فارس سنة ٣٩٣هـ، وتوفي ببغداد سنة ٤٧٦هـ.

أَبَى خُلِقَ الدُّنْيَا حَبِيباً نُدِيمَهُ      فَمَا طَلَبِي وَنَهَا حَبِيباً تَرُدَّهُ

وقال:

نَبِيكِي عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ      جَمَعَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا

وقال السري الرفاء<sup>(١)</sup>؛ المتوفي سنة ٣٤٤؛ على اختلاف الرواية؛ في

موته:

يَنْعَمُ كَأَنَّ الدَّهْرَ أَفْسَمَ جَاهِداً      أَنْ لَا تَدُومَ فَبَرَّتِ الأَقْسَامُ

فَيْرُ الأَقْسَامِ؛ هو الذي اجتلب الوسام؛ وقد اندقت عنق الشريف؛ في مرقاته<sup>(٢)</sup>؛ ففاته الشنب؛ مع تأخر ميقاته؛ فلقد اغار على بيت الرفاء؛ فلم يحسن الإتياع؛ ولا وَفَى؛ مع أن السري؛ لا يمتح بِغَرْبِهِ؛ ولا يسعى بقدمه؛ فلم يأت الخيار؛ إلا من سوء الإختيار. وقال الصمة بن عبد الله القشيري<sup>(٣)</sup>:

أَرَى الدَّهْرَ بِالتَّفْرِيقِ وَالبَّيْنِ مُولِعاً      وَلِلْجَمْعِ مَا بَيْنَ المُجْحِبِينَ آبِياً

وأما قوله (٦٥)

كُلُّ شَيْءٍ مِنَ اللَّيَالِي طَرِيفٌ      وَاللَّيَالِي مَعَانِمٌ وَخُوفٌ

فلا يبلغ لَصُغْرَانِيهِ؛ قوله:

وَاللَّيَالِي مِنَ الزَّمَانِ حَبَالِي      مُثْقَلَاتٍ يَلِدُنَّ كُلُّ عَجِيبٍ

(١) أبو الحسن السري بن أحمد الرفاء الموصلية شاعر مشهور؛ كان في صباه يعمل خياطاً ولذا سمي بالرفاء أي الخياط، وهو مع ذلك يتولع بالأدب وينظم الشعر، ولم يزل حتى جاد شعره ومهر فيه، وقصد سيف الدولة الحمداني بحلب ومدحه وأقام عنده مدة، ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد ومدح الوزير المهلبية وجماعة من رؤساء المدينة، وانتشر شعره وراج.

(٢) المرقاة: جمع مَرَاقٍ: موضع الرُّقْبَةِ والصُّعُودِ أو أدواته كالدرجة من درجات السُّلْمِ.

(٣) الصمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرة القشيري، من بني عامر بن صعصعة، من مضر. شاعر غزل بدوي، من شعراء العصر الأموي، ومن العشاق المتيمين.

وذكروا أن معاوية؛ استقدم رجلاً معمرأ من حضرموت؛ وقال له: صِف لي الدنيا فقال: سُنِّيَات بلاء؛ وسُنِّيَات رخاء؛ مولود يولد؛ وهالك يهلك؛ ولولا المولود؛ باد الخلق؛ ولولا الهالك؛ ضاقت الأرض؛ إنَّما الدنيا: هِبَاتٌ وَعَوَازٌ مُسْتَرَدَّةٌ؛ شِدَّةٌ بعد رخاء؛ ورخاء بعد شِدَّة.

وقال آخر:

وَمِنْ عَادَةِ الْأَيَّامِ أَنْ صُرُوقَهَا      إِذَا سَاءَ مِنْهَا جَانِبٌ سَرَّ جَانِبُ  
وقال أبو تمام:

عَلَى إِنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا      عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ  
وقال ابن الرومي: وعجيب الزمان غير عجيب؛ وقال البحرى:

عَجِبْتُ لِهَذَا الدَّهْرِ أَعْيَتْ صُرُوفُهُ      وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا صِرْفُهُ وَعَجَائِبُهُ  
وقال:

إِنْ تَلْتَمِسَ ثَمْرَ أَخْلَافِ الْأُمُورِ      وَإِنْ تَلَبَّثَ مَعَ الدَّهْرِ تَسْمَعُ بِالْأَعَاجِبِ  
وقال:

لَا تَرْكَنْنَ إِلَى الخُطُوبِ فَإِنَّهَا      لَمَعَ تَسْرُوكُ تَارَةً وَتَسُوكَا  
وقال:

يَبْتَغِي المَرءُ وَفَقَّةَ العَيْشِ والعَمِّ      نِشْ سَجَالٍ كَثِيرَةً أَظْوَارُهُ  
وقال أبو الطيب:

إِلَى لَعْمَرِي قَضْدُ كُلِّ عَجِيبَةٍ      كَأَنِّي عَجِيبٌ فِي عُيُونِ العَجَائِبِ  
وقال:

عَلَى ذَا مَضَى النَّاسِ إِجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ      وَمَنِيتُ وَمَوْلُودٌ وَقَالِ وَوَامِيتِ  
وسيعاد هذا البيت؛ مع ما يشبهه؛ تحت البيت (٧٤).



وقال فروة بن ميك المرادي<sup>(١)</sup>:

كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتْهُ سِجَالٌ      تَكَرَّرَ صُرُوفُهُ جِينًا فَجِينًا  
وَمَنْ يُغَرَّرْ بِرِبِّ الدَّهْرِ يَوْمًا      يَجِدُ رَيْبَ الزَّمَانِ لَهُ حَوْثًا  
وقد مر الأخير تحت البيت (٤٥)؛ وكلما سبق؛ تحت البيت (٦٣)؛ صالح  
للانخراط؛ في سلك ما نحن فيه.

### وأما قوله (٦٦)

كَيْفَ يَرْجُو الكَثِيرَ مَنْ رَاضَهُ الشَّو      قُ إِلَى أَنْ رَضِيَ بِبَدْلِ الطَّفِيفِ

فمن قصة أبي العتاهية وعتبه؛ وقوله فيها:

أَمَّا الكَثِيرُ فَلَا نَرْجُوهُ مِنْكَ      وَلَوْ أَطْعَمْتَنِي بِقَلِيلٍ مِنْكَ يَكْفِينِي  
وأما تَعَجُّبُهُ بقوله: كيف يرجو.. إلى آخره؛ فلا معنى له! لأنَّ الحياة أمل؛  
والمؤمن كثير الرجاء؛ وإنما يقنط؛ المسيء الظن بمولاه؛ الا ترى إلى  
يعقوب رضي الله عنه! فإنه بعد أن انقطعت عنه الأخبار، وعميت عليه الآثار، ووظأت  
مناكبه الرزايا؛ لم يياس؛ بل قال: ﴿... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ  
جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ <sup>(٢)</sup>﴾. ويقول: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّوْا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ  
وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ <sup>(٣)</sup>﴾.

(١) فُرُوة بن مُسِيك بن الحارث بن سلمة بن الحارث بن الذؤيب العُطَيْقِي المرادي، ينتهي نسبة  
إلى قبيلة مَدْحِج. فارس شجاع شاعر ذو شرف وإقدام، كان له غناء عظيم في الجاهلية  
والإسلام، صحابي من الولاة، أسلم عام الفتح، ذُكر أنه كان في الجاهلية موالياً لملوك  
كندة، ثم فارقهم لما شرح الله له صدره، ويسر له أمره، فأسلم وحسن إسلامه. شاعر  
وفارس ذو شجاعة وإقدام؛ أسلم عام الفتح وحسن إسلامه وكان من الاعيان في الجاهلية  
والإسلام.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٣.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

وصدق ﷺ؛ فان امرء القيس؛ لما كان كافراً؛ ضاق عطفه؛ وضوَّلت ثقته؛ فاشتمل على اليأس من قافلته؛ بمجرد ما رأى عجز جاره؛ عن ردِّ رواحله؛ وقال: ما قد اسلفناه تحت البيت (٥٦)؛ وفاتنا أن نُنَبِّه؛ على أن في بيت الشريف ذلك؛ رائحة يأس وقنوط؛ يتنزّه عنهما مثله؛ ولا سيمًا؛ مع تَمَدُّجِه بالإسترزاق بالحسام؛ كما في غير موضع من هذه المجموعة؛ وما أحسن ما قال أبو ذؤيب<sup>(١)</sup>:

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا      وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَمْنَعُ  
وقد أخذه أبو العتاهية؛ فأغِيث؛ وذلك حيث يقول:

تَرُغِبُ النَّفْسُ إِذَا رَغَبَتْهَا      وَإِذَا رَجَّيْتَ بِالشَّيْءِ رَجَا  
وكثيراً ما تتصاغر نفوس المحيين؛ فيقتعون باليسير من الوصال؛ قال عمر بن أبي ربيعة:

لَبِثْتُ حَظِي كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ مِنْهَا      وَكَثِيرٌ مِنْهَا الْقَلِيلَ الْمَهْنَى  
وقال ابن الطثرية<sup>(٢)</sup>:

الْأَيْسَ قَلِيلاً نَظَرْتُهَا      إِلَيْكَ وَكُلًّا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلٌ  
وقال كثير<sup>(٣)</sup>:

(١) أبو ذؤيب الهذلي شاعر مخضرم جاهلي إسلامي، أسلم على عهد النبي محمد ﷺ إلا أنه لم يره.

(٢) يزيد بن سلمة بن سمرة، ابن الطثرية. شاعر أموي من بني قشير بن كعب، كان شاعراً وأديباً وعرف بحسن خلقه وحلاوة منطقه وحديثه وكان ذو مال وشجاعة، وله منزلة كبيرة لدى قومه.

(٣) كثير بن عبد الرحمن بن الأسود. شاعر متيم مشهور، من أهل المدينة، ولد في آخر خلافة يزيد بن عبد الملك، وتوفي والده وهو صغير السن وكان منذ صغره سليط اللسان وكفله عمه بعد موت أبيه وكلفه رعي قطيع له من الإبل حتى يحميه من طيشه وملازمته سفهاء المدينة. اشتهر بحبه لعزة فعرف بها وعرفت به وهي: عزة الكنانية بنت حفص من بني =

وَأَنِّي لِأَرْضِي مِنْكَ يَا عِرْزُ بِالَّذِي  
بَلَى وَبِأَنَّ لَا اسْتَطِيعُ وَبِالْمُنَى  
وَبِالنَّظَرَةِ الْعَجَلَى وَبِالْحَوْلِ  
وَقَالَ جَحْدَرٌ<sup>(١)</sup>:

أَلَيْسَ اللَّهُ يَجْمَعُ أُمَّ عَمْرٍ  
نَعْمَ وَأَرَى الْهَيْلَالَ كَمَا تَرَاهُ  
وعزاها ابن قتيبة؛ في عيون الأخبار؛ للمعلوط؛ والأول أثبت؛ وأنشد  
لجميل:

أُقَلِّبُ ظَرْفِي فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ  
يُؤَافِقُ ظَرْفِي ظَرْفَهَا حِينَ تَنْظُرُ  
وقال آخر:

أَلَسْتُ أَرَى النَّجْمَ الَّذِي هُوَ  
طَالِعٌ عَلَيْهَا وَهَذَا لِلْمُبِينِ مُقَنَّنُ  
وقال أبو الطيب:

وَجُودُكَ بِالْمَقَامِ وَلَوْ قَلِيلاً  
فَمَا فِيهَا تَجُودٌ بِهِ قَلِيلُ  
وقال:

وَقَنِعْتُ بِاللُّقْيَا وَأَوَّلُ نَظْرَةٍ  
إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْحَبِيبِ كَثِيرُ  
وهو ميدان واسع؛ أرخينا له العنان؛ في غير موضع؛ من العود الهندي؛  
ولكن لا عجب؛ ممن نزل على حكم الدهر؛ في القناعة باليسير؛ ان يعاوده

= حاجب بن غفار من كنانة كناها كثير في شعره بأم عمرو ويسمى تارة الضميرية وابنة  
الضمري نسبة إلى بني ضمرة. أكثر إقامته بمصر حيث دار عزة بعد زواجها وفيها صديقه  
عبد العزيز بن مروان الذي وجد عنده المكناة ويسر العيش. توفي في الحجاز.

(١) هو ربيعة بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة البكري الوائلي، فارس بكر بن وائل في الجاهلية، له  
وقائع كثيرة، قتل في حرب البسوس.

الطمع عند الإمكان؛ إذ الإنسان مجبول عليه؛ والطبع أغلب؛ والقلوب تتقلب؛ فالشريف؛ لا يتعجب؛ إلا مما يتعجب من عكسه؛ وقد جاء في الصحيح: أن الجهنيمين؛ أول ما يسألون الله؛ بعد إنقاذهم من النار؛ أن يصرف عنهم رائحتها؛ ثم لا تزال بهم الأمانى؛ حتى ينتهون؛ إلى ما لا غاية بعده؛ وما رأيت أحدا تعتجله الخواطر، وتتجاذبه الهوامش؛ كالشرف ابن الفارض<sup>(١)</sup>؛ فلقد يشمخ بانفه؛ حتى يقول:

رِدْنِي بِفَرْطِ الْحُبِّ فِيكَ تَحْبِيراً      وَارْحَمْ حَسِيَّ بِلَطْفِي هَوَاكَ تَسْعِيراً  
وَإِذَا سَأَلْتُكَ أَنْ أَرَكَ حَقِيقَةً      فَاسْمَعْ وَلَا تَجْعَلْ جَوَابِي لَنْ تَرَى  
ويقول:

إِنْ كَانَ مَنْزِلَتِي فِي الْحُبِّ عِنْدَكُمْ      مَا قَدْ رَأَيْتَ فَقَدْ ضَيَّعْتُ أَبَايَ  
أُمْنِيَّةً ظَفِرَتْ رُوجِي بِهَا زَمَاناً      وَالْيَوْمَ أَحْسَبُهَا أَضْفَاكَ أَخْلَامِ  
ثم لم يرم؛ حتى ذلَّ جناحه، وأصبح جانبه، ولانت عريكته؛ فتضاءل وقال:

وَإِذَا لَمْ تُنْعِشْ بِرُوحِ التَّمَنِّي      رَمَقِي؛ وَأَفْتَضَى فَنَائِي بَقَاكَ  
إِتَقِ لِي مُقْلَةً؛ لَعَلِّي يَوْمًا      قَبْلَ مَوْتِي أَرَى بِهَا مَنْ رَأَاكَ  
أَوْ؛ مِرَّ الْعَمُضَ أَنْ يَمَرَّ بِحِجْفِي      فَكَأَنِّي بِهِ مُطِيعاً عَصَاكَ  
وقال:

(١) ابن الفارض، هو أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي، أحد أشهر الشعراء المتصوفين، وكانت أشعاره غالبها في العشق الإلهي حتى أنه لقب بـ«سلطان العاشقين». والده من حماة في سوريا، وهاجر لاحقاً إلى مصر. ولد بمصر سنة ٥٧٦هـ، ولما شب اشتغل بفقهِ الشافعية، وأخذ الحديث عن ابن عساكر. ثم سلك طريق الصوفية ومال إلى الزهد. رحل إلى مكة في غير أشهر الحج، واعتزل في واد بعيد عنها. وفي عزله تلك نظم معظم أشعاره في الحب الإلهي، حتى عاد إلى مصر بعد خمسة عشر عاماً.

وَلَمْ مِنْكَ كَافٍ إِنْ هَدَرْتَ دَمِي      وَلَمْ أَعُدَّ شَهِيداً عِلْمٌ دَاعِي مَنِّي  
وَلَمْ تَسْوِ رُوحِي فِي وَصَالِكَ بَدَلَهَا      لَدَيَّ؛ لِبَوْنِ بَيْنِ صَوْنٍ وَبَذَلَةٍ  
فَإِنْ صَحَّ هَذَا الْقَالَ مِنْكَ رَفَعْتَنِي      وَاعْلَيْتِ مِقْدَارِي وَاعْلَيْتِ قِيمَتِي  
وَمَا أَنَا مُسْتَدْعٍ قَضَاكَ وَمَا بِهِ      رِضَاكَ وَلَا اخْتَارُ تَاخِيرَ مُدَّتِي

وكان أكثر ما يحلف ﷺ؛ بمقلب القلوب. وحال الوزير المهلي<sup>(١)</sup> في املاقه؛ ثم ترادف ارزاقه؛ معروف؛ وتقدم شاعر إلى بعض الحكماء؛ بمديح؛ فَحَكَّمَهُ؛ فقال: مائة الف؛ فقال له الخليفة: كثير! فقال: إذن فدرهم! فقال له الخليفة: لقد ارتفعت جداً؛ ثم بالغت في الانحطاط! فقال: سألت اولاً على قدرك؛ ثم على قدري. وجاء إلى معاوية؛ يسأله عملاً؛ فاعتذر له؛ فقال له: زوجني أمك!! فأنشد:

طَلَبَ الْأُبْلَقَ الْعَقُوقَ وَلَمَّا      لَمْ يَجِدْهُ أَرَادَ بِبِضِّ الْأَنْوِقِ

وعند المتنبي من التَّلَوُّنُ؛ الشيء الكثير؛ كما فصلته؛ في غير موضع؛ من العود الهندي<sup>(٢)</sup>؛ ولو أَنَّ الشريف قال: كيف يطمع في الكثير؛ من تعذر عليه القليل؛ لكان مثل ما أنشده معاوية؛ اما الرجاء؛ فانه باب آخر؛ حسبما قررناه.

### وأما قوله (٦٧)

وَصُوفُ الْهُمُومِ مُدَّ كَيْنَ لَا يَنْزِلُ      سِوَى الْأَعْلَى الْعَظِيمِ الشَّرِيفِ

(١) الوزير المهلي، من ولد المهلب بن أبي صفرة الأزدي، من كبار الوزراء الأدباء الشعراء، اتصل بمعز الدولة بن بويه فكان كاتباً في ديوانه، ثم استوزره، وكانت الخلافة للمطيع العباسي، فقربه المطيع، وخلع عليه، ثم لقبه بالوزارة، فاجتمعت له وزارة الخليفة ووزارة السلطان، ولقب بذئ الوزارتين، وكان من رجال العالم حزماً ودهاءاً وكرماً وشهامة. له شعر رقيق، مع فصاحة بالفارسية.

(٢) كتاب العود الهندي كتاب أدبي كتبوع للإمام عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف.

فمآخذه؛ أكثر من ان تُحَصَّرُ؛ ومنها قول الشافعي:

وَاحَقُّ خَلْقِ اللَّهِ بِالْهَمِّ إِمْرَةً      ذُو هِمَّةٍ يُبْلَى بِعَيْشِ ضَيْقِ  
وقول أبي الطيب:

وَأَتَّعِبَ خَلْقَ اللَّهِ مَنْ زَادَ هَمُّهُ      وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسُ وَجُدُّهُ  
وقوله:

وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ كِبَاراً      تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ  
وقوله:

لَحَا اللَّهُ ذِي الدُّنْيَا مَنَاخاً لِرَاكِبٍ      فَكُلُّ بَعِيدِ الْهَمِّ فِيهَا مُعَذَّبٌ  
وقول حبيب:

طَلَبُ الْمَجْدِ يُورِثُ النَّفْسَ خَبَالاً      وَهُمُوماً تَقْضِي قَضَى الْحَيْرُومَا  
وقول أبي دلف العجلي<sup>(١)</sup>:

وَدُو الْمَجْدِ مَحْمُولٌ عَلَى كُلِّ آلَةٍ      وَكُلُّ قَصِيرِ الْهَمِّ فِي الْحَيِّ وَادِعٌ  
وقول ابن هانئ الأندلسي:

وَمِمَّا أَعَانَ عَلَيَّ الزَّمَانَ      عَفَافٌ بِيَدِي وَعُلُوُّ الْهَمِّ  
وقول صاحب ابن عَبَّاد؛ وهو؛ أَسْنُ مِنَ الشَّرِيفِ:

وَقَائِلَةٌ لِمَ عَرَّتْكَ الْهُمُومُ      وَأَمْرَكَ مُمْتَنِّلٌ فِي الْأُمَمِ  
فَقُلْتُ اتْرُكِيْنِي عَلَى حَالِنِي      فَأَنَّ الْهُمُومَ بِقَدْرِ الْهُمَمِ

(١) أبو دلف العجلي أحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء قلده الرشيد العباسي أعمال الجبل ثم كان من قادة جيش المأمون وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة وفيه أماديح وله مؤلفات منها (سياسة الملوك) و(البيزة والصيد) وهو من العلماء بصناعة الغناء كان يقول الشعر ويلحنه. توفي ببغداد.

وبيت الشريف؛ على تأخيره؛ لا يساوي شيئاً من نظائره؛ وقوله: (مُدُّ كُرٌّ)  
أشبه بركة البعير؛ وقد مر أكثر هذه الشواهد؛ تحت البيت (٧)؛ ولكن المناسبة؛  
اقتضت الإعادة؛ وبما أن نشأة الهموم؛ من علقِ الهمم؛ فما لها من علاج؛  
سوى صدق العزائم؛ قال الفرزدق:

أُضِدِرْ هُمُومَكَ لَا يَقْتُلِكَ وَارْدَهَا فَكُلُّ وَارِدَةٍ يَوْمًا لَهَا صُدْرٌ  
وقال:

وَكَانَ قَرَى الْهُمُومِ إِذَا اعْتَرَّتْ نِيَّيَ زَمَاعًا<sup>(١)</sup> لَا أُرِيدُ بِهِ إِذًا  
وقال مروان بن أبي حفصة:

وَلَمَّا سَرَى الْهَمُّ الْعَرِيبُ قَرْنُهُ عَزَمْتُ فَعَجَلْتُ الرَّجِيلَ وَلَمْ أَكُنْ  
وقال طرفة بن العبد<sup>(٢)</sup>:

وَإِنِّي لِأَمْضِي الْهَمَّ عِنْدَ إِحْتِضَارِهِ بِهَوَجَاءِ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي<sup>(٣)</sup>  
وقال حبيب:

يَسْرِي إِذَا سَرَتِ الْهُمُومُ كَأَنَّهُ نَجْمُ الدُّجَا وَيَغِيرُ حَيْثُ نَفَّازٌ  
وقال:

(١) الزماع: العزم. والبِدَالُ: رافعة تُعالج بالقدم، لتحريك رحي، أو مخرطة أو دراجة، أو لتغيير النعم في آلة موسيقية.

(٢) هو عمرو بن العبد. و«طرفة» لقب غلب عليه. شاعر جاهلي من شعراء المعلقات؛ قتل في عهد عمرو بن هند، ملك الحيرة. وسنه ستة وعشرين عاماً فقط، ولهذا عرف باسم «الغلام القليل». وينتمي طرفة لأسرة عرفت بكثرة شعرائها من جهة الأب والأم. وكان في صباه عاكفاً على حياة اللهو، ومعاقرة الخمر؛ وقد مات أبوه وهو صغير فأبى أعمامه أن يقسموا ماله وظلموه.

(٣) فيه وصف لناقته التي يتشاغل بالنظر عن همومه.

لَا يَظْهَرُ الْهَمُّ إِلَّا الْهَمُّ مِنْ رَجُلٍ      مُقْلَقِلٍ لِبَنَاتِ الْقَفْرَةِ النَّجْبِ  
 مَاضٍ إِذَا الْهَمُّ التَّفَتَّ رَأَيْتَ لَهُ      بِوُخْدِهِنَّ اسْتِظَالَاتٍ عَلَى النُّوبِ  
 ولا يخلو الصاحب؛ في بيتيه السابقين؛ عن نظر في اللفظ؛ إلى قول  
 حبيب:

لَمَّا مَحَضْتُ الْأَمَانِي الَّتِي اجْتَلَبُوا      عَادَتْ هُمُومًا وَكَانَتْ قَبْلَهَا هِمًّا  
 أما المعنى؛ ففيه تفاوت؛ لأنه: إنما يصف بهذه الأمانى؛ الأعداء؛  
 ويقول: إنها كانت همماً؛ ولما قطعها عليهم المصعبي<sup>(١)</sup>؛ الممدوح؛ عادت  
 هموماً؛ فهو عكس قوله السابق؛ في المقالة الثانية:

هَمُّ سَرَى ثُمَّ اضْحَى هِمَّةً أَمَّا      عَادَتْ رَجَاءً وَامَسَتْ وَهِيَ لِي نَشْبُ  
 ثم لا تكون الهمم حسرة؛ إلا بالتقصير في إنفاذها؛ أما الخيبة؛ بعد  
 الاجتهاد واغتنام الفرص؛ فلا؛ كما قدّمناه؛ تحت البيت (٣١)؛ حيث ذكرنا:  
 أمثال قول حبيب:

لَأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ      وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ  
 ومن المطرب؛ في مثل ما مرّ عن الفرزدق؛ وَمَنْ بَعْدَهُ؛ قول الشريف عن  
 أبيه:

إِذَا اسْتَظَّالَتْ هُمُومُهُ سَكِرَتْ      فِي كَفِّهِ الْبَيْضُ وَأَنْتَشَى الْقَلَمُ

### وأما قوله (٦٨)

وَالْحُظُوظُ الْبَلَاهَاءُ مِنْ ذِي اللَّيَالِي      أَنْكَحَتْ بِنْتَ عَنَامٍ مِنْ ثَقِيفٍ

فكثيراً ما ترى في الأشعار؛ وصف الحظوظ؛ بالعمى؛ ومنها قول ابن  
 الرومي:

(١) إسحاق بن إبراهيم المصعبي حاكم بغداد في زمن الخليفة العباسي المأمون.



الْحَظُّ أَعْمَى وَلَوْلَا ذَاكَ لَمْ نَرَهُ لِلْبُحْثِيِّ بِلا عَقْلٍ وَلَا حَسَبٍ  
وسواء صدق في دعواه على البحري؛ أم لا؛ فلم نقصد من بيته؛ إلا بيان  
أخذ الشريف عنه؛ والحظوظ كثيراً ما تخطئ العاقل؛ وتصيب الأحمق؛ قال أبو  
تمام:

قَلَمَ يَجْتَمِعُ شَرْقٌ وَعَرَبٌ لِقَاصِدٍ وَلَا الْمَجْدُ فِي كَفِّ إِمْرٍ وَالذَّرَاهِمُ  
وقال ابن الرومي:

عَرَّثَ مَطَالِبُ دُنْيَا كُلِّ ذِي أَدَبٍ قَلَيْسَ يَنْفَكُ دُوْ عِلْمٍ وَتَجْرِبَةٍ  
وَدُو الْجَهَالَةِ مِنْهَا فِي بَلْهَنِيَّةٍ  
وقال أبو الطيب:

وَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدِي بِأَضْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْفَهْمَا  
أما بُلَّةُ الحظوظ؛ فما سمعته إلا من الشريف؛ وفيه بروده؛ كما في إشارته  
إلى الليالي؛ والبله<sup>(١)</sup>؛ نوع من عمى البصيره؛ فالأخذ ظاهر؛ والقسم الأول تافه  
منحط؛ لا يناسب ارتفاع القسم الثاني؛ وجودة سبكه؛ وقد مرَّ تحت الأبيات (٣٥)  
و(٤٧) و(٦٢)؛ ماله تعلق بالحظوظ؛ وفي شرح النهج<sup>(٢)</sup>؛ عن بعضهم: أَنَّ  
البخت على صورة رجل اعمى اصم اخرس؛ وبين يديه حجارة وجواهر؛ وهو  
يرمي بكلتا يديه.

وكان مالك بن أنس؛ أخذ الفقه عن الليث بن سعد<sup>(٣)</sup>؛ وكانوا يزدحمون

(١) بِلَّةٌ بِلَّةٌ بَلْهَاءٌ، وَبِلَاهَةٌ: ضَعْفُ عَقْلِهِ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الْغَفْلَةُ، فَهُوَ أَبْلَهُ، وَهِيَ بَلْهَاءٌ. وَالْجَمْعُ: بُلَّةٌ.

(٢) كِتَابُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ فِيمَا جَمَعَهُ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٣) شَيْخُ الْإِسْلَامِ، وَعَالِمُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَلِدَ بِمِصْرٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتَسْعِينَ سَمِعَ عَطَاءَ ابْنَ رِيَّاحٍ وَابْنَ مَلِيكَةَ وَغَيْرَهُمْ.

عليه؛ والليث جالس؛ لا يلتفتون إليه؛ فقيل لليث: إنَّ مالكاً إنما أخذ عنك؛ فَمَالِكَ خاملاً؛ وهو انبه الناس ذكراً؛ فقال: دانق<sup>(١)</sup> بخت؛ خير من جمل علم (انتهى)؛ وفيما نقله عن البعض؛ زيادة الخرس والصمم؛ على بيت الشريف؛ ومَّا ذَكَرَ عن مالك مع الليث؛ ليس بصحيح؛ وإنما الصواب؛ إبدال الليث؛ بربيعه الرأي<sup>(٢)</sup>؛ فإنه شيخ مالك؛ وقد خَمَلَ ذكره؛ بظهوره<sup>(٣)</sup>. وعلى مقربة من ذلك؛ كان حال؛ ابن كج<sup>(٤)</sup>؛ مع الإسفراييني<sup>(٥)</sup>؛ وكان الخليل يحتاج إلى الدرهم؛ وأصحابه يقتنون بعلمه الالوف؛ ذكره الجاحظ وغيره.

وذكر الأستاذ<sup>(٦)</sup>: أنه وصف الشمائل؛ في ديوانه بالغرَّاء؛ فاعْتَرَضَ عليه؛

(١) دانق: والجمع دوانق ودوانيق، وهو مقدار لما يعادل وزن ثمان حبات من أوسط حب الشعير، وهو يساوي ربع درهم طبري، وسدس درهم شرعي والمعنى أن القليل من البخت (الحظ) خير من الكثير من العلم والعرب تقول أيضاً في أمثالها عن الحظ (كف بخت خير من كر علم).

(٢) هو ربيعة بن بن فروخ التيمي وربيعه الرأي، لقبه؛ إمام حافظ، وفقهه مجتهد ولد «ربيعة الرأي» في القرن الأول الهجري في «المدينة المنورة» وكان «ربيعة» بصيراً بالرأي (بالقياس) (وأصحاب الرأي عند أهل الحديث هم أصحاب القياس لأنهم يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثاً أو أثراً)، فَلُقِّبَ لذلك «ربيعة الرأي» وعُرف بالجود والكرم، وعنه أخذ مالك بن أنس. قال مطرف: سمعت مالكاً يقول: ذهبت حلوة الفقه منذ مات ربيعة.

(٣) أي بظهور الإمام مالك بن أنس.

(٤) القاضي العلامة، شيخ الشافعية، أبو القاسم، يوسف بن أحمد بن كج، الدينوري، كان يضرب به المثل في حفظ المذهب، وله تصانيف كثيرة وأموال وحشمة، ارتحل إليه الناس من الآفاق. وكان بعضهم يقدمه على الشيخ أبي حامد الإسفراييني؛ قال له تلميذه يا أستاذ، الاسم لأبي حامد، والعلم لك. قتله الحرامية بالدينور ليلة سبع وعشرين من رمضان.

(٥) الشيخ أبو حامد أحمد بن أبي طاهر الإسفراييني الفقيه الشافعي انتهت إليه رئاسة الدنيا والدين ببغداد وكان يحضر مجلسه أكثر من ثلاثمائة فقيه وكانت ولادته سنة ٣٤٤هـ في إسفرايين وهي مدينة إيرانية تقع في محافظة خراسان الشمالية. وقدم بغداد في سنة ٣٦٣هـ وتوفي ببغداد سنة ٤٠٦هـ.

(٦) زكي مبارك.

وأنه يلزم المعترضين؛ أن يقولوا بمثل ذلك الاعتراض؛ على وصف الحظوظ بالبلهاء؛ في بيت الشريف؛ وما ذكره من اللزوم؛ ظاهر؛ ولكن؛ لامعنى للاعتراض من أصله؛ وهذا شيخ النحاة؛ صاحب الخلاصة<sup>(١)</sup>؛ يصف جمع التصحيح؛ بالمفرد؛ في قوله:

والله يقضي بهباتٍ وافره؛ مع أن جمع السلامة؛ للقلة؛ وقد قال الأشموني<sup>(٢)</sup>: إِنَّ الْمَطَابِقَةَ؛ هِيَ الْأَفْصَحُ؛ فِي جَمْعِ الْقَلَّةِ مِمَّا لَا يَغْقَلُ؛ وَفِي جَمْعِ الْعَاقِلِ مَطْلَقًا؛ نَحْوِ الْأَجْذَاعِ مِنْكَسِرَاتٍ؛ وَالْهِنْدَاتِ مِنْطَلَقَاتٍ؛ وَالْأَفْصَحُ فِي جَمْعِ الْكَثْرَةِ؛ مِمَّا لَا يَعْقِلُ الْإِفْرَادُ؛ نَحْوِ الْجَذُوعِ مِنْكَسِرِهِ؛ وَهُوَ صَرِيحٌ أَنَّ فِي وَصْفِ الشَّمَائِلِ بِالْغَرَاءِ؛ وَالْحِظُوظِ بِالْبِلْهَاءِ؛ أَفْصَحُ مِنَ الْعَرِّ وَالْبُلَّةِ؛ لِأَنَّ كِلَيْهِمَا؛ جَمْعِي كَثْرَةٌ لَغَيْرِ عَاقِلٍ؛ لِأَنَّ صِفَاتِ الْعَاقِلِ؛ فِي حَكْمِ مَا لَا يَعْقِلُ؛ وَلِذَا قَالُوا: إِنَّ مَا فِي قَوْلِ الْمُتَنَبِّي:

يقولون لي ما أنت في كل بلدة<sup>(٣)</sup>؛ واقعة على صفات من يعقل؛ نظير ما قصه الله تعالى؛ عن فرعون؛ في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>. وقوله تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾<sup>(٥)</sup>. وما نحن فيه؛ من باب أولى؛

(١) ألفية ابن مالك لمحمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي هي متن يضم جميع قواعد النحو والصرف العربي في منظومة شعرية يبلغ عدد أبياتها ألف وبيتان أبيات على وزن بحر الرجز أو مشطوره. حظيت ألفية ابن مالك بقبول واسع لدى دارسي النحو العربي، فحرصوا على حفظها وشرحها أكثر من غيرها من المتون النحوية، وذلك لما تميزت به من التنظيم، والسهولة في الألفاظ، والإحاطة بالقواعد النحوية والصرفية في إيجاز، مع ترتيب محكم لموضوعات النحو، واستشهاد دقيق لكل واحد من هذه المواضيع.

(٢) علي بن محمد الأشموني: نحوي، من فقهاء الشافعية. أصله من أشمون (بمصر) ومولده سنة ٨٣٨هـ بالقاهرة. ولي القضاة بدمياط. وصنف شرح ألفية ابن مالك في النحو، و«نظم المنهاج» في الفقه.

(٣) يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَمَا تَبْتَغِي مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسْمَى.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ٣.

ومهما يكن من الأمر؛ فإنه لا يمكن الاعتراض؛ إلا فيما انحط الاتفاق على عدم جوازه. وقال السيوطي في الاتقان: جمع العاقلات؛ لا يعود عليه الضمير غالباً؛ إلا بصيغة الجمع؛ سواء كان للقلّة؛ أو للكثرة؛ نحو: والوالدات يرضعن؛ والمطلقات يتربصن. وورد الأفراد؛ في قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾<sup>(١)</sup>؛ ولم يقل مُطَهَّرَاتٌ؛ وأما غير العاقل؛ فالغالب في جمع الكثرة؛ الأفراد؛ وفي جمع القلّة؛ الجمع؛ وقد اجتمعا؛ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾<sup>(٢)</sup>؛ إلى أن قال تعالى: ﴿مِنَهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ فأعاد منها؛ وهو مفرد على الشهور؛ وهي للكثرة. ثم قال تعالى: ﴿فَلَا تَطْلُبُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ فأعاد جمعاً؛ على أربعة؛ وهي للقلّة. (انتهى).

وأما نكاح بنت عامر؛ في ثقيف؛ فقد رواوا: أنه ذكّر ثقيف والنخع؛ عند ابن عباس؛ فقال: إن ثقيفا والنخع؛ ابنا خاله؛ فخرجا في نجعة؛ ومعهما غنيمة؛ فيها شاة ذات جدّي؛ فعرض لهما؛ عامل بعض ملوك اليمن؛ وارد أخذها؛ فقالوا له: خذ غيرها! فأبى؛ فرماه أحدهما بسهم؛ ففلق قلبه؛ فقال له الآخر: والله ما تحملنا أرض واحدة؛ فأمّا أن تُعْرَبَ وأشْرَقَ؛ وأما أن تشرق وأغرب؛ فقال: قَسِيٌّ وهو ثقيف: قَانِيٌّ أُعْرَبَ؛ قال النخع؛ واسمه جسر: فاني أشْرَقَ؛ فمضى النخع؛ حتى أتى بيشة؛ باليمن؛ ولما كثر ولده؛ تحول إلى الدثينة؛ فهي منازلهم إلى اليوم؛ ومضى قَسِيٌّ؛ حتى أتى وادي القرى؛ فنزل بعجوز يهودية؛ فتبنته؛ ولما حضرها الموت؛ أعطته ذهباً معها؛ وقضباناً من العنب؛ ليخرسها؛ عندما يجد وادياً فيه ماء؛ فلما قرب من؛ وَجَّ؛ وهو الطائف؛ إذا هو بِأَمَةٍ ترعى غنماً؛ لعامر بن الظرب العدواني<sup>(٣)</sup>؛ سيد قيس وحاكمها؛ فهم بقتلها؛ وأخذ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

(٣) حكيم، خطيب، رئيس من الجاهليين. كان إمام مضر وحكمها في سوق عكاظ، وفارسها. ومن حرم الخمر في الجاهلية، وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهما، ولا بحكمه حكماً. وهو أحد المعمرين في الجاهلية ولم يدرك الإسلام.

الغنم؛ ففهمت؛ وقالت له: ألا أدلك على خير مما أردت؛ إن مولاي يُقْبَلُ حين تطفل الشمس للإياب؛ فإذا قضى حاجته؛ نادى: من يريد الضيافة؟ فليات دار عامراً فيأتيه قومه؛ فَأَكْمِرُنْ له؛ ومتى قال لك: من أنت؟ فقل: غريب. فلما اكلوا وتمجعوا؛ قال لهم: ألسن سيدكم، وابن سيدكم؟ قالوا: بلى! قال: هذا قسي بن مُنْبِيهِ؛ فزَوَّجَهُ بنته زينب؛ وجوز ذلك قومه؛ ثم هلكت؛ فزوجه بنتا له أخرى؛ تدعى آمنه؛ وغرس قسي القضبان؛ بِوَجْءٍ؛ فأنبئت؛ فقالوا: قاتله الله! ما ائقفه! حين ثَقِفَتْ عامراً؛ حتى آمنه وزَوَّجَهُ؛ وانبت تلك القضبان؛ حتى أطعمت؛ فَسُمِّيَ ثَقِيفاً؛ من يومئذ. ثم لم تزل ثقيف مع عدوان؛ حتى ربلوا؛ فأخرجوا عدوان؛ من الطائف. هذا معنى كلام الشريف؛ وقد جعله من الحظوظ البُلْه؛ وهو خلاف ما في الرواية؛ من اسناد ذلك إلى الثقافة؛ وفي ص ٣٩٢ مجلد ٢ من شرح النهج صفحة ٣٥٧ مجلد أول منه؛ ما يناسب بعضه.

### وأما قوله (٦٩)

إِنَّمَا نَلَيْسُ الدُّرُوعَ ثِقَالاً      لِرَجُوعِ إِلَى خِيفِ الشُّفُوفِ

ففي كلامهم منه<sup>(١)</sup>؛ ما لا يضبطه الحصر؛ ومنه قول عروة:

تَقُولُ سُلَيْمًا لَوْ أَقْنَتِ بِأَرْضِنَا      وَلَمْ تَذِرِ أُنِّي لِمَمَقَامِ اطْوَفِ

ومنه؛ ما ذكرناه في المقالة الثانية؛ من قول أبي تمام:

بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ أَرَهَا      تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ

ومنها؛ قوله أيضاً:

أَأَلَّفَةُ النَّجِيبِ كَمْ افْتِرَاقِ      أَظَلَّ فَكَانَ دَاعِيَةً اجْتِمَاعِ

وَلَيْسَتْ فَرَحَةً الْأَوْبَاتِ إِلَّا      لِمَوْثُوفٍ عَلَى تَرَحِّ الوَدَاعِ

قال ثعلب<sup>(١)</sup>؛ وهو من قول الآخر:

وَاطْلُبْ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرَبُوا  
وَتَسْكُبَ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمَدَا  
وقال حبيب أيضاً:

وَلَكِنِّي لَمْ أَحَوْ وَفَرًّا مُجَمَّعًا  
وَلَمْ تُعْطِنِي الْأَيَّامُ نَوْمًا مُسَهَّدًا  
وقال ابن الرومي:

وَمِنْ أَمْنِ نَفْسٍ أَنْ تَخَافَ وَلَمْ تَكُنْ  
لِتَأْمَنَ مِنْ مَكْرُوهَةٍ لَا تَرُومَهَا  
وقال أبو الطيب:

لَعَلَّ اللّهَ يَجْعَلُهُ رَجِيلاً  
يُوعِينُ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي ذُرَاكَا  
وقال:

فَحُبُّ الْجَبَانَ النَّفْسَ أوردَةَ الْبَقَا  
وَحُبُّ الشَّجَاعِ النَّفْسَ أوردَةَ الْحَرْبَا  
وهو؛ من قول الحصين بن الحمام:

تَأَخَّرْتُ اسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ  
لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ اتَّقَدَمَا

وكتب أبو بكر؛ لخالد بن الوليد؛ احرص على الموت؛ توهب لك الحياة؛  
فالمعنى؛ في السوق؛ ومن كثرة الاشتراك؛ لا يقال مسروق؛ واللفظ في بيت  
الشريف؛ لا يروق؛ ففى اختياره؛ معاندة للأدب ومروق؛ ومن شعر ابن  
السكيت<sup>(٢)</sup>:

(١) أحمد بن يحيى الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب؛ إمام الكوفيين في النحو واللغة. كان راوية للشعر، محدثاً، مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة حجة. ولد سنة ٢٠٠هـ ببغداد ومات سنة ٢٩١هـ ببغداد.

(٢) يعقوب بن إسحاق، بن السكيت؛ إمام في اللغة والأدب. أصله من خوزستان تعلم ببغداد. واتصل بالمتوكل العباسي، فعهد إليه بتأديب أولاده، وجعله في عداد ندمائه، ثم قتله سنة ٢٤٤هـ لسبب مجهول.

لَيْسَ ارْتَحَالُكَ فِي كَسْبِ الْغِنَى سَفَرًا  
وَقَالَ حَبِيبٌ:

مَا أَبَ مَنْ أَبَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ  
وَصَدَرَ هَذَا؛ مِنْ قَوْلِ بَشَارٍ:

وَأَوْبَةُ مُشْتَاقٍ بِقَيْرِ دَرَاهِمٍ  
إِلَى أَهْلِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْحَدَثَانِ

وَأَمَّا قَوْلُهُ (٧٠)

إِذَا أَنْتَ فَتَشْتِ الْقُلُوبَ وَجَدْتَهَا  
قُلُوبَ الْأَعَادِي فِي جُسُومِ الْأَصَادِقِ

فَقَدْ مَسَحَ فِيهِ؛ قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ:

إِذَا ائْتَحَرْنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشَفَتْ  
لَهُ عَنْ عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

وَمَعَ هَذِهِ الْغَايَةِ الْمَكْشُوفَةِ عَلَى ضَوْءِ الصَّبْحِ؛ فَقَدْ قَصَرَ عَنْ إِجَادَةِ أَبِي نَوَاسٍ؛ وَقَدْ اسْلَفْنَا تَحْتَ الْبَيْتِ (١٦): أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى هَذَا؛ فِي انْضِرَاجِهِ عَلَى بَيْتِ الْمُتَنَبِّيِّ؛ هُنَاكَ؛ فِيهِ سَرَقَاتٌ مَزْدُوجَةٌ؛ وَظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ؛ وَفِيمَا يَقْرُبُ مِنَ الْمَعْنَى؛ قَوْلُ امْرَأَةِ الْقَيْسِ:

إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيَّتَهُ  
وَقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنَانُ بَدَلْتُ آخِرًا  
كَذَلِكَ جَدِّي مَا أَصَاحِبُ صَاحِبًا  
مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَائِنِي وَتَغْيِيرًا

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ:

فَلَا تَغْرُزُكَ أَلْسِنَةُ مُوَالٍ  
تُقَلِّبُهُنَّ أَفْعِدَةَ الْأَعَادِي

وَقَالَ:

وَالدُّلُّ يُظْهِرُ فِي الدَّلِيلِ مَوَدَّةً  
وَأَوْدٌ مِنْهُ لِمَنْ يَوَدُّ الْأَرْقُمُ

وَقَالَ:

أَبْدَى الْعِدَاةَ لَكَ السُّرُورَ كَأَنَّهُمْ  
فَرِحُوا وَعِنْدَهُمُ الْمُؤَيِّمُ الْمُقَيِّدُ

وقال:

يَخْفِي الْعَدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَةٍ      نَظَرَ الْعَدُوَّ بِمَا أَسْرَّ يَبُوحُ  
وقال البحرني:

وَيُبْدِي الرِّضَا فِي حَالَةِ السُّخْطِ لِلْعِدَا      وَقُورٌ مَتَى يَقْدَحُ بِرِزْدِيَةِ يَنْقُبُ  
وقال سديف<sup>(١)</sup>:

ذُلُّهَا أَظْهَرَ التَّوَدَّدَ مِنْهَا      وَبِهَا مِنْكُمْ مَا كَحَدِّ الْمَوَاسِي  
وقال ذو الأصبع<sup>(٢)</sup>:

وَأَهْدَنُهُ بِالْقَلْبِ هُدًى وَلَوْ بَرَى      سَرِيرَةً مَا أَخْفَى لَبَاكَ يُفَزِّعُ  
ومما يختار للشريف؛ في استواء العلانية والسريرة؛ قوله:

سَبَقَتْ بِبَيْعَتِكَ الْقُلُوبُ أَكْفَهَا      أَيْدٍ أَظْفَنَكَ وَالضَّمَائِرُ أَظْوَعُ  
أَعْطَتْ نَحَائِلَهَا الصُّدُورُ وَرُبَّمَا      تُعْطِي يَدٌ وَلَهَا ضَمِيرٌ يَمْنَعُ  
وقال حبيب:

لَمَّا دَعَوْتَهُمْ لِإِخْذِ عُهُودِهِمْ      طَارَ السُّرُورُ بِمَغْرِقِ وَشَامِي  
فَكَأَنَّ هَذَا قَادِمٌ مِنْ غَيْبَةٍ      وَكَأَنَّ ذَاكَ مُبَشِّرٌ بِغُلَامِ  
لَوْ يَقْدِرُونَ مَسَّوْا عَلَى وَجَنَاتِهِمْ      وَعُيُونُهُمْ فَضْلاً عَنِ الْأَقْدَامِ

(١) سديف بن إسماعيل بن ميمون مولى بني هاشم؛ شاعر حجازي من أهل مكة كان إعرابياً بدوياً حالك السواد شديد التحرض على بني أمية متعصباً لبني هاشم وأظهر ذلك أيام الدولة الأموية وعاش إلى زمن المنصور العباسي. فتشيع لبني علي فقتله عبد الصمد بن علي (عامل المنصور) بمكة.

(٢) ذو الإصبع العدواني، أحد الشعراء والحكماء في العصر الجاهلي وسمي ذا الإصبع لأن كان له أصبع زائد في رجله، وقيل لأن الحية نهشت أصبعه وقطعته، وأيضاً هو من المعمرين إذ تجاوز عمره المئة عام بكثير.



وأصل معنى بيت أبي نواس؛ الذي انقض عليه الشريف؛ من قول جرير:  
نَصَبَنَّ الْهَوَىٰ ثُمَّ ارْتَمَيْنَ قُلُوبَنَا بِأَعْيُنِ اٰغْدَاءٍ وَهَنَّ صَدِيقُ

وأما قوله: (٧١)

وَمَا جَمَعِي الْأَمْوَالَ إِلَّا غَنِيمَةً لِمَنْ عَاشَ بَعْدِي وَإِتْهَامٌ لِحَالِقِي

فبيت عجيب، محكم الترتيب؛ إلا أنه؛ لو قال: لوارثي؛ بدلا من قوله:  
لمن عاش بعدي؛ لكان أعذب؛ ولكن إرادة الوزن؛ انفذ عند الشريف؛ من إرادة  
البلاغة؛ والمعنى شائع بين الشعراء؛ قديماً وحديثاً؛ منه قول النمر بن تولب<sup>(١)</sup>:

وَذِي إِبِلٍ يَسْعَى وَيَحْسَبُهَا لَهُ أَحْيِي نَصَبٍ فِي سَقْبِهَا وَذُؤُوبِ  
مَضَى وَغَدَا رَبِّ سِوَاهُ يَسُوقُهَا وَيَبْدَلُ أَحْجَاراً وَجَارُ قَلْبِ  
وقال سابق البربري<sup>(٢)</sup>:

أَمْوَالَنَا لِذَوِي الْمِيرَاثِ نَجَمَعَهَا وَدُورَنَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ تَبْنِيهَا  
وقال حاتم الطائي:

أَهْنُ لِلَّذِي تَهْوَى التَّلَادَ فَإِنَّهُ إِذَا مِتَّ كَانَ الْمَالُ نَهَباً مُقْسَماً  
وَلَا تَشْقَيْنَ فِيهِ فَيَسْعَدُ وَارِثُ بِهِ حِينَ تَغْشَى اٰغْبَرَ الْجَوْ مُظْلِماً  
يُقْسِمُهُ غَنَمًا وَيَشْرِي كِرَامَةً وَقَدْ صِرَتْ فِي حِطِّ مِنَ الْأَرْضِ اٰعْظَمًا

(١) النمر بن تولب شاعر جاهلي أدرك الإسلام وهو كبير فأسلم وعُد من الصحابة وروى حديثاً عن الرسول؛ نشأ بين قومه في بلاد نجد؛ توفي في آخر خلافة أبو بكر الصديق. وما عرف له في الملاح إلا قصيدة واحدة مدح فيها الرسول ﷺ وكذلك كان هجاؤه نادراً وكان شعره صادقاً وألفاظه سهلة جميلة.

(٢) سابق بن عبد الله البربري الرقي. فقيه ومحدث وأحد شعراء الزهد في العهد الأموي؛ أخذ الشعر عنه وتلمذ له أبو العتاهية، وترجم ابن عساكر لسابق البربري المحدث وسابق البربري الزاهد وتوهم أنهما اثنان بينما هما شخص واحد.

قَلِيلًا بِهِ مَا يَحْمَدُنَّكَ وَارِثٌ  
وقال محمود الوراق<sup>(١)</sup> :

مَنْ ظَنَّ بِاللَّهِ خَيْرًا جَادَ مُبْتَدِئًا  
وَقَالَ أَبُو الشَّيْبِ خِزَاعِي<sup>(٢)</sup> :

يَقُولُ الْفَتَى تَمَرْتُ مَالِي وَإِنَّمَا  
يُحَاسِبُ فِيهِ نَفْسَهُ بِحَيَاتِهِ  
وقال أبو العتاهية :

أَبْقَيْتَ مَالَكَ مِيرَاثًا لِوَارِثِهِ  
الْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرُهُمُو  
مَلَّو الْبُكَاءَ فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ  
وقال :

قُلْ لِي لِمَنْ اضْبَحْتَ تَجَمَعُ دَائِبًا  
وقال ابن الرومي :

وَمَنْ لَمْ يَنْلُ مَلِكََ الْمَكَارِمِ بِاللَّهِى

وفي الحديث ما معناه؛ إن لم أصب لفظه؛ أيكم مال وارثه؛ أحب إليه من ماله؟ قالوا: ما منا إلا من ماله أحب إليه من مال وارثه؛ فقال: إنما مال أحدكم

(١) محمود بن حسن الوراق؛ شاعر عباسي مشهور من شعراء القرنين الثاني والثالث المرموقين وأكثر شعره في المواعظ والحكم وقد اشتهر بلقبين أحدهما الوراق والآخر النخاس ولعلها نسبت إليه من مهنته.

(٢) أبو الشيبخ الخزاعي شاعر من أهل الكوفة ابن عم دعبل الخزاعي. غلبه على الشهرة معاصراه صريع الغواني وأبو نواس. إنقطع إلى أمير الرقة عقبه بن جعفر الخزاعي ولقبه أبو الشيبخ من وصف للنخلة إذا لم يكن لها نوى توفي سنة ١٩٦ هـ.

ما قدمه؛ ومال وارثه ما خلفه؛ أو ما يقرب منه<sup>(١)</sup>.

ومع اصفاة الشعراء والخطباء؛ على مثل ما جاء في بيت الشريف؛ فَإِنَّ  
المسألة تطلب تفصيلاً؛ وقد استوفيناها في بلابل التغريد؛ حينما تكلمنا على  
قوله ﷺ: «لإن نذر ورثتك اغنياء؛ خير من أن تذرهم عالة؛ يتكفون الناس». ومن  
المقرر بين أهل الطريق<sup>(٢)</sup>: أن أول قدم يضعه السالك فيها؛ هو طلب  
الحلال؛ إذ به يجتمع الهم؛ وتنقطع علائق الشيطان عن القلب؛ وينحفظ ماء  
الكرامة على الوجه؛ ويتحرر المرء من النظر إلى الخلق؛ وكل ذلك وسيلة إلى  
صحة الأيمان، وقوة الثقة، وحسن اليقين؛ والله دَرُّ ابن الرومي؛ إن أراد شيئاً من  
هذا؛ بقوله:

وَقَضَاءُ الْإِلَهِ أَحْوَجُ لِنَا      سِيسِ مِنَ الْأُمّهَاتِ وَالْأَبَاءِ  
غَيْرَ أَنَّ الْبَقِيْنَ اضْحَى مَرِيضاً      مَرَضاً بَاطِئاً شَدِيدَ الْخَفَاءِ  
مَا وَجَدْتُ إِمْرِيَّ أَرَى أَنَّهُ يُوقِفُ      سِنَ إِلَّا وَفِيهِ سُوبَ إِمْتَرَاءِ  
لَوْ بَصِحَ الْبَقِيْنَ مَا رَعَبَ الرَّأ      غِبُّ إِلَّا إِلَى مَلَبِكِ السَّمَاءِ  
وَعَسِيرُ بُلُوغِ هَاتِيكَ جِدًّا      تَلِكْ عَلِيَا مَرَاتِبَ الْأَنْبِيَاءِ

وأخطأ في قوله: بأن المرض شديد الخفاء؛ وفي قوله: بعسر تلك الرتبة؛  
وفي قوله: إنها أعلى مراتب الانبياء؛ بما لو ناقشناه فيه؛ لطال الكلام؛ وفي النيّة  
كفاية.

(١) صحيح البخاري باب الرقائق: حدثني عمر بن حفص حدثني أبي حدثنا الأعمش قال  
حدثني إبراهيم التيمي عن الحارث بن سويد قال عبد الله قال النبي ﷺ: «أبكم مال وارثه  
أحب إليه من ماله» قالوا يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه قال: «فإن ماله ما قدم  
ومال وارثه ما آخر» وعبد الله هو ابن مسعود ﷺ.

(٢) يقصد الصوفية.

## وأما قوله (٧٢)

كَمْ لِسَانٍ دَنَى إِلَيْكَ بِقَلْبٍ مُنَافِي

فمما لا يحسن عدّه؛ فضلاً عن اختياره؛ لأنه من المعلومات الأوليّة؛ فيتوجه إليه ما توجه إلى الأبيات: ٣١ و ٤٣ و ٥٤؛ وقد قال الباري لنبيه ﷺ: ﴿وَمَنْ حَوَّلَكَ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَتَعْلَمُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> وقال جلّ ذكره: ﴿...يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَأَتَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال عز من قائل كريم: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَتَّبِعُكَ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَذِبُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. فالمنافقون؛ يدنون إلى رسول الله ﷺ باليسّة عذبه؛ من تحتها قلوب منافقة؛ وقد كُشِفَ له من الغيب؛ ما لم يكشف لغيره؛ فأبي معنى؛ بعد هذا؛ توضع عليه اليد؛ من بيت الشريف؛ وإنما يحسن فيما يشبهه؛ ما كان من نحو قول أبي الطيب:

قَلَّ نَفْعُ الْحَدِيدِ فِيكَ فَمَا يَلْقَ  
سَاكُ إِلَّا مَنْ قَلْبُهُ مِنْ نِفَاقٍ

وقوله:

وَلَمْ يُثْنِكِ الْأَعْدَاءُ مِنْ مُهْجَاتِهِمْ  
بِمِثْلِ خُضُوعٍ فِي كَلَامٍ مُنَمَّقٍ

لا يقال: أن قبول كلام المنافق المتملق؛ لا يكون إلا عن بلادة؛ لأنّ الجواب حاضر؛ بأنّ الكريم؛ ينخدع ويتغابي؛ وقد أسلفنا؛ تحت البيت (٨)؛ قول حبيب:

لَيْسَ النَّبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ  
لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ١.

مع جملة من أمثاله؛ وكان غلمان ابن عمر؛ يراؤونه بالصلاة؛ ليعتقهم؛  
 فيعرف ما انظروا عليه؛ ولكنه يفعل؛ ويقول: من خادعنا في الله؛ إنخدعنا له؛  
 ومن المقبول في الموضوع؛ قول بشار:

وَفِي النَّاسِ شَرٌّ لَوْ بَدَأَ مَا تَعَاشَرُوا      وَلَكِنْ كَسَاهُ اللَّهُ ثُوبَ غَطَاءٍ  
 وقال البحري:

وَقَدْ يَتَعَاشَرُ الْأَقْوَامُ حِينًا      بِتَلْفِيْقِ التَّصْنِيعِ وَالنِّفَاقِ  
 وقال المعري:

نِفَاقُ بَنِي حَوَاءَ بِالطَّبْعِ ثَابِتٌ      فَمِنْهُمْ مُجِدُّ فِي النِّفَاقِ وَهَازِلٌ  
 وقال أبو تمام؛ يُتْرَهُ نَفْسَهُ عَنِ النِّفَاقِ:

وَلَيْسَتْ رَعْوَتِي مِنْ قَوْقٍ مُذِقٍ      وَلَا جَمْرِي كَمِيمٍ فِي الرَّمَادِ  
 وقال يمدح:

خَالِصَ الْوَدِّ وَالْهَوَى فِي زَمَانٍ      فَرَحْتُ فِيهِ أُمَّهَاتُ النِّفَاقِ

### وأما قوله (٧٣)

وَلَا دَارَ إِلَّا سَوْفَ يُجْلَى قَطِينُهَا      عَلَي نَعِيقِ غُرَبَانِ الْخُطُوبِ النَّوَاعِقِ

فلولا ضرورة التزام الإستقصاء؛ لكان الأولى تَحْطِيهِ؛ لما في عجزه من  
 الشؤم؛ الزائد على نعيق الغربان؛ فنسأل الله العافية؛ وقد بناه؛ على قول أبي  
 الطيب:

أَبْنِي أَبِينَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلٍ      أَبْدَأُ غُرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنُوقُ  
 وقول لييد:

وَكُلُّ أَنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ      دُونِهَا تَضْفَرُ مِنْهَا الْأَنَامِلُ  
 وقول البحري:

أَفِصِرْ فَإِنَّ الدَّهْرَ لَيْسَ بِمُقْصِرٍ      حَتَّى يَلِفَ مُقَدِّمًا بِمُؤَخِّرِ  
وفي هذا شاهد؛ لما سيأتي عما قريب؛ في البيت (٧٥)؛ وأنشد ثعلب:  
فَوَاحِرْنَا إِنْ الْفِرَاقَ يَرُوعَنِي      بِمِثْلِ مَنَاقِيشِ الْحَلِيِّ قِصَارُ  
يعني: مناقير الغربان.

### وأما قوله (٧٤)

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا غُمَّةٌ وَازْتِيَاحَةٌ      وَمُفْتَرَقٌ بَعْدَ الدُّنُوِّ وَمُلْتَقَى

فصدره؛ من قول البحري:

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا ضَيْقَةٌ وَانْكِشَافُهَا      وَشَيْكًا وَإِلَّا تُرْحَةٌ وَانْفِرَاجُهَا  
فَمَا اِكْتَابَتْ نَفْسٌ قَدَامَ اِكْتَابِهَا      وَلَا ابْتَهَجَتْ نَفْسٌ قَدَامَ اِئْتِهَاجِهَا  
وقد مرت أمثاله؛ تحت البيتين (٦٣) و(٦٥)؛ وأما عجزه؛ فمن قول أبي  
الطيب السابق؛ تحت البيت (٦٥)؛ مع الاحالة على ما هنا؛ وهو:

عَلَى ذَا مَضَى النَّاسُ اجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ؛ إِلَى آخِرِهِ؛ وَمِثْلُهُ؛ قَوْلُ الْأُولَى:

سُبَابٌ وَشَيْبٌ وَأَفْتِقَارٌ وَتُرُوءَةٌ      فَلَيْلُهُ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا

وقالت الخنساء: فإنما هي اقبال وأدبار؛ وقال الإمام: دار حرب وسلب  
وعطب ونهب؛ أهلها على ساق وسياق، ولحاق وفراق؛ وقول الشريف: بعد  
الدُّنُوِّ؛ من الحشو؛ الذي يقول العتابي؛ في مثله:

إِنَّ حَشْوَ الْكَلَامِ مِنْ لَكْنَةِ الْمُرِّ      وَإِبْجَازُهُ مِنَ التَّقْوِيمِ

لأنه لا حاجة اليه؛ ولا يزيد به شيء في البيت؛ اذ لا يكون الافتراق؛ إلا  
بعد الاجتماع؛ وانما هو؛ كقول أبي تمام:

خُذْهَا ابْنَةُ الْفِكْرِ الْمُهْدَبِ فِي الدُّجَا      وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ حَالِكِ الْجَلْبَابِ

فالدجا؛ حشو؛ بالنسبة لما جاء في القسم الثاني. واخرى؛ ولكنها هيئة؛

أنه جعل الملتقى؛ قسيما للمفترق؛ مع كثرة الثاني؛ وقلة الأول؛ قال البحري:  
 كَفَى حَزَنًا أَنَا عَلَى الْبُعْدِ نَلْتَقِي      فَوَاقًا فَتُنِينَا الْعُيُونُ إِلَى الصَّدِّ  
 أَيَّ يَوْمٍ سَرَرْتَنِي بِوَصَالِ      لَمْ تَرُغْنِي ثَلَاثَةَ بَعْدِ وَدِّ  
 وإنما حَسُنَتْ مقابلة الليل؛ بالضحي وحده في سورته؛ لِمَعَانِ سامية؛  
 جَوَّدَتْ القول فيها؛ بموضعها من غير هذا الكتاب<sup>(١)</sup>؛ ولا يوجد شيء من تلك  
 المعاني؛ في بيت الشريف؛ بخلاف قول المتنبى السابق: على ذا مضى الناس  
 اجتماع وفرقة؛ فتعقيبه الفُرقة؛ بواو المعية؛ اشارة إلى سرعة كَرِّها على  
 الاجتماع؛ فكان كقوله:

فَمَا جَلَسْتَ حَتَّى انْتَهَتْ تَوْبِعُ الْخَطَا      كَفَاطِمَةَ عَنْ دَرَّهَا قَبْلَ تَرْضِعُ  
 وقول العكوك<sup>(٢)</sup>:

كَابَدَ الْأَهْوَالَ فِي زَوْرَتِهِمْ      مَا سَأَلَمَ حَاسَى وَدَّعَا

وأما قوله (٧٥)

أَرَاكَ تَخْرُجُ لِلنَّقُومِ الَّذِينَ مَضُوا      فَهَلْ أَمِنْتَ عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ بَقُوا

فقد نظر فيه؛ إلى ما أخرجه في النهج<sup>(٣)</sup>؛ من قول الإمام: ألم تروا إلى  
 الماضين منكم؛ لا يرجعون؛ وإلى الخلف الباقين؛ لا يبقون؛ أو لستم ترون أهل

(١) ربما يقصد كتابه المخطوط إلى الآن بلا بل التفريد.

(٢) هو علي بن جبلة بن مسلم الأبتاري. شاعر عراقي مجيد، أعمى، أسود، أبرص، من أبناء  
 الشيعة الخراسانية، ويلقب بالعكوك وبه اشتهر ومعناه القصير السمين. ويقال إن الأصمعي  
 هو الذي لقبه به حين رأى هارون الرشيد متقبلاً له، معجباً به.

وتدور مواضع شعره حول المديح والرثاء كما يراوح في بعضه بين السخرية والتهكم  
 والفحش وهتك الأعراض والرمي بالزندقة والغزل والعتاب توفي سنة ٢١٣هـ واختلف في  
 سبب وفاته.

(٣) نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي من كلام سيدنا علي عليه السلام.

الدنيا؛ يمسون ويصبحون؛ على أحوالٍ شتى؛ فميتٌ يُبكي؛ وآخر يُعزى؛ وصريع مبتلى؛ وعائد يعود؛ وآخر بنفسه وجود؛ وطالبٌ والموت يطلبه؛ وغافل ليس بمغفول عنه؛ وعلى اثر الماضي؛ ما يمضي الباقي. وقوله: إنما في ايديكم اسلاب الهالكين؛ وسيتركها الباقون؛ كما تركها الأولون. وقوله: واعتبروا؛ بما مضى من الدنيا؛ ما بقي منها؛ فإن بعضها يشبه بعضاً؛ وآخرها لاحق بأولها؛ وكل حائل مفارق؛ وقال محمد بن كعب الغنوي:

عُنِينَا بِخَيْرِ حِقْبَةٍ ثُمَّ جَلَّحَتْ      عَلَيْنَا الَّتِي كُلَّ الْأَتَامِ تُصِيبُ  
فَأَبَقْتُ قَلِيلاً ذَاهِباً وَتَجَهَّزْتُ      لِأَخْرَ وَالرَّاجِي الْحَيَاةَ كَدُوبُ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَاقِيَ الْحَيَّ مِنْهُمْ      إِلَى أَجَلٍ تُمَضِي مَدَاهُ قَرِيبُ

وقول ابن الرومي:

أَتَهْلَعُ وَخَشَّةً لِفِرَاقِ الْفِ      وَقَدْ وَظَنْتَهَا لِحُلُولِ رِمْسِ

وصلَّى الفرزدق؛ على ابن له؛ مات صغيراً؛ ثم التفت إلى الناس؛ وقال:  
وَمَا نَحْنُ إِلَّا مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّنَا      أَقْمَنَا قَلِيلاً بَعْدَهُمْ ثُمَّ نَرَحَلُ  
ولم يعيش بعده إلا أياماً؛ ذكره ابن خلكان؛ وغيره؛ وأنشد ابن قتيبة؛ في  
عيون الأخبار:

وَأَنَا وَأَخْوَانَا لَنَا قَدْ تَتَابَعُوا      لَكَ الْمُغْتَدِي وَالرَّاحِ الْمُتَهَجِّرِ  
وقال البحري:

وَفِي أَبِيكَ مُعَزٍ عَنِ أَخِيكَ إِذَا      فَكَّرْتَ فِيهِ وَفِي الْوَفْدِ الَّذِي تَبَعَا  
هُمُوا وَنَحْنُ سِوَاءَ غَيْرِ أَنَّهُمُوا      أَضْحَوْا لَنَا سَلْفاً نُمِسِي لَهُ تَبَعَا  
وقال ابن عبد الأعلى<sup>(١)</sup>:

(١) يُوتَسُّ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى شَيْخُ الْإِسْلَامِ، أَبُو مُوسَى الصَّدْفِي، الْمَصْرِيُّ الْمَقْرِي الْحَافِظ. وَلِدَ سَنَةَ ١٧٠هـ. وَقَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى وَرَشٍ صَاحِبِ نَافِعٍ. وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ فِي زَمَانِهِ.



فَمَاذَا بَقَاءُ الْفَرْعِ مِنْ بَعْدِ أَصْلِهِ      سَتَلْقَى الَّذِي لَأَقَى الْأُصُولَ فُرُوعَهَا  
وقال ابن هانئ الأندلسي:

وَمَا النَّاسُ إِلَّا ظَاعِنٌ فَمَوَدَّعٌ      وَتَأْوِي قَرِيحَ الْجَفْنِ يَبْكِي لِرَاجِلِ  
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا كَالزَّمَانِ الَّذِي مَضَى      وَلَا نَحْنُ إِلَّا كَالْقُرُونِ الْوَائِلِ  
نُشَاقٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِ دَائِمٍ      وَنَبْكِي مِنَ الدُّنْيَا عَلَى غَيْرِ طَائِلِ  
فَمَا عَاجِلٍ نَرْجُوهُ إِلَّا كَعَاجِلِ      وَلَا آجِلٍ نَخْشَاهُ إِلَّا كَعَاجِلِ  
وقال ابن الرومي:

وَمَا تَأَخَّرَ حَيٌّ بَعْدَ مَيِّتِهِ      إِلَّا تَأَخَّرَ نَقْدٌ بَعْدَ عَرُوبُونَ  
وقال السري الرفا:

وَهَلِ النَّاسُ الْأَخِيرُونَ إِذَا      جَرَّتِ الْأَقْدَارُ إِلَّا كَالأُولِ  
وَضَحَّتْ آثَارُهُمْ ثُمَّ عَفَّتْ      وَبَدَا سِنْفُهُمْ ثُمَّ أَقْلُ  
وكان المستوغر<sup>(١)</sup>؛ من المعمرين؛ وادرك الإسلام؛ ومن شعره:

هَلْ مَا بَقِيَ إِلَّا كَمَا فَاتَنَا      لَيْلٌ يَكْرٌ وَلَيْلَةٌ تَحْدُونَا  
وقال البحتري:

وَإِذَا مُضِيَءُ الشَّيْءِ؛ حَانَ؛ فَقَدْ مَضَى؛      وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ:  
وَمَنْ كَانَ فِي عَيْشٍ يُرَاعِي زَوَالَهُ      فَذَلِكَ فِي بُوسٍ وَإِنْ كَانَ فِي نَعَمٍ  
فاغار عليه المتنبّي؛ ولكنه أجاد بقوله:

(١) هو عمرو بن ربيعة أحد شعراء العرب وفرسانها في الجاهلية، لقب بالمستوغر لقوله يصف فرساً عرقت: تَيْشُ الْمَاءِ فِي الرِّبَلَاتِ مِنْهَا نَشِيشُ الرَّصْفِ فِي اللَّبَنِ الْوُغَيْرِ؛ وقد لقبه ابن حجر (بالمستوغر) وعده من الصحابة، ويقال أن المستوغر كان من المعمرين وقيل أنه أدرك الإسلام، وأمر بهدم البيت الذي كانت تعظمه ربيعة في الجاهلية.

أَشَدُّ الْقَمِّ عِنْدِي فِي سُرُورٍ تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ إِنَّتَقَالَا  
 وقال: وَفِي الْمَاضِي لِمَتَّبِعِي إِعْتَبَارُ؛ وَفِي النَّهْجِ<sup>(١)</sup>؛ أَيْضاً؛ مَا اقْرَبَ الْحَيِّ  
 مِنَ الْمَيِّتِ؛ لِلْحَاقِقِ بِهِ؛ وَمَا ابْعَدَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ؛ لِإِنْقِطَاعِهِ عَنْهُ.

وقال محمد بن كعب الغنوي:

لَعُنْمَكَ إِنَّ الْبَعِيدَ الَّذِي مَضَى وَأَنَّ الَّذِي يَأْتِي غَدًا لَقَرِيبُ  
 وقال طرفة<sup>(٢)</sup>:

أَرَى الْمَوْتَ اغْدَادَ النَّفُوسِ وَلَا أَرَى بَعِيداً غَدًا مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ غَدِ  
 وقال هذبة بن الخشرم<sup>(٣)</sup>:

وَأَنَّ يَكُ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلَّى فَإِنَّ غَدًا لِنَاطِرِهِ قَرِيبُ  
 وأخرج ابن مردويه؛ عن ابن مسعود؛ مرفوعاً وموقوفاً: «كُلُّ آتٍ قَرِيبٌ»<sup>(٤)</sup>

وعند البيهقي؛ وللقضاعي؛ عن زيد الجهني؛ قال: تلقيت هذه الخطبة من  
 في رسول الله ﷺ؛ وذكر خطبة طويلة؛ فيها «كُلُّ آتٍ قَرِيبٌ»؛ وعن العراقي؛ عن

(١) نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي من كلام سيدنا علي ﷺ.

(٢) طرفة بن العبد شاعر جاهلي من شعراء المعلقات عاش حياة لاهية ومات مقتولاً وهو دون الثلاثين.

(٣) هذبة بن الخشرم بن كُرْز، شاعر جاهلي فصيح من قبيلة عذرة وأمه شاعرة؛ وفي الأغاني: كان هذبة راوية الحطيثة وكان جميل راوية هذبة. وليس في المصادر الكثير عن حياته وشعره إلا ما كان بينه وبين ابن عمه (زيادة) من المقاتلة التي أفضت إلى سجنه وقتله صبراً.

(٤) الجامع لمعمر بن راشد «بَابُ الْكُذِبِ وَالصُّدْقِ وَخُطْبَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ...» (حديث موقوف) عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ، قَالَ: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، أَلَا إِنَّ الْبَعِيدَ لَيْسَ بِآتٍ، لَا يَعْجَلُ اللَّهُ لَعَجَلَةِ أَحَدٍ، وَلَا يَخْفُفُ لِأَمْرِ النَّاسِ مَا شَاءَ اللَّهُ لِأَمَلِ النَّاسِ، يُرِيدُ اللَّهُ أَمْرًا، وَيُرِيدُ النَّاسُ أَمْرًا، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَلَوْ كَرِهَ النَّاسُ، لَا مُقَرَّبَ لِمَا بَاعَدَ اللَّهُ، وَلَا مُبَعَّدَ لِمَا قَرَّبَ اللَّهُ، وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، أَصْدَقُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

ابن المبارك؛ عن عكرمة ابن عامر؛ عن يحيى بن كثير؛ مرسلًا: «ما امتلأت دار من الدنيا حبرة الا امتلأت عبرة»<sup>(١)</sup>.

وقال بعضهم:

إِنَّ اللَّيَالِيَّ وَالْأَيَّامَ تَجْلُدُنِي  
بِحَبْلِ عُمَرِي إِلَى قَبْرِي وَتُدْنِي  
وَكَمْ تُرِينِي مِنْ مَيِّتٍ وَذَلِكَ أَنَا  
وَكَمْ تُحَدِّثُ غَيْرِي وَهِيَ تَغْنِي

ومما يختار في المعنى؛ للشريف؛ قوله:

أَلَا إِنَّمَا الْمَاضُونَ مِنَّا هُمُ الْأَلَى  
أَرَاخُوا وَحَطُّوا وَالْبَوَاقِي هُمُ السَّفَرُ  
وقوله:

قَدْ هَوَّنَ الْوَجْدُ أَنَّ الْمَوْتَ مُشْتَرِكٌ  
فِينَا وَإِنَّا لِدَا الْمَاضِي مِنَ التَّبَعِ  
وقوله:

فَلَا تَغِيْطُونَا إِذْ أَقَمْنَا وَإِنَّمُ  
عَلَى ظَمَنِ إِنَّ الْإِلْقَاءَ سَرِيْعُ  
وقوله:

نُسَابِقُ الْمَوْتَ تَطْوِيحًا بِأَنْفُسِنَا  
لَا أَمْتَرِي أَنَّنَا نَجْرِي إِلَى أَمَدٍ  
وَإِنِّي وَارِدُ الْعِدَا الَّذِي وَرَدُوا  
حَتَّى كَأَنَّ عَلَى الْأَجَالِ نَفْتَرُ  
بِالْكُرْهِ أَوْ قَارِعُ الْبَابِ الَّذِي قَرَعُوا  
نَلْهُو وَمَا نَحْنُ إِلَّا لِلرَّدَى أَكْلُ  
وَالدَّهْرُ يَمْضِيْنَا وَالْأَرْضُ تَبْتَلِعُ  
وقوله:

(١) (حديث مرفوع) حديث: «ما امتلأت دار من الدنيا حبرة إلا امتلأت منها عبرة»، قال العراقي: رواه ابن المبارك عن عكرمة بن عامر عن يحيى بن كثير مرسلًا، والخبرة، يفتح الحاء المهملة وسكون الموحدة: السرور، ومنه قوله تعالى: ﴿فَهَرُ فِي رَوْحِهِ يَحْبَرُونَ﴾ سورة الروم، الآية ١٥، أي يسرون، والغبرة: الدمع السائل.

بَقَاءُ الْفَتَى مُسْتَأْنَفٌ مِنْ فِنَائِهِ      وَمَا الْحَيُّ إِلَّا كَالْمُغَيَّبِ فِي الرَّمْسِ  
وَكُلُّ فَتَى بَاقٍ سَيَتَّبَعُ مَنْ مَضَى      وَكُلُّ غَدٍّ جَاءَ سَيَلْحَقُ بِالْأَمْسِ  
وَيَجْرِي عَلَى مَنْ بَانَ دَمْعِي وَمَالُهُ      بَكَيْتُ وَلَكِنِّي بَكَيْتُ عَلَى نَفْسِي  
ونظر بعض السلف؛ إلى بُنِي له؛ جميل؛ فقال: لولا الموت لسرت بك.

وقال التهامي؛ يخاطب ولده:

وَلَقَدْ جَرَيْتَ كَمَا جَرَيْتُ لِغَايَةٍ      قَبَلْتَهَا وَأَبُوكَ فِي الْمِضْمَارِ  
وقال القطب الحداد<sup>(١)</sup>:

قُلْ لِلْحَزِينِ الَّذِي يَبْكِي أَحِبَّتُهُ      أَتَبْكُ لِنَفْسٍ كِإِنَّ الْأَمْرَ مُقْتَبِلُ

ولولا الأمل؛ الذي غرسه الله في النفوس؛ لما عمرت الدنيا؛ ولجزع الناس للباقيين؛ جزعهم للماضين؛ غير أن الأمل؛ استنزل العقول عن قضاياها؛ بقدرته جل وعلا؛ فحل الأمل للباقيين؛ موضع الحنين للماضين؛ وأنشد الفراء:

نَهْوَى الْحَلِيظِ وَإِنْ أَقْمَنَا بَعْدَهُمْ      إِنَّ الْمُقِيمَ مُكَلَّفَ بِالسَّائِرِ

وفي ذلك؛ من الأسرار اللطيفة؛ والمعاني الشريفة؛ ما لا يحصى؛ ومنها: أن النفوس؛ لا تزال تحن إلى موطنها الأول؛ وإن لم تعرفه؛ بأية؛ أن لواعجها؛ لا تهدأ بوصالٍ قط؛ بل كلما ذكرت الديار؛ أنت؛ ومتى تنوشدت الآثار؛ حثت؛ وارجع إلى ما سبق؛ تحت البيت (٥)؛ وما أحسن قولي؛ في اللزوميات:

يَقُولُونَ مَا مِنْ عَائِقٍ قَطَعَ الْهَوَى      حَشَاهُ وَاضْنَاهُ النَّوَى وَكُرَاهُ  
وَاضْرَمَ فِيهِ الْوَجْدُ إِلَّا وَتَنَطَّفِي      إِذَا دَامَ طَيْبُ الْوَصْلِ نَارُ هَوَاهُ  
وَلَكِنَّ فِي الْإِنْسَانِ سِرًّا تَفْسَحَتْ      قَوَائِمُهُ مِنْ حَمَلِهِ وَقَوَاهُ

(١) الإمام عبد الله بن علوي الحداد فقيه وداعية إسلامي ومؤلف ولد بتريم وتوفي بها سنة

إِذَا مَا تُنْوِشِدُنَّ الْمَأْتِرُ هَزَّهُ لِمَوْطِنِهِ الْأَعْلَى الْقَدِيمِ جُؤَاهُ  
وَمَا مِنْ جَمَالٍ حَادِثٍ هَامٍ رَامِقٍ بِرُؤْيَاهُ إِلَّا وَالْمُرَادُ سِوَاهُ

وبناء على ما تقدم؛ نقول في جواب استفهام الشريف؛ عن الأمان على الباقيين؛ أنه لا أمان؛ غير أن الطبيعة: أحلَّت الأمل للباقي؛ كما مرَّ؛ محل الجزع على الماضي؛ وكلفت المقيم بالسائر؛ ودونه العكس؛ بالأغلب؛ وإلا فيظهر؛ أن الشريف؛ على خلافِ الغالب<sup>(١)</sup>؛ ليس في بيته الذي نحن فيه؛ فحسب؛ بل قال؛ أيضاً:

سِرْنَا وَأَنْتِ مَقِيمَةٌ وَلَرَبِّمَا كَانَ الْمُقِيمُ عِلَاقَةً لِلْسَائِرِ  
وقال؛ من أخرى:

نَحَا لِنَحْوِكَ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ أَنَّ الْمُقِيمَ عَنِ النَّزَّاعِ فَيُثْمَلُ  
وفيه دلالة؛ على شدة بؤس الشريف؛ وتزاحم الهموم بخاطره؛ حتى شغلته عن الراحلين من أحبابه؛ وقد يوافق ما سبق؛ تحت البيت (٢٥)؛ عن الحسين بن مطير؛ وعن البحري؛ ولا يبعد عنه؛ قول المتنبي:

فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِيَهَامٌ تَكَسَّرَتْ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ  
ومن النوادر؛ التي لا تبعد؛ عن مناسبة ما نحن فيه؛ قول بن العديم<sup>(٢)</sup>؛ قرأت بخط ابن جنِّي؛ أن المتنبي قال له: قال لي هاشمي؛ من أهل حرَّان: سِيرت لإمرأتي كتاباً؛ تمثَّلت فيه بقولك:

بِمَ التَّعَلُّلُ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنٌ وَلَا نَيْبٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنٌ

(١) أي يختلف عن الغالب.

(٢) كمال الدين ابن العديم. مؤرخ عربي، حليبي المولد رحل إلى دمشق وفلسطين والحجاز والعراق، ومات بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ من أهم كتبه «بغية الطلب في تاريخ حلب» ومن آثاره أيضاً «دفع الظلم والتجري» عن أبي العلاء المعري.

فكتبت في جوابها: لست والله كذلك؛ ولكن؛ كما في قوله؛ من نفس القصيدة:

سَهْرَتْ بَعْدَ رَجِيلِي وَخَشَةُ لَكُمْ      ثُمَّ اسْتَمَرَ مَرِيرِي وَازْعَوَى الْوَسْنُ<sup>(١)</sup>

### وأما قوله (٧٦)

وَإِذَا الْحَلِيمُ رَمَى بِسِرِّ صَدِيقِهِ      عَمْدًا فَأَوْلَى بِالْوِدَادِ الْأَحْمَقُ

فقد نظر فيه؛ إلى قول البحري:

فَمَا حَرَقَ السَّفِيهِ وَإِنْ تَعَدَّى      بِأَبْلَغَ فَيْكَ مِنْ حِقْدِ الْحَلِيمِ

إذ لا يتعمد الحليم؛ الإفشاء على صاحبه؛ إلا عن ضغن؛ ينطوى صدره عليه؛ فيتحد مفاد البيتين؛ على أن ضحبة السفيه؛ أقل شراً من الحليم؛ الذي لا تؤمن غائلته؛ وقد أسلفنا تحت البيت (٢٦) قول أبي فراس: وأعظم أعداء الرجال ثقاتها؛ ولكن عبد الملك بن مروان؛ يقول: كما في صفحة ٢٦٠ من المجلد ٤ من شرح النهج: أنا للعاقل المدبر؛ أرجى مني؛ للأحمق المقبل؛ ومن رجائه؛ إيثار صحبته وقال صالح بن عبد القدوس:

عَدُوُّكَ ذُو الْعَقْلِ خَيْرٌ مِنَ الصِّ      صَدِيقُ لَكَ الْوَأَمِيُّ الْأَحْمَقُ

وقال:

وَلِإِنْ يُعَادِي عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ      مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ

وهو: من قول الأول: معاداة عاقل؛ خير من مودة أحمق؛ وتمثل به؛ عمر بن أبي ربيعة؛ لكثير<sup>(٢)</sup>؛ في قصة عجيبة؛ وقال المتنبي:

(١) المعنى: لما فارقتكم استوحشت لفراقكم حتى امتنع رقادي ثم قويت فتصبرت وعاد إلي

النوم والمرير ما قتل من قوي الحبل يقال استمر مريره إذا قوي عزمه.

(٢) كثير عزة.

وَمِنَ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ      وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ  
ومهما يكن من الأمر؛ فصحبة الأحمق؛ بلاء؛ لأنه يريد أن ينفع؛ فيضر؛  
والعاقل؛ الذي يفشي على صاحبه؛ عمدا؛ إمّا خائن؛ كما يأتي عن الأحوص؛  
وإما غادر؛ كما قال المتنبي:

وَأَفْشَاءُ مَا أَنَا مُسْتَوِدِعٌ      مِنْ الْفَدْرِ وَالْحُرِّ لَا يَنْدُرُ  
ومع أن بيت الشريف؛ من بيت البحري؛ الذي قدمناه؛ فبينهما بون كبير؛  
أمّا في النهج؛ فظاهر؛ وأما في المعنى؛ فلأنَّ حَرَقَ السَّفِيهَ؛ أهون من حقد  
الحليم؛ عنده؛ وهو صواب؛ أما الأولوية؛ فإنما تكون: بين المتفاضلين في  
الحسن؛ لا في القبح؛ ولا يعدم الشريف؛ نظرا في بيته؛ إلى قول محمود  
الورّاق:

إِذَا كَتَمَ الصَّدِيقَ إِخَاءَ سِرًّا      فَمَا فَضَّلَ الصَّدِيقَ عَلَى الْعَدُوِّ  
إلا أن هذا في الكتم؛ فنقله الشريف إلى الإفشاء؛ والأول ممدوح؛ لأنه  
غريب؛ ولذا تصيّدُه المعري حيث يقول:

وَالْجَلُّ كَالْمَاءِ يُبْدِي لِي صَمَائِرَهُ      مَعَ الصَّفَاءِ وَيُخْفِيهَا مَعَ الْكَدْرِ  
بخلاف الثاني؛ فليس فيه زائد على: مودة الأحمق أولى من مودة الخائن؛  
وهو كلام عامي مبتذل؛ مَرْمِيٌّ بمثله على مدارج الطرق؛ وفيه نظر إلى بيت؛ جرى  
فيه للأصمعي؛ حديث لا نطيل به؛ وهو:

إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ لَهُ حِجَابٌ      فَمَا فَضَّلَ الْكَرِيمَ عَلَى اللَّوِيمِ  
وقول الآخر:

إِذَا الْمَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلِسَانِهِ      وَلَا مَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ فَهُوَ أَحْمَقُ  
وقال دعامة بن يزيد الطائي:

إِذَا مَا جَعَلْتَ السِّرَّ عِنْدَ مُضَيِّعٍ      فَإِنَّكَ مِمَّنْ ضَيَّعَ السِّرَّ أَقْرَبُ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة<sup>(١)</sup>:

إِذَا كَانَ لِي سِرٌّ فَحَدَّثْتُهُ الْوَدَا      وَصَاقَ بِهُ صَدْرِي فَلِلنَّاسِ اغْذُرُ  
وقال امرء القيس:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْزِنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ      فَلَيْسَ عَلَيَّ شَيْءٌ سِوَاهُ بِخَزَّانِ  
وقال بشار:

تَبُوحُ بِسِرِّكَ ضَيْقاً بِهُ      وَتَبْنِي لِسِرِّكَ مِنْ كَاتِمِ  
ويعجبني؛ فيما يتصل بالموضوع؛ قول الأحوص<sup>(٢)</sup>؛ الذي سبقت إليه الإشارة؛ وهو:

وَمُسْتَخْبِرٍ عَنِ سِرِّرِيَا رَدَّدْتُهُ      بِعَمِيَاءٍ مِنْ رِيَا بِغَيْرِ يَقِينِ  
يَقُولُونَ خَبَرْنَا فَأَنْتَ امِينُهَا      وَمَا أَنَا إِنْ خَبَرْتَهُمْ بِأَمِينِ  
وبعضهم؛ يعزو هذين؛ للقطب الرفاعي؛ لكثرة من يتمثل بهما؛ من السادة الصوفية؛ وقال الأحوص؛ أيضاً:

كَرِيمٌ يُمِيتُ السِّرَّ حَتَّى كَانَهُ      عَمِ بِنَوَاجِي أَمْرِهِ وَهُوَ خَائِرُ  
وقال قيس بن الخطيم<sup>(٣)</sup>:

(١) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة مفتي المدينة وعالمها، وأحد الفقهاء السبعة ولد في خلافة عمر أو بعينها قال الواقدي: كان ثقة، عالماً، فقيهاً، كثير الحديث والعلم بالشعر، وقد ذهب بصره وهو معلم عمر بن عبد العزيز. مات سنة تسع وتسعين. وقيل غير ذلك.

(٢) هو عبد الله بن محمد الأنصاري، من شعراء العصر الأموي، من سكان المدينة، لقب بالأحوص لضيق في عينه، شاعر إسلامي أموي هجاء، كان معاصراً لجريير والفرزدق. وفد على الوليد بن عبد الملك في دمشق فأكرمه ثم بلغه عنه ما ساءه من سيرته فردّه إلى المدينة وأمر بجلده فجلد ونفاه إلى جزيرة دهلك بين اليمن والحبشة، ثم أطلقه يزيد بن عبد الملك، فقدم دمشق وعاش بها حتى توفي بدمشق سنة ١٠٥هـ.

(٣) شاعر من صناديد الجاهلية وأشد رجالها. أدرك الإسلام وتريث في قبوله، فقتل قبل أن يدخل فيه.



كَتُومٍ لِإِسْرَارِ الْخَلِيلِ أَمِينُهَا  
وَقَالَ الْحَطِئَةُ؛ يَمْدَحُ بَنِي كَلِيبِ<sup>(١)</sup>:

حَرَامٌ يَسِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ  
وَقَالَ كِشَاجِمُ:

وَأَنَا كَاتِمُ الْأَسْرَارِ حَتَّى أَنَّهُ  
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ:

بَعِيدٌ مَقِيلِ السِّرِّ لَا يُذْرِكُ السِّيَّ  
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ:

وَلِلسِّرِّ مِنِّي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ  
وَهُوَ فِي هَذَا؛ نَاطِرٌ إِلَى قَوْلِ أَبِي فِرَاسٍ:

وَلَمَّا شَرِبْنَاهَا وَدَبَّ دَبِيبَهَا إِلَى  
مَوْضِعِ الْإِسْرَارِ قُلْنَا لَهَا قِفِي  
فَيُطْلِعُ نُدْمَانِي عَلَى سِرِّي الْخِيفِي  
وَقَدْ عَكَسَتْهُ أَنَا؛ فِي فَصِيذَةِ بَنِيهِ؛ فَقُلْتُ:

سِرْبِنَا وَمَا قُلْنَا لِنَشْوَتِنَا قِفِي  
فَلَا عَابَ فِي الْإِسْرَارِ نَحْذَرُ أَنْ يَفْشَى  
لَنَا الصَّوْنُ فِي الدُّنْيَا أَمَانٌ وَفِي عَدِ  
نَلُودٌ بِخَيْرِ الْمُرْسَلِينَ فَلَا نَخْشَى<sup>(٢)</sup>  
وَلَكِنْ قَوْلُ الشَّرِيفِ:

وَقُورٌ فَلَا الْأَلْحَانَ تَأْسِرُ عَزْمَتِي  
وَلَا تَمْكُرُ الصَّهْبَاءُ بِي جِئِنِ أَشْرَبِ

(١) وهم قوم جرير.

(٢) يجاري الإمام في هذين البيتين اساليب الشعر ولكنه حقيقة بعيد جداً عن مقارعة الشراب بل نستطيع أن نقول بأنه لم يوجد في زمنه ببلده حضرموت من الخاص أو العام من يذوق الشراب أو حتى يعرفه.

مما لا يمكن له الجحود؛ ولو رآه؛ أصحاب عدي بن الرقاع<sup>(١)</sup>؛ لما  
تورعوا عن السجود؛ وفي عكسه؛ يقول السري الرّفاء:

رَأَيْتُكَ تَبْنِي لِلصَّدِيقِ نَوَافِذًا      عَدْوُكَ مِنْ أَوْصَابِهَا الدَّهْرَ آمِنُ  
وَتَكْشِفُ اسْرَارَ الْأَخْلَاءِ مَازِحًا      وَيَا رَبَّ مَرْحِ عَادَ وَهُوَ صَفَائِنُ  
سَاحَفُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ صَائِنًا      عُهُودَ كَلْبَانَ الحُرِّ لِلْعَهْدِ صَائِنُ  
فَأَلْفَاكَ بِالبِشْرِ الجَمِيلِ مُدَاهِنًا      وَلِي مِنْكَ خِلٌّ مَا عَلِمْتَ مُدَاهِنُ  
أَنْتُمْ بِمَا اسْتُوذِعْتُمْ مِنْ رُجَاجَةٍ      تَرَى الشَّيْءَ فِيهَا ظَاهِرًا وَهُوَ بَاطِنُ

ولقد أجاد؛ علي بن إسحاق الزاهي<sup>(٢)</sup>؛ المتوفي سنة ٣٦٠؛ حيث يقول:

لَحَى اللّهُ إِنْ رَأَى وَلَاكَ سِرًّا      قَبُحَتْ بِهِ وَقَضَّ اللّهُ قَاهُ  
لِأَنَّكَ بِالَّذِي اسْتُوذِعْتَ مِنْهُ      أَنْتُمْ مِنَ الرُّجَاجِ بِمَا وَعَاهُ

وفي قول الرّفاء: فَأَلْفَاكَ بِالبِشْرِ الجَمِيلِ؛ مناسبة لما سبق؛ في البيت  
(٧٢)؛ وما أحسن قول الشريف؛ وصدّاقه السّفهاءِ داءٌ مُغْضِلٌ.

### وأما قوله (٧٧)

كَفَى بِقَوْمٍ هِجَاءً أَنْ مَادَحْتَهُمْ      يَهْدِي النَّبَاءَ إِلَى اغْتِرَابِهِمْ قَرَقَا

فمأخوذ؛ من قول البحري:

أَكَلَفَ مَدْحَ الْأَزْمَنِ عَلَى الَّذِي      لَدَيْهِ مِنَ الْبَغْضَاءِ وَالشَّنَائِنِ

(١) عدي بن الرقاع العاملي شاعر كبير، من أهل دمشق، كان معاصراً لجبرير، مهاجياً له،  
مقدماً عند بني أمية، مدحاً لهم، خاصة بالوليد بن عبد الملك. توفي سنة ٩٥هـ.

(٢) علي بن إسحاق البغدادي المعروف بالزاهي نسبة إلى قرية (زاه) من قرى نيسابور وبعضهم  
قال إنما لقب الزاهي لأنه أول من زها في شعره؛ كان وصافاً محسناً كثير الملح؛ وأكثر  
شعره في مدح أهل البيت ومدح سيف الدولة والوزير المهلب وغيرهما من رؤساء وقته؛  
توفي سنة ٣٥٢هـ.

وأكثر الشعراء؛ إنما يمدحون؛ رغبة أو رهبة؛ بامارة انهم؛ إن أعطوا رَضُوا؛ وأن لم يُعْطُوا؛ إذا هم يسخطون. وفي ترجمة الاحنف؛ من تاريخ ابن خلكان؛ أن معاوية؛ بعد أن نصب يزيد لولاية العهد؛ أقعده في قبة حمراء؛ فجعل الناس يسلمون على معاوية؛ ثم يميلون إلى يزيد؛ حتى جاء رجل؛ ففعل ذلك؛ ثم رجع إلى معاوية؛ وقال يا أمير المؤمنين: اشهد انك لو لم تول هذا امور المسلمين؛ لكنك اضعتها؛ والاحنف بن قيس؛ حاضر؛ فقال له معاوية: ما لك لا تقول يا أبا بحر؛ فقال: نخافكم إن صدقنا؛ ونخاف الله إن كذبنا؛ فقال له معاوية: جزاك الله خيراً عن الطاعة؛ وأمر له بِالْوَفِّ؛ فلما خرج؛ لقيه الرجل بالباب؛ فقال يا أبا بحر؛ إني لأعلم؛ أن شر خلق الله تعالى؛ هذا وابنه؛ ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال؛ بالابواب والاقفال؛ فليس يُطْمَعُ في استخراجها؛ الا بما سمعت؛ فقال له الاحنف: امسك عليك؛ فإن ذا الوجهين؛ خليق ان لا يكون عند الله وجيهاً. وَمَنْ تَأْمَلِ دَوَوَائِنَ الْمَتَاخِرِينَ؛ كأبي تمام، والبحتري، وابن الرومي: عرف أن أهاجيتهم؛ تكاد تستأصل ممدوحيتهم؛ وقال أبو الطيب:

مَدَحْتُ قَوْمًا وَإِنْ عِشْنَا نَظَّمْتُ لَهُمْ قَصَائِدًا مِنْ إِنَاتِ الْحَيْلِ وَالْحِصَنِ  
وقال:

وَلَوْلَا قُضُولِ النَّاسِ جِئْتُكَ مَادِحًا بِمَا كُنْتُ فِي سِرِّي بِهِ لَكَ هَاجِيًا  
فكل هذا؛ تصريح: بانه لم يمدح؛ عن وجدان صحيح؛ ولا عن عاطفة صادقة؛ وإنما كان يمدح؛ مُتَّكِرًا مُضْطَرًّا؛ وذلك من أنواع الهجاء؛ في نظر الشريف. ولشيخنا العلامة؛ المنقطع النظير؛ أبي بكر بن شهاب<sup>(١)</sup>؛ الأماذيع

(١) السيد أبو بكر بن شهاب العلوي الحسيني الحضرمي ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين عليه السلام ولد سنة ١٢٦٢هـ بتريم من بلاد حضرموت وتوفي سنة ١٣٤١هـ بحيدر آباد بالهند. كان عالماً جليلاً حاوياً لفنون العلوم، قوي الحجة ساطع البرهان، أديباً شاعراً مخلصاً في ولائه لأهل البيت عليهم السلام، وله مصنفات في العلوم تناهز الثلاثين. هو شاعر اليمن الأول في زمانه وترك بعده ديواناً ضخماً يضم مختلف أنواع الشعر.

السائرة؛ في امراء لَحَج<sup>(١)</sup>؛ ثم لم يلبث ان هجاهم؛ بقصيده؛ يقول فيها:

شِعَارُهُمُ الْمَلَابِسُ وَالْمَلَاهِي      وَقَحْرُهُمُ الْمُفَضَّضُ وَالْمُذَهَّبُ

مع قوله؛ في مدحهم:

خُذْ عَن طُقُولِهِمُوا أَحَادِيثَ الْوَعَى      وَالْمَجْدَ لَا خَبَرَ الْمَلَابِسِ وَالْحِلَا

وارجع لما سيأتي في الكلام؛ على البيت (١٢٣)؛ وهو قوله:

أَذَا الْعَدُوَّ عَصَانِي خَافَ حَذِيدِي      وَعَرَضُهُ آمِنٌ مِنْ هَاجِرَاتِ قَوْمِي

وقد قال حبيب<sup>(٢)</sup>:

فَإِنَّ الْمَدْحَ فِي الْأَقْوَامِ مَا لَمْ      يُشَيِّعُ بِالْجَزَاءِ هُوَ الْهَجَاءُ

وقال:

تُدْمًا أَقْرَلَهُ الرِّجَالُ بِفَضْلِهِ      طَوْعًا بِلَا قَهْرٍ وَلَا إِسْتِكْرَاهِ

وقال البحرني:

وُدُو الْفَضْلِ مُجْمَعُونَ عَلَى قَضِ      لِيكَ مِنْ بَيْنِ سَيِّدٍ وَمَسُودِ

ولكن؛ قد يخالفهم المتنبّي؛ في قوله:

وَمَنْ لَمْ تُعَلِّمَهُ لَكَ الدَّلَّ نَفْسَهُ      مِنْ النَّاسِ طَرًّا عَلَّمْتَهُ الْمَنَاصِلَ<sup>(٣)</sup>

وقوله:

سَلَلْتُ سَيْوِفًا عَلَّمْتُ كُلَّ حَاظِبٍ      عَلَى كُلِّ عُوْدٍ كَيْفَ يَدْعُو وَيَحْطُبُ

(١) لحج محافظة من محافظات اليمن حالياً وعاصمتها الحوطة وكانت قبل الوحدة اليمنية مستقلة ثم انضمت بمباركة الإنجليز إلى اتحاد الجنوب العربي وكان يحكمها السلاطين العبادة وآخرهم السلطان على عبد الكريم العبدلي.

(٢) أبو تمام؛ حبيب بن أوس الطائي.

(٣) المُضَلُّ: السَيْفُ. والجمع: مَنَاصِلُ.

وفيما يوافق رأي الشريف؛ قصة الغزالي مع المعين البيهقي<sup>(١)</sup>؛ وهي موجودة عند ابن السبكي؛ في طبقاته؛ وحاصلها يظهر مما انشده؛ وهو:

وَلَمْ أَرْ ظُلْمًا مِثْلَ ظُلْمِ بِنَالِنَا      يُسَاءُ إِلَيْنَا نَمَّ نُومَرُ بِالشُّكْرِ  
وقال جعفر بن شمس الخلافة<sup>(٢)</sup>؛ وهو متأخر عن الشريف؛ لوزير الملك العادل:

مَدَحَتْكَ أَلْسِنَةُ الْأَنَامِ مَخَافَةً      وَتَشَاهَدَتْ لَكَ بِالشَّنَاءِ الْإِحْسَانَ  
أَتَرَى الزَّمَانَ مُؤَخَّرًا فِي مُدَّتِي      حَتَّى أَعِيشَ إِلَى أَنْطِلَاقِ الْأَلْسِنِ  
وقال المَعْرِي:

حَسْبُ الْفَتَى مِنْ أَنَامٍ وَضْفُهُ رَجُلًا      بِالْحَيْرِ وَهُوَ عَلَى ضِدِّ الَّذِي يَصِفُ

وأما قوله (٧٨)

سَابِقُ فَلَيْسَ تَنَالُ أَغْـ      رَاضِ الْمُنَى إِلَّا سِبَاقًا

فمعنى شائع، ولفظ بارد؛ اشبه بما يقوله المعلمون؛ لصغار الصبيان؛ في المكاتب التحضيرية<sup>(٣)</sup>؛ ولو أنه قال: غايات المنى؛ أو قال اغراض العلى؛ لَتَرَمَّمُ البيت؛ نوعاً ما؛ أمّا الآن؛ فلا؛ لقلة التناسب؛ وما أكثر ما جاء السباق

(١) الإمام البيهقي هو أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي فقيه شافعي وحافظ كبير. ولد في شعبان في سنة ٣٨٤هـ كان أوحد زمانه وأحد أئمة المسلمين حتى قيل فيه: ما من فقيه شافعي إلا وللشافعي عليه منة إلا أبا بكر البيهقي، فإن المنة له على الشافعي لتصانيفه في نصره مذهبه وأقاويله. قال الإمام الذهبي: لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك لسعة علومه، ومعرفته بالاختلاف.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن شمس الخلافة. ولد سنة (٥٤٣هـ). كان فاضلاً حسن الخط، وكتب كثيراً، وله تواليف جمع فيها أشياء لطيفة دلّت على جودة اختياره، وله كتاب «الآدب» مطبوع في القاهرة (١٩٣٠م)، وله ديوان شعر أجاد فيه.

(٣) أي الفصول الدراسية الأولى.

في التنزيل؛ ومنه قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾<sup>(١)</sup>؛ وقال تعالى: ﴿وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الْمَقْرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>؛ وقال تعالى: ﴿وَمِنَهُمْ مَّقْتَصِدٌ وَمِنَهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال سبئ الخاسر:

جَارَاكَ قَوْمٌ فَلَمْ يَنَالُوا      مَدَاكَ وَالْجَزْيُ لَا يُعَارُ

وقال البحرى:

فِي فِئِيَّةٍ طَلَبُوا غُبَارَكَ إِنَّهُ      رَهَجٌ تَرَفَّعَ عَنِ طَرِيقِ السُّودِ

وقال:

وَإِذَا جَرَى فِي غَايَةِ وَجَرَيْتَ      مِنْ أُخْرَى التَّقَى شَاوَاكَمَا فِي الْمَنْصَفِ

وقال:

كَالْفَرْقَدَيْنِ إِذَا تَأَمَّلَ نَاطِرٌ      لَمْ يَعُدْ مَوْضِعَ فَرْقَدٍ عَنِ فَرْقَدٍ<sup>(٤)</sup>

وقال:

بَعِيدٌ عَنِ الْفِئِيَّانِ إِنْ يَلْحَقُوا بِهِ      إِذَا سَارَ فِي نَهْجِ إِلَى الْمَجْدِ مُضْعِدِ  
وَفِي النَّاسِ سَادَاتٌ يَرُوحُ عَدِيدُهُمْ      كَثِيرًا وَلَكِنْ سَيِّدٌ دُونَ سَيِّدِ

وقال عباد بن شبل:

جَرَوْا بِعِنَانٍ وَاحِدٍ فَضَلَ بَيْنَهُمْ      بِأَنْ قَبِيلَ قَدْ فَاتَ الْعِدَاةَ عِدَارُ

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٢) سورة الواقعة، الآيات: ١٠ و ١١.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

(٤) الفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي ثابت الموقع تقريباً، ولذا يُهتدى به، وهو المسمى: [النجم القطبي]، وبقره نجم آخر مماثل له وأصغر منه، وهما الفرقدان.

وقد أطلقت العنان للموضوع؛ في العود الهندي<sup>(١)</sup>؛ بما يشفي، ويمتع؛  
ونقلت ما يناسبه؛ عن المجلس السابع؛ من أمالي المرتضى؛ ولا يقال: أن بيت  
الشريف؛ في الحث على السباق؛ وهذه الأمثلة؛ في نفس السباق؛ لأنَّ  
أصحابها؛ ما نالوا العلى؛ إلا سباقاً؛ وحسبك في المسابقة؛ ما جاء على لسان  
الشرع؛ في صغار المتون؛ إذ هي سبيل الجهاد؛ وسلمَّ المجد؛ وهو منوط  
بالتعب، ومزيج بالتَّصَبُّ؛ وقد مر تحت البيت (٣٨)؛ قول حبيب:

وَالْمَجْدُ شُهْدٌ لَا تَرَى مِثْرَارَهُ      يَجْنِيهِ إِلَّا مِنْ نَقِيعِ الْحَنْظَلِ  
وقال:

تَعِبُ الْخَلَائِقِ وَالنَّوَالِ وَلَمْ يَكُنْ      بِالمُسْتَرِيحِ الْعِرْضِ مَنْ لَمْ يَتَّعِبِ  
وقال:

مَا إِبْيَضَ وَجْهُ الْمَرْءِ فِي طَلَبِ      الْعُلَى حَتَّى يُسَوِّدَ وَجْهَهُ فِي السِّيدِ  
وقال أبو الطيب:

تُرِيدِينَ لُقْيَانَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً      وَلَا بُدَّ دُونَ الشُّهْدِ مِنْ إِيْرِ النَّحْلِ  
وقال:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ      وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ  
وقال:

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفِ مَرُومٍ      فَلَا تَقْتَعُ بِمَا دُونَ النُّجُومِ  
وقال:

مَنْ تَعَاظَى تَشْبُهًا بِكَ اغْيَاهُ      وَمَنْ دَلَّ فِي طَرِيقِكَ ضَلَاً

(١) كتاب العود الهندي في مجالس الكندي كتاب أدبي مطبوع للإمام عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف.

والميدان واسع؛ والمسابقة والسباق؛ مجازاً وحقيقة؛ من باب واحد؛ فلا بأس بتداخل الشواهد.

### وأما قوله (٧٩)

وَلَيْسَ يَنَالُ الْأَمْرَ إِلَّا بِحَازِمٍ  
مِنَ الْقَوْمِ أَحْمَى مَيْسَمًا ثُمَّ أَنْضَجَا

فأوله مشهور؛ متكرر؛ في هذه الوريقات؛ وقال أبو تمام:

وَهَلْ مِنْ حَكِيمٍ صَبَّحَ الصَّبْرَ بَعْدَمَا  
وَلَمْ يَجِدُوا مِنْ عَالِمٍ غَيْرَ عَامِلٍ  
رَأَوْا طُرُقَاتِ الْعَجْزِ عَوْجًا فَظِيغَةً  
وَأَفْضَعُ عَجْزٍ عِنْدَهُمْ عَجْزُ حَازِمٍ

وقال:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ تَسْتَخْلِصِ الْعَزْمَ نَفْسُهُ  
أَعَادِلْتِي مَا أَحْسَنَ اللَّيْلَ مَرْكَبًا  
ذُرَيْزِي وَاهْوَالَ الرَّزْمَانَ  
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الزَّمَاعَ عَلَى السَّرَى

وقال البحري:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ تُبْدِيهِكَ بِالْحَزْمِ وَالْحِجَا  
فَرَّحْتُهُ لِأَتُنِّغَ عَنْكَ تَجَارِبُهُ

وقال:

فَتَى لَمْ يُضْعَ وَجْهَ حَزْمٍ وَلَمْ يَبِثْ  
يُلاحِظُ اعْجَازَ الْأُمُورِ تَقَعُّبًا

وأما آخره؛ فنأظر إلى قول عمرو بن العاص: أنا المرء إن همزت كسرت؛ وإن كويت أنضجت؛ من كلام طويل؛ أورده بن خلكان له؛ في ترجمة هشام بن الكلبي؛ وإلى قوله أيضاً؛ لما خرج من مكة؛ إلى النجاشي:

تَقُولُ إِنِّي أَيْنَ هَذَا الرَّحِيلُ وَمَا لَسِيرٍ مِنِّي بِمُسْتَنْكِرٍ



فَقُلْتُ ذَرِينِي فَإِنِّي إِمْرُؤٌ  
لَأَكْوِبُهُ عِنْدَهُ كَيْبَةً  
وَقَوْلُ أَبِي الدَّلْهَانَ:

وَلِلشُّعْرَاءِ أَلْسِنَةٌ جِدَادٌ  
إِذَا وَضَعُوا مَكَائِبَهُمْ عَلَيْهَا  
وَقَوْلُ الْفَرَزْدَقِ:

وَكَنتُ إِذَا عَادَيْتُ قَوْمًا حَمَلْتُهُمْ  
عَلَى الْجَمْرِ حَتَّى يَحْسِمَ الدَّاءَ حَاسِمُهُ  
وَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ:

لَأَقَاهُ بِالْكَأْوِي الْعَنِيفِ عِدَائِهِ  
لَمَّا رَأَهُ لَمْ يَفِئُ بِالطَّائِي  
وَقَوْلُهُ:

أَضْبَحْتُ نَبِيَّ الْعَقْلِ فَاضِلٍ لِمَيْسَمٍ  
بِيَلِي أَلْبِجِ النَّاسَ فِي الْإِنْصَاجِ  
وَقَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ:

أَيْظَلِمَنِي الْمُسْتَضْعَفُونَ وَقَدْ رَأَوْا  
تَجَهُمَ ظَلَامَ مَتَى يَكْوِيُنْضِجُ

ومن أمثالهم: إذا كويت فانضج؛ وإذا مضغت فادقن؛ ومنها أيضاً؛ قولهم: آخر الدواء الكي؛ ولكن الشريف؛ رأى الأمر يفضي إلى آخر؛ فصير آخره أولاً؛ وذكر ابن قتيبة: أن في كتاب ابرويز؛ لإبنه شيرويه: عليك بالمشاورة؛ فإنك واجد في الرجال؛ من يُنضج لك الكي؛ ويحسم عنك الداء؛ ويخرج لك المُسْتَكِينُ؛ وقال ربيعة بن مقروم<sup>(١)</sup>:

وَأَلَدُّ ذِي حَنَقٍ عَلَيَّ كَأَنَّمَا  
تَغْلِي عِدَاؤُهُ صَدْرِي فِي مِرْجَلِي

(١) ربيعة بن مقروم بن قيس الضبي. من شعراء الحماسة، ومن مخزومي الجاهلية والإسلام. وقد على كسرى في الجاهلية، وشهد بعض الفتح في الإسلام وحضر وقعة القادسية.

أَرْجَبْتُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَضْدَهُ وَكَوْنَتْهُ فَوْقَ النَّوَاطِرِ مِنْ عَلٍ

وأما قوله (٨٠)

وَلَا تَزْرَعُوا شَوْكَ الْقَتَادِ فَإِنَّكُمْ جَدِيرُونَ أَنْ تُدْمَوِإِيهِ وَتُشَاكُوا

فمن قوله تعالى: ﴿... وَلَا يَحِيْقُ الْمَكْرُ الْبَيْتُ إِلَّا بِأَهْلِهِ...﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿... يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ...﴾<sup>(٢)</sup> وقول الإمام<sup>(٣)</sup>: مَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ؛ صُرِعَ بِهِ.  
وقال زهير<sup>(٤)</sup>:

مَتَى تَبَعَثُوهَا تَبَعَثُوهَا ذَمِيمَةٌ وَتَضَرَّ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضَرَّمُ<sup>(٥)</sup>  
وَمَنْ يَغْصِ أَطْرَافَ الرَّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكْبَتِ كُلِّ لَهْدَمٍ<sup>(٦)</sup>  
وكان المأمون؛ كثيراً ما يتمثل للأمين؛ بهذين البيتين:

يَا صَاحِبَ الْبَغْيِ إِنَّ الْبَغْيَ مَضْرَعَةٌ فَاعْدِلْ فَخَيْرُ فِعَالِ الْمَرْءِ اعْدِلِهِ  
فَلَوْ بَغَى جَبَلٌ يَوْمًا عَلَى جَبَلٍ لَأَنْدَكَ مِنْهُ أَعَالِيهِ وَاسْفَلِهِ

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٣.

(٣) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٤) زهير بن أبي سلمى حكيم الشعراء في الجاهلية وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة. وكان لزهير من الشعر ما لم يكن لغيره: كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابنته كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة. ولد في بلاد مُزينة بنواحي المدينة المنورة وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد)، قيل انه كان ينظم القصيدة في شهر، ويهذبها في سنة، فكانت قصائده تسمى الحوليات. وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء، والآخران هما امرؤ القيس والناطقة الذبياني.

(٥) تضرم: تلتهب وضريرتموها أي الهبتموها وهو يصف في قصيدته الحرب.

(٦) الزج: زج الرمح والسهم والجمع أزجاج وأزجة وزجاج واللهدم: كل شيء قاطع، من سنانٍ أو سيفٍ أو نابٍ. يقال: سَيْفٌ لَهْدَمٌ: أي حادٌ.

وأخرج البخاري؛ في الأدب المفرد؛ وابو نعيم؛ عن ابن عباس؛ موقوفاً؛  
 «لو بغى جبل على جبل؛ لذلك الباغي»<sup>(١)</sup> واخرجه بن مردويه مرفوعاً؛ عن  
 الأعمش؛ قال ابن أبي حاتم؛ والوقف أصح؛ وفي حديث؛ لكن قال الحافظ  
 عنه: لم أجد له أصلاً «من حفر لأخيه قليلاً أوقعه الله فيه قريباً»<sup>(٢)</sup> وأخرج  
 الحاكم؛ في تاريخه؛ مرفوعاً عن أنس: «بابان معجلان العقوبة: البغي  
 والعقوق»<sup>(٣)</sup> ويروى؛ أنه كان مكتوباً؛ بأعلى سيف بختنصر<sup>(٤)</sup>؛ آياتاً؛ منها:

وَذَوْلَةُ الْبَغِيِّ لَهَا مَضْرَعٌ      تُنَزِّلُ السُّلْطَانَ مِنْ عَرْشِهِ  
 أَمَا رَأَيْتَ الْكَبِشَ لَمَّا طَفَى      أَذْرَجَ رَأْسَ الْكَبِشِ فِي كِرْشِهِ

وقال أبو تمام:

مَا طَالَ بَغِيٌّ قَطُّ إِلَّا عَادَرَتْ      عَلَواؤُهُ الاغَمَّارَ غَيْرَ طَوَالِ

وقال:

(١) (حديث موقوف) أَنبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زُنْجُوَيْهِ الْقُسَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَدَائِنِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، أَنبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زُنْجُوَيْهِ الْقُسَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَدَائِنِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ «لَوْ بَغَى جَبَلٌ عَلَى جَبَلٍ لَدَكَ اللَّهُ الْبَاغِي مِنْهُمَا» كتاب روضة العقلاء لابن جبان.

(٢) (حديث مرفوع) حَدِيثٌ: «مَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ قَلِيلاً أَوْقَعَهُ اللَّهُ فِيهِ قَرِيباً»، قال شيخنا: لم أجد له أصلاً، وإنما ذكر صاحب الأمثال: من حفر جبا أوقعه الله فيه منكباً. عن كتاب المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة للسخاوي.

(٣) في الحديث الذي رواه البخاري في التاريخ والطبراني وصححه الألباني مرفوعاً: «اثنان يعجلهما الله في الدنيا: البغي وعقوق الوالدين». وعند الحاكم بسند صحيح مرفوعاً: «بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا: البغي والعقوق».

(٤) أشهر ملوك الدولة البابلية الحديثة عاش بين (٦٠٥ - ٥٦٣) قبل الميلاد وقاد الجيوش البابلية في معارك حاسمة على منطقة بلاد الشام ودمر عدة ممالك منها مملكة يهوذا، حسب الكتاب المقدس في حملتين وسبا الكثيرين من سكان منطقة بلاد الشام إلى بابل، وقام ببناء الجنائن المعلقة التي اعدت من عجائب الدنيا السبع.

لَا تَجْعَلُوا الْبَغْيَ ظَهْرًا إِنَّهُ جَمَلٌ  
فَكُرْتُ فِي السَّيْرِ اللَّاتِي خَلْتُ فَإِذَا  
أَفْنَى جَدِيْسًا وَطَسْمًا كُلَّهَا وَسَطَى  
أَرْدَى كَلْبًا وَهَمَامًا وَهَاجَ بِهِ  
سَقَى شَرَحِيْلًا السُّمَّ الدُّعَافَ  
بَزَّ التَّحِيَّةَ مِنْ لَحْمٍ فَلَا مَلِكُ  
وقال العتابي :

بَغَيْتَ فَلَمْ تَقْعَ إِلَّا صَرِيْعًا      كَذَاكَ الْبَغْيِي مَضْرَعُ كُلِّ بَاغِي  
وفي سيرة ابن هشام؛ انهم وجدوا حجراً مكتوباً عليه: من يزرع خيراً؛  
يحصد غبطة؛ ومن يزرع شراً؛ يحصد ندامة؛ أتعملون السيئات؛ وتجزون  
الحسنات؛ ألا إنه لا يُجْتَنِّي من الشوك؛ العنب؛ ومن أمثالهم؛ كما في  
مجمعها<sup>(١)</sup>: مَنْ يَزْرَعُ الشُّوكَ لَا يَخْصُدُ بِهِ الْعِنْبَ؛ وهو عجز بيت؛ من الغسانيه؛  
صدره:

إِذَا أُوتِرَتْ إِمْرَةً فَأَخَذَرُ عَدَاوَتَهُ؛ وبعضهم ينسبه: لابن عبد القدوس؛ ثم  
إن تقييد الشوك في البيت؛ بالقتاد؛ مُسْتَعْتَى عنه؛ إذ الأمر مُطْرَدٌ في كل شوك؛ ما  
لم يكن لبيان الواقع؛ بان كان في معتبة قوم اعظموا الجريمة؛ كما في قول ابن  
نباته:

أَقِيمُوا لَهُ عِوَجَ الضُّلُوعِ فَلِئِنَّمَا      رَزَعْتُمْ بِهَا شُوكَ الْقَتَادِ لِحَاصِدِ  
وربما كان بيت الشريف منتزعا منه؛ واما قوله: تدموا؛ فلا مكابرة؛ فإنه  
من الحشو المقبوح؛ إذ لا حاجة إليه؛ مع تشاكوا؛ لا سيما؛ وأن شوك القتاد؛  
من اقوى ما يكون؛ فلا بد وان يزيد على الإدماء؛ فالبيت: ضعيف جداً.

(١) يقصد كتاب مجمع الأمثال للميداني.

## وأما قوله (٨١)

أَبْتَغِي عَدْلَ زَمَانٍ قَاسِطٍ      إِنَّمَا النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ

فصدره: من قول البحثري؛ السابق؛ تحت البيت (٤٥) وهو:

كَيْفَ تَقْضِي لِي اللَّيَالِي قَضَاءً      يُشْبِهُ الْحَقَّ وَاللَّيَالِي حُضُومِي

وأما آخره؛ فلا يعد شيئاً مذكوراً؛ بالنسبة لقول التهامي:

ذَا جَفَاكَ الدَّمْرُ وَهُوَ أَبُو الْوَرَى      طَرّاً فَلَا تَعْتَبُ عَلَيَّ أَوْلَادِي

والتهامي؛ قد عاصر الشريف؛ فإما ان يفوز بالسبق؛ مع الاجادة؛ واما ان

تكون وحدها؛ وهي كافيها؛ وفي الحديث: «الناس على دين ملوكهم»<sup>(١)</sup> وهو من

الأحاديث المشتهرة؛ وقال الحافظ السخاوي: لا أعرفه حديثاً؛ ومهما يكن من

الأمر؛ فمعناه صحيح؛ وفي الدرر المنتثرة؛ للسيوطي؛ أن حديث: «الناس

بزمانهم أشبه منهم بأبائهم»<sup>(٢)</sup> موقوف؛ على ابن الخطاب؛ وفيه شبه؛ بما نحن

فيه؛ وللبيهقي؛ عن كعب الاحبار: إن لكل زمان ملكاً؛ بيعته الله؛ على نحو

قلوب اهله؛ فاذا أراد صلاحهم؛ بعث عليهم مصلحاً؛ وإذا أراد هلاكهم؛ بعث

فيهم مترفيهم. وقال القاسم بن مخيمر<sup>(٣)</sup>: إنما زمانكم سلطانكم؛ فإذا صلح

سلطانكم؛ صلح زمانكم؛ واذا فسد سلطانكم؛ فسد زمانكم؛ ونقل ابن قتيبة؛ عن

ابن المقفع؛ أنه قال: الناس على دين سلطانهم؛ فليكن للدين والمرؤة؛ عنده

(١) (حديث مرفوع) حديث: «النَّاسُ عَلَى دِينِ مُلُوكِهِمْ» أَوْ «مَلِكِهِمْ»، قَالَ السَّخَاوِيُّ: لَا أَعْرِفُهُ حَدِيثًا، وَهُوَ قَرِيبٌ مِمَّا قَبْلَهُ مَعْنَى مِنْ كِتَابِ الْأَسْرَارِ الْمَرْفُوعَةِ فِي الْأَخْبَارِ الْمَوْضُوعَةِ رَقْمَ الْحَدِيثِ: ٥٥٢.

(٢) الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم: من قول عمر بن الخطاب كما قاله الحافظ الصريفي، وقال محمد بن أيوب ارتحلت إلى يحيى الغساني من أجله، وقيل أنه قول علي بن أبي طالب، قال القاري وهو الأشهر الأظهر انتهى. (مجمع الأمثال).

(٣) هو الإمام الحافظ أبو عروة الهمداني الكوفي، نزيل دمشق. حدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي سعيد الخدري، وأبي أمامة الباهلي وغيرهم.

نفاق؛ فيكسد بذلك؛ الدناءة والفجور؛ في اقطار الأرض؛ وذكر عن كعب؛ انه يقول: مثل الإسلام والسلطان والناس؛ مثل الفسطاط والعمود والاطناب والأوتاد؛ فالفسطاط الإسلام؛ والعمود السلطان؛ والاطناب والأوتاد الناس؛ لا يصلح بعضه؛ إلا ببعض؛ وقال اعرابي للرشيد:

بَنَيْتَ بِعَبْدِ اللَّهِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ      ذُرَى نُبَّةِ الْإِسْلَامِ فَاخْضَرَّ عُودُهَا  
هَمَا طَنَبَاهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمَا      وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمُودُهَا

وقال ابن دريد:

وَكُلُّ أَنْاسٍ يَتَّبِعُونَ إِمَامَهُمْ      وَأَنْتَ لِأَهْلِ الْمُكْرَمَاتِ إِمَامُ  
والجزء الأول؛ هو الذي أريد؛ وقال:

وَأَنَّما النَّاسُ بِالمُلُوكِ وَلَا تُد      فَلَاحِ عُرْبٍ مُلُوكُهَا عَجْمُ  
وسأتي؛ في نقد البيت (١١٣)؛ قول أبي دهب:

وَهَلْ يَسْتَقِيمُ العَيْشُ وَالدَّهْرُ اغْوَجُ؛ وقد مرَّ مناسب له؛ تحت البيت (٦٠)؛  
وقد انضرح عليه الشريف؛ بقوله:

فَلَيْسَ حَيٍّ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى ثِقَةٍ      وَالدَّهْرُ اغْوَجُ لَا يَبْقَى عَلَى حَالِ  
وفي النهج؛ من كتاب سيره الإمام؛ لعثمان بن احنف: ألا وإن لكل مأموم؛ إماما يقتدي به؛ ويستضيء بنور علمه. وسأل معاوية الاحنف عن الزمان؛ فقال: أنت الزمان؛ إن صلحت؛ فقد صلح؛ وإن فسدت؛ فقد فسد؛ ونقل السخاوي؛ عن ثالث المجالسة؛ أن رجلا قال مثله؛ لعمر ابن الخطاب.

واغن به مأخذاً للبيت؛ غير ان الأمر؛ ليس على إطلاقه في هذا الموضوع؛ بل ان القضية مشتركة؛ والأحوال مرتبطة؛ وقد قال تعالى: ﴿فِي الْإِنْعَامِ: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>؛ وذكر ابن قتيبة: أن عبد الملك بن

مروان؛ قال: انصفونا يا معشر الرعية؛ تريدون منا ان نسير بسيرة أبي بكر وعمر؛ وما تسيرون فينا؛ ولا في انفسكم؛ سيرتهما؛ نسأل الله؛ أن يعين كلا؛ على كل؛ ويروى انه قيل للحجاج: سر فينا بسيرة عمر؛ فقال: كونوا مثل أبي ذر! وما سبق عن كعب؛ يؤكد؛ وخير من بيت الشريف؛ الذي نحن فيه؛ قوله من أخرى:

وَأَيْنَ مِنَ الدَّهْرِ اسْتَمَاعُ ظَلَامَتِي      إِذَا نَظَرْتُ أَيَّامَهُ فِي المَظَالِمِ

### وأما قوله (٨٢)

وَلِلنَّفْسِ مِنْ عَجْزِ الفَتَى وَرَمَاعِهِ      زِمَامٌ إِلَى مَا يَشْتَهِي وَعِيقَالٌ

فمعناه: أن للنفس إزاء شهواتها؛ عقالا من العجز؛ وزماما من الزمام؛ فأيهما اشد؛ كان له الغلب؛ وفيه؛ أن العجز عن الشهوات؛ ليس بمذموم؛ وان كان مع القدرة افضل؛ والزمام إليها ليس بممدوح؛ ولو أنه قال: إلى عليائه؛ بدلا عن قوله: إلى ما يشتهي؛ لكان المعنى أحسن؛ اما الآن؛ فليس إلا على سمت قول المتنبي:

وَالظُّلْمُ مِنَ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ      ذَا عِفَّةٍ فَلَعَلَّهُ لَا يَظْلِمُ

وأخرى؛ وهي أن الزمام للكف؛ أكثر منه للسوق؛ كما يشهد لذلك اسمه؛ فكيف يريد منه؛ ما لا يراد؛ إلا من السوط؛ فالبيت: منزلزل الجوانب؛ واهي الدعائم وكانما أراد ان يقول؛ مثل الآيات الآتية؛ فزَلَّ به النعل؛ قال الجرهمي:

وَدُونَ النَّدى فِي كُلِّ قَلْبٍ نَنِيَةٌ      لَهَا مَضَعْدٌ حَزْنٌ وَمَنْحَدَرٌ سَهْلٌ

وقال المتنبي:

وَكُلُّ بَرِي طَرَقَ الشَّجَاعَةَ وَالنَّدى      وَلَكِنَّ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدٌ

وقال:

مَا كَلَّ مَنْ طَلَبَ المَعَالِي نَافِذًا      فِيهَا وَلَاكُلُّ الرِّجَالِ فُحُولًا

وقال أبو العتاهية:

لِكَلِّ إِمْرِي رَأْيَان رَأْيِي يَكْفُهُ  
عَنِ الشَّيْءِ اٰخِيَانًا وَرَأْيِي يُنَازِعُ  
وقال ابن الرومي:

تُنَازِعُنِي رَغْبٌ وَرَهْبٌ كِلَاهُمَا  
قَوِيٌّ وَاعْبَازِي اِطْلَاعُ الْمَغَائِبِ  
وما أحسن قول؛ عبد قيس ابن خفاف البرجمي:

وَإِذَا تَشَاجَرَ فِي فُؤَادِكَ مَرَّةً  
أَمْرَانُ فَاغْمَدْ لِأَعْرُ الأَجْمَلِ  
وقول الفرزدق:

وَلَا نَجَحَ فِي هِمِّ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ  
زِمَاعٌ وَحَلٌّ لِلصَّرِيْمَةِ مُخَصِّدُ  
وقوله:

لِكَلِّ إِمْرِي نَفْسَانُ نَفْسٍ كَرِيْمَةٍ  
وَآخَرَى يُعَاصِبُهَا الْفَتَى وَوُطِئَهَا  
وقد مر في المضاء؛ ما يكفي؛ تحت جملة من الأبيات؛ ويأتي؛ ولا سيما  
في شرح البيت (١٤٠)؛ ماله به؛ اتصال.

### وأما قوله (٨٣)

فَلَا تَسْمَعَنَّ حَاسِدٍ مَا يَقُولُهُ  
فَأَكْثَرُ أَقْوَالِ الوُشَاةِ مُحَالٌ

فقد رجع فيه إلى الحق؛ الذي تجاوزه في البيت (١٣)؛ ولو انه نقل التسوير  
بكل من هناك؛ إلى هنا؛ لكان اقرب إلى الصواب وانسب؛ بقوله؛ فلا تسمعن؛  
إلى آخره؛ ومن عهد الإمام للأشتر؛ كما في النهج؛ ولا تعجلنَّ على تصديق  
ساع؛ فإنَّ الساعي غاشٌّ؛ وإنَّ تَشَبَّهُ بالناصحين؛ قال شارحه؛ وقال عبد الملك بن  
صالح؛ لجعفر بن يحيى؛ وقد خرج يودَّعه إلى خراسان؛ أحب منك أيها الأمير؛  
أن تكون كما قال كثير<sup>(١)</sup>؛

وَكُونِي عَلَى الوَاشِيْنَ لِدَاءِ شِغْبَةٍ  
كَمَا أَنَا لِلوَاشِيِ الدُّشْغُوبِ



قال<sup>(١)</sup>: بل أكون؛ كما قال الآخر:

وَإِذَا الْوَأْشِي وَشَى يَوْمًا بِهَا      نَفَعَ الْوَأْشِي بِمَا جَاءَ يَضُرُّ  
وقال العباس بن الاحنف:

مَا حَطَّكَ الْوَأْشُونَ مِنْ رُتْبَةٍ      كَلًّا وَلَا ضَرَّكَ مُغْتَابُ  
وقال حبيب:

وَمَنْ يَأْذُنْ إِلَى الْوَأْشِينَ تُسَلِّقْ      مَسَامِعَهُ بِالسِّنِيَةِ جِدَادُ  
وقال المعري:

أَعْنَدِي وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ خَفِيَّةٍ      يُصَدِّقُ وَاشٍ أَوْ يُخَيِّبُ نَائِلُ  
على ان تكذيب الواشي؛ لايحتاج إلى ممارسة الخفيات؛ وقد جاء في

الحديث: «لا شهادة لذي ظنة»<sup>(٢)</sup>؛ وعليه الفقهاء؛ في الشهادات؛ وقال كثير:

فَيَا عَزُّ إِنْ وَاشٍ وَشَى بِي عِنْدَكُمْ      فَلَا تُنْمِهُلُوهُ أَنْ تَقُولُوا لَهُ مَهْلًا  
كَمَا لَوْ وَشَى وَاشٍ بِعِزَّةٍ عِنْدَنَا      لَقُلْنَا تَرَحَّرْخْ لَا قَرِيبًا وَلَا أَهْلًا  
وقال:

وَسَعَى إِلَيَّ بِعَيْبِ عِزَّةٍ نِسْوَةٌ      جَعَلَ إِلَهُ خُدُودَهُنَّ نِعَالَهَا  
وقال:

وَمَا زَادَهَا الْوَأْشُونَ إِلَّا كِرَامَةً      عَلَيَّ وَوَدًّا فِي الْقُلُوبِ مُوقَرًا  
وقال الحارث المخزومي:

إِنَّ الْوَأْشَاءَ كَثِيرٌ إِنْ أَطَعْتُهُمْ      لَا يَرْقُبُونَ بِنَا إِلَّا وَلَا ذِمَّامَا  
وقال أبو الطيب: لإم ظماعة الغاذل؛ وطلب رجل أن يُسارَّ عبد الملك؛

(١) أي: فقال يحيى بن جعفر.

(٢) ذو الظنة هو ذو التهمة.

فقال لأصحابه: إن شئتم؛ وكانت تلك كلمته التي يشير بها على جلوسه؛ ليقوموا؛ فقاموا؛ فلما تهيأ الرجل للكلام؛ قال له: إِيَّاكَ ان تمدحني؛ أو تكذِّبني؛ أو تشيء بأحد إليّ؛ وإن شئت اقلتك؛ قال: بل أقلني! وسعى رجل؛ بآخر؛ إلى عمر بن عبد العزيز؛ فقال له: إن شئت نظرنا في امرك؛ فإن كذبت؛ فأنت من قوله تعالى: ﴿هَآئِزْ مَسَّامٍ بِنَبِيٍّ﴾<sup>(١)</sup>؛ فقال له؛ أقلني؛ قال: على أن لا تعود؛ ومعلوم: أن هذا لا يقبل؛ على علاته؛ لأن من واجب الملوك؛ فمن دونهم من الولاة؛ بث الأرصاء<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو الأسود:

لَا تَقْبَلَنَّ نَوْمَةً مِنْ قَائِلٍ      وَتَحْفَظَنَّ مِنَ الَّذِي أَنْبَاكَهَا  
إِنَّ الَّذِي أَهْدَى إِلَيْكَ نَمِيمَةً      سَيْنِمٌ عَنْكَ بِمِثْلِهَا قَدْحَاكَهَا

فالاتفاق واقع؛ على رد كلام الواشي والعدو؛ ولا أثر لاحتمال صدقه للثمة؛ إلا ان بعض المحبين؛ قد يهواه؛ لما فيه من ذكر الحبيب؛ قال أبو الشيص الخزاعي<sup>(٣)</sup>:

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً      مِنْ أَجْلِ ذِكْرِكَ فَلَيْلُمْنِي اللَّوْمُ  
ونقضه أبو الطيب؛ بقوله:

أَجِبُّهُ وَأَجِبُّ فِيهِ مَلَامَةً      إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

وأما قوله (٨٤)

فَلَيْسَ بِأَيُّفِ الْإِحْسَانِ فِي مَلِكٍ      حَتَّى يُؤَلِّفَ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

(١) سورة القلم، الآية: ١١.

(٢) بعد هذا الجملة جزء من المخطوطة غير واضح فلم أورده.

(٣) أبو الشيص الخزاعي هو محمد بن علي الخزاعي وهو ابن عم دعبل الخزاعي. شاعر من أهل الكوفة غلبه على الشهرة معاصراه صريح الغواني وأبو نواس ولقبه أبو الشيص؛ وهو وصف للنخلة إذا لم يكن لها نوى. فقد بصره في آخر عمره، قتل سنة ١٩٦هـ.

فبيت ثقيل؛ اذ لا بد للإحسان؛ من ائتلاف القول والعمل؛ لكل انسان؛  
فالتقييد بالملك؛ ليس إلا من ضرورة الوزن؛ فيما أخال؛ ما لم يكن له مبرر من  
واقع الحال؛ وقد قال أبو تمام:

لَا يَطْمَعُ الْمَرْءُ أَنْ يَجْتَابَ عَمْرَتَهُ بِالْقَوْلِ مَا لَمْ يَكُنْ جِسْرًا لَهُ الْعَمَلُ  
وقال:

وَأَقْلُ الْأَشْيَاءِ مَحْضُورُ نَفْعِ صِحَّةِ الْقَوْلِ وَالْفِعَالِ مَرِيضُ  
وقال البخيري:

فَالْفِعْلُ فَوْقَ الْقَوْلِ إِنْ فَاضَ فِي عَارِفَةٍ وَالْجُودُ فَوْقَ الْجِدَّةِ  
وقال المتنبي يمدح: كَرِيمُ السَّجَايَا يَسْبِقُ الْقَوْلَ بِالْفِعْلِ.  
وقال يذم:

جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمْ مِنْ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ  
وهو؛ من قول حبيب:

مُلْقِي الرَّجَاءِ وَمُلْقِي الرَّحْلِ فِي نَفْرِ الْجُودِ عِنْدَهُمْ قَوْلٌ بِلا عَمَلٍ  
وكلاهما مر؛ تحت البيت (١٢)؛ وما انتقدناه؛ من التخصيص بالملك؛ لا  
يضره؛ أن الكذب اقبح بالملوك؛ من غيرهم؛ ولذا جاء؛ في صحيح مسلم بن  
الحجاج؛ مرفوعاً: «أبغض الخلق إلى الله ثلاثة شيخ زان وعائل مستكبر وملك  
كذاب»<sup>(١)</sup> وكان الأولى بالشريف؛ أن يقول:

وَلَيْسَ يَأْتِلِفُ الْإِحْسَانَ فِي رَجُلٍ بَلَّةَ الْمُلُوكِ بِغَيْرِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

(١) أخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم  
القيامة ولا يزكهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل  
مستكبر». ورواه البزار بإسناد جيد من حديث سلمان رضي الله عنه ولفظه: قال رسول الله ﷺ:  
«ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشيخ الزاني، والإمام الكذاب، والعائل المزهو» العائل هو  
الفقير، والمزهو هو المعجب بنفسه المتكبر.

أو لفظاً أعذب من هذا؛ يجمع المعنى؛ وقال عبد الله بن همام السلولي؛  
 يخاطب النعمان بن بشير؛ وكان أمير الكوفة؛ من قبل معاوية:  
 إِذَا نَضَبُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسِنُوا      وَلَكِنَّ حُسْنَ الْقَوْلِ خَالَفَهُ الْفِعْلُ  
 وَدَمُّوا لَنَا الدُّنْيَا وَهُمْ يَرْضَعُونَهَا      أَقَاوِيقُ حَتَّى مَا يَدِيرُ لَهَا ثِعْلُ  
 وأخرج البيهقي؛ في دلائل النبوة؛ أن رجلين؛ تبايعاً عند عبد الله بن عمر؛  
 واحدهما يكثر الحلف؛ فمر عليهما رجل؛ فوعظ؛ وقال في كلامه: ولا يكون في  
 قولك؛ فضل على فعلك؛ وهذا موضع الشاهد؛ ثم انصرف؛ فكانوا يرون؛ أنه  
 الخضر؛ أو إلياس.

### وأما قوله (٨٥)

كُلُّ حَبِيبٍ أَبْدَأُ      أَيَّامُهُ قَلَائِلُ

فإنما أن يكون معناه: أن أيام الوصال قليلة؛ في سائر الأزمان؛ لأن  
 الأغلب؛ الفراق والهجران؛ كما سبق تحت البيت (١٤)؛ وإما أن يكون معناه:  
 أن المحبين؛ لا يحسون بمرور أيام الوصال؛ لطبيها؛ ومنه قول جرير:

وَلَيْلٌ كَأَيَّامِ الْقَطَاةِ مُرَيِّنٌ      لَدَيْ صِبَاهِ عَالِبٍ لِي بَاطِلَةٌ

وقول بشر بن عبد الرحمن الانصاري:

وَقَصِيرَةُ الْأَيَّامِ وَدُجَلِيْسِيهَا      لَوْبَاعٌ مَجْلِسِيهَا يَفْقَدُ حَمِيمِ

وقول الضمّه بن عبيد الله:

شُهُورٌ يَنْقَضِينَ وَمَا شَعُرْنَا      بِأَنْصَافٍ لَهْنٌ وَلَا سِرَارُ

فَأَمَّا لَيْلُهُنَّ فَخَيْرٌ لَيْلٍ      وَأَقْصَرُ مَا يَكُونُ مِنَ النَّهَارِ

وقول البحري:

فَلَا تَذْكَرَا عَهْدَ التَّصَابِي فَإِنَّهُ      نَقَضَى وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ ذَلِكَ الْعَصْرُ

وقول المتنبي:

ذَكَرْتُ بِهِ وَضْلاً كَانَ لَمْ أَفْزِ بِهِ وَعَيْشاً كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَنَبَاً

وأما أن يكون اراد؛ قصر اعمار العشاق؛ فقد قال العباس بن الاحنف:

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ بُدٌّ مِنَ الرَّدَى فَأَشْرَفَ اسْبَابَ الرَّدَى سَبَبُ الْحُبِّ

وقال أبو تمام:

عَلَيْكَ سَلَامَ اللَّهِ وَقَفّاً فَإِنِّي رَأَيْتُ الْكَرِيمَ الْحُرَّ لَيْسَ لَهُ عُمُرُ

وهل يصدق المحبة؛ ويخلص الهوى؛ إلا الكرام؛ كما قررته بدلائله؛ في

العود الهندي<sup>(١)</sup>؛ وقال السلمي:

نَكَلُ طَوِيلِ الْمَجْدِ يَقْضُرُ عُمُرُهُ كَذَاكَ سِبَاعِ الطَّيْرِ أَقْصَرَهَا عُمُرَا

على مناقشة في هذا؛ فإنَّ النور؛ من سباع الطير؛ وهي اطولها اعمارا؛

ولو انه قال: عشاق الطير؛ اقصرها اعمارا؛ لأصاب! إذ أن أوفرها نصيبا من

العشق؛ العصافير؛ وهي قصيرة الاعداد؛ وأنشد الجاحظ؛ لبعض الخوارج:

فَتَوَى صَرِيحاً وَالرِّمَاحُ تَنُوشُهُ إِنَّ الشَّرَاةَ قَصِيرَةُ الْأَعْمَارِ

ومما تقر؛ يعرف اتساع البيت؛ وتوجهه لمعان متعددة؛ وذلك من البديع؛

غير ان لفظه مبتذل؛ وتركيبه عامي؛ وكأنه أراد أن يقول؛ مثل قول المتنبي:

نَسِيتُ وَمَا أَنْسَى عِتَاباً عَلَى الصَّدِّ وَلَا حَفْراً زَادَتْ بِهِ حُمْرَةُ الْحَدِّ

وَلَا لَيْلَةً قَصَّرْنَاهَا بِقُصُورَةٍ أَطَالَتْ يَدِي فِي جَنِيدِهَا صُجْبَةُ الْعِقْدِ

فقصر به الدرع؛ وأما لفظه (أبدأ)؛ فإن قلنا بالمعنى الأول؛ فقد أصابت

موضعها؛ وكانت كلفظة (حقاً)؛ في قول الأخطل:

فَأَقْسَمَ الْمَجْدُ حَقّاً لَا يُخَالِفُهُمْ حَتَّى يُخَالِفَ بَطْنَ الرَّاحَةِ الشَّعْرُ

وإلا؛ فلا داعي لها؛ سوى اضطرار الوزن.

(١) كتاب أدبي مطبوع للإمام عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف.

## وأما قوله (٨٦)

وَمَا ظَلَبُ الْبُدْلِ مِنْ بَاخِلٍ بِمَيْسُورِهِ غَيْرَ دَاءٍ عَضَالٍ

فمن قول الأعشى :

حَسْبُ الْكَرِيمِ مَذَلَّةٌ وَنَقِيصَةٌ  
 وَقَوْلُ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ :

وَلَلَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ زَبَارَةِ بَاخِلٍ  
 وَقَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ :

وَمُرَامُ الْمَفْرُوفِ صَغْبٌ إِذَا لَمْ  
 وَعَنْهُ أَخَذَ الْمُتَنَبِّيُّ ؛ قَوْلُهُ :

إِذَا الْفُضْلُ لَمْ يَرْفَعَكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ  
 وَعَلَيْهِ مَسْحَةٌ ؛ أَيْضاً ؛ مِنْ قَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ :

وَلَوْجُهُ الْبَخِيلِ أَحْسَنُ فِي  
 وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ :

وَلَا أُمْسِي لِأَهْلِ الْبُخْلِ ضَيْفًا  
 وَقَالَ آخَرُ :

وَأَنِّي لِأَرَى لِلْكَرِيمِ إِذَا عَدَا  
 وَقَالَ ابْنُ لَمَعْتَرٍ :

لَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ مِنَ الْبُخْلِ لِلْفَتَى  
 فَمِثْلُ هَذَا ؛ تَعَقَّدُ عَلَيْهِ الْخُنَاصِرُ ؛ وَلَا يَبْقَى مَعَهُ لِبَيْتِ الشَّرِيفِ ؛ نَاصِرٌ . وَقَالَ

أَبُو الْعَلَاءِ الْأَسَدِيُّ ؛ يَهْجُو الصَّاحِبَ ابْنَ عَبَادٍ :

إِذَا رَأَيْتَ غَرِيباً فِي مُرَقَّعَةٍ      يَاوِي الْمَسَاجِدَ لَيْلًا ضُرَّهُ بَادِي  
فَاعْلَمْ بِأَنَّ الْفَتَى الْمَسْكِينِ قَدْ قُدِّفَتْ      بِهِ الْخُطُوبُ إِلَى لُومِ ابْنِ عَبَّادِ  
ويحكى أن أفلاطون؛ كتب إلى أبقرط؛ قبل ان يأخذ عنه؛ يسأله عن ثلاثة  
أشياء؛ والتزم إن هو شفى في الجواب؛ ان يخدمه ويتعلم منه؛ فقال له أبقرط:  
سل! فقال: من أحق الناس بالرحمة؟ ومتى يضيع امر الناس؛ وما تتلقى به النعمة  
من الله؛ فقال: اما الأحق بالرحمة؛ فالبرُّ في سلطان الفاجر؛ والعاقل في تدبير  
الجاهل؛ والكريم يحتاج إلى اللثيم. وأما ضياع الناس؛ فإذا كان الرأي؛ عند من  
لا يُقْبَلُ منه؛ والسلاح عند من لا يستعمله؛ والمال عند من لا ينفقه. واما ما  
تتلقى به من الله النعمة؛ فكثرة الشكر، ولزوم الطاعة، واجتناب المعصية؛ فلزمه  
بعد ذلك؛ إلى أن مات. وموضع الشاهد؛ حاجة الكريم إلى اللثيم؛ وقال أبو  
تمام؛ يصف حاله؛ بمصر:

بِمَـضْرَ وَأَيِّ مَآرِيَةٍ بِمَـضْرَ      وَقَدْ شَعِبَتْ أَكَابِرَهَا شُعُوبُ  
وقال:

نَابَتْ فَلَا مَالاً حَوْنَتْ وَلَمْ أَقِمْ      فَأَمْتَعُ إِذْ فَجَعْتُ بِالْمَالِ وَالْأَهْلِ  
بَخَلْتُ عَلَى عِرْضِي بِمَا فِيهِ صَوْنُهُ      رَجَاءَ اجْتِنَاءِ الْجُودِ مِنْ شَجَرِ الْبُخْلِ  
عَصِيْتُ سَبَا حَزْمِي لِطَاعَةِ حَيْرَةٍ      دَعَيْتَنِي إِلَى أَنْ افْتَحَ الْقُمْلَ بِالْقُمْلِ  
وَابْسُطَ مِنْ وَجْهِي الَّذِي لَوْ بَدَّلْتُهُ      إِلَى الْأَرْضِ مِنْ نَعْلِي لَمَا نَقَبْتَ نَعْلِي  
وهو عكس؛ قول أبي العتاهية؛ يمدح صالحاً الشهروري:

صَدِيقٌ إِذَا مَا جِئْتُ ابْنِيهِ حَاجَةً      رَجَعْتُ بِمَا ابْنِي وَوَجْهِي بِمَا بِهِ  
وقول أبي تمام:

رَدَدَتْ رَوْنَقٌ وَجْهِي فِي صَحِيفَتِهِ      رَدَّ الصِّقَالِ بَهَاءَ الصَّارِمِ الْخَدِيمِ  
وَمَا أَبَالِي وَخَبِيرُ الْقَوْلِ اضْدَقُّهُ      حَقَّقْتُ لِي مَاءَ وَجْهِي أَوْحَقَّقْتَ دَمِي

وما أحسن قوله:

مَا مَاءٌ كَفَيْكَ إِنْ جَادَتْ وَإِنْ بَخِلَتْ مِنْ مَاءٍ وَجْهِي إِذَا أَفْنَيْتُهُ عِوَضُ

وقد مرت هذه؛ تحت البيت (١٧)؛ وبينها وبين ما قاله بمصر؛ بون بعيد؛ وتفاوت شديد؛ ولشد ما تألم حبيب؛ من مصارع أماله بمصر؛ مع انها رباع التهاني، وجماع الاماني، وسوق المعارف؛ ولكنها الحظوظ؛ على ما في الأبيات ٢٦ و ١١٠ و ١٧١؛ والارزاق؛ حسبما في البيت (١١٦)؛ وقد سئل المَقْرِي؛ صاحب نفع الطيب؛ عن حظه بمصر؛ فقال: قد دخلها ابن الحاجب؛ من قبلنا؛ فأنشد:

يَا أَهْلَ مِصْرَ وَجَدْتُ أَيْدِيَكُمْ فِي بَدْلِهَا بِالسَّخَاءِ مُنْقِضَةً  
لَمَّا عَدِمْتُ الْقِرَى بِأَرْضِكُمْ أَكَلْتُ كُنْثِي كَأَنْثِي أَرْضَهُ

على أن لا غرابة في هذا؛ لكثرة من يفوق ابن الحاجب والمقري؛ إذ ذاك بمصر؛ في العلوم؛ بخلاف ابن اوس؛ فلم يكن نَمَّ من يشق غباره؛ وما كفاها ذلك؛ حتى اقشعرت بالبحثري؛ من بعده؛ فقال:

وَقَدْ زَعَمُوا مِصْرَ مَعَانٍ مِنَ الْغِنَى فَكَيْفَ أَسْفَتْ بِي إِلَى عَدَمٍ مِصْرُ

وجرى بينه؛ وبين أحمد بن طولون؛ ما لا يقل؛ عما جرى للمتنبى مع كافور؛ وهو القائل:

إِذَا اغْتَرَضَ الْخَابُورُ دُونَ جِيَادِنَا رِعَالًا فَخَدَا ابْنَ اللَّيْمَةِ أَضْرُعُ

وعلى هذا؛ بني المتنبى قوله:

لَيْسَ تَرَكَّنَ ضَمِيرًا عَنْ مَيَامِنِنَا لِيَحْدُثَنَّ لِمَنْ وَدَّعْتَهُمْ نَدَمُ

غير ان المتنبى احترس؛ وذاك اقدح؛ وكل إناء بالذي فيه ينضح؛ فمن الغريب؛ الذي لا أفهم سره؛ الآن؛ أن تنبو مصر؛ بفحول الشعراء؛ مع اتساع صدرها؛ لمن يسع باقدامهم؛ من أهل الأدب؛ اما الحضارمة؛ فقد كان حظهم بالكنانة؛ مَهْنَى؛ وسهمهم مُعَلَى؛ من قديم الزمان إلى الآن؛ إلا أن ادبيهم وهو



شيخنا العلامة بن شهاب؛ سُقِيَ من نفس الكأس؛ التي تجرعه رفاقه؛ ونظم في  
عزير مصر؛ غرر القصائد؛ المعارضة للارتقيات؛ فلم تصادف قبولا؛ ولا نصدق  
بعدم تقديمها؛ لأنه خلاف ما يطبع عليه أكثر الشعراء. ومما يُعزَى إلى حبيب؛ وما  
رأيته في ديوانه؛ قوله:

عَطَاؤُكَ لَا يَفْنَى وَتَسْتَنْرِقُ الْمُنَى      وَتُبْقَى وَجُوهَ الرَّاعِيسِ بِمَائِهَا

وما أحسن قول؛ ابن الرومي:

أُرِيدُ مَكَانًا مِنْ كَرِيمٍ يَصُونَنِي      وَلَا فِلي رِزْقٍ بِكُلِّ مَكَانٍ

وما أذلُّ البحتري؛ في قوله:

لَنَا مَوَاقِفُ فِي أَقْنَاءِ عَرَضَتِهِ      تُهَانُ أَخْطَارُنَا فِيهَا وَتُطْرَحُ

وقال أبو الطيب:

وَأَخْذُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ      وَأَخْذُ نَوَالِ بَعْضِ الْقَوْمِ ذَامٌ

وقد أكثرت في بلابل التغريد؛ من أمثال هذا البيت؛ لرد ما قال بعض  
المفسرين؛ من تعرض الخضر وموسى؛ لسؤال السوقة من الناس؛ وقلت ما  
حاصله: انهما لم يستطعا الذين لا قوهم بدناً؛ من عامة القرية وسوقتها؛ وانما  
استطعا ملوكها؛ كما هي عادة الوجهاء؛ لا يفدون إلا على الملوك؛ قديما  
وحديثا؛ ولذا حسن العدول؛ عن المضر إلى الظاهر؛ لأن الأهل الثاني غير  
الاول؛ وبه ينحل اشكال الصفدي؛ الذي اطلال السبكي في جوابه؛ من غير  
طائل؛ ولا مجال للاستخدام؛ مع اعتراض الايهام؛ وقد جاء في شعر ذي الرمة؛  
تفضيل عطايا الملوك؛ على الموارث؛ وما كان الذي تعرض له الخضر وموسى؛  
إلا منها؛ وهل يعقل أن يتعرض موسى للسؤال؛ وقد اوحى الله إليه؛ كما رأته في  
ترجمة على المحلي؛ من خلاصة الأثر: لأن تدخل يدك في فم التنين؛ خير من  
ان تبسطها إلى غني؛ قد نشأ في الفقر؛ وفي الصحيح: لأن يحتطب أحدكم على  
ظهره؛ خير من ان يسأل رجلا؛ أعطاه أو منعه؛ أما قول الشريف: بميسورة؛  
فأشبهه بالنقطة البيضاء؛ في انسان العين؛ إذ لا معنى بها؛ سوى الخضوع لسلطان

الوزن؛ والكلام تامٌ بدونها؛ ولو انحذفت لم يتغير؛ إذ لا يتمنى من العالم بالحال؛ طلب غير الميسور؛ والبخل لا يكون بالمعدوم؛ اما الطلب من الفقير؛ ومن السائل؛ فألوانٌ أخرى؛ قال حبيب:

مَا خَلَقْتَ حَوَاءَ أَحْمَقَ لِحَبِيَّةٍ مِنْ سَائِلٍ يَرْجُو الْغِنَى مِنْ سَائِلٍ  
وما أَلَيْقَ لفظة الميسور؛ بمكانها؛ من قول ابن نباتة:

فَالآنَ لَا أَقْبَلُ الْمَيْسُورَ مِنْ رَمَنِي إِنَّ الْمُسْبَعَّ لَا يَرْضَى بِمَيْسُورٍ  
وقول أبي الطيب الآتي؛ تحت البيتين: (١١٠) و(١٧٥)؛ واعذب بها؛ في قول دعبل:

الْجُودُ يَغْلَمُ أَنِّي مُنْذُ عَاهَدَنِي مَا خُتُّهُ وَفَتَّ مَيْسُورِي وَمَغْسُورِي

### وأما قوله (٨٧)

وَأَنَّ طِرَادَ النَّفْسِ عَمَّا تَرُومُهُ أَشَدُّ عَنَاءً مِنْ طِرَادِ قَبِيلٍ

فمن قوله ﷺ: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»؛ ذكره الغزالي في الاحياء؛ وقال العراقي؛ أخرجه البيهقي؛ عن جابر؛ بإسناد ضعيف. وزعم أهل الإشارة<sup>(١)</sup>: أنَّ جهاد النفس؛ هو المراد من قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ مَأْسُورًا قَنِينُونَ الَّذِينَ يَلُوتُكُم مِّنَ الْكُفَّارِ...﴾<sup>(٢)</sup>؛ وهو اشبه بكلام الباطنية؛ ولكن لا بأس بذكره؛ للاستئناس<sup>(٣)</sup>؛ وقال الأول:

وَلَمْ تَنَمَّالِبْ شَهْوَةً وَمُرُوءَةً فَيَفْتَرِقَا إِلَّا وَلِلشَّهْوَةِ الْغُلْبُ

وأشد الجاحظ؛ وعزاه ابن قتيبة؛ لهشام بن عبد الملك:

(١) يقصد الصوفية.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٣.

(٣) يقصد مفهوم الصوفية للآية أشبه بكلام الباطنية.

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى إِلَى كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ  
وقال الأخطل:

وَإِنْ إِمْرَةٌ لَا يَنْتَنِي عَنْ غَوَايَةِ إِذَا مَا اشْتَهَتْهَا نَفْسُهُ لَجْهُوْلُ  
وقال أبو تمام:

وَعِبَادَةُ الْأَهْوَاءِ فِي تَطْوِيرِهَا بِالذِّينِ وَمِثْلَ عِبَادَةِ الْأَضْنَامِ  
ويدخل فيه ؛ كلِّمًا قيل ؛ في استحكام الطبيعة ؛ كقول الاعور :

وَمَنْ يَفْتَرِفْ خُلُقًا سِوَى خُلُقِ نَفْسِهِ يَدَعُهُ وَتَغْلِبُهُ عَلَيْهِ الطَّبَائِعُ  
وقول الآخر :

يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّي غَيْرَ شِيمَتِهِ إِنَّ السَّخْلَقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ  
وقول البحري :

وَقَدْ زَعَمُوا أَنْ لَيْسَ يَغْتَصِبُ الْفَتَى عَلَى عَزْمِهِ إِلَّا الْهَدَايَةَ وَالسُّحْرُ  
وقول أبي الطيب :

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نَسْيَانُكُمْ وَتَأْبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ  
وقوله :

وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغْيِيرًا تَكَلَّفْتُ شَيْءٌ فِي طِبَاعِكَ ضِدَّهُ

وأخرج الإمام احمد؛ عن أبي الدرداء؛ إذا سمعتم بجبل؛ زال عن مكانه؛ فصدقوا به؛ وإذا سمعتم برجل؛ زال عن خلقه؛ فلا تصدقوا به؛ فإنه يصير؛ إلى ما جُبِلَ عليه؛ قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح؛ إلا أن الزهري؛ لم يدرك أبا الدرداء.

فلا بد لرياضة النفس؛ من جهد كبير؛ وسعي حثيث؛ حسبما هو مفصل؛ في كتب الأخلاق؛ وأجمعها؛ كتاب الاحياء للإمام الغزالي.

وقال أبو العتاهية :

مَنْ كَانَ مُتَّبِعاً هَوَاهُ      فَلِأَنَّهُ لِهَوَاهُ عَبْدٌ

وقال البحري :

وَتَعَلَّمِي أَنْ إِغْتَلَا فِي حُبِّكُمْ      ذُلِّي وَأَنْ هَوَايَ فِيهِ هَوَايَ

وقال ابن الرومي :

أَغْرَى الْهَوَى كُلَّ ذِي دِينٍ فَلَسْتُ تَرَى      إِلَّا صَحِيحاً لَهُ أفعالٌ مَجْنُونِ  
هَوَى غَوِيٍّ وَشَيْطَانٌ لَهُ خِدَعٌ      مُضْلِلَاتٌ وَكَيْدٌ غَيْرُ مَأْمُونِ  
أَعْجَبَ بِهِ مِنْ غَوِيٍّ ذِي مُنَابَذَةٍ      مُضَعَى إِلَيْهِ طَوَالِ الدَّهْرِ مَرْكُونِ

وقد اختلط بعض شواهد المحبة؛ بلجاج النفس في الغواية؛ ولا بأس؛ إذ يجمعهما لفظ؛ وإن انفرد الأول؛ ببعض الثناء؛ واستقل الثاني؛ بإطلاق القبح.

### وأما قوله (٨٨)

وَأَوَّلُ لُؤْمِ الْمَرءِ لُؤْمٌ أَصُولِهِ      وَأَوَّلُ غَدْرِ الْمَرءِ غَدْرٌ خَلِيلِ

فقد تعدى في صدره؛ على قول؛ أبي عبيد العنبري؛ أحد لصوص العرب :  
وَأَوَّلُ خُبْبِ الْمَرءِ خُبْبٌ تُرَابِهِ      وَأَوَّلُ لُؤْمِ الْمَرءِ لُؤْمٌ الْحَلَالِ  
فكان جزاء وفاقا؛ لما كان عليه العنبري؛ من اللصوصية؛ في سابق  
الزمان؛ ومن شرط كل شرط؛ جزاء؛ ومن أمثالهم: كيف بغلام اعياني ابوه؛  
وقال الشاعر:

تَرْجُو الْوَلِيدَ وَقَدْ اغْيَاكَ وَالِدُهُ      فَمَا رَجَاؤُكَ بَعْدَ الْوَالِدِ الْوَلَدَا

وقال الفرزدق :

تُرَجِّي رَيْبِي أَنْ يَجِيءَ صِنَارُهَا      بِخَيْرٍ وَقَدْ اغْيَا رَيْبِي كِبَارُهَا

وقد مر هذا؛ تحت البيت (٢٧)؛ ولا معنى؛ لإولوية غدر الخليل؛ في

العجز<sup>(١)</sup>؛ ولو انه قال: وأكبر غدر المرء غدر خليل؛ لكان له نوع من الاتجاه؛  
 اما التركيب؛ فبارد غث؛ على كل حال. وبعد ان اطلت التفكير؛ في هذه  
 الاولية؛ قلت: ربما كان الشريف؛ ناظرا إلى ما كان من حواء إلى  
 آدم؛ عليهما السلام؛ فقد أخرج الشيخان وأحمد؛ من أثناء حديث: «لولا حواء؛  
 لم تكن أنثى زوجها»<sup>(٢)</sup>؛ وهو الذي أشار إليه البحرى؛ في قوله:

وَاسْتَنْزَلَ الشَّيْطَانُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ لَمَّا أَغْرَى بِهِ حَوَاءَ

وَأَمَّا قَوْلُهُ (٨٩)

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا إِذَا مَا نَظَرْتَهَا بِقَلْبِكَ أَمْ لِلْبَنِينِ نَكْوُلٌ

فيتوجه إليه من الاعتراض؛ ما يتوجّه إلى الآيات: (٣١) و(٤٣) و(٥٤) و(٧٢)؛ لأن ثكل الدنيا؛ لا بنائها؛ أظهر من كل شيء؛ ولذا انحط اعتماد  
 الشافعية؛ على انه لا يكفي لخطبة الجمعة؛ التحذير من الدنيا؛ وذكر مساوئها  
 وسرعة زوالها؛ للعلم به ضرورة؛ ولا اجتماع الموافق والمخالف عليه؛ وإنما  
 المقبول في مثل هذا؛ ما كان من جنس قول ابن الرومي:

إِنَّ إِلْيَالِي وَالْإِيَّامَ قَدْ كَشَفَتْ مِنْ كَيْدِهَا كُلَّ مَسْتَوِرٍ وَمَكْنُونٍ  
 وَخَبَّرْتَنَا بِأَنَا مِنْ فَرَائِسِهَا نَوَاطِقًا بِفَصِيحٍ غَيْرَ مَلْحُونٍ  
 أَبٌ وَأُمٌّ لِهَذَا الْخَلْقِ كُلِّهِمْ كِلَاهُمَا شَرٌّ مَقْرُونٌ بِمَقْرُونٍ  
 لِيَلْذَبِحَ مِنْ عَدَوَا مِنَّا وَمَنْ حَضَّنَا لَا بَلَّ وَمَنْ تَرَكَاهُ غَيْرَ مَحْضُونٍ  
 أَبٌ إِذَا بَرَّ أَبْلَانَا وَأَهْرَمْنَا قُبْحًا لَهُ مِنْ أَبٍ بِالدَّمِّ مَلْسُونٍ

(١) أي عجز بيت الشريف.

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لولا الحواء لم تكن أنثى زوجها الدهر». متفق عليه  
 رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء (٣١٥٢) و(٣٢١٨)، ورواه مسلم في كتاب  
 الرضاع باب: لولا حواء لم تكن أنثى زوجها الدهر (١٤٧٠) ورواه الإمام أحمد في  
 مواضع عدة من المسند.

هَذَا وَإِنْ عَقَّ فَاَلْدَوَاءُ مُعْرَضَةٌ  
وَأُمُّ سُوءٍ إِذَا مَا رَامَ مُرْتَضِعٌ  
تَجْفُو وَإِنْ عَانَقَتْ يَوْمًا لَهَا وَلَدًا  
وَنَحْنُ فِي ذَلِكَ نَضْفِيهَا مَوَدَّتَنَا  
وقال المعري:

يَا أُمَّ دَفْرِ رَعَاكِ اللُّهُ وَالِدَةٌ  
لَوْ أَنَّكَ الْعِرْسَ أَوْقَعْتَ الطَّلَاقَ بِهِ  
مِنْكَ الْإِضَاعَةُ وَالتَّفْرِيطُ وَالسَّرْفُ  
لِكَنْكَ الْأُمَّ مَا لِي عَنْكَ مُنْصَرَفٌ

وما أراه إلا مخترعا؛ في قوله؛ يصف وأد الدنيا؛ لأبنائها:

كَأَنَّ بَنِيهَا يُوَلَّدُونَ وَمَالَهَا  
حَلِيلٌ فَتَحْشَى الْعَارَ إِنْ سَمَحَتْ بِإِبْنٍ  
هذا بعض ما يتعلق بالمعنى؛ واما لفظ القسم الثاني؛ فمثل قول المتنبي:  
مُلْطِيَةٌ أُمَّ لِلْبَيْنِ تَكُولُ<sup>(١)</sup>.

### وأما قوله (٩٠)

وَأَنِّي رَأَيْتُ غَنِيَّ الْأَثَامِ إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَا عِلَاءٍ مُقَالًا

فتلك سبيل؛ ليس فيها بأوحد؛ إذ قد رأى كثير ممن قبله؛ كمثل الذي  
رأى؛ حسبا مر؛ نقد الأبيات: (١٠) و(٢٢) و(٥١)  
وقال أبو العتاهية:

إِنَّ الْبَحَّخِيلَ وَإِنْ أَفَادَ غِنَى لَتَرَى عَلَيْهِ مَخَائِلَ الْفَقْرِ  
وقال:

(١) وتكملة البيت:

وكرت فمرت في دماء ملطية  
وملطية: مدينة من بلاد الروم. يقول: إن الخيل كرت على أهل ملطية فخاضت في دمانها،  
فصارت ملطية مثل أم ثكلت أولادها.

وَلَيْسَ الْفَنَى إِلَّا غِنَى زَيْنِ الْفَتَى  
وَلَمْ يَفْتَقِرْ يَوْمًا وَإِنْ كَانَ مُعْدَمًا  
وقال:

مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَهَا  
مَنْ لَمْ يُوَأَسَّ النَّاسَ مِنْ فَضْلِهَا  
وقال حبيب:

سَاحَاتُ سُوءٍ بِحَمْدِ اللَّهِ مَيِّتَةٌ  
فِيهَا الْعُلَى حَيَّةٌ فِيهَا الدَّنَائِرُ  
وقال:

لَا يُحْسَبُ الْإِفْلَاقُ عُدْمًا بَلْ يُرَى  
وقال أبو الطيب:

وَرَبَّ مَالٍ فَقِيرٌ مِنْ مُرَوِّتِهِ  
وقال: وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ؛ وقد اجتمع في هذا الشطر؛ جميع ما في بيت الشريف؛ إلى ما فيه؛ من الضعف والانحلال.

وقال بعض شعراء الحماسة:

إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ الْغِنَاءَ لَمْ تُجِدْ  
بِفَضْلِ الْغِنَاءِ الْفَيْتَ مَا لَكَ حَامِدُ  
ويعجبني قول الشريف؛ من قصيدة له شاعرة؛ سبق بعضها؛ وأواخر المقالة الثانية:

وَلَمْ أَرَ كَالرَّجَاءِ الْيَوْمَ شَيْئًا  
تَذِلُّ لَهُ الْجَمَاجِمُ وَالرِّقَابُ  
وَبَعْضُ الْعُدْمِ مَائِرَةٌ وَفَخْرُ  
وَبَعْضُ الْمَالِ مَنْقُصَةٌ وَعَابُ  
فمثل هذا بحق؛ له الاختيار؛ لأنه من القصائد الموفقات؛ لا ما يتعلل به زكي<sup>(١)</sup>؛ من الأبيات الملفقات.

(١) زكي مبارك الذي ألف هذا الكتاب للرد عليه.

## المقالة السادسة

## وأما قوله (٩١)

النَّفْسُ أَعْدَى عَدُوِّ أَنْتَ حَاذِرُهُ وَالْقَلْبُ أَعْظَمُ مَا يُبْلَى بِهِ الرَّجُلُ

فمن قول عبيد العنبري<sup>(١)</sup>:

يَعْدُوُّ الْفَتَى أَعْدَاءَهُ وَصَدِيقَهُ وَنَفْسُ الْفَتَى أَعْدَى عَدُوِّ يُحَاوِلُهُ

وفي الحديث: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»<sup>(٢)</sup>؛ وقد مر ما يتعلق به؛ تحت البيت (٨٧).

وقال سابق البربري<sup>(٣)</sup>:

وَهَجْرُ الْهَوَى لِلْمَرْءِ فَاغْلَمَ سَعَادَةً وَطَوَّلَ الْهَوَى رَيْنَ عَلَى الْقَلْبِ رَائِنُ

وقال العباس بن الاحنف:

قَلْبِي إِلَى مَا صَرَّرَنِي دَاعِي  
كَيْفَ احْتَرَّاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا  
يُكْثِرُ اخْرَازِنِي وَأَوْجَاعِي  
كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ اضْلَاعِي

(١) عبيد بن أيوب العنبري، من شعراء العصر الأموي. كان لصاً حاذقاً. أباح السلطان دمه، ويرى منه قومه، فهرب في مجاهل الأرض، واستصحب الوحوش، وأنس بها، وذكرها في أشعاره. وكان يزعم أنه يرافق الغول والسحلاة وبيات الذئاب والأفاعي.

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك». حديث ضعيف.

(٣) سابق بن عبد الله البربري الرقي. فقيه ومحدث وأحد شعراء الزهد في العهد الأموي أخذ الشعر عنه وتلمذ له أبو العتاهية.



وقد سبق تحت البيت (٨٧)؛ قول أبي تمام:

وَعِبَادَةُ الْأَهْوَاءِ فِي تَطْوِيحِهَا      بِالذِّينِ فَوْقَ عِبَادَةِ الْأَضْنَامِ

وقال ابن دريد:

وَأَفَةُ الْعَقْلِ الْهَوَى فَمَنْ عَلَى      عَلَى هَوَاهُ عَمَلُهُ فَقَدْ نَجَا

وقال سهل بن هارون<sup>(١)</sup>:

وَكُنْتُ غِرًّا بِمَا تَجْنِي عَلَيَّ يَدِي      لَا عِلْمَ لِي أَنْ بَعْضِي بَعْضُ أَعْدَائِي

وقال البحتري:

وَلَسْتُ اِعْجَبُ مِنْ عَضِيَانِ قَلْبِكَ لِي      عَمْدًا إِذَا كَانَ قَلْبِي فِيكَ يَعْصِينِي

وقال المعري:

وَالنَّفْسُ شَرٌّ مِنَ الْأَعْدَاءِ كُلِّهِمْ      وَإِنْ خَلَّتْ بِكَ يَوْمًا فَاحْتَرِزْ فَرَقًا

وقال:

وَالْمَرْءُ يُغَيِّبُهُ قُوْدُ النَّفْسِ مُضْحَبَةً      لِلتَّخِيرِ وَهُوَ يَقُوْدُ الْعَسْكَرَ اللَّجْبَا

وإذا أوزنا بيت الشريف؛ ببיתי المعري؛ وجدنا: أولهما اتفه؛ وثانيهما

أرجح؛ بل وفوق الرجحان؛ وفي النيج: واعلم: إنك إن لم تردع نفسك؛ عن

كثير مما تحب؛ مخافة مكروهة؛ سمت الاهواء إلى كثير من الضرر. وفي حفطي

عن أمالي الزجاجي والمرتضي؛ لمن لا اذكره الآن:

يَحُبُّ الشَّيْءَ ثُمَّ نَصِدُّ عَنْهُ      كَرَاهَةً أَنْ يَكُونَ بِهِ مَقَالٌ

مَخَافَةَ أَنْ يُقَالَ لَنَا فَنَحْزَى      وَنَعْرِفَ مَا تُسَبُّ بِهِ الرِّجَالُ

(١) مترجم وفيلسوف وأديب عراقي. توفي ٨٣٠م. ولد قرب البصرة في أسرة فارسية الأصل

ونشأ فيها وفي بغداد، ثم خدم يحيى البرمكي، وخلفه على ديوان بغداد بعد قتله. ولي مكتبة

المأمون، ثم بيت الحكمة البغدادية. وهو أديب وقصاص وشاعر، وقد حاول تقليد ابن

المفجع في كتابه كليله ودمنة فألف قصصا كثيرة على غرارها توفي ٨٣٠م.

وقال حاتم:

فَبِإِنَّكَ إِنْ أَعْطَيْتَ بَطْنَكَ سُؤْلَهَا      وَفَرَجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الدَّمِّ أَجْمَعَا  
وقد تمثل به؛ أمير المؤمنين علي؛ كرم الله وجهه؛ في مناسبة اصارت إليه؛  
وقال العباس المبرّد:

أَقُولُ لِلنَّفْسِ وَعَاتِبَتَهَا      عَلَى التَّصَابِي مِائَتِي مَرَّةً  
يَا نَفْسُ صَبْرًا عَنْ ظِلَالِ الْهَوَى      مَا كُلُّ يَوْمٍ تَسْلَمُ الْجَرَّةُ

وأما قوله: (٩٢) و(٩٣) و(٩٤) و(٩٥)

|   |                                       |
|---|---------------------------------------|
| عَادَةٌ لِلزَّمَانِ فِي كُلِّ يَوْمٍ        | يَتَنَاءَى خِلٌّ وَتَبْكِي طُلُوبٌ    |
| فَاللِّيَالِي عَوْنٌ عَلَيْكَ مَعَ الْبَّ   | مِنْ كَمَا سَاعَدَ الذَّوَابِلَ طُوبٌ |
| هِيَ دُنْيَا إِنْ وَاصَلْتَ ذَا جَفَتْ هَبْ | ذَا مِلاَ كَأَنَّهَا عَظْبُوبٌ        |
| كُلُّ بَاكِ يُبْكِي عَلَيْهِ وَإِنْ ظَ      | الَ إِوَاءُ وَالشَّاكِلُ الْمَنكُوبُ  |

فكلها أبيات عادية؛ لا توضع منها اليد؛ على شيء جديد؛ وليس فيها من الملاحه؛ ما يخرج المعاني عن الابتذال؛ اما أولها؛ فقد مر في شرح الأبيات ٤٦ و ٦٠ و ٦٤ و ٧٤؛ ما يناسبه؛ وهو من الاشتراك؛ في غنى عن ذكر الاشباه والنظائر؛ ولكن لما يوهمه كلام الأستاذ؛ من إدعاء الاختراع؛ أو حسن الاتباع؛ نذكر ما ينقضه؛ قال أبو العباس المبرّد: إن علي عليه السلام؛ تمثّل عند قبر فاطمة بقوله:

لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ      وَكُلِّ الَّذِي دُونَ الْفِرَاقِ قَلِيلٌ  
وَإِنَّ افْتِقَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ      دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدُومُ خَلِيلٌ

وقال أبو تمام:

سَقْتَهُ دُخَانًا عَادَةً الدَّهْرِ بَيْنَهُمْ      وَسُمُّ اللَّيَالِي فَوْقَ سُمِّ الْأَسَاوِدِ

وقال:

حَكَمْتُ لَأَنْفُسِهَا اللَّيَالِي أَنَّهَا      أَبَدًا تُفَرِّقُنَا وَلَا تَتَفَرِّقُ

وقال من قبله؛ عوف بن محلم:

أَفِي كُلِّ عَامٍ غُرْبَةٌ وَتُرُوحٌ      أَمَا لِلنَّوَى مِنْ وَتَبَةٍ فَتَرِيحٌ

غير ان الشريف؛ كَثُرَ مَا قَلَّهٗ محلم؛ فجعل العام يوما؛ وأما ثانيها؛ فمن

قول الإمام<sup>(١)</sup>: حسدة الرخاء؛ وموكدوا البلاء؛ وقول أبي الطيب:

وَكَأَنَّ لَمْ يَرْضَ فِينَا بِرَيْبِ الدَّهْرِ      رِحَتِي أَعَانَهُ مَنْ أَعَانَا

كَلَّمَا انبَتَ الزَّمَانُ قَنَاةً      رَكِبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاةِ سِنَانَا

وقد أصاب البيتان مخرا<sup>(٢)</sup> من الشريف؛ فتولع بهما؛ ولم يكتف بهذا

الأخذ؛ حتى انقضَّ عليهما مرة أخرى؛ في قوله:

وَأَهْوَنَ شَيْءٍ فِي الزَّمَانِ حُطُوبُهُ      إِذَا لَمْ يِعَاوِنَهَا الْعَدُوُّ الْمُعَانِدُ

وفي عجز البيت؛ الذي نحن فيه؛ نظر حديد؛ إلى قول البحرني:

نَسَبٌ كَمَا اطَّرَدَتْ كُغُوبٌ مُثَقَّفِ      لِدِينِ يَزِيدَكَ بَسْطَةً فِي الطُّولِ

والقسم الثاني؛ هو المراد؛ وأما ثالثها؛ فقريب مما كان يتمثل به الحسن

البصري؛ من قوله:

الْيَوْمَ عِنْدَكَ دَلَّهَا وَحَدِيثُهَا      وَغَدًا لِتَغْبِرَكَ كَفَّهَا وَالْمِعْصَمُ

وقول الحارث بن حلزة:

رُبَّمَا قَرَّتْ عُيُونٌ بِشَجَا      مَرْمَضٍ قَدْ سَخِنَتْ مِنْهُ عُيُونُ

وقول أبي العتاهية:

(١) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) مخر البيت: أخذ خيار متاعه.

مَوْتُكَ بَغْضَ النَّاسِ فِي الْأَزْ  
ضِ عَلَيَّ بَغْضِ نُفُوحِ  
وقال الآخر:

لَا كَانَ يَوْمَ الْفِرَاقِ يَوْمًا  
شِئْتَ مِنِّي وَمِنْكَ شَمْلًا  
وقول حبيب:

مَا إِنْ تَرَى شَيْئًا لِشَيْءٍ مُّحِبًّا  
حَتَّى تُلَاقِيهِ لِأَخْرَاقَاتِلَا  
وأحسن سبكه؛ المتنبى؛ فاستحقه على الجميع؛ بقوله:

بِذَا قَضَتْ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا  
مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ قَوَائِدُ  
فلقد استولى على الأمد؛ فلم يحصل الشريف؛ إلا على خياشيم الجزور؛  
والتافه المنزور؛ وفي قوله: كأنها عطبول؛ نظر إلى قول المتنبى:

شِبْمُ الْغَانِيَاتِ فِيهَا فَمَا أَدْرِي  
لِذَا أَنْتَ اسْمَهَا النَّاسُ أَمْ لَا

وأما رابعها؛ ففي النهج؛ وخطب ابن نباته؛ من أمثاله الشيء الكثير؛ ولا يزال يطن في آذاني؛ قولهم: لا بد للغاسل ان يكون مغسولاً؛ وللحامل ان يكون محمولاً؛ بدون ان أثبت له؛ الآن؛ محلاً أو قائلاً؛ وفي النهج: أيها الذام للدنيا والمغتر بغرورها؛ متى استذممت إليك؛ بل متى غرتك؛ ابمضاجع آبائك من الثرى؛ أم بمنازل امهاتك من البلاء؛ كم مرضت بكفيك؛ وكم عالجت بيديك؛ تبتغي لهم الشفاء؛ وتستوصف الاطباء؛ مثلت بهم لك الدنيا نفسك؛ وبمصارعهم مصارعك. قال المرتضى بعد ذكره: وهذا باب واسع؛ إن ولجناه؛ اغترفنا من ثبج بحر زاخر؛ أو شؤب غمام ماطر؛ إذ كل قول في هذا الباب؛ لقائل؛ إذا أُضِيفَ إلى كلام الإمام؛ أو قُوبِسَ به؛ كان كإضافة القطرة إلى الغمره؛ أو الحصاة إلى الحرة؛ وكان أبو بكر رضي الله عنه؛ كثيراً ما ينشد: لا تزال تنعى ميتاً؛ حتى تكونه؛ وقال حبيب:

إِنْ كَانَ رَبُّ الدَّمْرِ أَنْكَرَ نَبِيَّكُمْ  
فَالْمَوْتُ أَيْضاً مَيْتٌ مِّنْكُمْ

وقال البحرني:

وَمَتَى وَجَدْتُ النَّاسَ إِلَّا تَارِكًا  
لِحَبِيبِهِ فِي الشُّرْبِ أَوْ مَثْرُوكًا

وقال نهشل بن جري:

أُنَاسٍ صَالِحُونَ نَشَأَتْ فِيهِمْ  
مَضَاوٍ لِسَبِيلِهِمْ وَلَبِثْتُ عَنْهُمْ  
أَرَى الدُّنْيَا وَنَحْنُ نَعِيشُ فِيهَا  
فَمَا الدُّنْيَا بِبَاقِيَةٍ لِحَيِّ  
فَبَادُوا بَعْدَ الْفِئِ وَأَتَسَاقِ  
وَلَكِنْ لَا مَحَالَةَ مِنْ لِحَاقِ  
مَوْلِيَّةٍ تَهَيَّأُ لِانْطِلَاقِ  
وَلَا حَيِّ عَلَى الدُّنْيَا بِبَاقِي

وأما قوله (٩٦)

تُؤْمَلُ أَنْ تُرَوَى مِنَ الْعَيْشِ وَالرَّدَى  
شُرُوبُ الْأَعْمَارِ الرَّجَالِ أَكْوَلُ

فلا حاجة في اوله؛ إلى مثال؛ لشدة ظهوره؛ وقال أبو العتاهية:

تُؤْمَلُ فِي الْأَرْضِ طُولَ الْحَيِّ  
سَاءَ وَعُمُرُكَ يَزْدَادُ فِيهَا قِصْرُ  
وقال:

تَطْلُبُ الرَّاحَةَ فِي دَارِ الْمَنَا  
صَلَّ مَنْ يَطْلُبُ شَيْئًا لَا يَكُونُ  
وقال:

تَرِيدُ الْأَمْنَ فِي دَارِ الْبَلَابَا  
وَمَنْ يَنْفَكُ مِنْ حَدْبِ يَرُوعُ  
وقال:

وَأَتَى وَإِنْ أَصْبَحْتَ بِالْمَوْتِ مُوقِنًا  
فَلِي أَمَلٌ دُونَ الْيَقِينِ طَوِيلُ  
وقال البحرني:

وَمَا لَبْتُ مَنْ يَغْدُو وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ  
كَفَانًا إِعْتَرَفًا بِالْمَنَا وَانْتِظَارَنَا  
لَهُ أَجَلٌ مِنْ مُدَّةِ الْعُمُرِ قَاتِلُ  
لِمَكْرُوهِهِ أَنْ لَيْسَ لِلْخُلْدِ أَمَلُ

وقال:

الْمَرْءُ لَوْ كَانَتْ الشُّعْرَى لَهُ وَطَنًا      حَطَّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبٍ

ومما يحق له الاختيار؛ في المعنى؛ قول الشريف:

وَهَذَا الْمَوْتُ لِأَزْمَةٍ قَوَاهُ      لِزُومِ الْعَهْدِ اغْنَاكَ الْبَرَائَا

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ عَازٍ      لَهُ الْمِرْبَاعُ مِنَّا وَالصَّفَايَا

فلقد أخرجه عن الابتدال؛ بهذه الاستعارات البديعة؛ وما أحسن ما كُنِّيَ  
عن سلطانه واعتيامه الكرام؛ بالصفايا والمرباع؛ فانه من اشرف الإبداع؛ فله  
الفضل على قول حبيب:

وَكَذَا الْمَنَائَا مَا يَطَانُ بِمَنَسِيمٍ      إِلَّا عَلَى اغْنَاكِ أَهْلِ السُّودِ

وأما عجز بيت الشريف؛ الذي نحن في نقده؛ فقد أخذ لفظه؛ من قول

المتنبي:

أَعْرَكُمُ طَوْلُ الْجِيُوشِ وَعَرَضُهَا      عَلَى شَرُوبِ لِلرِّجَالِ أَكُولُ

أو من قول ابن هاني:

حَتَّى إِذَا ارْتَمَصَ الْقَنَا وَتَلَمَّظَتْ      حَرْبُ شَرُوبِ لِلنَّفُوسِ أَكُولُ

وإعجاز البيتين هما المراد على ان رشيق يقول في عمدته<sup>(١)</sup>: ربما يعد  
سرقا وليس بسرقة اشتراك اللفظ المتعارف.

### وأما قوله (٩٧)

وَمَوْتُ النَّفْسِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ      إِذَا جَاوَزَ الْأَيَّامَ وَهَيَّوْ ذَلِيلُ

فقد اجتمع معناه؛ في شطر بيت لابن ميادة؛ وهو قوله: وللموت خيرٌ من

(١) أبو علي الحسن بن رشيق أحد أفاضل البلغاء له كتاب العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده  
وعيوبه توفي سنة ٤٥٦هـ.

حَيَاةَ ذَمِيمَةٍ؛ وتماهه: وللبخلُ شرٌّ مِنْ عَنَاءِ مُطَوَّلٍ. وقال عوف بن القوافي<sup>(١)</sup>:  
 أَقْوَلُ لِفَيْثِيَانِ كِرَامٍ تَرَوَّحُوا عَلَى الْجَرْدِ فِي أَقْوَاهِنِ الشَّكَايِمِ  
 قَفُوا وَقَفَّةً؛ مَنْ يَحْيَى لَا يَخْزُ بَعْدَهَا وَمَنْ يَخْتَرِمَ لَا تَتَّبِعُهُ اللُّوَائِمُ  
 وقد أنشدها المفضل الضبي<sup>(٢)</sup>؛ لابراهيم بن عبد الله بن الحسن<sup>(٣)</sup>؛ فتمطى  
 في ركابه؛ وقطعهما؛ وانغمس في القوم؛ يفرقهم ذات اليمين وذات الشمال؛  
 حتى قُتِلَ؛ في قصة طولى؛ ذكرت بعضها في العود الهندي.

وأشدها الهمداني<sup>(٤)</sup>؛ المتوفي سنة ٣٩٥هـ؛ في كتابه الألفاظ الكتابية:  
 وَمَوْتُ الْفَتَى لَمْ يُعْطَ يَوْمًا خَسِيفَةً<sup>(٥)</sup> اعْفُ وَاغْنَى فِي الْأَنَامِ وَالْكَرَمِ  
 وقال أبو الطيب:

دَلَّ مَنْ يَغْبُطُ الذَّلِيلَ بِعَيْشِ رَبِّ عَيْشٍ اخْفُ مِنْهُ الْجَمَامُ  
 وقال:

عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفَقِ الْبُنُودِ  
 وما أمجد؛ وأبدع؛ قوله:

(١) عوف بن معاوية بن عقبة لقب عوف القوافي بيت شعر قاله من سكان الكوفة ومن أشرف بني حذيفة بالكوفة في العهد الأموي وفد دمشق لمدح الأمراء والوجهاء وتوفي سنة ١٠٠هـ.  
 (٢) علامة ولغوي من علماء القرن الهجري الثاني واحد رواة الشعر والأخبار وأيام العرب قدم إلى بغداد أيام هارون الرشيد وهو صاحب كتاب المنفصليات وهو أقدم مجموعة في مختارات الشعر العربي توفي سنة ١٧٨هـ.

(٣) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ذهب إلى البصرة ودعى إلى خلافة أخيه محمد النفس الزكية المقيم بالمدينة وتولى البصرة لآخيه حتى قتل أخيه في أول شوال من سنة ١٤٥هـ فانفذ إليه أبو جعفر المنصور جيشا يقوده عيسى بن موسى فقتل في المعركة بعد انتصاره في البداية وكان الإمام أبو حنيفة يؤيده سرا وقيل إن ذلك كان سبب موته من قبل أبو جعفر المنصور في أول الحجة من سنة ١٤٥هـ.

(٤) بديع الزمان الهمداني صاحب المقامات سبقت ترجمته.

(٥) الخيفة: النقيصة.

وَسُرُّ الْجَمَامِينَ الرَّؤَامِينَ عَيْشَةً      يَذِلُّ الَّذِي يَخْتَارَهَا وَضَامٌ  
 فمثل هذا؛ لو صُرِفَ؛ بِغَرِّ نَوَادِرِ الشَّرِيفِ؛ لاسْتَحَقَّ مَائَةً؛ إِنْ أَرَحَصْنَا؛  
 وَمَا بِالْكَ إِذَا أَغْلَيْنَاهُ؛ فَأَيْنَ يَذْهَبُ بِالْأَسْتَاذِ<sup>(١)</sup>؛ مِنْ أَمْثَالِهِ؛ الَّتِي لَا تَحْصَى كَثْرَةً؛  
 حَتَّى يَهْضُمَهَا؛ مَعَ إِنِّهَا؛ لَا يُوَازِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الشَّرِيفِ؛ وَلَا غَيْرِهِ؛ وَإِنَّمَا  
 يَقْدُرُونَ عَلَى مِثْلِ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ؛ مِنَ الْآخَرَى؛ إِنَّ الْمَنِيَّةَ عِنْدَ الذَّلِّ قَنَدِيدٌ<sup>(٢)</sup>؛  
 وَقَوْلُهُ:

وَلَحَحْتَفٌ فِي الْعِرْزِ يَذْنُو مُحَبُّ      وَلَعُمْرٍ يَطْوُلُ فِي الذَّلِّ قَالِي  
 أما قول أبي تمام:

مَثَلُ الذَّلِّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَالْمَوْتُ      وَكُلًّا رَأَى حَظْبًا جَسِيمًا  
 ثُمَّ صَارَتْ بِهِ الْمَنْبَةُ قُدْمًا      فَأَمَاتَ الْعِدَا وَمَاتَ كَرِيمًا

فقد مسخ بهما بيتين أسلفناهما؛ تحت البيت (٥٠)؛ لبشامة بن عمرو؛  
 وزعم ابن الأثير؛ قوله: فامات العدا؛ زيادة حسنة؛ ولو انه قال: فاباد العدا؛  
 لكان صحيحاً؛ أما لفظة أمات؛ فإنها غثة باردة مبغوضة؛ وما كان استحسانها عند  
 ابن الأثير؛ إلا عن ذوق فاسد؛ وإنما حَسُنَ موقعها في التنزيل؛ لإضافتها إلى  
 ضمير المفرد؛ فخفت على أسلَّةِ اللسان؛ بخلافها عند حبيب؛ فقد جاءت مقرونة  
 إلى ظاهر؛ آلة التعريف فيه قمرية؛ فجاءت كَرَّةً ثَقِيلَةً؛ وذكر غير واحد؛ منهم  
 البكري في معجمه؛ أنَّ الحسين كان يتمثل في كربلاء؛ بقوله:

لَعَمْرُكَ مَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى      إِذَا مَا نَوَى حَقًّا وَجَاهِدَ مُسْلِمًا  
 فَإِنْ عَاشَ لَمْ يَنْدَمْ وَإِنْ مَاتَ لَمْ يَلْمُ      كَفَى بِكَ مَوْتًا أَنْ تُذَلَّ وَتُظْلَمَا  
 وقال أبو النشاش: <sup>(٣)</sup>

(١) يقصد زكي مبارك.

(٢) المعنى ان المنية عند الذل لذيفة الطعم مثل القنديد وهو قصب السكر.

(٣) أبو النشاش النهشلي اشتهرت كنيته وشاع اسمه من لصوص بني تميم كان يقطع الطريق =



إذا المرء لم يسرخ سواماً ولم يرخ سواماً ولم تعطف عليه أقاربه  
فللموت خير للفتى من حياته فقيراً؛ ومن مولى تدب عقاربه  
وقد مرّ آخر هذين؛ في البيت التاسع.

ومما يحق له الاختيار؛ في الموضوع؛ قول الشريف:

ليس السراء بغير المجد فائدة وما البقاء بغير العزم محمود

### وأما قوله (٩٨)

وَمَنْ مَاتَ لَمْ يَعْلَمْ وَقَدْ عَانَقَ الثَّرَى بَكَاءَ خَلِيلٍ أَمْ سَلَاهُ خَلِيلُ

فالجمله الثانية؛ من القسم الأول؛ فيه زائدة أو شبيهة بها؛ ما لم يقصد؛ إلى الفرق في العلم؛ بين المدفون وغيره؛ ثم هو مما أخرجه في النهج؛ من مثل قوله: لا يعرفون من اتاهم؛ ولا يحفلون من بكاهم؛ ولا يجيبون من دعاهم. وقوله: فهم جيرة لا يجيبون داعياً؛ ولا يمنعون ضيماً؛ ولا يبالون مندبة؛ ان جيدوا لم يفرحوا؛ وان قحطوا لم يقنطوا؛ جميعاً وهم آحاد؛ وجيرة وهم ابعاد؛ متدانون لا يتزاورون؛ وقريبون لا يتقاربون؛ ثم ان بيت الشريف هذا؛ قريب من قوله؛ في الأخرى:

أَبَتْهُ تَحْتَ الصَّفَائِحِ لَوْ يَرَى وَدَعَوْتُهُ خَلْفَ الْجَنَائِدِ لَوْ يَمِي  
وقوله:

فَيَا بُغْدَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَامِعاً وَأَنْتَ بِمَرَايَ مِنْ مَقَامِي وَمَسْمَعِ  
وقوله:

يَمُرُّ صَوْتِي فَلَا يَلْوِي بِجَانِبِهِ وَكَانَ يَكْفِيهِ إِسْمَائِي وَالْمَاعِي

= فحبه مروان بن الحكم وقد سبقت ترجمته وبيته هذا مشابه لبيت عروة من الورد مع اختلاف بسيط في لفظ البيت الاول.

وقال أبو ذؤيب<sup>(١)</sup>:

وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ يَوْمَ مَرَّةٍ      يَبْكِي عَلَيْكَ مُقْنَعًا لَا تَسْمَعُ

والمقنع: المدفون؛ وقال دريد بن الصمة؛ في مراثيه لمعاوية؛ اخي

الخنساء:

فَإِنَّ الرِّزَّةَ يَوْمَ وَقَفْتُ اذْعُو      فَلَمْ يَسْمَعْ مُعَاوِيَةَ ابْنَ عَمْرٍو

وَلَوْ اسْمَعْتُهُ لَأَتَاكَ رَمَضًا      سَرِيحَ السَّفِيِّ أَوْ لَأَتَاكَ بِجَرِي

وقال أبو عبادة:

وَلَوْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ بِفَرْطِ صَبَابَتِي      وَمَا عَلِمْتُ نَاوِي فِي التُّرَابِ دَهِينُ

تَبَقَنْتُ أَنَّ الْعَيْنَ جَدُّ غَزِيرَةٍ      عَلَيْكَ وَإِنَّ الْقَلْبُ جَدُّ حَزِينُ

وعلى هذين؛ بنى الشريف قوله؛ في رثائه لأمه:

لَوْ كَانَ يُبْلِغُكَ الصَّفِيحُ رَسَائِلِي      أَوْ كَانَ يُسْمِعُكَ التُّرَابُ نِدَائِي

لَسَمِعْتَ طَوْلَ تَأْوِهِي وَتَفْجُوعِي      وَعَلِمْتَ حُسْنَ رِعَائِنِي وَوَقَائِي

ولكنه أجاد؛ واحسن الاتباع؛ فكان بهما احق؛ وقال آخر:

عَفَى اللَّهُ عَنِّي يَوْمَ أَتْرَكَ نَاوِيًا      أَرَارُ فَلَا اذْرِي وَأَجْفَى فَلَا اذْرِي

وقال أبو الطيب:

وَكَيْفَ يَبْلُغُ مَوَاتَانَا النَّبِيَّ دُقْنَتْ      وَقَدْ يُقْصِرُ عَنَّا أَحْيَانَنَا الْغَيْبُ

لكن الأكثرون من أهل العلم: على ان الميت؛ يعلم بكاء الناس عليه؛ وقد

جاء في الصحيح: «انه يوبخ على ما يجازف به في نعيه؛ ويقال له: أنت كذلك»؛

وأخرج احمد، والمروزي، وابن أبي الدنيا؛ وغيرهم؛ مرفوعاً: ان الميت يعرف

(١) أبو ذؤيب الهذلي شاعر جاهلي أدرك الإسلام فأسلم الا انه لم يجتمع بالنبي ﷺ وقد سبقت

من يغسله ويحمله ويدليه في قبره؛ وأخرج أحمد وأبو داؤد والطبراني: أن أعمال الأحياء؛ تعرض على أقاربهم من الأموات؛ ولما قالت عائشة لرسول الله ﷺ؛ أو ابن الخطاب: ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؛ قال: «والله ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»؛ وأطال في ذلك ابن القيم؛ في كتاب الروح؛ والسيوطي في اللمعة؛ وأشبع القول عنه؛ في بلابل التفريد<sup>(١)</sup>؛ عندما تكلمت على قوله ﷺ: «اصيحابي فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك؛ فيقول: سحراً». وفي الوصية من تحفة ابن حجر؛ أن سماع الموتى هو الحق؛ وفي الجنائز من فتاويه؛ عن ابن ترجمان؛ أن النفس مبرأة من باطن ما خلق منه الجسم؛ وهي أروح للجسم وأوجد تشابك وتغاني الروح من باطن ما برأ منه النفس؛ وهي للنفس بمنزلة النفس للجسم الآن؛ قال: وإذا فارقت هذا العبد الروحاني الجسم صورته صعد به؛ فإن كان مؤمناً فتحت له أبواب السماء؛ حيث يصعد إلى ربه؛ فيؤمر بالسجود؛ ثم يجعل حقيقة النفسانية تعم الشغل من قبره إلى حيث شاء الله؛ من الجوى؛ وحقيقة الروحانية تعم العلو؛ من السماء الدنيا إلى السابعة؛ وإن كان شقيماً؛ لم يفتح له؛ فيرمى من علو؛ إلى الأرض (انتهى مختصراً؛ مع قول ابن حجر؛ أنه قول حسن)<sup>(٢)</sup>؛ وتقف عند قول صاحب الزبد:

وَالرُّوحُ مَا أَخْبَرَ عَنْهَا الْمُجْتَبَى فَنُمِّسُكَ الْمَقَالَ عَنْهَا أَدْبَى

وفي قريب من معنى بيت الشريف؛ يقول معاصره المعري:

وَلَا يُبَالِي الْمَيْتُ فِي قَبْرِهِ بِذَمِّهِ شَيْعَ أَمْ حَمْدِهِ

ويقول:

إِذَا مِتُّ لَمْ أَخْفَلْ بِالشَّامِ حُفْرَةً حَوْتِنِي أَمْ رِيَمَ بِرِيْمَانَ مِنْهَالِ

(١) بلابل التفريد كتاب مخطوط للإمام عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف في شرح كتاب التجريد في الحديث.

(٢) هذا الجزء المبتدى بسماع الموتى هو الحق إلى نهاية النقل منقول من حاشية على المتن وخطها غير واضح ولهذا قد توجد أخطاء في النقل نفس المعنى (المحقق).

وأخطاء في ذلك؛ وقد أثنى أصحاب رسول الله ﷺ؛ على جنازة شراً؛ فقال: وجبت؛ وعلى أخرى خيراً؛ فقال: وجبت؛ انتم شهداء الله في الارض. افترى الميت! لا يبالي بتلك الشهادة؟ ولا تنفعه ولا تضره؛ معاذ الله؛ وافرد السخاوي؛ جزءاً لتلقين الميت؛ وقال ابن حجر؛ في شرحه على المنهاج: ويندب تلقين بالغ عاقل؛ أو مجنون سبق له تكليف؛ ولو شهيدا بعد تمام الدفن؛ لخبر فيه ضعيف؛ لكنه اعتضد بشواهد؛ على انه من الفضائل؛ فاندفع قول ابن عبد السلام؛ انه بدعة (انتهى)؛ واختار النووي: استحبابه؛ وقال في فتاويه: وممن نص على استحبابه؛ القاضي حسين والمتولي والرافعي والشيخ نصر المقدسي؛ وحديثه الذي رواه الطبراني؛ ضعيف؛ لكنه يستأنس به؛ ولم يزل أهل الشام على العمل به؛ مِنْ زمن مَنْ يُقْتَدَى به إلى الآن. (انتهى)؛ ولا يُحْصَى ما ورد؛ في فضل الدفن بالبقيع المقدسة.

### وأما قوله (٩٩)

تُغَالِبُ نَمَّ تَغْلِبُنَا اللَّيَالِي وَكَمْ يَحْقَى الرَّوْمِيُّ عَلَى النَّبَالِ

فقد مرت مأخذ صدره؛ تحت البيتين (٣٣) و(٥٩)؛ ومن أمثالهم: حَصِيمُ اللَّيَالِي وَالْعَوَانِي مُعَلَّبٌ؛ وفي النهج<sup>(١)</sup>: انتم في هذه الدنيا غرض؛ تنتضل فيه المنايا؛ وفيه أيضاً: إنما اهلها فيها؛ اغراض مستهدفة؛ ترميهم بسهامها؛ وتفنيهم بحمامها.

وقال ابن الرومي:

مَا دَافَعَتْ عَنْهُ ابْوَابٌ مُحَجَّبَةٌ      كَلَّا وَلَا حَجَرَ مَفْشِيَةَ الْجُونِ  
مَمْلُوءَةٌ دَهْبًا عَيْنًا تَجِيئُ بِهِ      جَنَاتُ نَحْلِ وَاغْنَابٍ وَرَيْثُونِ

وقال أبو الطيب:

(١) كتاب نهج البلاغة جمعه الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

نَعِيدُ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِي  
وَنَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ مُقْرَبَاتٍ  
وَتَقْتُلُنَا الْمَنُونُ بِإِلَاقَتَالِ  
وَمَا يُنْجِحِينَ مِنْ حَبَبِ اللَّيَالِي<sup>(١)</sup>

وقال بشار؛ من قبلهم:

عَتَبْتُ عَلَى الزَّمَانِ وَآيُّ حَيٍّ  
وَلَيْسَ بِزَائِلٍ يَرْمِي وَيَرْمَى  
مِنَ الْأَحْيَاءِ اغْتَبَبَهُ الزَّمَانُ  
مُعَانٌ مَرَّةً أَوْ مُسْتَعَانٌ

وفي أكثر هذه الشواهد؛ ما يناسب العجز أيضاً؛ ويختص بما انشده  
الزجاجي<sup>(٢)</sup>؛ لنويفع الفقمسي<sup>(٣)</sup> وهو:

وَالْمَرَّةُ مِنْ رَبِّ الزَّمَانِ كَأَنَّهُ  
عَرَضٌ لِكُلِّ مُلِمَّةٍ يُرْمَى بِهَا  
حَتَّى يُصَابَ سَوَادُهُ الْمَنْصُوبُ  
وَقَوْلِ الْآخِرِ:

فَلَوْ كَانَ سَهْمًا وَاجِدًا لَأَثَقَيْتُهُ  
وَلَكِنَّهُ سَهْمٌ وَثَانٌ وَثَالِثٌ

وقال زهير بن جناب<sup>(٤)</sup>: إنما الإنسان في الدنيا؛ غرض؛ تعاوره الرماة؛  
فمقصر دونه؛ ومجاوز لموضعه؛ وواقع عن يمينه؛ وعن شماله؛ ثم لا بد أن  
يصيبه؛ وقال أبو زيد الطائي<sup>(٥)</sup>:

(١) ترتبط أي نشد والسوابق: الخيل ومقربات: أي مدنيات من البيوت والخبب: السير السريع.

(٢) أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي ولد بنهاوند وطاف كثيراً من البلدان ونزل بغداد ولزم الزجاج حتى نسب له؛ وكان شغوفاً بتحصيل العلم فبرع في النحو واللغة والعروض والآداب توفي سنة ٣٣٩هـ.

(٣) نافع أو نويفع الفقمسي الأسدي وفقص بطن من بني أسد وهو شاعر من سكان نجد عاصر الحجاج بن يوسف الثقفي.

(٤) زهير بن جناب الكلبي خطيب قبيلة قضاة وسيدها وشاعرها ومبعوثها إلى ملوك الجاهلية توفي تقريباً قبل الهجرة بستين سنة.

(٥) هو المنذر بن حرملة شاعر جاهلي أدرك الإسلام ولم يسلم ومات نصرانياً وكان معمرًا يقال أنه عاش مائة وخمسين سنة.

كُلُّ يَوْمٍ تَرْمِيهِ مِنَّا بِسَهْمٍ      فَمُصِيبٌ أَوْصَابَ غَيْرَ بَعِيدٍ  
وقال لبيد: إِنَّ المَنَايَا لَا تَطِيَّسُ سَهَامَهَا؛ وقال أبو النجم العجلي<sup>(١)</sup>:

وَالْمَرْءُ كَالْحَالِمِ فِي الْمَنَامِ      يَقُولُ لَأَنِّي مُذْرِكٌ أَمَامِي  
فِي قَابِلٍ مَا فَاتَنِي فِي الْعَامِ      وَالْمَرْءُ يُذْنِبُهُ إِلَى الْجَمَامِ  
مَرَّ اللَّيَالِي السُّودِ وَالْأَيَّامِ      إِنَّ الْفَتَى يُضِيحُ لِلْأَسْقَامِ  
كَالْقَرَضِ الْمَنْصُوبِ لِلْسَهَامِ      أَخْطَأَ رَامٍ وَأَصَابَ رَامِي  
وقال أبو عبادة:

إِنَّ الزَّمَانَ إِذَا تَتَابَعَ خَطَرُهُ      سَبَقَ الظُّلُوبَ وَأَذْرَكَ المَظْلُوبَا  
وقال أبو العاصم بن خزام بن عبد الله بن قتادة المازني:

وَمَا يَكُ جَائِبًا لَا بُدَّ مِنْهُ      إِلَيْكَ فَسَوْفَ تَجْلِبُهُ الْجُلُوبُ  
وقد مرَّ عن النهج؛ وعن الغنوي؛ وعن طرفة؛ ما يشبه ذلك؛ تحت البيت  
(٧٥)؛ وروى السجستاني؛ في كتاب المعمرين؛ عن الشعبي؛ انه قال:

دعاني عبد الملك في مرضه؛ فقلت له: كيف أصبحت؟ قال: كما قال ابن  
قميئة:

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تِسْعِينَ حَجَّةً      خَلَعْتُ بِهَا عَنِّي عِدَارَ لِبْجَامِ  
رَمْتَنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى      وَكَيْفَ بِمَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامِي  
فَلَوْ أَنَّهَا تُبَلُّ إِذَا لَأَتَّقِيئُهَا      وَلَكِنِّي أُرْمَى بِغَيْرِ سَهَامِ  
فقلت له: لا يا أمير المؤمنين؛ بل كما قال لبيد بن ربيعة:

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تِسْعِينَ حَجَّةً      خَلَعْتُ بِهَا عَنْ مَنْكِبِي رِدَائِيَا

(١) الفضل بن قدامة العجلي، من أكابر الرخاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر. نبغ في العصر  
الأموي، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام.

ثم عاش؛ حتى بلغ مائة وأربعين عاماً؛ فقال:  
 وَلَقَدْ سِئِمْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَوَّلَهَا      وَسَوَّالَ هَذَا النَّاسِ كَيْفَ لِيَبْدُ  
 فجلس عبد الملك؛ كأن لم يكن به بأس؛ وقال: حَدَّثَنِي فَقَدْ شَفِيتُ!  
 فحدثته حتى امسيت؛ ثم فارقت؛ فمات في ليلته؛ والقصة أطول من هذا؛ ولكن  
 اختصرتها.

وفي قريب؛ من عكس بيت الشريف؛ يقول المتنبي:  
 أَعَادَكَ اللَّهُ مِنْ سَهَائِهِمْ      وَمُخْطِئِي مِنْ رَمِيهِ الْقَمَرِ

وأما قوله (١٠٠)

سَلَى عَنِ الْعَيْشِ إِنَّا لَا نَدُومُ لَهُ      وَهَوْنُ الْمَوْتِ مَا نَلْقَى مِنَ الْعَلَلِ

فبيت جميل الشارة؛ مقبول التركيب؛ إلا انه مشترك المعنى بين الناس؛  
 فمن أمثال صدره؛ قول التميمي:

قَدْ كِدْتُ أَقْضِي عَلَى قَوْتِ الشَّبَابِ      أَسَى لَوْلَا تَغْرِيَّ أَنْ الْعَيْشَ مُنْقَطِعُ  
 وقول محمد بن كعب الغنوي:

لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَوْتَ الْحَيَاةَ      وَقَدْ أَتَى عَلَى يَوْمِ عَلِقَ الْيَّ حَبِيبُ  
 وقول أبي الغتاهية:

أَرَى عِلَلَ الدُّنْيَا عَلَيَّ كَثِيرَةٌ      وَصَاحِبُهَا حَتَّى الْمَمَاتِ عَلِيلُ  
 وقول ابن الرومي:

وَمَالِي عَزَاءٌ عَنِ شَبَابِي عَلِمْتُهُ      سِوَى أَنِّي مِنْ بَعْدِهِ لَا أَحْلَدُ  
 وأصله؛ قول الحكيم: من علم أنَّ الفناء؛ مستولٍ على كونه؛ هانت عليه  
 المصائب؛ وقال أبو تمام:

فَقَدْ أَيْسَتْ بِالْمَوْتِ نَفْسِي لِأَنَّي      رَأَيْتُ الْمَنَايَا يَحْتَرِمْنَ حَيَاتِيَا

وقال :

فَوَاكِبِدِي الْحَرًّا وَوَاكِبِدَ النَّدَا      لِأَيَّامِهِ لَوْ كُنَّ فَنِيرَ بَوَائِدِ  
ومن شواهد (لو)؛ عند النحاة؛ قول الشاعر:

وَلَوْ نُعْطِيَ الْحَيَّارَ لَمَّا افْتَرَقْنَا      وَلَكِنْ لَا خِيَارَ عَلَى اللَّيَالِي  
وقال أبو الطيب:

وَالهَجْرُ أَتَلُّ لِي مِمَّا أَرَاقِبُهُ      أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ  
وهو من أنهار الفصاحة؛ ورياح البلاغة؛ وقد سلخ منه الشريف بيته؛ إذ  
معناه: أنا المريض فما خوفي من الأجل؛ ومن أمثال عجزه؛ قول؛ ساعدة بن  
جويه<sup>(١)</sup>:

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَا مَنُجَا مِنَ الْهَرَمِ      أَمْ هَلْ عَلَى الْعَيْشِ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ نَدَمِ  
وجاء ان المَلَكُ؛ كان يقبض الارواح من غير مرض؛ فكثير سبُّ الناس له؛  
فشكى إلى الله؛ فجعل الأمراض؛ ذكره سيدي علوي بن سقاف الجفري<sup>(٢)</sup>؛ في  
النهر المتدفق<sup>(٣)</sup>؛ وذكره أيضاً غيره؛ والله أعلم بحاله.

وقال ابن مقله<sup>(٤)</sup> المتوفي سنة ٣٢٨هـ:

مَا سَمِعْتُ الْحَيَاةَ لَكِنْ تَوَوْتُ      لَقْتُ بِأَيَّمَانِهِمْ فَبَانَتْ يَمِينِي  
لَيْسَ بَعْدَ الْحَيَاةِ لَذَّةُ عَيْشٍ      يَا حَبَاتِي بَانَتْ يَمِينِي فَمِيزِي

(١) ساعد بن جويه شاعر جاهلي وشعره محشو بالغريب والمعاني الغامضة.

(٢) السيد العلامة علوي بن سقاف الجفري من كبار علماء حضرموت ولد في بلدة تريس وكان  
من كبار الفقهاء وله مصنفات كثيرة توفي سنة ١٢٧٣هـ.

(٣) اسم كتاب.

(٤) ابن مقله هو أبو علي محمد بن علي الشيرازي ولد سنة ٢٧٢هـ كان من أشهر الخطاطين في  
العصر العباسي وأول من وضع قواعد الخط العربي ويقال أنه مخترع خط الثلث تولى  
الوزارة للمقتدر بالله سنة ٣١٦هـ ثم غضب عليه ونفاه إلى بلاد فارس وتوفي سنة ٣٢٨هـ.



فأخذه أبو الطيب؛ فيما اظن؛ حيث قال:

وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ انْفُسُ فِي النَّفْسِ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأَخْلَى  
وَإِذَا الشَّيْخُ قَالَ أَفِي قَمَامَلٍ  
أَلَّةُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَمَسَبَابٌ

وما أكثر من يتضجر من الحياة؛ لما فيها من الآفات؛ قال زهير بن أبي سلمى:

سَمِعْتُ تَكَايِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشُ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ  
وَقَالَ لَبِيدٌ:

وَلَقَدْ سَمِعْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا  
وَسَأَلَ هَذَا النَّاسِ كَيْفَ لَبِيدٌ  
وَقَالَ زَهِيرُ بْنُ جَنَابٍ:

الْمَوْتُ خَبْرٌ لِنَفْسِي  
فَلَيْبَهْلَكُنْ وَبِهِ بَقِيَّةُ  
مِنْ أَنْ يَرَى الشَّيْخُ الْجَبْدَ  
سَالَ وَقَدْ تَهَادَى بِالْعَشِيَّةِ  
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ؛ وَقَدْ مَرَّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ:

مَتَى تَسْتَرِدُّ فَضْلًا مِنَ الْعُمْرِ تَعْتَرِفُ  
يَسْجَلِيكَ مِنْ شُهْدِ الْحُطُوبِ وَصَابِهَا  
وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ:

إِلَّا أَيُّهَا الدَّهْرُ الَّذِي قَدْ مَلَلْتُهُ  
سَأَلْتُكَ إِلَّا مَا سَلَلْتَ حَيَاتِي  
فَقَدْ؛ وَجَلَالُ اللَّهِ حَبَّبَتْ جَاهِدًا  
إِلَيَّ عَلَى كُرْهِ الْمَمَاتِ مَمَانِي  
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ:

إِلْفُ هَذَا الْهَوَاءِ أَوْقَعَ فِي الْإِنْفِ  
وَالْأَسَى قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجْرٌ  
وَمَعْنَاهُ: إِنْ النُّفُوسُ لَا تَكْرَهُ الْحَمَامَ؛ وَفِيهِ نَعِيمُهَا؛ إِلَّا لَمَّا الْفَتَّ مِنْ مَسَاكِنَةِ  
فَسِرَّ أَنْ الْجَمَامَ مَرُّ الْمَذَاقِ  
وَالْأَسَى لَا يَكُونُ بَعْدَ الْفِرَاقِ

الأجسام؛ ولم يكن الحمام نعيماً؛ إلا لما في الحياة من الأقدار والعلل؛ ولذا تيرمت بها الفلاسفة وعدتتها نقمة؛ وخالفت أهل الشرع؛ وفي ذلك قال المعري:

تَعَبُ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا اغْـ \_\_\_\_\_ جَبُّ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي اِزْتِيَادِ  
وقال:

هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلَيَّ \_\_\_\_\_ وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ  
ولهذا أثنى على بيّتي أبي الطيب؛ وقال: إنهما يفضلان كتابا من كتب الفلاسفة؛ لما فيها من الصدق؛ وحسن النظام؛ ولو لم يقل شاعر سواهما؛ لكان له منهما؛ شرف وجمال؛ هذا ما يقوله المعري؛ لموافقته لهواه؛ والهوى يعمي ويصم؛ وإلا؛ فليسا من اعالي شعره؛ ومع ذلك؛ فليس المعني من كيسه! وإنما نظم فيه؛ كما قال الشارح؛ قول الحكيم: ان النفوس البهيمية؛ تألف مساكنة الأجساد الترابية؛ فلذلك تصعب عليها مفارقة الأجسام؛ اما النفوس الصافية؛ فبضد ذلك؛ كذا يقول؛ وليس على اطلاقه؛ إذ الإلف من كرم الطباع؛ غير ان الصافية<sup>(١)</sup>؛ مع إلفها للأجسام؛ تخف للملاء الاعلى؛ لأنه الموطن الأول.

ولولا ما أمامنا من احوال المعاد؛ التي لا تستقر لها النفوس في الاجساد؛ لارجحن بنا الشوق؛ إلى المكان الاقدس؛ والمقام الانفس؛ وقد مر تحت البيت (٥)؛ ما له تعلق بهذا؛ مع الإحالة عليه. وقال تميم بن مقبل؛ فيما يشبه بعض ما تقدم:

مَا أَنْعَمَ الْعَيْشُ لَوْ أَنَّ الْقَتَى حَجَرٌ \_\_\_\_\_ تَنْبُو الْحَوَادِثَ عَنْهُ وَهُوَ مَلْمُومٌ  
وقال البحرني:

مَا أَحْسَنُ الْإِيَّامَ إِلَّا أَنَّهُا \_\_\_\_\_ يَا صَاحِبَيَّ إِذَا مَضَتْ لَا تَرْجِعُ  
وقال ابن دريد:

(١) أي الروح.

مَا أَنْعَمَ الْعَيْشَةُ لَوْ أَنَّ الْفَتَى  
أَوْ لَوْ تَحَلَّى بِالسَّبَابِ عُمُرَهُ  
وَقَالَ ابْنُ نَبَاتِهِ:

فَوَيْلَهُمْ لَوْ يَسْلُمُونَ مِنَ الرَّدَى  
وَيَسْتَنْقِذُونَ الْعَيْشَ مِنْ عَبَثِ الدَّهْرِ

وَأَمَّا قَوْلُهُ (١٠١)

هَلْ نَافِعٌ نَفْسَكَ إِنْ أَدْلَلْتَهَا  
كِرَامَةُ الْبَيْتِ وَعِزُّ الْمَقْبَلِ

فمن قول الخزيمي:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْمِ الْقَدِيمَ بِحَادِثٍ  
وَكَانَ الْمَهْلَبُ؛ كَثِيرًا مَا يَتَمَثَّلُ لِأَبْنَانِهِ؛  
بِقَوْلِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ الْمَنْقَرِيِّ:

أَنْمَا الْمَجْدُ مَا بَنَى وَالِدُ الصُّ  
ذَقِي وَآخِي فِعَالُهُ الْمَوْلُودُ  
وَقَالَ كِشَاجِمُ:

وَإِذَا افْتَحَرْتَ بِأَعْظَمِ مَقْبُورَةٍ  
فَالنَّاسُ بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ  
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ:

وَلَسْتُ اعْتَدُّ لِلْفَتَى حَسْبًا  
حَتَّى يُرَى فِي فِعَالِهِ حَسْبُهُ  
وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ:

إِذَا الْعُضْنُ لَمْ يُثْمِرْ وَإِنْ كَانَ شُعْبَةً  
مِنَ الْمُثْمِرَاتِ اعْتَدَّهُ النَّاسُ فِي الْحَطْبِ  
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ:

إِذَا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ  
فَمَا هُوَ إِلَّا حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ<sup>(١)</sup>

(١) النواصب هم القوم المعادون لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب والمعنى كل علوي لا يشبهه من أولاده فهو حجة للنواصب.

وقال:

لَا يُعْجِبُنَّ مُضِيماً حُسْنَ بَرَّتِهِ      وَهَلْ يَرُوقُ دَفِيناً جَوْدَةَ الْكَفِينِ  
 وحسن البره؛ مثل أو قريب؛ من شرف الارومه؛ وقال أبو فراس:  
 لَعَمْرُكَ مَا الْإِبْصَارُ تَنْفَعُ أَهْلَهَا      إِذَا لَمْ يُزَيِّنْ أَوَّلَ الْمَجْدِ آخِرُهُ  
 وهذا فضاء واسع؛ وقفيناه أكثر مما يستحق؛ في العود الهندي؛ ومرّ ذرؤ  
 منه؛ في نقد البيت (٣١).

## وأما قوله (١٠٢)

وَسَيِّانٌ عِنْدِي مَن طَوَّأَنِي عَلَى جَوَى      يُعَدِّتُ قَلْبِي أَوْ طَوَّأَنِي عَلَى دَخِيلِ

فبيت بغيض؛ تلقى اصله عن أبي الطيب؛ إذ يقول:

فَلَوْ كَانَ مَا بِي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعٍ      عُذِرْتُ وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعَمَّمٍ  
 ولكنه أصاب بالترفة؛ على قدر ما اخطأ الشريف بالتسويه؛ التي حاصلها:  
 أنّ من عذبه بنار الضيم؛ كمن عذبه بنار الهوى؛ ومثله لا يصدر عن قلب سليم؛  
 فكيف بالشريف؛ مع كرم العنصر؛ وطيب الخيم؛ لقد كان المتنبي؛ أولى بهذا  
 الجفاء؛ لموافقة لما انتقدناه عليه؛ تحت البيت (٢٩) من قوله:

الْأَخْدَدُ اللَّهُ وَرَدَ الْخُدُودُ      وَقَدْ قُدُودَ الْجِسَانِ الْقَدُودُ  
 فَهَنْ أَسْلَنَ دَمًا مُثْلَتِي      وَعَدْبُنَ قَلْبِي بِنَارِ الصُّدُودُ

ولكنه كثير التلون؛ وقد يكفر عن سيئته؛ قوله من الأخرى:

رَيْدِي أَدَى مُهْجَتِي إِذْكَ هَوَى      فَأَجْهَلُ النَّاسِ عَاشِقُ حَاقِدُ

أما الشريف؛ فمن لازم تسويته بين الأمرين؛ الحقد على معشوقه إذا جفاه؛  
 وما زالت الكرام لا تنام عن ثأر؛ مع اصفاقهم على أن جرح الهوى جبار؛ وفي  
 معنى الشق الأول؛ يقول أبو عبادة:

نَدُمُ الْفَتَاةَ الرَّوْدُ شِيمَةً بَعْلَهَا إِذَا بَاتَ دُونَ الثَّارِ وَهُوَ صَّحْبُهَا

وفي الثاني؛ يقول أبو حيَّه النميري:

وَأَنَّ دَمًا لَوْ تَعْلَمِينَ جَنْبُهُ عَلَى الْحَيِّ جَانِي مِثْلُهُ غَيْرَ سَالِمٍ  
وَلَكِنَّهُ وَاللَّهِ مَا ظَلَّ مُسْلِمًا كَيْضِ الثَّنَائِيَا الْوَاضِحَاتِ الْمَلَغِمِ<sup>(١)</sup>

وقال دعبل<sup>(٢)</sup>:

لَا تَأْخُذًا بِظَلَامَتِي أَحَدًا قَلْبِي وَظَرْفِي فِي دَمِي اشْتَرَكَا

وقال ابن الرومي:

وَلَيْسَ بِمَثْبُورٍ كَرِيمٍ تَصِيدُهُ سِهَامُ الْغَوَايِي مَرَّةً وَيَصِيدُهَا  
وَلَكِنَّمَا الْمَثْبُورُ مَنْ لَيْسَ بَارِحًا عَلَى تَرَّةٍ مِنْهُنَّ لَا يَسْتَقِيدُهَا

وقال أبو الطيب:

وَأَنَا الَّذِي اجْتَلَبَ الْمَنِيَّةَ ظَرْفُهُ فَمَنْ الْمُطَابُّ وَالْقَتِيلُ الْقَاتِلُ

وما أحسن رعايته العهد؛ وحفظه للذمام؛ إذ يقول باثر البيت السابق:

رَمَى وَأَتَقَى رَمِيِّي وَمِنْ دُونِ مَا أَتَقَى هَوَى كَاسِرٍ كَفِّي وَقَوْسِي وَأَسْهُمِي

وقال حاتم الطائي: لو غير ذات سوار لطممتني؛ وخبره مشروح في الأمثال؛

وقد ذكرت في العود الهندي؛ بعض من خالف الطريق؛ وخرج عن التوفيق؛

وَضَلَّ وَغَوَى؛ وطلب القصاص في الهوى؛ ولا يحسن عدَّ الشريف منهم؛ لتوليهم

(١) ماطل مسلماً: أي أبطل دمه والملاغم: ما حول الفم.

(٢) دعبل هو محمد بن علي بن رزين من مشاهير شعراء العصر العباسي اشتهر بتشيعه لآل

البيت وهجائه اللاذع للخلفاء العباسيين ولد في الكوفة سنة ١٤٨هـ وكان دعبل شجاعاً لا

يخاف حتى أنه هجا الخليفة المأمون وكان دعبل يقول إني أحكل خشيتي منذ خمسين سنة

فلا أجد من يصلبني عليها وعندما هجا إبراهيم بن المهدي شكاه للخليفة المأمون فقال

المأمون لقد اذقذ في أكثر منك فاحتملته! ثم هجا مالك بن طوق فأرسل له من اغتاله وذلك

سنة ٢٢٠هـ.

غير سبيل المؤمنين؛ وكان الواجب على الأستاذ<sup>(١)</sup>؛ أن لا يذكر هذا البيت؛ لأنه من فلتات الألسن؛ التي لا تثنى؛ بل تطوى ولا تروى؛ ولكن المختار في هذا الصوب؛ من شعر الشريف؛ قوله:

نَفْسِي فِدَاءُ الْغَادِرِينَ تَبَاعَدُوا      أَوْ قَارَئُوا أَوْ أَنْصَفُوا أَوْ جَارُوا  
وقوله:

وَأَنِّي لِأَزْعَى مِنْ وَدَادِ أَحَبَّنِي      عَلَى بُعْدِ مَا لَا تَرَاعِي الْأَقَارِبُ  
ومن الغريب في هذا الباب؛ قول كثير<sup>(٢)</sup>:

اسبئي بنا أو احسني لا ملومة      لدينا ولا مقلية إن تقلت

وأما قوله (١٠٣)

وَكُلُّ قَتْلَى لَا يَطْلُبُ الْمَجْدَ اغْرَزَلْ      وَكُلُّ حَرَبٍ لَا يَجُودُ ذَلِيلٌ

فمعنى صغير؛ ولفظ حقير؛ إذ معنى صدره: ان لا قيمة للشجاع؛ ولا للسلح؛ ما لم يكونا في سبيل المجد؛ وعلى ما فيه من الضعف والفسفه؛ ففيه تجرؤ؛ إذ النجدة فضيلة ذاتية؛ إن وقعت في معارج المجد؛ كانت نورا على نور؛ وإلا كان نقصها من الخارج؛ ليس إلا؛ وقد جاء في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الشَّجَاعَةَ وَلَوْ عَلَى قَتْلِ حَيَّةٍ»؛ ثم أن المجد يتفاوت؛ جاهلية واسلاما؛ ففيها<sup>(٣)</sup> لمن غلب؛ وفيه لمن إتقى؛ واما كون البخيل ذليلا؛ فمرمي على ممر الطرق<sup>(٤)</sup>؛

(١) الأستاذ زكي مبارك الذي كان تاليف هذا الكتاب لأجل الرد عليه كما ورد في المقدمة.

(٢) كثير بن عبد الرحمن بن الأسود شاعر من أهل المدينة اشتهر بحبه لعزة الكنانة وأكثر إقامته بمصر سافر إليها بعد زواج عزة من آخر وسفرها إلى مصر والتحق بمصر بصديقه عبد العزيز بن مروان فأكرم وفادته وتوفي بالحجاز.

(٣) ففيها أي في الجاهلية وفيه أي في الإسلام.

(٤) أي أن هذا المعنى كثير التداول.

وكثيراً ما تسمع العامة في المشاهد يقولون: البخيل الذليل الذي لا يصلّي على النبي؛ فهما عندهم وصفان مقترنان؛ فما الذي زاد الشريف؟ لا لفظ فخماً ولا معنى ضخماً! على أن بني سلمة؛ سيّدوا؛ الجد بن قيس<sup>(١)</sup>؛ على بخله؛ حتى قال النبي ﷺ: «وأي داء أدوى من البخل؛ بل سيّدكم عمرو بن الجموح»<sup>(٢)</sup> سيادة الجد؛ قبل الصرف؛ ربما دلت على خلاف ما يقول الشريف؛ لا سيما وأن الجاحظ؛ روى عن عمرو بن العلاء: أن البخل لا يمنع السيادة؛ محتجاً بسيادة أبي سفيان؛ واجتماع قریش عليه؛ مع بخله الثابت في الصحيح؛ وفي حديث الجاحظ عن عمرو؛ أنه لا يمنع السيادة إلا الكذب؛ وإلّا؛ فقد ساد كليب مع جوره؛ وشيبة مع فقره؛ وعامر مع زناه؛ وقال حبيب:

فَعَلَامَ قُدِّمَ وَهُوَ زَانٍ عَائِرٌ وَأَمِيطَ عَلَقَمَةٌ وَكَانَ حَفِيفًا  
وَبَنَى الْمَكَارِمَ حَاتِمٌ فِي شُرْكِهِ وَسِوَاهُ يَهْدِيهَا وَكَانَ حَنِيفًا  
ومهما يكن من الأمر؛ فبيت الشريف تافه؛ ولكن المطرب؛ في قريب من معناه؛ قوله:

وَكُلُّ فِتْنَى لَمْ يَرْضَ عَنْ عَزْمِهِ الْقِنَا ذَلِيلٌ وَلَوْ نَاجَتْ عُلاهُ الْفَرَاقِدُ

وأما قوله: (١٠٤) و(١٠٥) و(١٠٦) و(١٠٧)

لَشَخَّرَ الصَّخْرَ بَيْنَنَا بَيْنَهُمْ  
بِالْقَصَارِ الصُّفْرَانِ شُرْبًا  
عَ قَمَاتِ الْعَرَبِ بِتَقَالِ  
بِأَوِ الْبَيْضِ الْبَطْوَالِ

(١) جد بن قيس بن صخر بن خنساء الأنصاري السلمي أحد المنافقين. يكنى: أبا عبد الله هو ابن عم البراء بن معرور.

(٢) في «الأدب المفرد» للبخاري: عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَيَّدَكُمْ يَا بَنِي سَلْمَةَ؟» قُلْنَا: جَدُّ بَنِي قَيْسٍ، عَلَى أَنَّ بَيْخَلَهُ. قَالَ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ؟» بَلْ سَيَّدَكُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ. وَكَانَ عَمْرُو عَلَى أَصْنَابِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يُؤَلِّمُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَزَوَّجَ.

إِنَّمَا يُدْخِرُ الْمَاءَ لِحَا      جَاءَتِ الرَّجَالِ  
وَالْفَتَى مَنْ جَعَلَ الْأَمَّ      حَوَالَ أُمَانَ الْمَعَالِي

فقد عدّها النويري؛ من مختار شعر الشريف؛ وعليها مسحة من الانسجام والحسن؛ وان لم يكن فيها معنى غريب؛ غير أن الأستاذ ذكر لها قصة؛ تصغر من شأنها؛ وترخص من اثمانها؛ وتنغص من عنانها؛ وهي: أنه اتفق أن يهجم قوم؛ في حضرة الشريف؛ على رجل اسرف في البذل؛ لينال الوزارة؛ فقالها على البديهة؛ هذا كلامه؛ وما القصد من وصية مسرف بالبذل في شيء يتمناه؟ فهل للأستاذ غرض! أن يشير إلى تملق الشريف؛ لرجل ناقص؛ يريد أن يتشرف بالأعمال! أینه مما قال أحمد بن حنبل؛ في جدّه الغالب<sup>(١)</sup>؟ فلقد تذاكروا؛ كما في شرح النهج؛ عن تاريخ ابن الجولاي؛ عند أحمد؛ خلافة أبي بكر وعلي؛ واكثروا؛ فرفع رأسه إليهم؛ وقال: قد اكثرتم؛ إن عليا لم تزنه الخلافة؛ ولكنه زانها؛ بلائيه؛ عن قوله نفسه؛ في رثائه للصاحب:

سُلْطَانُ مُلْكٍ كُنْتَ أَنْتَ تُعْمِرُهُ      وَكَرْبٌ سُلْطَانٍ اعْرَضَ رِجَالًا  
وقول الحطينة:

مَا آتَرُوكَ بِهَا إِذْ قَدَّمُوكَ لَهَا      لِيَكُنْ لَأَنْفُسِهِمْ كَانَتْ بِهَا الْآتَرُ  
وقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

إِنَّ الْأَمِيرَ هُوَ الَّذِي      يُضْجِي أَمِيرًا يَوْمَ عَزَلِهِ  
إِنَّ زَالَ سُلْطَانَ الْوِلَايَةِ      لَمْ يَزَلْ سُلْطَانًا قَضَلِهِ  
وقول ابن الرومي:

إِذْ لَمْ تَزِدْكَ وِلَايَةً فَي سُوْدِدِ      كَلًّا وَلَا الْآخَرَى مَحَتْ لَكَ سُوْدِدَا

(١) يقصد في جد الشريف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.



وقوله:

مَنْ كَانَ جَمَلَهُ لُبُوسٍ وَوَلَايَةٍ  
فَبَدَاتِ نَفْسِكَ مَا يَكُونُ جَمَالَهَا  
إِنِّي لِأَكْبِرُ أَنْ أَرَكَ مُهْنَعًا

وقول البحري:

أَبْدَى التَّوَاضِعِ لَمَّا نَالَهَا دِعَةً  
وَالضَّمِيرِ فِيهِ؛ لِلخَلَافَةِ؛ وَقَوْلُهُ:

وَلَتَهْنُكَ الْآنَ الْوَلَايَةُ إِنَّهَا  
لَمْ تُعْطِهَا أَمَلًا وَلَمْ تُشْغَلْ بِهَا  
وَرَأَيْتَ نَفْسَكَ فَوْقَهَا وَهِيَ التَّيِّبِي

وقوله:

اللَّهُ أَثَرٌ بِالْخِلَافَةِ جَعْفَرًا  
هِيَ أَفْضَلُ الرَّتْبِ التَّيِّبِي جُعِلَتْ لَهُ

فَشْتَانٌ بَيْنَ هَذِهِ؛ وَأَبْيَاتِ الشَّرِيفِ؛ الَّذِي كَانَ الْأَلِيْقُ بِهِ؛ أَنْ يَتَقَيَّلُ سِيرَةَ  
جَدِّهِ عليه السلام؛ فِي صَرْفِ الْوَلَايَةِ عَمَّنْ يُطَلِّبُهَا؛ لَا إِغْرَاءَ هَذَا السَّاقِطِ عَلَيْهَا؛ وَلَقَدْ أَرَادَ  
ابْنَ الْخَطَّابِ؛ أَنْ يَسْتَعْمَلَ رَجُلًا؛ فَسَبَقَ بِطَلْبِ الْعَمَلِ؛ فَقَالَ لَهُ: كَفَا! أَرَدْنَاكَ  
لِذَلِكَ؛ وَلَكِنْ مِنْ طَلْبِ هَذَا الْعَمَلِ؛ لَمْ يُعَنْ عَلَيْهِ! أَفَلِيْقُ بِالشَّرِيفِ؛ أَنْ يَسَاعِدَ  
عَلَى غِشِّ الْمُسْلِمِينَ؟ وَلَا يَشْكَلُ هَذَا بِقَوْلِ الْفُقَهَاءِ: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ  
القَضَاءُ؛ أَنْ يَطْلُبَهُ وَلَوْ بِالْبَدْلِ؛ لِأَنَّهُ لَوْنٌ آخَرُ؛ فَصَلَّنَاهُ فِي مَوْضِعِهِ؛ مِنْ صَوْبِ  
الرَّكَامِ<sup>(١)</sup>؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الصَّدِيقِ عليه السلام: ﴿...أَجْمَلَنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنْ حَقِيقْتُ

(١) صوب الركام في أدلة الأحكام كتاب للإمام بن عبيد اللاه في الفقه.

عَلِيمٌ<sup>(١)</sup>؛ ثم أن الشريف؛ ناقض هذه الأبيات؛ فمشى في سره القدم؛ وانكشف ما يضره من الندم؛ حيث قال؛ وقد عزل عن النقابة<sup>(٢)</sup>؛ بعدو له؛ بذل في طلبها مالا كثيرا:

فَإِنِ انْبَغَتْ هَذَا الْأَمْرَ لَهَقًا      فَإِنَّكَ اغْرَبَ الثَّقَلَيْنِ عَقْلًا  
يَرَاهُ الْمُسْتَعْرِزُ عَلَيَّ طَوْقًا      فَيَنْبُطُنِي لَهُ وَاوَاهُ دُلًّا  
بِمَالِكَ نِلْتَهَا وَكَفَاكَ عَارًا      فَأَلَا نِلْتَهَا بِالْمَجْدِ أَلَّا  
وَقَلَّ فِي ذَاكَ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا      تَسْبُبُ مُكْثِرُ غَلَبِ الْمُقْبَلَا  
فَإِن يَكُ نَالَهَا فَلَقَدْ انْفَنَا      فَارْحَضْنَا بِقِيمَتِهَا وَاعْلَى  
فَلَمْ يَكُ جُودُهُ فِي ذَاكَ جُودًا      وَلَمْ يَكُ بُخْلُنَا عَنْ ذَاكَ بُخْلًا

ككيف يلتئم هذا؛ مع حثه على بذل المال؛ واعتقاده: أن في الولاية العز والجمال؛ فلم يكن في الثانية؛ الا منطويا على الاسف؛ متحرقا من اللهف؛ ولكنه؛ أراد دفع الشماتة بتزيين المقال؛ وتمثل الأمثال؛ وسواء حضر العقل أم هو عازب؛ فالمتين<sup>(٣)</sup> في احدي الكلمتين؛ ضربة لازب.

### وأما قوله (١٠٨)

وَمَا الْمُكْرَهُونَ السَّمْهَرِيَّةَ فِي الْعُلَى      بِأَشْجَعِ مِمَّنْ يُكْرِهُ الْمَالَ فِي الْبَدَلِ

ففي لفظه استئقال؛ لا يخفى؛ وما أشد الكراهة في المكروهون؛ ولا سيما؛ وقد انضمت إليها النون؛ وهي مما حذف هنا للتخفيف؛ على حد قوله تعالى: ﴿وَالْمَقِيصِيُّ الْأَصْلَوِيُّ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ عِزٌّ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾<sup>(٥)</sup> وقوله تعالى:

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٥.

(٢) نقابة الأشراف وكانت منصبا مهماً أيام الدولة العباسية.

(٣) المين: الكذب والجمع: ميون.

(٤) جزء من الآية ٣٥، من سورة الحج.

(٥) جزء من الآية ٢، من سورة التوبة.

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾<sup>(١)</sup>؛ وقول عمرو بن امرء القيس الخزرجي:

وَالْمَاغِطُو عَوْرَةَ الْعَشِيرَةِ لَا يَأْتِيهِمْ مَوْمِنٌ وَرَائِنَا رُكْنٌ  
وقول الآخر:

الْعَارِفُوا الْحَقَّ لِلْمُدِيلِ بِهِ وَالْمَسْتَقِيلُو كَثِيرَ مَا وَهَبُوا

والصواب جر الحق؛ وكثير؛ كعورة من الأول؛ قالوا من السراج؛ وقد اجازوا: رأيت الضاربي مريدا؛ وليس ذلك بحسن؛ وإنما جوازها: على إنك اردت النون؛ فحذفتها لطول الاسم؛ وإذا جاز حذف النون للتخفيف مع الأعمال؛ وهو قبيح؛ فأولى مع الجر بالإضافة؛ وفي خزانة الأدب: وعن ابن جني: ان حذف النون من الممسكون في قول عبيد:

وَلَقَدْ يَغْنَى بِهِ جِيرَانُكَ الْمُئْسِكُو مِنْكَ بِأَسْبَابِ الْوِصَالِ

لطول الاسم؛ لا للإضافة؛ قال وعندي فيه شيء؛ ليس في قوله: الحافظ وعورة العشيبة؛ لانه لما كان أول الممسكو في المصراع الأول؛ وبقائه في المصراع الثاني؛ وهما كالبيتين؛ ازدادت الكلمة طولاً؛ وحُذِفَ النون جوازاً؛ وكلا الاسمين انما وجب فيه الخلاف لطوله (انتهى)؛ فانظر إلى قوله...<sup>(٢)</sup> والفرق الذي ذكره؛ بين الممسكو والحافظوا؛ فليس بسديد؛ بل العكس أولى؛ لأن المصراعين؛ لما كانا كالبيتين؛ كان ممسكو في الثاني.

ومعنى بيت الشريف فهو: انه ليس الجريء باشجع من الجواد؛ فاللفظ طويل ثقيل؛ والمعنى ضعيف قليل؛ وانما غرّه قول البحرني:

وَمَا لِبَدَلٍ بِالشَّيْءِ الَّذِي يَسْتَطِيعُهُ مِنْ النَّاسِ إِلَّا الْأَزْوَعُ الْمُتَهَجِّمُ  
تَرَاهُ عَلَى مَكْرُوهُةِ السَّيْفِ يَقْدُمُ وَيَحْجُمُ أَخْيَاناً عَنِ الْجُودِ بَعْضُ مَنْ

(١) جزء من الآية ٣٨، من سورة الصافات.

(٢) هذا الجزء ابتداءً من: وهو مما حذف هنا للتخفيف منقول من الحاشية وخطها دقيق وغير واضح فقد لا ينقل النقل كله صحيحاً لذا لزم التنويه.

ولكن البحتري خصص؛ ووقع الشريف في مصيبة التعميم؛ ثم شتان؛ بين  
جزالة هذين؛ وبرودة ذلك؛ وقد مرّ في نقد البيت (٦١)؛ مما شاء الله ان يمرّ؛ من  
اقتران النجدة بالجود؛ وقال ابن الرومي:

فَمَتَى يُرَوَّنَ مِنَ الشِّحَاحِ عَلَى اللَّهَى      وَهُمْوَا عَلَى الْأَزْوَاجِ غَيْرُ شِحَاحٍ  
وقال:

مَنْ جَادَ بِالْحَوْبَاءِ<sup>(١)</sup> جَادَ بِمَالِهِ      فَالْمَالُ ائْسَرُهَا لَكَ تَعَجِلا  
جَبُنَ الْبَخِيلُ مِنَ الزَّمَانِ وَصِرْفِهِ      فَتَهَيَّبَ الْأَفْضَالَ وَالْتَنَوِيلا  
وَاسْتَشَعَرَتْ نَفْسُ الْجَوَادِ شَجَاعَةً      فَرَجَا الزَّمَانَ عَلَى الزَّمَانَ مُدِيلا  
وقال البديهي<sup>(٢)</sup>:

وَإِذَا اخْتَبَرْتَ عَلِمْتَ غَيْرَ مُدَافِعٍ      أَنَّ السَّمَاخَ سَجِيَّةُ الْإِبْطَالِ  
فالسماخ والشجاعة؛ من باب واحد؛ لان الأولى: انفاق المال؛ والثانية:  
انفاق الاعمار؛ والأكثرون قائلون: بتفضيل النجدة؛ على الجود؛ كما مرّ عن ابن  
الرومي؛ وقال حبيب:

وَنَذَعُو كَرِيْمًا مَنِ يَجُودُ بِمَالِهِ      وَمَنْ يَبْذُلُ النَّفْسَ الْكَرِيْمَةَ اَكْرَمُ

### وأما قوله (١٠٩)

إِذَا مَا تَمَّعَ الْجَاهِلُ      فَكُلَّ النَّعْمَتِ ضَائِرُ

فإنه من القول المذال؛ وكثيراً ما يحتج بمثله الانذال؛ وقد مرّت مأخذه  
وأمثاله؛ في شرح البيت (٦٢)؛ وقال بشار<sup>(٣)</sup>:

(١) الحوباء: النفس والجمع الحوباوات.  
(٢) البديهي: أبو الحسن علي بن محمد البديهي. من شهرزور. مات سنة ٣٨٠هـ من شعراء  
الصاحب بن عباد.  
(٣) بشار بن برد أصله من فارس شاعر هجاء عاصر نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة الأموية =

لَمَّا رَأَيْتُ الْحَظَّ حَظَّ الْجَاهِلِ      وَلَمْ أَرَ الْمَغْبُوبَ غَيْرَ الْعَاقِلِ  
رَحَلْتُ عَنْسًا<sup>(١)</sup> مِنْ شَرَابِ بَابِلِ      فَبِئْسَ مِنْ عَقْلِي عَلَى مَرَاكِحِ  
فمثل هذا القريض؛ يدفع بالمهان إلى الذرى من الحضيض؛ وقال  
اليزيدي؛ يهجو شيبه بن الوليد العبسي؛ لتعصبه عليه؛ للكسائي؛ وقد تناظرا  
بحضرة المهدي:

عِشْ بِجِدِّ وَلَا يَضُرَّكَ نَوُوكُ      إِذَا عَيْشُ مَنْ تَرَى بِالْجُدُودِ  
رُبَّ ذِي إِزْبَةِ مُقَلِّ مِنَ الْمَمِّ      سَالٍ وَذُو عَنَجَهِيَّةٍ مَجْدُودِ  
عِشْ بِجِدِّ وَكُنْ مِثْلَ هَبْنَعَةَ الْقَيْبِ      سَيِّ أَوْ مِثْلَ شَيْبَةَ بَنِ الْوَلِيدِ  
وقال البحرني:

أَرَى الْحُلْمَ بُؤْسًا فِي الْمَعِيثَةِ لِلْفَتَى      وَلَا عَيْشَ إِلَّا مَا حَبَاكَ بِهِ الْجَهْلُ  
وقال ابن المعتز:

وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا لِجَاهِلِيهَا      وَمَرَارَةُ الدُّنْيَا لِمَنْ عَقَلَا  
ثم إنَّ في تَشْكِي العُقلاء؛ وقناعة الجهلاء؛ سرأ سبق تفصيله في شرح البيت  
(٦٧)؛ وذلك أن العاقل؛ لا تقف رغباته عند حد؛ لطموح نفسه؛ بخلاف  
الجاهل؛ فانه يقنع بايسر بُلَغَةٍ من العيش؛ ولذا قال أبو تمام:

فَتَى بَرَّحَتْ هِمَاتُهُ وَفَعَالُهُ      بِهِ فَهَوٍ فِي جَهْدٍ وَمَاهَوٍ فِي جَهْدِ  
وقال البحرني:

وَالْقَسْلُ يَسْلُبُهُ عَزِيمَتَهُ      أَدْنَى وَجُودِ كِفَايَةِ تَسَعُّهُ  
وقد سبق في شرح البيت (٢٩)؛ قول المتنبي:

= كان منذ صغره ضريباً دميماً طويلاً ضخماً الجسم هجا علماء عصره مثل الأصمعي وسيبويه  
وعطاء وهجا الخليفة المهدي واتهم في آخر حياته بالزندقة فحُضِرَ بالسياط حتى مات.  
(١) العنس: الناقة الصلبة القوية.

تَضْفُو الْحَيَاءُ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ      عَمَّا مَضَى مِنْهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ  
وَلَمَنْ يُغَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ      وَتُسُومَهَا طَلَبَ الْمُحَالِ فَتَطْمَعِ  
وظني أني قد ذكرت قوله :

ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ      وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ  
وقال :

وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ      وَمَرْكُوبَهُ رِجْلَاهُ وَالشُّوبُ جِلْدُهُ  
وَلَكِنَّ قَلْبًا بَيْنَ جَنْبَيْ مَالِهِ      مَدَى يَنْتَهِي بِي فِي مُرَادِ أَحَدُهُ

وقوله : ميسور عيشه ؛ متمكن من موضعه ؛ بخلافه في بيت الشريف (٨٦) ؛  
فانه كقمدح الراكب ؛ حسبما قررناه ؛ ويكاد ان يكون بيت الشريف ؛ الذي نحن  
فيه ؛ ضدًا ما أخرجه في النهج<sup>(١)</sup> ؛ من قول الإمام : لا غنى كالعقل ؛ ولا فقر  
كالجهل ؛ ولكنه موافق لما أخرجه فيه ؛ من قوله : عيبك مستور ؛ ما اسعدك  
جدا ؛ وقد نقل الشارح في الكلام عليه ؛ عن أبي حيان : أن قد أُلْفِتَ الكتب ؛ في  
نوادير ابن الجصاص ؛ الدالة على حمقه ؛ وقد اجتمع له من الاموال ؛ ما لم  
يجتمع لقارون ؛ حتى قيل أنه عاقل ؛ وإنما يتغافل ؛ ليدفع عن نفسه آفة الكمال ؛  
فانكر ذلك أبو غسان ؛ وقال : لكنه الحظ ؛ ينسخ حال الاخرق ؛ ويستر عيب  
الاحمق ؛ وكانت والدة الإسكندر الفاتح ؛ تقول له : يا بني ؛ رزقك الله حظا ؛  
يخدمك به ذوا العقول ؛ لا عقلا تخدم به ذوي الحظوظ ؛ وفي بلاد اليونان ؛  
تمثال مشهور للحظ ؛ يعبد ه كثير ؛ لأنه من الآلهة عندهم .

### وَأَمَّا قَوْلُهُ (١١٠)

وَمَا يَسْرُرُ نَطْبَاجَ مَنْ زُنَاوُ      سَمْتِ قَعْدِ إِذَا بَرِي فِي الضَّرَامِ

(١) كتاب نهج البلاغة مما جمعه الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

فلا يخلو عن شيء من النظر؛ إلى ما سيره نصر بن سيار؛ لمروان:  
 أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِیْضَ نَارٍ وَتُنَقَّى النَّارُ مَا بَقِيَ الضَّرَامِ<sup>(١)</sup>  
 ومعنى بيت الشريف: لن يُعَدَمَ الشرر؛ ما دام الضرام؛ وهو بيت عامر؛  
 قاله في تعزية بهاء الدولة؛ بسلامته؛ بعد بنت له؛ وقد قال أبو العتاهية؛ للفضل  
 ابن الربيع: الحمد لله الذي جعلنا نعزيك فيه؛ ولا نعزیه بك.

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر؛ وقد مات عليه ولدان؛ في يوم واحد؛  
 إذا سلمت النخلة؛ فالسخل<sup>(٢)</sup> هدر؛ وهو من مأخذ بيت الشريف؛ والتشبيه فيه  
 أعذب وأقرب؛ وقال البحري:

وَفِي إِبْرِكَ مُعَزِّي عَن أَجْبِكَ إِذَا فَكَّرْتَ فِيهِ وَفِي الْوَفْدِ الَّذِي تَبِعَا  
 وما أحسن قول ابن الرومي؛ يعزي علي بن عبد الله بن المسيب؛ في بنت  
 له:

وَقَدْ مَاتَ مَنْ لَا يُخْلِغِ الذَّهْرُ مِثْلَهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأَسْلَافِ وَالْحَقُّ يُبْهِرُ  
 تَعَزَّيْتَ عَمَّنْ أَمَرْتِكَ حَيَاتُهُ وَوَشَكَ التَّعَزِّي عَن إِمَارِكَ أَجْدَرُ  
 تَعَذَّرَ أَنْ نَعْتَاضَ عَن أُمَّهَاتِنَا وَأَبَائِنَا وَالنَّسْلُ لَا يَتَعَذَّرُ  
 وقال أبو فراس:

هَيْهَاتَ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خَالِدٍ لَا بُدَّ مِنْ فَقْدٍ وَمِنْ فَاقِدٍ  
 كُنَّ الْمُعَزِّي لَا الْمُعَزَّى بِهِ إِنَّ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْوَاحِدِ

وقال ابن نباتة؛ يعزي سيف الدولة؛ عن ولده محمد:

وَمَا مِنْهُ مَفْقُودٌ إِذَا كُنْتَ حَاضِرًا وَلَا مِنْهُ مَنكُورٌ إِذَا كُنْتَ بَاقِيًا

(١) الرومض: اللعان والضرام: اشتعال النار.

(٢) السخل: كل شيء لم يتمم والسخل: الشبص، أي التمر الذي لا يشتد نواه.

وقال أبو فراس؛ في تعزية الفضل بن الربيع؛ عن الرشيد؛ في قريب مما نحن فيه؛ وإن لم يكف به:

تَعَزَّ أبا العَبَّاسِ عَن خَيْرِ هَالِكِ  
حَوَادِثُ أَيَّامٍ تَدُورُ صُرُوفُهَا  
وَفِي الْحَيِّ بِالمَيِّتِ الَّذِي غَيَّبَ الثَّرَى  
وقال أبو تمام:

أَضْحَى لَنَا بَدَلًا مِنْهُ بَنُوهُ بِهِ  
وقال البحتري:

وَلَوْ أَنَّكَ المَرْجُوعُ مِنَّا لِأَضْبَحْتَ  
رَدَدْنَا إِلَيْهِ الامْرَ طَوْعًا وَلَمْ نَقْلُ  
وإن جَاءَنَا يَحْكِي أَبَاهُ فَلَمْ يَزَلْ  
هُمَا شُرْعٌ فِي المُكْرَمَاتِ فَهَذِهِ

وفي قوله: وَلَمْ نَقْلُ لَهُ فِي الَّذِي يَأْتِيهِ؛ إلى آخره؛ إشارة إلى قوله جَلَّ ذكروه: ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الرومي؛ في رثاء ولده؛ بعكس ما قالوا في التعزي؛ بالباقي عن الذهاب:

أَرَى أَحْوَنَكَ البَاقِيَيْنِ كِلَاهُمَا  
إِذَا لَعِبَا فِي مَلْعَبٍ لَكَ لَدَغَا  
فَمَا فِيهِمَا لِي سَلْوَةٌ بَلْ حَزَازَةٌ  
ومثله؛ قول الآخر:

(١) جزء من الآية ١٥٤، من سورة آل عمران.



وَقَالُوا سَيْسَلِيهِ التَّسْلِي بِغَيْرِهِ  
فَقُلْتُ لَهُمْ هَلْ يُنكَأ الْقَرْحُ بِالْقَرْحِ  
وقول متمم<sup>(١)</sup>:

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ  
رَفِيقِي لِتَذْرَافِ الدُّمُوعِ السَّوَافِكِ  
وَقَالُوا اتَّبِعْ كِي كُلِّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ  
لِقَبْرِ نَوَى بَيْنِ اللُّوَى وَالذَّكَادِكِ  
فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْأَسَى يَبْعَثُ الْأَسَى  
دَعُونِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَا لَيْكَ  
والأخير؛ هو الذي اعني؛ وقال مسعود؛ أخو ذي الرمة؛ يرثيه؛ ويرثي أخا  
لهما آخر:

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْسَى بِبَيْلَانَ بَعْدَهُ  
عَزَاءً وَجَفَنَ الْعَيْنِ مَلَانَ مُتْرَعُ  
وَلَمْ يَنْسِنِي أَوْسَى الْمُصِيبَاتِ بَعْدَهُ  
وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْقَرْحَ يَلْقَرْحُ يُوجِعُ  
وزعموا: أَنَّ بشاراً خالف الناس؛ في قوله:

لَيْسَ يُسَلِّي مُصَابَ غَيْرِي مُصَابِي  
مَا بِهِمْ مَا بِهِمْ وَمَا بِيَّ مَا بِي  
وربما يكون موضع بشار؛ غيره؛ والرواية بالمعنى؛ وعندني أنه أسعد  
بالدليل؛ لقوله تعالى؛ في سورة الزخرف: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُرَ فِي  
الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ﴾. ثم ذكرت: ما فرقت به في العود الهندي؛ من امتناع القياس؛  
لكنه اليوم المهول؛ الذي تتلاشى فيه العقول.

وقال أبو خراش الهذلي<sup>(٢)</sup>:

بَلَى إِنَّهَا تَغْفُوا الْكُلُومَ وَإِنَّمَا  
تُوَكَّلُ بِالْأَذْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي

(١) مُتَمِّمُ بْنُ نُؤَيْرَةَ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ شَدَادِ الرَّبِيعِيِّ التَّمِيمِيِّ أَبُو نَهْشَلٍ. شَاعِرٌ فَحْلٌ، صَحَابِيٌّ، مِنْ  
أَشْرَافِ قَوْمِهِ، اشْتَهَرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، وَكَانَ قَصِيراً أَعُوراً، أَشْهَرُ شَعْرُهُ رِثَاؤُهُ لِأَخِيهِ  
مَالِكٍ تُوْفِيَ فِي ٣٠هـ.

(٢) أَبُو خِرَاشٍ الْهَذَلِيُّ خُوَيْلِدُ بْنُ مَرَّةٍ شَاعِرٌ مَخْضَرُمٌ، وَفَارِسٌ فَاتِكٌ مَشْهُورٌ، أَسْلَمَ وَهُوَ شَيْخٌ  
كَبِيرٌ، وَعَاشَ إِلَى زَمَنِ عُمَرَ، وَلَهُ مَعَهُ أَخْبَارٌ، نَهَشَتْهُ أَمَى فَنَقَلَتْهُ.  
لَهُ شَعْرٌ مَطْبُوعٌ فِي دِيْوَانِ الْهَذَلِيِّينَ.

ومثله قول ابن دريد:

بَلَى غَيْرَ أَنَّ الْقَلْبَ يَنْكُوهُ الْأَسَى الْمُدَّ      لِمُ وَإِنَّ جَلَّ الْجَوَى الْمُتَقَدِّمُ

وللشريف؛ في قريب من بيته؛ الذي بين أيدينا؛ قوله:

وَالصَّبْرُ عَنْ وَلَدٍ تَجِيءُ بِمِثْلِهِ      أَوْلَى وَلَكِنْ تَنْدُبُ الْآبَاءُ

وأما قوله (١١١)

وَكَيْفَ نَوْمُ الْمَرءِ مِنْ نَحْيِهِ      دُونَ الْكُرَى مُضْطَرِبِ الْأَرْقَمِ

فمن قول النابغة:

نُبِّئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي      وَلَا قَرَارَ عَلَيَّ زَأْرٍ مِنَ الْأَسَدِ

على أن في القسم الثاني؛ منه وحده؛ ما يعدل بيت الشريف؛ بمعنى أوضح؛ ولفظ افصح من شعره؛ وممن تمثل به الحجاج؛ عندما سخط عليه عبد الملك؛ ولم أفهم من قول الشريف: دون الكرى؛ سوى الاجتلاب والخضوع؛ لقهر الميزان؛ وإلا؛ فالكلام تام بدونه؛ ولا يصح أن يُراد منه: العلم قبل النوم بوجود الأرقم؛ لأنه لا يعطيه؛ ولأنه لا حاجة إليه؛ إذ لا خوف إلا مع العلم؛ أما دونه؛ فلا؛ فقد ذكر أهل الرجال؛ أن عقرباً دخلت في لحية؛ يزيد الرشك؛ أحد رواة الأمهات الست؛ فنفضها حتى اطمأن بخروجها منها؛ ثم ظهرت بعد ثلاثة أيام؛ فلم ينزعج في أثنائها؛ لعدم العلم؛ بل كان يقر وينام؛ ويستمرىء الشراب والطعام؛ وبه يتأكد ان ذلك اللفظ؛ من الحشو الممقوت؛ وفي كتاب كليله ودمنة؛ تعريب ابن المقفع؛ ما حاصله: أن المرء في هذه الحياة؛ كهارب من سبع؛ تعلق بحبل مرسل؛ في بثر؛ بقمرها تنين؛ فاغر فاه نحوه؛ فبقي بمنتصف البثر؛ يترشف حلاوة عسل وجده هناك؛ والحال ان جرذاً أبيض؛ وجرذاً أسود؛ يقرضان في أصل الحبل؛ وإزاء كل من يديه ورجليه؛ حية؛ يريد بالسبع: الأجل؛ وبالتنين: الموت؛ وبالجردين: الليل والنهار؛ وبالحيات

الأربع: الطبائع؛ من الصفراء والسوداء والبلغم والدم؛ فمتى تبيغت<sup>(١)</sup> احداهن  
بالإنسان؛ قتلته؛ وبالعسل؛ لذيد الحياة وشهواتها؛ ولا شك ان الشريف؛ ناظر  
إليه<sup>(٢)</sup>؛ وإلى قول المتنبي:

أَقْرَارًا أَلَدُ فَوْقَ شَرَارٍ وَمَرَامًا ابْنِي وَظُلْمِي يُرَامُ

ولقد أحسن ابن نباتة؛ ببيت أشار فيه؛ إلى بيت المتنبي هذا؛ وإلى بيت  
النابغة السابق؛ وهو قوله:

رَقَدْتُ عَلَى زَارِ الْأَسْوَدِ وَلَمْ أَهَبْ لَطَى النَّارِ لَمَّا أَنْ وَطِئْتُ عَلَى الْجَمْرِ

وأما قوله (١١٢)

إِذَا الْعُضْوُ لَمْ يُؤْلَمَكَ إِلَّا قَطَعْتَهُ عَلَى مَضْرٍ لَمْ تُبْقِ لَحْمًا وَلَا دَمًا

فمعنى مشهور؛ متداول بين الشعراء؛ من قديم العصور؛ قال النابغة:

وَلَنْتَ بِمُسْتَبِيٍّ أَحَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ  
وقال المتلمس<sup>(٣)</sup>:

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ بِكَفِّ لَهْ أُخْرَى فَأَضْبَحَ أَجْنَمًا  
وقال كثير:

وَمَنْ لَمْ يُغْمِضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهُوَ عَاتِبُ  
وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِدًا كُلَّ عَشْرَةٍ يَجِدَهَا وَلَمْ يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبُ

وقال بشار:

(١) تبيغ به النوم أو المرض: غلبه.

(٢) أي مقتبس منه.

(٣) المتلمس الضبيعي شاعر جاهلي ولقب المتلمس لبيت قاله؛ واسمه جرير بن عبد المسيح الضبيعي وهو خال طرفة بن العبد.

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا  
فَمِشْنٌ وَاجِدًا أَوْ صِلَ أَخَاكَ فَلَيْتَهُ  
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَا  
وقال البحرى :

صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ  
مُقَارِفٌ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ  
ظَلِمْتُ وَآيُ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ

قَالَهُ عَنِ نُبُوَّةِ الْأَجْلَاءِ إِذْ كَا  
وقال سعيد بن حميد<sup>(١)</sup> :

نَ عَتِيدًا فِي كُلِّ عُوْدٍ دُخَانُهُ

أَقْبِلْ عِتَابَكَ فَالْبَقَاءُ قَلِيلُ  
وَلَعَلَّ أَيَّامَ الْحَيَاةِ قَصِيرَةٌ  
وقال أبو دهبل<sup>(٢)</sup> :

وَالدَّهْرُ يَنْغِدُ نَارَةً وَيَمِيلُ  
فَعَلَامَ يَكْثُرُ عَنبُنَا وَيَطْوُلُ

وَلَوْ تَرَكُونَا لَا هَدَى اللَّهُ سَعْبِيهِمْ  
لَأَوْشَكَ صَرَفَ الدَّهْرِ يَفْرُقُ بَيْنَنَا  
وقال أبو الطيب :

فَلَمْ يُلْجِمُوا قَوْلًا مِنَ الشَّرِّ يَنْسِجُ  
وَهَلْ يَسْتَقِيمُ الْعَيْشُ وَالدَّهْرُ أَعْوَجُ

دَعِ النَّفْسَ تَأْخُذْ وَسَعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا  
وقال :

فَمُفْتَرِقُ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعُمُرُ

وَصَلِينَا نَصْلِكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا

سَا فَإِنَّ الْمُقَامَ فِيهَا قَلِيلُ

(١) سعيد بن حميد بن سعيد أبو عثمان؛ كاتب مترسل من الشعراء أصله من النهروان الأوسط ومولده ببغداد ثم؛ قلده المستعين العباسي ديوان رسائله؛ وأكثر أخباره مناقضات مع فضل الشاعرة؛ وشعره رقيق كان ينحو فيه نحو ابن أبي ربيعة.

(٢) أبو دهبل الجمحي هو وهب بن زمعة بن أسد القرشي. أحد الشعراء العشاق المشهورين من أهل مكة، قال المرتضى: هو من شعراء قریش، وممن جمع إلى الطبع التجريد. له مدائح في معاوية وعبد الله بن الزبير، وأخبار كثيرة مع عمرة الجمحية وعاتكة بنت معاوية، في شعره رقة وجزالة، كان صالحاً ولاء عبد الله بن الزبير بعض أعمال اليمن.

فكل هذه الأبيات؛ ترمي إلى غرض واحد؛ وهو استصلاح الصاحب؛  
والإغضاء عنه؛ وبيت الشريف هذا؛ من شعر له جزل؛ منه:

وَكَمْ صَاحِبٍ كَالرَّمْحِ زَانَتْ كُغُوبُهُ      أَبِي بَعْدَ طُولِ العَمَزِ أَنْ يَتَقَوَّمَا  
كَعَضُو رَمَتْ فِيهِ اللَّيَالِي بِقَادِحِ      وَمَنْ حَمَلَ العُضْوَ الأَلِيمَ تَأَلَّمَا  
صَبْرَتْ عَلَى إِنْلامِهِ خَوْفَ نَقْصِهِ      وَمَنْ لَمْ يَزَعْوَ يَ رَعَوِي كَانَ الأَوْمًا  
أَرَاكَ عَلَى قَلْبِي وَإِنْ كُنْتَ عَاصِيَا      أَعَزَّ مِنَ القَلْبِ المُطِيعِ وَالأَكْرَمَا  
حَمَلْتِكَ حَمَلَ العَيْنِ لَجَّ بِهَا القَدَا      فَلَا تَنْجَلِي يَوْمًا وَلَا تَبْلُغِ العَمَى  
إِذَا العُضْوُ لَمْ يُؤْلِمَكَ إِلَّا قَطَعْتَهُ      عَلَى مَضْضٍ لَمْ تُبْقِ لَحْمًا وَلَا دَمًا

وما أحسن قوله: حملتك حمل العين؛ فانه من جزل الكلام؛ ومختار الشعر؛ و كنت اظنه لم يُسَبِّحْ إليه؛ حتى رأيت العجلوني<sup>(١)</sup>؛ يقول في كتابه؛ كشف الخفا؛ ولأبي نعيم؛ عن أبي ادريس الخولاني: أن أبا مسلم سمع أهل الشام؛ وكادوا يتناولون عائشة رضي الله عنها؛ ألا اخبركم بمثلكم؛ ومثل أمكم؛ كمثل عيين في رأس؛ يؤذيان صاحبهما؛ ولا يستطيع أن يعاقبهما؛ إلا بالذي هو خير لهما؛ وقال الأول:

وَإِنَّ امْرَأَةً مِنَّا تُحَاوِلُ ضَرَّتَنَا      حَيَاتُكَ تُؤْذِينَا وَمَوْتُكَ يَفْجَعُ  
وقال أنس بن زعيم<sup>(٢)</sup>؛ وهو معدود في الصحابة:

(١) إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء، (١٠٨٧ - ١١٦٢هـ) محدث الشام في أيامه.

مولده بعجلون ومنشأه ووفاته بدمشق. له كتب منها (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس - ط) مجلدان، و(الفيض الجاري في شرح صحيح البخاري - خ) ثمانية مجلدات كتبها سنة ١١٥٣ ولم يتمه، و(شرح الحديث المسلسل بالدمشقيين) و(عقد الجواهر الثمين - ط) أربعون حديثاً.

(٢) أنس بن زعيم الكناني صحابي جليل وشاعر مخضرم؛ وكان قد هجا الرسول ﷺ؛ فأهدر رسول الله ﷺ دمه، فبلغه ذلك فلما كان يوم فتح مكة قدم على رسول الله ﷺ معتذراً فعفى عنه.

بَسَّالِمَةَ الْعَيْنَيْنِ طَالِبَةً غُدْرًا<sup>(١)</sup>  
وَأَكْبَرَ مِنْهَا أَوْرَثَتْ بَيْنَنَا غَمْرًا  
لَعَلَّ غَدًا يُبْدِي لِمُؤْتَمِرٍ امْرَأًا  
وَأَقْلِيمَ أَظْفَارًا أَطَالَ بِهَا الْحَفْرًا

وَعَوْرَاءَ مِنْ قَبْلِ امْرِئٍ قَدْ رَدَدْتُهَا  
وَلَوْ أَنَّهُ إِذْ قَالَهَا قُلْتُ مِثْلَهَا  
فَأَعْرَضْتُ عَنْهُ وَأَنْتَظَرْتُ بِهِ غَدًا  
لَأَنْزَعَ ضَيْمًا ثَاوِيًا فِي قُوَادِهِ  
وقال الشريف أيضاً:

عَلَى عِظْمِ دَاءٍ بَيْنَنَا وَقَفَّاقِمِ  
لِتَمْرِيْقِ قُرْبَى بَيْنَنَا وَمَحَارِمِ  
وَقَدْ كَانَ سَمْعِي مُدْرَجًا لِلنَّمَائِمِ

لَوْنْتُ عَلَى وَدِّ الْعَشِيرَةِ جَانِبِي  
وَقَلَّمْتُ أَظْفَارِي وَكُنْتُ أَعْدَهَا  
وَأَوْطَأْتُ أَقْوَالَ الْوُشَاةِ أَخَامِصِي

ومرَّ له ما يشبهه في المقالة الأولى؛ ويأتي له ولغيره؛ نحوه؛ تحت البيت (١٥٧)؛ ولكن البيت (١٢٢)؛ يخالفه.

### وأما قوله (١١٣)

كَالْبَعِثِ بِخَلْفِهِ الرَّبِيعِ وَيَعْصِيهِمْ  
كَالنَّارِ بِخَلْفِهَا الرَّمَادَ الْمُنْظَمِ

فأوله؛ من قول الحسين بن مطير؛ في رثائه؛ لمعن بن زائده:

فَتَى عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ  
وَقَوْلِ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ:  
كَمَا أَنَّ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعًا

فَأَذْهَبَ كَمَا ذَهَبَتْ عَوَادِي مُرْتَنَةً  
وقد كرره الشريف؛ في غير موضع؛ من ديوانه كقوله:

بَاقِي بِكُلِّ خَمَائِلٍ وَنَجَادِ  
وَأَمَّا آخِرُهُ؛ فمن قول البحري:

(١) المعنى أنه رد على كلمة قبيحة بكلمة طيبة.

وَبَعْضُهُمْ يُكُونُ أَبُوهُ مِنْهُ      مَكَانَ النَّارِ يَخْلُفَهَا الرَّمَادُ  
وقافية بيت الشريف؛ فضلة؛ لا داعي لها؛ سوى الإتكاء والإرتفاد؛ إذ لا  
يوجد رماد مضيء؛ حتى يحترز عنه؛ بالمظلم.

### وأما قوله (١١٤)

هُبُوا فَكَذَّبْتَنِي قَطُّ الْأَ      جَدَادُ لِقَوْمِ الزِّيَامِ

فمعدوم التناسب؛ فاسد المعنى؛ وإنما يصح؛ لو قال: هُبُو فَلَ تَتَقَطُّ؛ إلى  
آخره؛ ثم هو من قول بشار:

تَأْتِي الْمُقِيمَ وَمَا سَعَى حَاجَاتُهُ      عَدَدَ الْحَصَى وَيَخِيبُ سَعْيَ النَّاصِبِ  
وقول أبي العتاهية:

قَدْ يُدْرِكُ الرَّاقِدُ الْهَادِي بِرُقْدَتِهِ      وَقَدْ يَخِيبُ أَخُو الرُّوحَاتِ وَالذَّلَجِ

ومما تحت البيت (٤٧)؛ عن البحري. ومن أمثالهم: لا يياسن نائم أن  
يغنما؛ ومن اتساقه؛ تتبين لك فضيحة بيت الشريف!

وأشده ابن الإعرابي؛ لابن عبدل الأسدي<sup>(١)</sup>:

قَدْ يُرْزَقُ الْخَافِضُ الْمُقِيمُ      وَمَا شَدَّ لَفْسَ رَحْلًا وَلَا قَتَبًا  
وَيُحْرَمُ الْمَالَ ذُو الْمَطْيِيَّةِ      وَالرَّحْلُ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُتَتَرِبًا

وكل هذه؛ من أضاليل العجزة؛ وأماني الكسالي؛ وإنما المقبول؛ ما كان  
من مثل قول السادة الصوفية: إِنَّ الهَمَّةَ؛ رسول التوفيق؛ وقولهم: ويروى

(١) الحكم بن عبدل بن جبلة الأسدي؛ شاعر عاش في أوائل العصر الأموي، ولد بالكوفة وقضى بها أكثر عمره حتى نفاه عبد الله بن الزبير مع عمال الأمويين في الكوفة سنة ٦٤هـ توجه إلى عبد الملك ومدحه ومدح الحجاج وعامله معاملة حسنة. كان ابن عبدل معروفًا مرهوباً بسبب هجائه.

مرفوعاً: «إن الله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو تمام:

سَعَى فَاسْتَنْزَلَ الشَّرْفَ إِقْتَسَاراً      وَلَوْلَا السَّعْيُ لَمْ تَكُنِ الْمَسَاعِي

وقال البحرني:

وَالرِّزْقُ لِلْيَقْظِ الْمُشْبَعِ رَائِيهِ      بِالْعَزْمِ لَا لِلْعَاجِزِ الْمَافُونَ

وقلت من قصيدة؛ انشأتها لمناسبة عيد الفطر؛ وأنا بعدن سنة ١٣٤٠هـ:

مَا الْحَظُّ إِلَّا الْجَدُّ أَوْ      فِي الْجَدِّ لِلْحَظِّ الزِمَامُ

وقد مرّ تحت البيت (٦٢)؛ ويأتي تحت البيت (١٤٠)؛ ما لا يستغنى هنا؛

عن مثله؛ وأخرج الخطيب؛ وابن عساكر؛ عن عائشة؛ قالت: كن لما لم ترُج؛

أزجى منك؛ لما ترجو؛ فإن موسى ابن عمران؛ خرج يقبس ناراً؛ فرجع بالنبوة؛

ومثله عند الديلمي مرفوعاً؛ من حديث بن عمر.

### وأما قوله (١١٥)

مَا الدَّنْبُ لِلْمُرْنِ جَارَتْنِي مَوَاطِرُهُ      وَأَنْمَا الدَّنْبُ لِلْأَزْرَاقِ وَالْقَسَمِ

فبيت جميل النسخ؛ ولكنه مسروق؛ من قول أبي تمام:

فَلَوْ حَارَدَتْ شَوْلُ عَدْرَتْ لِقَاحَهَا      وَلَكِنْ حُرِمْتُ الدَّرَّ وَالضَّرْعُ حَافِلُ

وقول أبي عباده:

عَمَامٌ عَدَانِي صَوْبُهُ وَهُوَ مُسْبِلٌ      وَيَخْرُ عَدَانِي قَيْضُهُ وَهُوَ مُفْعَمٌ

وَيَذُرُّ أَصَاءَ الْأَرْضِ شَرْقاً وَمَغْرِباً      وَمَوْضِعُ رَجُلِي مِنْهُ اسْوَدُّ مُظْلِمٌ

(١) رواه الطبراني في الكبير عن محمد بن مسلمة وهو بتمامه: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها لعله أن يصيبكم نفعة منها فلا تشقون بعدها أبداً» والحديث حكم عليه السيوطي بالضعف، وكذلك الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير.



وَمَا بَخِلَ الْفَتْحُ بِنُ حَاقَانَ بِالنَّدَى      وَلَكِنَّهَا الْأَزْزَاقُ تُعْطَى وَتُحْرَمُ  
وقال ابن الرومي:

وَأِنْ عَاقَ الْقَضَاءُ نَدَاكَ عَنِّي      فَلَسْتُ أَرَاكَ فِي مَنْعِي مَلِيمًا  
وَمَا عَيْتُ إِذَا يَجْتَازُ أَرْضًا      إِلَى أُخْرَى بِمُعْتَدٍ لَيْمًا  
بِإِذْنِ اللّهِ يَغْرَى مَثْنُ أَرْضٍ      وَيَكْسُو أُخْتَهَا الرَّهْرَ الْعَيْمًا  
وقال أبو نواس:

الرَّزْزُوقُ وَالْجِرْمَانُ مَجْرَاهُمَا      بِمَا قَضَى اللّهُ وَمَا قَدَّرَا  
وقال عبد الأعلى بن حماد: دخلت على المتوكل فقال: قد هممنا أن نصلك؛ فقد اندفعت الأمور؛ فقلت: يا أمير المؤمنين؛ لقد بلغني عن جعفر بن محمد الصادق؛ أنه قال: من لم يشكر للهمة؛ لم يشكر للنعمة؛ وأنشدته قول الباهلي:

لَأَشْكُرَنَّكَ مَعْرُوفًا هَمَمْتَ بِهِ      إِنْ اهْتِمَامَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفٌ  
وَلَا أَلُومَكَ إِنْ لَمْ يُنْمِضْهُ قَدَرٌ      فَالْشَّيْءُ بِالْقَدْرِ الْمَخْتُومِ مَضْرُوفٌ  
ويعجني قول المتنبّي:

أَرَدْتُ لِي جَمِيلًا جُدْتُ أَوْ لَمْ تَجُدْ بِهِ      فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِيَّ أَتَانِي  
فإنه بيت جميل؛ له معني جليل؛ وفيه كلام طويل؛ لانه لا يعدم شهادة؛ من قول السادة الصوفية: إنَّ لله عبادا؛ إذا ارادوا؛ اراد؛ وليس المراد منه: أن الأمر انف<sup>(١)</sup>؛ كما توهمه بعض الجهلة؛ وإنما هو تبديل شيء آخر؛ باقدار سابقه؛ موافقه للعلم القديم؛ كما في نسخ الاحكام؛ وكما في تفسير؛ ما جاء في الصحيح؛ في قصة الاقرع؛ والأبرص؛ والأعمى؛ من انه بدا لله عز وجل؛ أن يختبرهم؛ وقد جاء في انجيل لوقا: لأنني الحق اقول لكم؛ أن من قال لهذا

(١) أنف: أي غضبا وقهرا.

الجبل: انتقل وانطرح في البحر؛ ولا يشك في قلبه؛ بل يؤمن؛ أن ما يقوله يكون؛ فمهما قال؛ يكون له؛ لذلك اقول لكم: انكم كلما تطلبونه؛ حينما تُصَلُّون؛ فامنوا ان تنالوه؛ فيكون لكم (انتهى النقل). وهو مشروط عندنا<sup>(١)</sup>؛ ببذل الوسع؛ وافراغ الجهد؛ في تحصيل المقصود؛ وإلا كان؛ بطالة وضلالة؛ وأتشد الثعاليبي؛ لمن لم يُسَمِّه:

فَإِنْ تَنَعَّمْ فَلَيْسَتْ مِنْكَ نُكْرًا  
وَقَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقَدُوسِ<sup>(٢)</sup>:

يَشْقَى رِجَالٌ وَيَشْقَى آخَرُونَ بِهِمْ  
وَلَيْسَ رِزْقُ الْفَتَى مِنْ لُطْفِ حَيْلَتِهِ  
كَالصَّيْدِ يُحْرَمُهُ الرَّامِي الْمُجِيدُ وَقَدْ  
يُرْمَى فَيُحْرَزُهُ مَنْ لَيْسَ بِالرَّامِي

وقد سبق بعض هذا؛ تحت البيت (٦٢).

### وأما قوله (١١٦)

إِنْ مَنَّ خَاضَتْ السَّوَاطِرُ فِيهِ  
لِحَرِيِّ أَنْ تَحْوِصَهُ الْأَسْدَامُ

فانه من قول اردشير؛ أو غيره؛ من ملوك الفرس: لا تتبدل نفسك؛ فان من خاضته الأعين؛ وطئته الأرجل. وفي عيون الاخبار؛ لابن قتيبة: أن ابن شبرمة القاضي؛ قال لإبنه: لا تمكن الناس من نفسك. وفي اخبار الفاطميين؛ أن

(١) أي في دين الإسلام.

(٢) صالح بن عبد القدوس من شعراء الدولة العباسية. كان حكيماً متكلماً يعظ الناس في البصرة، وشعره كله أمثال وحكم وآداب، يدور كثير من شعره حول التنفير من الدنيا ومتاعها، وذكر الموت والنفاء، والحث على مكارم الإخلاق، وطاعة الله، ويمتاز شعره بقوة الألفاظ، والتدليل، والتعليل، ودقة القياس. اتهمه المهدي العباسي بالزندقة، فقتله في بغداد.

المهدي؛ نهى أبا عبد الله الشبعي؛ عن مباشرة الناس؛ وقال: انه مفسد للهيبة؛ فاجراً الناس على السباع؛ اكثرهم لها معاينة؛ ومن أمثالهم؛ كما عند الميداني: الهوى من الغوى؛ ومعناه ان البعد؛ يورث الحب؛ والقرب؛ يورث الإملال؛ ومنه: رَبِّ ثَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ؛ وكل محجوب مهاب؛ ولذا كانت الاشراف؛ كما ذكره الجاحظ؛ تكثر من القناع؛ وكان ابن الخطاب؛ يأمر الحجيج؛ بمبادرة النفير من مكة؛ ويقول: اخاف أن يأنس الناس؛ بهذا البيت؛ فتسقط هيئته من قلوبهم؛ وقال ابن المقفع: إذا أقبل عليك انسان؛ فسرَّك ان لا يدبر عنك؛ فلا تُنْعِمُ الاقبال عليه؛ والتفتح له؛ فان الناس اندمجوا على خلال سوء؛ يدبرون عمن لصق بهم؛ ويتولعون بمن اعرض عنهم؛ أو ما يشبه هذا؛ فالعهد بيتيمته بعيد<sup>(١)</sup>؛ وذكر الطبري؛ في فتح بيت المقدس: أن عمر قدم لإمضاء الصلح؛ فتلقاه معاوية؛ وعليه ثياب الديباج؛ وحوله الغلمان والخوَل<sup>(٢)</sup>؛ فدنا منه فقبل يده؛ فقال له عمر: ما هذا ايا ابن هند؟ وقد بلغني ان ذوي الحاجات؛ يقفون ببابك! فقال: أمَّا اللباس؛ فانا ببلاد عدو؛ نحبُّ ان يرى أثر نعمة الله علينا؛ واما الحجاب؛ فانا نخاف من البدلة؛ جراءة الرعية؛ فقال: إن كنت صادقاً؛ فانه رأي اريب؛ وان كنت كاذباً؛ فأنها خدعة لبيب. ويروى هذا الكلام؛ على وجه آخر؛ وغرضنا منه؛ ما جاء في سبب الحجاب؛ فمنه ومن أمثاله؛ امتاح<sup>(٣)</sup> الشريف؛ وقد كان عمر؛ سهل الحجاب؛ للضعفاء؛ شديده على الأقوياء؛ حتى لقد قال المغيرة شعبة؛ ربما عرق الدرهم في يدي؛ انتظر الإذن على عمر؛ وإنما يعرق الدرهم؛ لأنه يعده لرشوة الحاجب.

وما أحسن ما يقول البحري:

وَلَا يَغْرَنَّاكُمْ مِنْهُ تَبَدُّلُهُ      حَتَّى اسْتَوَى عِنْدَهُ الْأَرْبَابُ وَالْخَوَلُ

(١) ربما يقصد كتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للنيسابوري.

(٢) الخوَل: عطية الله من النعم والعييد والإماء وغيرهم من الأتباع والحشم.

(٣) امتاح الماء من البئر اغترفه يمتاح من تراث العلماء: ينهل ويُفيد من آرائهم العلمية.

فَإِنْ يَكُنْ ظَاهِرًا فَالشَّمْسُ ظَاهِرَةٌ  
 وَمِنَ الْأَوَّلِ؛ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ:

وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ  
 فَلَيْتِي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَ مَحَبَّةٍ  
 لِذِي بَابِجَتِيهِ<sup>(١)</sup> فَاعْتَرَبْتُ تَجَدُّدِ  
 إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمِدِ  
 وَتَأَمَّلْ! فَمَا أَقْدَرُ هَذِينَ الْفَحْلِينَ؛ عَلَى اسْتِنْتِاجِ الْمَعَانِي؛ فَكُلُّ مِنْهُمَا؛  
 اسْتَنْبَطَ مَعْنَى مِنَ الشَّمْسِ؛ يَخَالِفُ الْآخَرَ؛ وَكُلُّ مِنْهُمَا؛ أَصَابَ الْمَحْزُ<sup>(٢)</sup>؛ وَقَالَ  
 أَبُو تَمَامٍ أَيْضًا:

إِنْ تَمَتَّنِعْ مِنْهُ فِي الْأَوْقَاتِ رُوَيْتُهُ  
 وَقَالَ ابْنُ نَبَاتَةَ:

وَلَوْ كَانَ الْحِجَابُ لِغَيْرِ نَفْعٍ  
 وَالْمَذْمُومُ مِنْهُ؛ إِنَّمَا هُوَ طَوْلُهُ؛ أَوْ وَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهِ؛ وَفِي النَّهْجِ:  
 كَلَامٌ مُتَكَرِّرٌ فِيهِ؛ وَلَعَلَّ أَكْثَرَهُ؛ دَاخِلٌ تَحْتَ قَوْلِ؛ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقِ:

إِذَا اغْتَضَمَ الْوَالِي بِإِعْلَاقِ بَابِهِ  
 ظَنَنْتُ بِهِ إِحْدَى ثَلَاثٍ وَرُبَّمَا  
 وَرَدَّ ذَوِي الْحَاجَاتِ دُونَ حِجَابِهِ  
 أَقُولُ بِهِ مَسٌّ مِنَ الْقَيِّ ظَاهِرٌ  
 رَجَمْتُ بِظَنِّ وَاقِعٍ بِصَوَابِهِ  
 فَإِنَّ لَمْ يَكُنْ عَيَّ اللِّسَانَ فَغَالِبٌ  
 مِنْ الْبُحْلِ يَحْمِي مَالَهُ عَنْ طَلَابِهِ  
 وَإِنْ لَا يَكُنْ لَا دَا وَلَا ذَا قَرِيبَةً  
 يُكْتَمُهَا مَسْتَوْرَةً بِثِيَابِهِ  
 وَقَالَ حَبِيبٌ؛ يَهْجُو:

هَبْ مَالَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ حِجَابَهُ  
 مَا بَالُ لَا شَيْءٍ عَلَيْهِ حِجَابُ

(١) الذُّبَابِجَاتَانِ: الْخَدَّانِ.

(٢) يُقَالُ: نَكَلَمْتُ فَأَصَابَ الْمَحْزُ: أَيِ تَكَلَّمَ فَأَتَمَعَ.

مَا أَنْ سَمِعْتُ وَلَا أَرَانِي سَامِعاً      اِبْدَأُ بِصَحْرَاءَ عَلَيْنَهَا بَابُ  
 مَنْ كَانَ مَفْقُودَ الْحَيَاءِ فَوَجْهُهُ      مِنْ غَيْرِ بَوَابٍ عَلَيْهِ بَابُ  
 وقال :

لَا تَكُلْفَنَّ فَارِضُ وَجْهِكَ صَخْرَةً      مِنْ غَيْرِ مَنْفَعَةٍ مَوْئِنُهُ حَاجِبِ  
 وعلى ذكر قلة الحياء ؛ خطر لي قوله :  
 إِذَا كَانَ وَجْهُ الْمَرْءِ صَلْباً فَإِنَّهُ      يُقَاسِي عُجَانًا لَا إِمْتِرَاءَ بِهِ رَطْبًا

### وأما قوله (١١٧)

وَمَا اللَّيْثُ إِلَّا مَنْ يَدِلُّ بِنَفْسِهِ      وَيَمْضِي إِذَا مَا بَادَمَتْهُ<sup>(١)</sup> الْعِظَائِمُ

نفي ؛ استعارته برودة ؛ وكل من يدل بنفسه ؛ ويمضي إلى آخره ؛ صالح  
 لملاءمة المُشَبَّه والمُشَبَّه به ؛ وذلك من صور الاطلاق ؛ ولكنه خالٍ من الحلاوة ؛  
 وهو بعد ؛ من قول سعد بن ناشب<sup>(٢)</sup> ؛ أحد شعراء الدولة المروانية :

أخو عَزَمَاتٍ لَا يَطْبِيرُ عَلَى الَّذِي      يَهْمُ لَهُ مِنْ هَائِلِ الْأَمْرِ عَاتِبَا  
 إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ      وَنَكَّبَ عَنِ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا  
 إِذَا هَمَّ لَمْ تُرَدِّعْ عَزِيمَةً هَمُّهُ      وَلَمْ يَأْتْ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ هَائِبَا  
 وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي شَأْنِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ      وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبَا

(١) بدَّه الأمرُ أي : فجأه .

(٢) سعد بن ناشب المازني التميمي . من الشعراء الشجعان ذوي الحزم والعزم . عاش في صدر  
 الإسلام وأدرك الدولة الأموية . عرف بأبياته الحماسية التي قالها لما أقدم بلال بن أبي بردة  
 على هدم داره بالبصرة ، ثم احراقها ومنها الأبيات السابقة ومطلع هذه القصيدة :  
 عليكم بداري فاهدموها فإنها      تراث كريم لا يخاف العواقب

## وأما قوله (١١٨)

لا تَصْفَحَنَّ عَنِ الْمَلِيمِ إِذَا جَنَى وَإِذَا الْمَضَارِبُ أَمَكَّتْكَ قَصِيمٌ

فماخوذ من الغسانية؛ وهي قصيدة؛ قالها أبو أذينة؛ يُحَرِّضُ الْأَسْوَدَ بِنِ الْمُنْذَرِ؛ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْ غَسَانَ؛ وَكَانَ قَدْ ظَفَرَ بِمَلُوكِهِمْ؛ وَأَرَادَ الْعَفْوَ عَنْهُمْ؛ فَهَيَّجَهُ بِهَا عَلَيْهِمْ<sup>(١)</sup>؛ وَمِنْهَا:

مَا كُلَّ يَوْمٍ يَنَالُ الْمَرْءُ مَا طَلَبَا وَلَا يُسَوِّغُهُ الْمِقْدَارُ مَا وَهَبَا  
وَأَحْرَمُ النَّاسِ مَنْ إِنْ نَالَ فُرِصَتَهُ لَمْ يَجْعَلَ السَّبَبَ الْمَوْصُولَ مُقْتَضِبَا  
لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتُرْسِلْهَا إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَاتَّبِعْ رَاسَهَا الذَّنْبَا

ويروى؛ أَنَّهُ ﷺ؛ نَهَى عَنْ رَوَاتِهَا؛ لِأَنَّهَا تُثِيرُ الْإِحْقَادَ.

وقال أبو الطيب:

وَمَنْ عَرَفَ الْإِيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا وَيَا نَّاسِ رَوَى رُوحَهُ غَيْرَ رَاجِمِ  
فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفَرُوا بِهِ وَلَا فِي الرَّدَى الْجَارِي عَلَيْهِمْ بِأَيِّمِ

ولو ان الشريف؛ قال: عن اللثيم؛ لكان صواباً؛ اما المليم؛ فانه مستحق اللوم؛ وربما كان كريماً؛ والكريم؛ لا ينبغي الانتقام منه؛ ما دام يمكن تأديبه بالصفح.

قال ربيعة بن مقرون الضبي:

فَلِإِنْ تَسْأَلِينِي فَلِإِنِّي لِمَرْءٍ أَهْيُنُ اللَّئِيمِ وَآحِبُّوَا الْكَرِيمَا

(١) وذلك أنه كانت حربٌ بين ملوك غسان وملوك العراق وهم لخم. فظفر الغسانيون باللخمين، وقتلوا جماعة منهم. ثم من آخر السنة التقوا في ذلك الموضع، وكان قد جمع اللخميون جمعاً عظيماً فظفروا بالغسانيين وأسروا منهم جماعة، وأراد ملكهم الأسود بن المنذر البقيا عليهم. فقام رجلٌ من قومه وهو أبو أذينة وكان قد قتل أخٌ له يحرضه على قتلهم.

وقال حاتم:

وَاعْفِرْ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ إِدْحَارُهُ  
وَاعْرِضْ عَنْ سَبِّ اللَّئِيمِ تَكْرُمًا

وقال أبو الطيب:

إِذَا أَنْتَ اكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ  
وَوَضِعُ النَّدَا فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعَلَى  
وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا  
وَإِنْ أَنْتَ اكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدًا  
مُضِرٌّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَا

وقال ابن الخطاب رضي الله عنه: ما وجدت لئيماً قط؛ إلا قليل المرؤة؛ وقال تعالى: ﴿... وَمَا تَقَمُّوا إِلَّا أَنْ أَغْنَتْهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾<sup>(١)</sup>.

وقال أبو عمرو بن العلاء؛ لبعض أصحابه: إنَّي الكريم إذا اهنته؛ واحذر من اللئيم إذا اكرمته؛ فهو اصل كلام المتنبي؛ وبالفرق؛ ما بين اللوم والكرم؛ في المقايسة بالأعمال؛ والمجازاة عليها؛ يحصل الجمع؛ بين آيات العفو الكثيرة؛ وبين أمثال قوله جل ذكره: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>؛ إذا العفو لا يحسن مع اللئيم؛ كما يفهم؛ من قوله جل ذكره في سورة فصلت: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>؛ إذا لا يكون كذلك؛ إلا الكريم؛ أمَّا اللئيم؛ فلا يزيد عداوته؛ لإحسان؛ إلا شدة وتمردا؛ ولذا؛ مَنْ رضي الله عنه؛ يوم الفتح؛ على قريش؛ وفعل مافعل؛ ببني قريضة؛ وقد هداني الله في ذلك؛ إلى جواب؛ لم أُسَبِّق عليه؛ حيث قلت: إنَّه قتل الفريقين؛ إلَّا أَنْ قَتَلَهُ لَقْرِيشَ؛ كان بالعفو؛ لإنهم كرام؛ وقتل اليهود؛ بالسيف؛ لإنهم لئام؛ وذكرت ما اسلفت عن المتنبي؛ وقوله:

وَاحْلُمْ عَنْ خَلِيٍّ وَاعْلَمْ أَنَّهُ  
مَتَى أَجْزَوْ حُلْمًا عَلَى الْجَهْلِ يَنْدُمُ

(١) جزء من الآية رقم ٧٤، من سورة التوبة.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٩.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

وقوله:

يَا مَنْ يَقْتُلَ مَنْ أَرَادَ بِسَيْفِهِ أَضْبَحْتُ مِنْ قَتْلِكَ بِالْإِحْسَانِ

وقوله:

وَيَضْطَنِعَ الْمَعْرُوفَ مُبْتَدِئاً بِهِ

وقوله:

لَا يَشْهَرُونَ عَلَى مُخَالِفِهِمْ

وقول البحري:

صَفُوحٌ عَنِ الْجَانِي وَصَفْحَةٌ سَيْفِهِ

وقوله:

عَفْوٌ بِهِ كَبِتَ الْعَدُوُّ وَلَمْ أَحِذْ

حَتَّى لَكَانَ الصَّفْحُ أَثْقَلَ مَحْمَلاً

والمعنى في شعر المتنبي؛ أظهر منه في غيره؛ وقد اكرت من تكرير

الجواب؛ الذي الهمني الله آياه؛ في كتبي وقصائدي؛ ومنه قولي:

نَعْمَ لَا يَجُوزُ الْعَفْوُ إِلَّا لِمَنْ بِهِ

كَمَا بِاللَّئَامِ الْفَتَكِ أَوْلَى لِأَنَّهُمْ

وَفِي الْفُضْلِ يَوْمَ الْفَتْحِ وَالْفَتَكِ فِي بَنِي

وقولي؛ في موازنة البردة<sup>(١)</sup>:

(١) موازنة البردة أو نسج البردة قصيدة للإمام عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف على نسج

قصيدة البردة للبوصيري وكان رحمه الله يعقد مجلساً قصيراً لقراءتها صباح كل يوم جمعه مع زواره يعقبها بكلمة قصيرة؛ وتنتهي قبل صلاة الجمعة بساعة زمنية؛ واستمر احفاده قائلين بقراءتها في بيته صباح كل جمعه؛ بمدينة سيؤن إلى اليوم؛ وهذه الأبيات من ضمنها.



وَالْعَفْوُ مَعْدِنُهُ الْهَادِي أَلَمْ نَرَهُ  
 وَفِي فُرَيْظَةٍ لَمْ يَأْتِ الْعَيْثِي لَهُمْ  
 أَمْضَى النَّبِيِّ عَلَيْهِمْ مَا قَضَاهُ لَهُمْ  
 وَأَشْكَلَ الْحَالُ بَيْنَ الْبَاحِثِينَ وَلَا  
 فَالْأَمْرُ مُفْتَرِقٌ لَوْنًا وَمَتَفِقٌ إِذْ

ومما يعزى؛ إلى علي؛ كرم الله وجهه: يُفْسِدُ الْعَفْوُ مِنَ اللَّثِيمِ؛ بِقَدْرِ مَا يُضْلِحُ مِنَ الْكَرِيمِ؛ وفي صفحة ٢١٧؛ جلد اول؛ من شرح النهج؛ عن الإمام: الوفاء لأهل الغدر؛ غدر؛ والغدر بأهل الغدر؛ وفاء عند الله.

وفي الحماسة؛ للعارف الطائي:

عُدِزْتُ بِأَمْرِ كُنْتَ أَنْتَ اجْتَدَبْتَنَا  
 إِلَيْهِ وَيَغْسُ الشِّيمَةَ الْعَدْرُ بِالْعَهْدِ

وأما قوله (١١٩)

لَا يَدْخِرُ الضَّيْفُ مِنْ قُوْتِهِ مَا يَدْخِرُ النَّمْلُ مِنَ الْمَطْعَمِ

فللمعري بيت في معناه؛ وبعض ألفاظه؛ وهو:

وَهَلْ يَدْخِرُ الضَّرْعَامُ قُوْتًا لِيَوْمِهِ إِذَا إِدْخَرَ النَّمْلُ الطَّعَامَ لِعَامِهِ

وبينهما من البون؛ ما بين الثريا والثرى؛ والجواهر والحصى؛ فان كان السابق الشريف؛ فقد استحقه المعري بالإجادة؛ وإن كان السابق المعري؛ فما هو إلا إنحطاط بالشريف وبلادة؛ وقال النابغة؛ أو أوس بن حجر؛ على اختلاف العزوة:

وَلَسْتُ بِحَايِي لِعَدِي طَعَامًا جِدَارَ عَدِي لِكُلِّ عَدِي طَعَامًا

واخرج أحمد؛ عن أنس مرفوعاً: «لِكُلِّ عَدِي رِزْقٌ»؛ وأخرج ابن عساكر عن أبي عبيدة؛ قال: أنشد بحضرة حاتم؛ قول المتلمس:

قَلِيلُ الْمَالِ تُضْلِحُهُ فَيَبْقَى      وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ النِّسَاءِ  
وَحِفْظُ الْمَالِ خَيْرٌ مِنْ فِنَاءِهِ      وَعَسْفٌ فِي الْبِلَادِ بِقَيْرٍ زَادِ

فقال حاتم: قطع الله لسانه! حمل الناس على البخل؛ أفلا قال:

فَلَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ قَبْلَ ذَهَابِهِ      وَلَا الْبُخْلُ فِي مَالِ الشَّحِيحِ يَزِيدُ  
فَلَا تَلْتَمِسْ مَالاً بِعَيْشٍ مُقْتَرٍ      لِكُلِّ غَدٍ رِزْقٌ يَمُودُ جَدِيدُ

غير أن كلام المتلمس؛ احزم واحسن ما قيل في بابه؛ وقد أثر عن حاتم ما يصدقه؛ من الاحتفاظ بالمال؛ وبذل الوسع في تربية السخال؛ وكم من السلف من يجود بالألوف؛ ويماكس في الدرهم؛ وفي معجم البغوي؛ عن أبي هاشم؛ قال: كنت احمل المتاع من البصرة إلى علي بن الحسين؛ فيماكسني فيه؛ ولعلي لا أقوم من مجلسه؛ حتى يهَبُ عامته؛ فقلت له في ذلك؛ فقال: إن أبي حدثني؛ يرفعه: المغبون؛ لا مأجور ولا محمود؛ ورؤي عبد الله بن جعفر؛ يماكس؛ فقيل: كيف تماكس وتجود بالكثير؟ قال: ذلك مالي جدت به؛ وهذا عقلي بخلته.

### وأما قوله (١٢٠)

قَدْ يَبْلُغُ الرَّجُلُ الْجَبَانَ بِمَالِهِ      مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ الشَّجَاعُ الْمَعْدَمُ

فمن قول علقمة<sup>(١)</sup>:

وَقَدْ يُفْعِدُ الْقِلَّ الْفَتَى دُونَ هَمِّهِ      وَقَدْ كَانَ لَوْلَا الْقِلُّ طَلَاعُ أَنْجِدِ

وقول حسان:

رُبَّ حُلْمٍ اضْأَعَهُ عَدَمُ الْمَمِّ      أَلِ وَجَهْلٍ عَطَى عَلَيْهِ النَّعِيمُ

(١) علقمة بن عبدة الفحل؛ شاعر جاهلي لم يدرك الإسلام عاش في بدادية نجد وكان مقدما بين شعراء الجاهلية ومعاصرا لامرء القيس.

غير ان الشريف؛ ابدل الحلم والجهل؛ من بيت حسان؛ بالشجاعة  
والجبن؛ فأحال وقال أبو تمام:

مَا أَضْيَعَ الْعَقْلَ إِنْ لَمْ يَرْعَ ضَيْعَتَهُ      وَفَرُّ وَايُّ رَحَى دَارَتْ بِبِلَا قُطْبِ  
وقال أبو الطيب:

وَمَا يَنْضُرُ الْفَضْلَ الْمُبِينَ عَلَى الْعِدَا      إِذَا لَمْ يَكُنْ فَضْلُ السَّعِيدِ الْمُؤَفَّقِ  
وجه الإحالة؛ التي قلنا في بيت الشريف؛ في ابداله؛ معنى حسان؛ أن  
الشجاع؛ فلما يعوزه المال؛ حسبما مر؛ في شرح قوله:

دُونُكُمْ مَوَا قَابَتِيرُوا غَنَمَهَا      دُمَى مُبَاحَاتٍ وَمَا مُبَاخِ  
من المقالة الثانية.

وقال الطرماح<sup>(١)</sup>:

وَمَنْ يَفْتَقِرُ مِنَّا يَعْشُ بِحُسَامِهِ      وَمَنْ يَفْتَقِرُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ يَسْأَلِ  
وقال حبيب:

إِنَّ الرِّمَاحَ إِذَا غُرِشْنَ بِمَشْهَدِ      فَجَنَى الْعَوَالِي فِي ذَرَاهُ مَعَالِي  
وقد مر تحت البيت (٤٣)؛ انهم ردوا قول البحتري: والنبع عريان ما في  
عوده ثمر؛ ومن ابلغ الرد عليه؛ قول أبي فراس:

وَمَا تَجْنِي سَرَاةَ بَنِي أَبِيْنَا      سِوَى نَمَرَاتِ اطْرَافِ الْعَوَالِي  
وقوله:

وَمَنْ كَانَ غَيْرَ السَّيْفِ كَافِلٌ رِزْقِهِ      فَلِلذُّلِّ مِنْهُ لَا مَحَالَةَ جَانِبُ

(١) الطرماح بن الحكيم بن الحكم ولد سنة ١٢٥هـ ببلاد الشام ثم انتقل إلى الكوفة وصاحب  
فيها الشاعر الكميث وكان يعتنق مذهب الخوارج، اشتهر بهجائه المقذع؛ وقال في الفرزدق  
وهو من تميم اقلع بيت قاله العرب وهو:

فلو أن برغوئا على ظهر قملة      رآته تميم من بعيد لولت

وقال الشريف نفسه:

وَاسْتَنْزَلُوا أَرْزَاقَهُمْ بِشَفَارِهِمْ      فَمَضَوْا بِغَيْرِ مَذَلَّةٍ وَصَفَارِ

وقال:

سَاجِعَلُ عُضْبِي دُونَ وَجْهِي وَقَابَةٌ      لِيَأْمَنَ عِنْدِي مَاؤُهُ مِنْ نُضُوبِهِ

وقال:

يُثْمِرُ الْمَاءُ وَيَأْبَى الْغِنَا      إِلَّا مِنَ الذَّابِلِ وَالْمَحْدَمِ

وقال:

إِذَا مَا جَنَوْنَا مِنْ مَالِهِمْ نَمَرَ الْعُلَى      جَنَبْتُ الْمَعَالِي مِنْ تُغُورِ اللَّهَازِمِ<sup>(١)</sup>

فما عدا مما بدا؛ نعوذ بالله من الحور بعد الكور؛ ومر تحت البيت (١١)؛

ما له بما هنا مناسبة.

### وأما قوله (١٢١)

قَدْ يَقْدِخُ الْمَرْءُ وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَمٍّ      وَتَقَطَّعَ الْمَطْوِيُّ الْكَرِيمَ لِلْأَلَمِ

فمن قول؛ بن حينا<sup>(٢)</sup>:

إِذَا الْمَرْءُ أَوْلَاكَ الْهَوَانَ فَأُولِهِ      هَوَانًا وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبًا أَوَاصِرُهُ  
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تُهَيِّئَهُ      فَنَذَرُهُ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي أَنْتَ قَادِرُهُ  
وَقَارِبُ إِذَا مَا لَمْ تَكُنْ لَكَ قُدْرَةٌ      وَصَمِّمُ إِذَا أَيَقَنْتَ أَنَّكَ عَاقِرُهُ

وقول ذي الأصبع:

(١) اللهدم من السيوف والأسته والأنياب: الحاد القاطع، والجمع: لهاذم ولهاذمة.  
(٢) المغيرة بن حينا التميمي. شاعر، إسلامي، كان من رجال المهلب بن أبي صفرة. وكان هو وأخوه (صخر ويزيد) شعراء فرساناً، وأبوهم شاعر؛ ومات شهيداً في نفس.

مَاذَا عَلَيَّ وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي رَحْمِي      أَنْ لاجِبُكُمْ إِنْ لَمْ تُحِبُّونِي  
يَا عَمْرُو؛ إِلَّا تَدْعُ شَيْمِي وَمَنْقَصِي      اضربك حتى تقول الهامة أسقوني  
ومن قول دعبل:

وَهَبَكَ يَمِينِي اسْتَأْصَلْتُ فَقَطَعْتَهَا      وَصَبَّرْتُ قَلْبِي بَعْدَهَا مُتَشَجِّعًا  
وكل هذا مخالف للبيت (١١٣)؛ ولبعض ما تحته؛ ما لم يدع مدع؛ أن  
هذا؛ عند اليأس من الاستصلاح؛ وذاك؛ ما دام في القوس منزع؛ أو أن هذا في  
الثام؛ وذاك في الكرام؛ على تفصيله السابق؛ في البيت (١١٩)؛ وما أحسن قول  
الطغرائي:

جَامِلٌ أَحَاكَ إِذَا اسْتَرَيْتَ بِوَدِّهِ      وَأَنْظُرُ بِهِ عَقَبَ الزَّمَانِ الْعَائِدِ  
فَلِنْ اسْتَمَرَّ بِهِ الْفَسَادُ فَخَلَّهُ      فَالْمُضْوُ يُقْطَعُ لِلْفَسَادِ الزَّائِدِ  
ولا يحصى كثرة من انتقم من اقاربه؛ ثم تألم لذلك؛ كما سقت جملة  
منهم؛ في العود الهندي؛ وذكرت أن السابق إلى اصل المعنى؛ مهلهل؛ في قوله:  
بُكْرُهُ قُلُوبِنَا يَا آلَ بَكْرِ      نَفَائِدِكُمْ بِمُرْهَفَةِ النِّصَالِ  
وَنُبْكِي جِئِنَ نَذَرْتُكُمْ عَلَيْكُمْ      وَنَقُلُّكُمْ كَأْنَا لَا نُبَالِي  
وإن أمراً يبكي منه مهلهل؛ لجد عظيم؛ لأنه القائل:

بُكِّي عَلَيْنَا وَلَا نُبْكِي عَلَى أَحَدٍ      لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبْلِ  
وأما قصب السبق في هذا المعنى؛ فلبحتري؛ في بيته الجامع؛ وهو:  
إِذَا اسْتَجَرْتَ يَوْمًا فَفَاصَتْ دِمَاؤُهَا      تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى فَفَاصَتْ دُمُوعَهَا  
وبيت المتلمس السابق؛ تحت (١١٣)؛ وهو من قصيدة له؛ تُعَدُّ من  
مختارات الأشعار؛ ومنها:

يَدَاهُ أَصَابَتْ هَذِهِ حُسْنَ هَذِهِ      فَلَمْ تَجِدِ الْأُخْرَى عَلَيْهَا مُقَدَّمًا  
فَلَمَّا اسْتَقَادَ الْكَفَّ بِالْكَفِّ لَمْ يَجِدْ      لَهُ دَرَكًا فِي أَنْ تَبَيْتَ فَأَحْبَمًا

فَأَظْرَقَ إِظْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ رَأَى      مُسَاغَاً لِتَنَابِيهِ الشُّجَاعِ لَصَمَمَا  
 لِذِي الْحُلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تَفَرَّعَ الْعَصَا      وَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْلَمَا  
 وأما كون عداوة الأقارب؛ أشد من عداوة البعداء؛ فكثير؛ وقد مر ما  
 يناسبه؛ تحت البيت (٥٤)؛ وقال الهيثم بن عدي:

بَنِي عَمَّنَا إِنَّ الْعَدَاوَةَ شَرُّهَا      صَغَائِرُنْ تُبْقَى فِي نُفُوسِ الْأَقَارِبِ

وأما قوله (١٢٢)

وَمَا كُلُّ لَيْثٍ يَغْنَمُ الْقَوْمُ زَادَهُ      إِذَا حَقَّقَتْ تَحْتَ الظَّلَامِ الضَّرَاعِمُ

فأشبهه برحى تطحن قرونا؛ كما قيل في شعر الاندلسي؛ ثم إن أراد حقيقة  
 الحيوان المفترس؛ فليس المعنى بصحيح؛ لأنه لا يبذل زاده؛ وإنما يمنعه؛ كما  
 مر؛ تحت البيت (٤١).

وقال أبو الطيب:

أَلْقَى فَرِيْسَتَهُ وَيَرْبَرَ دُونَهَا      وَقَرُبَتْ قُرْباً خَالَهُ تَظْفِيلا  
 فَتَشَابَهَ الْخَلْقَانِ فِي إِقْدَامِهِ      وَتَخَالَفَا فِي بَذَلِكِ الْمَأْكُولَا

وهو من قول البحري:

شَارَكْتُهُ فِي الْبَّاسِ ثُمَّ فَضَلْتُهُ      بِالْجُودِ مَحْقُوقاً بِذَلِكَ زَعِيمَا

غير انه جاء في النهج: أن الكلب يلوذ إلى مخالِب اللئيم؛ ينتظر ما يلقي  
 إليه؛ من فضل الفريسة؛ وقال الدميري: إنَّ الأسد لا يأكل من فريسة غيره؛ وإذا  
 شبع من فريسة له؛ تركها؛ ولم يعد إليها؛ وعليه؛ فالكلب إنما ينتظر اعراضه لا  
 بذله؛ وإنما سماه الإمام؛ بذلا؛ على طريق المجاز؛ بعلاقة الانتفاع؛ وبعزة نفس  
 الأسد وشرف همته؛ يُفَسِّرُ قولهم: اكرَّم من الأسد؛ وإن أراد الشجاع؛ فقد تقرر  
 اقتران النجدة بالجدود؛ لا يخرج عنه الا النادر الشاذ؛ فالمعنى صحيح؛ لكن  
 التشبيه قبيح؛ واسناد الخفوق إلى الضرغام؛ غير جميل؛ لأنه لا يَحْسُنُ؛ إلا

إلى؛ البرق والفؤاد والسيف والرمح والسراب والرايات؛ وما أشبه ذلك؛ ثم ان ابن المعتز؛ يقول في قصيدته؛ التي تَوَزَّكَ<sup>(١)</sup> بها على آل علي:

دَعُوا الْأَسَدَ تَفْرُسُ ثُمَّ اشْبَعُوا بِمَا تَفْضُلُ الْأَسَدُ فِي غَايَهَا

وكأن الشريف اعترف بهذا؛ على ما انطوى عليه؛ من تشبيه آل علي بالحيوانات النابحة؛ إلا انه رد عليه: يَأْتُهُ مَا كُلُّ الْأَسَدِ تَفْضُلُ مِنْ فَرَائِسِهَا؛ وفي ذلك سقوط ودناءة؛ ينزه من مثلها الشريف؛ فكيف أَسَفَتْ به الحال؛ وانظر إلى حشمة المتنبّي في قوله:

أَبَا الْمَسْكِ هَلْ فِي الْكَاسِ فَضْلٌ أَنَالُهُ قَائِي أَعْنَى مُنْدُ جِبِنٍ وَتَشْرَبُ

فبينه وبين بيت الشريف؛ مع التقارب في أصل المعنى؛ بعد المشرقين؛ وقال أبو عبد الله الضرير الأبيوردي؛ من قصيدته؛ التي ترجم فيها أمثال الفرس:

يُوَاسِي الْعُرَابُ الذِّبَبَ فِي كُلِّ صَيْدِهِ وَمَا صَادَتْ الْعُرْبَانُ فِي سَعْفِ النَّخْلِ

وَمَنْ يَمْشِي إِثْرَ اللَّبِيبِ يَكْثُرُ كِبَابُهُ وَلَيْسَ عَلَى جَارِ الْأَمِيرِ أَدَى الْمَخْلِ

وفي هذا؛ نوع موافقه للشريف.

### وأما قوله (١٢٣)

إِذَا الْعَدُوُّ عَصَانِي خَافَ حَلِيدِي وَعِرْضُهُ أَحْسَنُ مِنْ هَاجِرَاتِ قَتِي

فما انشده أبو تمام؛ لإياد بن قنادة؛ كما عند ابن قتيبة؛ وقال أبو هلال العسكري؛ لا أعرف خيراً منه؛ في الافتخار؛ وهو:

قَلْنَا لِزُهَيْرٍ إِنْ تَمَمْتَ سَرَاتِنَا قَلْنَا بِسَنَامَيْنِ لِمُتَشَمِّمِ

وَلَكِنَّا نَأْبَى الظَّلَامَ وَنَفْتَضِي بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ مُصَمِّمِ

وَتَجْهَلُ أَيْدِينَا وَخَلْمُ رَأِينَا وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلِّمِ

(١) تَوَزَّكَ غَرِيمَهُ أَوْ تَوَزَّكَ لَهُ: إِعْتَقَلَهُ بِرِجْلِهِ فَضَرَعَهُ.

وكانَّ الشريف أعجب به؛ فاحب ان يكون له مثله؛ فأوى إلى قريبٍ من ظل الألفاظ؛ ولكن من دون حقيقة؛ إذ كان ديوان الشريف؛ مملوءاً بالأهاجي؛ كما سبق دَرَوْ منه؛ في المقالة الثانية؛ ومنها قوله:

فَسَوْفَ أَغْتِي بِأَعْرَاضِكُمْ      غِنَاءاً مِنْ الشَّرِّ لَا يُظْرِبُ  
وقوله:

أَرَى وَجُوهاً وَإِيمَاناً مُقَفَّلَةً      فَمُغْلِقِ الْبِشْرِ مِنْهَا مَفْلَقَ الْجُودِ  
مُعَبِّسِينَ لِغَلَا يُحَدِّثُوا ظَمْعاً      لِلْسَائِلِينَ وَلَا يُؤْفُوا بِمَوْعُودِ  
وقوله:

وَعَافِلِينَ عَنِ الْعَلِيَاءِ قَائِدُهُمْ      فِي كُلِّ غَيِّ قَتِيَّ الْعَقْلِ مُكْتَهَلُ  
عَارِينَ إِلَّا عَنِ الْفَحْشَاءِ يَسْتُرُهُمْ      نُوبُ الخُمُولِ وَتَنْبُوا عَنْهُمْ الْحَلُّ  
وقوله:

سَامِضٌ بِالْأَقْوَالِ أَعْرَاضَ قَوْمِكُمْ      وَلِلْقَوْلِ أَنْيَابٌ لَدَيَّ جِدَادُ  
وقوله:

فَإِنْ تَكُ مِذْحَةً سَبَقَتْ فَلِإِنِّي      بِضِدِّ نِظَامِهَا عَيْنَ الرَّعِيمِ  
لِيَعْلَمَ مَنْ أَنْاضِلُ أَنْ شِعْرِي      يُطَالَعُ بِالنَّقَاءِ وَبِالنَّمِيمِ

فأنى يا من العدو؛ هاجرات فمه؛ مع ما ذكر من إرهاف لسانه وقلمه؛ قال ابن رشيح: من الشعراء من يترفع عن الهجاء مطلقاً؛ لما فيه من سوء الأثر؛ وقبح السمعة؛ كما يحكى عن العجاج؛ انه قيل له: لم لا تهجو؟ قال: إن لنا أحساباً تمنعنا أن نظلم. وقال ابن مقبل<sup>(١)</sup>:

أَأَغْفُو كَمَا يَغْفُو الْكَرِيمُ فَإِنِّي      أَرَى الشَّغْبَ فِيمَا بَيْنَنَا مُتَدَانِيَا

(١) تميم بن مقبل؛ شاعر مخضرم من قيس، عاش في الجاهلية دهرأ ثم أدرك الإسلام فأسلم، وأدرك زمن معاوية حسبما يدل شعره، وقيل إنه من المعمرين.



فَأَمَّا سُرَاقَاتِ الْهَجَاءِ فَأَنَّهَا كَلَامٌ تَهَادَاهُ إِلَيْئَهُمْ تَهَادِيًا

فمثل هذا الترفع عن الهجاء؛ صادر عن الشرف والنجدة؛ ومنهم من يرغب بنفسه؛ إلا عن الأكفاء؛ كالفرزدق؛ فلقد هجاه الطرماح؛ فترفع عنه؛ وقال:

إِنَّ الطَّرْمَاحَ يَهْجُونِي لِأَرْفَعَهُ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ حَالَتْ دُونَهُ الْقَصْبُ<sup>(١)</sup>

ويروى ان الطرماح قال: لو هجاني الفرزدق لكنت اشعر العرب! ولكنه؛ لما أمضه بعد؛ هجاه؛ فحصل له بذلك شهرة؛ ذُكِرَ بسببها في عداد الفحول.

وقال الفرزدق أيضاً:

وَلِإِنْ حَرَامًا أَنْ أُسَبَّ مُقَاعَسًا بِأَبَائِي الشَّمِّ الْكِرَامِ الْخَضَارِمِ

وَلَكِنْ نَصَفًا لَوْ سَبَبْتُ وَسَبَبَنِي بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ مِنْ مَنَافٍ وَهَائِسِمِ

وقال:

وَلَوْ كُنْتُ حُرَّ الْعِرْضِ أَوْ ذَا حَفِيطَةٍ جَرَيْتَ وَلَكِنْ لَمْ تَلِدْكَ الْحَرَائِرُ

وقال الآخر:

إِنِّي لِأَكْرِمُ نَفْسِي أَنْ أُكَلِّفَهَا هَجَاءَ جَرْمٍ وَمَا يَهْجُوهُمْ أَحَدٌ

مَاذَا يَقُولُ لَهُمْ مَنْ كَانَ هَاجِيَهُمْ لَا يَبْلُغُ النَّاسَ مَا فِيهِمْ وَإِنْ جَاهِدُوا

وقد تعرض اللعين المتقري؛ للفرزدق وجريه؛ بقوله:

سَأَقْضِي بَيْنَ كَلْبِ بَنِي كَلْبٍ وَبَيْنَ الْقَيْنِ قَيْنِ بَنِي عِقَالِ

بِأَنَّ الْكَلْبَ مَرْتَعَهُ وَخَيْمٌ وَأَنَّ الْقَيْنَ يَغْمَلُ فِي سِقَالِ

فلم يجبه احدٌ منهما؛ فقال:

فَمَا بُقِيَا عَلَيَّ تَرَكْتُمَانِي وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ الزُّبَالِ

(١) يقال للسابق: «أخَرَزَ قَصَبَ السَّبِي»؛ أصله أنهم كانوا ينصبون في حلبة السباق قصباً فمن سبق اقتلعها وأخذها ليُعلم أنه السابِق.

وقد تمثل بهذا الرشيد؛ لما أراد قتل جعفر البرمكي.

وبعد أبيات؛ فلم يلتفتا إليه؛ فسقط؛ واسم اللعين؛ منازل بن زُمعة المنقري؛ سمعه عمر بن الخطاب؛ ينشد شعرا والناس يصلون؛ فقال: من هذا اللعين! فلصق به؛ وقال مسلم بن الوليد:

أَمَّا الْهَجَاءُ فَذَقَّ عِرْضَكَ دُونَهُ  
وَالْمَذْحُ فِيكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ  
فَأَذْهَبَ فَأَنْتَ طَلِيْقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ  
جَدُّ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ  
وقال الرامي:

لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ يُهْجَى هَجْوَتَكُمْ  
يَا ابْنَ الرِّقَاعِ وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ  
فأخذه أبو الطيب؛ فقال:

وَلَوْ كُنْتُ امْرِءٌ تُهْجَى هَجْوَنَا  
وَلَكِنْ صَاقَ نَثْرٌ عَنِ مَسِيرِ  
وأُشْدَ أَبُو عَمْرٍو بِنِ الْعَلَاءِ؛ لثَلْبِ؛ يَهْجُو الْمَبْرَدَ:

شَاتَمَنِي كَلْبٌ بَنِي مَسْمَعٍ  
فَصُنْتُ عَنْهُ النَّفْسَ وَالْعِرْضَا  
وَلَمْ أُجِبْهُ لِأَخْتَقَارِي لَهُ  
وَمَنْ يَعْضُ الْكَلْبَ إِنْ عَضَا؟  
ونظر إلى بعضه المتنبي؛ في قوله:

وَوَحْتَقِرُ الْحُسَّادَ عَنْ ذِكْرِهِ لَهُمْ  
كَأَنَّهُمْ فِي النَّاسِ مَا خُلِقُوا بَعْدُ  
والناجم؛ في قوله:

عَذْبِيرِي مِنْ أَحْيِي سَفْهِ رَمَانِي  
أَبَى لِي أَنْ أُجِيبَكَ أَنْ قَدْرِي  
بِمَا فِيهِ فَقُلْتُ لَهُ سَلَامًا  
أَبَى لِي أَنْ أَنْزِعَكَ الْكَلَامًا

وقوله سلاماً؛ تلميح إلى قوله؛ جل ذكره: ﴿..... وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾<sup>(١)</sup>؛ ثم ان بعض هذه الشواهد؛ وإن كانت في استحقار المهجوة؛ لا تخرج

(١) جزء من الآية ٦٣، من سورة الفرقان.

عن كونها؛ من قسم الرغبة إلا عن الأكفاء؛ فالكلام على اتصاله؛ وبيت الشريف الذي نحن فيه؛ على اشتراكه؛ جميل حسن الصياغة؛ وأجمل منه؛ قوله من الأخرى:

وَقُورٌ فَلَا الْأَلْحَانَ تَأَسَّرُ عَزْمَتِي وَلَا تَمْكُرُ الصَّهْبَاءُ بِي حِينَ أَشْرَبِ

وقد مرَّ تحت البيت (٧٦)؛ لأبي نواس؛ ما يشبه عجز الأول منهما. وفيما يشبه البيت الذي نحن في شرحه؛ قول المتنبي:

وَلَا عِفَّةٌ فِي سَيْفِهِ وَسِنَانِهِ وَلَكِنَّهَا فِي الْكَفِّ وَالْفَرْجِ وَالْقَمِّ

وقوله:

وَأَكْبِرُ نَفْسِي عَنْ جَزَاءٍ بِغَيْبَةٍ وَكُلُّ اغْتِيَابٍ جَهْدٌ مَنْ لَا لَهُ جَهْدٌ

وقال ذو الاصبغ العدواني:

وَلَا لِسَانِي عَلَى الْأَدْنَى بِمُنْظَلِقِي بِالْمَاجِحَاتِ وَلَا فَتْكَي بِمَأْمُونِ

وقال السيوطي؛ في الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِيْنَا﴾<sup>(١)</sup>؛ وقوله تعالى: ﴿وَأَغْلَطْ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>؛ إنه لما كانت الحده هي الغالبة على موسى؛ أمر باللين؛ ولما كانت الرحمة هي الغالبة على نبينا؛ أمر بالإغلاظ؛ وخير منه؛ أن يقال: أن المراد اللين في الكلام؛ والإغلاظ بالفعل؛ عند الإقتضاء؛ فيكون شاهداً لما نحن فيه؛ ومن شواهد فضل الفعل على القول؛ ما ذكره الزمخشري في أمثاله؛ أن سالم بن دارة الغطفاني؛ هجا بعض بني فزارة بقوله:

أَبْلِغْ قَرَارَةَ أَنِّي لَا أَصَالِحُهَا حَتَّى يَنْبِكَ زَمِيلٌ أَمْ دِينَارِ

فقتله زميل الفزاري؛ فقال الكميث بن ثعلبة<sup>(٣)</sup>:

(١) سورة طه، الآية ٤٤: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾.

(٢) سورة التحريم، الآية ٩: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطْ عَلَيْهِمْ وَمَأْمُورُهُمْ جَهَنَّمَ وَيَقْسُ الْعَصِيدَ﴾.

(٣) قال الميداني: الكميث ثلاثة: الكميث بن ثعلبة ثم الكميث بن معروف ثم الكميث بن =

فَلَا تُكْثِرُوا فِيهَا الضُّجَّاحَ فَإِنَّهُ مَحَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعًا

وأم دينار؛ هي أم زميل؛ وقال زميل:

أَنَا زَمِيلُ قَائِلُ ابْنِ دَارَةَ وَغَاسِلُ الْمِخْرَافَةِ عَنْ فِرَارَةَ

فأشار إليه الكمي؛ ويعجبي من قصيدة الشريف هذه؛ قوله:

يَكَادُ أَنْفِي إِذَا مَا اسْتَفَافَ مَرْتَبَةً مِنْ التَّوَاضِعِ يَنْضُو خِلْعَةَ الشَّمَمِ  
جَدِّي النَّبِيِّ وَأُمِّي بِنْتُهُ وَأَبِي وَصِيْبُهُ وَجَدُّوِي خَيْرَةُ الْأُمَمِ

وأما قوله (١٢٤)

وَلَوْ أَمِنَ الْجَبَانَ مِنَ الْمَنَائِيَا لِأَعْمَدَ سَيْفُهُ الْبَطْلُ الْمُحَامِي

فمن قول أبي الطيب:

وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبَقَّى لِحَيِّي لَعَدَدْنَا أَضْلَانَا الشُّجْعَانَا  
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدًّا فَمِنَ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا

وقوله:

يَرَى الْجُبْنََاءُ أَنَّ الْجُبْنَ حَزْمٌ وَتِلْكَ خَدِيعَةُ الطَّبَعِ اللَّئِيمِ

وقوله:

كَمْ مَخْلَصٍ وَعُغْلًا فِي حَوْضٍ مَهْلِكَةٍ وَقَتْلَةٍ قُرِنَتْ بِالِدَمِّ فِي الْجُبْنِ

وقال الأعشى:

إِبَالِ الْمَوْتِ حَشْنِي عُبَادٌ وَإِنَّمَا رَأَيْتُ مَنَائِيَا الْقَوْمِ تَبْغِي ذَلِيلَهَا

= زيد، وكلهم من بني أسد. والكميت بن معروف بن الكمي الأكبر بن ثعلبة بن نوفل الأسدي، أبو أيوب. شاعر مخضرم، من بني جحوان بن فقعم، عاش أكثر حياته في الإسلام عرّفه الجمحي بالكميت الأوسط لتوسطه في الزمن بين جدّه الكمي بن ثعلبة والكميت بن زيد وقال هو أشعرهم قريحة.

وقيل للمهلب ابن أبي صفرة: إنك لتلقي نفسك في المهلكات؛ فقال: إن لم آت الموت مسترسلاً؛ أأناني مستعجلاً؛ إنني لست آتي الموت من حبه؛ وإنما آتبه من بغضه؛

ثم تمثل بقول الحصين بن الحمام<sup>(١)</sup>:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أُنْقَدَمَا

وعلى هذا بني المتنبي قوله؛ الذي ذكرناه في غير موضع؛ وهو:

فَحُبُّ الْجَبَانَ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التُّقَى وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهَا الْحَرْبَا

وقوله:

وَقَدْ يَشْرِكُ النَّفْسَ الَّتِي لَا تَهَابُهُ وَتَحْتَرِمُ النَّفْسَ الَّتِي تَنْهَيْبُ

ومن كلام العرب: الشجاعة وقاية؛ والجبن مقتله؛ وقد أخصي من يُقتل مدبراً؛ فكانوا أكثر ممن يُقتل مقبلاً!

وقال جرير:

قُلْ لِلْجَبَانَ إِذَا تَأَخَّرَ سَرَجُهُ مَا أَنْتَ مِنْ شِرْكِ الْمَتِيَّةِ نَاجِي

وقال عمرو ابن امامة:

لَقَدْ حَسَوْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ إِنَّ الْجَبَانَ حَتْفُهُ مِنْ قَوْقِهِ

وأرسله مثلاً؛ وقال قطري بن الفجاءة<sup>(٢)</sup>:

(١) الحصين بن حمام بن ربيعة المريّ الذبياني؛ شاعر فارس جاهلي في شعره حكمة. وهو ممن نبدوا عبادة الأوثان في الجاهلية.

مات قبيل ظهور الإسلام، وقيل: أدرك الإسلام، له ديوان شعر.

(٢) شاعر الخوارج وفارسها وخطيبها والخليفة المسمى أمير المؤمنين في أصحابه، وكان من رؤساء الأزارقة وأبطالهم. استفحل أمره في زمن مصعب بن الزبير، لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله بن الزبير. وبقي قطري ثلاث عشرة سنة، يقاتل ويسلم عليه بالخلافة =

وَقَوْلِي كَلَّمَا جَاءَتْ وَحَاشَتْ  
 فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتِ بَقَاءَ يَوْمٍ عَلَى  
 فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا  
 سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةٌ كُلُّ حَيٍّ

وقد مرت جملة من مناسباته؛ تحت البيت (٦٩)؛ ونبهنا تحت البيت

(٣٤)؛ على أن فيه شبهة بهذا؛ وفي عكسه؛ يقول السؤال:

يُقَرَّبُ حُبُّ الْمَوْتِ أَجَالَنَا لَنَا  
 وَتَكْرَهُهُ أَجَالُهُمْ فَتَطْوُلُ  
 وقول أبي تمام:

فِيمَ الشَّمَاتَةِ إِعْلَانًا بِأَسَدٍ وَعَى  
 أَفْنَاهُمْ الصَّبْرُ إِذْ أَبْقَاكُمْ الْجَزْعُ

ونحوه؛ ما مر تحت البيت (٨٥)؛ من قول عبيدة بن هلال الخارجي:

فَتَوَى سَرِيحًا وَالرِّمَاحُ تَنُوشُهُ  
 إِنَّ الشَّرَاءَ قَصِيرَةٌ الْأَعْمَارِ  
 وقال أبو الطيب:

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ  
 الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ فَنَالُ

= وإمارة المؤمنين وسير إليه الحجاج جيشاً إثر جيش، وهو يردهم ويظهر عليهم. وكانت كنيته في الحرب نعاماً (ونعاماً فرسه) وفي السلم أبو محمد.

## المقالة السابعة

وأما قوله (١٢٥)

وَمَنْ أَضْمَرَ الصَّدَّ عَمَّنْ لَيْسَ يُضْمِرُهُ      بَغِيًّا مَشَى فِي نَوَاجِي سِرِّهِ الْقَدِيمِ<sup>(١)</sup>

ففيه حشو وفضول؛ كما سنبينه؛ والظاهر من معناه: أن من أضمَرَ الإعراض عن محبه؛ ظهر القدم على سره؛ ولو قال على غدره؛ أو على قوله؛ لكان له نوع من الاتجاه؛ أمَّا السر؛ فلا يظهر للقدم فيه معنى؛ وهو اذن من قول ابن المعتز:

تَفَقَّدَ مَسَاقِطَ لَحْظِ الرَّيْبِ      فَإِنَّ الْوُجُوهَ عُيُونُ الْقُلُوبِ  
وَطَالِغَ بَوَادِرِهِ فِي الْكَلَامِ      فَلَأَنَّكَ تَجْنِي إِيمَارَ الْغُيُوبِ

وقال كشاجم:

وَيَأْبَى الَّذِي فِي الْقَلْبِ إِلَّا تَبَيَّنَا      وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَرْشَحُ

وقول معن بن زائدة<sup>(٢)</sup>: ما رأيت قفا رجل قط؛ إلا عرفت عقله؛ قيل: فإن رأيت وجهه؟ قال: ذاك كتاب يقرأ.

(١) رجل قَدَم: ثقيل الفهم غَيَّ.

(٢) معن بن زائدة الشيباني أمير العرب، من أكرم وأجود الناس. كان من أمراء بني أمية فلما تملك بني العباس اختفى معن مدة، والطلب عليه حيث، فلما كان يوم خروج الريوندية والخراسانية على المنصور، وحمي القتال، وحرار المنصور في أمره، ظهر معن، وقاتل الريوندية فكان النصر على يده، وهو مقنع في الحديد، فقال المنصور: ويحك، من تكون؟ فكشف لثامه، وقال: أنا طليتك معن. فسر به، وقدمه وعظمه، ثم ولاه اليمن وغيرها؛ ولمعن أخبار في السخاء، وفي البأس والشجاعة، وله نظم جيد.

وما أحسن قول أبي الطيب:

وَجَائِزَةٌ دَعْوَى الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى      وَإِنْ كَانَ لَا يَخْفَى غَلَامُ الْمُنَافِقِ  
وهذا؛ هو الذي بنى عليه الشريف بيته؛ ومعلوم؛ أن إضمار الصّد؛ لا يخفى مطلقاً؛ لمن يضمر مثله؛ ولمن لا؛ وإنما قيد به للوزن؛ أو للإشارة؛ إلى أن؛ من لا يضمر مثله؛ قد يكون غافلاً؛ ومتى ظهر له فغيره؛ من باب أولى؛ وهو تأويل؛ لا نظن انه يريد؛ فالجملة حشو؛ لأن المعنى تام بدونها؛ واما قوله: بغياً؛ فمن البغي على الأدب؛ لأن الصد لا يعرف بغياً كان؛ أو ملالاً؛ أو غير ذلك؛ فالبيت؛ في غاية من الرّكّة والغثاء؛ فما الإعتداد بمثله؛ إلا من سوء الاختيار؛ ومجبة الاستكثار؛ ليس إلا؛ وكما ان البغض لا يخفى؛ كذلك الحب؛ لإنهما توأمان.

قال أبو نواس:

يَدُلُّ عَلَى مَا فِي الضَّمِيرِ مِنَ الْهَوَى      تَقْلُبُ عَيْنَيْهِ إِلَى شَخْصٍ مَنِ يَهْوَى  
وقال حبيب:

وَقَدْ يَسْتُرُ الْإِنْسَانَ بِاللَّفْظِ فِعْلَهُ      فَبُظْهَرُ عَنْهُ الطَّرْفُ مَا كَانَ يَسْتُرُ  
وقال المتنبي:

وَإِذَا خَامَرَ الْهَوَى قَلْبُ صَبِّ      فَعَلَيْهِ لِكُلِّ عَيْنٍ دَلِيلُ  
وقال محمد بن طاهر<sup>(١)</sup>:

يَا كَاتِمِي خَشِيَةَ الْوَأَشِيِّ مَحَبَّتَهُ      إِنْ يَ وَحَقِّكَ أَفْرَاهُ مِنَ النَّظْرِ  
وقال سلم الخاسر:

(١) هو محمد بن طاهر بن علي بن أحمد، الشيباني، المقدسي الأثري، الظاهري، أحد الأئمة الحفاظ، كان حافظاً متقناً، وفقهياً بالمذهب الظاهري، سكن همدان. أخذ عليه إباحته السماع وتوفي سنة ٥٠٧هـ.



وَلَيْ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ رَوْعَةٌ      تُحَقِّقُ مَا ظَنَّنَهُ الْمُتَمِّهِمُ  
وقال آخر:

أَلَا إِنَّ عَيْنَ الْمَرءِ عِنْوَانُ قَلْبِهِ      تُخَبِّرُ عَنِ أَسْرَارِهِ شَاءَ أُمِّ أَبِي  
ومرَّ عن زهير؛ تحت البيت (٨)؛ ما هو أوضح في المعنى؛ من هذا.  
وقال ابن نباتة:

تَنِيْمٌ عَلَيْهِ عَيْنُهُ وَلِسَانُهُ      تُكْذِبُ مَا فِي الْعَيْنِ وَالْعَيْنُ أَصْدَقُ  
وقال الزجاجي: اخبرنا الاخفش عن المبرد؛ وذكر قصة فيها طول؛ ومنها:  
أنه امر صاحباً له؛ من أهل الأدب؛ بالإنشاد؛ فأنشد أبياتاً في آخرها؛ موضع  
الشاهد؛ وهو:

غَضِي جُفُونِكَ عَنِّي وَأَنْظِرِي      أَمَّمَا فَإِنَّمَا افْتَضَحَ الْعُشَّاقُ بِالمُقَلِّ  
ومنه قول عمر ابن أبي ربيعة:

إِذَا جِئْتَ فَاْمْنَحْ طَرْفَ عَيْنِكَ غَيْرِنَا      لَكِي يَحْسِبُوا أَنَّ الْهُوَى حَيْثُ تَنْظُرُ  
ويقول جميل:

سَأْمَنْحَ طَرْفِي جِئِنَ الْفَاكِ غَيْرِكُمْ      لَكَيْمًا يَرَوْنَ أَنَّ الْهُوَى حَيْثُ أَنْظَرُ  
ويقول الأحوص:

يَا دَارَ عَاتِكَةَ النَّيِّ اتَّعَرَّزْ      حَذَرَ الْعِدَا وَيَكِ الْفُؤَادُ مُوَكَّلُ  
وهو موضوع؛ جرت فيه مذكيات الشعراء؛ غلاء؛ كما في العود الهندي؛  
وقد أغار الأحوص في قصيدته هذه؛ على قصيدة لسليمان ابن أبي دياكل؛  
مستهلها:

يَا بَيْتَ خَنَسَاءِ الَّذِي اتَّجَنَّبُ      ذَهَبَ الزَّمَانُ وَحُبُّهَا لَا يَذْهَبُ  
إِلَّا إِنَّهُمْ زَعَمُوا: أَنَّ الْأَحْوَصَ؛ احسن؛ فصار أحق بما تلصص عليه؛ من  
الألفاظ والمعاني؛ ولقد أحسن الابوردي؛ في قوله:

أَمِيلُ بِأَحَدِي مُقْلَتِي إِذَا بَدَتْ      إِلَيْهَا وَيَا لَأُخْرَى أَرَاعِي رَقِيبَهَا  
 وَقَدْ عَقَلَ الْوَائِسِي وَلَمْ يَدِرْ أَنِّي      أَخَذْتُ لِغَيْنِي مِنْ سُلَيْمِي نَصِيبَهَا  
 ثم إن في حظي عن بعض الكتب: أن المرأة أقدر من الرجل؛ على كتم  
 المحبة؛ فتقدر على كتمها أربعين سنة؛ ولا تقدر على كتم البغضاء؛ ثمانية أيام؛  
 والله اعلم. ومما يختار للشريف في المعنى؛ قوله:

وَفِي نَظْرِي عِنْوَانُ مَا بَيْنَ أَضْلُعِي      وَرُبَّ لِحَاطِ نَائِبٍ عَنِ تَكَلُّمِ  
 وأما قوله (١٢٦)

وَعَبِيرَ بَعِيدٍ عَنْكَ نَاءٍ تَزْوَرُهُ      وَغَيْرَ قَرِيبٍ قَاطِنٌ لَا تَوُؤُهُ

فمثل البيت (٣٧)؛ وقد مرَّ فيه؛ ما يكفي لهذا؛ وقال أبو تمام:

وَرُبَّ نَائِي الْمَنَائِي رُوْحُهُ أَبَدًا      لَصِيقَ رُوحِي وَدَانٍ لَيْسَ بِالدَّانِي  
 وقال عمارة<sup>(١)</sup>:

لَعُمْرُكَ مَا النَّائِي الْبَعِيدِ بِنَازِحٍ      إِذَا قَرَّبَتْ أَلْطَافُهُ وَتَوَائِلُهُ  
 وَمَا صَرَرْنَا أَنَّ السُّمَّاكَ مُحَلِّقٌ      بَعِيدٌ إِذَا جَاءَتْ عَلَيْنَا هَوَاطِلُهُ

وأما قوله (١٢٧)

أَصْنَعْتُ الْهُوَى حَمَطًا لِحَرَمِي وَأَسِيًّا      بَصَانِ الْهُوَى فِي قَلْبٍ مِنْ صَاعِ حَرْفِي

(١) عمارة اليميني؛ مؤرخ ثقة، وشاعر فقيه أديب، من أهل اليمن، ولد في تهامة ورحل إلى  
 زيد سنة ٥٣١هـ، وقدم مصر برسالة من القاسم بن هشام (أمير مكة) إلى الفائز الفاطمي  
 سنة ٥٥٠ في وزارة (طلّاح بن رزيق) فأحسن الفاطميون إليه وبالغوا في إكرامه، فأقام  
 عندهم، ومدحهم. ولم يزل موالياً لهم حتى دالت دولتهم وملك السلطان (صلاح الدين)  
 الديار المصرية، فرثاهم عمارة واتفق مع سبعة من أعيان المصريين على الفتك بصلاح  
 الدين، فعلم بهم فقبض عليهم وصلبهم بالقاهرة، وعمارة في جملتهم. له تصانيف.

ففيه شبه؛ من قول المهلب ابن أبي صفرة؛ لابنه يزيد؛ وقد سقطت عليه  
حيته؛ فتركها: لقد ضيَّعت العقل يا ولدي؛ من حيث حفظت الشجاعة! غير ان  
الشريف؛ عكس؛ وابدل الحية بالهوى؛ والحزم بالعقل؛ ثم ان اراد بالهوى؛  
لجاج النفس؛ ونزاعها إلى شهواتها؛ فهو على صواب؛ وكم جاء في التنزيل؛ من  
ذمٍّ للهوى؛ بهذا المعنى؛ كقوله جلَّ ذكره: ﴿... وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا  
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾<sup>(١)</sup>؛ وقوله: ﴿... إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ...﴾<sup>(٢)</sup> وقوله:  
﴿... وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ...﴾<sup>(٣)</sup> وقوله: ﴿... وَإِنَّ كَثِيرًا  
لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾<sup>(٤)</sup>؛ وفي الحديث: «ثلاث  
مهلكات: شح مطاع؛ وهوى متَّبِع؛ واعجاب المرء بنفسه»<sup>(٥)</sup>.

وقال عنترة:

إِنِّي إِمْرٌ سَهْلُ الْخَلِيقَةِ مَا جِدُّ      لَا أَتَّبِعُ النَّفْسَ اللَّجُوجَ هَوَاهَا

وقال أبو العتاهية:

إِذَا لَمْ تَنْهَ نَفْسَكَ عَن هَوَاهَا      وَتُحْسِنُ صَوْنَهَا فَإِلَيْكَ عَنِّي

وقال مروان بن أبي حفصة:

تَرُوكَ الْهَوَى لَا السُّخْطَ مِنْهُ وَلَا الرِّضَا      لَدَى مَوْطِنٍ إِلَّا عَلَى الْحَقِّ حَامِلُهُ

(١) جزء من الآية ٢٨، من سورة الكهف.

(٢) جزء من الآية ٢٣، من سورة النجم.

(٣) جزء من الآية ٥٠، من سورة القصص.

(٤) جزء من الآية ١١٩، من سورة الأنعام.

(٥) (حديث مرفوع) ثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلَدٍ، قَالَ: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ الْكَلْبِيِّ، قَالَ:

ثنا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ الْأَرْقَطُ، قَالَ: ثنا حُمَيْدُ بْنُ الْحَكَمِ الْجُرَشِيُّ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنِ أَنَسِ بْنِ

مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخَوْفُ مَا أَخَافَ عَلَى أُمَّتِي ثَلَاثُ مَهْلَكَاتٍ: شَحٌّ مَطَاعٌ،

وَهَوَى مُتَّبِعٌ، وَإِعْجَابٌ كُلُّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ»، غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، تَفَرَّدَ بِهِ عَنْهُ حُمَيْدٌ،

وَرَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَرَعَرَةَ، عَنْ حُمَيْدٍ نَحْوَهُ. الْحَكَمُ الْمَبْدِيُّ: فِي إِسْنَادِهِ مَتَّعَهُم بِالْوَضْعِ وَهُوَ

محمد بن يونس الكلبيني.

وقال:

إِلَى طَاهِرِ الْأَثْوَابِ مَا نَالَ فِي رِضَى  
وَلَا غَضَبٍ مَالاً حَرَاماً وَلَا دَمًا

وقال:

حَيْبٌ لَا سَوْرَةَ تُتَقَى مِنْهُ وَلَا بَلَّةُ  
وَلَا يُخَافُ رِضَى مِنْهُ وَلَا غَضَبُ

وقال البحتري:

لَا يَمِيلُ الْهَوَىٰ بِهِ حِينَ يُمَضَى الْأ  
مَرَّ بَيْنَ الْمَقْلِيِّ وَالْمَرْدُودِ

وقال ابن نباته؛ في عكسه:

وَكَانَ إِذَا حُمِيَ الْكَاسِ دَارَتْ  
وَدَبَّتْ فِي مَفَاصِلِهِ الْعَقَارُ  
يُشَاوِرُ فِي عَزَائِمِهِ هَوَاهُ  
وَكُلُّ هَوَىٍّ عَدُوٌّ مُسْتَشَارُ

وقد أطل الغزالي فيه؛ وفي علاجه؛ بما لا يستغني عنه الحريص على دينه ومرءته؛ وقد مرّ بعض ما يتعلق بذلك؛ تحت البيت (٨٧) و(٩١)؛ وإن كان يريد المحبة؛ فهو مثل البيت (٩٢)؛ وقد مرّ فيه ما يكفي؛ وللسادة الصوفية فيها؛ الكثير الطيب؛ ويعجبني فيها؛ كتاب؛ لسان الدين ابن الخطيب<sup>(١)</sup>؛ على مواخذات فيه؛ أُخْصِيَتْ عليه؛ لا يتعمدها؛ عارض به؛ ديوان الصبابة؛ لابن أبي حجلة<sup>(٢)</sup>؛ وقال ما معناه؛ وإن أخطأت بعض لفظه؛ وقد جعلت الموضوع

(١) لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب شاعر وكاتب ومؤرخ وفيلسوف وطبيب وسياسي من الأندلس درس الأدب والطب والفلسفة في جامعة القرويين بفاس. وقضى معظم حياته في غرناطة في خدمة بلاط بني نصر وعرف بذوي الوزارتين: الأدب والسياسة. نُقِشت أشعاره على حوائط قصر الحمراء بغرناطة. وجهت له تهمة الزندقة ومذهب الفلاسفة ومات مقتولاً سنة ٧٧٦هـ.

(٢) هو الصوفي والأديب والمؤرخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني المعروف بابن أبي حجلة؛ ولد ابن أبي حجلة بتلمسان في تاريخ غير معروف، وتوفي بالقاهرة في سنة ٧٧٦هـ تعلم مبادئ الفقه واللغة والمنطق بتلمسان قبل أن يرحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج، ذهب ونزل بدمشق فدرس بها الأدب. بعدها عاد إلى =

اشرف؛ حسبما يليق بالسن؛ في محبة الباري عز وجل؛ ولا أنكر الهوى؛ بعد ان  
سَكَنْتُ دَارَهُ؛ وَخُضْتُ بِحَارِهِ؛ وَرَمَيْتُ جَمَارَهُ؛ وما أبرئ نفسي؛ إنَّ النفسَ  
لَأَمَّارَةٌ؛ وكيف انكره؛ وانا الذي عن عروته نَبَتْ؛ وَبُعِثْتُ إِلَى الرِّصَافَةِ لِإِرْقٍ؛  
قَدُبْتُ؛ إِلَى ان صار النسر الطي؛ وَتَبَيَّنَ الرَّشْدُ مِنَ الْعَيِّ؛ وتصايح ولدان الحي؛  
كذلك كنتم من قبل؛ فَمَنْ اللهُ عَلَيَّ<sup>(١)</sup>.

جَزَى اللَّهُ عَنِّي زَاجِرَ الشَّيْبِ خَيْرَ مَا      جَزَى نَاصِحًا فَازَتْ يَدَاهُ بِخَيْرِهِ  
سَلَكْتُ طَرِيقَ الْحُبِّ حَتَّى إِذَا انْتَهَى      تَعَوَّضْتُ حَبَّ اللّهِ عَن حُبِّ غَيْرِهِ

وكثيراً ما ترى خصوم المتنبّي؛ كالوزير المهلبي؛ والصاحب بن عباد؛  
يفرطون في ذمه؛ والغضب منه؛ وانتقاد أشعاره؛ ثم يتقيلون آثاره؛ ويلتقطون فتات  
موائده؛ ويتوهمون؛ أن ذلك يخفى على الناس؛ وليس بخاف؛ وقد انخرط في  
سلوكهم؛ الشريف؛ فهو يظأ أعقابه؛ ويتكلم عليه؛ وما أراه في تنصليهِ من العشق؛  
في هذا البيت؛ وأمثاله؛ إلا محتدياً لسيرته؛ ونازلاً على نصيحته؛ ألا ترى إلى  
قوله:

عَزِيْرُ أَسَى؛ مَنْ دَاوَاهُ الْحَدَقُ النُّجْلُ      عَيَاءٌ؛ بِهِ مَاتَ الْمُجِبُّونَ مِنْ قَبْلُ  
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ فَمَنْظَرِي      نَذِيرٌ إِلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْهَوَى سَهْلُ  
وَمَا هِيَ إِلَّا لِحَظَةٍ بَعْدَ لِحَظَةٍ      إِذَا نَزَلَتْ فِي قَلْبِهِ رَحَلَ الْعَقْلُ

فلم يحتفظ بعقله؛ الشريف؛ ويضيع الهوى؛ إلا وهو ناظر إلى هذه  
الآيات؛ معجبٌ بها؛ حريصٌ على ان يكون له نظيرها؛ غير ان المتنبّي؛ لم يلبث  
أن عَظَّمَ من شأن الهوى؛ في نفس القصيدة؛ التي منها تلك الآيات؛ ولذا حملة

= القاهرة، فتولى مشيخة الصوفية ب، عرف عنه اهتمامه بالحديث والفقه والطب والشعر  
الصوفي وبنزعه السنية المعتدلة في التصوف، في مواجهة القائلين بوحدة الوجود له أكثر  
من ثمانين كتاباً وديوان شعر عنوانه ديوان الصبا به.

(١) الكلام السابق من كلام لسان الدين ابن الخطيب (المحقق).

الشرف بن الفارض<sup>(١)</sup>؛ على أحسن محامله؛ فنظر إلى كلامه؛ واستعان به؛  
واشار إليه في قصيدته؛ التي يقول فيها:

هُوَ الْحُبُّ فَاسْلَمَ بِالْحَسَا فَالْهَوَى سَهْلٌ      فَمَا اخْتَارَهُ مُضْنَى بِهِ وَلَهُ عَقْلُ  
نَصَحْتُكَ عِلْمًا بِالْهَوَى وَالَّذِي أَرَى      فَخَالَفْتَنِي فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا يَخْلُو  
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيِيَ سَعِيدًا قُمْتُ بِهِ      شَهِيدًا وَإِلَّا فَالْفَرَامُ لَهُ أَهْلُ  
ولقد صدق وبر في ذلك؛ وإذا كان العباس بن الاحنف؛ يقول؛ كما في  
غير هذا المكان:

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِمَرْءٍ بُدٌّ مِنَ الرَّدَى      فَأَكْرَمُ سَبَابِ الرَّدَى سَبَبُ الْحُبِّ  
ويقول البحرني:

فَإِنْ مِتُّ كَانَ الْمَوْتُ مِنْ كَرَمِ الْهَوَى      وَلَيْسَ الْهَوَى إِنْ لَمْ أُمْتُ بِكَرِيمِ  
فما بالك! بأصحاب الارواح الزكية؛ والاحوال السنية؛ والمحبة القدسية؛  
كأمثال الشرف بن الفارض؛ من السادة الصوفية؛ قدس الله أسرارهم؛ أمّا  
الشريف؛ فقد نصحه المتنبني؛ علما بالهوى؛ فقبل النصيحة؛ ولكنه لم يشكر  
الناصح؛ بل كان وإياه؛ كما قال جعد بن الحصين:

أَمْسَى عُرَابَةً ذَا مَالٍ يُسَرُّ بِهِ      مِنْ مَالٍ جَعَدٍ وَجَعَدٌ غَيْرُ مَحْمُودِ  
ومن أمثلة ما اغتصبه الشريف؛ من شعر المتنبني؛ قوله:

(١) ابن الفارض، هو أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي، أحد أشهر الشعراء المتصوفين، وكانت أشعاره غالبها في العشق الإلهي حتى أنه لقب بـ «سلطان العاشقين». والده من حماة في سوريا، وهاجر لاحقاً إلى مصر. فولد ابنه بمصر سنة ٥٧٦هـ، ولما شب اشتغل بفقهِ الشافعية، وأخذ الحديث عن ابن عساكر. ثم سلك طريق الصوفية ومال إلى الزهد. رحل إلى مكة في غير أشهر الحج، واعتزل في واد بعيد عنها. وفي عزلته تلك نظم معظم أشعاره في الحب الإلهي، حتى عاد إلى مصر بعد خمسة عشر عاماً.

أُعَادِي عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى وَأَهْدَأُ وَالْأَفْكَارُ فِيَّ تَجُولُ  
فلقد انضرج عليه؛ وما أراه إلا في هذه القصيدة؛ لاتحاد الوزن والقافية؛  
بقوله:

وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنِّي مُحَسَّدٌ وَأُعَادِي عَلَى مَا يُوجِبُ الْوَدَّ حُكْمُهُ  
وَلَيْسَ الْفَتَى مَنْ يُعْجِبُ النَّاسَ مَالُهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ يُعْجِبُ النَّاسَ عِلْمُهُ<sup>(١)</sup>  
ومما يعجبني؛ من شعر الشريف؛ قوله من هذه القصيدة؛ فيما اخال<sup>(٢)</sup>:  
لَوْ غَيَّرَ قَلْبِي صَمًّا ذَا الْعَزْمِ شَقُّهُ وَلَكِنَّهُ لَا يَفْتُلُ الصِّلُ سُمَّهُ

وأما قوله (١٢٨)

تَشِيفُ خِلَالَ الْمَرْءِ لِي قَبْلَ نُظْفِهِ وَقَبْلَ سُؤَالِي عَنْهُ فِي الْقَوْمِ مَا أَسْمُهُ

فمن قول أبي الطيب:

أَصَادِقُ نَفْسَ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ وَأَعْرِفُهَا فِي لَفْظِهِ وَالتَّكَلُّمِ  
وفي الحديث: «إن الأرواح جنود مجندة؛ فما تعارف منها ائتلف؛ وما  
تناكر منها اختلف» متفق عليه<sup>(٣)</sup>؛ قال السخاوي<sup>(٤)</sup>: وفي معناه؛ شبه الشيء

(١) يشير إلى البيت موضع المناقشة والذي ربما نسي القارئ الارتباط به لطول المناقشة؛ بينما هو لا زال حاضراً في ذاكرة المصنف القوية؛ والبيت هو:

أَضَعْتُ الْهَوَى حِفْظاً لِحَزْمِي وَإِنَّمَا يُصَانُ الْهَوَى فِي قَلْبٍ مَنْ صَاعَ حَزْمُهُ

(٢) ظن المصنف صحيح فالبيت موضع النقاش من نفس قصيدة الشريف التي مطلعها:

قليل من الخلان من لا تدمه وكثير من الاعداء من أنت همه

(٣) حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. صحيح مسلم والبخاري.

(٤) شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي مؤرخ كبير وعالم حديث وتفسير وأدب شهير من أعلام مؤرخي عصر المماليك. ولد وعاش في القاهرة، ومات بالمدينة =

منجذب إليه؛ وليس بحديث (انتهى) وقال النجم الغزّي<sup>(١)</sup>: هو من كلام الغزالي (انتهى) وهو وهم ظاهر؛ فأنه؛ صدر بيت المتنبي:

وَشِبْنَةُ الشَّيْءِ مُنْجَذَبٌ إِلَيْهِ وَأَشْبَهْنَا بِذُنْيَانَا الطِّغَامُ

وقد مرّ تحت البيت (١٢٦)؛ كثير من مناسبه؛ وقال القزاز القيرواني<sup>(٢)</sup>؛ وكان أسنّ من الشريف؛ بنحو من خمسة عشر سنة؛ ولكنه تعمّر؛ ولم يمُتْ إلا بعد الشريف بمدة؛ قال:

أضْمِرُوا لِيَّ وِدًّا وَلَا تُظْهِرُوهُ يُهْدِيهِ مِنْكُمْ إِلَيَّ الضَّمِيرُ

أما قوله: وقبل سؤالي عنه؛ إلى آخره؛ فلا مناسبة له بصدر البيت؛ ما لم يقل بما أشرنا إليه؛ تحت البيت (١٩)؛ من مناسبة الأسماء للمسميات؛ وإلا؛ فهو منبتر؛ يتوجه إليه من انتقاد أهل المعاني؛ مثل ما وجهوه؛ إلى عطف العنم على التوديع؛ في قول حبيب:

لَمَّا اسْتَمَرَ الْوَدَاعُ الْمَحْضُ وَأَنْصَرَفَتْ  
رَأَيْتُ أَحْسَنَ مَرْرِي وَأَقْبَحَهُ  
أَوَاخِرُ الصَّبْرِ وَلِي كَاظِمًا وَجِمًا  
مُسْتَجْمِعِينَ لِي التَّوْدِيعِ وَالْعَنَمَا

ومثل ما عابوا به؛ قول حبيب؛ أيضاً:

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى مُرٌّ؛ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ

= المنورة سنة ٩٠٢ هـ سافر في البلدان سفراً طويلاً وصنف أكثر من مائتي كتاب أشهرها الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ترجم نفسه فيه بثلاثين صفحة.

(١) محمد بن محمد بن محمد الغزّي الدمشقي، أبو المكارم، نجم الدين؛ مؤرخ، باحث أديب. مولده ووفاته في دمشق. وكانت وفاته بدمشق سنة ١٠٦١ هـ.

(٢) هو محمد بن جعفر التميمي، أبو عبد الله، القزاز، أديب، عالم باللغة، من أهل القيروان، مولداً ووفاء. رحل إلى الشرق، وخدم العزيز بالله الفاطمي (صاحب مصر)، وصنف له كتباً، ثم عاد إلى القيروان، فتصدر لتدريس العربية والأدب إلى أن توفي. وله شعر رقيق.



## وأما قوله (١٢٩)

وَلَا تَيَاسَنَّ مِنْ عَفْوِ حُرِّ فَإِنَّمَا تَحَلَّمُهُ بَاقِي إِذَا صَاعَ حُلْمُهُ

ففي صياح الحلم؛ سفسة واحالة؛ وإنما يتمكن من موضعه؛ في مثل قول البحرني:

وَاحْتَرَسَ مِنْ صَيَّاعِ حُلْمِكَ فِي الْجِّ فُؤَوَةَ وَالْأَنْقَبَاضِ إِنْ صَاعَ حُلْمِي

وبيت الشريف؛ مبني على قول البحرني؛ من أخرى:

وَلَوْ بَلَغَ الْجَانِي أَقْصَى حُلْمِهِ لِأَعْقَبَ بَعْدَ الْحُلْمِ مِنْهُ التَّحَلُّمُ

إلا ان بيت البحرني؛ صحيح؛ وذاك؛ مريض؛ وبيت البحرني بالذروه؛

وذاك بالحضيض؛ وقال بعض شعراء الحماسة:

وَعَلَيْهِمْ وَقَارُ الْحُلْمِ حَتَّى كَانَمَا وَلَيْدَهُمْ مِنْ أَجْلِ هَيْبَتِهِ كَهْلٌ

إِذَا اسْتَجْهَلُوا لَمْ يَغْرُبِ الْجِلْمُ عَنْهُمْ وَلَنْ أَثَرُوا إِنْ يَجْهَلُوا أَكْثَرَ الْجَهْلِ

وقال الحطيئة:

أَوْلَعِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا وَإِنْ عَاهَدُوا وَقَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

وَإِنْ قَالَ مَوْلَاهُمْ عَلَى جُلِّ حَادِثٍ مِنَ الْحَرْبِ رُدُّوا فَضَلَ أَخْلَامِكُمْ رُدُّوا

ولن يردوها إلا بعد غروبها؛ وهو الذي يعني الشريف؛ فخانه اللفظ؛ لبعده؛

ما بين رجوع العازب؛ وحصول الضائع؛ وقال عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

وَبَقِيَ بَعْدَ حُلْمِ الْقَوْمِ حُلْمِي وَبَقِيَ قَبْلَ رَادِ الْقَوْمِ رَادِي

وقال حاتم:

تَحَلَّمْ عَنِ الْأَذْنِبِينَ تَسْتَبِقِ وَدَهُمْ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحُلْمِ حَتَّى تَحَلَّمَا

وفي الحديث: «الحلم بالتحلم؛ والعلم بالتعلم»<sup>(١)</sup>؛ أخرجه الدار قطني

(١) عن أبي هريرة فأخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الحلم، والخطيب في «تاريخه» من طريق =

والخطيب؛ عن أبي هريرة والطبراني؛ عن أبي الدرداء.

وأين بيت الشريف؟ الذي جمع الأستاذ<sup>(١)</sup> يده منه؛ على علق مضنة من تلك الأبيات الجاهلية؛ ومن قول حبيب:

وَلَهُ إِذَا خَلَقَ التَّخْلُقُ أَوْبَنَا خُلِقَ كَرَوْضِ الحُرْنِ وَهُوَ أَخْصَبُ  
وقوله:

وَمَتَى خَلَّتْ بِهِ أَنَاكَ جَهْدَهُ وَوَجِدْتَ بَعْدَ الجَّهْدِ فِيهِ مَزِيدًا  
وقوله:

فَلَمْ أَحِدَ الاخْلَاقَ إِلَّا تَخْلُقًا وَلَمْ أَحِدَ الأفضَالَ إِلَّا تَفْضُلًا  
وقوله:

سَتَضِيحُ العَيْسُ بِي وَاللَّيْلُ عِنْدَ فَتَى وَقَوْلُ أَبِي الطَّيْبِ:

أَبُو المِسْكِ لَا يَفْنَى بِئَنبِكَ عَفْوُهُ وَقَوْلُ السَّرِيِّ الرَّفَا:

عَفْوًا أَظَلَّ ذَوِي الجَرَائِمِ ظِلُّهُ حَتَّى لَقَدْ حَسَدَ المُطْبِيعُ المُجْرِمًا  
وهو من قول؛ أبي تمام:

وَتَكْفَلُ الأَيْتَامَ عَن آبَائِهِمْ حَتَّى وَدَدْنَا أَنَّنَا أَيْتَامُ

وأما قوله (١٣٠)

قَالَ عِمَارٌ أَن تَسْتَجِدَّ الكَاسِمَ رَاحَةً أَضْرِبَ بِهَا حَنْطَلُ الحِوَارِ السُّعْطَمِ

= إسماعيل بن مجالد، عن عبد الملك بن عمير، عن رجاء بن حيوة، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتق الشر يوقه». وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة. (١) زكي مبارك.

فمن قول السري الرَّفَا؛ لسيف الدوله :

أَعْلَى أَثَرْتِ الْعُلَى فَتَجَمَّعَتْ      وَأَهْنَتْ مَالِكَ بِالْعُلَى فَتَفَرَّقَا  
فَاخْضِبْ يَمِينَكَ بِالْمُدَامِ فَطَالَمَا      خَضِبْتَ أَنْامِلَهَا السِّنَانَ الْأَزْرَقَا  
إلا أنَّ الشريف؛ كان أحق به؛ للإيجاز؛ وحسن الإتيان؛ وقال كشاجم:

أَطْلِقْ عَقَالَ الرُّوحِ بِالرَّاحِ      إِنِّي إِلَيْهَا جَدُّ مُرْتَاخِ  
قَدْ كَدَّتْ الْجِئْمَةُ رُوجِي فَرَوْ      خَهَا بِأَوْتَارِ وَأُقْدَاخِ  
وما اخذه كشاجم؛ إلا عن هرمس<sup>(١)</sup>؛ فَإِنَّهُ كَانَ إِذَا قَعَدَ لِلشَّرْبِ؛ يَقُولُ:  
اطلقوا النفس من عقالها. ويعجبني قول ابن زيدون:

نبكي عليك اذا دبت بنشوتها      فينا المدام وغنانا مغنيننا  
لا أكوس الراح تبدي من شمائلنا      سيما ارتياح ولا الاوتار تلهيننا  
وقول الرَّفَا الاندلسي<sup>(٢)</sup>؛ المتوفى سنة ٥٧٢هـ؛ يمدح:

مُحَافِظِينَ عَلَى الْعُلَى وَرَبَّمَا      هَزُّوا السَّجَايَا قَلِيلاً بِإِنَّةِ الْعِنَبِ  
رَاحُوا رُوحاً وَقَدْ زِنَلَتْ عَمَائِمُهُمْ      حَمَلاً وَدَارَتْ عَلَى أَبْهَى مِنَ الشُّهْبِ  
لَا يُظْهِرُ السِّكْرُ حَالاً مِنْ ذَوَائِبُهُمْ      إِلَّا لِالتَّفَافِ الصَّبَا فِي أَلْسِنِ الْعُدْبِ  
وقف هنا قليلاً؛ لترى الفرق؛ بين بيت الشريف؛ الذي نحن فيه؛ وقوله  
السابق؛ في المقالة الثانية:

الرَّاحُ وَالرَّاحَةُ دُلُّ الْقَيْ      وَالْعِرْفُ فِي شُرْبِ ضَرْبِ اللِّقَاخِ  
وقال أبو نواس:

فَاسْتَنْطِقَ الْعُودَ قَدْ طَالَ السُّكُوتُ بِهِ      لَنْ يَنْطِقَ اللَّهْوُ حَتَّى يَنْطِقَ الْعُودُ

(١) الهرامسه ملوك بابل منهم هرمس الأول الذي بنى مدينة بابل.

(٢) هو أبو عبد الله محمد الرفاء الأندلسي.

ولن ينطق العود؛ حتى يحضر الشراب؛ كما هو اجرياهم في ذلك؛ وبنوع من المناسبة؛ ذكرت قول زياد الاعجم؛ في هجائه؛ لجرم<sup>(١)</sup>:

تُكَلِّفُنِي سَوْنَقَ الْكُرْمِ جُرْمٌ      وَمَا جُرْمٌ وَمَا ذَلِكَ السَّوِيْقُ  
وَمَا شَرِبَتْهُ جُرْمٌ وَهُوَ حِلٌّ      وَلَا غَالَتْ بِهِ مُذْكَانَ سُوقُ  
فَلَمَّا أَنْزَلَ التَّحْرِيْمُ فِيهَا      إِذَا الْجُرْمِيُّ مِنْهَا لَا يَفِيْقُ

وَسُمِّيَ الْخَمْرُ سَوِيْقًا؛ لَانْسِيَاقِهَا فِي الْحَلْقِ؛ وَقَالَ الْمَعْرِيُّ:

تَمَنَيْتُ أَنَّ الْخَمْرَ حُلَّتْ لِئِنْسُوَّةِ      تُجَهِّلَنِي كَيْفَ اظْمَأَنْتَ بِي الْحَالِ  
وَالَّا؛ فَانَّهُ مِنْ مَأْخِذِ بَيْتِهِ؛ الَّتِي لَمْ يَحْسِنِ اتِّبَاعَهَا.

### وأما قوله (١٣١)

بِمَضِيِّ الزَّمَانِ وَلَا نَحْسِ      كَأَنَّهُ رِنِحٌ تَمَرٌ وَلَا يُشْمُ نَيْسِمَهَا

فما أكثر ما يوجد في الأشعار مثله؛ ولكن بدون نفي شم النسيم؛ ومنه؛ ما رأيت في أمالي الزجاجي؛ من عهد قديم لأبي العتاهية:

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا لَيْلَةٌ وَنَهَارُهَا      وَيَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ وَشَهْرٌ إِلَى شَهْرٍ  
سَرِينًا فَأَدْجَنَّا فَكَانَتْ رِكَابُنَا      تَسِيرُ بِنَا فِي غَيْرِ بَرٍّ وَلَا بَحْرِ  
مَنَايَا يُقَرَّبْنَ الْبَعِيدَ إِلَى الْبَلَى      وَيَذْنِبْنَ أَشْلَاءَ الصَّحِيحِ إِلَى الْقَبْرِ  
وقول عمرو بن الاثم<sup>(٢)</sup>:

نَطَارَحَنِي يَوْمٌ جَدِيدٌ وَلَيْلَةٌ      هُمَا أَبْلِيَا جِسْمِي وَكُلُّ فَتَى بَالِي

(١) جرم اسم قبيلة؛ والسويق كناية عن الخمر.

(٢) عمرو بن الأثم عمرو، من بني تميم. أحد السادات. والشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام. عاش عمرو في الجاهلية وأدرك الإسلام. فأسلم وهو أحد الصحابة الشعراء المجيدين. شارك في فتح بلاد فارس وتوفي في خلافة معاوية بعد أن عمّر وشاخ.

إِذَا مَا سَلَخْتُ الشَّهْرَ أَهْلَلْتُ مِثْلَهُ      كَفَى قَاتِلًا سَلْخِي الشُّهُورَ وَاهْلَالِي  
وقول البحري :

بَسَارُ بِنَا قَضَدَ الْمَنُونُ وَإِنَّا      لَنَشْفُفُ أَخْيَانًا بِطَيِّ الْمَرَاجِلِ  
عَجَالًا مِنَ الدُّنْيَا بِأَسْرَعِ سَبْرِنَا      إِلَى آجِلٍ مِنْهَا شَبِيهِ بِعَاجِلِ  
ولا يبعد عنه ما سبق؛ عن الصمة بن عبيد الله القشيري<sup>(١)</sup>؛ تحت البيت (٨٥)؛ ومما يختار للشريف؛ قوله :

إِنَّ الْمَنَايَا مُعَدَّاتٌ لَأَنْفُسِنَا      وَإِنْ أَمَدَّتْ بِأَغْوَامٍ وَأَغْوَامِ  
نَسَعَى بِأَقْدَامِنَا عَنْهَا فَتُدْرِكُنَا      سَبَقَ الْجِيَادِ وَمَا تَسَعَى بِأَقْدَامِ  
مَالِي بِطَيِّ اللَّيَالِي غَيْرَ مُكْتَرِبِ      وَمَا وَرَائِي مِنْهَا كَانَ قُدَّامِي  
وقوله :

وَتَدَاوِلِ الْإِيَّامِ يُبْلِيْنَا كَمَا      يُبْلِي الرِّشَاءُ تَطَارِحِ الْأَرْجَاءِ  
وَكَأَنَّ طَوْلَ الْعُمَرِ رَوْحَةٌ رَاكِبِ      قَضَى اللَّغُوبَ وَجَدَّ فِي الْإِسْرَاءِ  
وفي النهج<sup>(٢)</sup> : نفس المرء؛ خطاه إلى اجله؛ قال شارحه : رأيت في فصل؛

لعبد الله بن المعتز : الناس وفد البلا؛ وسكان الثرى؛ وانفاس الحي؛ خطاه إلى اجله؛ وهو قريب من بيت الشريف؛ لأن الانفاس والرياح؛ قريب من السواء؛ بل الانفاس اسرع؛ لانها لا تقف؛ بخلاف الريح؛ إلا أن الانفاس؛ لا تخلو عن رائحة؛ إمَّا طيبة؛ واما خبيثة؛ وربما يكون المراد؛ من نفي شم النسيم؛ الإشارة إلى فرط السرعة؛ بحيث لا تشم الرائحة؛ أو إلى لين سير الزمان ولطفه؛ فيكون

(١) الصمة بن عبد الله بن الطفيل بن قره القشيري، من بني عامر بن صعصعة، من مضر. شاعر غزل بدوي، من شعراء العصر الأموي، ومن العشاق المتميزين. كان يسكن بادية العراق، وانتقل إلى الشام. ثم خرج غازياً يريد بلاد الديلم، فمات في طبرستان.

(٢) كتاب نهج البلاغة مما جمعه الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

فيه شبه؛ إذا؛ من قول سوار بن المضرب<sup>(١)</sup>:

بِعَرَضٍ تَنُوقَةِ لِّلرِّيحِ فِيهَا نَسِيمٌ لَا يَرُوعُ الثَّرْبَ وَإِني

أر قول ابن الرومي؛ في وصف الخمر:

لَطَفَتْ وَكَادَتْ أَنْ تَكُونَ مُسَاعَةً فِي الْجَوْ مِثْلَ شُعَاعِهَا وَنَسِيمِهَا

إلا ان ابن الرومي؛ بار؛ في كلامه؛ إذ قلما انكشفت الراح؛ إلا وتبخرت؛

فأساغها الجوى؛ وكان ما استقر به؛ حقيقة واقعية؛ وقال التهامي:

وَمَا نَحْنُ إِلَّا بِمِثْلِ رَكْبِ سَفِينَةٍ نَظَنُّ وَتُوفَا وَالزَّمَانُ بِنَا يَجْرِي

وقال المعري:

يَفْنَى الزَّمَانُ وَأَنْفَاسُ الزَّمَانِ لَهُ خِطَابُهُنَّ إِلَى الْأَجَالِ يَزْدَلِفُ

وما أحسن قوله:

إِذَا أَلِفَ الشَّيْءُ اسْتَهَانَ بِهِ الْفَتَى فَلَمْ يَرَ بُوسَى تُعَدُّ وَلَا نُعْمَى

كَأَنْفَاقِهِ مِنْ عُمْرِهِ وَمَسَاغِهِ مِنَ الرِّيقِ عَذْبًا لَا يَحْسُّ لَهُ طَعْمًا

وانتفاء الطعم؛ في هذا؛ كانتفاء الشم في ذاك؛ إلا أن هذا حقيقة

محسوسة؛ وفي ذاك؛ خيالات منكوسة؛ وما ندري؛ ايهما أخذ عن الآخر؟

فإنهما متعاصران!

### وأما قوله (١٣٢)

كَمْ ذَاهِبٍ أَنْكَى التَّوَاطُرِ مَدَّةً وَمُضَى وَطَابَ لِمَقَلِّهِ تَهْوِي بِهَا

(١) سوار بن المضرب السعدي؛ شاعر إسلامي ذكر المبرد أنه هرب من الحجاج. سمي بالمضرب لأنه شيب بامرأة فحلف أخوها ليضربنه بالسيف مائة ضربة، فضربه فغشي عليه، فسمي مضرب لذلك؛ له شعر في الأصمعيات.

فمن قول أبي العتاهية:

وَكَمَا تَبَلَى وَجُوهٌ فِي الشَّرَى  
فَكَذَا يَبَلَى عَلَيَّهِنَّ الْحُزْنَ

وقوله:

سَيُعْرَضُ عَنْ ذِكْرِي وَتُنْسَى مَوَدَّتِي  
وَيَخْدُتُ لِي بَعْدَ الْحَلِيلِ حَلِيلُ

وقول منصور الفقيه<sup>(١)</sup>:

كُلُّ مَذْكَورٍ مِنَ النَّاسِ  
سِ إِذَا مَا قَاتَلَهُ  
فَهُوَ فِي حُكْمِ حَدِيثِ  
حَفِظْهُ وَتَسُوهُ

وفي تعزية الإمام؛ للأشعث عن ابنه؛ ما يعرف من قول حبيب:

أَمَّا لِكَ إِنْ الْحُزْنَ أَحْلَامُ نَائِمٍ  
وَمَهْمَا يَدُ فَالْوَجْدُ لَيْسَ بِدَائِمٍ  
فَإِنْ تَكُ مَفْجُوعًا بِأَبْيَضٍ لَمْ يَكُنْ  
يَشْدُ عَلَى جَدْوَاهِ عِقْدَ التَّمَائِمِ  
فَمِنْ قَبْلِهِ مَا قَدْ أُصِيبَ نَبِينَا  
أَبُو الْقَاسِمِ النُّورَ الْمُبِينِ بِقَاسِمِ  
وَقَالَ عَلِيٌّ فِي التَّعَازِي لِأَشْعَثِ  
وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضُ تِلْكَ الْمَائِمِ  
أَنْضَبِرُ لِلْبَلَوَى جَزَاءً وَحُسْبَةً  
فَتُوجَرُ أَمْ تَسْلُو سُلُوَ الْبَهَائِمِ

وقال من أخرى:

فَلَقَدْ أَفَاقَ مُتَمِّمٌ عَنِ مَالِكِ  
وَسَلَى لَيْبِدٌ قَبْلَهُ عَنِ إِزْبِدِ

وقال أبو الطيب:

وَلِلْوَاجِدِ الْمَكْرُوبِ فِي زَفَرَاتِهِ  
سُكُونٌ عَرَاءٍ أَوْ سُكُوبٍ لَغُوبِ

(١) منصور بن إسماعيل الفقيه شاعر وفقه شافعي، ضرير، سافر إلى بغداد في شبابه، ومدح بها الخليفة والمعتز ثم سكن مصر وتوفي بها. وكان خبيث اللسان في الهجوم، ونقل عنه كلام في الدين، وشهد عليه بذلك شاهد، فقال القاضي (أبو عبيد) إن شهد عليه ثان ضربت عتقه. فاستولى عليه الخوف ومات.

وقال:

تَسَلَّ بِفِكْرٍ عَنِ ابْنِكَ فَإِنَّمَا      بَكَيْتَ فَكَانَ الضُّحْكَ بَعْدُ قَرِيبُ  
أما قول المعري:

أَرَى الْحَيَوَانَ مُشْتَبِهَ السَّجَايَا      كَأَنَّ جَمِيعَهُ عَدُمُ الْعُقُولَا  
تَسِبْتُ أَبِي كَمَا تَسِبْتُ رِكَابِي      وَتِلْكَ الْحَيْلُ أَعْوَجُ وَالْجَدِيدَا  
فلا يبعد؛ ان يكون فيه تعريض؛ بما جاء في بيت الشريف؛ لان نسيان اللغوب؛ وسلو البهائم؛ مذموم؛ وقد انكروا قول زهير بن جناب<sup>(١)</sup>:

إِذَا مَا شِئْتِ أَنْ تَنْسِي حَبِيبًا      فَأَكْثِرْ دَوْنَهُ عَدَدَ اللَّيَالِي  
وردد عليه جميل؛ بقوله:

لَحَا اللَّهُ أَقْوَامًا يَقُولُونَ إِنَّنَا      وَجَدْنَا طَوَالَ النَّأْيِ لِلْحُبِّ شَافِيَا  
فَمَا أَحَدَتْ الْبَيْنَ الْمَفْرُقُ بَيْنَنَا      سُلُومًا وَلَا طَوْلُ اللَّيَالِي تَقَالِيَا  
وقال عمران بن حطان<sup>(٢)</sup>:

قَدْ كُنْتُ أَبُوكَ جِنًّا ثُمَّ قَدْ يَسِسْتُ      نَفْسِي وَمَارَدْنِي عَنْ عَبْرَةِ يَأْسِي  
وقال الحسين بن مطير<sup>(٣)</sup>:

(١) زهير بن جناب بن هبل الكلبي، أحد أمراء العرب وشجعانهم المشهورين في الجاهلية. وفي أيامه دخلت قبيلته قضاة في النصرانية، وكان من المعمرين، واشتهر في مواقفه مع غطفان وبكر وتغلب. ولما حكم أبرهة اليمن أمره على بكر وتغلب.

(٢) عمران بن حطان ابن ظبيان السدوسي البصري من أعيان العلماء لكنه من رؤوس الخوارج قال الفرزدق عمران بن حطان من أشعر الناس لأنه لو أراد أن يقول مثلنا لقال ولسنا نقدر أن نقول مثل قوله.

(٣) الحسين بن مطير بن مكمل الأسدي. شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. وله أماديح في رجالهما. وكان زيه وكلامه كزبي أهل البادية وكلامهم. وفد على معن بن زائدة لما ولي اليمن، فمدحه. ولما مات معن رثاه.



وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي إِذَا قَدِمْتَ أَيَّامُهَا وَعُهُودُهَا  
فَقَدْ جَعَلْتَ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا عَهَادَ الْهَوَى يُولِي بِشَوْقٍ بَعِيدَهَا  
وقال سعيد بن ربيعة:

وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَدْ تَجَلَّدَتْ بَعْدَهُ نَقَطَعَ قَلْبِي إِثْرَهُ حَسْرَاتٍ  
قال الجاحظ وهو من الشعر القديم: اما التعزي فمطلوب؛ وأما قول بشار:

وَأَخٌ سَلَوْتُ لَهُ قَدْ ذَكَرَهُ أَحْ قَمَضَى وَتَذَكَّرَكَ الْحَوَادِثُ مَا مَضَى  
فَأَشْرَبَ عَلَيَّ تَلْفِ الْأَحْبَةِ إِنَّا جُرْزُ الْمَنِيَّةِ ظَاعِنِينَ وَحُقُفْضًا

فالأقرب انه من سلوُّ البهايم؛ الذي أنكرناه على الشريف؛ وذكروا انهم مروا  
باعرابية؛ تدفن ولدا لها؛ وهي تبكي عليه احراً البكاء؛ ثم ما هي إلا ساعة؛ حتى  
مروا بها؛ وهي تتغدى؛ فقالوا لها كيف؟ وإنما عهدك بالمصيبة قريب! فقالت:

عَلَى كُلِّ حَالٍ يَأْكُلُ الْقَوْمُ زَادَهُمْ عَلَى الضَّرِّ وَالْبَلْوَى وَفِي الْحَدَثَانِ  
وفيه تصديق؛ لقول أشجع<sup>(١)</sup>:

وَلَيْسَ لِأَخْرَانَ النِّسَاءِ تَطَاوُلٌ وَلَكِنَّ أَخْرَانَ الرِّجَالِ تَطَوُّلٌ

ولشد ما كانت عاتكة بنت زيد<sup>(٢)</sup>؛ تتوجع لأزواجها؛ وتتفنن في رثيهم؛ مع  
سرعة نكاحها؛ بعد احداها على كل منهم؛ وربما آلت ان لا تتزين بعد احدهم؛  
فانطبق عليها؛ قول اخي خشعم:

(١) أشجع بن عمرو السلمى شاعر مجيد عاش في العصر العباسي لكنه لم يشتهر وكان من الشعراء المفضلين عند هارون الرشيد.

(٢) عاتكة بنت زيد صحابية شهيرة كانت ذات عقل راجح ووراي سديد وهي أخت سعيد بن زيد أحد المبشرين بالجنة أمها ام الكريز الحضرمي وخالها العلاء بن الحضرمي الصحابي المشهور وخالتها الصعبة بنت الحضرمي؛ ام طلحة بن عبيد اللاه الصحابي الجليل تزوجت عبد الله بن أبي بكر فلما قتل تزوجت عمر بن الخطاب فلما قتل تزوجت من الزبير بن العوام ثم قتل. توفيت في أول خلافة معاوية بن أبي سفيان.

وَأَلَّتْ يَمِينًا كَالرُّجَاجِ رَقِيبَةً      وَمَا حَلَفْتُ إِلَّا لِتَحْنَتِ مَنْ أَجَلِي

وفي النهج: ان الرجل ينام على الشكل؛ ولا ينام على الحرب. قال الشريف: ومعناه انه يصبر على قتل الاولاد؛ ولا يصبر على سلب الاموال.  
وما أحسن قول حبيب؛ يذم:

تَرَكَ الْاِحْبَابَ سَالِيًا لَا نَاسِيًا      عُدُّرُ النَّسِيِّ خِلَافُ عُدْرِ السَّالِي

وهو يؤكد ما قلناه؛ من مدح التعزي؛ وذم النسيان؛ والله در الشريف؛ في قوله:

إِذَا كَانَ الْأَسَى دَاءً مُقِيمًا      فَفِي حُسْنِ الْعَرَاءِ لَنَا شِفَاءُ

وقوله:

أَنْزَلْتُ دَمْعِي حَتَّى مَا تَرَكْتُ لَهُ      غَرْبًا يَفِيضُ عَلَي رِزُّهُ إِذَا يَنْقَعُ  
ثُمَّ اضْطَرَرْتُ إِلَى صَبْرٍ فَعُدْتُ بِهِ      وَأَعْرَبُ الصَّبْرَ لَمَّا أَعْجَمَ الْجَزْعُ

ومن غلو البحري؛ قوله:

وَحَبَّرْتَنِي أَنَّ الْعَرَاءَ تَكْرُمٌ      وَهَلْ يَتَعَزَّى مِنْهُ غَيْرُ لَيْثِمٍ

وقول التهامي:

نَقَضْتُ عُهُودَ الْوَدِّ إِنْ ذُقْتُ بَعْدَهُ      سُلُوءًا إِلَّا إِنَّ السُّلُوءَ مِنَ الْقَدْرِ

وما أحسن قول أبي خراش<sup>(١)</sup>:

فَوَاللَّهِ مَا أَنْسَى قَتِيلًا رِزْلَتَهُ      بِجَانِبِ قَوْسِي مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ

(١) أبو خراش الهذلي من مشاهير الصعاليك، وكان مظفراً في غزواته، والمشهور أنه ترك الصعلكة بعد إسلامه. وأبو خراش لم يكن صعلوكاً عادياً فلم يمتهن الصعلكة حباً في السرقة، بل أجبرته ظروف الحياة على الصعلكة، وعلى رأس تلك الظروف مقتل عدد من إخوته على أيدي بعض القبائل.

عَلَى أَنَّهَا تَغْفُو الْكُلُومَ وَأَنَّهَا تُوَكَّلُ بِالْأَذَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي

وخير منه؛ قول هشام في اخويه؛ أوفى؛ وغيلان؛ وهو ذو الرمة:

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بِغَيْلَانَ بَعْدَهُ عَزَاءً وَجِفْنُ الْعَيْنِ مَلَانٌ مُشْرِخٌ

وَلَمْ يُنْسِنِي أَوْفَى الْمُصِيبَاتِ بَعْدَهُ وَلَكِنْ نِكَاءُ الْقُرْحِ بِالْقُرْحِ أَوْجَعُ

وأما قوله (١٣٣)

وَنَلَقَى قَبْلَ لُقْيَانِ الْمَنَابَا رِمَاحَ الدَّاءِ تَطَعَنُ فِي الْجِسْمِ

فبيت لدن القوام؛ مطرد الكعوب؛ إلا انه منتشر المعنى؛ مشترك بين الناس؛ ومنه قول ابن الرومي:

رَأَيْتُ حَيَاةَ الْمَرْءِ زَهْنًا بِمَوْتِهِ وَصَحَّةً أَيضًا كَذَلِكَ بِالسَّقْمِ

وقوله السابق تحت البيت (٨٩) وهو هذا:

هَذَا وَإِنْ عَقَّ فَاَلْأَدْوَاءُ مُفْرِضَةٌ مَا بَيْنَ حُمَى وَبِلْسَامٍ وَطَاعُونُ

وقد جاء في الصحيح؛ تشبيه الاجل؛ بخط مربع؛ فيه خط وهو الإنسان؛ تشريح إليه خطوط صغيرة كثيرة؛ تُمَثَّلُ؛ ما يمكن ان ينتابه من الأمراض؛ فان أخطأته؛ لم يكن له محيص؛ عن محيط المربع؛ وهو الاجل؛ وخارج المربع؛ خط طويل؛ هو الامل؛ اشارة إلى تأميل الإنسان ما لا يدركه.

وقال أبو نصر الفارابي؛ المتوفي في مقتبل الشباب؛ سنة ٣٣٩هـ؛ أي قبل وجود الشريف؛ بعشرين ربيعاً:

وَهَلْ نَحْنُ إِلَّا خُطُوطٌ وَقَفَ مِنْ عَلَى نُقْطَةٍ وَقَعَ مُسْتَوْفِرٌ

وقال المعري:

وَمَا الدُّهْرُ إِلَّا دَوْلَةٌ تُمَّ صَوْلَةٌ وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا صِحَّةٌ وَسِقَامٌ

## وأما قوله (١٣٤)

فَلَيْتَ كَرِيمَ قَوْمِ نَاةٍ عِرْضِي      وَلَمْ يَذْنُسْ بِذِمِّ مَنْ لَيْمِ

فمن قول دعبل:

وَلَوْ أَنِّي أُبْتَلِيَتْ بِهَا شِمِّي      حُؤْلُتُهُ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ  
لَهَانَ عَلَيَّ مَا أَلْقَى وَلَكِنْ      تَعَالُوا فَاَنْظُرُوا بِمَنْ ابْتَلَانِي  
وقول علي بن الجهم<sup>(١)</sup>:

بَلَاءٌ لَيْسَ يَفْدِلُهُ بَلَاءُ      عَدَاوَةٌ غَيْرِ ذِي حَسَبٍ وَدِينِ  
يُبِيحُكَ مِنْهُ عِرْضًا لَمْ يَصْنُهُ      وَيَرْزَعُ مِنْكَ فِي عِرْضٍ مَصُونِ  
وقول البحري:

وَاجِبُنْ مِنْ تَعْرِضِ عِرْضِي لِجَاهِلٍ      وَإِنْ كُنْتُ فِي الْإِقْدَامِ أَطَعَنْ فِي الصَّفِّ  
وقال الرماح ابن ميادة<sup>(٢)</sup>؛ يهجو: بلال بن البعير المحاربي:

يَقُولُونَ أَبْنَاءَ الْبَعِيرِ وَمَالِهِ      سِنَامٌ وَلَا فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ غَارِبُ  
أَرَادَتْ؛ وَذَاكُمْ مِنْ سَفَاهَةٍ      رَأَيْهَا؛ بِأَنْ أَهْجَهَا لَمَّا هَجَّجْتَنِي مُحَارِبُ

(١) علي بن الجهم بن بدر، أبو الحسن، شاعر، رقيق الشعر، أديب، من أهل بغداد كان معاصراً لأبي تمام، وخص بالمتوكل العباسي، ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان، فأقام مدة، وانتقل إلى حلب، ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو، فاعترضه فرسان بني كلب، فقاتلهم وجرح ومات.

(٢) ابن ميادة هو الرماح بن أبرد بن ثوبان الذبياني الغطفاني المُرِّي، وميادة أمه واشتهر بنسبته إليها. شاعر رقيق هجاء، من مخضرمي الدولة الأموية والعباسية، قالوا: كان متعرضاً للشَّرِّ طالباً لمهاجاة الناس ومُتَسَايَةِ الشعراء، مدح من الأمويين الوليد بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان، ومن الهاشميين المنصور وجعفر بن سليمان. وفي العلماء من يرى أنه أشعر غطفان في الجاهلية والإسلام وأنه كان خيراً لقومه من النابغة.

مَعَاذَ إِلَهِي إِنِّي بِعَشِيرَتِي  
وَنَفْسِي عَن ذَاكَ الْمَقَامِ لَرَاغِبٌ  
وفي الثاني؛ الحزم بان؛ وقال الفرزدق:

فَوَاعَجَبًا حَتَّى كَلَيْبُ تَسُبُّنِي  
كَأَنَّ أَبَاهَا نَهْلٌ وَمَجَاشِعُ  
وقال حسان:

لَا تَسُبُّنِي فَلَسْتُ بِسَبِّي  
إِنَّ سَبِّي مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيمِ  
وقد مر تحت البيت (١٢٤)؛ أن كثيراً من فحول الشعراء؛ يترفعون عن ملاحاة غير الأكفاء؛ لا؛ لأن ذم السفلة يلطّخ الأعراس؛ ولكن أنفة منهم؛ واستحقاراً لهم؛ وهذا الزبرقان<sup>(١)</sup>؛ يأنف من الحطيئة؛ ولا يجيبه عن هجائه؛ لأنه كان خسيس النفس؛ مع انه مضري مثله؛ وهذا سحيم بن وثيل<sup>(٢)</sup>؛ يترفع عن مجاوبة الأحوص<sup>(٣)</sup>؛ والأبيرد<sup>(٤)</sup>؛ مع انهما؛ أقدعا له؛ ولم يزد على قوله:

(١) الزبرقان بن بدر كان سيداً في الجاهلية عظيم القدر في الإسلام، وقد على رسول الله ﷺ في وفد بني تميم، منهم: قيس بن عاصم المنقري وعمرو بن الأهتم، وعطار بن حاجب، وغيرهم، فأسلموا. وأجازهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم، وذلك سنة تسع. وولاه صدقات قومه.

(٢) سُحَيْمُ بْنُ وَثِيلِ الرِّيَاحِيِّ: شاعر مخضرم. قال ابنُ دُرَيْدٍ: عاش في الجاهلية أربعين وفي الإسلام ستين.

(٣) الأحوص عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري، لقب بالأحوص لضيق في عينه. شاعر إسلامي أموي هجاء، من طبقة جميل بن معمر ونصيب، وكان معاصراً لجرير والفرزدق.

وهو من سكان المدينة. وفد على الوليد بن عبد الملك في الشام فأكرمه ثم بلغه عنه ما ساءه من سيرته فرّده إلى المدينة وأمر بجلده فجلد ونفي إلى دهلك (وهي جزيرة بين اليمن والحبشة) كان بنو أمية ينفون إليها من يسخطون عليه. فبقي بها إلى ما بعد وفاة عمر بن عبد العزيز وأطلقه يزيد بن عبد الملك، فقدم دمشق ومات بها.

(٤) الابيرد بن المعذر بن قيس شاعر إسلامي عاش في أوائل دولة بني أمية ولم يكن مكثرأ ولم يكن متكسباً بشعره ولا قاصداً لأبواب الأمراء والخلفاء وتعتبر قصيدة رثائه في أخيه بريد من عيون الشعر.

عَذَرْتُ الْبُزْلَ إِنْ هِيَ خَاطَرْتَنِي فَمَا بَالِي وَبَالِ ابْنِي لَبُونٍ<sup>(١)</sup>

وكذلك ترفع جرير؛ عن بشار؛ ويشار عن حماد؛ فما زال مُطْرِحًا له؛ ساكتا عنه؛ إلى ان أحفاه وأمضه؛ فانبرى له؛ فكان في ذلك؛ ارتفاع حماد؛ من الحضيض إلى طبقه بشار؛ على حد قول أبي نواس:

أَضْبَحَ فَضْلٌ ظَاهِرَ النَّيِّهِ      وَذَاكَ مُذْ صِرْتُ أَهَاجِيهِ  
كَمْ بَيْنَ فَضْلٍ مُنْذُ هَاجِيئِهِ      وَبَيْنَهُ قَبْلُ هُجَائِيهِ

وقول أبي تمام:

قَالَ لِي النَّاصِحُونَ وَهُوَ مَقَالٌ      دَمٌ مَنْ كَانَ خَامِلًا إِظْرَاءً  
وقال البحتري:

يَسُرُّكَ الشَّيْءُ وَقَدْ يَسُوءُ وَكَمْ      نَوَّهُ يَوْمًا بِخَامِلٍ لَقَبُهُ

وقوله:

وَكَمْ مِنْ آيِلٍ هَجَوِيٍّ لِيَحْظَى      بِذِكْرِ مِنْهُ يَضَعْدُ أَوْ يَضُوبُ  
وأعرض أبو تمام؛ عن مخلد بن بكار الموصلي<sup>(٢)</sup>؛ ولكنه انبرى لدعبل؛ ولأمثاله من الاكفاء؛ ولو انه اشتغل بمخلد؛ لانتبه ذكره؛ ولتشرف بهجاء أبي تمام له؛ واعرض المتنبي جملة؛ عن مسفاهة ابن حجاج<sup>(٣)</sup> عليه؛ فلم ينتشر له

(١) البزل: البعير اذا طلع نابه في سن ثمان أو تسع وبت لبون تطلق على الإبل التي أكملت ستين ودخلت في الثالثة، سميت بذلك لأن أمها آن لها أن تلد.

(٢) شاعر قدمه الخليفة العباسي المعتصم واحتفى بشعره وترجم له ابن قتيبة في طبقاته توفي سنة ٣٣٢هـ.

(٣) حسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج؛ شاعر فحل، من كتاب العصر البويهبي. غلب عليه الهزل. له معرفة بالتاريخ واللغات وفي شعره عذوبة وسلامة من التكلف. يضرب به المثل في السخف والمداعبة والأهاجيح مع الشريف الرضي أشعاره الجيدة على حلة في ديوان مفرد، وراثه حين توفي.

كبير ذكر؛ بعد وفاته؛ مع انه كان في ايامه؛ مُتَّقَى الشر؛ مرهوب الجانب؛ ولما وصل ابن هانيء إلى أفريقية؛ هجاه الشعراء؛ فاستنكف عن مجاوبتهم؛ وقال: لا اجيب احدا؛ إلا أن يهجوني عليّ التونسي؛ فسأجيبه لكفاءته؛ فبلغ ذلك عليا؛ فقال: أما والله لو كنت الأم الناس؛ ما هجوته؛ وقد شرفني على أصحابي؛ وحصر عليّ فضيلة المكافأة؛ ثم ان الشريف مخطئ؛ في توهمه غض هجاء اللثام؛ من اقدار الكرام؛ ولكن الصواب؛ ما رواه الاصمعي؛ من قول بعضهم:

لَا يَغْضَبُ الْحُرُّ عَلَى سِقْلَةٍ      وَالْحُرُّ لَا يُغْضِبُهُ النَّذْلُ  
إِذَا لَعِيمٌ مَسَّنِيَ جَهْدُهُ      أَقُولُ زِدْنِي قَلِيَّ الْفَضْلِ  
وقول أبي الطيّب:

فَمَالِكَ تَقَبَّلَ زُورَ الْكَلَامِ      وَقَدْرُ الشَّهَادَةِ قَدْرُ الشُّهُودِ  
وقوله السابق؛ في غير هذا الموضع:

وَيَضْطَنِعُ الْمَعْرُوفُ مُبْتَدِئاً بِهِ      وَمَنْعُهُ عَن كُلِّ مَنْ دَمُهُ حَمْدُ  
وقوله:

وَإِذَا أَتَيْتَكَ مَدْمَتِي مِنْ نَاقِصٍ      فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ  
وقول أبي تمام:

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءَ مَجْدُ ابْنِ يُوْسُفٍ      وَدُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِلَيْدِ الْفَضْلِ مُوَلِّعُ  
وقول الآخر:

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّاسِ سَالِمًا      وَلِلنَّاسِ قَالٌ بِالظُّنُونِ وَقِيلُ

قال الذهبي: فهذا مالك؛ وهو النجم الهادي بين الائمة؛ لا يسلم من الكلام فيه؛ وتكلم بعض من لا يفهم؛ في الزهري؛ وقال قطبة بن العلاء: تركت حديث الفضيل بن عياض؛ لأنه روى احاديث؛ أزرى فيها على عثمان بن عفان؛ فلم يُسْمَعْ كلام قطبة؛ وقال ابن معين: ليس الشافعي بثقة؛ فلم يُلْتَمَثْ إلى قوله؛

والماء إذا بلغ قلتين؛ لم يحمل خبثاً؛ وكلام الطاعن في الكامل؛ إنما يعود بالقدح عليه؛ فإذا كان في طعن الثقات؛ فما بالك بالسقاط؛ غير انه لا يصح؛ أن تتمثل لهؤلاء الجلة؛ من العلماء؛ بما سبق عن أبي الطيب؛ وابي تمام؛ ولكن نِعِمَّا قال الذهبي: إن الماء إذا بلغ قلتين؛ لم يحمل الخبث؛ لأنه مثل قول أبي الطيب:

مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعَهُ فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضَعُهُ

فأين يذهب الشريف؛ عن ذلك؛ واما جرى على اجداده؛ من التشهير؛ على عيدان المنابر؛ فما زادهم إلا شرفاً ومجداً؛ كأنما يأخذون في ذلك؛ بأنوفهم إلى السماء؛ قاله عمر بن عبد العزيز؛ ومن أعزَّ الله؛ فلا مُذِلَّ له؛ ولكن الشريف؛ سمع بقول يزيد بن مفرغ:

فَلَوْ أَنَّ لَحْمِي إِذْ وَهَى لَعَبَثَ بِهِ كِرَامٌ مُلُوكٌ أَوْ أُسُودٌ وَأَذْؤُبٌ  
لَهَوْنَ مِنْ وَجْدِي وَسَلَى مُصِيبَتِي وَلَكِنَّمَا أَوْدَى بِلَحْمِي أَكْلُبٌ

فأحبَّ الشريف؛ ان يكون له مثله؛ والفرق مثل الصبح ظاهر.

وأما قوله (١٣٥)

تُمَلِّي الْمَقَادِيرُ أَعْمَاراً وَتَنْسُخُهَا وَيَضْرِبُ الدَّهْرُ أَيَّاماً بِأَيَّامٍ

فإن أراد النسخ بالموت؛ فظاهر؛ وإن أراد تبديل الآجال؛ ففي المسألة اقوال؛ احدها للفلاسفة؛ وهو: أن لا أجل لأحد؛ والموت عندهم قسري؛ بمعارض خارجي؛ كالقتل والتردي؛ أو داخلي؛ بشيء من الأمراض؛ وطبيعي؛ بوقوف القوة الغذائية؛ التي تعوض البدن؛ عما يتحلل منه؛ وغايتها عندهم؛ مائة وعشرون سنة؛ أو مائة وستون سنة؛ وينكرون حياة المعمرين؛ وقد اجاد المرتضى؛ في الرد عليهم؛ بالمجلس التاسع عشر؛ من اماليه؛ وقالت الاشعرية والجهميَّة والجبرية؛ كآفه: إنَّها آجال مضرورية محدودة؛ محتجين بامثال قوله



تعالى: ﴿... إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>؛ ووافقتهم طائفة من المعتزلة؛ بعد تفسير الأجل؛ بأنه الوقت الذي يعلم الله فيه؛ بطلان حياة ذلك الحي؛ من انسان أو غيره؛ فلا يمكن ان يموت أو يقتل دونه؛ لأن الله وبَّخ المنافقين؛ على قولهم: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا في الآية ١٥٦ من آل عمران وهي: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وخصهم بقوله: ﴿قُلْ فَأَدْرَأُ عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ وقوله في الآية ١٧ من سورة الاحزاب: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِذُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَيَلِيًا وَلَا نَصِيرًا﴾ وقوله في الآية ٧٨ من سورة النساء: ﴿أَيْمَنَّا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ...﴾؛ وزعم كثير من المعتزلة؛ أن القاتل يقطع أجل المقتول؛ وأنه لو لم يقتله؛ لعاش؛ ولو استحال تخلف المقتول عن وقته؛ لم يكن القاتل آثماً؛ إذ لم يُقَوِّت عليه حياة؛ وإنما هي فائتة على كل تقدير. قالوا: ولا دليل على توبيخ المنافقين؛ بتلك الآية؛ إذ ليس فيها: أنهم لو لم يقتلوا؛ لماتوا في تلك الساعة؛ وغاية مافيها: انه لا بد من الموت عاجلا أو آجلا؛ لو لم يكن القتل؛ واحتجوا فوق ذلك؛ بأخبار منها: «من أحب ان يبسط في رزقه؛ وينسأ له في أثره؛ فليصل رحمه»<sup>(٢)</sup>؛ ومنها: «أن المقتول يتعلق بقاتله؛ يوم القيامة؛ ويقول يا رب ظلمني؛ وقطع اجلي»؛ ويقول تعالى في الآية ١٦ من سورة الأحزاب: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تَسْعَوْنَ إِلَّا لَمُتًا﴾؛ وقد قال المنصور العباسي؛ عندماهرب من الطاعون: ذلك القليل تطلبوا واجيب؛ عما قالوا في الآيتين الأوليين؛ بانه يبطل فائدة التوبيخ على أنكار القتل؛ في ذلك

(١) جزء من الآية ٤٩، سورة يونس.

(٢) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه»؛ متفق عليه.

الوقت المعين؛ وعن الحديث الاول؛ بأن الزيادة؛ إمّا بالبركة في الاوقات. وأمّا بالنسبة إلى الصحف؛ التي تكتبها الملائكة؛ من الرزق والعمل والاجل؛ لا بالنسبة إلى علمه القديم؛ ولهذا حاجة إلى ماسبق؛ في شرح البيت (١١٦)؛ فليتفطن له؛ وإمّا؛ ببقاء الذكر الجميل بعد الموت؛ وهو مناسب لردنا على الشريف؛ في بيته (١٤٨)؛ وعن الحديث الثاني؛ بانه مُتَكَلِّمٌ في اسناده؛ وليس هذا شيء! لأنّ الأحاديث في معناه؛ لا تدخل تحت الحصر؛ ولكن الصواب؛ ان يقال؛ كما سبق؛ أنّه؛ محمول على الاجل المكتوب في صحف الملائكة؛ لا على ما في علم الله؛ واجابوا عن آية الفرار؛ بأنّ معناها: لو كان الفرار ينفع؛ لما نفع إلا حياة قليلة؛ وقضى ابن تيمية بالحماقة على المنصور؛ في تلك المقالة؛ لأن ينفعكم: فعل دل على الاستقبال؛ والفعل؛ نكرة في سياق نفي؛ فتعم جميع أفرادها؛ فاقضى ذلك: أنّ ليس في الفرار منفعة أبداً؛ هذا كلامه؛ ولو أنه استثنى الفرار الجائز؛ لكان أولى؛ وأكبر الاختلاف؛ راجع إلى تفسير الأجل؛ فالخطب إذن يسير؛ في جوهر المسألة؛ وقد أطال شارح النهج؛ القول فيه؛ بالمجلد الأول ص ٤٦٥؛ وبييت الشريف؛ ناظر إلى قوله جلّ ذكره؛ في الآية (٣٩) من سورة الرعد: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾؛ وقد أخرج ابن أبي شيبة؛ عن ابن مسعود؛ قال: ما دعا عبد قط بهذه الدعوات إلا وسع الله عليه في معيشته: يا ذا المن ولا يمن عليه؛ يا ذا الجلال والإكرام؛ يا ذا الطول؛ لا إله إلا أنت؛ ظهر اللاجئين؛ وجار المستجيرين؛ ومأمن الخائفين؛ إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب؛ محروماً؛ مُقْتَرّاً عَلَيَّ رزقي؛ فامح حرمانني؛ وَيَسِّرْ رزقي؛ وثبتني عندك سعيداً موفقاً للخير؛ فإنك تقول في كتابك؛ الذي أنزلت: يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. ونحوه عن ابن جرير؛ وابن مسعود؛ وعبد ابن حميد؛ وغيرهم؛ ويتأكد بما في الآية (١١) من سورة فاطر؛ من قوله تعالى: ﴿... وَمَا يَعْزَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾؛ فقد ذكر المفسرون: إن كعب الأخبار قال لمّا احتضر عمر: لو دعا ربه لأخر أجله؛ فقليل له: إن الله يقول: ﴿... إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجْرُونَ

سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْرِبُونَ»<sup>(١)</sup> قال: هذا إذا حضره الأجل! أما قبل ذلك؛ فيجوز أن يُزَادَ وَيُنْقَضَ! وقرأ آية فاطر.

وأخرج الحاكم؛ وصححه؛ عن ابن عباس: «لا ينفع الحذر من القدر ولكن الله تعالى يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر» وصح قوله ﷺ؛ في التراويح: «خشيت ان تفرض عليكم»<sup>(٢)</sup> وبهذه الأحاديث؛ وأمثال قوله: «وقني شر ما قضيت» يحتج من يقول: بإمكان المَحْو والإثبات؛ حتى في القضاء الأزلي؛ وهو لا يقتضي التغيير عليه؛ جل جلاله؛ إذ لا يلزم من تَغْيِير المعلوم؛ تَغْيِير العلم؛ وإنما يلزم؛ تَغْيِير متعلقات العلم؛ وهو غير ضار؛ كذا قالوا؛ وأنا لا أرضاه؛ لأنها تنشأ منه؛ إشكالات أخرى؛ وفي الكلام طول؛ وذكر القطب الحداد: أن زيادة الاعمار؛ بنحو الصدقة؛ تكون من عمر البرزخ؛ وهو مقبول؛ وقال ابن قتيبة: من معاني اطالة صلة الرحم للعمر: الغنى واتساع الرزق وعافية البدن؛ وقد قيل: الفقر هو الموت الأكبر؛ وقال: الله أعلم موسى؛ بأنه يميت عدوه؛ فرآه؛ بعد سبق الخرص؛ فقال: يا رب؛ ألم تعدني أن تميت؟ قال: قد فعلت بفقرى إِيَّاه. لأنها أن يكتب أجل عبد عنده مئة سنة مثلا؛ ثم لا يجعل بُنْيَتَهُ وتركيبه وهيئته الا لثمانين؛ فاذا وصل رحمه؛ زاد في ذلك التركيب والهيئته؛ وأكمل ما نقص فيه؛ فاسترد العشرين الباقية له؛ وللمفسرين؛ وأهل المقالات؛ بحوث ضافية الذبول؛ وهذا كاف؛ بل ربما كان بعضه؛ من الفضول؛ لا سيما وقد كان آخر ما انتهى بي الخوض فيه؛ من علم الكلام؛ الرجوع؛ إلى ما نقله الغزالي والزرکشي؛ عن الجنيد؛ انه لا يعرف الله؛ إلا الله؛ وهو المفهوم من قوله ﷺ: «سبحانك لا نحصي ثناء عليك».

مُرَامٌ شَطَّ مَرَمَى الوَصْفُ فِيهِ وَدُونَ مَدَاهُ بِبَيْدٍ لَا تَبِيدُ

(١) سورة يونس، الآية: ٤٩.

(٢) في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ (قام بأصحابه ثلاث ليال وفي الثالثة أوفي الرابعة لم يُصَلِّ، وقال: إني خشيت أن تُفرض عليكم) رواه البخاري وفي لفظ مسلم (ولكني خشيت أن تُفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها).

ولله دَرُّ المتنبّي؛ لو أراد الباري؛ بقوله:

يَفْنَى الْكَلَامُ وَلَا يُحِيطُ بِوَضْفِكُمْ      أَيَحِيطُ مَا يَفْنَى بِمَا لَا يَنْفَدُ  
 ويعجبني؛ قول المَلَأَ ابراهيم بن حسن المدني<sup>(١)</sup>: إعلم ان العقلاء؛ اتفقوا  
 على اتصاف الله؛ بجميع صفات الكمال؛ وتنزهه عن جميع صفات النقص؛  
 ولكنهم اختلفوا؛ في النقص والكمال؛ لا سبب ذلك؛ أَنَّهُمْ سلطوا الأفكار؛ على  
 ما لا سبيل لها؛ إلى الوصول اليه؛ فان الله خلق العقول؛ واعطاها قوة الفكر؛  
 وجعل لها حدا؛ تقف عنده؛ فاذا استعملت فكرها في حدها وطورها؛ اصابت  
 باذن الله؛ وَإِلَّا رَكِبَتْ متن عمياء؛ وان معرفة الله من وراء طورها؛ لا يستقل  
 العقل بادراكه؛ من طريق الفكر؛ وانما يدركه بنور النبوة أو الولاية<sup>(٢)</sup>.

وأما مأخذ بيت الشريف؛ الذي نحن فيه؛ من الشعر؛ فمنها قول إسحاق

الموصلي:

دَعِ الْمَقَادِيرَ تَجْرِي فِي أَعْيُنِهَا      وَأَضِرْ فَلَيْسَ لَهَا صَبْرٌ عَلَى حَالِ  
 يَوْمًا تَرِيشُ حَسِيْسَ الْحَالِ تَرْفَعُهُ      إِلَى السَّمَاءِ وَيَوْمًا تَخْفِضُ الْعَالِي

وهما من قوله جل ذكره: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ  
 الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقول الأول:

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِوَاللَّهِ إِنَّهُ      لَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي خَلِيقَتِهِ أَمْرٌ

(١) الملا إبراهيم بن حسن الكوراني المدني ولد في بلاد الكرد سنة ١٠٢٥هـ وأخذ في بلاده العربية وعلم الفلك والهندسة وغير ذلك. قال: وكان دأبه إذا عرضت له مسألة في فن أتقن ذلك الفن غاية الإتقان. قال ثم قرأ في المعاني والبيان والأصول والفقه والتفسير، ثم سمع الحديث عن جماعة في غير بلاده. ثم استقر بالمدينة المنورة.

(٢) الكلام السابق منقول من حاشية الكتاب بخط دقيق غير واضح والجزء الأخير غير مقروء فلم تستكمل كتابته.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

ويروى أَنَّ الْحِجَّاجَ؛ حَقَّنَ دَمَ قَائِلِهِ؛ وَقَالَ: مَا أَرَاهُ أَخَذَهُ إِلَّا مِنْ قَوْلِهِ جَلْ ذَكَرَهُ: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾<sup>(١)</sup>؛ وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ<sup>(٢)</sup>؛ أَوْ؛ حَنِيفُ بْنُ عَمِيرِ الْيَشْكْرِيِّ<sup>(٣)</sup>:

لَا تَضَيِّقَنَّ بِالْأُمُورِ فَقَدْ تَكْثُرُ      لَمْ تَضَيِّقَنَّ بِالْأُمُورِ فَقَدْ تَكْثُرُ  
رَبِّمَا تَكْرَهُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ      رَبِّمَا تَكْرَهُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ  
وفيها قصة غريبة؛ لأبي عمرو بن العلاء<sup>(٤)</sup>؛ يذكرها النحاة واللغويون؛  
وقال ابن المعتز:

وَلَا حَالٌ إِلَّا سَوْفَ يَفْتَحُ قُفْلَهُ      وَلَا حَالٌ إِلَّا لِيَفْتِيَ بَعْدَهَا حَالَ  
وقال إسحاق الموصلي أيضاً:

مَا بَيْنَ ظَرْفَةِ عَيْنٍ وَأَنْتِبَاهَتَيْهَا      يُبَدِّلُ اللَّهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ  
وكان الحججاج؛ بالاعتبار الأول من الحنكة والتدبير؛ ومتى أعيته الأمور؛  
استكان للقضاء وأنشد:

دَعَهَا سَمَاوِيَّةٌ تَجْرِي عَلَى قَدَرٍ      وَلَا تُشْبِهُهَا بِرَأْيٍ مِنْكَ أَرْضِيَّةٌ<sup>(٥)</sup>

(١) سورة الرحمن، الآية: ٢٩.

(٢) أمية بن أبي الصلت الثقفي، ويقال له: «أبو الحكم»، شاعر جاهلي ومن رؤساء ثقيف، اشتهر بالحنيفية والتوحيد وكان من الدعاة إلى نبذ الأصنام وتوحيد الإله. كما أنه أحد شعراء ثقيف وشرفائها كما كان أبوه من قبله أحد زعماء ثقيف بالطائف.

(٣) من صحابة رسول الله ﷺ.

(٤) أبو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة. كان من أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر، والنحو؛ سمع من أنس بن مالك وقرأ بمكة والمدينة وبالكوفة بالبصرة. كان من أشراف العرب ووجهائها وقد مدحه الفرزدق وكلاهما ينسب إلى تميم.

(٥) وردت عدة صيغ لعجز البيت منها:

دعها سماوية تجري على قدر      لا تفسدنها برأي منك منكوس  
ومنها:

دعها سماوية تجري على قدر      لا تعترضها بأمر منك تنفسد

وكانَّ المتنبّي؛ على رأي اعتزالي؛ في قوله:

ذَكَرُ الصِّبَا وَمَرَاتِعِ الْأَرَامِ      جَلَبَتْ حِمَامِي قَبْلَ وَقْتِ حِمَامِي

وقوله:

يُسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ      فَلَا يُصِيبُهُمْ مُوْتٌ وَلَا هَرَمٌ

وتحت الاحتمال؛ في قوله:

يَكَادُ مِنْ طَاعَةِ الْجِمَامِ لَهُ      بِقَتْلِ مَنْ لَا دَنَاءَ لَهُ أَجَلٌ

وأما قوله (١٣٦)

نِصْفُ عَيْشِ الْمَرءِ نَوْمٌ وَالَّذِي      يَعْقِلُ الْعَاقِلُ مِنْهُ كَالْحَلْمِ

فقد مرت مأخذه ونظائره؛ تحت البيت (٦٠) وقال ابن نباتة السعدي؛ وهو

أقدم ميلادا من الشريف؛ بأكثر من ثلاثين عاما:

وَمَا خَيْرُ عَيْشٍ نِصْفُهُ سُنَّةَ الْكِرَى      وَنِصْفُ بِهِ نَعْمَلُ أَوْ نَتَّوَجَعُ  
مَعَ الْوَقْتِ يَمْضِي بُوْسُهُ وَنَعِيمُهُ      كَأَنْ لَمْ يَكُنْ وَالْوَقْتُ عُمْرُكَ أَجْمَعُ

وقال ديك الجن<sup>(١)</sup>؛ من قبله:

فَأَمَّا الَّذِي يَمْضِي فَأَخْلَامُ نَائِمٍ      وَأَمَّا الَّذِي يَبْقَى لَهُ فَأَمَانِي

وقد عقد فيه؛ ما نقله ابن قتيبة؛ عن أبي حازم؛ من قوله: وما الدنيا؟ أمّا

ما مضى: فحلّم؛ وأمّا ما يأتي: فأماني. وفي بيتي ابن نباتة؛ نوع نظر؛ إلى قول

أبي العتاهية؛ في احمد بن يوسف:

(١) ديك الجن واسمه عبد السلام بن رغبان شاعر مولود عام ١٦١ هجري في مدينة حمص بالشام وتوفى عام ٢٣٦ هجري ولقد كان شعر ديك الجن من أهم المواطن التي سطا عليها المتنبّي.

مَتَى يُفْلِحُ الْغَادِي إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ وَنُضْفُكَ مَحْجُوبٌ وَنُضْفُكَ نَائِمٌ

وأما قوله (١٣٧) و(١٣٨)

وَالْحُرُّ مِنْ حَذَرِ الْهَوَا نُوْزَائِلُ الْأَمْرِ الْجَسِيمَا  
وَالصَّبِيْمُ أَرْوَحُ مِنْهُ مَظْرُ وَرُ الطَّبِي بَلَّغَ الصَّوْبِيْمَا

فأولهما؛ من قول عبد الملك بن مروان: إن يزيد بن المهلب؛ طلب عظيماً؛ وركب جسيماً؛ ومات كريماً؛ وقال أبو العباس الاعمى<sup>(١)</sup>؛ أحد موالي؛ ابن الديان الأذربيجاني؛ يرثي مصعب بن الزبير:

رَحِمَ اللَّهُ مُضْعَبًا فَلَقَدْ مَا تَ كَرِيْمًا وَرَامَ أَمْرًا جَرِيْمًا  
وَأَمَّا الثاني؛ فلا تحصى نظائره؛ ومنها قول بشار:

وَحَارِبٌ إِذَا لَمْ تُعْطَ إِلَّا ظِلَامَةً سَبَا الْحَرْبِ خَيْرٌ مِنْ قُبُولِ الْمَظَالِمِ  
وقد مرَّ هذا؛ وَاخِرُ الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ؛ مع قول معن ابن اوس:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهُجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ  
وَبَرَكَبُ حَدِّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تُضِيْمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مُزْحَلُ  
وقال أبو العباس بن مرداس<sup>(٢)</sup>:

(١) أبو العباس الأعمى الملكي؛ مولى بني جلدية بن عدي بن الدليل، أصله من أذربيجان، ومولده ومنتشؤه في المدينة، ثم انتقل إلى مكة فلم يفارقها حتى نفاه عبد الله بن الزبير إلى الطائف. وكان من شعراء بني أمية شديد التعصب لهم منحرفاً عن حب آل البيت، وله شعر في رثاء عبد الله بن الزبير، رغم أنه هجا آل الزبير. وكان بنو أمية يرسلون إليه الهدايا بمكة وكذلك القرشيين خشية لسانه. وهو من أهل الحديث روى عن مجموعة من الصحابة. وأدرك أبو العباس خلافة المنصور العباسي ولعل وفاته كانت قبل ١٤٠هـ.

(٢) العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، من مضر، أبو الهيثم. شاعر فارس، من سادات قومه، أمه الخنساء الشاعرة. أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم =

أَنْ يَقْبَلُوا الْحَنْفَ مِنْ مَلِكٍ وَإِنْ عَظَمًا  
لَا كَانَ مِنَّا عِدَاةَ الرَّوْعِ مُنْهَزِمًا

لَنْ يَأْتَفُوا الذَّلَّ حَتَّى تَأْتَفَ الْحُمْرُ  
حَتَّى يَلُوحَ بِبَطْنِ الرَّاحَةِ الشَّعْرُ

الصُّبْحِ مُغْبِرًا وَلَا دُعَيْتُ يَزِيدًا  
وَالْمَنَايَا يَرْضُدْنِي أَنْ أَحِيدًا

وَلَا سُوقَةً إِلَّا الْوَشِيحَ الْمُقَوَّمَا  
كَصَاعِقَةٍ فِي عَارِضٍ قَدْ تَبَسَّمَا

وكان الحسين بن علي؛ كثيراً ما يتمثل؛ منذ مات معاوية؛ بهذين؛ فيعرف من سمعه؛ انه سينازع في الأمر؛ والذي عند ابن خلكان؛ أن الحسين؛ كان يتمثل بعد مهلك معاوية؛ ببَيْتِي يزيد بن المقرع؛ ولا مانع؛ أن يتمثل بذينك تارة؛

يَأْبَى فَوَارِسُ لَا تَعْرَى صَوَاهِلَهَا  
لَا وَالسُّيُوفُ بِأَيْدِينَا مُجْرَدَةٌ  
وقال وهب بن الحارث<sup>(١)</sup>:

لَا تَحْسَبْنِي كَأَقْوَامٍ عَبَثَتْ بِهِمْ  
فَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنِّي غَيْرُ مُهْتَضَمٍ  
وقال يزيد بن المقرع:

لَا ذَعَرْتُ السَّوَامَ فِي فَلَقِي  
يَوْمَ أُعْطِيَ مِنَ الْمَخَافَةِ ضَيْمًا  
وقال الشداخ<sup>(٢)</sup>:

أَبِينَا فَلَا نُعْطِي مَلِيكًا ظَلَامَةً  
وَأَلَّا حُسَامًا يُبْهَرُ الْعَيْنَ لَمَحُهُ

= قُبَيْل فتح مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم ويُدعى فارس العُتَيْد، وهو فرسه، وكان بلدياً قحاً، لم يسكن مكة ولا المدينة وإذا حضر الغزوة مع النبي ﷺ، لم يلبث بعده أن يعود إلى منازل قومه. مات في خلافة عمر.

(١) وهب بن الحارث الخزاعي: أمه أم كلثوم بنت جَزُول بن مالك الخزاعية، كانت تحت عمر بن الخطاب؛ فولدت له عبيد الله بن عمر. أسلم حارثة وصحب النبي ﷺ، وروى عنه، وروى عن حفصة بنت عمر وغيرها، الجُهني. يُعدُّ حارثة في الكوفيين ولحارثة في الصحيحين أربعة أحاديث.

(٢) يعمر الشداخ بن عوف كان أمير قبيلة كنانة في الجاهلية وكان سيداً عظيماً مشهوراً ومن حكماء العرب. وهو من شعراء الحماسة.



وبهذين أخرى؛ والاشعار في الأنف وإباء الضيم؛ أكثر من ان تحصى؛ وفي العود الهندي؛ بحسب المناسبات؛ منها الشيء الموفور؛ وفي ديوان الشريف؛ الغرر الشاذخة في الموضوع؛ وما أكثر طربي لقوله:

مُلِيثُونَ فِي يَوْمِ الْقَضَاءِ إِذَا انْتَدَوْا      لَجَدَعِ الْقَضَايَا مِنْ أَنْوَابِ الْمَظَالِمِ  
وَأَنْ مُنِعُوا النَّصْفَ اقْتَضَوْهُ وَأَفْضَلُوا      عَلَى النَّصْفِ بِالْأَيْدِي الطَّوَالِ الْعَوَاشِمِ

اما البيتان؛ الذين اختارهما الأستاذ؛ فلا يُعَدَّان شيئاً مذكوراً؛ وانما اغتر بالنويري<sup>(١)</sup>؛ في الاعتداد بهما؛ وفي الموازنة بينهما؛ وبين ما سقناه من المآخذ؛ ما يغنى عن التفصيل؛ وليس بعد النهار دليل.

### وأما قوله (١٣٩)

وَحَاطِرٌ عَلَى الْجُلَى خِطَارَ ابْنِ حُرَّةٍ      وَإِنْ رَاحِمَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ فَرَّاحِمِ

فمن قول المتنبي:

وَأَنْ تَرِدَ الْمَاءَ الَّذِي شَطَرُهُ دَمٌ      فَتُسْقَى إِذَا لَمْ يُسَقَ مَنْ لَمْ يُرَاحِمِ  
وبيت المتنبي؛ ناظر إلى قول بشار؛ في أبي عمرو بن العلاء:

فَتَسَى لَا يَبِيْتُ عَلَى دِمْنَةٍ      وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ  
وقال جرير:

فَمَا زَالَتِ الْقَتْلَى تَمْجُجُ دِمَاءَهَا      بِدَجَلَةٍ حَتَّى مَاءٍ دَجَلَةٌ أَشْكَلُ<sup>(٢)</sup>  
وقول الفرزدق في هجائه:

(١) شهاب الدين النويري مؤرخ كبير ولد بمصر سنة ٦٦٧هـ ودرس بالأزهر وتخصص في دراسة الحديث والسير والتاريخ، قدم النويري للثقافة الإنسانية موسوعته الكبرى نهاية الأرب في فنون الأدب.

(٢) الأشكل: الحمرة مختلطة بياض.

صَفَرْتُ دِلَاؤُهُمْ فَمَا مَلَّوْا بِهَا      حَوْضاً وَلَا شَهْدُوا عَدَاةَ زِحَامِ  
وقال المتنبي؛ أيضاً:

وَلَا تَرِدَ الْمُذْرَانَ إِلَّا وَمَاؤُهَا      مِنْ الدَّمِ كَالرِّيْحَانِ تَحْتَ الشَّقَائِقِ  
ولن يكون كذلك؛ إلا عن كثرة المخاطرة؛ ونشدة الزحام؛ فهو من مآخذ البيت؛ واخاف ان يكون في قول المتنبي: إذا لم يُسَقَّ من لم يزاحم؛ تعريض بنبي الله؛ شعيب عليه السلام؛ وما هو أول بلاء الانبياء؛ بهؤلاء الشعراء؛ الذين لا حريجة لهم في الدين؛ وقد قصَّ الله علينا؛ من خير موسى مع بنتي شعيب؛ ما يشفي. فقال جل ذكره: ﴿وَلَمَّا وَدَّ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْتَأْذِنُ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْفِي حَتَّىٰ يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَفَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾<sup>(١)</sup>.

ولئن لم يزاحم شعيب؛ لشيخوخته؛ فقد زاحم موسى عليه السلام؛ مع خلوة الجوف؛ واي مزاحمة اشرف منها.

وقال حبيب:

فَإِنْ كَانَ عَامٌ عَارِمٌ الْمَحَلِّ فَانْفِهِ      وَإِنْ كَانَ يَوْمًا ذَا جِلَادٍ فَجَالِدِ  
وقال حاتم:

وَلِلَّهِ صَفْلُوكٌ يُسَاوِرُ هَمَّهُ      وَيَمْضِي عَلَى الْأَخْدَابِ وَالذَّهْرُ مُقْدِمًا  
إِذَا مَا رَأَى يَوْمًا مَكَارِمَ أَعْرَضَتْ      تَبِمَّ كُبْرَاهُنَّ نَمَّتْ صَمَمًا  
وَلَنْ يَكْسِبَ الصَّغْلُوكُ حَمْدًا وَلَا غِنَىٰ      إِذَا هُوَ لَمْ يَرْكَبْ مِنَ الْأَمْرِ مُعْظَمًا  
وقال أيضاً:

أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَصَتْ بِهِ الْحَرْبُ عَصَهَا      وَإِنْ سَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ سَمَرَا

(١) سورة القصص، الآيتان: ٢٣ و٢٤.

وَأَنِّي إِذَا مَا الْمَوْتُ لَمْ يَكْ دُونَهُ هَدَى الشُّبْرِ أَحْمِي الْأَنْفَ أَنْ تَأَخَّرَا

فَكُونَ الموت منه؛ قيد الشبر؛ ابلغ ما يكون في الزحام؛ وقال قُطْرِي:

لَا يَرْكَنَنَّ أَحَدٌ إِلَى الْإِحْجَامِ يَوْمَ الْوَعَى مُتَخَوِّفًا لِجِمَامِ

إلى آخر آيياته؛ السابق ذكرها؛ في غير هذا المكان؛ وقال أبو الطيب:

رُدِّي عِبَاضَ الرَّدَى يَأْنَفُسُ وَأَطْرِحِي حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلشَّاءِ وَالنَّعَمِ

وقال ابن هانيء:

وَلَمْ أَجِدِ الْإِنْسَانَ إِلَّا ابْنَ سَعِيهِ فَمَنْ كَانَ أَسْعَى كَانَ بِالْمَجْدِ أَجْدَرَا

وَبِالهِمَّةِ الْعَلِيَاءِ تَرَقَى إِلَى الْعُلَى فَمَنْ كَانَ أَعْلَى هِمَّةً كَانَ أَظْهَرَا

وَلَمْ يَتَأَخَّرْ مَنْ أَرَادَ تَقْدَمَا وَلَمْ يَتَقَدَّمْ مَنْ أَرَادَ تَأَخَّرَا

وفي هذه الأبيات؛ شاهد لما سبق؛ تحت البيت (١٨)؛ حسبما احلنا

هناك؛ وقد انضج الشريف؛ على آخرها؛ بقوله:

وَمَنْ أَخَّرْتَهُ نَفْسُهُ مَاتَ عَاجِزًا وَمَنْ قَدَّمْتَهُ نَفْسُهُ مَاتَ سَيِّدَا

وقال البحري:

مَجْدٌ وَمَا أَنْفَكَ الزَّمَانُ مُوَكَّلًا بِالْمَجْدِ يُلْحِقُهُ الْأَعْرَ الْمَاجِدَا

وقال ابن نباته:

أَرَاخِضِي اللَّهَ مِنْ قَلْبِ بُلَيْثُ بِهِ يَهْوَى الْقُعُودَ وَيَهْوَى أَشْرَفَ الرُّتَبِ

لَا يَمْنَعَنَّكَ صَدْرُ السَّيْفِ رَهْبَتُهُ إِنَّ الْمَدْلَةَ أَوْلَى مِنْهُ بِالرَّمَبِ

رَدَّ الْهَجِيرَ بِثَوْبِ الشَّمْسِ مُلْتَثِمًا وَاعْقِدْ بِظَرْفِكَ سَبْرَ الْأَنْجَمِ الشُّهْبِ

كَيْ مَا تَنَالَ مِنَ الدُّنْيَا نَهَايَتَهَا إِمَّا جِمَامًا وَإِمَّا حُسْنَ مُنْقَلَبِ

سَعَى رِجَالٍ فَنَالُوا قَدْرَ سَعِيهِمْ لَمْ يَأْتِ رِزْقٌ بِإِلَّا سَعِيٍّ وَلَا طَلَبِ

حُسْنُ التَّائِي مَفَاتِيحُ الْعُلَى وَعَلَى قَدْرِ الْمَطَالِبِ تَلْقَى شِدَّةَ التَّعَبِ

وهذه هي الأبيات؛ التي احلنا عليها؛ تحت البيت (٦٢)؛ والآن حين  
وفينا؛ وقد اغار الشريف؛ على الرابع منها؛ في كثير من قصائده؛ منها قوله:

لا دَرَّ دَرِّيَ إِنْ رَضِيْتُ بِذِلَّةٍ      تَلُوِي بَدْيِي وَتَرَدُّ غَرْبِ طِمَاحِي  
دَعْنِي أَخَاطِرُ بِالْحَيَاةِ فَلِئَمَّا      طَلَبُ الرِّجَالِ الثُّرَّ ضَرْبِ قِدَاحِ  
أَمَّا لِقَاءُ الْمُلْكِ قَسْرًا أَوْ كَمَا      لَقِي بَنُ حَجْرٍ مِنْ يَدِ الطَّمَّاحِ

وقوله في الحائية؛ التي تكلمنا عليها في المقالة الثانية؛ يجهدا أو ينثي  
بالردى؛ الى آخره؛ وأخرج الديلمي والقضاعي؛ عن انس يرفعه: «التاجر الجبان  
محروم؛ والتاجر الجسور مرزوق»<sup>(١)</sup>؛ ومما كان النجاشي؛ هجى به بني  
العجلان؛ رهط ابن مقبل؛ فاستحق به السجن؛ أو الحد؛ من ابن الخطاب؛  
قوله:

وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَنِيَّةً      إِذَا صَدَرَ الْوَرَادُ مِنْ كُلِّ مَنَهْلٍ

وأما قوله (١٤٠) و(١٤١)

|   |   |
|---|---|
| وَمَنْظَرٍ كَانَ بِالسَّرَاءِ يُضْحِكُنِي   | يَا قُرْبَ مَا عَادَ بِالضَّرَاءِ يُبْكِينِي  |
| هَيْهَاتَ اغْتَرَّ بِالسُّلْطَانِ ثَانِيَةً | قَدْ ضَلَّ وَأَلْجَأَ أَبْوَابَ السَّلَاطِينِ |

فالأول؛ من قول أبي الطيب؛ الذي قد ذكرته في غير هذا المكان؛ وهو:  
أَتْتَهُنَّ الْمَصَائِبُ غَافِلَاتٌ      قَدَّمْعُ الْحُزْنِ فِي دَمْعِ الدَّلَالِ  
وأخرج ابن أبي الدنيا؛ عن ابن مسعود؛ موقوفا: «لكل فرحة ترحه»<sup>(٢)</sup> وله

(١) حديث: «التَّاجِرُ الْجَبَّانُ مَحْرُومٌ، وَالتَّاجِرُ الْجَسُورُ مَرْزُوقٌ»، القضاعي من حديث حماد بن سلمة عن حميد عن أنس مرفوعا بهذا، (حديث مرفوع).

(٢) الحديث رواه ابن أبي شيبة في مصنفه قال حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال: مع كل فرحة ترحه. ورواه الإمام أحمد في الزهد قال: حدثنا وكيع حدثني اسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله مع كل =

فيه شاهد مرفوع؛ عن أنس؛ واما الثاني: فمن قوله ﷺ: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»<sup>(١)</sup> ومما أخرجه في النهج؛ من قول الإمام: صاحب السلطان؛ كراكب الأسد؛ يغبط بموقعه؛ والله اعلم بموضعه؛ واطال شارحه فيما يناسبه؛ وهو في المجلد الرابع؛ صفحة ٣٧٠؛ وفي النهج أيضاً: أن المحتضر؛ يزهده؛ فيما كان يرغب فيه؛ ايام عمره؛ ويتمنى أن الذي كان يغبط به؛ ويحسد عليه؛ وقد حازه دونه؛ وقال جرير:

يَا رَبِّ غَايِبْنَا لَوْ كَانَ يَطْلُبُكُمْ  
لَأَقِي مُبَاعَدَةً مِنْكُمْ وَحِرْمَانًا  
وقال البحتري:

وَإِنِّي لَمَحْسُودٌ عَلَيْكَ مُنَافِسٌ  
وَإِنْ كُنْتُ أُسْتَبْطِي كَثِيرًا وَأُسْتَجْفِي  
واحكم المتنبي نسجه؛ وشدّ متنه؛ بقوله:

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجِبُهَا  
إِنِّي بِمَا أَنَا بِكَ مِنْهُ مُحْسُودٌ  
وقديما كان يقال: من اكل مرقة السلطان؛ احترقت شفتاه؛ ولو بعد حين؛

وفي الموضوع؛ من شواهد التجنيس المركب؛ قول بعض المتأخرين:

إِنَّمَا السُّلْطَانُ نَارٌ كَلَّمَا  
زِدَتْ فِي الْقُرْبِ إِلَيْهِ تَحْتَرِقُ  
وَإِذَا لَمْ تَحْتَرِقِ مِنْ نَارِهِ  
عِثْتَ مَا دُمْتَ لَدَيْهِ تَحْتَ رِقِي

ومن حديث مرفوع؛ عن البيهقي وابي داؤود: «من أتى أبواب السلاطين؛ افتتن؛ وما ازداد عبد إلى السلطان دنوا؛ إلا ازداد من الله بعدا»<sup>(٢)</sup> وعند ابن ماجه

= فرحة ترحه وما ملئ بيت حبرة الا ملئ عبرة وقال العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة: «مع كل فرحة ترحه». ضعيف.

(١) الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما ولفظه كما في صحيح البخاري: لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين.

(٢) حديث ابن عباس: رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وأحمد، من طريق سفيان، عن أبي موسى، عن وهب بن منبه، عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن». قال الترمذي: «حسن غريب». =

مرفوعاً: «شرار امتي العلماء الذين يأتون الأمراء»<sup>(١)</sup> واخرج الديلمي؛ عن معاذ بن جبل؛ يرفعه: «ما من عالم أتى صاحب سلطان طوعاً؛ إلا كان شريكه؛ في كل لون يعذب به في نار جهنم»<sup>(٢)</sup>. وللسيوطي؛ مؤلف في الموضوع؛ وقال أفلاطون: من يصحب السلطان؛ فلا يجزع من قسوته؛ كما لا يجزع الغواص من ملوحة البحر. وقال حميد بن الصيمري لابنه: إصحب السلطان؛ بشدة التوقي؛ كما تصحب السبع الضاري؛ والفيل المغنم<sup>(٣)</sup>؛ والأفعى القاتلة.

### وأما قوله (١٤٢)

لَا تَأْمَنَنَّ عَدُوًّا لَانَ جَانِبُهُ      حُسُونَةَ الصَّلِّ عُقْبَىٰ ذَلِكَ اللَّيْنِ

فمن قول عترة:

إِنَّ الْأَفَاعِي وَإِنْ لَانَتْ مَلَامِسَهَا      عِنْدَ التَّقَلُّبِ فِي أَنْيَابِهَا الْعَطْبُ

وهو مع جاهليته؛ أعذب وأرق وأبلغ؛ من بيت الشريف؛ ورأيت بعضهم يعزوه لغيره؛ لكن؛ من المتقدمين على الشريف؛ فالمقصود حاصل؛ على كل تقدير؛ وقال ابن الرومي:

سَكَنَ الزَّمَانَ وَتَحَتَّ سَكْنَتِهِ      دَفَعُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالْبَطْشِ

= والحديث ضعيف من هذا الطريق بسبب أبي موسى وهو مجهول العين لم يرو عنه سوى الثوري أما حديث أبي هريرة: فرواه أحمد من طريق إسماعيل بن زكريا، عن الحسن بن الحكم النخعي، عن عدي بن ثابت، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: ... وذكره وفيه زيادة «وما ازداد عبد من السلطان قريباً إلا ازداد من الله بعداً». وهذا إسناد ضعيف أيضاً.

(١) «شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء» لابن ماجه شطره الأول وسنده ضعيف.

(٢) عن أبي هريرة رفته «ما من عالم أتى صاحب سلطان طوعاً إلا كان شريكه في كل لون يعذب به في نار جهنم» للديلمي عن معاذ رفته ولا يصح ولكن ورد في تغيير العالم من إتيانهم أشياء منه «ما ازداد أحد من السلطان قريباً إلا ازداد من الله بعداً».

(٣) المغنم الذي اشتدت ثورته.

كَالْأَفْعَوَانَ تَسْرَاهُ مُنْبَطِحًا      بِالْأَرْضِ ثُمَّ يَثُورُ لِلنَّهْشِ  
وهما احط من بيت الشريف؛ فهو واسطة بينهما وبين الاول؛ وقال ابن  
نباته السعدي:

فَلَا تَخْفِرَنَّ عَدُوًّا رَمَاكَ      وَإِنْ كَانَ فِي سَاعِدَيْهِ قِصْرُ  
فَلِإِنَّ السُّيُوفَ تَجِرُّ الرِّقَابَ      وَتُعْجِزُ عَمَّا تَنَالُ الْإِبْرُ  
وفي حكاية القُبْرَةَ مع الفيل؛ ما بغنى عن كل تدليل؛ وهي موجودة في  
كتاب كليله ودمنه؛ تعريب ابن المقفع؛ وفي النهج: مثل الدنيا كمثل الحية؛ لِيُنْ  
مَسَّهَا؛ والسم الناقع؛ في جوفها؛ فنظمه أبو العتاهية:

إِنَّمَا الدَّهْرُ أَرْقَمُ لَيْلِنُ الْمَسِّ      وَفِي نَابِهِ السِّقَامُ الْعِقَامُ

وأما قوله (١٤٣)

لَا تَخْلَدَنَّ إِلَى أَرْضٍ تُهُونُ بِهَا      بِالذَّارِ دَارٌ وَبِالْجِيرَانِ جِيرَانُ

فمن قول السري الرفأ:

فَوُضَّ حَيَامَكَ مِنْ أَرْضٍ تُهَانُ بِهَا      وَجَانِبِ الذُّلِّ إِنَّ الذُّلَّ يُجْتَنَبُ  
وَأَرْحَلَ إِذَا كَانَتْ الْأَوْطَانُ مَضِيعَةً      فَاَلْمَنْدَلُ الرَّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطْبُ  
وهو من قول البحترى:

أَضِيعُ فِي مَعْشَرِي وَكَمْ بَلَدٍ      بَعْدَ عُوْدَةِ الرِّبَاءِ مِنْ حَطْبِيَّةِ

ولكن السري الرفأ؛ وَضَحَهُ وَجَوَّدَهُ؛ وزعم الثعالبي في اليتيمة؛ أَنَّ الْبَيْتَيْنِ  
المذكورين؛ لابي الفرج علي بن هندو؛ وقال ابن خلكان: أنهما لعلّي بن  
ماكولا؛ والاول: هو الأثبت؛ وقال أبو نواس: دخلت دار السلطان؛ بمدينة  
السلام؛ فرأيت أبا دلف الكرخي؛ متعلقا ببعض ستائر الخاصة؛ يقول:

طَلَبُ الْمَعَاشِ مُفَرَّقٌ      بَيْنَ الْأَحْبَبَةِ وَالْوَطَنِ

وَمُصَيِّرُ جَلْدِ الرَّجَا      لِإِلَى الضَّرَاعَةِ وَالْوَهْنِ  
 حَتَّى يُقَادَ كَمَا يُقَادُ      النَّضْوُ فِي ثَنِي الرَّسَنِ  
 فقلت له: لو صرت إلى حجرتي أيها الأمير؛ لأنشدتك ما يُهَوِّنُ عليك؛ قال  
 فجاء معي؛ واكل وشرب؛ وانشدته:

إِذَا كُنْتَ فِي أَرْضٍ عَزِيزاً وَإِنْ نَأَتْ      فَلَا تُكْثِرِ الشُّكُوى نِزَاعاً إِلَى الْوَطَنِ  
 فَمَا هِيَ إِلَّا بَلْدَةٌ بَعْدَ بَلْدَةٍ      وَخَيْرُهُمَا مَا كَانَ عَوْناً عَلَى الرَّمَنِ  
 وقال أبو عبادة:

لَا تُنْكَرَنَّ مِنْ جَارِ بَيْتِكَ إِنْ طَوَى      أَطْنَابَ جَانِبِ بَيْنِهَا وَقَوْضَا  
 فَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ لِنُقْلَةِ رَاغِبٍ      عَمَّنْ تَنْقَلُ وَدَهُ وَتَقَوْضَا  
 وقال أبو الطيب:

إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا      أَنْ لَا تُفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمُو  
 قال العكبري؛ قال ابن وكيع؛ هو من قول حبيب:

وَمَا الْقَفْرُ بِالسَّبِيْدِ الْقَوَاءِ بَلِ السَّبِي      نَبَتْ بِي وَفِيهَا سَاكِنُوهَا هِيَ الْقَفْرُ  
 واقول: بل هو اشبه بشعر لاعرابي؛ رأيته في صفحة ٤٠١؛ مجلد ٨؛ من  
 معجم ياقوت؛ وهو:

وَفِي الْجِبْرِةِ الْغَادِيْنَ مِنْ بَطْنِ وَجْرَةَ      غَزَالِ أَجْمِ الْمُقْلَتَيْنِ رَبِيبُ  
 فَلَا تَحْسَبِي أَنَّ الْغَرِيبَ الَّذِي نَأَى      وَلَكِنَّ مَنْ تَنَابَنَ عَنْهُ غَرِيبُ  
 اما قول ابراهيم بن العباس الصولي<sup>(١)</sup>؛ أو مسلم بن الوليد؛ على اختلاف



لَا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضَ الْعَيْشِ فِي دِعَاةٍ      نَزُوعُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانِ  
تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَلْتَ بِهَا      أَهْلًا بِأَهْلِ وَجِيرَانًا بِحِيرَانِ

فقد قالوا: إِنَّهُمَا الْأُمُّ بَيْتَيْنِ؛ قالتها العرب؛ ووجهه: أَنَّ من أنساه الحنين إلى اوطانه؛ مجرد الرغد في العيش؛ بغيرهما؛ لا يكون إِلَّا لثيما خسيسا؛ أمَّا فراق الاوطان؛ للأنف من الذل؛ مع الحنين إليها؛ فشنشنة الكرام؛ وعلى ذلك؛ كان ﷺ؛ والمهاجرون من أصحابه. وقال البحتري؛ فيما يشبه؛ ما مرَّ عن الصولي:

شَرِّقْ وَغَرِّبْ فَعَهْدُ الْعَاهِدِينَ بِمَا      طَالَبْتَ فِي ذِمْلَانَ الْأَثْبِقِ الذَّلِيلِ  
وَلَا تَقُلْ أُمَّمٌ شَتَّى وَلَا فِرْقٌ      فَالْأَرْضُ مِنْ تُرْبَةٍ وَالنَّاسُ مِنْ رَجُلٍ  
وقال أيضاً:

وَأَحَبُّ آفَاقِ الْبِلَادِ إِلَى الْفَتَى      أَرْضٌ يَنَالُ بِهَا كَرِيمَ الْمَطْلَبِ  
وهذا محتمل؛ لأنه؛ إن كان لتحصيل الرزق؛ فمطلوب؛ أو لمجرد الرفهية؛ فمذموم؛ وأخرج الطبراني واحمد؛ بسند ضعيف؛ عن الزبير: «البلاد بلاد الله؛ والعباد عباد الله؛ فحيثما اصبت خيرا؛ فأقم»<sup>(١)</sup>؛ وما أحسن قول المُتَلَمِّسِ:  
وَلَنْ يُقِيمَ عَلَى خَسْفٍ يُرَادُ بِهِ      إِلَّا الْأَذْلَانُ عِبرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدِ  
وقول قيس بن الخطيم<sup>(٢)</sup>:

= وكان جده محمد من رجال الدولة العباسية ودعاتها، ونشأ إبراهيم في بغداد فتأدب فيها، وقربه الخلفاء، فكان كاتباً للمعتصم والواثق والمتوكل. توفي سنة ٢٤٣هـ.

(١) (حديث مرفوع) حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنِي جُبَيْرُ بْنُ عَمْرٍو الْقُرَشِيُّ، حَدَّثَنِي أَبُو سَعْدِ الْأَنْصَارِيُّ، عَنْ أَبِي يَحْيَى مَوْلَى آلِ الرَّبِيعِ بْنِ الْعَوَّامِ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ الْعَوَّامِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الْبِلَادُ بِلَادُ اللَّهِ، وَالْعِبَادُ عِبَادُ اللَّهِ، فَحَيْثُمَا أَصَبْتَ خَيْرًا فَأَقِم» (مسند الإمام احمد) رقم الحديث ١٣٦٦.

(٢) قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، توفي قبل الهجرة بسنتين وهو شاعر من صناديد =

وَمَا بَعْضُ الْإِقَامَةِ فِي دِيَارِ يُهَانَ بِهَا الْفَتَى إِلَّا عَنَاءُ  
وقال أبو دلف<sup>(١)</sup>:

وَإِذَا الدِّيَارُ تَنَكَّرَتْ عَنْ حَالِهَا فَدَعِ الْمُقَامَ وَيَادِرِ التَّحْوِيلَا  
وقال حبيب:

وَإِنَّ صَرِيحَ الْحَزْمِ وَالرَّأْيِ لِإِمْرِي إِذَا بَلَغَتْهُ الشَّمْسُ أَنْ يَتَحَوَّلَا  
وقال أبو الطيب:

وَمَا مَنَزِلُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنَزِلِ إِذَا لَمْ أَبْجَلْ عِنْدَهُ وَآكِرَمُ  
وما اشد ما لقي شيخنا؛ العلامة بن شهاب<sup>(٢)</sup>؛ من الإهتضام بتريم؛ ومع ذلك؛ فلم يزل كثير الحنين إليها؛ جم البكاء عليها.

### وأما قوله (١٤٤)

لَا تَطْمَئِنُّ دَهْرًا إِلَّا خَائِعًا فِرَاقَ الْفِئَةِ وَتَسْوَأَ حَيْرِ وَطَنِ

فقد سبق في نظيره؛ وهو البيت (٤٦)؛ أنه؛ من قول زياد بن زيد:

هَلِ الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى رَزِيَّةَ مَالٍ أَوْ فِرَاقَ حَبِيبِ  
وبيت زياد؛ امتن واضح؛ لأن التقسيم فيه؛ واضح؛ بخلاف بيت الشريف؛

= الجاهلية وأشد رجالها. قتل رجل من الخزرج أباه وهو صغير، فلما بلغ، قتل قاتل أبيه، ونشبت لذلك حروب بين قومه وبين الخزرج. كما قتل أيضاً قاتل جده.

(١) أبو دلف العجلي واسمه القاسم بن عيسى بن إدريس العجلي قائد عباسي في زمن المأمون والمعتمد وأيضاً هو شاعر وأديب. مدحه عدد من الشعراء منهم أبو تمام الطائي اشتهر بالكرم وله مؤلفات وتوفي سنة ٢٢٥هـ.

(٢) العلامة السيد أبو بكر بن شهاب لقي من أهل تريم عتا وشلة اضطرته إلى الهجرة إلى الهند التي عاش فيها وعندما عزم على العودة إلى حضرموت منعه ظروف الحرب العالمية الأولى من العودة؛ فمكث بالهند وتوفي بجيدر آباد سنة ١٣٤٢هـ.

إذا التُّبُوْ عن الوطن؛ هو فراق الإلف بعينه؛ وقال عوف بن محلم<sup>(١)</sup>:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ غُرْبَةٌ وَتُرُوحُ      أَمَا لِلنَّوَى مِنْ وَتْبَةٍ فَتُرِيحُ  
وقال أبو تمام:

وَكَيْفَ أَنْكِرُ مِنْ دَهْرِي نَصْرَفَهُ      وَالْدَّهْرُ ذُو أَوْجِهِ شَتَّى وَالْوَانُ  
فَكَمْ لَهُ مِنْ يَدٍ عِنْدِي وَمِنْ تَرَةٍ      لِي عِنْدَهُ مِنْ دَوِيٍّ وَدِيٍّ وَأَخْوَانِي  
إِمَّا يَفْجَعُ وَإِمَّا نَكْبَةٌ بِتَوَى      أَوْ يَنْتَزِحُ نَوَى أَوْ يَوْمٌ هُجْرَانُ

وأشد الجاحظ؛ ما قد اسلفنا؛ تحت البيت (٩٢)؛ وهو:

لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ      وَكُلُّ الَّذِي قَبْلَ الْمَمَاتِ قَلِيلُ  
وَإِنَّ افْتِقَادِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبٍ      دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدُومُ خَلِيلُ  
وقال البحتري:

وَمَتَى يُسَاعِدُنَا الْوِصَالُ وَدَهْرُنَا      يَوْمَانِ يَوْمٌ نَوَى وَيَوْمٌ صُدُودُ  
وقال:

وَمَا ظَرَفْنَا زَمَانَ الْمَرِّ إِلَّا      مَقَامٌ يَرْتَضِيهِ أَوْ رَجِيلُ  
والبرودة ظاهرة في هذا البيت؛ لأنَّ الإقامة والارتحال؛ نقيضان لا  
يجتمعان؛ ولا يتخلفان.

وقد مر في غدر الزمان؛ وتنكر الايام؛ ما شاء الله ان يمر؛ ومن كتاب  
اردشير بن بابك؛ لأبنائه؛ وللملوك من بعده؛ وكلما ازداد المَلِكُ تنفسا في  
العمر؛ وسلامة في الملك؛ ازداد غرورا؛ حتى يسلمه ذلك؛ إلى سيكر السلطان؛

(١) عوف بن محلم الخزاعي، أحد العلماء والأدباء والرواة الفهماء، والندامي الظرفاء  
والشعراء الفصحاء، وكان صاحب أخبار ونوادر، وله معرفة بأيام الناس. توفي حوالي سنة

فينسى النكبات والعثرات؛ وفحش تسلط الايام؛ وغلبة لوم الدهر؛ فيرسل يده  
ولسانه؛ وعند حسن الظن بالأيام؛ تحدث الغيّر وتزول النعم.

وقال سعيد بن وهيب:

أَحْسَنْتَ ظَنَّنَكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسُنْتَ      وَلَمْ تَحْخَفْ غِبًّا مَّا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ  
وَسَأَلَمْتُكَ اللَّيَالِي فَاعْتَرَزْتَ بِهَا      وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكُدْرُ

وقد أنشدهما الأصمعي؛ وقال: كأنه اخذهما؛ من قوله جل ذكره: ﴿حَقِّقْ إِذَا فُوحًا يَمَّا أُوتُوا أَخَذْتَهُمْ بَعْتَهُ فَاذَا هُمْ مُتْلِسُونَ﴾<sup>(١)</sup>؛ وذكر ابن قتيبة؛ أن سفيان ابن عيينة؛ كان يستحسن؛ قول عدي بن زيد:

أَيَّنْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ      ثُمَّ عَادَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَتَمُودُ  
بَيْنَمَا هُمْ عَلَى الْأَسِرَّةِ وَالْأَنَمِ      سَاطِ أُنْضَتْ إِلَى الثَّرَابِ الْخُدُودُ  
ثُمَّ لَمْ يَنْقُضِ الْحَدِيثُ وَلَكِنْ      بَعْدَ ذَا الْوَعْدِ كُلِّهِ وَالْوَعِيدُ

وأما قوله (١٤٥)

إِذَا الْفَتَى كَانَ فِي أَعْمَالِهِ شَوْهًا      لَمْ يُعْنِ أَنْ يَقِيلَ إِنَّ الْوَجْهَ حَسَانًا

فمن قول أبي الطيب:

وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفٌ لَهُ      إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَلَائِقِ  
وقوله:

لَيْسَ الْجَمَالُ لَوَجْهِ صَحِّ مَارِنُهُ      أَنْفُ الْعَرِيزِ بِقَطْعِ الْعِرْزِ يَجْتَدِعُ<sup>(٢)</sup>  
وعجز هذا بغيض؛ ومع ذلك هو مسروق؛ من قول حبيب:

لَيْسَ جَدْعُ الْأَنْفِ عِنْدِي بِجَدْعُ      إِنَّ ذُلَّ النُّفُوسِ قَتْلٌ وَجَدْعُ

(١) سورة الأنعام، الآية: ٤٤.

(٢) المارن: الأنف.

وقال المتنبي:

وَدَهْرٌ نَأَسُهُ نَأَسٌ صِفَارٌ      وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُنُتٌ عِظَامُ  
والشَّوْءُ؛ في بيت الشريف؛ غصة لا تساغ؛ وعثره لا تقال؛ ولفظة لا تصلح  
إلا للاستفراغ؛ لأنها من التقزز بمكان؛ والمعنى مشترك من قديم الزمان؛ قال  
الفرزدق:

وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَطَوْلِهَا      إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ  
وقال العباس بن مرداس:

وَمَا عِظَمَ الرَّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرِ      وَلَكِنْ فَخْرَهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ  
وقال دعلج:

وَمَا حُسْنُ الْوُجُوهِ لَهُمْ بِرِزِينِ      إِذَا كَانَتْ خَلَابِقُهُمْ قِبَاخَا  
وقال أبو العتاهية:

وَإِذَا الْجَمِيلُ الْوُجُوهُ لَمْ      يَأْتِ الْجَمِيلَ فَمَا جَمَالُهُ

ومن كلام الإمام؛ وقد ذُكِرَ عنده؛ إختلاف الناس؛ قوله: فتام الرواء؛  
ناقص العقل؛ وماد القامه؛ قصير الهمه؛ وذاكى العمل؛ قبيح المنظر؛ واطال  
الشارح في شواهد؛ من المجلد الثالث؛ صفحة (١٨٧)؛ على انه لا يمكن؛  
اهتضام الجمال؛ وبسطة الطول؛ وقد اطنبت فيه؛ بغير موضع؛ من العود  
الهندي؛ وبلا بل التغريد<sup>(١)</sup>؛ لِإِنَّ الظاهر؛ بالأغلب؛ عنوان الباطن؛ وقد جاء في  
الحديث: «التمسوا الخير عند حسان الوجوه»<sup>(٢)</sup> أخرج الطبراني؛ وأبو يعلى؛

(١) العود الهندي وبلا بل التغريد مؤلفان للإمام بن عبيد اللاه السقاف الأول منهما مطبوع  
والثاني مخطوط.

(٢) ورد هذا الحديث من عدة طرق بألفاظ مؤتلفة في كتب الحديث. منها: «اطلبوا الحوائج إلى  
حسان الوجوه». وفي لفظ آخر: «التمسوا الخير عند حسان الوجوه». رواه الإمام البخاري،  
والإمام ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج»، وأبو يعلى في «مسنده»، والطبراني في =

والبخاري في تاريخه؛ قال الحافظ ابن حجر: فلا عبرة بمن قال أنه موضوع؛ بل نقل عن السيوطي: أنه حسن صحيح، وقال أبو عباده:

تَخَاضَعَتْ الْوُجُوهُ لِحُسْنِ وَجْهِهِ      يَدُلُّ عَلَى خَلَائِقِهِ الْحَسَانَ  
أما قول المتنبي:

يُرِيكَ مَخْبَرَهُ أَصْعَافَ مَنْظَرِهِ      بَيْنَ الرِّجَالِ وَفِيهَا الْمَاءُ وَالْأُلُحُ  
وقوله:

وَاسْتَعْظَمَ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ      فَلَمَّا التَّقَيْنَا صَغَّرَ الْخَبْرُ الْخَبْرَا  
فيه شبه؛ بقوله ﷺ؛ لزيد الخيل<sup>(١)</sup>: «ما وصف لي أحد الا وجدته دون ما وصف غيرك». وقال ابن هانئ الاندلسي:

كَانَتْ مُسَاءَلَةَ الرُّكْبَانِ تُخْبِرُنِي      عَنْ جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحٍ أَحْسَنَ الْخَبْرِ  
حَتَّى التَّقَيْنَا فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ      أَذُنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصْرِي

وأما قوله (١٤٦)

يَا قَوْمُ إِنَّ طَوِيلَ الْحُلْمِ مَفْسَدَةٌ      وَرِيْمًا صَرًّا إِيْقَاءٌ وَإِجْمَالٌ

لفظة القوم؛ من جوالب اللوم والنوم؛ وهو بعد؛ من قول أبي الطيب:  
وَأَظْمَعَ عَامِرُ الْبُقْيَا عَلَيْهِمْ      وَتَرَفَّهَا إِخْتِمَالُكَ وَالْوَقَارُ

= «معجمه الكبير»، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «اطلبوا الخير عند جسان الوجوه». هكذا رواه هؤلاء الأئمة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ.

(١) زيد الخير أو زيد الخيل: هو زيد بن مهلهل الطائي المعروف بزيد الخيل في الجاهلية، ثم سماه النبي ﷺ بزيد الخير. كان هذا الصحابي الجليل علما من أعلام الجاهلية، وكان من أجمل الرجال، وأتمهم خلقة، وأطولهم قامة، حتى إنه كان يركب الفرس فتمس رجلاه الأرض، وكان فارساً عظيماً وراماً من الطراز الأول.

وقوله :

إِذَا قِيلَ رِفْقًا قَالَ لِلحِلْمِ مَوْضِعٌ      وَحِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلٌ

وقوله :

مِنْ الحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْجَهْلَ دُونَهُ      إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الحِلْمِ طُرُقُ الْمَطَالِمِ

وهو معنى شائع بين الناس ؛ قديما وحديثا ؛ ومنه قول ؛ الفند الزماني<sup>(١)</sup> ؛  
من قصيده شاعره قالها في حرب البسوس :

وَيَعْضُ الحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ      لِي لِيْلَذِلَّةٍ إِذْعَانُ

وقول سالم بن وابصة<sup>(٢)</sup> :

إِنَّ مِنَ الحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ      وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الكَرَمِ

ومعناه : ان الحلم من الكرم ؛ إلا إنَّ منه ؛ ما يفضي إلى الذل ؛ وإما ان يكون  
معناه : أن الحلم من الكرم ؛ إذا كان عن قدرة ؛ أما إذا كان عن ذل ؛ فلا ؛ ويخرج  
إذا عما نحن فيه ؛ ويصير كقول المتنبي :

كُلُّ حِلْمٍ أُنَى بِغَيْرِ إِقْتِدَارٍ      حُجَّةٌ لِأَجِيءٍ إِلَيْهَا اللَّئَامُ

وقال الخزيمي :

أَرَى الحِلْمَ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ ذِلَّةٌ      وَفِي بَعْضِهَا عِزًّا يُسَوِّدُ صَاحِبَهُ

(١) الفند الزماني شهل بن شيان بن ربيعة من بكر بن وائل لقب بالفند وهو القطعة الكبيرة من الجيل لأنه قال لأصحابه في حرب البسوس أستندوا الي فاني لكم فند وهو أحد فرسان ربيعة المعدودين ومن شعرائها في الجاهلية ابلى في حرب البسوس بلاء حسنا وكان عمره قرابة المائة وكان أحد فرسان ربيعة المشهورين المعدودين ، وشهد حرب بكر وتغلب وقد قارب المائة السنة ، فأبلى بلاء حسنا .

(٢) سالم بن وابصة بن معبد الأسدي الرقي ، أمير ، من أهل الحديث ، من التابعين ، كان شاعرا ، وذكر ابن حجر في الإصابة نقلاً عن الطبري أنه من الصحابة ، دمشقي ، سكن الكوفة .

وقال الأعور الشني<sup>(١)</sup>:

أَرَى الْعَفْوَ مَا لَمْ يُحْشَ مَنَقَصَةٌ حُلْمًا

حُذِ الْعَفْوُ وَاعْفِرْ أَيَّهَا الْمَرءِ إِنَّنِي

وقال حبيب:

فَلْيَبْقُسْ أَحْيَانًا عَلَيَّ مَنْ يَرْحَمُ

وَقَسَى لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا

وقال:

وَمَا خَيْرَ لَحْمٍ لَا يَكُونُ لَهُ عَظْمٌ

وَمَا خَيْرَ جِلْمٍ لَمْ تُشِبَّهُ شَرَّاسَةٌ

وقال:

وَلَمْ يَفْسُ مِنْهُ الْقَلْبَ إِلَّا لِيَرْحَمَا

أَفْضَبَنِي حَوَاءَ قَلْبًا عَلَيْهِمُوا

وقال ابن الرومي:

وَلَكِنْ حَدًّا أَظْفُورٍ وَنَابِ

وَمَا جَهْلُ الْحَلِيمِ لَهُ بِجِلْمٍ

إِيَاءِ مَكَّاسِرٍ مِنْهُ صِلَابِ

وَرَاءَ مَعَاظِفٍ مِنْهُ لِدَانِ

وَبَابِ الْكَسْرِ مِنْ عِظْفِيهِ أَبِ

كُحُوطِ الْخَيْرَزَانِ يُرَبِّكَ لِينًا

وقال الأحنف بن قيس:

بِحُلْمِي فَاسْتَمَرَ عَلَى الْمَقَالِ

وَذِي ضِفْنٍ أَمَتَّ الْقَوْلَ عَنْهُ

يُلَاقِي الْمُعْضَلَاتِ مِنَ الرِّجَالِ

وَمَنْ يَحْلُمُ وَلَيْسَ لَهُ سَفِيهِ

وقال النابغة الجعدي:

بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَةٌ أَنْ يُكْدَرَا

وَلَا خَيْرَ فِي جِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ

(١) هو بشر بن منقذ أحد بني شن بن أفضى بن عبد القيس امتاز شعره بالحكم والقيم والنصائح والجوانب التاريخية، ورؤية الواقع المعاش، وشارك في معارك النخيلة والجسر، والنهروان وكان مع علي بن أبي طالب عليه السلام في صفين انضم بعد ذلك إلى صفوف عسكر المعلب بن أبي صفرة في حربه ضد الخوارج.



وفي النهج؛ من كلام الإمام: رُدُّوا الحجر من حيث جاء؛ فانه لا يدفع الشر إلا الشر؛ فانصرج عليه أبو الطيب وقال: وَلَكِنَّ صَدَمَ الشَّرِّ بِالشَّرِّ أَخْرَمُ  
ومن اجمع الآيات؛ في الموضوع؛ قوله جل ذكره: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَغْفِرٌ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال ابن قتيبة: أتي للمهدي برجل يطلبه؛ من بني أمية؛ فتمثل بقول سديف<sup>(٢)</sup>:

جَرْدُ السَيْفِ وَارْفَعِ السَّوْطَ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرَهَا آيَوَا  
لَا يَفْرَنْتُكَ مَا تَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ إِنَّ نَحْتَ الضُّلُوعِ دَاءٌ دَوِيَا

فقال الأموي؛ لكن شاعرنا؛ يقول:

شُمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا

فقال المهدي: قال شاعرنا ما يشبهنا؛ وقال شاعركم ما يشبهكم؛ وامر به فقتل. ولقد اخطأ المهدي مرتين؛ والثانية أدهى وأمر؛ من الأولى؛ وما أحسن ما يقول؛ بن هرمة<sup>(٣)</sup>؛ في المنصور:

وَلَيْسَ بِمُعْطِي الْعَفْوِ عَنْ غَيْرِ قُدْرَةٍ وَيَعْفُو إِذَا مَا أَمَكْنَتْهُ الْمَقَابِلُ  
ولكنه مرعى ولا كالسعدان.

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٣.

(٢) سديف بن إسماعيل بن ميمون مولى بني هاشم شاعر من أهل مكة كان إعرابياً بدياً حالك السواد شديد التحريض على بني أمية متعصباً لبني هاشم وأظهر ذلك أيام الدولة الأموية وعاش إلى زمن المنصور العباسي. فتشيع لبني علي فقتله عبد الصمد بن علي (عامل المنصور) بمكة.

(٣) إبراهيم بن هرمة القرشي؛ شاعر غزل من سكان المدينة عاصر الدولتين الأموية والعباسية ورحل إلى دمشق ومدح الوليد بن يزيد ثم وفد على المنصور العباسي في وفد أهل المدينة فتجههم له ثم أكرمه؛ ولد عام ٨٠هـ ومات ١٧٦هـ.

## وأما قوله (١٤٧)

مَا يَنْفَعُ الْمَاضِينَ إِنْ بَقِيَتْ لَهُمْ حُطَّ مَعْمَرَةٌ بِعَمْرِ قَائِلِيهَا

فقد طغى به الشذوذ فيه؛ وافرط عليه بالقول؛ حتى كاد ان يخرج؛ على مثل قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَوَكَّلْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> سَلَّمَ عَلَيَّ إِزْهِيَةً<sup>(٣)</sup>؛ وعن معاوية؛ أنه أخذ في إحياء ارض؛ آخر عمره؛ فقبل له في ذلك؛ فقال: ما حملني إلا قول القائل:

لَيْسَ الْفَتَى بِفَتَى لَا يُسْتَضَاءُ بِهِ وَلَا يَكُونُ لَهُ فِي الْأَرْضِ آثَارُ

وفي تفسير الكشاف: أن ملوك فارس؛ اكثروا من حفر الانهار؛ وغرس الاشجار؛ وتعمروا؛ مع ما هم عليه؛ من عسف الرعايا؛ فسأل أحد الانبياء ربه؛ عن طول اعمارهم؛ فأوحى الله اليه: إنهم عمروا بلادي؛ فعاش عبادي:

إِنَّ آثَارَنَا تَدُلُّ عَلَيْنَا فَانظُرُوا بَعْدَنَا إِلَى الْآثَارِ

ولما قُدِّمَ برزجمهر؛ للقتل؛ قيل له: تكلم! قال: إن الكلام كثير؛ ولكن إذا قدرت؛ أن تكون حديثا حسنا؛ فافعل؛ فأخذه ابن دريد؛ في قوله:

وَأِنَّمَا الْمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ رَوَى

وقال حارثة بن بدر الغداني<sup>(٣)</sup>:

رَأَدَتْ مَنَاقِبُهُ انْتِشَارًا بَعْدَهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورٌ<sup>(٤)</sup>

(١) سورة مريم، الآية: ٥٠.

(٢) سورة الصفات، الآيتان: ١٠٩ - ١١٠.

(٣) حارثة بن بدر بن حصين التميمي الغداني. تابعي، من أهل البصرة، وقيل أدرك النبي ﷺ، له أخبار في الفتوح، وقصة مع عمر، ومع علي، وأخبار مع زياد وغيره، وأمر على قتال الخوارج في العراق فهزموه بنهر تيرا فلما أرهقوه دخل سفينة بمن معه ففرقت بهم.

(٤) منشور: أي مبعوث بعد الموت.

وقال منصور النميري؛ يرثي يزيد بن يزيد:

فَلَمَّا يَكُنْ أَفْنَتْهُ اللَّيَالِي وَأَوْشَكَتْ      فَإِنَّ لَهُ ذِكْرًا سَيُفْنِي اللَّيَالِيَا

وقال:

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتَهُ      فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورٌ

وهذا البيت برمته؛ موجود في ديوان مسلم بن الوليد؛ وقال أبو العتاهية:

عُمِرُ الْفَتَى ذِكْرُهُ لَا طَوْلَ مُدَّتِيهِ      وَمَوْتُهُ حِزْبُهُ لَا مَوْتَ الدَّائِي

فَأَحْيَى ذِكْرَكَ بِالْإِحْسَانِ تَفَعَّلُهُ      يَكُنْ لِنَفْسِكَ فِي الدُّنْيَا حَيَاتَانِ

وقول ابن مطير:

أَبَى ذِكْرٌ مُعْنٍ أَنْ تَمُوتَ فِعَالُهُ      وَإِنْ كَانَ قَدْ لَاقَى جِمَامًا وَمَضْرَعَا

وقال أبو تمام:

سَلَفُوا بِرُؤْنِ الذِّكْرِ عَقْبًا صَالِحًا      وَمَضَوْا يَعْدُونَ الثَّنَاءَ خُلُودًا

وقال:

أَلَمْ تَمُتْ يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ زَمَنِ      فَقَالَ لِي: لَمْ يَمُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ كَرْمُهُ

وقال:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ تَهْدِمِ عَلَيْهِ حَيَاتَهُ      فَلَيْسَ لَهَا الْمَوْتُ الْجَمِيلُ بِهِدَامِ

وقال أبو الطيب:

ذِكْرُ الْفَتَى عُمُرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ      مَاقَاتُهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْعَالُ

وقال:

كَمِثْلِ الثَّنَاءِ لَهُ بِرَدِّ حَبَاتِهِ      لَمَّا انْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورٌ

وقال بن نباته:

تُفَارِقُ فِي حُبِّ الثَّنَاءِ نُفُوسَهَا      وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الثَّنَاءَ خُلُودَهَا

ولما وُضِعَ ابن الزيات في التنور؛ قال له خادمه: قد صرت يا سيدي إلى ما صرت إليه؛ وليس لك حامداً فقال: وما نفع البرامكة صنعهم! فقال: ذكرك لهم الساعة فقال: صدقتا وما بيت الشريف؛ إلا بمثابة قول ابن الزيات؛ قبل ان يرجع إلى الصواب؛ وقال الحماسي:

فَإِنْ تَدْفِنُوا الْبَكْرِيَّ لَا تَدْفِنُوا اسْمَهُ      وَلَا تَدْفِنُوا مَعْرُوفَةَ فِي الْقَبَائِلِ  
وانشد الجاحظ:

هُم يَهْلِكُونَ وَبَقِيَ بَعْضُ مَا صَنَعُوا      كَأَنَّ أَنَارَهُمْ خُطَّتْ بِأَقْلَامِ  
فبقاء الآثار؛ قائم بالذكر؛ شاهد بالمجد؛ ناطق بالثناء؛ وأنشد أيضاً:

فَإِذَا بَلَّغْتُمْ أَرْضَكُمْ فَتَحَدَّثُوا      وَمِنَ الْحَدِيثِ مَتَالِفٌ وَخُلُودُ  
وانشد:

فَانْتُوا عَلَيْنَا لَا أَبَا لِإِيكُمْ      بِأَفْعَالِنَا إِنَّ الثَّنَاءَ هُوَ الْخُلْدُ  
وقال السري الرفأ:

عَلَى بَعْدَتِ مَسَافَتُهَا وَمَجْدُ      وَآثَارُ تَمُرٍ بِهَا اللَّيَالِي  
وكم للشريف من أمثاله؛ على جادة الصواب؛ كقوله:

مَا مَاتَ مَنْ نُزِعَ الْبَقَاءَ وَذَكَرُهُ      فِي الصَّالِحَاتِ يُعَدُّ فِي الْأَخْبَاءِ  
وقوله:

أَوْدَى وَمَا مَاتَتْ مَنَاقِبُهُ      وَمِنَ الرِّجَالِ مُعَمَّرُ الذِّكْرِ  
وقوله:

كُلَّمَا ازْدَادَتْ بِلَىٰ أَهْظُمُهُمْ      نَشَرْتَهُمْ سُمْعٌ غَيْرُ بَوَالِي  
وقوله:

مَا مَاتَ مَنْ جَعَلَ الزَّمَانَ لِسَانَهُ      يَثْلُو مَنَاقِبَ عُوْدًا وَبَوَايِدِ  
 وبيته الماضي؛ تحت البيت (١١٤)؛ وقوله:

رَبِيعٌ تَجَلَّى وَأَنْجَلَى وَوَرَاءَهُ      ثَنَاءٌ كَمَا يُثْنِي عَلَى زَمَنِ الْوَرْدِ  
 وقوله:

عُمْرِي لَقَدْ قَنَيْتُ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ      فِيهَا وَقَدْ بَقَيْتُ مَحَاسِنُ فِعْلِهِ  
 زَادَتْ مَنَاقِبُهُ إِنْتِشَارًا بَعْدَهُ      وَحَدِيثُهُ فَكَأَنَّهُ فِي أَهْلِهِ  
 ويعجبني قول ابن باقي؛ يرثي أبا اسحاق الشيرازي:

إِنْ قِيلَ مَاتَ فَلَمْ يَمُتْ مِنْ دُكْرِهِ      حَيٌّ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي بَاقِي  
 وقوله:

هَمُّ الْمُلُوكِ إِذَا أَرَادُوا دُكْرَهَا      مِنْ بَعْدِهِمْ فَيَأْلُسُنِ الْبُنْيَانِ  
 أَوْ مَا تَرَى الْهَرَمَبِينَ قَدْ بَقِيََا      وَكَمْ مُلْكٌ مَحَاهُ حَوَادِثُ الْأَزْمَانِ  
 إِنَّ الْبِنَاءَ إِذَا تَعَاظَمَ شَأْنُهُ      أَضْحَى يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ  
 فما بال الأستاذ يتجاوز الغالب إلى الشاذ؛ والمعروف إلى المنكر؛ ولكنه اغترَّ بقول المائق<sup>(١)</sup>: لأن يذمني الأمير وأنا حي؛ خيرٌ من أن يمدحني وأنا ميت؛ ان كان قبله.

وقول مالك بن الربيع<sup>(٢)</sup>:

يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَهُمْ يَدْفِنُونَنِي      وَأَيْنَ مَكَانَ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَائِيَا

(١) المائق: الاحمق.

(٢) مالك بن الربيع التميمي شاعر شاب شجاع فاتك لا ينام الليل إلا متوشحاً سيفه ولكنه استغل قوته في قطع الطريق ثم مر عليه سعيد بن عثمان بن عفان - وهو متوجه لإخماد فتنة في خُرسان فأغراه بالجهاد في سبيل الله بدلاً من قطع الطريق، فاستجاب مالك لنصح سعيد فذهب معه للجهاد وأبلى بلاءً حسناً وحسنت سيرته.

وقول الفرار السلمي :

مَا كَانَ يَنْفَعَنِي مَقَالُ نَسَائِهِمْ      وَقَتَلْتُ دُونَ رِحَالِهِمْ لَا تَبْمُدُّ

والعرب كما قالوا؛ تريد من الدعاء؛ بعدم البعد؛ معنيين؛ احدهما:

استعظام موت الرجل؛ كأنهم لا يصدقون به؛ ومنه؛ قول نابغة ذبيان:

يَقُولُونَ حِضْنٌ نَمَّ تَأْبَى نَفْسُهُمْ      وَكَيْفَ بِحِضْنٍ وَالْحِبَالُ جُنُوحُ  
وَلَمْ تَلْفُظِ الْمَوْتَى الْقُبُورُ وَلَمْ تَزَلْ      نُجُومُ السَّمَاءِ وَالْأَدِيمُ صَحِيحُ

فهو من مناسب المعنى؛ الذي خضناه؛ بالمقالة الأولى؛ وثانيهما؛ بقاء

الذكر وحياة الأثر؛ وهو الذي نحن فيه؛ وكلا المعنيين؛ بعيد من بيت ابن

الريب؛ أما الثاني؛ فلا يمتنع؛ عن بيت الفرار؛ وأما قول علقمة بن عبده<sup>(١)</sup>:

وَكُلُّ حِضْنٍ وَإِنْ طَالَتْ إِقَامَتُهُ      عَلَى دَعَائِمِهِ لَا بُدَّ مَهْدُومُ

وقول أبي الطيب:

أَيَّنَ الَّذِي الْهَرَمَانَ مِنْ بُنْيَانِهِ      مَا يَوْمُهُ مَا قَوْمُهُ مَا الْمَضْرَعُ  
تَتَخَلَّفَ الْأَثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا      حِينًا وَيُذْرِكُهَا الْفَنَاءُ فَتَبَعُ

فانهما لون آخر؛ من عدم الامتناع بالشرف؛ عن الموت والجزاء؛ ومنه

قوله جل ذكره: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ومنه قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي

مَالِيَّ ۗ ﴿٢٨﴾ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾<sup>(٣)</sup>؛ وما لا يحصى من الآيات؛ وجاء في النهج: أن لو

كان لإحيد؛ الخلود والنجا من الهلك؛ لكان أولى الناس بذلك؛ سليمان بن

داود؛ إذ قد اجتمع له؛ من النبوة ومن الملك؛ ما لم يكن لغيره؛ ولكن لا سبيل

إلى ذلك.

(١) علقمة بن عبدة التميمي، وهو من شعراء نعيم المشهورين في الجاهلية ومن ساداتهم، كان معاصراً ومنافساً لامرئ القيس.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٠٧.

(٣) سورة الحاقة، الآيتان: ٢٨ - ٢٩.

وقال الأول:

لَوْ كَانَ شَيْءٌ لَهُ أَلَّا يَبِيدَ عَلَيَّ طُولِ الزَّمَانِ لَمَّا بَادَ الْغَرِيَّانُ<sup>(١)</sup>

وقال أبو ذؤيب:

وَلَوْ أَنَّنِي اسْتَوْدَعْتَهُ الشَّمْسَ لَأَرْتَقَتْ إِلَيهِ الْمَنَائِبَا عَيْنَهَا وَرَسُولَهَا

وقال البحرني:

وَالْمَرْءُ لَوْ كَانَتْ الشُّعْرَى لَهُ وَظَنًّا حَطَّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبِ

وقال المعري:

وَلَوْ أَنَّنِي فِي هَالَةِ الْبَدْرِ جَالِسٌ لَمَّا هَابَ يَوْمِي رَفْعَتِي وَجَلَالِي

وأما قوله (١٤٨)

وَمَا خَيْرُ هَبْنٍ خَبَا نُورَهَا      وَوَمَنْى يَدٍ جُدَّ مِنْهَا الْبَنَانُ

فقد استقى صدره من قول المتنبي:

وَمَا انْتَفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاطِرِهِ      إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلَمُ

وبينهما؛ ما بين الدر والحصي؛ والسيف والعصى؛ وقال أبو فراس:

لَعَمْرُكَ مَا الْأَبْصَارُ تَنْفَعُ أَهْلَهَا      إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمُبْصِرِينَ بَصَائِرُ

وأما عجزه؛ فمقول؛ ملاعب الأسته:

دَفَعْتُكُمْ عَنِّي وَمَا دَفَعُ رَاحِي      بِشَيْءٍ إِذَا لَمْ تَسْتَعِينِ بِالْأَنَامِلِ

وعزاه الزجاجي؛ في أماليه؛ للحسين بن مطير؛ وقول أوس بن حجر:

(١) الغريء: البناء الجيد الحسن والغريان بنائين طويلين كالصومعتين، بالكوفة وبقيها حتى زمن المنصور العباسي الذي أمر بهدم أحدهما، لكنز توهم أنه تحتها، فلم يجد شيئاً ويقال أن المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء بناهما.

وَلَا سَابِقٌ إِلَّا سِبَاقُ سَلِيمَةٍ      وَلَا بَاطِشٍ مَا لَمْ تُعِنَهُ الْآتَائِلُ

وأشباهها الآتية تحت البيت (١٦١)؛ وكل منها؛ افصح واوضح؛ من عجز بيت الشريف؛ ومن المقبول فيه؛ قول مسكين الدارمي؛ وبعضهم يروها لغيره:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ      كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بِغَيْرِ سِلَاحٍ  
وَأَنَّ ابْنَ عَمِّ الْمَرْءِ فَأَعْلَمُ جَنَاحَهُ      وَهَلْ يَنْهَضُ الْبَازِي بِغَيْرِ جَنَاحٍ

وقد حنى الفرزدق رأسه؛ لقول جرير:

بِأَيِّ سِنَانٍ تَطْعَنُ الْقَوْمَ بَعْدَمَا      نَزَعْتَ سِنَانًا مِنْ قَنَاتِكَ مَاضِيَا  
بِأَيِّ نِجَادٍ تَحْمِلُ السَّيْفَ بَعْدَمَا      قَطَعْتَ الْقُوَى مِنْ مَحْمَلٍ كَانَ بَاقِيَا

وفي الخطبة الشنقية: وَطَفِقْتُ أَرْتَبِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِ جَدَّاءَ أَوْ أَضِرَّ عَلَى

طَخِيَّةٍ عَمِيَاءَ؛ وقال الثقفي:

مَنْ كَانَ ذَا عَضِدٍ يُدْرِكُ ظِلَامَتَهُ      إِنَّ الدَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضُدُ

وقال الجهني:

فَلِإِنِّي وَكَلْبًا كَالْيَدَيْنِ مَتَى تَقُمْ      شِمَالِكَ فِي الْهَيْجَا تُعِنَهَا يَمِينُهَا

وقال حبيب:

كَفَّ النَّدَى أَضْحَتْ بِغَيْرِ بَنَانٍ      وَقَنَاتُهُ أَمَسَتْ بِغَيْرِ سِنَانٍ

وقال أوس بن حجر؛ وهو من شعراء الجاهلية؛ وتميم تقدمه؛ على سائر

شعراء العرب:

وَمَا يَنْهَضُ الْبَازِي بِغَيْرِ جَنَاحِهِ      وَلَا يَحْمِلُ الْمَاشِيْنَ إِلَّا الْحَوَائِلُ

وَلَا سَابِقٌ إِلَّا بِسَاقِ سَلِيمَةٍ      وَلَا بَاطِشٍ مَا لَمْ تُعِنَهُ الْآتَائِلُ

ثم إن إضافة يد إلى يميني؛ من إضافة الموصوف إلى وصفه؛ وهو ممتنع في

غير المسموع؛ قال في الخلاصة:



وَلَا يُضَافُ إِسْمٌ لِمَا بِهِ اتَّخَذَ مَعْنَى وَأَوَّلُ مُوهِمًا إِذَا وَرَدَ  
وانما اجازته بعض الكوفيين؛ والنغاصة موجودة؛ على كل حال.

### وأما قوله (١٤٩)

وَمَا كُلُّ أَضَلِّ كَرِيمِ الْعُرُوقِ تَأَبَى عَلَى الْعَمْرِ عِبْدَانَهُ

فيكفي له؛ ما سبق تحت البيتين (٣١) و(١٠١)؛ وهو عكس قوله من الأخرى:

إِذَا مَا الْفَحْلُ أَنْجَبَ نَاتِجَاهُ فَقَدْ ضَمِنَ النَّجَابَةَ لِلْسَخَالِ  
وقول البحري:

لَا عُذْرَ لِلشَّجَرِ الَّذِي طَابَتْ لَهُ أَعْرَاقُهُ أَنْ لَا يَطِيبَ جَنَاهُ  
وقول الكميت:

تَجْرِي إِصَاغِرُهُمْ مَجْرَى كَابِرِهِمْ وَفِي أَرْوَمَتِهِ مَا يُنْبِتُ الشَّجَرُ  
وقول نهشل الجرمي:

أَرَى كُلَّ عُودٍ نَابِتٍ فِي أَرْوَمَةٍ أَبَى شَجَرُ الْعَيْدَانِ أَنْ يَتَفَيْرَا  
ولكنه قريب؛ من قول البحري؛ من الأخرى:

وَوَظَنَّاكَ بِالضَّرَائِبِ أَنْ تَكَا فَا كَفَّنَّاكَ بِالْأَصَابِعِ يَسْتَوِينَا  
وقوله:

وَهَلْ يَتَكَا فِي النَّاسِ شَيْءٌ خِلَالِهِمْ وَمَا تَتَكَا فِي فِي الْيَدَيْنِ الْأَصَابِعُ  
وقوله:

وَإِذَا انْتَمَى فَا نَظَرُ إِلَى اخْلَاقِهِ صَفْحًا وَلَا تَنْظُرُ إِلَى آبَائِهِ  
وقول حبيب:

وَلَا تَقْلُ إِنَّنَا مِنْ نَبْعَةٍ فَلَقَدْ      بَأَنْتُ نَجَائِبُ إِبِلٍ مِنْ نَوَاضِحِهَا  
وقول أبي الطيب:

إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ النَّسِيبِ كَأَصْلِهِ      فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِي كِرَامَ الْمَنَاصِبِ  
وقال الصلتان العبدي<sup>(١)</sup>:

فَإِنْ يَكُ بَحْرُ الْحُنْظَلِيِّينَ وَاحِدًا      فَمَا تَسْتَوِي حَيَاتُهُ وَالضَّفَادِعُ  
وَمَا يَسْتَوِي صَدْرُ الْقَنَاءِ وَرَجَّهَا      وَلَا تَسْتَوِي فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ

ونحوه؛ مَا مَرَّ عَنْ عمرو بن العاص؛ تحت البيت (٣٨)؛ والله در الشريف.  
في قوله:

إِذَا عَرَبِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ سَيْفِهِ      مَضَاءً عَلَى الْأَعْدَاءِ أَنْكَرَهُ الْجَدُّ

وقد قال عليه السلام: «إياكم وخضراء الدمن»<sup>(٢)</sup> أخرجه الدارقطني والديلمي وابن عدي. وأخرج ابن ماجه؛ والحاكم؛ والبيهقي؛ والدارقطني؛ عن عائشة رضي الله عنها؛ مرفوعاً: «تخيروا لنطفكم»<sup>(٣)</sup> وأخرج البيهقي والديلمي: «العرق دساس»؛ وللمديني عن أنس: «تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دساس»<sup>(٤)</sup> وفي الصحيح: «لعله نزعة عرق»<sup>(٥)</sup>.

(١) شاعر حكيم من شعراء العصر الأموي واسمه قثم بن خيبة العبدي وكانت وفاته سنة ٨٠ هـ واسمه.

(٢) لفظ الحديث: إياكم وخضراء الدمن، قالوا: وما خضراء الدمن؟ يا رسول الله، قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء. قال صاحب كشف الخفاء: رواه الدارقطني والرامهرمزي والعسكري في الأمثال وابن عدي.

(٣) حديث «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس» أورده ابن الجوزي في العلل المتناهية، وقال: إنه روي عن عمر وابن عمر وأنس وعائشة.

(٤) حديث: «تزوجوا في الحجر الصالح؛ فإن العرق دساس» قال الالباني: أنه موضوع.

(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل من بني فزارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود - وهو يريد الانتفاء منه - فقال له: (هل لك من إبل؟)، قال: نعم، قال: =

وقال القَتَالُ الكلابي<sup>(١)</sup> :

إِنَّ الْعُرُوقَ إِذَا اسْتَنْزَعَتْهَا نَزَعَتْ      وَالْعِرْقُ يَسْرِي إِذَا مَا عَرَّسَ السَّارِي  
قَدْ جَرَّبَ النَّاسُ شَهْمًا يَفْرَعُونَ بِهِ      فَأَفْضَرُوا عَنْ صَلِيبٍ غَيْرِ خَوَارِ

أما قوله (١٥٠)

إِذَا مَنَزِلُ رَابِ سُكَّانِهِ      مِنْ الْأَرْضِ حُرِّمَ لِطَّائِفِهِ

فقوله من الأرض؛ من الحشو المذموم؛ وهو متحد المعنى مع البيت (١٤٤)؛ فيكفي له؛ ما مرَّ فيه؛ ونزيد هنا قول بشار:

إِذَا انْكَرْتَنِي بَلَدَةً أَوْ نَكَرْتَهَا      حَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي عَلَيَّ سَوَادُ  
وقول البحري:

وَإِذَا مَا جُفِيتُ كُنْتُ حَرِيًّا أَنْ      أَرَى غَيْرَ مُضْبِحِ حَيْثُ أَمْسِي  
وقوله:

وَمَنْ عَادَتِي وَالْعَجْزُ مِنْ غَيْرِ عَادَتِي      مَتَى لَمْ أَرَحْ عَنْ مَنَزِلِ الدُّلِّ أَدْجِ  
وقول أبي فراس:

إِذَا لَمْ أَجِدْ مِنْ بَلَدَةٍ مَا أُرِيدُهُ      فَعِنْدِي لِإِخْرَى عَزْمَةٌ وَرِكَابُ  
وقول أبي الطيب:

= (ما ألوانها؟)، قال: حُمْرٌ، فقال له: (هل فيها من أورق؟)، قال: نعم، قال: (فأني كان ذلك؟)، قال: أراه عرقٌ نزعه، قال: (فلعل ابنتك هذا نزعه عرق)، ولم يبرخص له في الانتفاء منه متفق عليه.

(١) القَتَالُ الكلابي هو عبيد بن مجيب بن المضرحي. شاعر فتاك، بدوي، أدرك أواخر الجاهلية، وعاش في الإسلام إلى أيام عبد الملك بن مروان، وسجن مرة في المدينة لقتله ابن عم له اسمه زياد وفر من السجن، وتبرأت منه عشيرته.

وَمَا بَلَدُ الْإِنْسَانِ غَيْرُ الْمُوَافِقِ      وَمَا أَهْلُهُ إِلَّا ذُنُونُ غَيْرِ الْأَصَادِقِ

وقوله:

وَأَنْ بُلَيْتُ بِوَدِّ مِثْلِ وَدِّكُمْ      فَلِإِنِّي بِفِرَاقِ مِثْلِهِ قَمَنْ

وأما قوله: حرم إيطانه؛ فيأتي فيه؛ كل ما قيل في الهجرة وجوباً وندباً؛  
وقد استوفيته في بلابل التغريد.

## المقالة الثامنة

## وأما قوله (١٥١)

وَمَا الْحُبُّ إِلَّا فُرْقَةٌ بَعْدَ أَلَمَةٍ      وَالْأَجْدَارُ بَعْدَ طُولِ أَمَانٍ

فيه أشياء؛ أحدها: أنه حصر باطل ما لم يعتذر عنه؛ بأنه إضافي؛ ثانيها: أن البيت؛ وصف لبعض أعراض الحب؛ لا لذاته؛ وإينه مع ذلك؛ من قول البحري:

وَمَا الشُّوقُ إِلَّا لَوَعَةٌ إِثْرَ لَوَعَةٍ      وَعَزْرٌ مِنَ الْأَمَاقِ يَتَّبَعَهَا عَزْرٌ

فإن هذا؛ وإن كان من وصف الشوق بلازمة؛ فقد كان بالخصائص القريبة؛ مع حسن النسخ؛ وعذوبة اللفظ؛ وصحة التقسيم؛ وما قاربت في وصف الحب؛ إلا الأعرابية؛ بقولها: جَلَّ أَنْ يَخْفَى؛ وَخَفِيَ عَنْ أَنْ يُرَى؛ فهو كامن في الأحشاء؛ كموت النار في الزناد؛ إن قدحته وري؛ وإن تركته نواري؛ والبحري في قوله:

وَالْحُبُّ شَكْوَى مَا تَزَالُ تَرَى بِهِ      كَبِدًا مُقَرَّحَةً وَقَلْبًا مُمَرِّصًا

والمتنبي في قوله:

وَمَا الْعِشْقُ إِلَّا غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ      يُعَرِّضُ قَلْبَ نَفْسِهِ قَبْضًا

ثالثها: أن القول منتشر في المعنى؛ فليس في البيت؛ ما توضع عليه اليد للاختيار؛ وقال ابن دريد<sup>(١)</sup>:

(١) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٢٢٣ - ٣٢١هـ) من أئمة اللغة والأدب، كانوا =

فَمَا فِي الْأَرْضِ أَشْقَى مِنْ مُجِبِّ  
تَرَاهُ بَاكِيًا فِي كُلِّ وَفْتٍ  
فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْ شَوْقًا إِلَيْهِمْ  
وقالت عليّة بنت المهدي؛ أو العباس بن الأحنف:

وَاحْسَنُ أَيَّامِ الْهَوَى يَوْمَكَ الَّذِي  
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضَى  
وقال أبو الطيب:

وَيَبِينُ الرِّضَى وَالسُّخْطَ وَالقُرْبَ وَالنَّوَى  
وَأَحْلَى الْهَوَى مَا شَكَ فِي الْوَصْلِ رَبُّهُ  
وقال:

أَمَّا الْفِرَاقُ فَإِنَّهُ مَا أَعْهَدُ  
هُوَ تَوَأْمِي لَوْ أَنَّ بَيْنَنَا يُوَلَّدُ  
وفي آخر بيت الشريف؛ نظر إلى قول البحرني:

أَوْجَلْتَنِي بَعْدَ أَمْنٍ عَرَّيْتَنِي  
وَإِعْتَرَارُ الْأَمْنِ يَسْتَدْعِي الْوَجَلَ  
وقوله:

أَقْوَى الْعَوَاقِبِ يَأْسٌ قَبْلَهُ أَمَلٌ  
وَأَعْضَلُ الدَّاءِ نَكْسٌ بَعْدَ إِبْلَالٍ  
ويعجبني؛ فيما يقرب منه؛ قول أبي فراس:

تَطَلَّبْتُ بَيْنَ الْهَجْرِ وَالْعَثْبِ فُرْجَةً  
وَصِرْتُ إِذَا مَا رُمْتُ فِي الْحَجِينِ لَذَّةً  
فَحَاوَلْتُ أَمْرًا لَا يُرَامُ مُنَمَعًا  
تَتَبَعْتُهَا بَيْنَ الْهُمُومِ تَتَبَعًا

= يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء، ولد في البصرة وانتقل إلى عمان فأقام اثني عشر عاما وعاد إلى البصرة ثم رحل إلى نواحي فارس ثم رجع إلى بغداد واتصل بالمقتدر العباسي فأجرى عليه في كل شهر خمسين دينارا فأقام إلى أن توفي.

أَمَّا لَيْلَةٌ تَمْضِي وَلَا بَعْضُ لَيْلَةٍ      أَسْرِبُ بِهَا هَذَا الْفُرَادَ الْمُفَجَّعَا

وأما قوله (١٥٢)

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْفَظْ ذِمَامًا لِقَوْمِهِ      فَأَحْجَ بِهِ أَنْ لَا يَفِي بِضَمَانٍ

فمبني على ما أخرج في النهج؛ عن الإمام في رده على الأشعث من قوله:  
وأن إمراً دلاً على قومه السيف؛ وساق إليهم الحنف؛ لَحْرِيُّ أَنْ يَمَقْتَهُ الْأَقْرَبُ؛  
ولا يأمنه الأبعد؛ وقال إبراهيم بن المهدي<sup>(١)</sup>:

مَنْ نَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تُؤْمَنْ عَقَارِبُهُ      عَلَى الصَّدِيقِ وَلَمْ تُؤْمَنْ أَقَاعِيهِ

وهو مقارب لبیت الشريف؛ إذ الشريف يقول: من لم يحفظ القريب؛ لم  
يأمنه البعيد؛ وابن المهدي يقول: من نم على البعيد؛ لا يؤمن أن ينم على  
القريب؛ ولا يبعد عنه؛ قول أبي بكر:

وَمَنْ لَا يَكْفُفُ الْجَهْلَ عَمَّنْ يَوَدُّهُ      فَكَيْفَ يَكْفُفُ الْجَهْلَ عَمَّنْ يُؤَايِبُهُ

وبعضهم يرويه؛ فسوف يكف<sup>(٢)</sup>؛ فيكون حينئذ؛ من لون آخر؛ ومن شواهد  
سبويه؛ قول الفضل بن عبد الرحمن القرشي:

فَلْيَاكَ إِذَاكَ الْمِرَاءُ فَإِنَّهُ      إِلَى الشَّرِّ دَعَاءٌ وَلِلشَّرِّ جَالِبُ

قال ابن بري وقبله:

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْجُو الْأَبَاعِدُ نَفْعَهُ      إِذَا هُوَ لَمْ تَضْلُحْ عَلَيْهِ الْأَقَارِبُ

(١) إبراهيم بن الخليفة المهدي أخو هارون الرشيد، من أعلم الناس في ذلك الزمن بالنغم  
والإيقاع، ومن المعدودين بالصوت الحسن. له مع إسحق الموصلي مجادلات كثيرة في  
أصول النغم والإيقاع.

(٢) أي كالتالي:

وَمَنْ لَا يَكْفُفُ الْجَهْلَ عَمَّنْ يَوَدُّهُ      فسوف يَكْفُفُ الْجَهْلَ عَمَّنْ يُؤَايِبُهُ

## وأما قوله (١٥٣)

تَعَرَّفْنِي بِأَنْفُسِهَا اللَّيَالِي      وَأَنْفُ أَنْ أَعْرِفَهَا مَكَائِي

فصدره من قول المتنبي:

عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعْتُ بِنَا      فَلَمَّا دَهَنَّا لَمْ تَزِدْنَا بِهَا عِلْمًا  
وعجزه؛ من قول أبي نواس:

تَسْتَرْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِي      فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي  
فَلَوْ تَسَأَلُ الْآيَامُ مَا اسْمِي مَا دَرَّتْ      وَأَيَّنَ مَكَائِي مَا عَرَفَنَ مَكَائِي

على أن في قوله: وعيني ترى دهري؛ ما يفى بصدر بيت الشريف. وقد أنكروا على أبي نواس؛ الاعتراف بالخمول إلى هذا الحد؛ وأغار عليه ابن حجاج؛ فقال:

سِتْرْتُ بِظِلِّهِ مِنْ رَيْبِ دَهْرِي      فَطَالَ عَلَى النَّوَابِ أَنْ تَرَانِي  
وإنما المقبول في هذا الباب؛ امثال قول حبيب:

فَأَصْبَحْتُ يَلْقَانِي الزَّمَانُ لِأَجْلِهِ      بِإِعْظَامِ مَوْلُودٍ وَإِشْقَاقِ وَالِدِ  
وقوله:

كُنْ لِي مُجِيراً مِنَ الْآيَامِ إِنَّ لَهَا      عَيْنًا تَفْحَصُ عَنْ سِرِّي وَإِعْلَانِي  
وقول أبي الطيب:

وَقَدْ خَفِيَ الزَّمَانُ بِهِ عَلَيْنَا      كَسَلِكِ الدَّرِّ يُخْفِيهِ النِّظَامُ  
أما قول السري الرِّفَا:

لَقَدْ عَلِمْتُ ضُرُوفَ الدَّهْرِ مَا اسْمِي      بَعَثِيكَ وَأَطْلَعَنَ عَلَى مَكَائِي  
فناظر فيه؛ إلى بيتي؛ أبي نواس.



## أما قوله: (١٥٤) و(١٥٥) و(١٥٦) و(١٥٧)

|   |  |
|---|--|
| وَيُظْهِرُ أَنَّ العِزَّ لَكُمْ بِنَائِي  | فَكَمْ صَاحِبٍ يُدْمِي عَلَيَّ بِنَانَهُ   |
| وَيَجْعَلُو جَبِينِ الوِدِّ حِينَ يرَانِي | يَضُمُّ حَشَا البَغْضَاءِ عِنْدَ تَغْيِبِي |
| فَلَمَّا أبى مَسَحَتْهُ بِسِنَانِي        | مَسَحَتْ بِحِلْمِي ضِغْنَهُ عَن جِنَانِهِ  |
| وَلَوْ لَمْ أَصِبهُ عَاجِلًا لَرَمَانِي   | سَبَقْتُ بِرَمْيِي قَلْبَهُ فَأَصِيبُهُ    |

فأنها من الشعر الجزل؛ والجد الذي ليس بالهزل؛ ومع ذلك؛ فلنا عليها ملاحظات! أما قوله في الأول؛ تُدْمِي؛ فمن قوله تعالى: ﴿... وَإِذَا حَلَّوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْآتَانِيلَ مِنَ الْغَيْظِ...﴾<sup>(١)</sup>.

وقول أبي طالب:

|   |  |
|---|--|
| وَقَدْ حَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظْنَةً | بِعُضُونَ غَيْظًا خَلَقْنَا بِالْآتَانِيلِ |
|---|--|

وقول سويد ابن أبي كاهل:

|  |                                       |
|--|---------------------------------------|
| رَبِّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظًا قَلْبَهُ | قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعِ |
| وَرَانِي كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ       | عَسِرًا مَخْرَجَهُ مَا تُنَزِّعُ      |
| وَيَحْيِيَنِي إِذَا لَاقَيْتَهُ        | وَإِذَا يَخْلُوكَ لَحْمِي رَتَعُ      |

فقول الشريف: وَيُظْهِرُ؛ إلى آخر الأبيات؛ مثل قول سويد: وَيَحْيِيَنِي؛ إلى آخر أبياته؛ وعلى القرب منه؛ قول يزيد ابن أبي الحكم الثقفي:

|  |   |
|--|---|
| تُكَاشِرُنِي كُرْهًا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ | وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ صَدْرَكَ لِي دَوِي |
| لِسَانُكَ مَا ذِي وَغَيْبُكَ عَلَقَمٌ  | وَشْرُكَكَ مَبْسُوطٌ وَخَيْرُكَ مُلْتَوِي   |

وقوله في الثاني: عند تغيبى؛ ليس بصحيح؛ لأنَّ البغضاء؛ لا تزول عند

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٩.

التلاقي؛ ولا سيما عندما يرى أثر النعمة؛ وإنما الصحيح؛ قوله من الأخرى؛ في معنى قول سويد:

يُسِيءُ الْقَوْلَ لَمَّا غَبْتُ عَنْهُ      وَتُحْسِنُ لِي التَّجْمُلَ وَاللِّقَاءَ  
وقول المعري:

وَيُظْهِرُ لِي مَوَدَّتَهُ مَقَالاً      وَيُبْفِضُنِي ضَمِيرًا وَاعْتِقَادًا  
وقول الشريف؛ من أخرى:

مَتَحَرَّقٌ فَإِذَا رَأَكَ لِحَاطَتِهِ      نَسِيتُ مَجَامِعَ قَلْبِهِ الشُّخْنَاءَ  
وهو من قول مسلم:

وَكَمْ مِنْ مُعَدِّ فِي الضَّمِيرِ لِي الْأَذَى      رَأَيْتُ فَاَلْقَى الرَّعْبُ مَا كَانَ مُضْمِرًا

ولئن قصد إلى مثله الشريف؛ فقد أباه عليه ما بعده؛ وقوله: ويجلو جبين الود؛ إلى آخره؛ لا حاجة إليه؛ بعد إظهاره: أَنَّ العز لثم بنانه؛ لِإِنَّ هذا أكبر من ذلك؛ فهو مثل ما أنكره الباقلاني؛ على امرء القيس؛ في ذكر القرنفل بعد المسك؛ في قوله:

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكَ مِنْهُمَا      نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيَّا الْقَرْنُفْلِ

وأما قوله في الثالث: مسحت؛ إلى آخره؛ فإنه مع سائر الأبيات؛ مبني على قول ابن قيس<sup>(١)</sup>:

وَمَوْلَى دَعَاهُ الْقَمِيَّ وَالْقَمِيَّ كَأَسْمُهُ      وَلِلْجُبْنِ أَسْبَابُ تَصُدُّ عَنِ الْحَزْمِ  
أَتَانِي يَثِبُ الْحَرْبُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ      فَقُلْتُ لَهُ: لَا؛ بَلْ هَلُمَّ إِلَى السِّلْمِ  
وَلَمَّا أَبِي أَرْسَلْتُ فَضْلَةَ ثَوْبِهِ      إِلَيْهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِحَزْمٍ وَلَا عَزْمِ

(١) الأحنف بن قيس؛ أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره. ووفد على أمير المؤمنين عمر؛ ضرب به المثل في الحلم والورع كما ضرب المثل في الذكاء بالقاضي إياس.

فَكَانَ صَرِيحَ الْجَهْلِ أَوْلَ مَرَّةٍ      فَيَا لَكَ مِنْ مُخْتَارِ جَهْلٍ عَلَى عِلْمٍ  
غير أن أبيات الشريف؛ أفخم؛ وأملاً للقم؛ فلقد استرعى الأسماع؛  
وأحسن الاتباع؛ وهي على غرار بيته (١٢٢)؛ وأما قوله في الرابع: سبقت؛ إلى  
آخره؛ فمن قول الغضبان الشيباني؛ في خطبة خطبها لأهل العراق؛ وقال لهم:  
تغدوا بالحجاج قبل أن يتعشاكم؛ في حديث طويل؛ سقته في العود الهندي؛  
وذكر ابن قتيبة؛ في عيون الأخبار؛ مثله؛ عن ابن القرية؛ وقال ابن المعتز<sup>(١)</sup>:

إِذَا فُرْصَةٌ امْكَنْتَ فِي الْعَدُوِّ      فَلَا تَبْدِ فِعْلَكَ إِلَّا بِهَا  
فَإِنْ لَمْ تَلِجْ بِأَبِهَا مُسْرِعًا      أَتَاكَ عَدُوُّكَ مِنْ بَائِبِهَا

وكتب الحجاج إلى المهلب: إن أمير المؤمنين أوصاني؛ بما أوصى به  
البكري؛ زيداً؛ فإني أوصيك به؛ وبما أوصى به الحرث بن كعب؛ بنيه؛ وفيها: يا  
بني كونوا جميعاً؛ ولا تكونوا شيعاً فتفرقوا؛ وانزوا قبل أن تنزوا؛ وأن تموت في  
فسوة وعز؛ خير من الحياة في ذل وعجز؛ في قصة طولى؛ يُطَلَّبُ حل ما يشكل  
منها؛ في صفحة ٤٣٤؛ مجلد اول؛ من شرح النهج؛ وقال الجزل؛ لعبد الرحمن بن  
محمد ابن الأشعث: يابن عم؛ إنك تسير إلى فرسان العرب؛ وأبناء الحرب؛  
واحلاس الخيل؛ والله لكانما فلتوا من ضلوعها؛ ورُبُّوا على ظهورها؛ وأن  
الفراس منهم؛ لأشد من مائة؛ إن لم يُبدَأْ به؛ بدَأْ هو؛ وهذا مثل قول زهير:

جَرِيءٌ مَتَى يُظْلَمَ يُعَاقِبُ بِظُلْمِهِ سَرِيءٌ      مَعَاً وَإِلَّا يُبَدِّ بِالظُّلْمِ يَظْلِمُ

(١) هو عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، أبو العباس، ولد سنة ٢٤٧هـ، قتل أتراك القصر وخصيأته أباه المعتز، ونُفي هو إلى مكة وهو في مقتبل العمر، وبعد عودته إلى سُرٍّ من رأى ثم إلى بغداد، ظلت حياته مضطربة تعاني ابتلاءات الدولة العباسية، فانصرف يلتمس السلوى في اللهو والمجون جانباً من حياته، ولكن هذا الجانب لم يستطع أن يخفي صورة علم من أعلام الشعر العربي، ومؤلف له حضوره في تاريخ الثقافة العربية. ولما أطيح بالمقتدر في سنة ٢٩٦هـ، بويع عبد الله، لكن خلافته لم تستمر أكثر من يوم و ليلة. ومات ابن المعتز مقتولاً في تلك السنة.

وفي عكس هذه الأبيات؛ يقول؛ معن بن أوس:

وَذِي رَحْمٍ قَلَمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ      عَلَيَّ بِجِلْمِي وَهُوَ لَيْسَ لَهُ جِلْمٌ  
إِذَا سَمْتُهُ وَضَلَ الْقَرَابَةَ سَامَنِي      فَطَيَعْتَهَا يَلِكُ السَّفَاهَةَ وَالظُّلْمُ  
وَأَسْعَى لِكَيْ ابْنِي فَيَهْدِمُ صَالِحِي      وَلَيْسَ الَّذِي يَبْنِي كَمَنْ شَأْنُهُ الْهَدْمُ  
يُحَاوِلُ رُغْمِي لَا يُحَاوِلُ غَيْرَهُ      وَكَالْمَوْتِ عِنْدِي أَنْ يَنَالَ لَهُ رِغْمُ  
فَمَا زِلْتُ فِي لَيْسِنٍ لَهُ وَتَعَطَّفِ      عَلَيْهِ كَمَا تَخْنُو عَلَى الْوَلَدِ الْأُمِّ  
لِاسْتَلِّ مِنْهُ الضِّغْنَ حَتَّى سَلَلْتُهُ      وَإِنْ كَانَ دَا ضِغْنٍ يَضِيقُ بِهِ الْجِلْمُ

وفي معناها؛ أبيات لسالم بن وابصة<sup>(١)</sup>؛ وأخرى للمقنع الكندي<sup>(٢)</sup>؛ ولكن لا حاجة إلى الإطالة.

وقد جرى ذكر الشعراء؛ عند عبد الملك بن مروان؛ فذهب كل إلى تفضيل واحد؛ فقال عبد الملك: أفضلهم الذي يقول: وأنشد أبيات معن؛ قال بعض أهل العلم: وليست بأه لذلك كله؛ ولكنه أراد أن يطبع بنيه؛ على الحلم واستصلاح الرجال؛ وقد سبق للشريف؛ تحت البيت (١١٣)؛ ما ينبغي أن يوضع في الاعتبار الأول؛ من الموضوع.

### وأما قوله (١٥٨) و(١٥٩)

أَشْكُو التَّوَانِتَ ثُمَّ أَشْكُرُ فِعْلَهَا      لِمَعْظِمِ مَا أَلْقَى مِنَ الْخِلَآنِ  
وَإِذَا أَمِنْتَ مِنَ الرَّبَّانِ فَلَا تَكُنْ      إِلَّا عَالِي حَذَرٍ مِنَ الْإِخْوَانِ

- (١) هو سالم بن وابصة بن معبد الأسدي أمير، من أهل الحديث، من التابعين، كان شاعراً، وذكر ابن حجر في الإصابة تقيلاً عن الطبري أنه من الصحابة، دمشقي، سكن الكوفة.
- (٢) شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية، وكان له محل كبير، وشرف ومروة وسؤدد في عشيرته لقب بالمقنع بسبب تلثمه خوفاً من العيين لفرط جماله عاصر الوليد بن يزيد وامتدحه، ويمتاز شعره برصانة الأسلوب وانتقاء الألفاظ والمفردات الشعرية.

فقد مر تحت البيت؛ (٨)؛ ما يعرف بماأخذهما؛ وأولهما؛ شبيه؛ بقوله من أخرى:

غَرَائِبُ آدَابِ حَبَانِي بِمِثْلِهَا      زَمَانِي وَصَرَفُ الدَّهْرِ نِعْمَ الْمُؤَدِّبِ  
وهو منقول؛ ابن نباتة السعدي:

وَأَدَّبَنِي دَهْرٌ تَكْرُ ضُرُوفُهُ      عَلَيَّ وَصَرَفُ الدَّهْرِ نِعْمَ الْمَوَدِّبِ  
وقال البحري؛ يمدح:

أَلْقَى ذِرَاعِيهِ وَأَوْقَدَ لِحْظَهُ      بِدَمَشَقٍ يَغْتَدُّ النَّوَائِبَ أَنْعَمًا  
وقال:

أَمَّا الْعَدْوُ فَيُبِيدِي مَا عِنْدَهُ وَتُكَاشِفُ      لَكِنْ تَوْقٌ وَحَادِيزٌ مِنَ الصِّدِيقِ الْمُطَافِئِ  
وقال ابن الرومي:

عَدْوُكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ      فَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصِّحَابِ  
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ      يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ  
إِذَا انْقَلَبَ الصِّدِيقُ عَدُوًّا      مُبِينًا وَالْأُمُورُ إِلَى انْقِلَابِ

وفي النهج: من أمن الزمان خانة؛ ومن أعظمه هانة؛ قال الشارح: ومثل هذا قول الشاعر:

وَمَنْ يَأْمِنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ      عَلَى الْمَاءِ خَائِنُهُ فُرُوجُ الْأَنَامِلِ

وأما قوله (١٦٠)

وَمَا تَمُتُّ النَّجْمُ الشَّمَاخَ وَحَدَّةً      إِذَا فَارَقَتْهَا بِالْمَمْنُونِ سَمِينِ

فإنه: مثل آخر البيت (١٤٩)؛ فيكفي له؛ ما مرَّ فيه؛ وأنشد ابن الإعرابي:

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْقَوْمِ عِزٌّ وَلَمْ يَكُنْ      لَهُمْ رَجُلٌ عِنْدَ الْإِمَامِ مَكِينِ

فَكَانُوا كَأَيْدٍ أَوْ هَنَ اللّٰهُ بَطَّشَهَا تَرَى أَشْمَلًا لَيْسَتْ لَهَنٌ يَمِينٌ  
وَأَنشَدَ أَبُو تَمَامٍ؛ لِحَرِيثِ بْنِ مَخْفُضٍ<sup>(١)</sup>:

هُمُو سَاعِدَ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَّقَى بِهِ وَمَا خَيْرُ كَفِّ لَا تَنْوؤُ بِسَاعِدِ  
وَأَنشَدَهُ الْجَاحِظُ؛ لِلأَشْهَبِ بْنِ رَمِيْلَةَ<sup>(٢)</sup>؛ وَقَالَ الرَّاعِي<sup>(٣)</sup>:

هُمُو كَاهِلُ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَّقَى بِهِ وَمَنْكِبُهُ إِنْ كَانَ لِلدَّهْرِ مَنْكِبُ  
وَالْقِسْمُ الثَّانِي مِنْهُ؛ فَضْلَةٌ بِأَسْرِهِ؛ وَقَوْلُهُ: بِالْمَنُونِ؛ شَجَا فِي الْحَلْقِ؛ وَقَذَا  
فِي الْعَيْنِ؛ وَأَيْتُهُ مِنْ قَوْلِ بَشَارِ:

وَمَا خَيْرُ كَفِّ أَمْسَكَ الْفِئْلُ أَحْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمِ  
وَقَوْلُ مِرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ:

سَوَاعِدُ عِزِّ الْمُسْلِمِينَ وَإِنَّمَا تَنْوؤُ بِصَوَلَاتِ الْأَكُفِّ السَّوَاعِدُ  
وَقَالَ عَدِي بْنُ زَيْدٍ<sup>(٤)</sup>:

(١) حريث بن سلمة بن مرارة بن محفض الخزاعي المازني التميمي. شاعر أدرك الجاهلية وعاش في الإسلام، كان ينزل بالشام، واشتهر بخبره مع الحجاج بن يوسف الثقفي: حين تمثل ببيت شعر له والحجاج يخطب على المنبر بدمشق.

(٢) شاعر نجدية، ولد في الجاهلية، وأسلم، ولم يجتمع بالنبي ﷺ، وعاش إلى العصر الأموي، هجا غالباً (أبا الفرزدق) فهجاه الفرزدق، وُضعف الأشهب عن مجاراته؛ نسبته إلى أمه (رميلة) وكانت أمة اشتراها أبوه في الجاهلية.

(٣) الراعي النميري هو عُبَيْدُ بْنُ حُصَيْنِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ جَنْدَلِ، النَمِيرِيِّ، مِنْ فُحُولِ الشُّعْرَاءِ وَلَقِبَ بِالرَّاعِي لِكَثْرَةِ وَصْفِهِ الْإِبِلِ. عاصر جريراً والفرزدق وكان يفضل الفرزدق فهجاه جرير هجاءاً مرّاً توفي سنة ٩٠هـ.

(٤) عدي بن زيد بن حمّاد بن زيد العبّادي التميمي. شاعر من دهاة الجاهليين، كان قروباً من أهل الحيرة، فصيحاً، يحسن العربية والفارسية، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، الذي جعله ترجماناً بينه وبين العرب، فسكن المدائن ولما مات كسرى وولي الحكم هرمز أعلى شأنه ووجهه رسولاً إلى ملك الروم في القسطنطينية، ثم تزوج هنداً بنت النعمان. وشى به أعداء له إلى النعمان فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة.

وَفِي كَثْرَةِ الْأَيْدِي عَنِ الظُّلْمِ زَاجِرٌ إِذَا حَضَرَتْ أَيْدِي الرَّجَالِ بِمَشْهَدٍ  
وقال قراد بن العيار المازني<sup>(١)</sup>:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَغْضَبْ لَهُ حِينَ يَغْضَبُ فَوَارِسُ إِنْ قِيلَ أَرْكَبُوا الْمَوْتَ يَرْكَبُوا  
تَهَضَّمَهُ أَذْنَى الْعَدُوِّ وَلَمْ يَزَلْ وَإِنْ كَانَ عَضْبًا بِالظَّلَامَةِ يُضْرَبُ

ولا يبعد عن مرمى البيت؛ قول حبيب:

وَلَيْسَ يُجَلِّي الْكَرْبَ رُمَحٌ مُسَدَّدٌ إِذَا هُوَ لَمْ يُؤَنَسْ بِرَايٍ مُسَدَّدٍ

لإنَّ الرَّأْيَ بِمِثَابَةِ الْيَمِينِ؛ وَالرَّمْحَ بِمِثَابَةِ الْيَسَارِ؛ كَمَا يَتَوَضَّحُ مِنْ قَوْلِ أَبِي

الطيب:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهُوَ الْمَحَلُّ الثَّانِي

وما أحسن؛ في عكس البيت؛ من قول حبيب:

يُمْنَى الزَّمَانِ انْقَضَى مَعْرُوفُهَا وَغَدَتْ يُسْرَاهُ وَهِيَ لَنَا مِنْ بَعْدِهَا بَدَلٌ

وأما قوله (١٦١)

وَسِيفْتُ أَيَّامِي وَلَمْ تَسْعِنِي أَفْضَلُ عَنْهَا وَتَضِيقُ عَنِّي

فإنه مثل البيت: (١٥٤)؛ وقد مرّ ما يكفي له؛ وللمتنبّي فيه؛ الشيء الكثير؛

منه قوله:

فَتَى يَشْتَهِي طُولَ الْبِلَادِ وَوَقْتَهُ تَضِيقُ بِهِ أَوْقَاتُهُ وَالْمَقَاصِدُ

وقوله:

صَاقَ الزَّمَانُ وَوَجَّهَ الْأَرْضَ عَنْ مَلِكِ مِلءَ الزَّمَانِ وَمِلءَ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ

(١) قراد بن العيار بن محرز بن خالد بن أرقم المازني. شاعر شرير بذئ اللسان عمر دهرأ طويلاً، وكان أبوه العيار شاعراً توفي عام ١٦٠هـ، وهو من شعراء العصر العباسي، وله قصيدة واحدة.

وآخر القسم الثاني فيه؛ زائد؛ لأنه متى ضاق به الزمان؛ إلى آخره؛ فقد ضاق به السهل والجبل؛ لأنهما من وجه الأرض؛ ولا يُمكن أن يُحمَل؛ على مثل قوله جل ذكره: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾<sup>(١)</sup>؛ لظهور الفرق. ومنه أيضاً؛ قوله:

تَجَمَعَتْ فِي فُؤَادِهِ هَمُّ      مِلءُ فُؤَادِ الزَّمَانِ إِخْدَاهُمَا  
وقوله:

شِيمُ اللَّيَالِي أَنْ تُشَكِّكَ نَاقِيَتِي      صَدْرِي بِهَا أَفْضَى أَمِ الْبَيْدَاءِ  
وقال حبيب:

وَرَحْبُ صَدْرٍ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ      كَوَسْمِعِهِ لَمْ تَضِقْ مِنْ أَهْلِهَا بَلَدُ  
وقال أبو عبادة:

تَضِيعُ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ بُعْدِ هَمِّهِ      وَتَنَوَى الرَّزَايَا فِي اتِّسَاعِ ذِرَاعِهِ  
فَلَنْ تَكْبُرُ الدُّنْيَا عَلَيْهِ بِأَسْرِهَا      وَقَدْ وَسِعَتْهَا سَاحَةٌ مِنْ رَبَاعِهِ

وأما قوله (١٦٢)

وَلَيْسَ عَلَى زَهْرِ الْكَوَاكِبِ سَبَّةٌ      إِذَا غَضَّ مِنْ أَنْوَارِهَا زُبُرْقَابِهَا

فانه بيت زاهر؛ ذو لفظ باهر؛ وإن كان مأخوذاً؛ من قول أبي الطيب:  
لَا يَسْتَحِي أَحَدٌ يُقَالُ لَهُ      فَضْلُوكَ أَلْ بُؤْبُؤِ أَوْ فَضْلُوكَ

وهو من قول؛ كعب بن معدان؛ في صفته بني المهلب؛ للحجاج:  
ولا يستحي الشجاع أن يفرَّ من مدرك؛ وفي صفحة (١١١)؛ مجلد اول؛  
من شرح النهج؛ أن معاوية وعمرو بن العاص؛ تعاتباً طويلاً<sup>(٢)</sup>؛ حتى قال

(١) سورة الرحمن، الآية: ٦٨.

(٢) روى الواقدي قال: قال معاوية يوماً بعد استقرار الخلافة له لعمر بن العاص: يا أبا =



معاوية: يا أبا عبد الله: خض بنا الهزل إلى الجد؛ إنَّ الجبن والفرار مِنْ عَلِيٍّ؛ لا عار على أحد فيهما؛ وذكر ابن خلكان؛ في ترجمة قَطْرِيٍّ<sup>(١)</sup>: أَنَّهُ خَرَجَ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ؛ عَلَى حِصَانٍ أَعْجَفَ؛ وَبِيَدِهِ عَمُودٌ مِنَ الْخَشْبِ؛ فَدَعَا إِلَى الْمُبَارَاةِ؛ فَبَرَزَ لَهُ رَجُلٌ؛ وَلَمَّا حَسَرَ قَطْرِيٌّ عَنْ وَجْهِهِ؛ وَلَّى الرَّجُلُ! فَقَالَ لَهُ قَطْرِيٌّ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ الرَّجُلُ: لَا يَسْتَحِي الْإِنْسَانُ؛ أَنْ يَفْرَّ مِنْكَ؛ وَقَالَ الْمَتَنِيُّ أَيْضاً:

هَزَّ اللَّوَاءَ بَنُو عَجَلٍ بِهِ فَعَدَا      رَأْسًا لَهُمْ وَعَدَا كُلُّ لَهُمْ ذَتَبَا  
وقال:

يَمِينُ بَنِي قَحْطَانَ رَأْسُ قُضَاعَةٍ      وَعَرِينُهَا بَدْرُ النُّجُومِ بَنِي قَهْمِ  
وقال أخو بني كلاب؛ الأعرور بن براء<sup>(٢)</sup>:

وَكَايْنٌ فِي الْمَعَايِرِ مِنْ قَبِيلِ      أَخُوهُمْ فَوَقَّهْمُ وَهُمْ كِرَامُ  
وقال أبو فراس:

= عبد الله لا أراك إلا ويغلبني الضحك! قال: بماذا؟ قال: أذكر يوم حمل عليك أبو تراب في صفين فأزريت نفسك فرقا من شبا سنانه وكشفت سواتك له! فقال عمرو: أنا منك أشد ضحكاً! إنني لأذكر يوم دعاك إلى البراز فانتفخ سحرك وربا لسانك في فمك وغصصت بريقك وارتعدت فرائصك وبدا منك ما أكره ذكره لك؛ فقال معاوية: لم يكن هذا كله؛ وكيف يكون ودوني عك والأشعريون! قال: إنك لتعلم أن الذي وصفت دون ما أصابك! وقد نزل ذلك بك؛ ودونك عك والأشعريون؛ فكيف كانت حالك؛ لو جمعكما مآقط الحرب؛ فقال: يا أبا عبد الله خض بنا الهزل إلى الجد إن الجبن والفرار من علي لا عار على أحد فيهما. (من شرح نهج البلاغة لأبي الحديد صفحة ٣١٧).

(١) قطري بن الفجاءة من فرسان الخوارج بايعوه أميراً عليهم سنة ٦٨هـ؛ شجاع مقدم وخطيب بليغ وشاعر حماسي. قاده خروجه إلى محاربة السلطان وتقتيله أطفال ونساء الجماعة وسيه للمال والذرية ونساء المسلمين؛ وبقي قطري ثلاث عشرة سنة، يقاتل ويسلم عليه بالخلافة وإمارة المؤمنين وسير له الحجاج جيشاً إثر جيش فكان يهزمهم.

(٢) الأعرور بن براء الكلابي؛ شاعر إسلامي وهو غير الأعرور الكلبي؛ حكيم بن عياش؛ الشاعر الأموي. ورد له شعر في أسماء خيل العرب وأناسها. وهو من بني كلب.

وَرُبُّمَا صَادَ الْقَوَارِسَ قَارِسُ

لِمَنْزِلَةِ الْمَرْؤُسِ مَنْ أَنْتَ رَائِسُهُ

وَشَقِيقُهُ هَارُونَ نَجْمًا نَاجِمًا  
نُورِنَهُمَا أَبَدًا مِدَادًا دَائِمًا

وَسَادَةُ النَّاسِ أَبْدَاءُ وَتُنْيَانُ

لَيْسَتْ تُقَاسُ بِبَدْرِ السُّعُودِ

لَمَّا تَطَاوَلْتُمْ لِبُعْدِ مَنَالِهِ  
شَرَفَ تَظَلُّ الشَّمْسُ تَحْتَ ظِلَالِهِ

وإثبات النون؛ في تلحقون؛ مع جزمه بلم؛ غير سديد؛ وإنما الصواب:  
الجزم؛ كقوله جل ذكره: ﴿وَلَا تَقْفِرْ لِي وَتَرَحَّمْ عَلَيَّ أَكُنْ مِنَ الْخَيْرِينَ...﴾<sup>(١)</sup>.

نُجُومُ سَمَاءِ خَرٍّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ

وَرُبُّمَا سَادَ الْأَمَاجِدُ مَاجِدٌ

رَأَيْتُ بَنِي الدُّنْيَا وَلَيْسَ بِنَازِلٍ  
وقال:

تَلَقَّى أَبَا الْعَبَّاسِ بَدْرًا ظَالِعًا  
وَأَبَاهُمَا شَمْسًا تَمُدُّ بِنُورِهَا  
وقال:

لَكِنْ أَبُو الصَّفْرِ بَدءٌ عِنْدَ ذِكْرِهِمْ  
والتنيان؛ دون السادة؛ في الرتبة.

هُمُ سَادَةٌ غَيْرَ أَنْ النُّجُومُ  
وقال:

أَبْنِي حَمِيدٍ طَالَ مَجْدُ مُحَمَّدٍ  
وَلَكُمْ وَإِلَّا تَلْحَقُونَ بِشَاوِهِ

وإثبات النون؛ في تلحقون؛ مع جزمه بلم؛ غير سديد؛ وإنما الصواب:  
الجزم؛ كقوله جل ذكره: ﴿وَلَا تَقْفِرْ لِي وَتَرَحَّمْ عَلَيَّ أَكُنْ مِنَ الْخَيْرِينَ...﴾<sup>(١)</sup>.

كَأَنَّ بَنِي نَبْهَانَ يَوْمَ وَقَاتِهِ  
وقال:

وَكِلَاكُمَا إِفْتَعَدَ الْعُلَا فَرَكِبَتْهَا  
فِي الذَّرْوَةِ الْعُلْيَا وَجَاءَ رَدِيفًا  
وقال:

فَبَنُو أَبِيكَ عَلَى نَفَاسَةِ قَدْرِهِمْ  
فَبِهِمْ وَأَنْهُمْ هُمُ الْأَعْلَامُ  
مُتَوَاطِئُ قَدَمِيكَ فِي طَلَبِ الْعِلَا  
والمجد تمت شتوي الأقدام  
وقال ابن هانيء:

وَمَا لَوْ مَتَّ نَفْسٌ تُعْمِرُ بِمُضْلِهِ  
وَمَا لِلْوَمِّ إِلَّا ذَنْبٌ مَا لَيْسَ يُدْقَعُ

وأما قوله (١٦٣)

أَكْرِرُ فِي الْإِخْوَانِ عَيْنًا صَحِيحَةً  
عَلَى أَعْيُنِ مَرْضَى مِنَ الشَّنَانِ

فمعناه: أن صدره منقوض من الحسد؛ وأنه كثير الحساد؛ وهو منقول أبي  
الطيب:

قَطَعْتَهُمْ حَسَدًا أَرَاهُمْ مَا بِهِمْ  
فَتَقَطَّعُوا حَسَدًا لِمَنْ لَا يَحْسِدُ  
وقول البحري:

يَنَامُونَ عَنِ أَكْفَائِهِمْ وَعَلَيْهِمْ  
مِنَ اللَّهِ نُعْمَى لَا يَنَامُ حُسُودَهَا  
وقال عوف بن محلم<sup>(١)</sup>:

وَكُنْتُ إِذَا صَحَبْتُ رَجَالَ قَوْمِي  
صَحَبْتُهُمْ وَأَزَيْتَنِي الرَّفَاءُ  
فَأَحْسِنُ حِينَ يُحْسِنُ مُحْسِنُوهُمْ  
وَأُبْصِرُ مَا يَرِيْبُهُمْ مَوَاعِينُ  
وَأَجْتَنِبُ الْإِسَاءَةَ إِنْ أَسَاؤًا  
عَلَيْهَا عَنْ عُيُوزِهِمْ غَطَاءُ  
وقال عمرو بن الأهتم:

(١) عوف بن محلم الخزازي أحد العلماء والأدباء والرواة الفهماء، والندامي الظرفاء والشعراء  
الفصحاء، وكان صاحب أخبار ونوادر، وله معرفة بأيام الناس. توفي في حدود ٢٢٠هـ.

وَقَوْمٌ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ شَرَرًا عِيُونُهُمْ مِنَ الْبَغْضَاءِ غُورٌ  
 وقد مرَّ تحت البيت (١٢)؛ بيت للشريف في هذا المعنى؛ وبعض اللفظ؛  
 ومن مناسب القسم الثاني؛ ما مرَّ تحت البيت (٥٨)؛ من قول عبد الله بن معاوية:  
 وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلْبَلَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا  
 وقال سويد بن صامت<sup>(١)</sup>؛ أخو بني عمرو بن عوف:

الارْبُ مَنْ تَدْعُوا صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى مَقَالَتَهُ كَالشَّهْدِ مَا كَانَ شَاهِدًا  
 مَقَالَتُهُ بِالْعَيْبِ سَاءَكَ مَا يَفْرِي وَيَالْعَيْبِ مَأْثُورٌ عَلَى نَعْرَةِ النَّحْرِ  
 يَسُرُّكَ بِأَيْدِيهِ وَتَحْتَ أَيْدِيهِ نَمِيمَةٌ غِيثٌ تَبْتَرِي عَقَبَ الظَّهْرِ  
 تَبِينُ لَكَ الْعَيْنَانِ مَا هُوَ كَاتِمٌ مِنَ الْغَيْلِ وَالْبَغْضَاءِ بِالنَّظْرِ الشَّرِّ  
 فَرِشْنِي بِخَيْرٍ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي فَعَخِرُ الْمَوَالِي مَنْ بَرَيْتُ وَلَا يَبْرِي  
 وقال حبيب:

يَرْمُونَنِي بِعِيُونِ حَشْوُهَا شَرَّرٌ نَوَاطِقٌ عَنْ قُلُوبِ حَشْوُهَا مَرَضٌ  
 وقال الشريف:

أَدَاوِي دَاءَهُمْ فَيَزِيدُ حُبْنًا وَكَأَيُّ دَاءٍ لَدَاءِ ذِي الْبَغْضَاءِ شَانِي  
 وهو منقول المتنبي:

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِزَالَتُهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ عَنْ حَسَدٍ  
 وقوله:

سَوَى وَجَعِ الْحَسَادِ دَاوٍ فَيَأْتِيهِ إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ يَزُولُ

(١) قدم سويد بن صامت، أخو بني عمرو بن عوف، مكة حاجاً أو معتمراً، وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم: الكامل، لجلده وشعره وشرفه ونسبه؛ دعاه رسول الله ﷺ للإسلام ثم قتلته الخزرج قبل يوم بعثت وهي الحرب بين الاوس والخزرج وكانت قبل الهجرة بخمسة اعوام وقيل انه مات على الإسلام.

وقال الشريف؛ أيضاً:

فَلَيْلِهِ مَا أَقْسَى ضَمَائِرَ قَوْمِنَا لَقَدْ جَاوَزُوا حَدَّ الْعُقُوقِ وَأَسْرَفُوا

وقد تفرسنا في المقالة الأولى؛ أن الشريف لا يشير بقوله:

قُلْ لِلذِّي بِالغَيْ سَوَى بَيْنِنَا أَيْنَ الْعُبَارُ مِنَ الْجِبَالِ الرُّكْدِ

لا يشير إلا إلى المعري؛ في قوله:

سَاوَى الرَّضِيِّ الْمُرْتَضَى وَتَقَاسَمَا حُطَّطَ الْعُلَى بِتَنَاصُفٍ وَتَصَافٍ

وأنه لا يعني؛ إلا نفسه وأخاه؛ بالضمير: من بيننا؛ وما أظنه بهذا؛ إلا يؤكد ما هناك؛ هذا ما ينتهي إليه التخمين؛ وعند الفقهاء: أن للظن المؤكّد حكم اليقين؛ وقال التهامي:

وَمَا الْعَيْبُ طَبِّي فِيهِمْوَ غَيْرَ أَتْنِي ظَنَنْتُ وَظَنُّ الْأَمْعِيِّ يَقِينُ

واستغفر الله؛ من التسور؛ على مقام المرتضى؛ فضله عظيم؛ وقدره كبير؛ واتهامه بالحرص مردود؛ وقد ذكر ابن خلكان: أن أبا الحسن القالي؛ املق؛ حتى اضطر إلى بيع الجمهرة<sup>(١)</sup>؛ لابن دريد؛ فاشتراها الشريف؛ ووجد فيها بخطه:

أَنْسْتُ بِهَا عِشْرِينَ حَوْلًا وَيَغْتَهَا لَقَدْ طَالَ وَجْدِي بَعْدَهَا وَحَزِينِي

فأرجعها إليه؛ وسوغه الثمن على كثرته؛ وذكر صاحب العقد المنظوم؛ في ترجمة؛ بروتشي زاده؛ أنهم لما فتحوا قبر المرتضى؛ في القرن العاشر؛ لتوسيع مسجد بغداد؛ ألفوه كأنما وضع أمس؛ ولمّا رفعوا أطراف الكفن؛ إذا هم بشيخ جميل الصورة؛ عظيم الشيبة؛ لم يتطرق إليه شيء؛ من آثار البلاء؛ فهابوه وتركوه في قبره؛ رضوان الله عليهم.

(١) كتاب الجمهرة في اللغة ألفه أبو بكر بن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هجرية الذي كان عمدة اللغويين في عصره ولم يورد في معجمه من الألفاظ إلا ما صح سماعه؛ فأسماه تهذيب اللغة وقد قال ابن دريد في مقدمة كتابه معللاً سبب تسميته بالجمهرة وإنما أعرناه هذا الاسم لأننا اخترنا له الجمهور من كلام العرب.

## وأما قوله (١٦٤)

لَا تَجْعَلَنَّ دَلِيلَ الْمَرْءِ صُورَتَهُ كَمِ مُخْبِرِ سَمَجٍ عَنْ مَنْظَرٍ حَسَنِ

فقد مرَّ ما يكفي له؛ تحت البيت (١٤٦)؛ لأنه مثله؛ غير أن السماجة في هذا؛ أهون من الشوه في ذلك؛ وقال ابن نباتة السعدي:

فَلَا تَجْعَلِ الْحُسْنَ الدَّلِيلَ عَلَى الْفَتَى      فَمَا كُلُّ مَضْفُولِ الْحَدِيدِ يَمَانِي  
وَمَا يَنْفَعُ الْفَتَيَانَ حُسْنُ وَجُوهِهِمْ      إِذَا كَانَتْ الْأَعْرَاضُ غَيْرَ حَسَانِ  
وقال أبو الطيب:

وَمَا كُلُّ وَجْهِ أَبْيَضٍ بِمُبَارَكٍ      وَلَا كُلُّ جَفْنٍ صَبِيحٍ بِنَجِيبٍ  
وقال ذو الرِّمَّة:

الْمَ تَرَانَّ الْمَاءَ يَخْبُثُ طَعْمُهُ      وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ أبيضَ صَافِيَا

## وأما قوله (١٦٥)

وَرَبِّ وَقَاحِ الْوَجْهِ يَحْمِلُ كَفُّهُ أَنْامِلَ لَمْ يَغْرَقْ بِهِنَّ بَنَانُ

فأوله؛ مبني على ما قرره الراغب؛ وسكت عليه الحافظ؛ في الفتح؛ من تلازم الشجاعة والوقاحة؛ وأكَّده ابن أبي الحديد؛ وقال: قلما يكون الشجاع حيايا؛ وقد نقضته؛ وأقمت ما لا يحصي من الأدلة؛ على نقضه؛ في بلابل التجريد<sup>(١)</sup>؛ وقد كان ﷺ؛ أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها؛ مع أنه أشجع الناس؛ غير مدافع؛ وقال النابغة:

أَخْلَاقُ مَجْدٍ تَجَلَّتْ مَا لَهَا خَطَرٌ      فِي النَّاسِ وَالْمَجْدُ بَيْنَ الْحُلْمِ وَالْخَفَرِ  
وقال أبو الطيب:

(١) كتاب ما زال مخطوط للإمام بن عبيد اللاه السقاف عبارة عن حواشي على كتاب التجريد في الحديث.

وَلَيْسَ حَيَاءُ الْوَجْهِ لِلذَّبِّ شِيمَةً      وَلَكِنَّهُ مِنْ شِيمَةِ الْأُسْدِ الْوَزْدِ

وما أجمله من بيت؛ يضيء من غير زيت؛ وإن كان معناه؛ منقول حبيب:  
هُوَ اللَّيْتُ لَيْتُ الْغَابِ بَأْسًا وَفَجْدَةً      وَإِنْ كَانَ أَحْيَى مِنْهُ وَجْهًا وَكْرَمًا  
ولفظه؛ من بيت للبحثري؛ أسلفناه في المقالة الثانية؛ مع ما يشبهه من نحو  
ما هنا؛ وأما آخره؛ فمنقول الحسن البصري؛ عن الحجاج: لقد أتانا اعيمش  
اخيفش؛ له جميمة يرجلها؛ وأخرج إلينا بنائاً قصاراً؛ والله ما عرق فيها عنان في  
سبيل الله؛ ذكره المرتضى؛ بالمجلس العاشر من أماليه؛ وابن أبي الحديد؛ في  
صفحة (١٣٣)؛ من المجلد الثاني؛ ومع كونه مسروقاً من هذا؛ فإن فيه قصوراً  
فاحشاً؛ إذ ليس عرق الأنامل بالعنان؛ مَحْمَدَةٌ؛ ما لم يكن في طريق المجد؛ كما  
قَيَّدَهُ الحسن بسبيل الله؛ وإلاً فالمكارون؛ أكثر خلق الله عرق أنامل بالأعنة؛  
أفيرى الشريف؛ أن لهم بذلك فضيلة؛ كلا؛ وفي كتاب سيّره عبد الملك بن  
مروان للحجاج؛ ما يشبه بعض كلام الحسن؛ إذ قال له يعذله؛ على ما كان من  
شتمه؛ لأنس بن مالك؛ كما في العقد الفريد؛ فعليك لعنة الله؛ من عبد أخفش  
العينين؛ أصك الرجلين؛ ممسوح الجاعدتين (انتهى).

وهما متعاصران؛ ويشبه أن يكون عبد الملك؛ هو الذي وطأ السبيل؛ لإبي  
سعيد<sup>(١)</sup> فاستوفى. وأما تخلف المَخْبَرُ عن المنظر؛ فما أكثر ما يكون؛ ومنه؛ قول  
قراد بن حنش<sup>(٢)</sup>:

(١) أبو سعيد هي الكنية التي اشتهر بها الحسن بن الحسن البصري رضي الله عنه. وهو إمام وعالم من علماء أهل السنة والجماعة؛ ولد قبل سنتين من نهاية خلافة عمر بن الخطاب في المدينة، رضع من أم المؤمنين أم سلمة، وتربى في بيت النبوة. كانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة فيدعون له، ودعا له عمر بن الخطاب، فقال: «اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس». حفظ الحسن القرآن في العاشرة من عمره. انتقل سنة ٣٧هـ إلى البصرة، فتلقى العلم على الصحابة الذين استقروا فيها واستقر هو في البصرة حيث أصبح أشهر علماء عصره ومفتي البصرة حتى وفاته سنة ١١٠هـ.

(٢) قُرَادُ بْنُ حَنْشٍ، شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ مِنْ شَعْرَاءِ عَطْفَانَ، غَيْرَ أَنَّ ابْنَ سَلَامٍ الْجُمَحَ يَذْكُرُهُ فِي =

وَأَنْتُمْ سَمَاءٌ يُعْجِبُ النَّاسَ رِزْهًا  
تُقَطِّعُ أَظْنَابَ الْبُيُوتِ بِحَاصِبٍ  
فَوَيْلٌ أَمَّا خَيْلًا بِهَاءٍ وَشَارَةً  
وقال الشاعر الحماسي :

وَكَاثِرٌ بِسَعْدٍ إِنَّ سَعْدًا كَثِيرَةً  
يُرْوَعُكَ مِنْ سَعْدِ ابْنِ زَيْدٍ جَسُومُهَا  
وَلَا تَرْجُ مِنْ سَعْدٍ وَقَاءً وَلَا نَصْرًا  
وَتَرْهَدُ فِيهَا حِينَ تَقْتُلُهَا حَبْرًا  
وقد مرَّ تحت البيت (١٤٦)؛ ماله بهذا اتصال؛ وكان حسان<sup>(١)</sup>؛ قد أهان  
بني عبد المدان؛ سادات بني الحارث بن كعب؛ المذحجين بقوله<sup>(٢)</sup> :

لَا بَأْسَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ غِلْظٍ  
جِسْمُ الْبَغَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ  
فاسترضوه؛ فمدحهم بشعر آخر؛ يقول فيه :

وَقَدْ كُنَّا نَقُولُ إِذَا رَأَيْنَا  
كَأَنَّكَ أَيُّهَا الْمُعْطَى بَيَانًا  
لِذِي جِسْمٍ يُعَدُّ وَذِي بَيَانٍ  
وَجِسْمًا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ

= «طبقات فحول الشعراء» في الإسلاميين؛ كان جيّد الشعر، إلا أنه كان مُقتلاً، ومع ذلك كان  
بعض بني قومه يتسبون بعض أشعاره إليهم.

(١) حسان بن ثابت؛ سبقت ترجمته.

(٢) كان بنو عبد المدان الحارثيون يفخرون بطول أجسامهم، وقديم شرفهم، حتى قال فيهم  
حسان بن ثابت:

لَا بَأْسَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ غِلْظٍ  
جِسْمُ الْبَغَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ  
فقالوا له: والله يا أبا الوليد لقد تركتنا ونحن نستحي من ذكر أجسامنا، بعد أن كنا نفخر  
بها، فقال لهم: سأصليح منكم ما أفسدت، فقال فيهم:

وَقَدْ كُنَّا نَقُولُ إِذَا رَأَيْنَا  
كَأَنَّكَ أَيُّهَا الْمُعْطَى لِسَانًا  
لِذِي جِسْمٍ يُعَدُّ وَذِي بَيَانٍ  
وَجِسْمًا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ



## أما قوله (١٦٦) و(١٦٧)

وَشَرُّ الْأَدَى مَا جَاءَ مِنْ غَيْرِ حُسْبَى  
وَكَيْدُ الْمُعَادِي دُونَ كَيْدِ الْمُدَاهِنِ  
وَأَنَّ بُلُوغَ الْحُزْنِ مِنْ قَلْبِ خَائِفٍ  
لَدُونَ بُلُوغِ الْخَوْفِ مِنْ قَلْبِ آمِنٍ

فكلام عامي؛ ولفظ عامي؛ ومعان مشتركة؛ والأصل في الأول؛  
استعاذته ﷺ؛ من فُجَاءَةِ الشر؛ وقال كثير:

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزُّ كُلِّ مُصِيبَةٍ  
مَتَى وَظَنَنْتَ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ  
وقال طفيل الغنوي<sup>(١)</sup>:

وَمَا أَنَا بِالْمُسْتَنْكَرِ الْبَيْنِ لِأَنْبِي  
بِذِي لُطْفِ الْجِيرَانِ قُدَمًا مُفَجَّعُ  
وقال أبو العتاهية<sup>(٢)</sup>:

وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوْطِنُ نَفْسَهُ  
عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوُبُ  
وقد أسلفنا؛ تحت البيت (١٤٢)؛ قول أبي الطيب:

أَتَتْهُنَّ الْمَصَائِبُ غَافِلَاتٌ  
قَدَمْعُ الْحُزْنِ فِي دَمْعِ الدَّلَالِ

قال الشارح: واختلاط الدمعين؛ من أبدع المعاني؛ ولو لم يكن في  
ديوانه؛ إلا هذا؛ لكفاه؛ وقد حام عليه الشريف؛ فما أصاب إلا قشوره؛ وأما  
قوله: وكيد المعادي؛ فمما مر تحت البيت (٢٦)؛ من شعر أبي فراس؛ وقد مرت

(١) هو طفيل بن عوف بن كعب، من بني غني، شاعر جاهلي فحل، من الشجعان وهو أوصف  
العرب للخليل وربما سمي (طفيل الخيل) لكثرة وصفه لها، عاصر النابغة الجعدي وزهير بن  
أبي سلمى.

(٢) هو إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، الشهير بأبي العتاهية. شاعر مكثر، سريع الخاطر،  
في شعره إبداع. كان ينظم المئة والمئة والخمسين بيتاً في اليوم وهو من طبقة بشار وأبي  
نواس وأمثالهما. وكان يجيد القول في الزهد والمديح وأكثر أنواع الشعر. نشأ في الكوفة،  
وسكن بغداد. اتصل بالخلفاء وعلت مكانته عندهم. ثم قرر هجر الشعر، فسجنه المهدي  
العباسي؛ وهدده بالقتل أو أن يعود لقول الشعر! توفي في بغداد.

جملة صالحه من أمثاله؛ من أظهرها؛ ما تحت البيت (١٥٩)؛ والمداهن؛ داخل في أقسام النفاق؛ وهو أضر ما يكون على الأمة؛ ومن ثم؛ كان صاحبه؛ في الدرك الأسفل من النار؛ وهو إما كافر؛ أو زنديق؛ وقد اختلف العلماء في قبول توبته؛ أما النفاق الأصغر؛ فهو النفاق العملي؛ وقد ثبت في الصحيح: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب؛ وإذا أوعد أخلف؛ وإذا ائتمن خان»<sup>(١)</sup>. وفي رواية صحيحة: «إن صلى وصام وزعم أنه مسلم» وعلى الجملة؛ فاختلف السر والعلانية؛ من أضر أنواع النفاق؛ وفي البيت الثاني؛ نظر؛ إلى ما مرّ تحت البيت (١٥٢)؛ من قول البحري:

شَرُّ الْعَوَاقِبِ يَأْسُ قَبْلَهُ أَمَلٌ وَأَعْضَلُ الدَّاءِ نَكْسٌ بَعْدَ إِثْلَالٍ  
وقال البحري أيضا؛ فيما يقرب منه:

مَا حَظَبُ مَنْ حُرِمَ الْإِرَادَةَ سَاعِيًا حَظَبُ الَّذِي حُرِمَ الْإِرَادَةَ وَإِدْعَا  
ولكنه أخطأ في المعنى؛ لأنّ خطب المحروم؛ مع الاجتهاد؛ أهون منه مع العجز؛ إذ لا توبخ على الأول من ضميره؛ ولا ملامة عليه من دينه؛ والله درّ حبيب<sup>(٢)</sup>؛ في قوله:

مُقَصِّرٌ خُطَوَاتِ الْهَمِّ فِي بَدَنِي عِلْمًا بِأَنِّي مَا قَصَّرْتُ فِي الطَّلَبِ

(١) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» رواه البخاري ومسلم؛ وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من علامات المنافق ثلاثة: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم» رواه مسلم.

(٢) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، المشهور بابي تمام أحد أمراء البيان، ورحل إلى مصر ثم استقدمه المعتصم إلى بغداد؛ وقدمه على شعراء وقته؛ فأقام في العراق، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطع. وكان أجش الصوت يصطحب راوية له حسن الصوت فينشد شعره بين يدي الخلفاء والأمراء. في شعره قوة وجزالة، واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحري، له تصانيف، منها فحول الشعراء، وديوان الحماسة، ومختار أشعار القبائل، ونقائض جرير والأخطل.

مَاذَا عَلَيَّ إِذَا مَا لَمْ يَزُلْ وَتَرِي فِي الرَّمِيِّ إِنْ زَلْنَ أَغْرَاضِي وَلَمْ أَصِبِ

وهذا بعض ما كنا أحلنا عليه؛ تحت البيت (١٠)؛ وقد انعقد الإجماع على شهادة الغريق؛ ولكن قال بعض العلماء: إنَّ من قَصَّرَ في تعلم السباحة؛ ثم مات غريقاً؛ لا يكون شهيداً؛ ومن المعلوم؛ أنَّ وقوع الشر؛ أهون من توقعه؛ فِالْحَرِيِّ: أن تكون وطأته شديدة؛ عند الأمن الذي لا يتوقعه؛ قال البحرى:

صُعُوبَةُ الرَّءِءِ تُلْقَى فِي تَوَقُّعِهِ مُسْتَقْبَلًا وَأَنْقِضَاءُ الرَّءِءِ أَنْ يَقَعَ

وقال:

أَجِدُّكَ مَا الْمَكْرُوهُ إِلَّا لِزَتْقَابِهِ وَأَبْرَحُ مِمَّا حَلَّ مَا يُتَوَقَّعُ

ومما يصلح أن يكون من مآخذ بيت الشريف؛ قول المتنبي:

وَمَا يُوجِعُ الْحِرْمَانَ مِنْ كَفِّ حَارِمٍ كَمَا يُوجِعُ الْحِرْمَانَ مِنْ كَفِّ رَازِقِ

وما ذاك؛ إلا؛ لأنَّ حرمان الحارم متوقع؛ وحرمان الرازق مأمون؛ فهما سواء في المفاد؛ وقال ابن الزيات<sup>(١)</sup>:

مَا أَعْجَبَ الشَّيْءَ تَرْجُوهُ وَتُحْرَمُهُ قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ أَنِّي قَدْ مَلَأْتُ يَدِي

وأما قوله (١٦٨) و(١٦٩)

|  |   |
|--|---|
| قُضُورُ الْمَجْدِ مَعَ طُولِ الْمَسَاعِي | وَقَوْلُ النَّاسِ لَمْ يَنْجَحْ فُلَانُ |
| أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ سَفِيِّ هَجِينٍ     | وَإِنْ بَلَغَ الْعُلَى جِدُّهُنَّ       |

فمما أخرجه في النهج؛ من قول الإمام: فوت الحاجة؛ أهون من طلبها إلى غير أهلها؛ لكن ابن الزبير؛ لم ينظر إلى ذلك؛ فقد استعان بإحدى أزواج

(١) محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، أبو جعفر المعروف بابن الزيات. وزير المعتصم والواثق العباسيين، وعالم باللغة والأدب، من بلغاء الكتاب والشعراء. وكان من العقلاء الدهماء وفي سيرته قوة وحمزم.

معاوية؛ لَمَّا تَعَذَّرَتْ عَلَيْهِ حَاجَتُهُ مِنْهُ؛ فَقَضَاهَا؛ وَلَمَّا لَامَهُ النَّاسُ؛ قَالَ: إِذَا تَعَذَّرْتَ الْأُمُورَ مِنْ أَعَالِيهَا؛ فَلَا بَأْسَ بِاسْتِنْجَاحِهَا مِنْ أَسَافِلِهَا؛ فَأَخَذَهُ الْبَحْتَرِيُّ؛ حَيْثُ يَقُولُ:

إِذَا مَا أَعَالِي الْأَمْرِ لَمْ تُعْطِكَ الْمُنَى      فَلَا بَأْسَ فِي اسْتِنْجَاحِهَا بِالْأَسَافِلِ

ولكنه أصاب بقوله: تعطك المنى؛ بقدر ما أخطأ الشريف؛ بقوله: وإن بلغ العلى؛ إذ تجلُّ العلى أن يكون في طريقها سعي هجين؛ وإنما يكون السعي الهجين؛ في طريق المال؛ وقد أسلفنا في المقالة الثانية؛ أن الشريف كالمتنبي؛ لا يفسران العلى إلا بالمال؛ ولهذا الانحياز إلى تأويل قوله؛ أعني المتنبي:

وَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَ إِذْ رَاكِي الْعُلَى      أَكَانَ تُرَانًا مَا تَنَاوَلْتُ أَمْ كَسَبًا

ولكنه شاهد الدناءة؛ ولله درَّ حبيب؛ في قوله:

كُثِرَتْ فِيهِمِ الْمَسَارِحُ إِلَّا      أَنَّهَُا مِنْ مَنَاجِحِ وَدِيَاتِ

وقال ابن الرومي:

حَظَائِرُ لَمْ يُخَلِّظْ بِأَنْمَانِهَا الرُّبَى      وَلَمْ يَكْ مِنْ أَخِذِ الدِّيَاتِ إِكْتِسَابُهَا  
وَلَكِنْ عَطَاءَ اللّٰهِ مِنْ كُلِّ مِذْحَةٍ      جَزِيلٌ مِنَ الْمُسْتَخْلَفِينَ ثَوَابُهَا  
وَمَنْ رَكُضْنَا لِلخَيْلِ فِي كُلِّ غَارَةٍ      حَلَالٌ بِأَرْضِ الْمُشْرِكِينَ نَهَايُهَا

وقال حسان؛ يهجوا:

وَمَا لَكُمْ لَا مِنْ طِرَادِ قَوَارِسٍ      وَلَكِنْ مِنَ التَّرْقِيحِ يَاشِرًا مَالِكِ

والترقيح: التجارة؛ أو عام في الكسب؛ ولا ذم في شيء منهما؛ وإنما قاله حسان في جاهليته؛ وقال حريث بن زيد الخيل<sup>(١)</sup>:

قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا مِنَ الْقَوْمِ عُضْبَةً      كِرَامًا وَلَمْ نَأْكُلْ بِهِمْ حَشَفَ النَّخْلِ

(١) الصحابي حريث بن زيد الخيل الطائي، شهد هو وأخوه م قتال الردة مع خالد بن الوليد، ابوه شاعر جاهلي مشهور، ولقد هاجر حريث إلى بلاد الرافدين نينوى.

وقال ذو الرِّمَّة؛ أو غيره:

وَمَا كَانَ مَالِي مِنْ تَرَاثٍ وَرِثْتُهُ      وَلَا دِيَّةً كَانَتْ وَلَا كَسْبُ مَائِمٍ  
وما ذمُّه من الميراث؛ جهل وجفاء؛ لا يليق مثله؛ إلا بالأعراب والقساء؛  
الذين يقولون: إنه فضلات الموتى. وبعد هذا كله؛ فأين كلام الشريف؛ منقول  
أبي فراس؛ الذي لا شك أنه ناظر إليه:

وَمَا أَنَا رَاضٍ إِنْ كَثُرَنَ مَكَايِسِي      إِذَا لَمْ تَكُنْ بِالْعِرِّ تِلْكَ الْمَكَايِسِ  
ومن شواذ شعر الشريف؛ قوله:

مَدَحْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّهُ      لِأَشْرَفُ مَأْمُولٍ وَأَعْلَى مُؤَمِّمٍ  
وَأَوْسَعَنِي قِلَّ الْعَطَاءِ كَرَامَةً      وَلَا مَرْحَبًا بِالْمَالِ إِنْ لَمْ أُكْرَمِ  
وإن كان عجز الأول؛ من قول أبي الطيب:

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتَ غَيْرَ مُدَمِّمٍ      وَأُمٌّ وَمَنْ يَمَّمْتَ خَيْرُ مُيَمِّمٍ  
وعجز الثاني؛ من قوله أيضاً:

وَمَا مَنَزَلَ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنْزِلِ      إِذَا لَمْ أَبْجَلْ عِنْدَهُ وَأُكْرَمِ  
وقد تمثلت بيتي الرضي؛ على منبر تعز؛ في إحدى خطبي؛ بين يدي أمير  
المؤمنين الناصر<sup>(١)</sup>؛ لأنَّني وإيَّاه؛ أحقُّ له؛ من الشريف ومن ممدوحه.

وأما قوله (١٧٠) و(١٧١)

|   |   |
|---|---|
| وَمِنْ عَجَبِ صُدُودِ الْحِظِّ عَنَّا   | إِلَى الْمُتَعَمِّمِينَ عَلَى الْحَزَائِبَا |
| أَسَفٌ بِمَنْ يَطِيرُ إِلَى الْمَعَالِي | وَطَارَ بِمَنْ يَسِفُ إِلَى الدَّنَائِبَا   |

فقد تَعَجَّبَ مِمَّا لَا يُتَعَجَّبُ؛ إلا من عكسه؛ لأنَّ صُدُودَ الْحِظِّ عَنِ الْكِرَامِ؛

(١) يفصد الإمام يحيى حميد الدين.

سُنَّةُ الْأَيَّامِ؛ وَفِي الْقُرْآنِ؛ مَا لَا مَطْمَعٍ فِي اسْتِيفَائِهِ؛ وَقَدْ مَرَّ تَحْتَ الْبَيْتِ (١١٠)؛  
مَا يَكْفِي لَهُ وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

كَفَّاكُمُ عَنِ الدُّنْيَا الدَّمِيمَةَ مَخْبَرًا  
وَأَنَّ رِجَالَ النَّفْعِ تَحْتَ مَدَائِسِهَا  
وَأَنَّ رِجَالَ الضَّرِّ فَوْقَ سَنَامِهَا  
وقال أبو تمام:

مَا زِلْتُ أَرْمِي بِأَمَالِي مَطَالِبَهَا  
إِذَا غُنِيْتُ لِشَأْنٍ جِلْتُ أَنِّي قَدْ  
لَمْ يَخْلُقِ العَرَضُ مِنِّي سُوءَ مُطْلَبِي  
أَذْرَكْتُهُ أَذْرَكْتَنِي حِرْفَةُ الأَدَبِ<sup>(١)</sup>  
وقال:

لِيَالِي بَاتَ العِرْفُ فِي غَيْرِ بَيْتِهِ  
وقال البحري:

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِبِ كَيْفَ تَسْمُو  
وَكَيْفَ تَرُومُ ذَا الشَّرْفِ المُعَلَّى  
وَمَا تَنْفِكُ أَحْدَاثُ اللَّيَالِي  
وقال:

وَكَأَنَّ الزَّمَانَ أَصْبَحَ مَحْمُومًا  
وقال:

لَقَدْ حَكَمْتَ فِينَا اللَّيَالِي بِجَوْرِهَا  
أَبِي العَدْلِ أَنْ يَشْقَى الكَرِيمُ بِجَوْرِهَا  
وَحُكْمُ بَنَاتِ الدَّهْرِ لَيْسَ لَهُ قَضْدُ  
وَيَأْخُذُ مِنْهَا صَفْوَاهَا القَعْدُدُ الوَعْدُ  
وقال:

مَتَى أَرَتْ الدُّنْيَا نَبَاهَةَ حَامِلِ  
فَلَا تَرْتَقِبْ إِلَّا حُمُولَ نَيْبِهِ

(١) حرفة الأدب هي الفقر.

وقال؛ يَدُّمُ الزَّمانُ :

فَأَسْعَدَهُ عَلَى قَوْمِ نُحُوسٍ وَأَنْحَسَهُ عَلَى قَوْمِ سُؤُودٍ  
ومثل هذا؛ يتصل بالبيت (٩٤)؛ وقال علي بن بسام؛ يرثي عبد الله بن  
المعتز:

لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ مَيْتٍ بِمَضْيَعَةٍ نَاهِيكَ فِي الْعِلْمِ وَالْآدَابِ وَالْحَسَبِ  
مَا فِيهِ لَوْ وَلَا لَيْتَ فَتُنْقِصَهُ وَإِنَّمَا أَذْرَكَهُ حِرْفَةُ الْأَدَبِ  
والقسم الأخير؛ مما سبق عن أبي تمام؛ وقال ابن الرومي:

إِذَا دَلَّ فِي الدُّنْيَا الْأَعْرَاءَ وَاکْتَسَتْ هَنَّاكَ فَلَا جَادَتْ سَمَاءٌ بِصَوْبِهَا  
وَلَا أَمْرَعَتْ أَرْضٌ وَلَا اخْضَرَّتْ حُودُهَا أَرَى النَّاسَ مَخْسُوفًا بِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ  
عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يُقَلِّبْ عَلَيْهِمْ صَعِيدُهَا وَمَا الْخَسْفُ أَنْ يَلْقَى أَسْفِلَ بَلَدَةٍ  
أَعَالِيهَا بَلْ أَنْ يَسُودَ عِبِيدُهَا  
وقال:

رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَرْفَعُ كُلَّ وَغْدٍ وَيَخْفِضُ كُلَّ ذِي شَيْمٍ شَرِيفَةٍ  
وَلَا يَنْفَكُ تَنْظُفُوا فِيهِ جِيفَةَ كَمِثْلِ الْبَحْرِ يَنْفَرُ فِيهِ حَيٌّ  
وَيَرْفَعُ كُلَّ ذِي زَنْةٍ خَوْبِفَةَ أَوْ الْمِيزَانَ يَخْفِضُ كُلَّ وَافٍ  
وقال:

قَالَتْ عَلَا النَّاسُ إِلَّا أَنْتَ؛ قُلْتُ لَهَا كَذَلِكَ يَسْفُلُ فِي الْمِيزَانِ مَا رَجَحَا  
وقال:

دَهْرٌ عَلَا قَدْرُ الْوَضِيعِ بِهِ وَغَدَا الشَّرِيفُ يَحْطُّهُ شَرْقُهُ  
كَالْبَحْرِ يَرْسُبُ فِيهِ لَوْلُوهُ سُفْلًا وَتَنْظُفُوا فَوْقَهُ جِيفَةَ  
ولقد أساء في قوله: أَوْ الْمِيزَانَ يَخْفِضُ كُلَّ وَافٍ؛ لِأَنَّ الْمِيزَانَ مَعْيَارَ

العدل؛ الذي أكثر الله من ذكره؛ في التنزيل؛ غير انه تدارك الأمر؛ بقوله: كَذَلِكَ  
يَسْأَلُ فِي الْمِيزَانِ مَا رَجَعَا.

وقال جحظة<sup>(١)</sup>:

أَيَا دَهْرٍ وَنَحَاكَ مَاذَا الْغَلَطُ      وَضَبِعُ عَلَا وَرَفِيعُ هَبَطُ  
جِمَارٌ يُسَيِّبُ فِي رَوْضَةٍ      وَظَرْفٌ بِلَا عَلْفٍ يَرْتَبُظُ

وفي عكس المعنى؛ يقول أشجع السلمي؛ للفضل بن يحيى:

وَمَا قَدَّمَ الْفُضْلُ بِنُ يَحْيَى مَكَانَهُ      عَلَى غَيْرِهِ بَلْ قَدَّمْتَهُ الْمَكَارِمُ

وقد مر ما يشبه هذا البيت تحت البيتين (٦٢) و(١٤٠).

وأما قوله (١٧٢)

وَتَفَرَّقُوا الْبُعْدَاءُ بَعْدَ مَوَدَّةٍ      صَغْبٌ فَكَيْفَ تَفَرَّقُوا الْقُرْبَاءُ

فمن قول البحرى:

وَمَا التَّقَّتْ الْأَحْشَاءُ يَوْمَ صَبَابَةٍ      عَلَى بَرَجَاءٍ مِثْلَ بُعْدِ الْأَقَارِبِ

ومن أمثالهم: بقدر سرور التواصل؛ تكون حسرة التفاضل. وسرور الاقارب  
بالتواصل؛ أكثر ممن سواهم؛ عند انتفاء الشحنة؛ وفي مجرد الفراق يقول  
حبيب:

لَوْ جَاءَ مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ      إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النُّفُوسِ دَلِيلًا

ويقول أبو الطيب:

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدْتِ      لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاجِنَا سُبُلًا

ويقول:

(١) جحظة البرمكي؛ شاعر عباسي وكان قبيح المنظر، ناتئ العينين، فلقب بجحظة؛ وكان  
طنبورياً حاذقاً بصوغ اللحن ويوجد الغناء. وقد عمر طويلاً، توفي سنة ٣٢٤هـ.



خُلِقْتُ أَلُوفًا لَوْ رُدُّدْتُ إِلَى الصَّبَا      لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجِعُ الْقَلْبِ بَاكِبًا  
 وهذا أفضل ما رُقِمَ في صحيفة المتنبى من الحسنات؛ بعد التوحيد؛ وأرى  
 أن الله لم يوقفه إليه؛ إلا وهو يريد أن يغفر له؛ كما ذكرته في العود الهندي؛ وما  
 ذلك إلا لأنَّ الإلف من أفضل خصائص المؤمنين؛ وقد جاء في الحديث: «أن  
 المؤمن ألفت مألوف»<sup>(١)</sup>.

وقال الشريف:

وَاعْلَمُ مَا حَاصَتْ يَدُ الدَّهْرِ لِلْفَتَى      أَمْرًا مَذَاقًا مِنْ فِرَاقِ الْأَحْبَةِ  
 وقال العباس بن الأحنف:

أَقَمْنَا مُكْرَهِينَ بِهَا وَلَمَّا      أَلْفَنَاهَا خَرَجْنَا مُكْرَهِينَا  
 وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ بِنَا وَلَكِنْ      أَمْرُ الْعَيْشِ فُرْقَةٌ مَنْ هَوَيْنَا

وقد تمثل بهما الماوردي<sup>(٢)</sup>؛ مخرجه من بغداد؛ كما في ترجمته عند  
 ابن خلكان؛ قال: وقيل: إنَّ هذين؛ لأبي محمد المزني؛ الساكن بما وراء  
 النهر؛ وفي موضعين من معجم ياقوت؛ وهما صفحة (٤٣) و(٢٤٠) من المجلد  
 (٢)؛ يعزوهما لأبي محمد عبد الله بن محمد اليافي؛ المتوفي سنة ٣٩٨هـ؛  
 وعزوهما إلى العباس؛ وهو الأصح؛ وما ارق قول أمية بن الأسكر<sup>(٣)</sup>؛ يحن إلى

(١) قال رحمته: «المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يولف» رواه أحمد والطبراني من  
 حديث سهل بن سعد والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه.

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي من أكبر فقهاء الشافعية وقد ألف  
 في فقه الشافعية موسوعته الضخمة في أكثر من عشرين جزءاً وكان أكبر القضاة في أواخر  
 الدولة العباسية، وله علاقات ممتازة مع رجال الدولة العباسية كما كان سفير العباسيين  
 ووسيطهم لدى بني بويه والسلاجقة. وتوفي سنة ٤٥٠هـ.

(٣) لما شاخ أمية بن الأسكر وضعف بصره ذهب ابنه كلاب للجهاد وكان يعتمد عليه فاشتكى  
 حاله إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فرق له وأمر بعودة ابنه كلاب من الغزو ليبقى في  
 خدمة أبيه.

ولده كلاب؛ ويعاتب ابن الخطاب على تجميره:

فَلَوْ قَلَّتْ الْفُؤَادُ شَدِيدٌ وَجِدٌ لَهَمَّ سَوَادٌ قَلْبِي بِأَنْفِلَاقِ  
وقال عبيد الله بن الحر الجعفي<sup>(١)</sup>؛ في رثائه للحسين؛ والتأسف لتأخره عن نصره:

فَلَوْ قَلَّتْ التَّلَهْفُ قَلْبَ حَيٍّ لَهَمَّ الْيَوْمَ قَلْبِي بِأَنْفِلَاقِ

وأما قوله (١٧٣)

وَخَلَائِقُ الدُّنْيَا خَلَائِقُ مُوسَى لِمَنْعِ آوْنَةٍ وَلِلْإِعْطَاءِ

فمن قول أبي الطيب السابق؛ تحت البيت (٣٥)؛ وهو:

فَلِذِي الدَّارِ أَحْوَنُ مِنْ مُوسَى وَأَخْدَعُ مِنْ كَفَّةِ الحَابِلِ  
ومن قوله أيضاً:

وَهِيَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى العَدْرِ لَا تَحُفَّ قَطُّ عَهْدًا وَلَا تُتَمِّمُ وَضْلًا

وقد مرَّ الثاني أيضاً؛ تحت البيت (٩٤)؛ ومن هذا؛ أو أمثال قوله:

إِذَا عَدْرَتْ حَسَنَاءُ وَقَتِ بِوَعْدِهَا وَمِنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا يَدُومَ لَهَا عَهْدُ  
وَإِنْ عَشِيقَتْ كَانَتْ أَشَدَّ صَبَابَةً وَإِنْ فَرَكْتَ فَأَذْهَبَ فَمَا فَرَكْتُهَا فَضْدُ  
وَإِنْ حَقَدَتْ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا رِضَى وَإِنْ رَضِيَتْ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا حِقْدُ  
كَذَلِكَ أَخْلَاقُ النِّسَاءِ وَرَبِّمَا بَضِلُّ بِهَا الْهَادِي وَيَخْفِي بِهَا الرُّشْدُ

(١) عبيد الله بن الحر الجعفي شاعر من بني منجج، ولد ونشأ في الكوفة، اشترك في حرب القادسية، وناصر معاوية بن أبي سفيان، فكان يكرمه، ثم حارب بني أمية، وكان له مواقف من الفتنة، ثم مات قتلاً بيد رجل يقال له عياش، سنة ٦٨ هـ ويعد من الشعراء اللصوص، له شعر في كتاب أشعار اللصوص وأخبارهم.

ومن أمثال هذه؛ يعرف رأيه في المرأة<sup>(١)</sup>؛ وهو على كل حال؛ أخف وطاءة من رأي المعري؛ فلقد كان سيئاً فيها إلى الغاية؛ وقد وقَّيت البحث؛ وبيَّنت الحق؛ في العود الهندي؛ بما لم أُسبِّقُ إليه؛ وأخرج مسلم وأحمد والنسائي وابن ماجه وغيرهم؛ عن ابن عمر ورفعته: «الدنيا كلها متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»<sup>(٢)</sup> وأخرج النسائي مرفوعاً: «حبب إلي من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة» وقال صحيح على شرط مسلم؛ وأخرجه غيره؛ بدون لفظة ثلاث؛ وقد تكلم بن فورك على معناه؛ في جزء مفرد. وقال أبو الطيب فيما نحن فيه:

وَلَوْ جَاَزَ الْخُلُودُ خُلِدْتُ فَرْدًا      وَكَيِّنَ لَيْسَ لِلدُّنْيَا خَلِيلُ

والقسم الثاني من بيت الشريف؛ قليل المناسبة مع الأول؛ لا سيما وإنه قدَّم المنع؛ والتقديم من دلائل الأكثرية؛ كما انه من دلائل الأفضلية؛ ما لم يقم شاهد بخلافه؛ والمواميس وصفهن البذل؛ لا المنع؛ وقد قال أبو الطيب يصف مؤضعا؛ وهو من نظائر المومسات:

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ نَفْسًا      وَالْيَيْنَ النَّاسِ رُكْبَةً

ولكن ما أحسن في وصف الدنيا؛ مما أخرجه الشريف نفسه؛ عن الإمام من قوله: كونوا عن الدنيا نُرَاهَا؛ وإلى الآخرة وُلَاهَا؛ ولا تضعوا من رَفَعْتُهُ التقوى؛ ولا ترفعوا من وضعته الدنيا؛ ولا تَشِيمُوا بَارِقَهَا؛ ولا تسمعوا ناطقها؛ ولا تجيبوا ناعقها؛ فَإِنَّ بَرِقَهَا خَالِبٌ؛ ونطقها كاذب؛ وأموالها محروبه؛ وأعلاقها مسلوبة؛ ألا وهي المتصدية العنون؛ والجامحة الحرون؛ والمائة الخؤون<sup>(٣)</sup>.

(١) يقصد أبا الطيب المتنبى.

(٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» رواه مسلم.

(٣) النَّزَاهُ - جمع نَازِهٍ -: العفيف النفس الولاهُ - جمع وَالِهٍ -: الحزين على الشيء حتى يناله، شامَّ البرق: نظر إليه أين يمطر البارق: السحاب خالب: خادع؛ المحروبة: المنهوبة؛ =

وقوله: دار بالبلاء محفوفة؛ وبالغدر معروفة؛ لا تدوم أحوالها؛ ولا تسلم نزالها؛  
آمال متخلفة؛ وأحوال متصرفة.

أما صفة الدنيا؛ بالمنع تارة؛ وبالإعطاء أخرى فصحيح؛ لأن منعها أكثر؛  
فناسب التقديم؛ فلا يخلو البيت اذن؛ عن الإنبتار؛ مع صحة المعنى؛ أو  
الاتصال مع فساد.

### وأما قوله (١٧٤)

مِنَ إِذْ أَمَّا الْخُرُّ أَجْدَبَ فِي رَمَانٍ      قَوْفِيَّةٌ لَهُ زَادٌ وَمَاءٌ

فقد أنشد الجاحظ لحرب بن منذر الجارود:

فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا كَفَافٌ بِقِيَمِي      وَأَنْوَابٌ كُتَّانٍ أُرُورٌ بِهَا قُبْرِي  
وأنشد أيضاً:

حَسْبُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ      زَادٌ يُبَلِّغُهُ الْمَجْلَا  
ومن أمثالهم: وحسبك من غنى شبع وري؛ وأول من قاله: امرء القيس؛  
وقال خالد بن صفوان: بت ليلتي كلها أتمنى؛ حتى كسوت البحر الأخضر؛  
بالذهب الأحمر؛ فإذا به يكفيني؛ رغيغان وطمران؛ وفي الحديث: «من أصبح  
منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا»<sup>(١)</sup>.

وقال سليمان بن المهاجر البجلي:

وَأَنَّ قَلِيلاً يَسْتُرُ الْوَجْهَ أَنْ يُرَى      إِلَى النَّاسِ مَبْدُولاً لَغَيْرِ قَلِيلِ

= المتصدية: المرأة تتعرض للرجال تُميلهم إليها، ومن الدواب ما تمشي معترضة خابطة؛  
العئون - من الدواب المتقدمة في السير؛ الجامحة: الصعبة على ركبها؛ والخرون: التي  
إذا طلب بها السير وقفت؛ المائنة: الكاذبة. والخؤون: مبالغ في الخائفة.

(١) أخرجه الترمذي في سننه.

وقال أبو العتاهية :

إِذَا كَانَ الْقَلِيلُ يَسُدُّ فَقْرِي      وَلَمْ أَجِدْ الْكَثِيرَ فَلَا أَبَالِي

وهذا هو الأكثر شبيهاً؛ بعد المثل؛ بيت الشريف؛ وقال حبيب :

مَنْ زَاخَفَ الْأَيَّامَ ثُمَّ عَبَى لَهَا      غَيْرَ الْقَنَاعَةِ لَمْ يَزَلْ مَغْلُولا  
لَوْ جَاَزَ سُلْطَانُ الْقُنُوعِ وَحُكْمُهُ      فِي الْأَرْضِ لَمْ يَكُنْ الْقَلِيلُ قَلِيلا

وقول البحري :

يُطَلَّبُ الْأَكْثَرُ فِي الدُّنْيَا      وَقَدْ تَبَلَّغَ الْحَاجَةَ فِيهَا بِالْأَقْلِ

وقوله :

وَلَوْ أَنِّي رَضِيتُ مَقْسُومَ حَظِّي      لَكَفَّانِي مِنَ الْكَثِيرِ الْقَلِيلِ

وقوله :

قَنَاعَةٌ تَتْبَعُهَا هَمَّةٌ      مُتَتَّبِعَةٌ فِيهَا الْغِنَا وَالْقُنُوعُ

وقال الجرهمي :

الْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا قَنِعْتَ بِهِ      قَدْ يَكْثُرُ الْمَالُ وَالْإِنْسَانُ مُفْتَقِرُ

ولكن المتنبي يخالف في القناعة؛ أحياناً؛ كما في قوله السابق؛ في غير

هذا الموضوع :

هُمَا خَلَّتَانِ ثَرَوَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ      لَعَلَّكَ أَنْ تُبْقِيَ بِوَاحِدَةٍ ذِكْرًا

وقوله السابق أيضاً :

وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ      وَمَرْكُوبِهِ رِجْلَاهُ وَالشُّوبُ جِلْدُهُ

وقوله :

لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالْأَمَالِ مِنْ إِرْبِي      وَلَا الْقَنَاعَةُ بِالْإِقْلَالِ مِنْ شِيَمِي

وقوله :

وَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

وما أرى أبا فراس الحمداني؛ إلا يتعمده بالتوبيخ؛ في قوله:

وَتَعَاثُ لِي طَمَعُ الْحَرِيصِ أَبُوِّي وَفُتُوِّي وَمُرُوِّي وَعَفَافِي

وقد حصل نقض؛ من شيخنا ابن شهاب؛ لقوله: ولا مجد في الدنيا؛ إلى

آخره؛

وَلَا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ صَحِيحٌ وَفِي التَّنْزِيلِ لِلْعَكْسِ إِنِّطَالٌ

وفيه مناقشة؛ وحديث: «ذهب أهل الدثور بالأجور»<sup>(١)</sup> و«وكاد الفقر أن

يكون كفرة»<sup>(٢)</sup>.

وهذا قيس ابن سعد ابن عبادة؛ يقول في دعائه: اللهم ارزقني حمداً

ومجداً؛ لا حمد إلا بفعال؛ ولا فعال إلا بمال؛ اللهم إنَّ القليل لا يصلحني؛

ولا أصلح عليه.

وفي الحديث: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»<sup>(٣)</sup>. وقد سماه خيراً في

التنزيل؛ فليس المتنبى بمخطئ؛ ولكن؛ على جانب من الصواب؛ وما أخذ بعنقي

إلى القناعة كلام قط؛ بعد كلام الله؛ مثل الكتاب الذي سيره الإمام؛ لعثمان بن

(١) حديث (ذهب أهل الدثور بالأجور) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أن ناساً قالوا يا رسول الله:

ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول

أموالهم، قال: «أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به؟ إن بكل نسيجه صدقة، وكل

تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلية صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن

المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له

فيها أجر؟ قال: «أرايتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في

الحلال كان له أجر» رواه مسلم.

(٢) «كاد الحسد أن يغلب القدر وكاد الفقر أن يكون كفرة» الراوي: أنس بن مالك - خلاصة

الدرجة: غير محفوظ - المحدث: ابن عدي - المصدر: الكامل في الضعفاء.

(٣) ورد هذا الحديث بالإسناد المتصل في مسند الإمام أحمد بن حنبل من حديث عمرو بن

العاص.

حنيف؛ وهو عامله على البصرة؛ وهو في النهج؛ وغيره؛ وللعرب من الصبر على الشدائد؛ ما لا يأتي على أطرافه الكلام؛ حتى أنهم ليعتقدون من حرصهم على العفاف؛ ومرت لرجل منهم أيام؛ لا يطعم إلا ما تأكله البهائم؛ وكان في طلب إبل ضلّت عليه؛ حتى انتهى إلى حيي؛ فأمروا له برسول؛ فلما سمع صوت الشخب؛ قرقت بطنه من الجوع؛ فقال في نفسه: أتفضحيني! والله لأخرمتك! ثم قال: هل عندكم من صبر؛ فإن في بطني داء؛ لا يصلحه غيره؛ فأعطوه إياه فشربه؛ وترك اللبن.

وما أحسن قول زهير:

كَذَلِكَ خِيَمَهُمْ وَلَكُلِّ قَوْمٍ إِذَا مَسَّتْهُمْ الضَّرَاءُ خِيَمٌ

وقول إبراهيم بن كنيف النهاني<sup>(١)</sup>:

فَإِنْ تَكُنْ الْأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ  
فَمَا لَيْتَنَّا مِنَّا قَنَاةَ صَلِيبَةٍ  
وَلَكِنْ رَحَلْنَاهَا نُفُوسًا كَرِيمَةً  
وَقَيْنَا بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِنَّا نُفُوسَنَا  
يَبُوسَى وَنُغَمَى وَالْحَوَادِثُ تَفَعَّلُ  
وَلَا ذَلَّلْنَا لِيَتِي لَيْسَ تَجْمَلُ  
تُحْمَلُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ فَتُخِيلُ  
فَصَحَّتْ لَنَا الْأَعْرَاضُ وَالنَّاسُ هَزَلُ

وانتهى بقيس بن زهير الشم؛ أن أنف من الأكل مع قوم؛ ألفاهم يستون وذهب (كلمات غير واضحة في المخطوطة).

وقال الشنفرى:

أَدِيمُ مَطَالِ الْجُوعِ حَتَّى أُوَيْتَهُ  
وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الْأَرْضِ كَيْ لَا يُرَى لَهُ  
وَلَوْ لَا اجْتِنَابَ الدَّامِ لَمْ يَلْفَ مَشْرَبٌ  
وَلَكِنَّ نَفْسًا مُرَّةً لَا تُقِيمُ بِي  
وَأَذْهَبُ عَنْهُ الذُّكْرَ صَفْحًا فَاجْهَلُ  
عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ إِمْرًا مُتَطَوَّلُ  
يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّ وَمَا كَلُ  
عَلَى الضَّمِيمِ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ

(١) شاعر إسلامي من شعراء الحماسة.

وقال الحلاج<sup>(١)</sup> المقتول في أوائل القرن الرابع :

أَطَعْتُ مَطَامِعِي فَاسْتَبَعْدْتَنِي      وَلَوْ أَنِّي قَنَيْتُ لَمِثُّ حُرًّا  
ومن المطرب؛ قول الشريف:  
وَلَقَدْ لَبَسْتُ مِنَ الْقِنَاعَةِ جُنَّةً      تَضْفُو عَلَيَّ وَلَا تَبِينُ لِرَامِي  
كَمْ ذَلَّلَ الْعَدَمَ الْعَزِيزَ وَعَظَّمَتْ      نَفَحَاتُ هَذَا الْمَالِ غَيْرَ عِظَامِ

وأما قوله (١٧٥)

هَيْهَاتَ يَا دُنْيَا وَبَرِّقْكَ صَادِقٌ      أَرْجُو فَكَيْفَ إِذْ نُ وَبَرِّقْكَ كَاذِبٌ

فمن قول البحرى:

وَلَمْ أَرْتَضِ الدُّنْيَا أَوْ أَنْ مَجِئِهَا      فَكَيْفَ إِرْتِضَائِهَا أَوْ أَنْ ذَهَابِهَا  
وعليه؛ بني المتنبى قوله:  
أَتَى الزَّمَانَ بَنُوهُ فِي شَبِيبَتِهِ      فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الْهَرَمِ  
وفيه نظر؛ إلى قول حبيب:  
مَجْدٌ رَعَى تَلْعَاتِ الدَّهْرِ وَهُوَ قَتَى      حَتَّى عَدَا الدَّهْرُ يَمْشِي مِثْبَةَ الْهَرَمِ

وقد تعلق الطغرثى؛ بأذيال بيت الشريف؛ ولكنه اجاد بقوله:

لَمْ أَرْتَضِ الْعَيْشَ وَالْأَيَّامَ مُقْبِلَةً      فَكَيْفَ أَرْضَى وَقَدْ وُلَّتْ عَلَى عَجَلِ

وأما قوله (١٧٦)

وَأَعْظَمُ مَا أَلْقَى أَنْ دَهْرِي      يَعُدُّ مَحَاسِنِي لِي مِنْ عُيُوبِي

(١) أبو عبد الله حسين بن منصور الحلاج من أعلام التصوف؛ نشأ بواسط والعراق، اجمع كثير من علماء السنة على تكفيره وتبديعه ورميه بالسحر والشعوذة ونسبوه إلى مذهب القرامطة، وهناك من وافقره وفسروا فلسفته التي رآها قاضي بغداد في زمنه الفقيه محمد بن داود متعارضة مع تعاليم الإسلام فحُكِمَ وُقُتِلَ بامر الخليفة المقتدر في سنة ٣٠٩هـ.



فالأصل فيه؛ قول امرؤ القيس:

وَكَمْ مِنْ مَجْلِسٍ حَسَنٍ أُجِبَلْتُ  
مَحَاسِنُهُ فُعِدُّ مِنْ الْعُيُوبِ  
وقال بشار:

أَنْتَ فِي مَعْشَرٍ إِذَا غَبَّتْ عَنْهُمْ  
بَدَلُوا كُلَّمَا يَزِينُكَ شَيْنَا  
وقال العباس بن الأحنف:

وَكَيْفَ يَكُونُ كَمَا أَشْتَهِي  
حَبِيبٌ يَرَى حَسَنَاتِي دُنُوبَا  
وقال حبيب:

يَا نَسِيبَ الثُّغَامِ<sup>(١)</sup> ذَنْبُكَ أَبْقَى  
حَسَنَاتِي عِنْدَ الْغَوَائِي دُنُوبَا  
وقال:

لَئِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنْ أَحْسَنَ مَطْلَبِي  
أَسَاءَ فَفِي سُوءِ الْقَضَاءِ لِي الْعُذْرُ  
وقال البحري:

إِذَا مَحَاسِنِي اللَّاتِي أَعْدُ بِهَا  
صَارَتْ دُنُوبًا فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ  
وقال المتنبي:

أَعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى  
وَأَهْدَأُ وَالْأَفْكَارُ فِيَّ تَجُولُ  
وقال الشريف:

نَظَرُوا بِعَيْنِ عِدَاوَةٍ وَلَوْ أَنَّهَا  
عَيْنُ الرِّضَا لاسْتَحْسَنُوا مَا اسْتَفْبَحُوا  
وهذا أولى بالاختيار؛ من ذلك؛ وإن كان مسروقاً من بيت؛ عبد الله بن

معاوية بن عبد الله بن جعفر؛ الذي قدمناه تحت البيت (٨٥).

(١) ثغام: - نبات أبيض الثمر والزهر يشتد بياضه إذا يبس.

## وأما قوله (١٧٧)

وَلِلْجِلْمِ أَوْقَاتٌ وَلِلْجَهْلِ مِثْلَهَا      وَلَكِنَّ أَوْقَاتِي إِلَى الْجِلْمِ أَقْرَبُ

فقد مر بيان مأخذه؛ تحت الأبيات: (١١٣) و(١١٩) و(١٢٢) و(١٣٠) و(١٤٧)؛ وقد أسلفنا؛ قول النابغة الجعدي<sup>(١)</sup>:

وَلَا خَيْرَ فِي حُلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ      بَوَائِدُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا  
ونحن الآن في حاجة إلى ما بعده؛ من قوله:

وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ      حَلِيمٌ إِذَا مَا أُوْرَدَ الْأَمْرَ اضْدَرَا  
وقال محمد بن كعب الغنوي:

لَقَدْ كَانَ أَمَا جِلْمُهُ فَمُرُوحٌ      عَلَيْنَا وَأَمَا جَهْلُهُ فَفَرِيبُ  
وقال حبيب:

حُلْمِي عَلَى الْحُلَمَاءِ غَيْرَ مُكَدِّرٍ      وَالْوَيْلُ مِنْ سَفْهِي عَلَى السُّفَهَاءِ  
وقال:

أُخْرِجْتُمُوهُ بُكْرَةً عَنْ سَجِيَّتِهِ      وَالنَّارُ قَدْ تَلْتَصِي مِنْ نَاضِرِ السَّلِيمِ  
أَوْطَأْتُمُوهُ عَلَى جَمْرِ الْعُقُوقِ وَلَوْ      لَمْ يُخْرِجِ اللَّيْتَ لَمْ يُخْرِجِ مِنَ الْأَجْمِ

وقد أخطأ في تسمية التأديب عقوقاً؛ ما لم يرد المشاكلة؛ على حد قوله جل ذكره: ﴿وَحَرَّوْا سِنْتَهُ سِنْتَهُ بِئَلْهَأ...﴾<sup>(٢)</sup>؛ إذا الثانية ليست بسيئة؛ وإنما أطلن عليها ذلك؛ لأجل المشاكلة والتماثل في الصورة؛ ولئن أحال في هذا؛ فلطالما أصاب المحز فيما سقناه له؛ تحت بعض الأبيات؛ المحال عليها؛ وقال البحرى:

(١) هو صحابي شاعر قصائده تتميز بالروح الإسلامية القوية. يقال أنه عاش مئة وعشرين سنة.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

إِلَيْكَ بِبَعْضِ أَخْلَاقِ اللَّيْمِ

إِذَا أُخْرِجْتَ ذَا كَرَمٍ تَخْطَى

وقال:

صِنَاعَةً مَا وَجَدْتُ الْجِلْمَ يَكْفِينِي

وَلَسْتُ مُنْبَرِيًّا بِالْجَهْلِ أَجْعَلُهُ

وقال رجل من بني يشكر:

مِنَ الذُّنُوبِ لِقَضَائِهَا

تَعْمُوا الْمُلُوكَ عَنِ الْعَظِيمِ

وَلَيْسَ ذَاكَ لِجَهْلِهَا

وَلَقَدْ تُعَاقِبُ فِي الْيَسِيرِ

وَتُخَافُ شِدَّةَ نُكْلِهَا

لَكِنْ لِيُعْرَفَ فَضْلُهَا

وقال قيس بن زهير:

وَقَدْ يُسْتَضَعَفُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ

أَظَنَّ الْحِلْمَ دَلَّ عَلَيَّ قَوْمِي

وقال المتنبي:

وَلَا أَصَاحِبُ جِلْمِي وَهُوَ بِي جُبْنُ

إِنِّي أَصَاحِبُ جِلْمِي وَهُوَ بِي كَرَمٌ

وقال من لا أذكر اسمه؛ ولا أدري؛ أهو قبل الشريف؛ أم بعده:

إِلَى الْجَهْلِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ أُخَوِّجُ

إِذْ كُنْتُ مُحْتَاجًا إِلَى الْجِلْمِ إِنِّي

وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالْجَهْلِ مُسْرَجٌ

وَلِي فَرَسٌ لِلْجِلْمِ بِالْجِلْمِ مُلْجَمٌ

وَمَنْ شَاءَ تَعْوِيحِي فَإِنِّي مُعَوِّجٌ

فَمَنْ شَاءَ تَقْوِيمِي فَإِنِّي مُقَوِّمٌ

وَلَا أَخَا وَلَكِنِّي أَرْضَى بِهِ حِينَ أُخْرِجُ

وَمَا كُنْتُ أَرْضَى الْجَهْلَ حِذْنَا

وَأَمَّا مَا بَيْنَ الْأَسِنَّةِ مَخْرَجُ

أَلَا رَبَّمَا صَاقَ الْقَضَاءُ بِأَهْلِهِ

فَقَدْ صَدَّقُوا وَالذُّلُّ بِالْحُرِّ أَسْمَجُ

وَإِنْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ فِيهِ سَمَاجَةٌ

ثم رأيت ابن قتيبة؛ يعزوها في عيون الأخبار؛ لمحمد بن وهيب<sup>(١)</sup>؛ فتم

(١) محمد بن وهيب الحميري، شاعر مطبوع مكثراً، من شعراء الدولة العباسية، كان يتكسب بالمديح، ويتشبع، وله مرات في أهل البيت، وعهد إليه بتأديب الفتح بن خاقان، =

المقصود؛ لتأخر الشريف عن الراوي والمروي عنه؛ ومن المطرب؛ فيما لا يبعد عن الموضوع؛ قول ابن نباتة السعدي:

وَلَا بُدُّ لِي مِنْ جَهْلَةٍ فِي وَصَالِهِ      فَهَلْ مِنْ حَلِيمٍ أَوْدِعَ الْجِلْمَ عِنْدَهُ  
وهو أسن من الشريف؛ بنحو من احدى وثلاثين عاماً.

### وأما قوله (١٧٨) و(١٧٩)

|   |   |
|---|---|
| تَجَاذِبُنِي يَدُ الْأَيَّامِ نَفْسِي     | وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا الْغِلَابُ |
| وَتَعْدُرُ بِي الْأَقَارِبُ وَالْأَدَانِي | فَلَا عَجَبٌ إِذَا عَدَرَ الصَّحَابُ    |

فقد مر ما يشبه أولهما؛ في الكلام على البيتين (٣٣) و(٥٩)؛ فأغنى عن التكرار؛ وأما الثاني؛ فمن قول البحري:

تَوَاكَلْنِي الْإِخْوَانُ حَتَّى تَضَعُضَتْ  
وَمَا زَالَ خَذَلُ النَّاسِ حَتَّى تَوَقَّعَتْ  
قُوَايَ وَخَافَ الْمُشْفِقُونَ وَكَأَلِي  
يَمِينِي عِدَاةَ النَّصْرِ خَذَلُ شِمَالِي

وظاهر بيت الشريف؛ أن الصحاب؛ أدنى من الأقارب إلى الغدر؛ وهو خلاف قول بشار:

يَسْخُونُكَ ذُو الْقُرْبَى مِرَاراً وَرَيْمًا      وَفَى لَكَ عِنْدَ الْجَهْلِ مَنْ لَا تَقَارِبُهُ

وقول الشريف نفسه؛ الذي استسناه زكي<sup>(١)</sup>؛ في موضع من كتابه؛ وهو:

كَمْ رَجِمَ بِالْعُقُوقِ نَقْطَعُهَا      وَرَجِمَ الْوِدَّ غَيْرُ مُنْقَطِعَةٍ  
وقوله أيضاً:

وَإِنَّ بُكَاءَ مَنْ تَبْكِيهِ قُرْبَى      لَدُونَ بُكَاءِ مَنْ يَبْكِيهِ وَدُ

= واختص بالحسن بن سهل، ومدح المأمون والمعتمد، وكن تياهاً شديد الزهراء بنفسه، عاصر دعياً الخزاعي وأبا تمام.

(١) استسنى قيمة الشيء: رآها سنية رقيقة، وزكي يقصد زكي مبارك.

وقال أبو فراس:

غَرِيبٌ وَأَهْلِي حَيْثُمَا كَرَّ نَاطِرِي      وَحَيْدٌ وَحَوْلِي مِنْ رِجَالِي عَصَائِبُ  
نَسِيبِكَ مَنْ نَاسَبَتْ بِالْوِدِّ قَلْبَهُ      وَجَارَكَ مَنْ صَافَيْتَهُ لَا الْمُصَاقِبُ

وقال:

إِذَا خِيفَتْ مِنْ أَسْوَالِي الرُّومِ مَرَّةً      تَخَوَّفْتُ مِنْ أَعْمَامِي العُرْبِ أَرْبَعًا  
وَإِنْ أَوْجَعْتَنِي مِنْ أَعَادِي شَيْمَةً      لَقَيْتُ مِنَ الْأَخْيَابِ أَذْهَى وَأَوْجَعًا

وقيل لابن المتفجع: أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ صديقك ام نسيبك! فقال: إِنَّمَا أَحِبُّ النسيب؛ إذا كان صديقاً! وقال: الأخ نسيب الجسم؛ والصديق نسيب الروح؛ وفي المثل: رَبُّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمَّكَ.

وقال حبيب:

لَا خَيْرَ فِي قُرْبَى بِغَيْرِ مَوَدَّةٍ      وَلرُبُّ مُنْتَفِعٍ بِوِدِّ أَبَاعِدِ

وأورد الصاحب بن عباد؛ في رسالته التي أوردها صاحب الخزانة؛ تحت الشاهد ٤٦٤ (كلام غير واضح في المخطوطة).

وقال الأعشى:

فَإِنَّ القَرِيبَ مَنْ يُقَرِّبُ نَفْسَهُ      لَعَمْرُ أَيْبِكَ الخَيْرَ لَا مَنْ تَنَسَّبَا

وما أحسن قول الشريف؛ نفسه؛ فيما يتصل بالمعنى:

أَكَلُ قَرِيبٍ لِي بَعِيدٌ بِوَدِّهِ      وَكُلُّ صَدِيقٍ بَيْنَ أَضْلُعِهِ حِفْدُ

وقوله:

قَرِيبُ الفَتَى دُونَ الأَنَامِ صَدِيقُهُ      وَلَيْسَ قَرِيباً مِنْهُ مَنْ لَا يَقْرُبُ

وقد مر ما يشبه هذا؛ تحت (٥٤)؛ وقال المعري:

وَبَعْضُ جِسْمِكَ يَرْمِي بَعْضَهُ بِأَدَى      وَأَكْثَرُ الشَّرِّ يَأْتِي مِنْ ذَوِي الرِّجَمِ

## وأما قوله (١٨٠) و(١٨١)

لِفَضْلِي فِي هَذَا الزَّمَانِ غَرِيبٌ  
تَعُودُ عَوَادُ بَيْنِنَا وَحُطُوبُ

فَمَالِي طُولَ الدَّهْرِ أُمِّي كَأَنِّي  
إِذَا قُلْتُ قَدْ عَلَّقْتُ كَفِّي بِصَاحِبِ

فأولهما؛ من قول حبيب:

لِ قَاضِحِي فِي الأَقْرَبِينَ غَرِيبًا

غَرَّبْتُهُ العُلَا عَلَى كَثْرَةِ الأَهْلِ

وقول البحري:

وَهُوَ فِينَا فِي كُلِّ وَتٍ غَرِيبٌ

أَنْتَ فِينَا فِي ذَا الأَوَانِ غَرِيبٌ

وقال ابن الرومي:

فَلَأَنَّكَ فِي هَذَا الأَتَامِ غَرِيبٌ

أَعَادَكَ أُنْسُ المَجْدِ فِي كُلِّ وَحْشَةٍ

وقوله:

سِ وَمَا أَوْحَشْتُهُ بِالتَّغْرِيبِ

غَرَّبْتُهُ الخَلَائِقُ الزُّهْرُ فِي النَّا

وقوله:

فَأِنَّهُ بِمَعَالِيهِ قَدْ إِغْتَرَبَا

اللَّهُ بِكُلُوهُ وَاللَّهُ يُؤْنِسُهُ

وقوله:

فَأِنَّهَا مِنْ مَعَالِيهَا بِمُغْتَرَبِ

فَأَنَّسَ اللَّهُ نَفْسًا أَنْتَ صَاحِبُهَا

فالمعنى معروض بالسوق؛ وليس لبيت الشريف بسوق؛ وقاتل الله المتنبى؛ فكثيراً ما يعمد للرخيص فيغليه؛ وللوضع فيغليه؛ وللقديم فيجده؛ وللذاهب فيرده؛ فلقد بزهم مقالاً؛ وفاتهم صقالاً؛ إذ قال في هذا المعنى:

وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالكَوْنِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعْدِنَ الذَّهَبِ الرِّقَامُ

وارجع إلى البيت التاسع؛ وما كتبنا عليه؛ فإن له اتصالاً بما هنا؛ وقد

أطلت النفس في بلابل التغريد<sup>(١)</sup>؛ حينما تكلمت على قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غربياً؛ وسيعود كما بدأ غربياً؛ فطوبى للغرباء»<sup>(٢)</sup> بما لم أُسَبِّقَ إليه؛ وهو من أفراد مسلم؛ وأخرج شيخ الإسلام الأنصاري؛ من جهة الجنيد؛ عن السري؛ عن معروف الكرخي؛ عن جعفر الصادق؛ عن أبيه عن جده؛ عن علي بن أبي طالب؛ يرفعه: «طلب الحق غربة» وأخرجه ابن عساكر في تاريخه؛ مسلسلاً بالصوفية؛ وفي الحديث المرفوع: «الغرباء ناس صالحون قليلون؛ في ناس سوء كثير؛ من ينكرهم أكثر ممن يعرفهم»<sup>(٣)</sup> وكان الإمام أحمد؛ ينشد:

إِذَا ذَهَبَ الْقَرْنُ الَّذِي أَنْتَ مِنْهُمْ      وَخُلِّفْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبٌ  
وَأَمَّا ثانيهما؛ فمن قول البحري:

لَنَا فِي كُلِّ دَهْرٍ أَرْضَاءُ      نَعُودُ عِدَى وَحَالَاتٍ تَحُولُ  
وما أحسن فيه؛ من قول المعتصم بن صمادح<sup>(٤)</sup>؛ وهو متأخر عن الشريف؛ إذ لم تكن وفاته إلا سنة ٤٨٤هـ:

وَزَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ      وَطَوَّلُ اخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبٍ  
فَلَمْ تُرِنِي الْأَيَّامُ خِلَاءَ تُرِنِي      مَبَايِبِهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي الْعَوَاقِبِ

(١) كتاب لا زال مخطوطاً للإمام بن عبيد اللاه السقاف وهو تعليقاته على دروسه في كتاب التجريد على صحيح البخاري.

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٣) وفي كتاب كشف الخفاء: وللإمام أحمد بسند فيه ابن لهيعة، عن ابن عمرو مرفوعاً «الغرباء ناس قليلون صالحون». انتهى. ولفظ البدر المنير للشعراني: «الغرباء ناس صالحون قليلون في ناس سوء كثير من ينكرهم ممن يعرفهم».

(٤) المعتصم بن صمادح، المكنى أبو يحيى، أحد حكام الطوائف في الأندلس، لم يدخل في صراعات حكم الطوائف بل أحب دعة العيش والشعر والأدب وكان جزل العطاء حكم نحو واحد وأربعين عاماً. واضطر إلى خوض الكثير من الفتن والحروب مع خصومه من ملوك الطوائف، ومع قدراته الشعرية فإنه كان مهتماً بشؤون الدين، وله مجالس مشهورة للمناظرة والنقاش فيما يخص الشريعة الإسلامية.

ولا يبعد كثيراً عنه؛ قول الأفوه الأودي<sup>(١)</sup>:

بَلَيْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ      قَلِمٌ أَرَّ غَيْرَ ذِي قَيْلٍ وَقَالِ  
وَلَمْ أَرِ فِي الْخُطُوبِ أَشَدُّ هَوْلًا      وَأَضْمَبَ مِنْ مَعَادَاةِ الرَّجَالِ  
وَذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ طُرًّا      فَمَا شَيْءٌ أَمَرٌّ مِنْ السُّؤَالِ

ومن البديع؛ قول الشريف:

تَغَيَّرُ لِي أَخْلَاقٌ مَنْ كُنْتُ أَضْطَفِي      وَتَغْدُرُ بِي أَيَّامٌ مَنْ كُنْتُ أَضْحَبُ  
فأين الأستاذ<sup>(٢)</sup> من أمثاله؛ الجديرة بالاختيار؛ فأنها وإياه على حد قوله:

قَدْ عَرَفْنَاكَ بِاخْتِيَارِكَ إِذْ كَا      نَ دَلِيلًا عَلَى اللَّيْبِ اخْتِيَارُهُ  
وليكن على ذكر منك؛ ما جاء تحت البيتين (١٣) و(٧٠)؛ فإنه من مناسب  
الموضوع؛ وقديماً: آيسُ الناس؛ من وجود الخل الوفي؛ حتى قالوا:

فَعَلِمْتُ أَنَّ الْمُسْتَجِيلَ ثَلَاثَةٌ      الْغُولُ وَالْعَنْقَاءُ وَالْخَلُّ الْوَفِيُّ  
ومات جلهم بحسرة عليه؛ كما عرفت من أنين المأمون؛ السابق تحت  
البيت (٢٦)؛ ثم انقطعت منذ زمان؛ أطماع العارفين بالطباع؛ حتى وجود  
الأحرار الكرام؛ وقالوا: لو صحت صلاة بغير قرآن؛ لصحت بهذا؛ وهو  
للبديهي<sup>(٣)</sup>:

أَتَمَنَى عَلَى الزَّمَانِ مُحَالًا      أَنْ تَرَى مُقْلَتَايَ طَلْعَةَ حُرٍّ  
ومما ينسب إلى الشيخ أبي اسحاق الشيرازي:

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْ خِلِّ وَقِيٍّ      فَقَالُوا مَا إِلَيَّ هَذَا سَبِيلُ

(١) الأفوه الأودي شاعر جاهلي، لقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين ظاهر الأسنان. كان سيد  
قومه وقائدهم في حروبهم وهو يعد من شعراء العرب وحكمائهم.  
(٢) يقصد الدكتور زكي مبارك صاحب كتاب عبقرية الشريف الرضي.  
(٣) أبو الحسن علي بن محمد البديهي. من شعراء الصاحب بن عباد؛ مات سنة ٣٨٠هـ.



تَمَسَّكَ إِنْ ظَفِرَتْ بِوَدِّ حُرٍّ فَإِنَّ الْحُرَّ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ

وأنكر قوم حقيقة الإنسان؛ في جل الأفراد؛ حتى قال البحرني:

لَمْ تَتَّقِ مِنْ جُلِّ هَذَا النَّاسِ بَاقِيَةٌ يَنَالُهَا الْوَهْمُ إِلَّا هَذِهِ الصُّورُ

وقال أبو فراس؛ حسبما أسلفنا؛ تحت البيت (١٣):

لَقَدْ صَارَ هَذَا النَّاسُ إِلَّا أَقَلَّهُمْ ذُنَابًا عَلَى أَجْسَادِهِنَّ ثِيَابُ

وقال المتنبي؛ كما مرَّ في غير هذا المكان:

أَرَى أَنَا سَأَ وَمَخْضُولِي عَلَى غَنَمٍ وَذَكَرُ جُودٍ وَمَخْضُولِي عَلَى الْكَلِمِ

ثم جاء ابن الهبارية<sup>(١)</sup>؛ ولم يستثن قط؛ فقال:

حُذِّ جُمَلَةَ الْبَلَوَى وَدَعِّ تَفْصِيلَهَا مَا فِي الْبَرِيَّةِ كُلُّهَا إِنْ سَانَ

ولا بد من حمل آلة التعريف؛ في البرية؛ على العهد المخصوص بزمانه؛

أو مكانه؛ وما أحسن قول صدرر<sup>(٢)</sup>؛ من القصيدة السائرة؛ التي قالها في العميد

الكنندري<sup>(٣)</sup>:

(١) ابن الهبارية: سمي بذلك نسبة إلى هبار جده لأمه واسمه محمد بن محمد بن صالح

العباسي الهاشمي وهو شاعر هجاء ولد في بغداد، وأقام مدة في أصبهان، قال ابن خلكان: كان شاعراً مجيداً حسن المقاصد، لكنه كان خبيث اللسان كثير الهجاء، لا يكاد يسلم من لسانه أحد. توفي في كرمان سنة ٥٠٩هـ.

(٢) صدرر بن صربعر هو علي بن الحسن بن علي بن الفضل. شاعر مجيد، من الكتاب، كان

يقال لأبيه (صربعر) ليخله، وانتقل إليه اللقب حتى قال له نظام الملك: أنت (صردر) لا (صربعر) فلزمته. قال الذهبي: لم يكن في المتأخرين أرق طبعاً منه، مع جزالة وبلاغة. سقط به فرسه فهلك وذلك سنة ٤٦٥هـ هجاء أحد معاصريه فقال له:

لِسِنَّ لَقَّبَ النَّاسَ قِنَمًا أَبَاكَ وَسَمَّوْهُ مِنْ شُحِّهِ صَرَّ بَغْرًا

فإِنَّكَ تَنْشُرُ مَا صَرَّهْ عُقُوقًا لَهُ وَتَسْمِيَهُ شِعْرًا

(٣) الوزير الكبير عميد الملك، أبو نصر، محمد بن منصور بن محمد الكندري، كان أحد

رجال الدهر سوددا وجودا وشهامة وكتابة، وكنندر: من قرى نيسابور. تفقه وتأدب، ووز =

كُلُّ النَّكَالِ أَطِيقٌ إِلَّا ذَلَّةً  
بَا عَيْنٌ مِثْلَ قَدَاكِ رُؤْيَا مَعْنَرٍ  
لَمْ يُثْبِتْهُوا الْإِنْسَانَ إِلَّا أَنَّهُمْ  
نُجَسُّ الْعُيُونِ فَلِمَانَ رَأَتْهُمْ مُقْلَتِي  
أَنَا إِنْ هُمْ حَسِبُوا الذَّخَائِرَ دُونَهُمْ  
وَهُمْ إِذَا عَدَّوْا الْفَضَائِلَ دُونِي

إلا أنه لا يسلم من النقض أو التناقض؛ بفضله عليهم؛ بعد ما جردهم من الإنسانية مرة؛ وذكر ابن القيم في مفتاح دار السعادة؛ ما سبق من قول أبي عبادة؛ في كلام يناسبه؛ ثم قال: وخيرٌ من ذلك كله؛ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ حُجُبٌ مُسْنَدَةٌ...﴾<sup>(١)</sup>. ثم ذكر قول الشاعر:

رَوَائِلٌ لِلْأَسْفَارِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ  
بِجَبِيدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبَاعِرِ  
لَعَمْرُكَ مَا يَذْرِي الْبَعِيرُ إِذَا عَدَا  
بِأَوْسَاقِهِ أَوْ رَاحَ مَا فِي الْغَرَائِرِ

ثم رأيت بعض المغاربة؛ كما في نفع الطيب؛ يزيد عليه؛ حيث يقول:

أَشَدُّ يَدَيْكَ بِكَلْبٍ إِنْ ظَفِرَتْ بِهِ  
فَأَكْثَرُ النَّاسِ قَدْ صَارُوا حَنَازِيرًا

ولا يبعد عن الصواب؛ إذ الساكتون عن الحق مسموخون؛ إن لم يكن صورة؛ فمعنى؛ كما إليه الإشارة في التنزيل؛ وبعد ان سُقْتُ هذا؛ ذكرت قول لقيط الأيادي<sup>(٢)</sup>:

= لطرغريك ولما مات وزير لألب أرسلان قليلا ثم قتله ألب أرسلان سنة ٤٥٦هـ وعمره ٤٢ سنة، وكان معتزليا، له النظم والنثر ووزر بعده نظام الملك.

(١) سورة المتافقون، الآية: ٤.

(٢) لقيط بن يعمر بن خارجة الإيادي شاعر جاهلي فحل، من أهل الحيرة، كان يحسن الفارسية واتصل بكسرى، فكان من كتابه والمطلعين على أسرار دولته ومن مقدمي مترجميه، بعث إلى قومه، بني إياد، قصيدة يندهم فيها بأن كسرى وجه جيشاً لغزوهم فعرف بها كسرى فقطع لسانه ثم قتله. يقول فيها سلام في الصحيفة من لقيط \*على من بالجزيرة من إياد. =

عَوَى الذِّئْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذِّئْبِ إِذْ عَوَى وَصَوَّتْ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ

فعرفت أنها جِبَلَّةُ؛ وأن الأيام أولادِ عِلَّةُ؛ وأن الحُرَّ مُضَامٌ؛ وإن الزمان يجري من اهتضامه على نظام؛ والله در ابن معنوق<sup>(١)</sup> في قوله:

هَيْهَاتَ أَنْ أَلْقَاهُ وَهُوَ مُسَالِمِي  
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْمُعَرِّي:

سَكُوتٌ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ غَدْرُهُمْ  
لَا تُتَكْرَنَ فَعَلَى هَذَا مَضَى السَّلْفُ  
وقول الطغرائي:

إِنَّ الصَّلِيقَ هُوَ اسْمٌ مَعْنَى لَمْ نَجِدْ  
مَنْ لِي بِهِمْ وَاللَّهُ لَمْ يَخْلُقْهُمْ  
وقال الخالدي<sup>(٢)</sup>:

مَا فِي زَمَانِكَ مَا يَعْرُزُ وَجُودُهُ  
إِنْ زَمَنَهُ إِلَّا صَدِيقٌ مُخْلِصٌ

نسأل الله الألطاف؛ ولا سيما في خاتمة المطاف؛ وهذا آخر ما سمح به الخاطر؛ وتنفس به الذهن الفاتر؛ وها أنا ذا أقدّمه للاعتبار؛ وأدّلّ به على سوء الاختيار<sup>(٣)</sup>؛ وما أبرّيء قلبي عن مبالغة؛ أفرط فيها القول؛ ولا من مجازفة؛ اصطدم بها أثناء الجول؛ وهل يمكنني ان انكر المتنبّي؛ فضله؛ أو أجحده نضله؛

= بأن الليث كسرى قد أتاكم \* فلا يشغلكم سوق النقاد. أتاكم منهم ستون ألفاً \* يزجون الكتاب كالجراد على حق اتيناكم فهذا \* أو ان هلاككم كهلاك عاد.

(١) شهاب الدين بن معنوق الموسوي الحويزي. شاعر بليغ، من أهل البصرة. فلج في أواخر حياته، وكان له ابن اسمه معنوق جمع أكثر شعره توفي سنة ١٠٨٧هـ.

(٢) أبو بكر بن محمد الخالدي والخالدي نسبة إلى قرية الخالديه توفي في حدود ٣٨٦ في حلب.

(٣) يشير إلى سوء اختيار الدكتور زكي مبارك من أبيات الشريف الرضي لأنه اختار الشائع وأهمل الروائع كما دلت على ذلك.

وهو الذي يفتح الأغلاق؛ ويمنح الأعلاق؛ ومنها ما تشد حاجتي إليه الآن؛ من قوله:

وَهَبْنِي قُلْتُ هَذَا الصُّبْحُ لَيْلٌ      أَيْغَمَى الْعَالَمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ  
لا والله؛ لا يسعني وقد تعدت حاكماً؛ إلا أن أُسَلِّمَ له فضيلة السبق؛  
راغماً؛ فلقد برز على من قبله؛ وجعل كل من جاء بعده؛ عالة عليه؛ فليس  
بالقاسط في قوله:

وَمِنِّي اسْتَفَادَ النَّاسُ كُلَّ عَجِيبَةٍ      فَجَازُوا بِتَرْكِ الدَّمِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ حَمْدُ  
إذ كلهم من بحره يعترف؛ ما بين جاحد لفضله ومعترف؛ ولنضرب لك  
المثل؛ فوق ما مرَّ في هذه المجموعة؛ بالقصيدة التي تقدم بها الشريف؛ وهو في  
الخامسة عشر من عمره؛ للصاحب بن عباد؛ فأنها شاهدة على غرامه بشعر  
المتنبي؛ من نعومة أظفاره؛ وأنه لم يقلها إلا عن تعب؛ من مراجعة ديوانه؛  
وتقليب صفحاته؛ وهذه ألفاظها ومعانيها مستهلة؛ بأنَّها من كيسه؛ وهل يخفى  
على أحد؛ أن قول الشريف:

وَدَبَّرَ أَظْرَافَ الرَّمَّاحِ وَإِنَّمَا      يُدَبِّرُ قَبْلَ الطَّغْنِ رَأْيًا مُسَدِّدًا  
مأخوذ من قول المتنبي:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ      هُوَ أَوْلُّ وَهْيَ الْمَحَلُّ الشَّائِي  
وقد أخذه المتنبي؛ من قول حبيب؛ السابق تحت البيت (١٦١)؛ وهو:

وَلَيْسَ يُجَلِّي الْكُرْبَ رُمَحٌ مُسَدِّدٌ      إِذَا هُوَ لَمْ يُؤَنَّسْ بِرَأْيِ يُسَدِّدٌ  
وأن قول الشريف:

بِهِ طَالَ مِنْ خَطْوِي وَكُنْتُ كَأَنْبِي      أَسِيرٌ إِلَى نَيْلِ الْمَعَالِي مُقْبِدًا  
من قول المتنبي:

أَزَالَتْ بِكَ الْأَيَّامُ عَثْبِي كَأَنَّمَا      بَنُوهَا لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عُذْرٌ

وهر معنى كثير التداول؛ ما بينهم؛ وإن قول الشريف:

أَبَا قَاسِمٍ هَذَا الَّذِي قُلْتُ رَاجِيًا      لِأَرْغَمِ أَغْدَاءَ وَأَكْبَيْتَ حَاسِدًا  
ماخوذ من قول المتنبي:

أَرِلْ حَسَدَ الْحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ      فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَدًا  
إِذَا سَدَّ زَيْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِيهِمْ      صَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَفْطَعُ الْهَامَ مُغَمَّدًا  
وَأَنَّ قول الشريف:

وَلَيْلٍ دَفَعْنَاهُ إِلَيْكَ كَأَنَّمَا      دَفَعْنَا بِهِ لُجْأً مِنَ الْيَمِّ مُزِيدًا  
وَشَمْسٍ خَلَعْنَاهَا عَلَيْكَ مَرِيضَةً      وَكُنَّا لِبِسْنَاهَا رِدَاءً مُورَدًا  
من قول المتنبي:

وَيَوْمٌ وَصَلْنَاهُ بِلَيْلٍ كَأَنَّمَا      عَلَى أَفْقِهِ مِنْ بَرْقِهِ حُلٌّ خُضْرُ  
وَلَيْلٍ وَصَلْنَاهُ بِيَوْمٍ كَأَنَّمَا      عَلَى مَثْنِهِ مِنْ دَجْنِهِ حُلٌّ خُضْرُ  
وَأَنَّ على قول الشريف:

تَرَكْنَا لِأَيْدِ الْعَيْسِ مَا خَلَفَ ظَهْرَهَا      وَمَنْ ذَلَّ فِي دَارٍ رَأَى الْبُعْدَ أَحْمَدًا  
مسحة من قول المتنبي:

تَرَكْنَا لِأَطْرَافِ الْقَنَا كُلِّ شَهْوَةَ      فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بِهِنَّ لِعَابُ  
وَأَنَّ قول الشريف:

وَهِمَّةٌ مِقْدَامٍ عَلَى كُلِّ فَتْكَوَةٍ      يُفَارِقُ فِيهَا طَبْعُهُ مَا تَعَوَّدَا  
مبني على قول المتنبي:

لِكُلِّ امْرٍءٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا      وَعَادَةُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّمَنَ فِي الْعِدَا  
وَأَنَّ قول الشريف:

لَيْنٌ كُنْتُ فِي مَدْحِ الْعُلَى قَاعِرًا فَمَا      وَإِنْ ظَمِئْتُ آمَالَنَا كُنْتُ مَوْرِدًا

من قول المتنبي:

وَكَئِنَّ عَلَى بُعْدِ جَعَلْتُكَ مَوْعِدًا      إِذَا سَأَلَ الْإِنْسَانَ أَيَّامَهُ الْغِنَى

وإن قول الشريف:

تَفَرَّدَ لَا يَغْتَسِي إِلَّا غَيْرَ نَفْسِهِ      حَدِيثًا وَلَا يَدْعُو مِنَ النَّاسِ مُنْجِدًا

مأخوذ من قول المتنبي:

تَفَرَّبَ لَا مُسْتَعْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ      وَلَا قَائِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمًا

هذا ما ظهر؛ بيادي الرأي؛ من قطعة صغيرة من القصيدة؛ إذ لم تكن عندي كلها؛ وما عرضت عنه؛ مما بين يدي؛ أكثر مما عرَّفْتُ به؛ لأنه يكفي من السوار؛ ما أحاط بالمعصم؛ وفيه أوضح الشواهد؛ وأرجح الفوائد؛ غير أن المتنبي؛ كما قلت في العود الهندي؛ قلَّما تتساقق أغراضه؛ وتتقاطر فصوله؛ ويطرِّد نظامه؛ إلا في صفة الحرب؛ وفي قصائد معدودات؛ ولذا تجد في البيت؛ تتمثل به من شعره وحده؛ رواءً ورونقاً وروعة؛ لا تجدها فيه؛ عندما تنشده بين إخوانه<sup>(١)</sup>؛ فإمَّا أن يكون مغموراً بجمالها؛ وإمَّا أن يكون مظلوماً بانحطاطها<sup>(٢)</sup>؛ ولقلَّما سنح بذهني؛ بعض أبياته الشاعرة؛ في مناسبة أصارت إليه؛ إلا ونزل الرجل؛ بأقصى غاية في نفسي من الإعظام؛ حتى إذا حملني الإكبار له؛ على التزيد؛ ورجعت إلى الديوان؛ انحطَّ من عيني انحطاطاً؛ يتبين به البون البعيد؛ والفرق الكبير؛ وما أرى الناظر إلا يوافقني على ذلك؛ لأنه في حكم المحسوس؛ وعلى كل حال؛ فإنه؛ ولا سيَّما بالنظر إلى تلك الفوائد؛ أبعد الجماعة مرمى؛ وأجزلهم نظاماً؛ فَلْتُسَلِّمْ له إمارة البيان؛ ولتُمنَّحْ ناصيته يوم الرهان؛ إذ لا يشق له غبار؛ فيلزم له الإكبار؛ وأنا متردد بعد في المفاضلة؛ بين الطائي<sup>(٣)</sup>؛ والبحثري؛

(١) يقصد مع بقية أبيات القصيدة نفسها.

(٢) يقصد حال البيت الرائع من نفس القصيدة.

(٣) يقصد: أبو تمام حبيب بن أوس الطائي.

وابن الرومي؛ وأبي فراس؛ فأما الاول: فمقدم الصناعة؛ وجالب البضاعة؛ وفانح الرتاج؛ ومنجب التاج؛ إلا أنه؛ أكثرهم غثاً؛ وأوفرهم رثاً؛ وأما الثاني: فقد اعترف؛ بأنَّ جَيِّدَهُ دون الاول؛ وليس إلا على الجيِّد؛ المَعْوَلُ؛ وهو في ذلك صادق اللسان؛ لا يَهَاضِمُ لِنَفْسِهِ؛ ولا سييء ظنٍ بالإحسان؛ وله مع ذلك بدائع؛ تأخذ بانسجامها الأبواب؛ وتدخل عليها من كل باب؛ وقد أعانه على الإجابة؛ ما في عمره من الطول؛ بخلاف أصحابه؛ فقد استعجلهم الغول؛ وأما الثالث: فأعذبهم في المباني؛ وأغوصهم في المعاني؛ يكسوها العُرْزُ والأوضاع؛ ويوضحها غاية الإيضاح؛ إذا استثنينا بعض قصائد؛ تكلف لها الجول؛ وتصعب قوافيها لرياضة القول؛ وأما الرابع: فالطاهر الإهاب؛ والقائد المهاب؛ يصدق فعله المقال؛ ويصقل شعره الاعتقال؛ كُلُّ نظمه فصوص؛ وبينه وبين الشريف عموم وخصوص؛ هذا لائح الأمر؛ وأما بَتُّ الأكام؛ فلا بد له من تحديق وتحقيق؛ كما فعلت في صوب الركام؛ ولربما أخذتني من كلام أحدهم؛ هزة ونخوة؛ فينقلب رأبي فيه؛ ولا ملام؛ فقد اضطرب الخليفة الثاني؛ في الجد والأخوة<sup>(١)</sup>؛ ثم رأيت ما مَيَّلَ به ابن الأثير؛ بين الثلاثة؛ فلم يستفزني عما قلت؛ لإنه: ليس ممن يؤخذ قوله؛ قضية مسلمة؛ إذ كانت له أغلاط فاضحة؛ في الأدب؛ يظهر بعضها لمن تَقَرَّأ كتابي؛ العود الهندي؛ على أنني على قريب من الاتفاق معه؛ في البحثري؛ والحمد لله أولاً واخيراً؛ وصلى الله على سيدنا محمد؛ وعلى آله وصحبه وسلم؛ تسليماً كثيراً.

(١) يشير إلى المفهوم الفقهي في ميراث الجد والاخوة.

## تنبيهات

أولها: ذكرت في المقدمة فراغي منه في أيام قليلة؛ وكذلك الحال؛ ولكن زدت في حواشي المقالة الثالثة؛ وما بعدها زيادات كثيرة؛ بحسب الموافقات.

ثانيها: صرح علماء الفن: بأن لا تطلق السرقة؛ على شيء من المعاني المشتركة؛ فقولنا فيما كان من بابتها: هذا مأخوذ من كذا؛ إنّما هو لما اقترحه الأستاذ؛ من بيان المآخذ؛ مع ما يقتضيه صنيعه من إدعاء؛ أنّها كلها من المخترعات.

ثالثها: لا ينبغي لناظر؛ أن يبادر بإنكار المناسبة؛ في بعض ما تذكره من المآخذ؛ حتى يطيل النظر؛ ويتعب الفكر؛ ويكون ممن مارس الفن؛ وإلا وقع فيما وقع فيه المعترضان؛ المشار إليهما؛ في حاشية المقدمة.

رابعها: لا مشابحة في اختلاف لفظ الأبيات التي أوردتها؛ مع الاحتفاظ بالمعنى؛ لاعتمادي على الحفظ في الأغلب؛ أما العزو؛ فقلماً اذكره إلا عن جزم صحيح؛ غير أنني كثيراً ما أرى اختلافهم فيه؛ فلا مؤاخذه؛ وهذا إمام الأدب؛ الجاحظ؛ يعزوا البيت في صفحته؛ لرجل؛ ثم بعدها بقليل؛ يعزوه لآخر.

خامسها: لم يكن نظري إلى نواذر الشريف؛ إلا على ما جاء في كتاب الأستاذ زكي؛ من استقلالها؛ فلا آمن ذهاب فهمي؛ إلى خلاف المراد؛ باعتبار السوابق واللواحق؛ التي لم أرجع فيها إلى كتاب؛ حال النقد؛ سوى ما كان في العود الهندي؛ وما أعانني عليه العهد القديم<sup>(١)</sup>.

سادسها: لو تسمى هذا: بالنجم المضيء في نقد عبقرية الرضي؛ لكان

(١) أي ما حفزه في صباه.



أولى؛ إذ ربما تضعف مناسبته للاسم؛ الذي وسمته في المقدمة؛ لانحراف؛ نكرته الآن؛ عن مجراه؛ بسبب انصراف الخواطر؛ إلى ما رأيت؛ ومن عادتي أن اتركها وشانها؛ وأرخي لها عنانها؛ إذ لو صادرتها؛ لوقعت في الإستكراه والإستقال؛ وقد قال صاحبنا؛ مانح الأعلاق<sup>(١)</sup>:

أَبْلَغُ مَا يُطْلَبُ بِهِ النَّجَاحُ الطُّ — بَعُ وَعِنْدَ النَّعْمِ الرِّزْلُ

سابعها: أنني وإن نبّهت على كثير من الغثاء؛ وجملة من السفسة؛ فالعائد من اللوم في ذلك؛ إلى أن الإختيار؛ زائد بمئات المرات؛ على الإنشاء؛ فالأستاذ هو المقصود؛ وإنما كان الشريف على الطريق إليه؛ فلم يمكننا ان نتخطاه؛ وإلا فله من الحسنات؛ ما يضحمل معها أكثر السيئات؛ إلى ما طبع عليه الشعراء؛ من الظنة بمتوجات افكارهم؛ والفتنة بها؛ الا ترى للطائي<sup>(٢)</sup>؛ كيف يقول:

وَيْسِيءُ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا لَا كَمَنُ بِأَتِيكَ وَهُوَ بِشِعْرِهِ مَفْتُونُ

مع انه لو نوقش الحساب؛ في نفس القصيدة؛ فضلا عما سواها؛ لتبين من غثها مالا تنكره اذواق المنصفين؛ وما بالك بقوم؛ يبلغ الحرص بأحدهم؛ إلى ان لو مات اعز الناس عنده؛ فنفت صدره بما فيه من الحزن عليه؛ في مرات انعمت عينه؛ بعد ما اسهره تنقيحها؛ ثم خير بين ان يعود عزيزه إلى الحياة؛ بفرض الامكان؛ لما اختار ذلك؛ او لأعتلجت بصدرة الخواطر؛ على الاقل؛ لأن في رجوعه؛ هلاك مراثيه؛ وهو عليها احرص؛ وبها اعجب؛ وهل يمكن للتهامي؛ أن يختار ولده؛ على تلك المراثي؛ التي أحيتها خلودا؛ ورفعته إلى قبة السماء صعودا؛ كلا والف كلا؛ لا سيّما؛ إذا انضم إلى ذلك؛ صحة ايمان؛ قرصيّ؛ واتخذة عند الله ذخرا واجرا؛ ولقد اشرت بالرثاء على اديب؛ تبيغ به الحزن على امرأة له؛ ملكت هواه؛ ففعل واجاد؛ ويقيني انه صدق عليه؛ ما قررته؛ فإن

(١) يقصد الممتني.

(٢) أبو تمام.

اعترف؛ وإلاً؛ فماهي إلا مكابرة؛ ولئن أُثِرَ عن جماعة من الشعراء؛ كزهير  
والاخطل وابن الرومي؛ السخاء بالمرذول؛ فإنما هو؛ لفرط الشح بالمقبول؛  
واخرى؛ وهي أن الشاعر لا يقدر على كتم ما تجود به قريحته؛ وإن كان فيه  
ضرورة؛ إلا بوازع يخرق العادة؛ من العقل؛ وقلما تجد ذلك عند الشعراء؛  
لصفاء اديمهم؛ وخفة نسيمهم؛ ومن تَقَرَّى دواوينهم؛ ولا سيما المتنبي والرضي؛  
عرف انهم بمعزل عن الحزم والدهاء؛ وبه تتمهد للشاعر الاعذار؛ وتؤكد التبعة  
على المختار.

ثامنها: لو استقبلت من امري ما استدبرت؛ لكانت العبارة اعذب؛ وترتيب  
الشواهد انسب؛ أمّا الآن؛ فقد ابقيت المقالة الثالثة؛ وما بعدها؛ على حالها؛  
سوى ما زدته في الحواشي من الملحقات؛ إذ لم يسمح لها الزمان؛ بما سمح به  
للمقالتين الاوليين؛ من إستيناف العناية؛ على ان في الحاصل؛ بحمد الله؛ ما  
يزيد على الكفاية؛ والله سبحانه وتعالى؛ ولي التوفيق؛ وصلى الله على سيدنا  
محمد وآله وصحبه وسلم.

## فهرس كتاب النجم المضيء

|         |  |
|---------|--|
| ٥.....  | بين يدي هذا الكتاب                           |
| ١٣..... | مقدمة محقق الكتاب                            |
| ٢٣..... | التعريف بالامام عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف |
| ٢٧..... | لمسة وفاء لمن شارك في هذا الكتاب             |
| ٣٣..... | مقدمة المصنف صفحة                            |

### المقالة الاولى

|         |   |
|---------|---|
| ٤٦..... | سبب خمول الشريف وشهرة المتنبى                               |
| ٤٧..... | معاناة الشريف شبيهة بمعاناة جده الامام علي                  |
| ٤٨..... | حسد قريش ومعاملة المرتضى لآخيه الرضي                        |
| ٤٩..... | العوامل التي اثارت الشر بين الشريفين الرضي والمرتضى         |
| ٣٥..... | العوامل التي ساعدت على شهرة المتنبى                         |
| ٥٥..... | عدم تصديق خبير الموت للاستعظام عند الشعراء                  |
| ٥٧..... | لماذا يفضل سيف الدولة المتنبى على ابن عمه ابي فراس الحمداني |
| ٦٠..... | الحسد في قريش لا ينقطع بالموت                               |
| ٦١..... | الخروج عن المألوف سبب للشهرة                                |

### المقالة الثانية

|         |  |
|---------|--|
| ٦٢..... | الامام بن عبيدالله يحب الشريف لكنه يتوخى الانصاف |
|---------|--|

- ٦٦..... مدح الطوال
- ٦٧..... غارات الصبح وقصة المتروف ضرطا
- ٦٨..... انزال العقوبات الالهية في الصباح
- ٧٠..... نادرة لبعض القضاة
- ٧١..... اللبن اسوغ من الماء
- ٧٣..... وصف الحرب وغنائم الحرب
- ٧٣..... تيمورلنك وعلماء الشام
- ٧٥..... الاستسلام لجمال النساء
- ٧٦..... ليس بمقبول من الشريف اعتبار الغنائم ذريعة للحرب
- ٧٨..... الحسن البصري يسلم للفرزدق في الفقه
- ٧٩..... جرير يقذف اخت الفرزدق الصالحة ثم يندم
- ٧٩..... الاسر لايحل من مسلمة حرمة اما الكافرة فنعم
- ٨١..... الحياة جهاد والعز تعب
- ٨٥..... المدح بالوقاحة والعبوس
- ٨٦..... مدح البشاشة في احرص المواقف
- ٩٠..... تشبيهات شعرية غير لائقة
- ٩٢..... تلعمث ثابت بن قطنه على المنبر ثم تداركه
- ٩٣..... الخنساء مدحت بما يشبه الهجاء
- ٩٦..... يزيد بن المهلب مضرب المثل في الالباء
- ٩٨..... الاعتذار عن الاسر
- ١٠٠..... ذكر الخمر في اشعار العرب
- ١٠١..... الشعر يدفع لشرب الخمر
- ١٠٤..... اغلب نسيب المتنبي في بنات البادية

- ١٠٦ ..... اعرابي يفحم خطيب العرب  
 ١٠٧ ..... التفضيل بين البادية والحاضرة  
 ١١٠ ..... الرد على رايه ان الفتى هو الاشعث المفرق  
 ١١٥ ..... المتنبى والشريف والحرص على المال  
 ١١٧ ..... كره الحرب الا عند الاضطرار لها  
 ١٢٣ ..... للشريف ابيات كثيرة في الزهد لكنها متكلفة  
 ١٢٥ ..... انحطاط مستوى اختيارات زكي مبارك من شعر الشريف

### المقالة الثالثة

فأما قوله (١):

إِذَا قُلَّ مَالِي قَلَّ صَاحِبِي وَإِنْ نَمَّا  
 فَلِي مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَهْلٌ وَمَرْحَبٌ

- ١٢٩ ..... قصة اصل هذا البيت  
 ١٢٩ ..... من قتل مرحب  
 ١٣٠ ..... من قل ماله هان على اهله وقومه

فأما قوله (٢):

يَفْرُ الْفَتَى مَا طَالَ مِنْ حَبْلِ عُمُرِهِ  
 وَتُرْخِي الْمَنَابِإَ بُرْهَةً ثُمَّ تَجِدُبُ

- ١٣٤ ..... ذكر ابيات متعددة بنفس المعنى

فأما قوله (٣):

الْمَعْنَى فِي الْأَيَّامِ الْمَعْرُوبَةِ  
 وَفِي حَيْثُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا طَيْرٌ وَرِيَاءٌ

- ١٣٥ ..... ابيات متعددة بنفس المعنى

فأما قوله (٤):

الْمَعْنَى فِي الْمَعْنَى فِي الْمَعْنَى فِي الْمَعْنَى  
 فِي الْمَعْنَى فِي الْمَعْنَى فِي الْمَعْنَى فِي الْمَعْنَى

١٤٠ ..... احاديث في الفداء

فأما قوله (٥):

كُلُّ حَبْسٍ يَهُونُ عِنْدَ اللَّيَالِي      بَعْدَ حَبْسِ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ

١٤٢ ..... فكرة البيت من آراء الفلاسفة والصوفية

فأما قوله (٦):

عَلَامَةُ الْعِرْزِ أَنْ حُسِدَتْ بِهِ      إِنَّ الْمَعَالِي قَرَائِنُ الْحَسَدِ

١٤٦ ..... مصادر اقتباس معنى صدر البيت وعجزه

فأما قوله (٧):

يَبْتَالُ الْفَتَى مِنْ ذَهْرِهِ قَدْرَ نَفْسِهِ      وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الرِّجَالِ الْمَكَائِدُ

١٤٦ ..... نقد البيت بحسب المعنى المراد منه

١٤٨ ..... دلالات اعجاب الشريف الرضي بالمتنبي

فأما قوله (٨):

بِعَرَفِكَ الْأَخْوَانَ كُلَّ بِنَفْسِهِ      وَخَيْرَ أَخٍ مِنْ عَرَفْتِكَ الشَّدَائِدَ

١٤٩ ..... الامور التي تعرف بها العدو من الصديق

١٥١ ..... الضغينة تظهر في العيون

١٥٢ ..... الغيبي والمتغابي

فأما قوله (٩):

الغريب الغريب الذي تنأى التماسك به      إن الغريب قريب غير مرود

١٥٢ ..... تعريف الغريب والبعيد

- الفقر مع القرب من اكبر اسباب البغض ..... ١٥٢
- التعود من الفقر ..... ١٥٤
- الفقر اقبح صاحب ..... ١٥٥

### فأما قوله (١٠):

مَا الْفَقْرُ عَارٌ وَإِنْ كَسَفَتْ عَوْرَتَهُ      وَأَنَّ الْعَارَ مَالٌ غَيْرُ مَحْمُودٍ

- التكافؤ بين الغني والفقير ..... ١٥٦
- نعمة الغنى وذل الفقر ..... ١٥٨
- الفقر والمرؤة والتجمل ..... ١٥٩

### فأما قوله (١١):

إِذَا بَزَّنِّي مَالِي عَطَاءً طَلَبْتُ      حَمِيداً وَطَالِبْتُ الْقَوَاضِيَّ بِالرَّدِّ

- استعمال عدد من الشعراء الفحول لنفس المعنى ..... ١٦٠

### فأما قوله (١٢):

إِذَا الشَّمْسُ غَاضَتْ كُلَّ عَيْنٍ صَحِيحَةً      فَكَيْفَ بِهَا فِي هَذِهِ الْمُقَلِّ الرَّمْدِ

- مصادر المعنى ..... ١٦١
- العمياء والرمداء قريب من السواء ..... ١٦١
- نصائح الشعراء لرمد العين ..... ١٦٢

### فأما قوله (١٣):

بَلْ حَرَّكَ كَادَ فِي الْعَرَفِ وَأَكْبَلْ      مِنْ حَانَ تَرَابِ فِي الْبَلَدِ

- المعنى غير حقيقي وسببه الحقن ..... ١٦٣
- نفس المعنى بطريقة مقبولة من شعراء آخرين ..... ١٦٣

- الصديق الحقيقي ..... ١٦٨  
 مسألة اطلاق الاخوة على الاجنبي ..... ١٦٩

فأما قوله (١٤):

وَاهَا لِنَفْسٍ حُبِسَتْ فِي جِلْدِي    إِنَّ الْأَسِيرَ غَرَضٌ بِالْقَدْرِ

- معناه مشابه لما سبق ولفظه فيه اقتباس عن المتنبي ..... ١٧٠

فأما قوله (١٥):

وَعِتَابُ الزَّمَانِ مِثْلَ عِتَابِ الْعَمِّ    مِنْ تَنْهَى وَدَمَعُهَا فِي أَرْبَابِ

- المعنى مقتبس من ابي نواس ..... ١٧١  
 الحزن ينشف الدمع ..... ١٧٢

فأما قوله (١٦):

وَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا لَنَا بِمُطِيعَةٍ    وَلَيْسَ لِخُلُقِي مِنْ مُدَارَتِهَا بُدُ

- المرأة شر لا بد منه ..... ١٧٣  
 كلام حكيم لابن الحنفية ..... ١٧٤

فأما قوله (١٧):

وَالْمَالُ أَمْوَانٌ مَطْلَبٌ مِنْ أَنْ أَرَى    ضَرْعاً أَرَأَيْتَ دُونَهُ وَأَذَارِي

- السؤال وارقة ماء الوجه ..... ١٧٤

فأما قوله (١٨):

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ الرِّجَالَ وَالرِّجَالَ    كَالرِّجَالِ وَالرِّجَالَ وَالرِّجَالَ

- الهمّة رسول التوفيق ..... ١٧٥



- معنى التفتح والدناءة ..... ١٧٥  
 الهمة العالية لاتقف عند حد ..... ١٧٧

### فأما قوله (١٩):

مَا أَنْصَفَ الْفَاسِقُ فِي لَحْظِهِ لَمَّا أَرَانَا عِمَّةَ الْعَابِدِ

- متى كان الفاسق مظنة الانصاف ..... ١٧٨  
 المقارنة بين بيت الشريف وبيت المتنبى ..... ١٧٩  
 عفة الازار وتمزق السراويلات ..... ١٨٠  
 بعض الصغائر عند لقاء المحبوب ..... ١٨١  
 التمويه حتى لا ينكشف العاشق والمعشوق ..... ١٨٣

### فأما قوله (٢٠):

كُنْتُ أَذَارِي كَيْدِي لَوْنَرْتُوَالِي كَيْدًا

- ايات لشعراء آخرين بمعان اوضح ..... ١٨٤

### فأما قوله (٢١):

وَإِنْ حَدِيثَ النَّفْسِ بِالشَّيْءِ دُونَهُ رِمَالُ النَّقَا مِنْ عَالِجٍ لِشَدِيدِ

- مصادر معنى البيت ..... ١٨٥

### فأما قوله (٢٢):

وَجَدُوا وَمَا جَادُوا وَمَحَقَقَبَ لَلْوَمِ مِنْ أَثَرِي وَلَمْ يَجِدِ

- المعنى ماخوذ عن الشافعي والبحري ..... ١٨٧  
 اصل المعنى للفرزدق ..... ١٨٧  
 هجاء الغني البخيل ..... ١٨٨  
 فضائل الكرم وبذل المال ..... ١٨٩

فأما قوله (٢٣):

أَمَا كَانَ فِيكُمْ مُجْمِلٌ أَوْ مُجَامِلٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيكُمْ أَهْرَ جَوَادٍ

- ١٩٠ ..... بيت جميل معناه مقتبس عن ابي تمام و ابي فراس  
١٩١ ..... الكرم ليس بالمال فقط

فأما قوله (٢٤):

مَا مُقَامِي عَلَى الْجَدَاوِلِ أَرْجُوهُ لِنَيْلٍ وَقَدْ رَأَيْتُ الْبَحَارَا

- ١٩٢ ..... المعنى ماخوذ عن المتنبى

فأما قوله (٢٥):

إِذَا قَيَّدَ النَّيْلُ خَطْوَ الْمُنَى مَشَى النَّوْمُ فِي مُقْلَةِ السَّاهِرِ

- ١٩٣ ..... صعوبة النوم على المكروب والعاشق  
١٩٤ ..... كلام ابقراط في الهم والغم  
١٩٥ ..... التمنى راس مال المفاليس

### المقالة الرابعة

فأما قوله (٢٦):

لِيَحَا إِلَهُ دَهْرًا كَثِيرًا الْعَدَاوَةَ وَحَتَّى يَطْلُبَ الْحَسَادَ وَالشُّعْرَا

- ١٩٦ ..... تألم الشعراء من كثرة الاعداء والحساد  
١٩٧ ..... الخداع والنفاق والعداوة

فأما قوله (٢٧):

هَذَا الْبَيْتُ بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ أَنْسَبُ

- ١٩٩ ..... هذا البيت بغير الاسلام انسب

الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ..... ٢٠٠

فأما قوله (٢٨):

وَمَا فُخِرَ الْعَفِيفِ الْجِسْمِ      إِنَّ فَسَقَتْ سَرَائِرُهُ

المعنى للمتنبى واصله من حديث ابن الخطاب ..... ٢٠٠

العشق مع العفة ..... ٢٠١

فأما قوله (٢٩):

مَنْ يَعْشَقَ الْعِرْزَ لَا يَرْنُو لِعَانِيَةٍ      فِي رَوْنِقِ الصَّفْوِ مَا يُغْنِي عَنِ الْكَدْرِ

ايات لشعراء آخرين بنفس المعنى ..... ٢٠٢

الحب من وسائل الشرف والمجد ..... ٢٠٣

لؤم وعقوق شاعر ..... ٢٠٤

لو اختار زكي مبارك هذا البيت لنصر الشريف ..... ٢٠٥

فأما قوله (٣٠):

وَاللَّيْثُ لَا تَرْهَبُ الْأَفْرَانَ طَلَعَتْهُ      حَتَّى يُصِمَّ مِنْهُ النَّابُ وَالظِّفْرُ

الشريف اقتبس من المتنبى والمتنبى اقتبس من حبيب ..... ٢٠٥

فأما قوله (٣١):

مَا كُلُّ نَسْلٍ الْفَتَى تَزْكُو مَعَارِسُهُ      قَدْ يُفْجَعُ الْعُودُ بِالْأَوْزَاقِ وَالشَّمْرِ

الكلام في عدم زكاء النسل كله ..... ٢٠٦

تخلف نجابة اولاد الكرام ..... ٢٠٧

فأما قوله (٣٢):

كَمْ حَاطِبٍ حَنَانُهُ حَبْلٌ فَأَقْعَصَهُ دُلًّا      وَشَرُّ الْجِبَالِ الْحَيَّةُ الذَّكْرُ

المعنى مقتبس عن الفرزدق وابن الرومي والمتنبى ..... ٢٠٨

## فأما قوله (٣٣):

سَالِمٌ تَصَارِيْفَ الزَّمَانِ فَمَنْ يَرُمُ حَرْبَ الزَّمَانِ يَعُدُّ قَلِيلَ النَّاصِرِ

- من كابد الامور عطب ومن اقتحم اللج غرق ..... ٢٠٩  
شعرة معاوية ..... ٢١٠

## فأما قوله (٣٤):

لَوْ كَانَ حِفْظَ النَّفْسِ يَنْفَعُنَا كَانَ الطَّبِيبُ أَحَقَّ بِالْعُمْرِ

- الموت لا يرده التوقي ولا يمتنع على الطيب ..... ٢١١

## فأما قوله (٣٥):

كُلُّ يَوْمٍ نَزْدُمُ لِلدَّهْرِ عَهْدًا خَانَ فِيهِ وَنَشْتَكِي مِنْهُ غَدْرًا

- الانسان يحيل فشله على الدهر ..... ٢١٢  
لا يفسد الزمان ولكن يفسد الناس ..... ٢١٤  
قصة دعبل الخزاعي مع الجارية ..... ٢١٤

## فأما قوله (٣٦):

إِنَّمَا الْمَرْءُ كَالْقَضِيبِ تَرَاهُ يَكْتَسِي الْأَخْضَرَ الرَّطِيبَ لِيَعْرِى

- مصادر اقتباس المعنى ..... ٢١٥  
وعض زر بن جيش لعبد الملك بن مروان ..... ٢١٦  
حاشا الشريف ان يتاثر بكلام الفلاسفة ..... ٢١٧

## فأما قوله (٣٧):

إِذَا تَشَاءَ تَكُنَا قُلُوبًا فَإِنَّا نَحْنُ بَيْنَ نَجْمٍ وَنَجْمٍ

- قرب الديار لا يغني مع بعد القلوب ..... ٢١٨  
مذاهب الشعراء في بعد الاحباب ..... ٢١٩

## فأما قوله (٣٨):

وَمَنْ قَيْدَ الْأَلْفَاظِ عِنْدَ نِزَاعِهَا      بِقَيْدِ النُّهْيِ أَعْنَتْهُ عَنِ طَلَبِ الْعُدْرِ

- آفات اللسان ..... ٢٢٠  
 آيات في فضل الصمت وضرر الكلام ..... ٢٢١  
 زلة الرجل وزلة اللسان ..... ٢٢٢  
 جزالة الشعر الحضرمي ..... ٢٢٣  
 الحضارم اشعر الناس ..... ٢٢٤

## فأما قوله (٣٩):

وَالْمَرْءُ تُنْهَضُهُ إِمَّا شَجَاعَتُهُ      إِلَى الْمُلِمِّ وَإِمَّا خِشْيَةَ الْعَارِ

- اسباب الشجاعة ..... ٢٢٥  
 الجيوش المتدبنة تغلب غير المتدبنة ..... ٢٢٦

## فأما قوله (٤٠):

وَهَلْ نَافِعِي يَوْمَ أَضْيَى مَدَى      إِذَا صَابَ وَادِي قَوْمِي الْمَطَرُ

- اقتباس المعنى بين الشعراء ..... ٢٢٦  
 المعري على رأي اشتراكي ..... ٢٢٧  
 الحكيم الروماني سنكا ..... ٢٢٧

## فأما قوله (٤١):

وَالنَّاسُ أَسَدٌ نُحَامِي عَنِ فَرَائِسِهَا      إِمَّا عَقَرَتْ وَإِمَّا كُنْتَ مَعْقُورًا

- معنى البيت : الحرب سجال و آيات في نفس المعنى ..... ٢٢٨

## فأما قوله (٤٢):

وَالنَّاسُ كَلٌّ كَالنَّامِ وَالْمُؤْمِنُونَ كَالنَّجْمِ الْمُضِيِّ

- ٢٣٠ ..... فوائد الظلام وكذب المانوية
- ٢٣١ ..... ابيات لاتمدح الصباح
- ٢٣٢ ..... قصة ثور العقيلي

فأما قوله (٤٣):

مَأْكَلٌ مُثْمِرَةٌ تَخْلُو لِذَائِقِهَا    إِنَّ السِّبَاطَ لَهَا مِنْ مِثْلِهَا نَمْرٌ

- ٢٣٣ ..... المصنف يعتبر البيت معقد ويحتمل عدة معان

فأما قوله (٤٤):

وَهَبَكَ اتَّقَيْتِ السَّهْمَ وَالسَّهْمُ يُتَّقَى    فَمَنْ لِيَدِ تَرْمِيكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي

- ٢٣٤ ..... ذكرايات في نفس المعنى
- ٢٣٥ ..... بيت بديع لزهير بن جناب

فأما قوله (٤٥) و(٤٦):

يَقُولُونَ نَمٌ فِي هَذَاؤِ الدَّهْرِ أَيْمَانًا    فَقُلْتُ: وَمَنْ لِي أَنْ يُهَادِنِي الدَّهْرُ  
هَلِ الحَرْبُ إِلا مَا تَرَوْنَ نَقِيصَةً مِنَ العُمُرِ أَوْ عُدْمًا مِنَ المَالِ أَوْ عُسْرًا

- ٢٣٦ ..... معنى البيت الاول لارسطو
- ٢٣٧ ..... ابيات بنفس المعاني
- ٢٣٩ ..... عدم الاطمئنان الى الدنيا

فأما قوله (٤٧):

وَمَهْلٌ نَافِعٌ يَوْمًا وَحَدَّكَ رَاحِلٌ    إِذَا قَبِلَ يَوْمَ الرِّيحِ أُنْكَ تَارِيحٌ

- ٢٤٠ ..... الكلام على الحظوظ والجدود
- ٢٤١ ..... الشكوى من سوء الحظ

فأما قوله (٤٨):

إِنْ زِدْتَهُمْ فَلَقَدْ نَقَضْتَهُمْ إِنَّ الزِّيَادَةَ بِالشَّنَاءِ نَقْضٌ

٢٤٢ ..... مصادر المعنى

فأما قوله (٤٩):

وَمَنْ المَخَازِي عِنْدَ لِابْسَهَا مَالِ التَّوَارِي الإِزْرُ وَالْقُمْصُ

٢٤٣ ..... مصادر اقتباس المعنى

٢٤٣ ..... ذهاب الحياء

٢٤٤ ..... كلام في الحياء

فأما قوله (٥٠):

يَقْدِمُ البَّاسِلُ الأَبِيَّ عَلَيَّ الحَثِّفِ وَفِيهِ عَنِ الهَوَانِ نُكُوضٌ

٢٤٥ ..... معنى البيت مبتدل ولفظه بارد

٢٤٦ ..... خوف الذل والعار من خصال العرب

٢٤٧ ..... قوة بأس الامام يحيى حميد الدين

فأما قوله (٥١):

وَكَيْفَ وَفُورُ العِرْضِ وَالمَالُ وَافِرٌ وَمَنْ يَحْزُنُ الأَمْوَالَ يُنْفِقُ مِنَ العِرْضِ

٢٤٨ ..... مصادر اقتباس معنى البيت

٢٤٨ ..... خالد بن صفوان وهشام بن عبدالملك

٢٤٩ ..... الجود والمنع بحقهما

فأما قوله (٥٢):

وَالسَّيْفَانِ مِرَّةً عَلَيَّ مَامِدٌ وَوَعَهَا إِنْ هُوَ لَمْ يَطِئْ

٢٤٩ ..... المصنف لم يفهم المعنى ثم وجده في بيت المتنبي

٢٥٠ ..... الرعب بقى اثره

فأما قوله (٥٣):

أَلَا إِنَّرُمْحاً لَا يَصُورُ لِنَبْمَةٍ      وَإِنْ حُسَاماً لَا يَقْدُ قَطِيعُ

٢٥١ ..... السيف بصاحبه

فأما قوله (٥٤):

وَبَعْضُ مَقَالِ الْقَائِلِينَ مُكَذَّبٌ      وَبَعْضُ وَدَادِ الْأَثْرَبِينَ خَدُوعٌ

٢٥٣ ..... المدح بالصدق والكذب

٢٥٤ ..... القرابة والمرؤة

٢٥٥ ..... الاقارب كالعقارب

فأما قوله (٥٥):

مَالَبْتُ مَنْ يُمِيسِي مَجَازاً لِلْكَرَى      وَمَعْرَجِ الْقَدْرِ الْمُغْدِ الْمُسْرِعُ

٢٥٦ ..... المنايا والاعمار

فأما قوله (٥٦):

أَرَى بَارِقاً لَمْ يَرُونِي وَهُوَ حَاضِرٌ      فَكَيْفَ أَرْجِي رَبَّهُ وَهُوَ شَاسِعٌ

٢٥٧ ..... في الشكر على الهبة

٢٥٨ ..... اكتساب المرؤة في الصغر لا في الكهولة

فأما قوله (٥٧) و(٥٨):

النَّاسُ حَوْلَكَ غِرْبَانٌ عَلَى جَيْفٍ      بُلَّةٌ عَنِ الْمَجْدِ إِنْ طَارُوا وَإِنْ وَقَعُوا  
فَمَا لَنَا فِيهِمْ أَنَا قَبِلُوا طَمَعٌ      وَلَا عَلَيْهِمْ إِذَا مَا أَدْبَرُوا جَسَعٌ

٢٥٨ ..... الدنيا جيفة والناس كلابها



- ٢٥٩ ..... في الإعراض والفراق
- ٢٦٠ ..... الاستغناء عن الاصدقاء وكشف حقيقتهم
- ٢٦١ ..... الزهد في صداقة من لا يستحق

### فأما قوله (٥٩) (٦٠):

يَقُولُونَ مَا شِئَ الدَّهْرُ مِنْ حَيْثُ مَا مَشَى      فَكَبِّفَ بِمَا شِئَ يَسْتَوِيمُ وَأَظْلَعُ  
وَمَا وَائِثُ الدَّهْرِ إِلَّا كَرَاقِدٍ      عَلَى فَضْلِ نُوبِ الظِّلِّ وَالظِّلُّ يُسْرَعُ

- ٢٦٣ ..... هل يستقيم العيش والدهر اعوج
- ٢٦٤ ..... تغير احوال الدنيا
- ٢٦٥ ..... الاشعار في احوال الدنيا
- ٢٦٧ ..... انشاد قصيدة الامام الحداد سبب الشيع والعجيج

### فأما قوله (٦١):

الْقَدْ عَاقَمُوا لهُ مِنْ بَجُودٍ      وَقَدْ طَلَّقَ النَّفْسَ مَنْ يَشْجَعُ

- ٢٦٨ ..... الشريف اساء في البيت تقليد المتنبى
- ٢٦٩ ..... الادلة على خطأ بيت الشريف
- ٢٧٠ ..... لماذا حكم عبدالملك بن مروان بالشجاعة لمصعب بن الزبير
- ٢٧١ ..... قل من قرن الشح بالشجاعة

## المقالة الخامسة

### فأما قوله (٦٢):

كَلَامٌ يَشْجَعُ عَلَى الْعِزِّ وَالْكَسْلِ

- ٢٧٢ ..... كلام يشجع على العجز والكسل

- ٢٧٣ ..... الرزق ليس بالعلم ولا بالطلب
- ٢٧٣ ..... الناس كالبهائم في الرزق
- ٢٧٤ ..... تأثير السعد والحس

### فأما قوله (٦٣):

وَمَنْ يَشْرَبْ بِصَافٍ غَيْرَ رَنْقِي يَرْدِيَوْمًا بِرَنْقِي غَيْرِ صَافِي

- ٢٧٥ ..... الاصمعي يركب بغل اعجف بعد البراذين
- ٢٧٦ ..... عدم الاطمئنان الى الدنيا في اقبالها

### فأما قوله (٦٤):

كَأَنَّ اللَّيَالِي كُنَّالَيِّنَ حَلْفَةً بِأَنَّ لَايْرِي فِيهِنَّ شَمْلٌ مُؤَلَّفِ

- ٢٧٧ ..... الليالي والايام وغدر الزمان

### فأما قوله (٦٥):

كُلُّ شَيْءٍ مِّنَ اللَّيَالِي طَرِيفٌ وَاللَّيَالِي مَغَانِمٌ وَحُتُوفٌ

- ٢٧٩ ..... معاوية والحضرمي المعمر
- ٢٧٩ ..... صروف الدهر واطوار العيش

### فأما قوله (٦٦):

كَيْفَ يَرْجُو الْكَثِيرَ مَن رَّاضَهُ الشَّوْقُ إِلَى أَنْ رَضِيَ بِبَدْلِ الطَّفِيفِ

- ٢٨٠ ..... لامعنى للتعجب فان الحياة امل
- ٢٨١ ..... لايبأس من روح الله الا الكافر
- ٢٨٢ ..... العشاق يرنون لنفس الهلال والنجم الذي ترنوا اليه المعشوقة

فأما قوله (٦٧):

وَصُيُوفُ الْهُمُومِ مُذْ كَنَّ لَا يَنْزِلُ ————— نَ إِلَّا عَلَى الْعَظِيمِ الشَّرِيفِ

- ٢٨٥ ..... سبب الهم  
٢٨٦ ..... علاج الهم بصدق العزيمة

فأما قوله (٦٨):

وَالْحُظُوظُ الْبَلْهَاءِ مِنْ ذِي اللَّيَالِي أَنْكَحَتْ بِنْتَ عَامِرٍ مِنْ ثَقِيفِ

- ٢٨٧ ..... كثرة وصف الحظوظ بالعمى في الاشعار  
٢٨٩ ..... دانق بخت خير من جمل علم  
٢٩٠ ..... مسألة نحوية  
٢٩١ ..... نكاح بنت عامر في ثقيف

فأما قوله (٦٩):

إِنَّمَا نَلَيْسُ الدُّرُوعَ يُقَالاً لِرُجُوعِ إِلَى خِفَافِ الشُّفُوفِ

- ٢٩٢ ..... هذا من اكثر المعاني المتداولة بين الشعراء  
٢٩٣ ..... احرص على الموت توهب لك الحياة

فأما قوله (٧٠):

إِذَا أَنْتَ فَتَشَّتِ الْقُلُوبَ وَجَدَّتْهَا قُلُوبَ الْأَعَادِي فِي جُجُومِ الْأَصَادِقِ

- ٢٩٤ ..... المعنى فيه سرقات مزدوجة  
٢٩٥ ..... استواء العلانية والسرية

فأما قوله (٧١):

وَمَا جَمَعِي الْأَمْوَالَ إِلَّا عَنِيْمَةً لِمَنْ عَاشَ بَعْدِي وَإِتِهَامَ لِحَالِقِي

- ٢٩٦ ..... بيت عجيب معناه شائع

- البخيل يجمع المال لوارثه ..... ٢٩٧  
 طلب الحلال اول خطوات السالك ..... ٢٩٨

فأما قوله (٧٢):

كَمْ لِسَانٍ دَنَى إِلَيْكَ بِقَلْبٍ مُنَافِقٍ

- قبول المنافق المتملق لا يكون عن بلادة ..... ٢٩٩  
 من خادعنا في الله انخدعنا له ..... ٣٠٠

فأما قوله (٧٣):

وَلَا دَارَ إِلَّا سَوْفَ يُجَلَى قَطِيبُهَا عَلَى نَعْقِ عُرْبَانَ الْخُطُوبِ النَّوَاعِقُ

- شؤم العجز بغري بترك البيت ..... ٣٠٠

فأما قوله (٧٤):

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا غُمَّةٌ وَارْتِبَاحَةٌ وَمُفْتَرَقٌ بَعْدَ الدُّنُوِّ وَمُلْتَقَى

- الدهر اقبال وادبار ..... ٣٠١

فأما قوله (٧٥):

أَرَاكَتَجَرَّعُ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ مَضُوا فَهَلْ أَمِنْتَ عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ بَقُوا

- الماضين لا يرجعون والخلف لا يبقون ..... ٣٠٢  
 مامتلات دار من الدنيا حبرة الا امتلات عبيرة ..... ٣٠٦  
 الجزع على الماضين ..... ٣٠٧  
 شدة بؤس الشريف ..... ٣٠٨

فأما قوله (٧٦):

وَإِذَا الْحَلِيمُ رَأَى بِسِرِّ صَلْبِيهِ عِنْدَ نَأْوَالِي بِالْوَدَادِ الْأَحْمَقِ



فأما قوله (٨١):

الْبَسْفِي عَدْلٌ زَمَانٍ قَاسِطٍ    إِنَّمَا النَّاسُ عَلَى دِينِ السُّلْطَانِ

٣٢٤ ..... انما زمانكم سلطانكم

٣٢٦ ..... قول عبدالملك بن مروان : انصفونا ايها الرعية

فأما قوله (٨٢):

وَلْيَنْفَسِ مِنْ عَجْزِ الْفَتَى وَزَمَاعِهِ    زَمَامٌ إِلَى مَا يَشْتَهَى وَعِمْقَالُ

٣٢٦ ..... العجز عن الشهوات ليس بمذموم

فأما قوله (٨٣):

فَلَا تَسْمَعَنَّ حَاسِدٍ مَا يَقُولُ    فَكثُرَ اقْوَالِ الوُشَاةِ مُجَالُ

٣٢٧ ..... الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين

٣٢٩ ..... تصرف عمر بن عبدالعزيز مع واش

فأما قوله (٨٤):

فَلَيْسَ بِأَتْلِفِ الْإِحْسَانَ فِي مَلِكٍ    حَتَّى يُؤْلَفَ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

٣٣٠ ..... القول لا يغني عن العمل

٣٣١ ..... كثرة الحلف عند التبايع

فأما قوله (٨٥):

كُلُّ حَبِيبٍ أَبَدٌ    أَيَّامُهُ قَلِيلٌ

٣٣١ ..... اختلاف فهم معنى البيت

٣٣٢ ..... الكرام قصار اعمار

## فأما قوله (٨٦):

وَمَا طَلَبُ الْبَدْلِ مِنْ بَاخِلٍ بِمَيْسُورِهِ غَيْرَ دَاءٍ عَضَالٍ

- ٣٣٣ ..... مصادر اقتباس المعنى
- ٣٣٤ ..... اسئلة افلاطون لاستاذة ابقراط
- ٣٣٥ ..... ابن الحاجب يهجو اهل مصر
- ٣٣٦ ..... ابن شهاب لم يوفق في مدح عزيز مصر
- ٣٣٦ ..... الرد على ماقاله المفسرون بشأن الخضر وموسى

## فأما قوله (٨٧):

وَإِنَّ طِرَادَ النَّفْسِ عَمَّا تَرُومُهُ أَشَدُّ عَنَاءً مِنْ طِرَادِ قَبِيلٍ

- ٣٣٧ ..... جهاد النفس
- ٣٣٨ ..... الطبع والهوى والتكلف

## فأما قوله (٨٨):

وَأَوَّلُ لَوْمِ الْمَرْءِ لَوْمُ أَصُولِهِ وَأَوَّلُ عَذْرِ الْمَرْءِ عَذْرُ خَلِيلٍ

- ٣٣٩ ..... كيف بسلام اعياني ابوه

## فأما قوله (٨٩):

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا إِذَا مَا نَظَرْتَهَا بِقَلْبِكَ أَمْ لِلْبَيْنِ نَكْوَلٌ

- ٣٤٠ ..... من شروط خطبة الجمعة عند الشافعية

## فأما قوله (٩٠):

وَأَنْتَ رَأَيْتَ عَنِّي الْأَسْمَاءَ إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَا عِلَاءٍ مَقْبَلًا

الغنى والمرؤة وحسن التصرف في انفاق المال ..... ٣٤٢

### المقالة السادسة

فأما قوله (٩١):

النَّفْسُ أَعْدَىٰ عَدُوِّ أَنْتَ حَاذِرُهُ وَالْقَلْبُ أَعْظَمُ مَا يُبْلَىٰ بِهِ الرَّجُلُ

النفس والهوى عدو للانسان ..... ٣٤٣

فأما قوله (٩٢) و(٩٣) و(٩٤) و(٩٥):

عَادَةٌ لِلزَّمَانِ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَتَنَاءَىٰ خِلٌّ وَتَبْكِي طُلُوبٌ  
فَاللِّبَالِي عَوْنٌ عَلَيْكَ مَعَ البُّبَيْنِ كَمَا سَاعَدَ الذَّوَابِلَ طُوبُ  
هِيَ دُنْيَا إِنْ وَاصَلْتَ ذَا جَفَّتْ هَذَا مِلَالًا كَانَتْهَا عَظْبُوبُ  
كُلُّ بَاكِ يُبْكِي عَلَيْهِ وَإِنْ ظَلَّ نِوَاءُ الشَّاكِلِ الْمَكْحُولُ

شرح الايات وبيان مايمثلها ..... ٣٤٥

فأما قوله (٩٦):

نَوْمًا لَنْ تُرَوَىٰ مِنَ الْعَيْشِ وَالرَّدىِ شُرُوبُ الْأَعْمَارِ الرَّجَالِ أَكُولُ

معنى صدر البيت واضح ومستعمل ..... ٣٤٨

لفظ عجز البيت مقتبس عن المتنبى ..... ٣٤٩

فأما قوله (٩٧):

وَمَوْتُ الْفَتَىٰ خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ إِذَا جَاوَزَ الْأَيَّامَ وَهُوَ ذَلِيلٌ

تحريض على الشجاعة مع الامثلة ..... ٣٥٠

المقارنة بين بعض الشعراء في هذا المعنى ..... ٣٥١



## فأما قوله (٩٨):

وَمَنْ مَاتَ لَمْ يَعْلَمْ وَقَدْ عَانَقَ الشَّرَى بَكَاءُ خَلِيلٍ أَمْ سَلَاةُ خَلِيلٍ

- ٣٥٢ ..... مقارنة البيت بما جاء في نهج البلاغة  
 ٣٥٣ ..... احوال الموتى  
 ٣٥٤ ..... اعمال الاحياء تعرض على اقاربهم من الاموات

## فأما قوله (٩٩):

نُغَالِبُ ثُمَّ تَغْلِبُنَا اللَّيَالِي وَكَمْ يَبْقَى الرَّمِيُّ عَلَى الزَّبَالِ

- ٣٥٥ ..... خصيم الليالي والغواني مغلب  
 ٣٥٦ ..... ريب الزمان  
 ٣٥٧ ..... المنايا لا تطيش سهامها  
 ٣٥٧ ..... تقوية معنويات المريض شفاء

## فأما قوله (١٠٠):

سَلَى عَنِ الْعَيْشِيَانَا لَأَنْدُومُ لَهُ وَهَوْنُ الْمَوْتِ مَا نُلْقَى مِنَ الْعِلَلِ

- ٣٥٨ ..... بيت جميل مشترك المعنى  
 ٣٥٨ ..... الاسف على الشباب والموت  
 ٣٦٠ ..... التضجر من الحياة بسبب الآفات

## فأما قوله (١٠١):

هَلْ نَافِعُ نَفْسِكَ إِنْ أَذْلَلْتَهَا كَرَامَةُ الْبَيْتِ وَعِزُّ الْمَقِيلِ

- ٣٦٢ ..... العمل هو الاساس وليس الفخر بالآباء

## فأما قوله (١٠٢):

وَسَيِّانٌ عِنْدِي مَنْ طَوَّانِي عَلَى جَوَى يُعَدِّبُ قَلْبِي أَوْ طَوَّانِي عَلَى دَخَلِ

- ٣٦٣ ..... بيت بغيض اصله عن المتنبى  
 ٣٦٤ ..... لو غير ذات سوار لطمتمى  
 ٣٦٥ ..... الاولى عدم ذكر هذا البيت

## فأما قوله (١٠٣):

وَكُلُّ فَتَى لَا يَطْلُبُ الْمَجْدَ اغْرَلٌ وَكُلُّ عَزِيزٍ لَا يَجُودُ ذَلِيلٌ

- ٣٦٥ ..... فى البيت معنى صغير وتجور  
 ٣٦٦ ..... البخل لا يمنع من السيادة

## فأما قوله (١٠٤) و(١٠٥) و(١٠٦) و(١٠٧):

إِشْرَ الْعِزِّ بِمَا بِي — عَ فَمَا الْعِزُّ بِغَالٍ  
 بِالْقِصَارِ الضُّفْرَ إِنْ شِئ — تَ أَوْ الْبِضِّ الطَّوَالِ  
 إِنَّ مَا يُدْخِرُ الْمَالَ لِحَا — جَاتِ الرِّجَالِ  
 وَالْفَتَى مَنْ جَعَلَ الْأَمَّ — وَالْأَثْمَانَ الْمَالِي

- ٣٦٧ ..... هذه من اجمل ما قال الشريف  
 ٣٦٧ ..... زكى مبارك ذكر للابيات قصة تقلل من شأنها  
 ٣٦٨ ..... فى الولاية والخلافة  
 ٣٦٩ ..... حال الشريف عند عزله عن النقابة

## فأما قوله (١٠٨):

وَمَا الْمُكْرِهُونَ السَّمْهَرِيَّةَ فِي الْعُلَى بِأَشْجَعِ مِمَّنْ يُكْرِهُ الْمَالَ فِي الْبَدْلِ

- ٣٦٩ ..... نقد الفاظ البيت واستثقالها  
 ٣٧٠ ..... خلاف نحوي  
 ٣٧٠ ..... معنى البيت : ليس الجرىء بأشجع من الجواد  
 ٣٧١ ..... تفضيل النجدة على الجود

فأما قوله (١٠٩):

إِذَا مَا نَفَعَ الْجَهْلُ فَإِنَّ الْعَقْلَ ضَائِرُ

٣٧٢ ..... تشكي العقلاء وقناعة الجهلاء

٣٧٣ ..... بيت الشريف عكس ما اخرجه في النيج

فأما قوله (١١٠):

وَمَا شَرَّرَ تَطَاوَحَ مِنْ زِنَادٍ بِمُفْتَقِدٍ إِذَا بَقِيَ الضَّرَامُ

٣٧٤ ..... المعنى : لن يعدم الشر مادام الضرام

٣٧٤ ..... ابيات في التعزية

فأما قوله (١١١):

وَكَيْفَ نَوْمُ الْمَرءِ مِنْ تَحْتِهِ دُونَ الْكَرَى مُضْطَرَبَ الْأَرْقَمِ

٣٧٧ ..... مقبس من بيت للنابغة

٣٧٧ ..... عقرب دخلت لحية

فأما قوله (١١٢):

إِذَا الْعُضْوُ لَمْ يُؤْلَمَكَ إِلَّا قَطَعْتَهُ عَلَى مَضْضٍ لَمْ تُبْقِ لِحْمًا وَلَا دَمًا

٣٧٨ ..... المعنى قديم متداول

٣٧٩ ..... ابيات في الاعتذار للصاحب

فأما قوله (١١٣):

كَالْعَيْبِ يَخْلُفُهُ الرَّبِيعُ وَتَعْضُهُمُ كَالنَّارِ يَخْلُفُهَا الرَّمَادُ الْمُظْلِمُ

٣٨١ ..... نقد صدر البيت وعجزه

## فأما قوله (١١٤):

هُبُّوْا فَمَّا ذَتَّيَ ظَا لَ جَدَاذُ لِقَوْمِ الزِّيَامِ

- ٣٨٢ ..... البيت معدوم التناسب سيء المعنى  
 ٣٨٢ ..... هذه من اضاليل العجزة واماني الكسالي

## فأما قوله (١١٥):

مَا الذَّنْبُ لِلْمُزْنِ جَارَتْغِي مَوَاطِرُهُ وَإِنَّمَا الذَّنْبُ لِلأَزْرَاقِ وَالْقِسَمِ

- ٣٨٣ ..... البيت مسروق عن ابي تمام  
 ٣٨٤ ..... من لم يشكر للهمة لم يشكر للنعمة  
 ٣٨٥ ..... الرزق ليس بالحيلة

## فأما قوله (١١٦):

إِنَّ مَنْ خَاضَتْ النَّوَاطِرُ فِيهِ لَحَرِيًّا أَنْ تَخُوضُهُ الأَفْدَامُ

- ٣٨٥ ..... من قول اردشير لا تبذل نفسك  
 ٣٨٦ ..... كل محبوب مهاب  
 ٣٨٦ ..... لماذا عمر يامر الحجاج بالنفير  
 ٣٨٦ ..... قصة معاوية وعمر بن الخطاب  
 ٣٨٦ ..... راي اريب او خدعة ليب  
 ٣٨٦ ..... عمر سهل الحجاب للضعفاء شديده على الاقوياء  
 ٣٨٧ ..... المذموم من الحجاب

## فأما قوله (١١٧):

وَمَا اللَّيْبُ إِلَّا مَنْ يَدُلُّ بِنَفْسِهِ وَيَمْنَعُنِي إِذَا مَا يَأْتِيهَا السَّطَاتُ

- ٣٨٨ ..... البيت ماخوذ عن سعد بن ناشب

## فأما قوله (١١٨):

لَا تَصْفَحَنَّ عَنِ الْمَلِيمِ إِذَا جَنَى وَإِذَا الْمَضَارِبُ أَمْكَنتُكَ فَصِمِّمْ

- ٣٨٩ ..... ماخوذة من قصيدة تحريض تثير الاحقاد لابي اذينة  
 ٣٩٠ ..... اتق الكريم اذا اهنته واحذر من اللئيم اذا اكرمه  
 ٣٩٠ ..... مفهوم للامام عجب في العفو عن قريش وعقاب يهود بني قريضة  
 ٣٩٢ ..... يفسد العفو عن اللئيم بمقدار ما يصلح من الكريم

## فأما قوله (١١٩):

لَا يَدَّخِرُ الضَّيْعَمُ مِنْ قُوَّتِهِ مَا يَدَّخِرُ النَّمْلُ مِنَ الْمَطْعَمِ

- ٣٩٢ ..... اجاد في معناه المعري وتفوق على الشريف  
 ٣٩٣ ..... المغبون لا ماجور ولا محمود

## فأما قوله (١٢٠):

قَدْ يَبْلُغُ الرَّجُلُ الْجَبَانَ بِمَالِهِ مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ الشُّجَاعُ الْمُعْدَمُ

- ٣٩٣ ..... مصادر الاقتباس  
 ٣٩٥ ..... ابيات في المعنى

## فأما قوله (١٢١):

قَدْ يُقْذِعُ الْمَرءُ وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَمٍّ وَيُقْطَعُ الْعُضْوُ الْكَرِيمُ لِلْأَلَمِ

- ٣٩٥ ..... مصادر الاقتباس  
 ٣٩٦ ..... الانتقام من الاقارب

## فأما قوله (١٢٢):

وَمَا كُنْ لِئِبِّ يَغْتَمُّ الْقَوْمُ زَادَهُ إِذَا حَفَقَتْ تَحْتَ الظَّلَامِ الصَّرَاغِمُ

- ٣٩٧ ..... توضيح معنى البيت  
 ٣٩٨ ..... الشريف سقط في هذا البيت

### فأما قوله (١٢٣):

إِذَا الْعَدُوُّ عَصَانِي خَافَ حَدِيدِي وَعِرْضُهُ أَمِينٌ مِنْ هَاجِرَاتِ قَوْمِي

- ٣٩٨ ..... الشريف يقترب من بيت ابي تمام  
 ٣٩٩ ..... من الشعراء من يترفع عن الهجاء  
 ٤٠٠ ..... الطرماح يتمنى ان يهجو الفرزدق ليشتهر  
 ٤٠٠ ..... جرير والفرزدق يترفعان عن اللعين المنقري  
 ٤٠١ ..... سبب تسمية اللعين المنقري  
 ٤٠١ ..... احتقار كبار الشعراء الرد على الصغار  
 ٤٠٢ ..... اللين والاعلاظ

### فأما قوله (١٢٤):

وَلَوْ أَمِنَ الْجَبَانَ مِنَ الْمَنَائِيَا لِأَعْمَدَ سَيْفُهُ الْبَطْلُ الْمُحَامِي

- ٤٠٣ ..... مقتبس عن المتنبى  
 ٤٠٤ ..... فلسفة المهلب في الشجاعة  
 ٤٠٤ ..... الشجاعة وقايه والجبن مقتله

## المقالة السابعة

### فأما قوله (١٢٥):

وَمَنْ اضْمَرَ الصَّدَّ عَمَّنْ لَيْسَ بِضَمِيرِهِ بَغِيًّا مَشَى فِي نَوَاجِي سِرِّهِ الْقَدِيمِ

- ٤٠٦ ..... في البيت حشو وفضول ومعناه من قول ابن المعتز

- ٤٠٦ ..... مارايت قفا رجل قط إلا عرفت عقله
- ٤٠٧ ..... صعوبة ستر العشق والهوى
- ٤٠٨ ..... عدم النظر الى المحبوب خشية الانفضاح
- ٤٠٩ ..... المرأة اقدر من الرجل على كتم المحبة

فأما قوله (١٢٦):

وَعَبْرَ بَعِيدٍ عَنْكَ نَاءٍ تَزُورُهُ وَعَبْرَ قَرِيبٍ قَاطِنٍ لَاتُؤْمُهُ

- ٤٠٩ ..... مشابه لبيت ابوتمام وبيت عمارة اليميني

فأما قوله (١٢٧):

أَصْعَتُ الْهَوَى حِفْظًا لِحَزْبِي وَإِنَّمَا يُبْصَانُ الْهَوَى فِي قَلْبٍ مَن ضَاعَ حَزْمُهُ

- ٤١٠ ..... فيه شبه من كلام الميئب لولده
- ٤١١ ..... مدح القدرة على تمالك النفس
- ٤١٢ ..... اعداء المتنبى يتقيلون آثاره
- ٤١٣ ..... الموت بالحب

فأما قوله (١٢٨):

تَشِيفُ خِلَالَ الْمَرْءِ لِي قَبْلَ نَطْقِهِ وَقَبْلَ سُؤَالِي عَنْهُ فِي الْقَوْمِ مَا أَسْمُهُ

- ٤١٤ ..... الارواح جنود مجندة

فأما قوله (١٢٩):

وَلَا تَبَاسَنَّ مِنْ عَفْوِ حُرِّ قَائِمِنَا تَحَلَّمْ بَاقِي إِذَا صَاعَ حُلْمِ

- ..... مقتبس عن البحترى بمستوى
- ٤١٦ ..... الحلم بالتحلم والعلم بالتعلم

فأما قوله (١٣٠):

فَلَا عَارَ أَنْ تُسْتَنْجِدَ الْكَاسَ رَاحَةً      أَضْرَبُ بِهَا حَمْلُ الْجِرَارِ الْمُصَّمِّمِ

٤١٨ ..... مصادر اقتباس المعنى

فأما قوله (١٣١):

يَمْضِي الزَّمَانُ وَلَا نَحْسُ      كَأَنَّهُ رِيحٌ تَمَرٌ وَلَا يُشَمُّ نَسِيمُهَا

٤١٩ ..... المعنى مكرر بكثرة

٤٢٠ ..... المنايا ومرور العمر

فأما قوله (١٣٢):

كَمْ دَاهِبًا بِنَايَ النَّوَاطِرِ مُدَّةٌ      وَمَضَى وَطَابِلُ مُقْلِهِ تَهْوِي مِهَا

٤٢٢ ..... نسيان الراحلين

٤٢٣ ..... صعوبة نسيان الاحباب

٤٢٤ ..... احزان النساء قصيرة واحزان الرجال طويلة

فأما قوله (١٣٣):

وَنَلَقَى قَبْلَ لُقْيَانِ الْمَنَايَا      رِمَاحَ الدَّاءِ تَطْعَنُ فِي الْجِسْمِ

٤٢٦ ..... البيت مشترك المعنى

٤٢٦ ..... تشبيه الاجل بخط مربع

فأما قوله (١٣٤):

قَلْبَتَ كَرِيمٍ قَوْمَ نَالِ عِرْضِي      وَلَمْ يَذُنْ شَيْئًا مِنْ لَيْمِ

٤٢٧ ..... ابيات في نفس المعنى



- الزبرقان يأنف فلا يرد على الحطيئة ..... ٤٢٨  
 الشعراء لا يتعرضون الا لاكفائهم ..... ٤٢٩  
 ابن هانيء وعلي التونسي ..... ٤٣٠  
 الكلام على العلماء ..... ٤٣٠

### فأما قوله (١٣٥):

تُمَلِّي الْمَقَادِيرُ أَعْمَارًا وَتَنْسَخُهَا  
 وَيَضْرِبُ الدَّهْرُ أَيَّامًا بِأَيَّامٍ

- كلام في فلسفة البيت ..... ٤٣١  
 الكلام في الاجل ..... ٤٣٣  
 الحجاج اذا اعيت الامور استكان للقضاء ..... ٤٣٦  
 شبهة الاعتزال في بيت المتنبي ..... ٤٣٧

### فأما قوله (١٣٦):

نِصْفُ عَيْشِ الْمُرءِ نَوْمٌ وَالَّذِي  
 يَغْفِلُ الْعَاقِلُ مِنْهُ كَالْحُلْمِ

- ايات بنفس المعنى ..... ٤٣٧  
 الدنيا امانى وحلم ..... ٤٣٧

### فأما قوله (١٣٧) و(١٣٨):

وَالْحُرُّ مِنْ حَذَرِ الْهَوَا  
 وَالضُّبَيْمُ أَوْحٌ مِنْهُ مَظْرُ  
 نُبُرَائِلُ الْأَمْرِ الْجَسِيمَا  
 وَرُالْظَبَى بَلَعُ الصَّوِيمَا

- الاول من كلام عبدالملك بن مروان والثاني مثله كثير ..... ٤٣٨  
 تمثل الحسين بن علي بايات الشداخ ..... ٤٣٩

### فأما قوله (١٣٩):

وَخَاطِرٌ عَلَى الْجَلَى خِطَارٌ ابْنَحْرَوٌ  
 وَإِنْ رَاحَمَ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ فَرَاغِمَ

- ٤٤٠ ..... الاقتباس من المتنبي وجريير والفرزدق  
 ٤٤٢ ..... الهمة والسعي طريق المجد  
 ٤٤٣ ..... التاجر الجبان محروم

### فأما قوله (١٤٠) و(١٤١):

وَمَنْظَرٍ كَانَ بِالسَّرَاءِ يُضْجِكُنِي      يَا قُرْبَ مَا عَادَ بِالضَّرَاءِ يُبْكِبِنِي  
 هَيْهَاتَ أَغْتَرَّ بِالسُّلْطَانِ ثَانِيَةً      قَدْ ضَلَّ وُلَّاحُ أَبْوَابِ السَّلَاطِينِ

- ٤٤٣ ..... البيت الاول مقتبس عن المتنبي  
 ٤٤٤ ..... من اكل مرقة السلطان احترقت شفتاه

### فأما قوله (١٤٢):

لَا تَأْمَنَنَّ عَدُوًّا لَانَ جَانِبُهُ      حُشُونَةَ الصَّلِّ عُقْبَى ذَلِكَ اللَّيْنِ

- ٤٤٥ ..... المعنى سبق به عترة

### فأما قوله (١٤٣):

لَا تَخْلَدَنَّ إِلَى أَرْضٍ تَهُونُ بِهَا بِالذَّارِ دَارٌ      وَبِالْجِيرَانِ جِيرَانُ

- ٤٤٦ ..... الاختلاف في مخترع المعنى  
 ٤٤٧ ..... الوطن حيث العز والمنعة  
 ٤٤٨ ..... الأم بيتين قالتها العرب  
 ٤٤٩ ..... تنكر الديار تستدعي الرحيل

### فأما قوله (١٤٤):

لَا تَمُوتَنَّ فِي مَرْكَبِ الْأَخْبَارِ      وَلَا تَقْلَبَنَّ فِي الْأَمْرِ رَمْلًا

- ٤٤٩ ..... المعنى من قول زياد بن زيد

٤٥٠ ..... فراق الاحبة بعد الاجتماع

٤٥١ ..... الموت غيب اهل الديار والنعمة

فأما قوله (١٤٥):

إِذَا الْفَتَى كَانَ فِي أَعْمَالِهِ سُوءًا لَمْ يُغْنِنِ قِيْلَ إِنَّ الْوَجْهَ حَسَانًا

٤٥١ ..... مصادر اقتباس المعنى

٤٥٢ ..... الفخر ليس بالاجسام بل بالعقول

٤٥٢ ..... لا يمكن احتضام الجمال والطول

فأما قوله (١٤٦):

يَأْقُومُ إِنَّ طَوِيلَ الْحُلْمِ مَفْسَدَةٌ وَرَبِّمَا ضَرَّ إِيْقَاءٌ وَإِجْمَالٌ

٤٥٣ ..... معنى شائع ماخوذ عن ابي الطيب

٤٥٤ ..... من الحلم ما يفضي الى الذل

٤٥٥ ..... الحلم والحزم

٤٥٦ ..... سديف يحرض المهدي على بني امية

فأما قوله (١٤٧):

مَا يَنْفَعُ الْمَاضِيْنَ بِقِيَّتِ لَهُمْ حُطْطَ مُعَمَّرَةٌ بِعُمُرِ قَانِي

٤٥٧ ..... اعمار البلاد يطيل الاعمار

٤٥٨ ..... الذكر بعد الموت حياة ثانية

٤٥٩ ..... مامات من ابقى ذكرا حسنا

فأما قوله (١٤٨):

وَمَا خَيْرُ عَيْنٍ خَبَا نُورُهَا أَوْ مَنَى يَدٌ جَدَّ مِنْهَا الْبَنَانُ

- ٤٦٢ ..... الصدر مقتبس عن المتنبي والعجز عن مُلاعب الاسنة .....  
 ٤٦٣ ..... ابيات بنفس المعنى ونظم اجود .....

فأما قوله (١٤٩):

وَمَا كُلُّ أَضَلِّ كَرِيمٍ الْعُرُوقُ تَأْبَىٰ عَلَى الْعَمَزِ عِبْدَانُهُ

- ٤٦٤ ..... زكاء النسل .....  
 ٤٦٥ ..... اذا لم يكن الفرع كالأصل فلا فائدة فيه .....

فأما قوله (١٥٠):

إِذَا مَنَزِلُ رَابٍ سُكَّانُهُ مِنْ الْأَرْضِ حُرْمٌ لِطَائِفَتِهِ

- ٤٦٦ ..... في البيت حشو مذموم .....  
 ٤٦٦ ..... ابيات اجود لشعراء آخرين .....

### المقالة الثامنة

فأما قوله (١٥١):

وَمَا الْحُبُّ إِلَّا فُرْقَةٌ بَعْدَ الْفَيْءِ وَالْأَحْزَابُ بَعْدَ طَوْلِ أَمَانِ

- ٤٦٨ ..... وصف بعض اعراض الحب .....  
 ٤٦٩ ..... تقلب الاحوال في الهوى .....

فأما قوله (١٥٢):

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُحْفَظْ فَمَاذَا لِقُرْبِهِ فَاتَّحِ بِذَلِكَ لِأَنْ لَا يَنْصُرَ لِقُرْبِهِ

- ٤٧٠ ..... من لم يحفظ القريب لم يأمنه البعيد .....  
 ٤٧٠ ..... المرء والشر .....

## فأما قوله (١٥٣):

تَعَرَّفُنِي بِأَنْفُسِهَا اللَّيَالِي وَأَتَّفُ أَنْ أَعْرِفَهَا مَكَانِي

صدر البيت عن المتنبي وعجزه عن ابي نواس ..... ٤٧١

## فأما قوله (١٥٤) و(١٥٥) و(١٥٦) و(١٥٧):

فَكَمْ صَاحِبٍ يُدْمِي عَلَيَّ بِنَانَهُ وَيُظْهِرُ أَنَّ الْوِرْلَ لَكُمْ بِنَانِي  
يَضُمُّ حَشَا الْبَغْضَاءِ عِنْدَ تَغْيِبِي وَيَجْلُو جَبِينِ الْوِدِّ حِينَ يَرَانِي  
مَسَحْتُ بِجِلْمِي ضِغْنَهُ عَنْ جَنَانِهِ فَلَمَّا أَبِي مَسَحْتُهُ بِسِنَانِي  
سَبَقْتُ بِرَمِي قَلْبَهُ فَأَصَبْتُهُ وَلَوْ لَمْ أَصِبْهُ عَاجِلًا لَرَمَانِي

شعر جزل لكن عليه ملاحظات ..... ٤٧٢

النفاق بين الاصدقاء ..... ٤٧٣

كتاب الحجاج الى المهلب ..... ٤٧٤

مشكلة مع ابن اوس مع ذوي رحمه ..... ٤٧٥

## فأما قوله (١٥٨) و(١٥٩):

أَشْكُو النَّوَائِبَ ثُمَّ أَشْكُرُ فِعْلَهَا لِعَظِيمِ مَا أَلْقَى مِنَ الْخِلَآنِ  
وَإِذَا أَسْنَتُ مِنَ الزَّمَانِ فَلَا تَكُنْ إِلَّا عَلَيَّ حَلْرٍ مِنَ الْإِخْوَانِ

الدهر نعم المؤذب ..... ٤٧٦

قد يكون الصديق اخطر من العدو ..... ٤٧٦

## فأما قوله (١٦٠):

عَازِلٌ يَسْعُ السَّمْعَ السَّمْعَالِ وَحِيدٌ إِذَا تَارَتْ سَهَابَاتُ السَّمْعِ

العزوة عند وجودها وعدمها ..... ٤٧٧

الراي قبل الشجاعة ..... ٤٧٨

## فأما قوله (١٦١):

وَبَسَّغْتُ أَبَامِي وَلَمْ تَسْعَنْبِي أَفْضَلُ عَنْهَا وَتَضِيقُ عَنِّي

للمتنبي ابيات كثيرة في معناه ..... ٤٧٨

## فأما قوله (١٦٢):

وَلَيْسَ عَلَى زَهْرِ الْكَوَاكِبِ سَبَّةٌ إِذَا غَضَّ مِنْ أَنْوَارِهَا زُبُرُقَانِهَا

بيت جميل ولكن معناه مقبس ..... ٤٧٩  
الفرار من علي لا عار فيه ..... ٤٨٠  
ابيات متنوعة في المعنى ..... ٤٨٢

## فأما قوله (١٦٣):

أَكْرَرُ فِي الإِخْوَانِ عَيْنًا صَحِيحَةً عَلَى أُعْيُنِ مَرْضَى مِنَ الشَّنَانِ

الشريف كثير الحساد ..... ٤٨٢  
كلام ونظرات اهل الحسد ..... ٤٨٣

## فأما قوله (١٦٤):

لَا تَجْعَلَنَّ دَلِيلَ الْمَرْءِ صُورَتَهُ كَمْ مُخْبِرِ سَمَجٍ عَنْ مَنْظَرِ حَسَنِ

نقد البيت ..... ٤٨٥

## فأما قوله (١٦٥):

أَوَدَّتْ وَقَاحُ الوَجْهِ يَخْمِلُ كَفَهُ أَنَامِلٌ لَمْ يَعْرِقْ بَيْنَ نَارِ

الشجاعة والوقاحة ..... ٤٨٥  
بحث الامام بن عبيدالله الموضوع ..... ٤٨٥  
حسان يذم ثم يمدح ..... ٤٨٧

## فأما قوله (١٦٦) و(١٦٧):

وَسُرُّ الْآذَى مَا جَاءَ مِنْ غَيْرِ حُسْبَةٍ      وَكَيْدُ الْمُعَادِي دُونَ كَيْدِ الْمُدَاهِنِ  
وَأَنَّ بُلُوغَ الْحُزْنِ مِنْ قَلْبٍ خَائِفٍ      لَدُونَ بُلُوغِ الْخَوْفِ مِنْ قَلْبٍ آمِنٍ

- ٤٨٨ ..... كلام عامي ولفظ عامي  
٤٨٨ ..... آيات اقوى في المعنى  
٤٨٩ ..... المداهن اضر من المنافق  
٤٩٠ ..... وقوع الشراهمون من توقعه

## فأما قوله (١٦٨) (١٦٩):

فُضُورُ الْمُتَّجِدِ مَعَ طُولِ الْمَسَائِي      وَقَوْلُ النَّاسِ لَمْ يَنْجَحْ فُلَانٌ  
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ سَفِيِّ هَجِينٍ      لِأَنَّ بَلْعَ الْعُلَى جَدُّ هَجَانٍ

- ٤٩٠ ..... فوت الحاجة اهون من طلبها من غير اهلها  
٤٩١ ..... مصادر الكسب

## فأما قوله (١٧٠) و(١٧١):

وَمَنْ عَجِبَ صُدُودَ الْحَظِّ عَنَّا      إِلَى الْمُتَعَمِّمِينَ عَلَى الْخَرَائِبَا  
أَسْفَئَ بِمَنْ يَطِيرُ إِلَى الْمَعَالِي      وَظَارَ بِمَنْ يَسْفُ إِلَى الدَّنَائِبَا

- ٤٩٢ ..... تعجب مما لا يتعجب منه  
٥٩٣ ..... شقاء رجال النفع وسعادة رجال الضر

## فأما قوله (١٧٢):

وَكَيْفَ السُّعْدَاءُ يَمُرُّ مَرْدَةٌ      صَبِيحًا كَمَا يَمُرُّ الْمَرْبَا

- ٤٩٥ ..... بقدر سرور التواصل تكون حسرة التفاضل

## فأما قوله (١٧٣):

وَحَلَايِقُ الدُّنْيَا حَلَايِقُ مُوسَى لِمَنْعِ آوْنَةٍ وَلِلْإِغْطَاءِ

- ٤٩٧ ..... ابيات مختلفة في حال الدنيا وغدورها  
 ٤٩٨ ..... وصف امير المؤمنين علي للدنيا

## فأما قوله (١٧٤):

إِذَا مَا الحُرُّ جَدَبَ فَبِرَمَانٍ فَوَفَّئُهُ لَهُ زَادَ وَمَاءٌ

- ٤٩٩ ..... قليل الدنيا يكفي  
 ٥٠٠ ..... ابيات في القناعة  
 ٥٠١ ..... المجد في الدنيا بالمال  
 ٥٠٢ ..... العرب اصبر الناس على الشدائد

## فأما قوله (١٧٥):

هَيْهَاتَ يَا دُنْيَا وَبَرِّقْكَ صَادِقُ أَرْجُو فَكَيْفَ إِذَنْ وَبَرِّقْكَ كَاذِبُ

- ٥٠٣ ..... مصادر اقتباس المعنى

## فأما قوله (١٧٦):

وَأَعْظَمُ مَا أَلَاقِي أَنْ دَهْرِي يَعْذُ مَحَاسِنِي لِي مِنْ عُيُوبِي

- ٥٠٤ ..... اغفال المحاسن وذكر العيوب  
 ٥٠٤ ..... عين العداوة وعين الرضا

## فأما قوله (١٧٧):

وَلِلْحِلْمِ أَوْقَاتٌ وَلِلْجَهْلِ مِثْلَهَا وَلَكِنَّ أَوْقَاتِي إِلَى الْحِلْمِ أَقْرَبُ

- ٥٠٥ ..... الحلم والجهل  
 ٥٠٦ ..... الحلم يحتاج الى الجهل احيانا



## فأما قوله (١٧٨) و(١٧٩):

تُجَاذِبُنِي يَدُ الْأَيَّامِ نَفْسِي      وَتُؤْوِيكُنَّ أَنْ يَكُونَ لَهَا الْغِلَابُ  
وَتَغْدُرُ بِي الْأَقَارِبُ وَالْأَدَانِي      فَلَا عَجَبٌ إِذَا غَدَرَ الصَّحَابُ

- ٥٠٧ ..... هل الاصحاب ادنى الى الغدر من الاقارب ؟  
٥٠٨ ..... لا خير في قريب بغير مودة .....

## فأما قوله (١٨٠) و(١٨١):

فَمَالِي طَوْلَ الدَّهْرِ أَمْثَلِي كَأَنِّي      لِفَضْلِي فِي هَذَا الزَّمَانِ غَرِيبٌ  
إِذَا قُلْتُ قَدْ عَلَقْتُ كَفَى بِصَاحِبٍ      تَعُودُ عَوَادَ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ

- ٥٠٩ ..... مصادر اقتباس المعنى  
٥١٠ ..... المعمر غريب  
٥١٠ ..... الصديق تسرك بداياته وتسوءك نهاياته  
٥١١ ..... المستحيلات الثلاثة  
٥١٤ ..... ندرة الصديق  
٥١٥ ..... التسليم بفضيلة سبق للمتنبي  
٥١٦ ..... ابيات متعددة للشريف ماخوذة عن المتنبي  
٥١٧ ..... ابداء الحكم بين الشعارين  
٥١٨ ..... حيثيات الحكم

## تنبيهات

- ٥١٩ ..... لا تطلق السرقة على المعاني المشتركة  
٥١٩ ..... قد يكون في الابيات اختلاف في اللفظ والعزو  
٥١٩ ..... تفضيل اسم النجم المضيء لهذا المصنف  
٥٢٠ ..... سوء اختيارات زكي مبارك سبب الاقلال من قيمة الشريف الرضي  
٥٢١ ..... الزمان لم يسمح للامام الا بمراجعة وترتيب المقالتين الاوليين